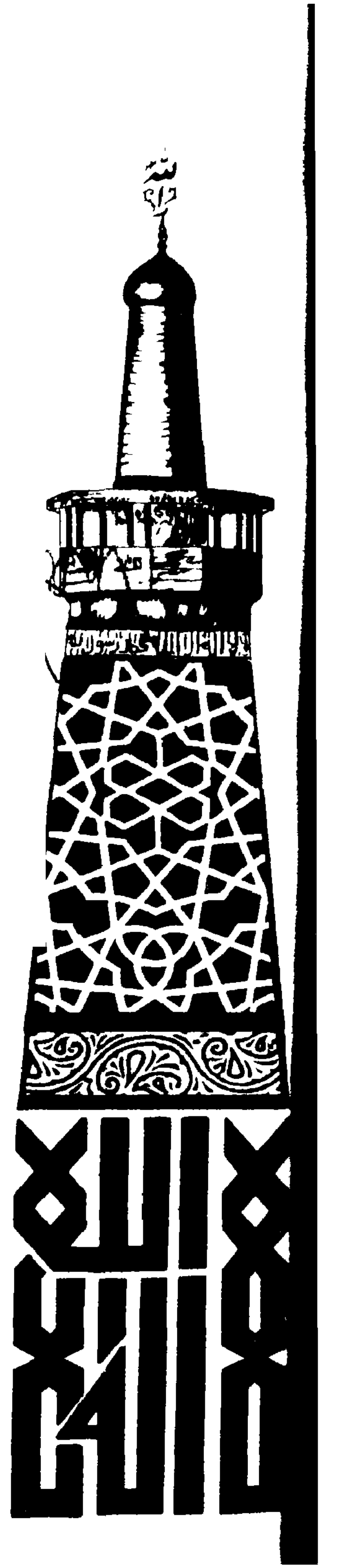
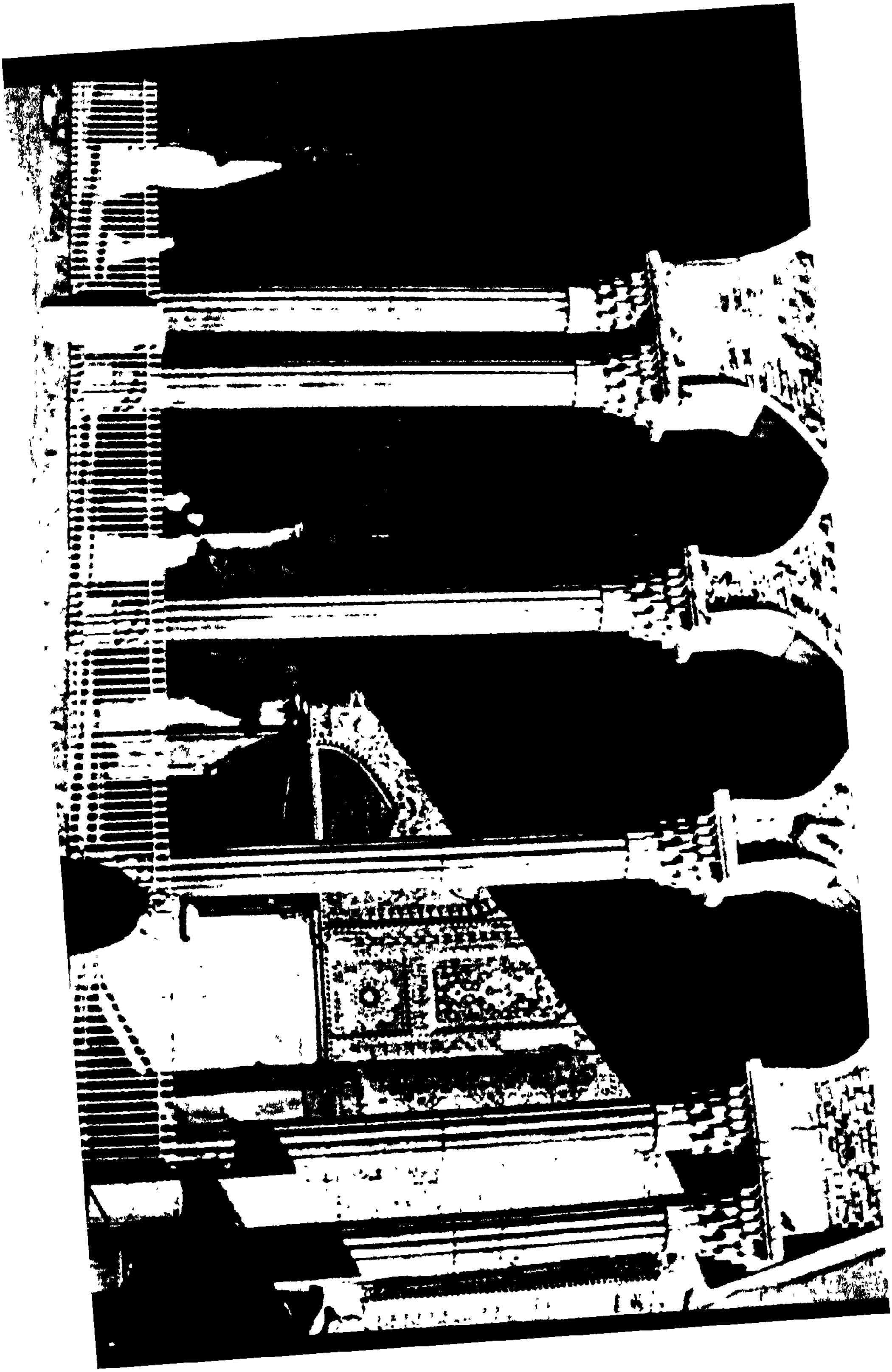




لتوحيد

مجلــة

اسلاميــة ــ فكريــة ــ جامعــة

. الثاني عشر ــ السنة الثانية ــ محرم، صفر ــ ١٤٠٥ هـ . ق

تُعنى بالفكر الإسلامي المعمّق،

والكلمة الهادفة الصادقة،

وكل مايهمُّ الأمة من رؤىً وسلوك بنّاء.

وتفتح صدرها؛

لكل المفكرين الإسلاميين،

خدمةً لقضية التوحيد الكبرى،

وتـركـيزاً لخصائص الأمة الاسلامية الواحدة،

ونشراً لأضواء الثورة الاسلامية في كل أرجاء الوجود.

بعيداً عن؛

كل تعصب ذميم،

وتفريق بين المسلمين لاتحمد عقباه،

ولغوٍ من القولِ لا طائل تحته .

س

ـ ١٠٠ ريـال ■ لبـنـان ٣٠٠ قـرش

يـا ٣٠٠ قـرش ■ الاردن ٣٠٠ فـلـس

ويـت ٣٠٠ فـلـس ■ عمـان ٤٠٠ فلس

حـريـن ٤٠٠ فلـس ■ الامارات ٦ دراهـم

عـوديـة ٦ ريـالات ■ قـطـر ٦ ريـالات

٣٠ مـلـيم ■ لـيـبـيـا ٤٠٠ درهـم

سودان ٣٠٠ مـلـيم ■ الجـزائـر ٤ دنـانير

٤٠ دراهم

ـي دول آسيا وافريقيا وفي اميركا واستراليا

دولارات أو ما يعادلها

طريقة الاشتراك

■ تسـدد قـيمـة الاشـتـراك في بانك ملي شعبه حشايار على رقم الحساب التالي (٩٠٠٢٥) سازمان تبليغات اسلامي ــ مطبوعات خارجي

■ يرجى ارسال الحوالات الى ادارة المجلة

المراسلات على العنوان التالي:

الجمهورية الاسلامية في ايران ــ طهران

ص.ب (٣١٩٥ ــ ١٥٨١٥)

التوحيد

إسلامية – فكرية – جامعة

تصدر كل شهرين مرة

العدد الثاني عشر — **السنة الثانية**

بسمه تعالى

مجلة التوحيد

لامية ـ فكرية ـ جامعة

قسيمة اشتراك

القراء الأعزة :

يرجى تسديد قيمة الاشتراك ليتسنى لنا ارسال

جلة البكم

الاسم :

عنوان :

* تسدد قيمة الاشتراك على رقم الحساب التالي : (٩٠٠٢٥)

سازمان تبليغات اسلامى (مطبوعات خارجى)

بانك ملى ـ شعبه ٥٤٤ حشايار ـ حيابان طالقانى

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران

* يرجى ارسال الحوالات على العنوان التالي :

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران

ص ـ ب (١٥٨١٥ - ٣١٩٥)

* كما يمكن ارسال قيمة الاشتراك مباشرة على العنوان المذكور أعلاه

● يصدرها :
قسم العلاقات الدولية
في منظمـــة الاعلام الاسلامي

محرم، صفر ١٤٠٤ هـ.ق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحوة الإسلامية بين الترشيد والتضليل

مسألة الصحوة الإسلامية ــ اليوم ــ هي الشغل الشاغل للإستكبار العالمي، ولكل العملاء الذين نصبهم قيوداً على حركة هذه الأمة، كيف يجهضها، وكيف يفرغها من محتواها؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى، هي تشكل القضية الرئيسية للوعاة الداعين الى الحق، كيف يرشدونها ويزيدون من حرارتها، ويستثمرون فرصتها لإعادة الإسلام الى واقع الحياة؟

فهي إذن قضية كبرى وهما إذن إتجاهان:

إتجاه الإجهاض والإحتواء، و إتجاه الترشيد والتصعيد، الفكري والعاطفي.

أما إتجاه الترشيد والتصعيد، فتقوده الثورة الإسلامية المباركة و إمامها القائد العظيم، بعد أنْ كان أعظم الأسباب في إيجاد هذه الصحوة. وهذا الإتجاه المبارك يمتد الى القلوب، وخصوصاً الواعية القوية الثابتة منها، لا تتوقف إشعاعه الفكرى والحماسي بحدود أو حدود، بل ويغرس في أعماقها، ويمتد كشجرة طيبة، ويفرع ويثمر، وعياً وحماساً وانشداداً للإسلام، ونقمة على أعدائه، وملاحقة لنظم الكفر، وضغطاً على الحكام العملاء؛ كي يقلعوا عن عمالتهم، أو تطالهم يد الجهاد والقوة الإسلامية المغيرة.

وهذا الإمتداد والتوسع هو مصدر القلق

العظيم الذي طفح على ألسنة المسؤولين الصهاينة والأمريكين والفرنسين، فراحوا يخططون و يخططون، لإقامة الإتجاه المماثل له، إتجاه الإحتواء والتوجه المحرف، وتفريغ الشحنة دون التعرض للخطر، فما هو الأسلوب الذى أعدّوه؟

انهم رأوا المقاومة عقيمة، وان الثورة والعاصفة آتية، فيجب الإلتفاف عليها، من خلال العملاء المزروعين هنا وهناك، أو من خلال المخدوعين، وطيبي القلب الى حد السذاجة!!

فكان الأسلوب هو محاربة الثورة الإسلامية من خلال الأساليب الدينية نفسها، تماماً كأسلوب الإسرائيليات الذى حاول أنْ يضرب الإسلام بأساليبه و بطرقه هو.

وتنوعت تطبيقات هذا الأسلوب:

فمنها: عقد المؤتمرات والندوات الإسلامية المتوالية، على مستوى المسؤولين الرسميين، واستصدار قرارات ضخمة الشعار، لامتصاص التطلع والشوق، وهذا نظير مؤتمرات منظمة المؤتمر الإسلامي.

ومنها: التظاهر بتطبيق الإسلام من جهة، وتقليل الشكل الظاهري للانحراف من جهة أخرى، مع التركيزعلى التضليل الخفي.

ومنها: طرح الأفكار الإستسلامية، وانصاف الحلول، والإستشهاد بالنصوص الإسلامية، مع فصلها عن واقعها وشروطها الصحيحة.

ومنها: ايهام أُولئك الذين لايستسلمون، بالتطرف، والهمجية، والتملكية، والرجعية، ٢
والخروج على طريقة السلف، وعصيان أُولي الأمر، وشق عصا المسلمين، متناسين أن أكثر الحكام اليوم يمثلون معاول تحطم الوحدة الحقيقية، وعقبات كبرى في سبيلها.

والذي يطالع التقرير الوارد ـــ في هذا العدد ـــ عن البادرة الطيبة التي قامت بها الجزائر، لدراسة قضية الصحوة الاسلامية وترشيدها، يجد المحاولات الكثيرة التي حاولت أنْ تغتال الصحوة، وتمنع المؤتمر من أنْ يؤدي واجبه العظيم في ترشيدها، وهو هدفه الرئيس قبل كل شيء.

وكانت أهم الأفكار مكراً، هذه الفكرة التي دعت الى مد الجسور بين الحكام والشباب المسلم الناهض، بل وربما طلبت من العلماء أنْ يكونوا هم الجسور بين هذين المتنازعين اليوم، فلا يدعموا أي طرف من الآخر، ويهدئوا من ثورة هذا وعنف الآخر، لكي تمر الأزمة بسلام!

ولكن ماذا يعني ذلك غير ترسيخ أقدام الحاكمين بعد أنْ تزلزلت الأرض تحتهم، وغير تكريس عمالتهم للأجنبي، وغير إجهاض هذه الصحوة واحتوائها ولكن بالأساليب التي تتصبغ بالصبغة الدينية؟ وماذا تعني غير إرجاع العجلة الى الوراء؟ بعد أنْ توفر الجو المناسب لكي تتقدم الى غدها

الإسلامي المشرق، غد الحكم الإسلامي على كل الأرض الاسلامية، غد تطبيق الإسلام على كل شؤون الحياة، وغد محاربة الطواغيت الكبار، وتحقيق حلم الانبياء.

وعلى أي حال؛ فما أن أُعلن عن مؤتمر الصحوة الإسلامية في الجزائر، حتى رأينا التنظير (الإسلامي) الكاذب يبث هذه الفكرة بين العقول، ويطلب من كل المرتزقين أنْ يتبعوا هذا الخط. وهكذا طلعت علينا مجلة (المجلة) وفيها ما يناسب كل ذوق من (الفنانين والراقصين الى العلماء والمحققين) في عددها ٢٢٩ والمؤرخ ٣٠/ حزيران ـــ ٦ تموز/ ١٩٨٤ الموافق ١ ـــ ٧ / شوال/ ١٤٠٤ هـ (أي قبيل انعقاد المؤتمر تماماً) طلعت لترسم لنا الخط المذكور تماماً، واننا لندعو القراء الكرام ليسيروا مع ما كتبه المنظّر الديني لمجلة (المجلة) عادل صلاحي ليدركوا أبعاد التآمر ـــ الآنف الذكر ـــ إذْ يقول تحت عنوان: حسن النية في علاقة الحكام ودعاة الإسلام:

لابُدَّ من كسر تلك السلسلة النكدة من الفعل ورد الفعل في العلاقة بين الحركة الإسلامية ودعاة الإسلام من جهة، والسلطات الحاكمة من جهة أُخرى، فهي ـــ كما أسلفنا القول ـــ سلسلة لا تجر إلاّ الأحقاد والعداء، بل تزيدها وتواصلها، وهذا أمر يعود بالضرر على الطرفين في هذه العلاقة، ويعود بالضرر الكبير على الأمة كلها، ولا يفيد إلاّ أعداء الأمة. **(أما التسليم والحل الوسط فهو في صالح الأمة وليس الوضع على ما هو عليه)**[1]

ولكن كيف يتم الخروج من هذه السلسلة، وحلقاتها المتتابعة النكدة. ؟ ... أوجدت ما أوجدته من مشاعر تبدأ عند التهمة ولا تنتهي عند التوجس والخوف ... يساور كلاً من الطرفين؟ **(وإنما تسير الى ح... الثورة ضد الظالمين)**.

إذا عرف كل من الجانبين ما يريد الجانب الآخر، ويعتبره حقاً مشروعاً له واستطاع أنْ يقنع نفسه بأنه يستطيع التعايش مع هذا الحق، أمكن أنْ ننتقل الى الخطوة التالية، وهي بذل محاولة جادة لإحلال حسن النية، في نفس كل من الطرفين تجاه الطرف الآخر، محل التوجس والخوف وعدم الثقة، بل ومحل التمسك بالإساءة والأذى، ثم تمهيد ذلك، أي لابد من نقض مايحدث في بعض البلاد العربية منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

ترى ما الذي تريده أية حكومة من أية مجموعة من المواطنين في بلادها، لا تشاركها الرأي، ولا تقتنع بأسلوبها في الحكم؟ ذهبنا نسأل لأتانا الجواب أنَّ الحاكم يريد أن يطمئن أولاً الى أنه غير مستهدف ... شخصه أو نظامه من قبل تلك المجموعة، ويريد بعد ذلك أنْ يلتفت الى تنفيذ برنامجه دو...

---

[1] ما يذكر بين قوسين يمثل تعليقات سريعة من التحرير

معوقات غير مشروعة (وهكذا تتلخص المسألة في طلب بسط اليد وتطبيق البرامج لاغير...، وليست هناك أية أهداف استعمارية والحمد لله!!).

أما الذي تريده الحركة الإسلامية ودعاتها فهو ــ على مايردده رجالها وقادتها ــ أنْ تبلغ دعوتها للناس في حرية، ليكون أمامهم الخيار مفتوحاً بكل حرية، وإما أنْ يقبلوا دعوة الإسلام أو يرفضوها، وان يكون دعاة الإسلام أحراراً في مخاطبة الناس ليبينوا لهم خير الإسلام ومزاياه، دون أنْ يخافوا عسفاً واضطهاداً من جانب السلطة، بل يجدوا الأمن والطمأنينة على أنفسهم وأُسرهم وهم يقومون بمهمتهم هذه **(فالهدف هو حرية الدعوة لاغير، أما العمل على تطبيق الإسلام ونفي الظلم فهو غير مطروح).**

ومعنى هذا أن المطالب الأساسية لكل من الطرفين هي الأمن وحرية العمل، كل في مجاله وليست هذه المطالب بالتي يصعب الاتفاق عليها، أو تمييزها، إذا ما توفر حسن النية لدى الجانبين، وتوفره ليس بالمطلب العسير، لقد كانت الدول والأقوام تتخاصم و تتحارب، وتستمر الحرب بينها سنين طويلة، ثم تصطلح فتحسن علاقاتها، وتحل الصداقة محل العداوة القديمة، ويكفي أنْ ننظر الى وضع المانيا مع فرنسا و بريطانيا اليوم، فاما على صعيد الأفراد فالمسألة تنطق بشكل أوضح، والمثل يقول: لا تأتي الصداقة إلاّ بعد عداوة، والمقصود ان الصداقة الحميمة هي التي تأتي بعد العداوة **(والمطلوب هو الصداقة الحميمة مثلاً بين بيرك كارمل والمجاهدين، وشاه ايران والثورة الإسلامية).**

فاما الأمن فالمفروض انه متحقق أصلاً. فواجب الحكومة أنْ تكفل الأمن للمواطنين. ودعاة الإسلام فئة من المواطنين اختارت دين الله منهاجاً ودستوراً وأحبت أنْ تدعو الناس الى الخير الذي يشتمل عليه هذا الدستور، وليس في اختيارها ما يخرج بها عن دائرة من يجب على الحكومة أنْ تكفل لهم الأمن. ومع توفر حسن النية المتبادل لايبقى سبب يمكن أنْ يساق في تبرير حرمان دعاة الإسلام من الأمن.

واما أمن الحاكم على نفسه ونظامه من دعاة الإسلام، فقد أوضحنا في «كلمة حق» من قبل أن الإغتيال السياسي ليس من الأساليب التي تنتهجها الحركة الإسلامية، كما أن فكرة الإنقلاب غريبة على حسها، (هكذا يكشف هذا عن نفسه جيداً) إذن هنالك أمن مبدئي للحاكم ونظامه، بالرغم من حوادث الإغتيال التي وقعت فعلاً، فتلك كانت ــ كما بيّنا ــ عمليات فردية استهدفت رد اعتداء على الإسلام نفسه، سواء كان صحيحاً ان هذا الإعتداء وقع، أو كان ذلك من أوهام القائمين بتلك العمليات، وعلى أي حال، فإنّ العمليات الفردية لايحسب لها حساب في هذه المبادئ العامة.

ولا يمكن أنْ يؤخذ قطاع من المواطنين

بجريرة أفراد، لمجرد الإشتراك في الفكرة العامة والمبدأ، ثم ان احساس كل من الطرفين بأنّ الآخر يبادله حسن النية أكبر ضمان لعدم تكرارها.

وحرية العمل كذلك يفترض أنْ تكون متحققة، فنحن نفترض في أية حكومة تقوم في بلد إسلامي أنْ لا تعادي الإسلام، وأنْ لا تسعى الى إخماد صوته، وطالما ان الحركة الإسلامية تحمل هدفها تبليغ دعوة الإسلام فان المفروض ـ نظرياً ـ أنْ لا تحول الدولة بينها وبين هدفها هذا (نعم، إذا كان هدف الحركة الإسلامية هو الوعظ فقط فما الضرر منه؟).

واما حرية الحاكم في العمل، فإنّ الأصل ان للحاكم على الأمة حق النصح، فالدين كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هو «النصيحة» وعندما سئل لمن، أجاب صلى الله عليه وسلم بقوله: «لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (وهكذا يعود هؤلاء العملاء أئمة للمسلمين) فالحاكم ـ كل حاكم ـ يحتاج الى النصح الأمين ليتجنب المزالق والكوارث التي تعود بضررها على الأمة، والمفروض أن النصح للحاكم حق الأمة وواجبها، فإذا وجد دعاة الإسلام من الحاكم انه يستمع الى نصح الأمة، وهم ـ كقطاع من الأمة ـ يستطيعون تقديم النصح له، فما يطالبونه بعدها بشيء، قبل نصحهم أو رفضه (فالنصيحة هي أقصى هدف).

هنا قد يقول قائل: وهل نسيت ان دعاة الإسلام يحملون هدفهم تطبيق شريعته، وهو أمر قد لا يرضاه الحاكم، أو لا يحدث هذا تناقضاً بين الطرفين يجلب العداء والخصومة؟ هذا السؤال كبير الأهمية، نتناوله بالحديث إنْ شاء الله في العدد القادم.

أما هذا السؤال: فالجواب الذي يتحماه «هذا المنظّر» بعد هذا المقال في الأعداد التالية يتلخص في السعي لاقناع الحكام بضرورة التعبير، وانه أنفع لهم، والطلب اليهم كي يسيروا على طريق (السعودية) التي سلمت من أي تناقض بين حكامها وشعبها راجع العدد (٢٣٢).

وإذا تمّ ذلك فقد تجاوزنا المرحلة الصعبة بكل نجاح.

والواقع انا لا ندري أيها أشد خطراً على الصحوة الإسلامية، هل المساومة الصعبة مع حكامهم هؤلاء، أم اتجاه حكامهم نحو تحقيق المثل الأعلى المضروب، حيث تتحول الأرض الإسلامية الى بقرة حلوب ذلول للإستكبار وعملائه المفضوحين؟!

اما الذي نعلمه ـ جيداً ـ فهو أن كل هذه الأساليب الممجوجة من أمتنا الإسلامية وكل هذا التخدير (الإسلامي) قد انتهى مفعوله أمام وعي جماهيرنا الإسلامية لطريقها ولأهدافها وللعقبات المزروعة في هذا الطريق.

وان صبح الإسلام سيتنفس بعد ليل العفوة البهيم. والله الموفق ●

تفسير القرآن الكريم

إحساساً بضرورة وجود تفسير للقرآن الكريم، يحمل عناصر الايجاز والعمق والوضوح، بالاضافة الى طرح البعد الاجتماعي للمفاهيم القرآنية، فقد قام كل من الشيخ محمد علي التسخيري والشيخ محمد سعيد النعماني بهذه المهمة التي نسأل الله تعالى التوفيق لاكمالها.

وينبغي للقراء الأعزة ان يلاحظوا انه روعيت في هذا التفسير العناصر التالية:

١ ـ الايجاز الى الحد الممكن مما يجعل كل صفحة من القرآن الكريم تقابلها صفحتان من التفسير تقريباً.

٢ ـ طرح الأبعاد المختلفة للمدلول القرآني ومنها البعد الاجتماعي الاصيل.

٣ ـ طرح التفسير وفق مختلف الآراء مهما امكن مع التركيز على المروي عن اهل البيت (ع).

القسم الثاني عشر

من الآية ١١٨ الى الآية ١٥٨ من سورة آل عمران

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا...: تحذّر هذه الآيات المؤمنين — أينما كانوا وفي أي عصر وجدوا — أن يتخذوا من أعدائهم الكافرين وغيرهم بطانةً (مستشارين وموضع ثقة) لأنّ هؤلاء يخالفونهم في العقيدة والهدف ويعملون على اقتناص الفرص لضربهم والقضاء عليهم، فهم لا يألون (يقصّرون) في إلحاق الخبال (الشر وعدم الاتزان) بالمسلمين، وتراهم يتمنون أنْ يقع المسلمون في العنت (التعب) نتيجة الأزمات والتفسخ والهزائم، وإذا كانت أفواههم لا تلوح منها إلّا بعض أمارات البغضاء والحقد فإنّ قلوبهم تحمل حقداً أكبر وأخص — رغم كل وسائل الإخفاء — فيبدو بعضه على ألسنتهم. ولكن بعض المسلمين انطلت عليهم حيل الأعداء، ودفعتهم بعض العواطف اللاواعية فيحبونهم حباً ومودة لا يبادلهم أعداؤهم مثلها

وقد دعاهم القرآن الى أن يلتفتوا الى الفارق العقائدي الكبير المتجلّي في إيمان المسلمين بالكتب المنزلة من الله كلّها والإلتزام بمقتضياتها ورفض الأعداء لذلك وعدم إيمانهم بكامل الشريعة والكتب الإلهية. كما يكشف القرآن عن نفاق هؤلاء ... يعضون الأنامل عند لقائهم بالمسلمين وإذا خلوا إلى أنفسهم أكلهم الحقد وعضوا أناملهم (أطراف أصابعهم) من الغيظ على المسلمين الذين نصرهم الله على أعدائهم وفتح لهم سبل الخير والكمال، وهذا الحقد لا بدّ وأنْ يدفعهم للكيد والتآمر، إلّا أن الله تعالى يسخر من كيدهم ويدعهم يتعذبون بهذا الحقد المميت الذي لن يخفى على الله العليم بمكنونات الصدور

ومن شأن هؤلاء أن يغمرهم الحقد والحزن والأسى فيما إذا فتح الله على المسلمين خيراً أو منحهم نصراً وحسنة، في حين يستولي عليهم الفرح والسرور عندما تنزل بالمسلمين نازلة ومصيبة

وهكذا يكشف القرآن بوضوح نفسية أعداء الدعوة الإسلامية وحقدهم وتآمرهم الدائم عليها، ليحذرهم المسلمون فلا يعقدوا معهم أية روابط يمكن أن تشكّل ثغرات ينفذون من خلالها الى جسم الأمّة، ومن هنا يدعوهم القرآن الى التسلح بالصبر والطاعة الكاملة لمنهج الله والإعتماد على قوته التي تدع القوى الأخرى هباء وتكشف كل خططها، لأنّ الله محيط وعالم بها كل العلم والإحاطة

والتأريخ الإسلامي يكشف عن الدور التآمري الكبير الذي لعبه المستشارون اليهود وغيرهم ممن قرّبتهم الأجهزة الحاكمة مما جرّ على المسلمين الويلات والضياع، وإن وجود الجيش الهائل من المستشارين الأجانب في شتى المجالات في الأقطار الاسلامية اليوم لدليل حي على ابتعادنا عن إرشادات القرآن وتحذيراته

وإذ غدوتَ...: وكمصداق لما تقدم من تآمر أعداء الإسلام ونفاقهم، تذكر الآية بواقعة (أُحد) المهمة، حيث خرج الرسول (ص) غدوة — الصبح الباكر — من أهله في المدينة ليبوّء (يهيىء) المؤمنين أماكن القتال ويوزعهم عليها، وانطلقت إشاعات الأعداء التي عملت عملها ووضعت مفعولها، وحيث همّت (عزمت) طائفتان من المسلمين أنْ تفشلا وتتراجعا نتيجة التهويلات والحرب النفسية، ... ولكنّ الله هو الذي يجب أن يتكل عليه المؤمنون في مسيرتهم الجهادية الظافرة، هذا وان عنصر التوكل يقوّي أمل الإنسان بالانتصار، فلقد نصر الله المسلمين في بدر رغم ذلتهم — أي قلّتهم وضعفهم — فليتسلحوا بتقوى الله التي تدفعهم الى شكره تعالى بتحقيق منصب الخلافة في الأرض

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم
خبالاً ودّوا ما عنتّم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي
صدورهم أكبر قد بيّنّا لكم الآيات إن كنتم تعقلون (118)
ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كلّه
وإذا لقوكم قالوا آمنّا وإذا خلوا عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ
قل موتوا بغيظكم إنّ الله عليم بذات الصدور (119)
إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها
وإن تصبروا وتتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئاً إنّ الله بما يعملون
محيط (120) وإذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد
للقتال والله سميع عليم (121) إذ همّت طائفتان منكم
أن تفشلا والله وليّهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون (122) ولقد
نصركم الله ببدر وأنتم أذلّة فاتقوا الله لعلكم تشكرون
(123) إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدّكم ربكم بثلاثة

إذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ...: وعد النبي (ص) المؤمنين ــ وهم قلة ــ في بدر بنصر إلهي حسّي يتمثل في ثلاثة آلاف من الملائكة منزلين لمشاركتهم في معركتهم المصيرية. وإذا صبر المسلمون، وثبتوا في الميدان، وأطاعوا أوامر الرسول (ص) بمقتضى التقوى فإنّ الله يضمن لهم ــ إذا أتاهم العدو من فورهم (أي بغتة) وفاجأهم ــ أن يمدّهم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين ــ أي لهم علامات مميّزة أو يسومون الأعداء الهوان ــ وعلى المسلمين أن يعوا هذا في كل معاركهم، إذْ الإرادة الواعية لهدفها والمعبّر عنها بالصبر والتقوى هي الشرط الرئيس لطلب المدد الإلهي وتحقيق الإنتصار.

وَمَا جَعَلَهُ اللهُ...: كان المدد الإلهي للمسلمين بالملائكة بُشرى سماوية تثبّت قلوبهم وتطمئنها، وليعلموا أنّ الأُمور كلّها بيده تعالى ولا حول ولا قوة إلا به، وهو يوجد التوازن النفسي المطلوب بين ثقة المسلم بنفسه وعمله وإيكاله الأمر له ــ تعالى ــ

لِيَقْطَعَ طَرَفاً...: إنّ الأُمور كلها بيد الله لا بغيره، لأنه المالك الحقيقي لما في السماوات وما في الأرض، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وفقاً للحق والحكمة. ومن هنا فله تعالى أنْ يقطع طرفاً من الذين كفروا ــ أي يضعفهم ويشلّ حركتهم ــ أو يكبتهم ويذلّهم بالهزيمة والرجوع بالخيبة، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم بظلمهم وضلالهم. وهكذا يعيش الإنسان بين خوف من عذاب الله ورجاء لتوبته ومغفرته. ثم انّ الأُمور لمّا كانت بيد الله فلا معنى لتحميل النبي (ص) أي عاقبة أو مسؤولية ليست له يد فيها.

يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا...: وفقاً لأساليب القرآن في علاج الأدواء الاجتماعية المختلفة، وللتنوع في العرض نجده ينتقل من الحديث عن الضعف في ميادين القتال الى الضعف في البناء الداخلي والمتمثل في (الربا) لينهى عن أكله أضعافاً مضاعفةً، ولعله بهذا يحرّم نوعاً من الربا الجاهلي الفاحش متدرجاً في تحريم الربا، أو أنه يشير الى طبيعة النظام الربوي المؤدية الى تراكم الديون، خصوصاً على المستهلكين للمال المقترض. هذا وان للربا آثاره الإقتصادية والنفسية الأخلاقية المدمّرة للمجتمع، وهو يجعل المُرابي يتربص فرص احتياج المجتمع لرفع السعر، كما يؤدي الى حرف مقدار كثير من المال المقوّم لحياة المجتمع إشباعاً للجشع والطمع. وكعادة القرآن يؤطّر حكمه هذا بأطار التقوى الإلهية ليتحقق العلاج الاجتماعي بعد الإلتزام الكامل به حذراً من النار التي أُعدت لكل من سوّلت له نفسه مخالفة أحكام الله والكفر بها.

وَأَطِيعُوا اللّهَ والرَّسُولَ...: لن تصيب الرحمة الإلهية مجتمعاً إلاّ إذا توفر على أرضية صالحة هي طاعة الله والرسول المبلّغ عنه، والتي هي أمر طبيعي يأمر به العقل قبل كل شيء.

وَسَارِعُوا إلى...: دعوة للتنافس في الخير وجعله سمة اجتماعية عامة، تمحو الأنانيات وتشيع الصلاح، وبإضافة المسارعة للمغفرة تشير الآية لسرعة تحقق نتيجة العمل الخيّر حيث ينعم الإنسان بجنة هي أقصى ما تكون من السعة المعبّر عنها بـ «عرضها السماوات والأرض». وقد أُعدت لمن سلكوا سبيل التقوى ومراقبة الله. والقرآن بهذا يمهد لذكر بعض صفات المتقين لإصلاح ما أصاب المجتمع المسلم من انهيار نفسي بعد غزوة أُحد وإعداده للمعارك المقبلة

الآفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم
مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ
مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم
بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ
طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ
مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ
مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا
الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾
وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ

الّذينَ يُنفِقُونَ...: بعد التمهيد السابق يعرض القرآن لبعض أهم صفات المتقين الأخلاقية وهي **الإنفاق** حال العسر واليسر، إذ يُعبّر عن وثوق بالله ـ تعالى ـ وقيام بالواجب الإنساني **وكظم الغيظ**، وهو كبح الغضب المانع الذي يحفظ للإنسان تعقله، ويمنعه من الإنتقام وتقطيع العلائق **والعفو عن الناس**، وهي المرحلة الأخلاقية الأسمى التي لو راعاها المجتمع في مواردها الصحيحة لسادته العواطف الواعية، وأخيراً: يدعو القرآن **للإحسان** بكل معانيه وموارده وجعله إطاراً عاماً للسلوك، مما يجعل المجتمع المسلم مجتمع المحسنين الذي يحبه الله ويغمره برحمته

والّذينَ إذا فَعَلُوا...: الأصل في المتقين الإحسان، اما أنْ يسيئوا بفعل الفاحشة ـ وهي الفعل القبيح ـ كالربا مثلاً ـ أو يسيئوا بظلم أنفسهم ومنعها ما تستحقه من سير تكاملي، فهذه حالة طارئة في حياتهم قد يبتلون بها لضعفهم، ولكن سرعان ما يعودون الى الله ـ تعالى ـ فيذكرون عظمته وآلاءه ووعده بالخير ووعيده بالعذاب، ويستغفرونه ـ ولا غافر سواه ـ ومن ثمّ يرفضون البقاء على حالة الذنب، وانما يتحولون الى عالم الإحسان بوعي واخلاص وعزم أكبر لينالوا أجر العاملين، وهو النعيم الخالد في الآخرة بجنّات تجري من تحتها الأنهار

قَدْ خَلَتْ: يعترف الإسلام بالقوانين التاريخية العامة المتحكمة في المسيرة الإنسانية بمقتضى إرادة الله وحكمته، ودون أن تفقد الإنسان إرادته بل تترك له الخيار في أن يكون موضوعاً لقانون الإنحطاط أو سُنّة الكمال. وهذه القوانين التكوينية هي لصالح المسيرة الإنسانية الصحيحة أصلاً في نظر الإسلام؛ فالعاقبة للمتقين، والنصر للمؤمنين، والفناء الحضاري للمكذبين. وهكذا نجد القرآن يدفع المسلم لتخطي محيطه الخاص والسير في آفاق الأرض، ودراسة المجتمعات وأسباب انحطاطها ورقيها ليكون أقرب الى الواقع، ويتجنب السبيل الأصلح لا ليبني متاحف أثرية جامدة يفتخر بها، ويعود الى حالة من الوثنية التاريخية ـ كما نجده عند بعض المسلمين اليوم ـ والواقع ان على الإنسان أن يشخّص هدفه، ثم يكون موضوعياً يتقبل الهدى الإلهي ليحيله الى عملٍ صالح، ولا تتحقق الموضوعية إلاّ بالتقوى.

وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا...: سُنّة إلهية تؤكد على أنّ المؤمن الملتزم هو الأعلى حتى في هذه الحياة، وان لا معنى للضعف والهوان والحزن وفقدان الإرادة بعد معرفة سبب الهزيمة الحقيقي وهو فقدان روح الإيمان والإلتزام بمقتضياته. وبهذا ترفع الآية معنويات المسلمين المنهارة بعد معركة «أحد» وتذكرهم بأنّ القرح (الجرح) الذي أصابهم أصاب عدوهم أيضاً، فلا معنى للضعف بعد وعد الله بالنصر

وَتِلْكَ الأيّامُ نُداولُها...: إنّ الأيام نداولها (ينقلها) الله بين الأمم تبعاً لأعمالها واختيارها. وليس هناك نصر وهزيمة أبديان وسُنّة المداولة قائمة على أسس مصالح عامة لها دخلها في تحقيق التفاعل الحضاري البشري ودفع الإنسانية للتكامل. كما أنّ من نتائجها هذا التمحيص الرائع للمؤمنين وانتهاء الأمر الى خلق نماذج إنسانية سامية تشكّل أمة الشهادة (القدوة) على الأمة والبشرية. بعد هذا التداول تراه في ظهور مؤمنين ممحّصين معلوم جوهرهم، فيعلم الله الذين آمنوا ويطهرهم ويمحق ويفني الكافرين

أمْ حَسِبْتُمْ...: إنّ الإنتماء لمعسكر الإيمان قولاً وسِمة مجردة لا يكفي لحصول النصر ودخول الجنة، وقد جرت سُنّة الله في الإمتحان بالبلاء والمصاعب ليبدو الفروق الحقيقية بين المؤمنين، فيمتاز واقعاً المؤمن المجاهد الصابر عن الآخر المتخاذل غير الثابت على الحق

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَٰئِكَ
جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ
فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137)
هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (138) وَلَا تَهِنُوا
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139) إِنْ يَمْسَسْكُمْ
قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141)
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا
مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ

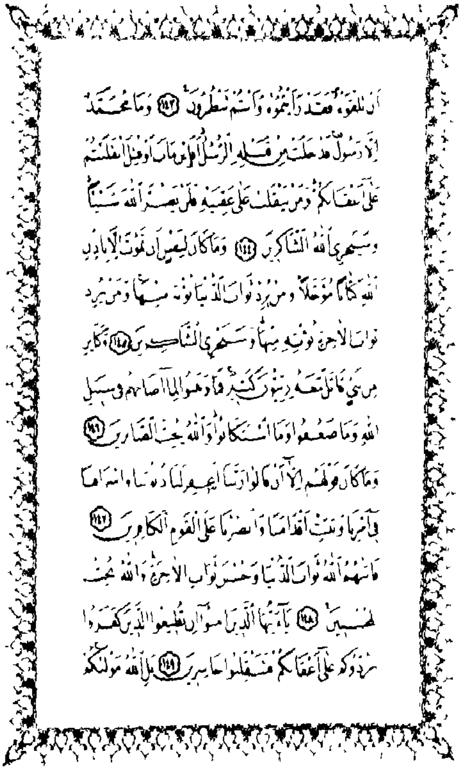
وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ...: تذكير للمسلمين بتمنيهم السابق للموت في سبيل الله، واستنكار لعدم صدق ذلك التمني بالهزيمة في أحد، والفشل في الإمتحان وعند الرؤية الحسية للموت، حيث حمي الوطيس.

وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ...: خلال علاج القرآن لنقاط ضعف المسلمين، يتعرض الى النظرة الخاطئة لنوعية الإرتباط بالنبي (ص) والتي جعلتهم يعلقون نتائج سعيهم وأعمالهم على حياته (ص)، وما أن شاع قتله (ص) حتى راحوا يفرّون بأنفسهم روى ابن هشام: ان أنس بن النضر انتهى الى مجموعة من المسلمين آنذاك وقد ألقوا بأيديهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا قتل رسول الله، قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل. وقد صححت الآية هذا التصور وأعلنت ان المسلمين يجب أن يجعلوا الإسلام على مدى العصور للعالم كهدف سام يعمل المسلمون على تحقيقه حتى بعد وفاة الرسول (ص) إذْ ما هو إلاّ رسولٌ أدى رسالته كما أدى الرسل من قبله رسالاتهم، فلتحمل الأمّة رسالته (ص) وتواصل السير ثبات. وأي تراجع وتقهقر الى الجاهلية لا يعني إلاّ الشقاء، وتضييع النعم والهدى، ولن يضر الله شيئاً، وسيجزي تعالى الشاكرين الثابتين على الحق والصامدين في معارك الجهاد الجزاء الأوفى.

وما كانَ لِنَفْسٍ أنْ تَمُوتَ...: إنّ عملية الموت تتم وفق آجال مكتوبة ونظام متقن قائم على حكمة إلهية، اما الجهاد أو الفرار فلا يؤثران في ذلك، وعليه فلا ينبغي أن يكون الموت مخيفاً للمؤمن ومانعاً له عن حمل مسؤولياته الكبرى، خصوصاً بملاحظة أهدافه التي تتجاوز الدنيا الى عالم الخلود. اما ذوو الأهداف الدنيوية الرخيصة كمن قاتلوا ـــ أو خالفوا أوامر النبي (ص) ـــ للحصول على الغنائم، فقد يحصلون على شيء منها لا قيمة له في حساب الله، والفائزون حقاً هم الشاكرون الصابرون.

وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ...: وما أكثر الطلائع المجاهدة في التاريخ، والتي قاتلت تحت ألوية أنبيائها مجسّدة بذلك ربيّتها (أي انتسابها الكامل للرب) بلا ضعف ودون أي استكانة (تضرع) للظالمين الطواغيت، بل تدرّعت بالصبر واحتسبت ما أصابها في سبيل الله، فعادت موضع حبه الذي يعني الرحمة الفائضة، ولم تهزّها الزلازل فتستسلم وتيأس وتفشل، بل أعلنت شعار اللجوء الى الله في كل شيء؛ وطلبت غفران النقص والزلل والإسراف والضعف الذي يصيبها أحياناً، وذلك لتجعل كل حياتها لله، وتثبت على الصراط المستقيم، وتنتصر على عدوّها الكافر. وهكذا لم تنس تربية نفسها واللجوء الى الله في كل المواقف الحرجة وآتاها الله النصر الدنيوي، والعزة والجزاء الأخروي الجزيل لقاء إحسانها. فليعتبر المسلمون و يواصلوا ـــ بنفس الروح ـــ حمل مشعل «الربانية»

يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ...: دعوة قرآنية لقطع روابط الطاعة والإستماع لنصائح الكافرين والإعتماد على خططهم، بعد وضوح أهدافهم الماكرة في العمل على إرجاع المسلمين الى جاهليتهم السابقة. وهل هناك أسوأ من هذه العاقبة والخسران الواضح والحرمان من هدى السماء؟ أما روابط الولاء الحقيقي فهي التي تشد العباد بالله مولاهم الحق، خالق الكون، والمنعم عليه، والماسك بيده أسباب النصر، فهو خير الناصرين، ولن تزيد الكفار ووعودهم إلاّ السراب الموهوم.


أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴿١٤٣﴾ وما محمد
إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أو قتل انقلبتم
على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا
وسيجزي الله الشاكرين ﴿١٤٤﴾ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن
الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد
ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين ﴿١٤٥﴾ وكأين
من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل
الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ﴿١٤٦﴾
وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا
في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴿١٤٧﴾
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب
المحسنين ﴿١٤٨﴾ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا
يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴿١٤٩﴾ بل الله مولاكم

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ...: إذا صدق المؤمنون في طاعتهم، منحهم الله الثقة بأنفسهم –مهما قلّوا– وألقى الرعب والهلع في قلوب أعدائهم الكافرين –مهما كثروا– لأنّ هؤلاء بكفرهم إنما يستندون الى خيال ووهم يتصورونه شريكاً لله تعالى دون أي سلطان (دليل و برهان) فإذا رجعوا لأنفسهم انكشف لهم وهمهم وغمرهم الرعب من الله الذي سيجزيهم النار التي أعدّها لهم نتيجة ظلمهم لوجدانهم وعقولهم.

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ...: كان الوعد الإلهي بالنصر وعداً حقيقياً رأى المسلمون صدقه عند ثباتهم وطاعتهم فراحوا يهزمون المشركين ويحسونهم (يستأصلونهم) بإذن الله و نصرته لهم، ولكن المسلمين فقدوا شرط النصر والعون الإلهي وهو الصبر والتقوى، وابتلوا بالفشل والتنازع في أمورهم وعصى بعضهم أوامر النبي (ص) واجتهدوا في مقابل نصه (ص) بالبقاء على الجبل مهما كانت نتيجة الحرب، فتركوا مواقعهم ليحصلوا على جزء من الغنائم الدنيوية في حين صمد آخرون مؤثرين الشهادة وابتغاء الآخرة، وكانت النتيجة أن صرف الله المسلمين عن إلحاق الهزيمة بالكافرين، بل دارت الدائرة عليهم فمروا بتجربة مرة وامتحان صعب فيعودوا الى ذواتهم و يكتشفوا مكامن الضعف فيها فيقوموها استعداداً لميادين الجهاد المقبلة وليحصلوا على رضا الله وعفوه عنهم و ينعموا بفضله العميم

إِذْ تُصْعِدُونَ...: و يستمر القرآن في استعراض صور الهزيمة في «أُحد» فيذكّر المسلمين حالتهم حين أصعدوا (ابتعدوا وأمعنوا في الفرار وهو غير الصعود الذي يعني الإرتقاء الى المكان العالي) دون أن يلووا (يلتفتوا) على أحد من المسلمين حتى أنهم خلّفوا رسولهم الذي كان يدعوهم من ورائهم للعودة والقتال الى جانب من ثبت معه من القلة المؤمنة الشاكرة.

وقد أثابهم الله بنعمة الندم ليعدوا أنفسهم فلا يحزنوا على النصر الفائت والهزيمة النكراء التي أصابتهم، وربما قيل إنّ الله ابتلاهم بغم الهزيمة جزاء على غم التنازع فيما بينهم، فيجب أنْ لا يحزنوا على ما فاتهم من النصر، لأنه نتيجة طبيعية لما عملته أيديهم، أو انّ الله عاقبهم بغم الهزيمة، جزاء الغم الذي تركوه في نفس النبي (ص).

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ...: شمل الله طائفة من المؤمنين بفضله، فألقى عليهم أمناً يتمثل بالنعاس مما أذهب الكثير من تعبهم وطمأن قلوبهم، فردّوا الكرّة على العدو، في حين بقيت طائفة أخرى نهباً للحيرة والخوف إذ لم تتجاوز همومها الضيقة الى الهموم الرسالية الكبرى، وراحت تتساءل عن امكان النصر وهل لهم فيه نصيب وذلك بالرغم من وعود القرآن بالنصر، وكان هذا سؤالاً جاهلاً ردّه القرآن بأنّ أمر النصر كله بيد الله يؤتيه وفقاً لحكمته وشروطه ولاينفع المؤمنين مجرد الانتساب المعطى لله تعالى، وهكذا تخفي هذه الطائفة في نفسها ما لا تبدي وتظهر، وإنما تتساءل أيضاً عن النصر، وعن صحة خطط النبي (ص) وصدق وعوده، وإلّا فلماذا قتل رجالها في المعركة، وهذا انكار منهم حقيقة النصر الإلهي للمؤمنين الصادقين وهي حالة جاهلية جاء القرآن أن يدفعها ببيان ان أمر النصر كله بيد الله وفق حكمه وشروطه، وان هنالك نظاماً للآجال والموت لا يتعداه أي إنسان، وانه هو الذي يتحكم في الناس فحتى لو احترزوا البقاء في بيوتهم لخرج من كتب عليهم القتل الى حيث يستشهدون وأخيراً لأنّه من الامتحان الذي يتميز فيه الثابت من المهزوم ولكي يكون لهم درساً جهادياً وتربوياً، وإنْ بدا قاسياً مرّاً

وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ
بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ
حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ
مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ
صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ
فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ
وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً
نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ
بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ
إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ

إنَّ الَّذينَ تَوَلَّوْا...: يبيّن القرآن المهزومين في أحد بأنهم كانوا قد مهّدوا للهزيمة ببعض ما عملوه من أعمال غير خالصة لوجهه تعالى، مما يوفر جواً قابلاً لتأثير إغراءات الشيطان ودعواته للزلل والتخاذل عن حمل الرسالة، إلا أنّ الآية تعلن العفو الإلهي العام عنهم ليستأنفوا حياة جديدة، تعتمد على تربية النفس وتدارك الأخطاء والإعتبار بالماضي. وملاحظة مدى حلم الله ـ تعالى ـ وغفرانه ليتم الشكر الحياتي المطلوب

يا أيُّها الَّذينَ آمنوا...: علاجاً لحالة الإنهيار والتصورات الباطلة التي تستتبعها وحالة الهياج المتعمة على الرسول (ص) وانه كان السبب في أن يفقدوا رجالهم، تنهى الآية عن التخيلات الجاهلية التي يتخيلها الكافرون الذين لا يعتقدون بالحكمة الإلهية والإخلاص النبوي والحياة الخالدة، ولذا نجدهم يقولون عن الغزّى (الغزاة في المعارك) والضاربين في الأرض (المسافرين) أنهم لو كانوا أقاموا في مدنهم لم يموتوا!! ولذا والحسرة تأكل قلوبهم على خروج المتوفين، أما المؤمن المعتقد بأنّ أمر الحياة والموت بيد الله. وانه خبير بما يعمل الناس فلا ينبغي له أنْ يتخيل هذه التخيلات أو يُصاب بتلك الحسرة.

وقد قيل إنَّ الآية تنهى عن التشبه بالكافرين في هذا التصور لإبقاء المؤمنين على قوّتهم الأمر الذي يبعث الحسرة في قلوب أعدائهم و يوهن قواهم

وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ في سَبيلِ...: بعد تذكير المسلمين بأنَّ أمر الإحياء والإماتة بيده تعالى، يعلن لهم أن الموت هنا ربح لا خسارة. أليس هو في سبيل الله العظيم وتكامل الإنسانية؟ أليست المغفرة والرحمة الإلهية خيراً من ما يجمعه الناس من حطام الدنيا؟ ثم أليس الموت أو القتل بدءاً لمرحلة جديدة من الرجوع الى الله الكامل، حيث يرفع الله الشهداء لمقاماتهم السامية ويجزي الغاكمين على الدنيا عذاباً و بيلاً

فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ...: وخلافاً للتصورات الباطلة فان النبي (ص) هو المفضل على المسلمين، وأخلاقه السامية هي مركز وحدتهم وسبب اشتدادهم، ولو كان فظاً قاسي القلب يواجههم نجاه فرارهم من المعركة لانفضوا وتفرقوا عنه، ولكنه ـ برحمة الله ـ لان لهم، وها هو يُؤمر بالعفو عنهم والإستغفار لهم [illegible] المشورة فالذي يقرر الرأي الحاسم هو (ص) وعليه أن يمضي في تنفيذه متوكلاً على الله تعالى.

و يلاحظ هنا أن الشورى هي غير الديمقراطية الغربية، إذ هي تشاور يقوم به ولي الأمر الذي يملك الولاية من الله طبق شروط معينة، وذلك في مجال الإدارة العامة وملء مناطق الفراغ التي تركتها الشريعة له، فلوفق مشاورة الأخصائيين

كما يلاحظ أن لولي الأمر الرأي الحاسم دون إلزام باتباع الأكثرية أو الإجماع من قبل المتشاورين، وانما يتبع الرأي الأصوب في نظره و يتوكل على الله في تنفيذه

وهكذا يدعو الإسلام ولي الأمر للإستماع الى رأي الأخصائيين أو كل من له رأي كشفاً للواقع وتطييباً للقلوب، وتحميلاً أكبر للمسؤولية

ويلاحظ أيضاً كيف يشكل التوكل عاملاً إيجابياً مشجعاً للمؤمن الذي يعمل دائماً ببصيرة نافذة، و يبذل الجهد ملتمساً مدد الله وعطائه المتواصل. فهو الناصر الحقيقي للناس ولا ناصر إن سلبهم مدده وعطاءه وبهذه الروح المستمدة من الله والوا[illegible] للهدف ينطلق المتوكلون لبناء الحياة الإنسانية الكريمة [illegible]

لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا
فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾
إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ
بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ
﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا
لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا
مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ
يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾
وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ
لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ

سلسلة من محاضرات ألقاها الشهيد مرتضى مطهري

ـ المحاضرة الرابعة ـ

التأثير الإجتماعي للتوحيد

القرآن الكريم له أسلوب خاص في ذكر حقائق [illegible] للناس والتعمق في الهدف من هذه الأمثال والتشبيهات. فأحيانا يذكرها لأنه يدعو الناس لتدبرها، مؤكدا على أن التدبر في ذلك انما يزيد من معلوماتهم.

لقد تطرقنا في المحاضرات الثلاث الماضية في موضوع «الله في حياة الإنسان» مستندين في حوثنا على آية واحدة ألا وهي

«ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً...».

(الزمر: ٢٩)

وسنتناول في هذا القسم من البحث آية أخرى من سورة ابراهيم نطرح نفس الموضوع بهيئة مثل، ونبحث في رأي القرآن الكريم الذي يتضمن ملاحظة دقيقة ومهمة للغاية، نستطيع من خلالها الوصول الى فلسفة إجتماعية عظيمة.

ماهو المجتمع؟

[illegible]

[illegible] على أساس حضارة رفيعة مثل النحل ودودة القز وبعض أصناف النمل ومع ذلك يبقى هناك فرق أساسي وهو أن تلك الحيوانات الإجتماعية لها حياة رتيبة، أي انه لم يطرأ منذ آلاف السنين أي تغير على حياتهم وتحضرهم. على سبيل المثال أن نظام حياة النحل في الوقت الحاضر بنفس نظام النحل قبل خمسة آلاف سنة، بمعنى أن تحضر هذه الحيوانات

باق على حاله، أي أنه لم يتقدم خطوة ولم يرجع خطوة تذكر، ولم ينحرف لا الى اليمين ولا الى اليسار. غير ان الحياة الإجتماعية للإنسان هي غير ذلك، إذ قلّما نشاهد فيها توقفاً. فهي تتقدم الى الامام في وقت، وتنحط في وقت آخر، كما تسير في جهة اليسار مرة، وفي جهة اليمين مرة أُخرى وهكذا...

وإذا أخذنا قوماً ما بنظر الإعتبار، لاحظنا انهم يتقدمون مرة و يتأخرون في مرة أخرى، حتى انهم يمرضون و يزولون في أحيان أُخرى. أما إذا أخذنا المجتمع البشري ككل بنظر الإعتبار، لرأينا أنَّ التغيُّرات التي تطرأ على هذا المجتمع إنما هي في جهة التكامل والنمو.

ما هي الثورة ؟

هناك كلمة أُخرى تشمل مفهوم التغيُّر أيضاً، ألاَ وهي «الثورة». وهذه الكلمة لها عناصر تفتقر اليها كلمة «التغيُّر».

قد تطرأ على حياة البشر تغيُّرات، تتم في بعض الأحيان على شكل ثورات. وكل ثورة هي تغيُّر، ولكن ليس كل تغيُّر ثورة. إذن متى تطلق كلمة **«الثورة»** على «التغيُّر» ؟

الجواب: إنَّ الثورة تعني حدوث تغيُّر نتيجة لانتفاض البشر وتمردهم على وضعٍ معينٍ.

وعندما لايكون التغيُّر ثورياً، فقد تطرأ بعض التغييرات التدريجية، بحيث ان الناس لايشعرون انهم يمرون بتغيُّر رغم انهم يتغيَّرون بالفعل. لكن الثورة عمل يتم عن وعي، وهي نوع من التمرد يظهر في الإنسان على وضع معين.

الثورة الأدبية :

لودرسنا تاريخ الآداب مرحلة بعد أُخرى، لرأينا ان الأدب الفارسي أو الأدب العربي مثلاً كان له في كل قرن وعهد ومرحلة لون وأُسلوب معينان. على سبيل المثال ان الأدب قد لايستخدم المفاهيم الاسلامية بكثرة في مرحلة من المراحل وقد يستخدمها بكثرة في مرحلة أُخرى. وفي بعض الأحيان يتم الإهتمام بالمسائل الحماسية، فيما يتم في أحيان أُخرى الإهتمام بالمسائل العرفانية. وقد حصلت جميع هذه التغيُّرات بصورة تدريجية، حيث لم يحدث في أي عصر أنْ تمرد الأدب على سابقه، وعكس انه حدث، لكننا لانستطيع أن ننفيه بصورة كاملة.

وفي بعض الأحيان تحدث ثورة أدبية. والثورة الأدبية تعني التمرد على الآداب الموجودة، وتتم بوعي. ولسنا هنا بصدد إثبات صحة مثل هذه الثورة أو خطئها. إذْ أنَّ المهم هو أنْ نعرف بأنَّ الثورة تتباين مع التغيُّر. على سبيل المثال حصل بعد الثورة الدستورية في ايران نوع من الثورة الأدبية في النثر وكان من الطراز الأول، كما حدثت ثورة أُخرى من الدرجة الثانية في الشعر، مما دفعنا النثر والشعر الى أمام. أي أنه حصل تمرد عن وعي في الأدب الفارسي على النثر والشعر السابقين. وهذا الأمر ليس مجرد تغيُّر فحسب، بل هو نوع من الإنتفاض الواعي ضد الآداب السابقة.

أنواع الثورات :

الآن و بعد أنْ فهمنا معنى «الثورة» فاننا نتطرق الى أنواعها.

إنّ الثورات التي تحدث في المجتمع البشري ليست واحدة، فهي على أنواع. على سبيل المثال ان

لنهضة الأدبية التي حدثت في اوروبا والمعروفة بالمرحلة الرنسانسية كانت في الواقع مرحلة للثورة العلمية والثورة الأدبية، وكانت نوعاً من التمرد الواعي ضد العلم والأدب اللذين كانا سائدين آنذاك.

الثورة الصناعية :

حدثت في عالمنا ثورة، وفي الحقيقة حصل تمرد على الأوضاع الصناعية القديمة، وظهر نظام صناعي جديد في زماننا هيأة ثورة، تركت بلاشك أثراً على جميع العالم.

والثورة الصناعية هي بدورها ثورة، ولكن من الناحية الفنية. فلما كان الإنسان فناناً ومبدعاً وخلاقاً وموجوداً صناعياً ومولداً، فإنه انتفض فيما سبق على ما صنعه بنفسه واستبدله بشيء آخر وأحدث تغييراً في الآلات، وبذلك ظهرت الثورة الصناعية.

الثورة الإجتماعية :

وفي بعض الأحيان تكون الثورة اجتماعية. ومع ذلك فإن الثورات الإجتماعية غير متشابهة فيما بينها، ومن هنا يجب علينا فصلها عن بعضها.

وتحدث في العالم ثورات كثيرة تكون ماهية البعض منها ماهية انتقامية. ومثل هذه الثورات هي في الواقع تعبير عن القوة العصبية، مثلاً إنّ أكثرية ساحقة من مجتمع ما تعيش في حرمان وتتعرض للإعتداءات. مما تؤدي هذه الأمور الى التأثير على معنوية تلك الأكثرية، وبذلك ينمو الغضب في نفوسها الى أنْ تثور في يوم ما على الأوضاع القائمة وتكون ماهية مثل هذه الثورة متمثلة بالدفاع عن الحقوق الذاتية. وتسمى هذه الثورات عادة بثورات القوة العصبية.

الثورة الوجدانية :

أما النوع الآخر من الثورات، فهو الثورات العاطفية، وما يسمى بالثورات الوجدانية. فقد يحدث في بعض الأحيان أن تثور ضمائر مجتمع ما نتيجة لأوضاع معينة. فلم يكن الإنسان ذا ضمير فإن المجتمع هو الآخر له ضمير. ونحن نلاحظ أن بعض الأشخاص يحسون بتأنيب ضمائرهم في بعض الأوقات رغم قسوتهم المعروفة. على سبيل المثال أنّ الجلاوزة الذين هم أكثر الناس قسوة قد تراهم في بعض الأحيان يمتنعون عن ممارسة العنف ضد الآخرين رغم أنهم تعودوا على العنف والظلم. والسبب في ذلك يعود الى تحرك ضمائرهم.

وهناك رواية في وصف المغول وقائدهم جنكيزخان، لكني لا أدري هل إنها حقيقة أم مبالغ فيها (فقد تكون حقيقية في وجدان بعض الإعتبارات ومثل هؤلاء).

يقال إنّ جنكيزخان انتخب من بين أفراده مجموعة معينة، وشكّل منهم فرقة (كما هو الحال في يومنا هذا حيث يبحثون هنا وهناك عن أشخاص لا عاطفة لهم ولا يحسون بالعاطفة، فيستخدمونهم مقابل مبالغ من المال، وبذلك يطيع هؤلاء جميع الأوامر الصادرة اليهم لأن ضمائرهم تكون ميتة) بمعنى أن جنكيز شكل مثل هذه الفرقة. وتلك الفرقة جاءت الى مدينة «بخارى» فأضرمت النار فيها، ثم أقامت المجازر في مدن أخرى، كما وصلت حتى الى مدينة نيسابور في خراسان وأقامت فيها مجزرة كبيرة، حيث قتلت الرجال والنساء والأطفال والشيوخ

ووصل الأمر بها الى قتل الحيوانات أيضاً، بل وتخريب المدينة وازالتها من على وجه الأرض. وبعد أن انتهت من ممارساتها الوحشية بدأ أفرادها يتحدثون بعضهم مع البعض الآخر. وهنا التفت قائد الفرقة الى أفراده واستفسر عما اذا كان أحدهم قد تحرك ضميره خلال العمليات. فقال أحد الأشخاص: انني تألمت في أحد المشاهد. فسأله القائد، أين ؟ فأجابه قائلاً: اني دخلت على عائلة فقتلت جميع أفرادها، بعدها وقعت عيناي على طفل رضيع. فسحبت الخنجر ووضعته على ثدي الرضيع ففتح فمه تصوراً منه أنَّ أمه جاءت لترضعه. هذا المشهد أحزنني كثيراً، لكنني نفذت الأوامر في نهاية الأمر وقتلت ذلك الرضيع. وبعد أن أنهى حديثه قال القائد: لا، أنت لست مفيداً. ثم أمر بقتله.

خلاصة الكلام أنَّ الإنسان له وجدان أخلاقي، يحركه في بعض الأحيان.

وفي بعض الأوقات تمر المجتمعات بأوضاع تتحرك فيها مشاعرها وأحاسيسها. على سبيل المثال عندما تقع هزة أرضية في مكان مايسارع الناس لنجدة المنكوبين ومدهم بالوسائل الضرورية، وهذا يسمى بـ (الثورة الوجدانية)، أي أن وجدان أوضمير مجتمع ما يتحرك نحو الأعمال الصالحة والحسنة.

الثورة الإقتصادية :

إنَّ بعض الثورات الإجتماعية هي ـ في الحقيقة ـ ثورات اقتصادية. فعندما تحدث ثورة في مجتمع ما ويتغير النظام الإقتصادي ويحل محله نظام جديد ـ مثل القضاء على النظام الرأسمالي واحلال النظام الإشتراكي محله ـ فإنَّ ذلك يعتبر ثورة، ولكنها ثورة تقوم على أساس نظام إجتماعي معين.

ومثل هذه الثورة تطيح بالنظام الإجتماعي القائم وتستبدله بنظام آخر.

وفي الثورات السياسية يسقط نظام ويحل محله نظام آخر، مثل الثورة الدستورية التي وقعت في ايران وأمثال تلك الثورة.

الثورة الفكرية أو الثقافية :

إنَّ كل ماتحدثنا عنه كان مقدمة للموضوع التالي وهو أن أحد أنواع الثورات التي تحدث في المجتمعات البشرية هو الثورة الفكرية أو بتعبير آخر الثورة الثقافية. فماذا نعني بالثورة الفكرية والثقافية؟ نعني بذلك حدوث ثورة في المفاهيم الفكرية والعملية عند البشر بحيث تتغير معاييرهم وتحل محلها معايير أُخرى وهكذا في الثورة الفكرية، فالثورة الفكرية تعتبر تمرداً على مجموعة من الأفكار والتصورات والمعارف والأُمور التي كان فكر الإنسان يتقبلها ـ سابقاً ـ فهذا البنيان الفكري يتحرك فجأة من أساسه وينهار ويحل محله بنيان فكري جديد. ويدعى ذلك بالثورة الفكرية أو الثورة الثقافية. ويمكن تشبيه هذه الحالة ببناء قديم ومندرس يهدمه الإنسان ويبني محله بناءً جديداً بشكل وتصميم جديدين وقائماً على أُسس جديدة.

وفي هذا الصدد يطرح السؤال التالي نفسه، وهو: أي من هذه الثورات يتمتع بالأصالة؟

مما لاشك فيه أن لكل ثورة آثاراً متعددة. ومن الممكن أنْ تكون الثورة عاملاً في قيام ثورة أُخرى إلاّ أنَّ الكلام يدور حول النقطة التي تنطلق منها الثورة. فهل من المستحسن أنْ تنطلق الثورة من الناحية الفكرية، أي أنْ تحدث ثورة فكرية في المجتمع، لتغيير الأفكار القديمة الخاطئة، ومن

التوجه بعد ذلك الى الثورات الإجتماعية والأخلاقية والإقتصادية والسياسية وغيرها أم من الأفضل القيام بثورة صناعية أو سياسية أو اقتصادية؟

قد تكون لكل مذهب وجهة نظر تختلف عن المذاهب الأخرى. وفي الحقيقة هناك نظريات مختلفة.

ليس هناك أدنى شك من أن التفكير في كل منها بصورة مجردة يعتبر أمراً غير صحيح، فإذا كانت هناك ثورة فكرية تفتقر الى ثورة وجدانية، فإنها ثورة غير مجدية، أي أنَّ نتيجة ثورة كهذه ستكون وجود عدد من الأفراد الذين لهم تطلعات فلسفية ولهم تفكير جيد ويتكلمون بصورة حسنة ولكنهم يفتقرون الى الوجدان أو العاطفة أو الجاذبية الفنية. ومثل هذه المجتمعات مشبعة من الناحية الفكرية والعملية، ولكنها مجتمعات غير مثمرة وبغض النظر عن هذا النقص فان المجتمع الذي يتمتع بالعلم ـ نسبياً ـ ويفتقر الى العاطفة وليس له شعور وجداني هو مجتمع يعاني من نقص كبير، لذلك لابُدَّ أنْ تكون الثورات متلازمة مع بعضها.

لنفرض ان إحدى الثورات كانت ذات طابع فكري وعاطفي، ولم تكن ذات طابع اقتصادي، أي انها لم تغير النظام الإقتصادي، وكانت ذات نظام ربوي مثلاً، وبتعبير الإمام علي (ع) مجتمع يضم أفراداً متخومين من كثرة الأكل وآخرين منهكين من شدة الجوع، فإنَّ هذه الثورة تكون غير مفيدة، إذْ لابُدَّ من أنْ تكون الثورات مرتبطة مع بعضها البعض ولكن الكلام يدور حول معرفة الثورة الحقيقية والواقعية التي تعتبر في الحقيقة ثورة مثمرة، فهل يجب البدء من الناحية الفكرية؟ أم من الناحية الإقتصادية؟ من أين يجب أنْ تكون البداية؟ وماهو السبب في عدم حصول الشعب الإيراني (الذي قام بثورة سياسية) على الدستورية التي ثار من أجلها؟

للإجابة على ذلك نقول إنَّ الصحف كتبت آنذاك أنَّ سبب ذلك يعود الى أنَّ المجتمع الإيراني لم يكن متهيِّئاً من الناحية الفكرية لمثل هذا العمل، أي كان من المفروض تهيئة أفكار الشعب. فلم يكن الشعب آنذاك يفهم معنى الإستبداد أو الدستورية أو الديمقراطية والحرية. وعندما كان الأفراد يريدون ترغيب الشعب بالدستورية، كانوا يقولون لهم إنَّ الدستورية أمر حسن، فكان أفراد الشعب يقولون لهم بأي دليل؟ فيردون عليهم بأنَّ الدستورية إذا ما طبقت فسوف تكون عندما تنهضون صباحاً ستجدون في بيوتكم أفضل أنواع اللحوم والأغذية وهكذا ستكون الحياة ظهراً وليلاً. إنَّ تصور أفراد الشعب عن الدستورية كان منحصراً في الخبز واللحم المشوي، وكانوا لايعرفون شيئاً عنها، ولذلك لم تعط الثورة ثمارها.

الثورة في الفكر وفي الرؤية الكونية:

لقد أحدث الإسلام ثورة في جميع شؤون البشر، ورفع من شأن بعض القيم وسفّه البعض الآخر منها. وهو يدعو قبل كل شيء الى ثورة فكرية (ليس في العلم فحسب، بل وفي الفكر أيضاً، أي النظرة الكونية) ولابُدَّ للإنسان أنْ تكون له نظرة كونية صحيحة تقوم على أساس التوحيد النظري والعملي ومعرفة الله وعبادته، ويجب أنْ تكون الثورات الأُخرى فروعاً وأوراقاً وثماراً لهذه الشجرة (الثورة في النظرة الكونية). وحسب وجهة النظر القرآنية فان الضربات التي وجِّهت للإسلام كانت موجَّهة الى جذوره، لذلك يلزم أنْ تبقى الجذور سليمة. ولكن

ا نعني بالجذور؟

يقول القرآن في الآيتين (٢٤، ٢٥) من سورة اهيم (ع):

«ألَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً يِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها في سَّماءِ * تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإذْنِ رَبِّها ضْرِبُ اللهُ الأمثالَ للنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرونَ».

أي مثل هذا الذي يضرب به سبحانه وتعالى؟

الجواب: كلمة طيبة. والكلمة حسب المصطلح قرآني ليست لفظاً فقط، ويطلق الباري تعالى على حقيقة التي ذكرت بهذا اللفظ اسم الكلمة. فهي حقيقة وكلمة طاهرة يشهد ويعترف ويقر بها لإنسان.

والقرآن يضرب مثلاً حول شجرة طاهرة ذات جذور متأصلة في أعماق الأرض تتغذى من مواد جيدة وصالحة (كالماء أو الرطوبة) وجذورها تضرب في أعماق الأرض وجذعها وفروعها على الأرض. انها شجرة ذات جذور وجذع وثمار، لكنها ليست كباقي الأشجار المثمرة الأخرى. اضربوا هذا المثل على شجرة كهذه، لا تعطي ثمارها في الخريف أو الربيع فقط بل في جميع فصول السنة.

«تُؤتي أُكُلَها كُلَّ حينٍ بإذنِ رَبِّها...».

إنها شجرة تعطي ثمارها بإذن الله وبإرادته في كل حين. شجرة لها جذور في أعماق الأرض وفروعها في السماء، وتعطي ثماراً نظيفة طاهرة في جميع الفصول، ثم يقول جلّ شأنه:

«.... وَيَضْرِبُ اللهُ الأمثالَ للناسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرونَ».

ان الله يضرب هذه الأمثال للناس لكي يتذكروا. والتذكر وفق المفهوم القرآني هو غير التفكر والتعلم. فالتفكر والتعلم يعنيان تعلم الإنسان الأشياء التي لا يعرفها، غير أن التذكر هو اليقظة، وهو أمر موجود في أعماق الإنسان وروحه وفطرته (وهذا ليس موضوعاً جديداً يقال للإنسان).

يجب ايقاظ الروح والنفس قبل كل شيء ويضرب الله تعالى هذا المثل للناس لكي يتيقظوا ويحذروا.

ماذا يريد القرآن الكريم أن يبين في هذه الآية؟ إنّ الكلمة الطيبة المذكورة في هذه الآية هي التوحيد... هي الله. فالقرآن يرى ضرورة إحياء التصورات الإلهية في المجتمعات البشرية والتي تعتبر حقيقة أصيلة موجودة في عمق الإنسان وضميره وفطرته. ويجب أن يبدأ بإصلاح البشر من هذا المنطلق، إذ أنّ بقية الأمور تعتبر أموراً هامشية تستمد قوتها وغذاءها منه.

بعثة الرسول الأعظم (ص) والدعوة للتوحيد:

ومن هنا نرى أنّ الرسول (ص) عندما بعث للناس، فإنّ بعثته كانت شاملة (وهذا درس كبير) إذ كانت تشمل الصلاة والصوم والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وتنظيم قوانين المعاملات والبيع والشراء والايجار وتنظيم نظام العائلة وقوانين النكاح والطلاق والارث والقوانين الإقتصادية والسياسية والإحسان والعفو والوجدان، والوجدان الأخلاقي وما الى ذلك من أمور أخرى. ولكن لنر: من أين بدأ الرسول (ص) عمله؟ هل سلك سبيل الوجدان الأخلاقي أولاً، أي أنه صرح بعد بعثته مباشرة بأنّ رسالته أخلاقية، وأمر الناس بالذهاب سوية لعيادة المرضى ومعالجتهم؟

إنّ كـل هـذه الأمـور مـوجـودة في برنامج الرسول (ص) إلاّ أنها لم تكن المنطلق الذي انطلق منه، كما لم يبدأ رسالته بحث الناس على مكافحة القرابين ـ رغم وجود الأصنام في الكعبة أو حثهم على الصلاة أو الصيام أو الحج، ولم يبدأ كذلك من تنظيم العائلة أو من مسألة النكاح أو قوانين النفقة أو المنشور... كلا ان عمل الرسول (ص) يشبه القصيدة الشعرية التي يعرف مضمونها من مطلعها. إنّ أول جملة قالها الرسول (ص) للناس بعد بعثته كانت:

«قولوا لا اله الا الله تفلحوا».

لقد بدأ الرسول الاكرم (ص) ثورته بثورة فكرية ونظرة كونية أساسية، أي من فكر يمكن أنْ يهز النظرة الكونية للإنسان من جذورها، ولم يبتدئ ثورته بثورة علمية. لأنّ الثورة العلمية أصغر من أن تؤدي هذا الدور. فاذا كان (ص) قد قام بثورة رياضية، فهناك الكثير ممن أقدموا على هذا الأمر. على سبيل المثال، دحض البعض منهم نظرية اقليدس، وجاء بنظرية أخرى ـ وهكذا دواليك. لكنّ هذه الأمور لم تكن لتعطي مثل هذه الثمار. واذا كان (ص) قد قام بثورة فيزيائية، و قال بأنّ العناصر التي لم تكن ـ في ذلك الزمان ـ تتجاوز الأربعة، وهي اليوم أكثر من عشرة، فإن ثورته لم يكن لها أثر وصدى. لماذا؟ لأنّ هذه الأمور يجب أنْ تكون ضمن النتائج وليس ضمن الأسس والجذور. واذا كان (ص) قد قام بثورة في علم الاحياء، لما كانت تلك الثورة جذرية. انه قام بثورة فكرية ـ في نقطة حساسة من فكر الإنسان ـ بحيث يمكنها أنْ تؤدي إلى نتائج أُخرى. وما أنْ تقول «الله» حتى يتبع ذلك الإحسان والعدالة وعدم عبادة الأصنام أو أحد الزنا أو ممارسة الظلم وآلاف الأمور الأُخرى.

لقد بدأ (ص) ثورته من الفكر. والإسلام لايعتبر الفكر شرطاً للنظام الإجتماعي. انه لايقول أرني النظام الإجتماعي لأبيّن لك فكره. انه يمنح الأصالة للإنسان من هذه الناحية، أي أنه يعتقد بأنّ الإنسان إذا ما أوجد في نفسه ثورة فكرية صحيحة تتكئ على أعمق الكلمات وأكثرها أصالةً، فإنّ جميع العالم، أي عالم الإنسانية سيهتز

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ».

إنّ المذاهب التي كانت تعتبر الثورات الثقافية أموراً هامشية وطفيلية وناتجة من النظم الإقتصادية، سرعان ما عرفت أنها على خطأ، ويجب أنْ تمنح الأصالة للثورة الثقافية. ورغم أن أنظمتها هي أنظمة اشتراكية لكنها توصلت الى هذه النتيجة وهي أنّ المجتمع يجب أنْ يكون ـ دائماً ـ بحالة ثورة ثقافية، فإذا فقد المجتمع ثورته الثقافية فإن ثورته الإقتصادية الإشتراكية ستنهار وهذا معناه قبول مبدأ أصالة الفكر والثقافة والروح وأصالة الإنسان، أي نفي أقوال السابقين.

والإستناد الى الثورة الثقافية ومواصلتها هما أمران أساسيان، خلافاً لما كان يتصوره القدماء وهذا يعني ـ الى حدّ ما ـ الرجوع الى النظرية الإسلامية التي تستند الى هذه المسألة، أي أنّ بداية العمل تكون من هذا المنطلق.

لذلك إذا أردنا أنْ يكون هناك مشروع من أجل إصلاح المجتمع الإسلامي، يقوم على أساس الإسلام، و يكون مثالاً للمجتمع الإسلامي، وكذلك إذا أردنا أنْ تكون هناك ثورة واقعية في مجتمعنا الإسلامي، فيجب أنْ نتوجه نحو التوحيد الإسلامي،

ونقارن مجتمعنا معه، لنعي مدى الشرك الذي تزخر به حياتنا! وكيف اننا نردد اسم الله كثيراً دون أنْ يكون لمعناه وجود في حياتنا!

إذاً لنرجع الى الحق ونتوب (توبة واقعية)، لنرجع الى التوحيد بمعناه الحقيقي لنصبح كالموحدين من المسلمين الذين عاشوا في عصر صدر الإسلام.

من أين بدأ الرسول (ص) دعوته؟ انه لم يقم بثورة صناعية أو أدبية. ان ثورته الأدبية كانت في الحقيقة تتمثل بالثورة الأدبية للقرآن، كما انه لم يبدأ دعوته بثورة إقتصادية أو ثورة سياسية، بل بثورة فكرية انطلقت من القرآن والتي تبعتها هذه الأمور لقد تمكّنت هذه الثورة من إنزال وتحطيم الأصنام التي كانت موجودة في الكعبة. وعندما سقطت تلك الأصنام، سقطت معها منهجية أبوسفيان وأبوجهل وأبولهب ومن كانوا على شاكلتهم، فلم يكن بمقدورهم أنْ يستمروا في منهجيتهم. ولذلك يريد الإسلام من الإنسان أنْ يدخل الله في حياته، وإذا دخل الباري عزّوجلّ في حياة الإنسان، أصبح كل شيء صحيحاً شريطة أنْ يكون أسلوب الإدخال صحيحاً.

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وفرعُها فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا...».

ما أعظم معنى هذه الآية! انها تقول ما معناه: أيّها الإنسان حافظ على سلامة هذه الشجرة، أروها واحذر من أنْ تجف جذورها في وجودك، أحذر من وصول الآفات الى جذورها. إنَّ واجبك هو صيانة هذه الشجرة فقط، فإذا حافظت عليها فانك ستجني منها ثماراً إجتماعية وأخلاقية، وستعطيك ثمارها كلَّ حين، وهذا يعني استمرار الثورة الثقافية كما يطلق على ذلك. يقول القرآن الكريم:

«تُؤْتِي أُكُلَهَا كلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا...».

وهذه الشجرة ليست شجرة تؤتي ثمارها في فصل معين، وهي ليست شجرة ذات جذور تتآكل وتصبح هرمة. وعلى الإنسان بالمقابل أنْ يحافظ عليها، فهي شجرة خالدة تؤتي أُكُلَها كل حين.

لقد كان الإمام علي (ع) رجلاً ثورياً، ولكننا عندما نتطلع الى شخصيته، نشاهد أنَّ أعظم الثورات التي قام بها هي ثورته الروحية، والفكرية، والإلهية. انه (ع) لم ينس مسؤوليته للحظة واحدة، لأنه لم ينس ربه لحظة واحدة، كما انه لم يساوم الظالمين والمعتدين لحظة واحدة، لأنه لم ينس الله، ولم يعبد غيره ولو للحظة واحدة، أي أنَّ كل ما كان عند الإمام علي (ع) كان مستلهماً من توحيده.

وقد لا يرق البعض عندما يدور الكلام عن عبادات علي (ع) بل ويتساءل عن فائدتها، وعن السبب الذي كان يدفع الإمام (ع) الى القيام بهذا العمل؟ ويتساءل كذلك قائلاً: أما كان من الأفضل أنْ يقضي الإمام علي (ع) وقته الذي كان مخصصاً لعبادته في مساعدة المحرومين وفي الخدمات الإجتماعية؟

كلا، فهذا كلام خاطئ، لأنَّ العبادة بمعناها الواقعي تعني إرواء جذور هذه الشجرة.

وهناك ممن يتساءلون عن فائدة صلاتهم بالنسبة لله؟ انهم يتصورون أنَّ صلاتهم يجب أنْ تكون ذات فائدة بالنسبة لله. ولكن على العكس أنها تفيدهم ولا تفيد الله. ان عبوديتنا لا تفيد الله، بل تفيدنا نحن بالذات. وان العبادة وذكر الحق والأنس وذرف الدموع ومناصرة الحق تعني اغناء جذور شجرة التوحيد واحياءها والمحافظة عليها باعتبارها شجرة الإنسانية.

«... قل الله ثم ذرهم....»

(الأنعام: ٩١)

لقد كان كل شيء عند أهل البيت (ع) إلهياً ومستلهماً من عند الله تعالى، وكما أنَّ عالم الوجود قد ظهر بأمر من الله سبحانه وتعالى، فإنَّ مصدر جميع خيرات الإنسان في نظامه الروحي هو الإيمان بالله.

ينقل عن الإمام الحسن المجتبى (ع) أنه قال: في إحدى الليالي رأيت والدتي فاطمة الزهراء (ع) جالسة على سجادتها ومنهمكة في الدعاء، فأصغيت لها، فسمعتها تدعو للآخرين، ولكنها لا تدعو لنفسها، وفي الصباح سألتها: لماذا كنت الليلة الماضية تدعين للناس ولم تكوني تدعي لنفسك؟ فقالت: «يا بني الجار ثم الدار».

أي أنَّ المسلم يفكر بالآخرين قبل أنْ يفكر بنفسه. إنَّ دعاء الزهراء (ع) ينطبق مع أعمالها الأخرى. ففي يوم من أيام شهر رمضان وهي صائمة مع علي (ع) وأطعما الآخرين (وعندما كان علي وفاطمة (ع) يعيشان في أتعس الظروف، والمدينة المنورة تعاني من المجاعة والقحط، كان علي (ع) يهب ما كان يحصل عليه الى الآخرين، إذْ كان يعمل ويرتزق نهاراً ويعود ليلاً ليعيش مع عائلته على ما يرزقه وكانت الزهراء (ع) تطحن الشعير وتصيِّر الدقيق عجيناً وتخبزه بيدها (وعند حلول وقت الإفطار) حان وقت الامتحان الإلهي. ففي وقت فطورهم طرق الباب. ففتحه الإمام (ع). وكان يقف خلف الباب مسكين جائع، فأعطى (ع) رغيفه للفقير، وتبعته في ذلك فاطمة (ع) وأعطته رغيفها. وهكذا فعل بقية الأعضاء. وفي الليلة الثانية تكررت القصة، لأنَّ الطارق كان يتيماً جائعاً. وتكررت القصة أيضاً في الليلة الثالثة، غير أنَّ الطارق كان في الليلة الثالثة أسيراً جائعاً.

لقد قدموا خلال ثلاث ليال متتالية طعامهم الذي كان قد أعدَّ لفطورهم الى المسكين واليتيم والأسير. أجل ان هذا هو عمل آل البيت (ع) فقد كانت جميع أعمالهم إلهية وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم ●

حديث

الروايات المشتركة

الشيخ محمود قانصوه / لبنان

ـ كتاب الصيام ـ

الفصل الأول

في

فضل الصوم والصائم وشهر رمضان

يتضمن الفصل الأول عشرة أبواب:

١ ـ في رمضان تغل الشياطين وتفتح أبواب الجنان وتغلق أبواب جهنم.

٢ ـ شهر رمضان يغفر الذنوب.

٣ ـ فضائل مختصة لشهر رمضان.

٤ ـ للجنة باب يدعى الريان.

٥ ـ الصائم مستجاب الدعوة.

٦ ـ الصوم زكاة الأجساد.

٧ ـ الطاعم الشاكر كالصائم.

٨ ـ ان لله عتقاء في كل ليلة.

٩ ـ كراهة قول رمضان دون شهر.

١٠ ـ عدم وجوب صيام غير رمضان.

ـ باب: أن في رمضان تغل الشياطين وتفتح أبواب الجنان وتغلق أبواب جهنم ـ

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ـ محمد بن الحسن، عن محمد بن عبيد بن عتبة، عن الفضل بن دكين أبي نعيم، عن عبدالسلام بن حرب، عن أيوب السختياني (السختياني) عن أبي قلابة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك، شهر فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنان، وتغل فيه الشياطين.** الحديث[1] وروى نحوه في البحار عن النوادر بسنده الى أبي هريرة. وعن مجالس المفيد وأمالي الطوسي، عن المفيد، عن الجعابي، عن محمد بن يحيى بن سليمان المروزي، عن عبيدالله بن محمد العبسي، عن حماد بن سلمة، عن أيوب، عن أبي قلابة مثله. وعن مجالس الشيخ، عن أحمد بن عبدون، عن علي بن محمد، عن علي بن فضال، عن محمد بن عبيد مثله. وعن نحوه عن ثواب الأعمال، عن أبي، عن سعد، عن ابراهيم بن مهزيار، عن أخيه علي، عن الأهوازي، عن القاسم بن محمد، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي عبدالله[2] وكذا في الوسائل[3] ونحوه مرفوعه الصدوق عن جابر، عن أبي جعفر[4].

٢ ـ أحمد بن محمد، عن الحسن بن سعيد، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن شمر، عن جابر عن أبي جعفر (ع) قال: كان رسول الله (ص) يقبل بوجهه الى الناس، فيقول: **يا معشر الناس إذا طلع هلال شهر رمضان، غلت مردة الشياطين، وفتحت أبواب السماء وأبواب الجنان وأبواب الرحمة، وغلقت أبواب النار، واستجيب الدعاء، وكان لله فيه عند كل فطر عتقاء يعتقهم الله من النار وينادي مناد كل ليلة هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ اللهم أعط كلّ منفق خلفاً وأعط كلّ ممسك تلفاً حتى إذا طلع هلال شوال نودي المؤمنون أن اغدوا الى جوائزكم فهو يوم الجائزة.** (الحديث)[5] ورفعه الصدوق عن جابر عن أبي جعفر (ع)[6].

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، أنبأنا أبوعمرو عثمان بن أحمد بن السماك ببغداد، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ص): **إذا كان أول ليلة من رمضان، صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنان، فلا يغلق منها باب، ونادى مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار**[7]. وروى البخاري نحوه عن يحيى بن بكير عن الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن ابي أنيس، عن أباه، عن أبي هريرة[8]. ورواه ابن ماجه عن ابي كريب، عن أبي بكر مثله[9].

٢ ــ حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء بن كريب، حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسوُل الله صلى الله عليه وسلم: **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صفدت الشياطين، ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب... الحديث**[10]. وروى في البحار هذا الحديث عن نوادر الراوندي، عن الوراق، عن أبي محمد، عن عماد بن أحمد، عن الحسين بن علي، عن محمد بن العلاء مثله[11]. وروى الترمذي هذا الحديث، عن محمد بن اسماعيل، عن الحسن بن الربيع، عن أبي الأحوص، عن الأعمش، عن مجاهد، مثله[12]. وروى مسلم نحوه عن يحيى وقتيبة وابن حجر جميعاً، عن اسماعيل بن جعفر، عن ابي سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة. وروى نحوه بسندين آخرين[13]. وروى عبدالرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة عن النبي (ص) نحوه، وأخرج نحوه أيضاً عن معمر، عن أبان، عن ابن جبير ــ قال ــ أحسبه ــ عن ابن عمر[14]. وأخرج النسائي نحوه عن اسماعيل كمسلم[15]. ونحوه أيضاً عن ابراهيم بن يعقوب، عن ابن أبي مريم، عن نافع بن يزيد، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أبي سهيل. وأيضاً عن عبدالله بن سعد، عن عمي، عن أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، عن نافع بن أبي أنس، عن أباه. ونحوه أيضاً بأسانيد أخرى، فراجع[16]. ورواه الحاكم في المستدرك باسناده الى بكر مثله[17]. وأخرج مالك نحوه عن عمه أبي سهيل[18]. وأخرج الدارمي عن أبي الربيع الزهراني، عن اسماعيل كمسلم[19].

ــ باب: أن شهر رمضان يغفر الذنوب ــ

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ باسناده ــ محمد بن الحسن ــ عن علي بن الحسن بن فضال، عن محمد بن عبيد، عن عبد (عبيد) الله بن موسى، عن نصر بن علي، عن النضر بن سنان، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، قال: قال رسول الله (ص): **سهر رمضان، شهر فرض الله عليكم صيامه. فمن صامه ايماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**[20].

٢ ــ وفي المجالس، عن أبيه، عن محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي الكوفي، عن نصر بن مزاحم، عن المسعودي، عن العلا بن يزيد القرشي، قال: قال الصادق (ع): حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله (ص) (في حديث قال): **من صام شهر رمضان، وحفظ فرجه ولسانه، وكفَّ اذاه عن الناس، غفر الله له ذنوبه ما تقدَّم منها وما تأخَّر، وأعتقه من النار، وأحلَّه دار القرار.. (الحديث)**[21]. ونحوه مارواه في الكافي، عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن بكر بن صالح، عن ابن سنان، عن منذر بن يزيد، عن يونس بن ظبيان، عن الصادق (ع)[22].

٣ ــ محمد بن الحسن باسناده عن علي بن الحسن بن فضال، عن محمد بن عبيد، عن عبد (عبيد) الله بن موسى، عن نصر بن علي، عن النضر بن سنان، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف،

عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم: **شهر رمضان، شهر فرض الله عليكم صيامه، فمن صامه ايماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**[٢٣]. وروى نحوه في البحار، عن آمالي الطوسي، عن المفيد، عن الجعابي، عن محمد المروزي، عن عبيدالله العبسي، عن حماد، عن محمد بن عمر، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، ونقله في البحار عن مجالس الشيخ (ره)، عن ابن عبدون، عن ابن الزبير مثله[٢٤].

٤ ــ البحار عن دعائم الإسلام، عن النبي (ص) **أنه صعد المنبر، فقال: آمين، ثم قال: أيها الناس ان جبريل استقبلني، فقال: يا محمد من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له، فأبعده الله قل آمين. فقلت آمين**. ونقله أيضاً عن نوادر الراوندي، قال (وبهذا الإسناد عن محمد بن أحمد، عن اسماعيل بن اسحاق، عن عبدالله بن مسلمة، عن سلمة بن وردان، قال: سمعت أنس بن مالك فساق الحديث. ونقل نحوه في البحار عن ثواب الأعمال والآمالي، عن أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن سيف بن عميرة، عن عبيدالله بن عبدالله، عمّن سمع الباقر (ع)[٢٥]. ونحوه أيضاً عن كتاب الإمامة والتبصرة عن سهل بن أحمد، عن محمد بن محمد بن الأشعث، عن موسى بن اسماعيل بن موسى بن جعفر (ع)[٢٦].

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ حدثنا هنّاد، حدثنا عبده والمحاربي، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **من صام رمضان وقامه ايماناً واحتساباً، غفر له ما تقدّم من ذنبه... الحديث**[٢٧]. ونحوه أيضاً عن عبد بن حميد، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة. وأخرجه عبد الرزاق، عن معمر ومالك، عن الزهري، عن أبي سلمة مثله، وليس فيه (صام رمضان) وكذا عن مالك، عن ابن شهاب، عن حميد بن عبدالرحمان، عن النبي (ص)[٢٨]. وأخرجه البخاري عن مسلم بن ابراهيم، عن هشام، عن يحيى، عن أبي سلمة. وأخرج نحوه عن يحيى بن بكير، عن الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن ابي سلمة، وعن عبدالله بن يوسف، عن مالك، عن ابن شهاب، عن حميد، عن ابي هريرة. وأخرج النسائي نحوه عن محمد بن عبدالله، عن شعيب، عن الليث، عن خالد، عن ابن أبي هلال، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب. وكذا عن محمد بن جبله، عن المعافي، عن موسى، عن اسحاق بن راشد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة[٢٩]. وأخرجه عن الربيع بن سليمان، عن ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب مثل البخاري. وأخرج نحوه بأسانيد متعددة عن أبي هريرة، فراجع[٣٠]. وأخرج أبو داود الطيالسي عن سفيان، عن علي الحداني، عن ابن شيبان، عن أبي سلمة وفيه زيادة في أوله نحوه[٣١]. وأخرج البزار عن أسد بن خالد العسكري، عن جعفر بن عون، عن ابراهيم ابن اسماعيل بن مجمع، عن الزهري كالنسائي.

٢ ــ حدثني أبو محمد عبدالله بن يوسف الأصفهاني، أنبأنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري بمكة، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن

أبي سلمة بن عبدالرحن، عن أبي هريرة، عن النبي (ص)، قال: **من صام رمضان ايماناً واحتساباً، غفر له ما تقدّم من ذنبه.** ونحوه مارواه البيهقي عن ابي الحسن، عن ابن عبيد الصفار، عن أبي مسلم، عن مسلم، عن هشام، عن يحيى، عن أبي سلمة نحوه بزيادة في فضل قيام ليلة القدر، ونحوه أيضاً مارواه البيهقي عن ابو طاهر، عن أبو حامد، عن محمد بن حيويه، عن ابي اليمان، عن شعيب، عن أبي الزناد، عن الأعرج نحوه[٣٢]. وأخرجه البخاري في ذيل حديث، عن مسلم بن ابراهيم، عن هشام، عن يحيى عن أبي سلمة، وأخرجه أيضاً عن علي بن عبدالله، عن سفيان مثله[٣٣]. ورواه ابن ماجه عن ابن أبي شيبه، عن محمد بن فضيل، عن يحيى بن سعيد، عن أبي سلمة[٣٤]. وأخرجه النسائي عن قتيبة، عن سفيان مثله، وعن اسحاق ابن ابراهيم، عن سفيان مثله، وعن علي بن المنذر، عن ابن فضيل، عن يحيى بن سعيد، عن ابي سلمة مثله[٣٥]. ورواه الحميدي، عن سفيان مثله بزيادة في ليلة القدر[٣٦]. ورواه أبو داود الطيالسي، عن هشام كالبيهقي في الثاني[٣٧]. وروى الدارمي عن وهب بن جرير، عن هشام كالبخارى[٣٨].

٣ ــ أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أنبأنا أبو محمد الحسن بن حليم بن محمد الدهقان بمرو، أنبأنا أبو الموجه، أنبأنا عبدان، أنبأنا عبدالله بن المبارك، أنبأنا يحيى بن أيوب، حدثنا عبدالله بن قرط، أن عطاء بن يسار حدّثه أنه سمع أبا سعيد الخدري، يقول: سمعت رسول الله (ص) يقول: **من صام رمضان، فعرف حدوده وتحفّظ له ما ينبغي له أن يتحفّظ فيه، كفّر ما قبله**[٣٩]. ورواه الهيثمي عن أحمد وأبو يعلى وابن ابي حاتم[٤٠].

٤ ــ أخبرنا أبو عبدالله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو، قالا: حدثنا أبو العباس هو الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا عبدالله بن وهب، عن سليمان يعني ابن بلال، عن كثير بن زيد (ح وأخبرنا) القاضي أبو عمرو محمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم البسطامي، أنبأنا أحمد بن محمود بن خرزاد قاضي الأهواز، حدثنا موسى بن اسحاق الأنصاري، حدثنا ابراهيم بن حمزة الزبيري، حدثنا عبدالعزيز بن أبي حازم، عن كثير بن زيد، عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة، أن رسول الله (ص) ارتقى المنبر، فقال: آمين (الى ان قال) **قال لي جبرئيل (ع) رغم أنف عبد، دخل عليه رمضان، فلم يغفر له، فقلت آمين...** (الحديث)[٤١].

ــ باب: فضائل متعددة لشهر رمضان ــ

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ وفي معاني الأخبار عن علي بن عبدالله بن أحمد بن بابويه، عن علي بن أحمد الطبري، عن الحسن بن علي العدوي، عن خراش، عن أنس، قال: قال رسول الله (ص): **قال الله عزّوجلّ كل أعمال ابن آدم بعشرة أضعافها الى سبعمائة ضعف، إلاّ الصبر، فإنه لي، وأنا أجزي به، فثواب الصبر مخزون في علم الله والصبر الصوم...** ونقله في البحار[٤٢].

٢ ــ علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن أبي عمير، عن سلمة صاحب السابري، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي عبدالله (ع) أنه قال: **للصائم فرحتان: فرحة عند افطاره، وفرحة عند لقاء ربه**[٤٣]. ونحوه ما نقله في البحار عن الخصال، عن ماجيلويه، عن عمه، عن البرقي، عن الحسين بن سعيد رفعه الى الصادق (ع) وكذا ما نقله عن الأمالي، عن جماعة عن أبي المفضل، عن اسحاق بن محمد بن هارون، عن أبيه، عن أبي حفص الأعشى، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه عن رسول الله (ص) ونحوه أيضاً ما نقله في البحار عن الخصال بسنده، عن ابن عباس، عن النبي (ص) (وذكرنا سنده في حديث الصوم لي) وفيه زيادة (فيطعم و يشرب) وهذا المتن نقله في البحار عن معاني الأخبار، عن علي المذكر، عن علي الطبري، عن الحسن بن علي بن زكريا، عن خراش، عن أنس، عن النبي (ص)[٤٤]. وأرسله الفقيه ضمن حديث، وقد يظهر من ملاحظة الحديث السابق ان هذا الحديث مُقطّع، وأرسله أيضاً مقطّعاً.

٣ ــ علي عن أبيه ومحمد بن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله (ع) قال: أوحى الله عزّوجلّ الى موسى (ع) (الى أنْ قال): يا موسى لخلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك[٤٥]. ونحوه مارواه في البحار عن رسول الله (ص) ونقلنا سنده في حديث «للمؤمن فرحتان». ونحوه ما نقله في البحار عن الخصال، عن ابن عباس عن النبي (ص) (ونقلنا سنده في حديث «الصوم لي») وأرسله الصدوق عن الصادق (ع)[٤٦].

٤ ــ علي بن ابراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر (ع) قال (في حديث) وقال رسول الله (ص): «الصوم جنة من النار»[٤٧]. ونحوه مارواه في الكافي عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن ثعلبة، عن علي بن عبد العزيز، عن أبي عبدالله[٤٨]. ونحوه ما نقله في البحار عن معاني الأخبار، عن علي بن عبدالله المذكر، عن علي بن أحمد الطبري، عن الحسن بن علي بن زكريا، عن خراش مولى أنس، عن أنس، عن رسول الله (ص)[٤٩]. ونحوه أيضاً مانقله في البحار عن المحاسن، عن ابن فضال، عن ثعلبة، عن علي بن عبدالعزيز كما في الكافي[٥٠]. وأرسله في الصدوق عن الباقر (ع) عن النبي (ص) وأرسله ضمن حديث[٥١].

٥ ــ علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سلمة صاحب السابري، عن أبي الصباح، عن أبي عبدالله (ع) قال: **إنّ الله تبارك وتعالى يقول: الصوم لي وأنا أجزي عليه**[٥٢]. ونحوه مانقله في البحار عن الخصال، عن عبدوس بن علي بن العباس، عن عبدالله بن يعقوب، عن محمد بن يونس، عن أبي عامر، عن زمعة، عن سلمة، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي (ص). ونقله في البحار عن المجالس، عن ابن عبدون، عن ابن الزبير، عن ابن فضال، عن فضل بن محمد الأموي، عن ربعي بن عبدالله، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر (ع) قال: قال رسول الله (ص) وساق الحديث مثله[٥٣].

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ أخبرنا أبوزكريا بن أبي اسحاق المزكي بنيسابور أبومحمد الحسن بن أحمد بن ابراهيم بن

فراس بمكة حرسها الله تعالى، قالا: أنبأنا أبوحفص عمر بن محمد أحمد الجمحي، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **يقول الله عزّوجلّ الصوم لي وأنا أجزي به. يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي، والصوم جنة، وللصائم فرحتان؛ فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربه .ولخلوف فيه أطيب عندالله من ريح المسك**[٥٤]. وروى نحوه عبدالرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة[٥٥] وأخرج النسائي نحوه عن هلال بن العلاء، عن ابي، عن عبيد الله، عن زيد، عن أبي اسحاق، عن عبدالله بن الحارث، عن علي (ع). وأيضاً عن اسحاق بن ابراهيم، عن جرير، عن الأعمش مثله[٥٦]. ونحوه عن علي بن حرب، عن محمد بن فضيل، عن أبي سنان، عن ضرار بن مرة، عن أبي صالح، عن أبي سعيد. وأيضاً عن سليمان بن داود، عن ابن وهب، عن عمرو، عن المنذر بن عبيد، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة[٥٧]. وروى الدارمي نحوه عن يزيد بن هارون، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة[٥٨].

٢ ــ أخبرنا أبوزكريا بن أبي اسحاق، وأبوبكر بن الحسن، قالا: حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر، حدثنا عبدالله بن وهب، أخبرني جرير بن حازم، عن ابن أبي سيف، عن الوليد بن عبدالرحمن، عن عياض بن عطيف، عن ابي عبيدة بن الجراح، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: **الصوم جنة مالم تخرقه.**[٥٩]. ونحوه مارواه مسلم عن زهير، عن سفيان، وعن عبدالله بن مسلمة وقتيبة بن سعيد، عن المغيرة، عن الحزامي جميعاً، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة[٦٠]. وأخرج ابن ماجة نحوه، عن ابن رمح، عن الليث، عن ابن أبي حبيب، عن سعيد بن أبي هند، عن مطر، عن عثمان بن أبي العاص[٦١]. وأخرج النسائي نحوه عن معاذ بأسانيد متعددة. وكذا عن أبي هريرة، وعن قتيبة، عن الليث كابن ماجة. وأخرج الحديث نفسه عن يحيى بن حبيب، عن حماد، عن واصل، عن بشار بن أبي سيف، عن الوليد مثله[٦٢]. وأخرجه الدارمي عن عمرو بن عون، عن خالد بن عبدالله، عن واصل، عن بشار مثله[٦٣].

٣ ــ أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، أنبأنا أبوالحسن أحمد بن محمد بن عبدوس، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا القعنبي فيما قرء على مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أنّ رسول الله (ص) قال: **والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عندالله من ريح المسك، إنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي والصيام لي، وأنا أجزي به كل حسنة بعشرة أمثالها الى سبع مائة ضعف، إلاّ الصيام فهو لي، وأنا أجزي به**[٦٤]. وروى الترمذي نحوه، عن عمران القزاز، عن عبد الوارث بن سعيد، عن علي بن زيد، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة[٦٥]. وروى مسلم نحوه عن ابن أبي شيبة، عن أبومعاوية ووكيع عن الأعمش (ح) وعن زهير بن حرب، عن جرير، عن الأعمش (ح) وعن الأشج، عن وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة[٦٦]. وروى عبدالرزاق نحوه و بزيادة «**فرحتان للصائم**» عن الثوري، عن الأعمش، عن ذكوان، عن أبي هريرة[٦٧]. وأخرجه البخاري في ذيل حديث عن عبدالله بن مسلم، عن مالك

له[٦٨]. وروى أبو داود الطيالسي نحوه عن شعبة، عن محمد بن أبي هريرة[٦٩]. وروى الدارمي عن يزيد هارون، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة نحوه[٧٠].

ــ باب: للجنة باب يدعى الريان ــ

ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ وفي معاني الأخبار عن علي بن عبدالله بن أحمد بن بابويه، عن علي بن أحمد الطبري، وعن بن بن علي العدوي، عن خراش، عن أنس، قال: قال رسول الله (ص): **إنّ للجنة باباً يدعى الريان لا يدخل منه إلاّ الصائمون**[٧١]. ونقله في البحار عن معاني الأخبار بالسند المتقدم، ونقله أيضاً عن أعلام الدين إلاّ بزيادة: **فإذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب**[٧٢].

ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ وأخبرنا أبو علي الروذباري بطوس، أنبأنا أبوالنصر الفقيه، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا سعيد بن أبي مريم إملاء، حدثنا أبوغسان حدثني أبوحازم، عن سهل بن سعد أن رسول الله (ص) قال: **« للجنة ثمانية أبواب، منها باب يسمى الريان، لا يدخله الا الصائمون»**[٧٣]. وروى الترمذي نحوه عن محمد بشار، عن أبوعامر العقدي، عن هشام بن سعد، عن أبي حازم، عن سهل[٧٤]. وروى مسلم نحوه عن ابن أبي شيبة، عن خالد بن مخلد، عن سليمان بن بلال، عن أبي حازم[٧٥]. وأخرج البخاري ه بزيادة عن خالد بن مخلد، عن سليمان بن بلال، عن أبي حازم[٧٦]. وروى ابن ماجة نحوه عن عبدالرحمن بن ابراهيم، عن ابن أبي فديك، عن هشام بن سعد، عن أبي حازم[٧٧]. وأخرج النسائي نحوه عن بن حجر، عن سعيد بن عبدالرحمن، عن أبي حازم[٧٨] وعن قتيبة، عن يعقوب، عن أبي حازم[٧٩]. رج أحمد نحوه، عن أحمد بن عبدالملك، عن حماد بن زيد، عن أبي حازم[٨٠].

ــ باب: أن الصائم مستجاب الدعوة ــ

ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ ومنه ــ كتاب فضائل الأشهر الثلاثة ــ عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد ــ ره ــ محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن الحسين بن ابي الخطاب، عن علي بن النعمان، عن عبدالله بن حة الهذي، عن جعفر بن محمد (ع)، عن أبيه، عن آبائه، عن علي (ع) قال: قال رسول الله (ص): **ة لا ترد لهم دعوة، ويفتح لهم أبواب السماء، ويصير الى العرش: دعاء الوالد لولده، والمظلوم على من ظلمه، لمعتمر حتى يرجع، والصائم حتى يفطر.** ونحوه في استجابة الدعاء للصائم عن دعوات الراوندي مرسلاً عن الحسن (ع) **«إنّ للصائم عند افطاره دعوة لا ترد»**[٨١].

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا اسحاق بن عبيدالله المدني، قال: سمعت عبدالله بن أبي مليكة، يقول: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله (ص): **«إنّ للصائم عند فطره لدعوة ماترد»**[٨٢]. ورواه الحاكم عن عبدالعزيز بن عبدالرحمن، عن محمد بن علي بن زيد، عن الحكم بن موسى، عن الوليد مثله، وفيه زيادة في آخره[٨٣]. وأخرج ابو داود الطيالسي، عن أبي محمد المليكي، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده حديثاً بهذا المعنى[٨٤]. وأخرج البزار نحوه بالسند المذكور في رواية العتق[٨٥].

٢ ــ حدثنا علي بن محمد، حدثنا وكيع عن سعدان الجهني، عن سعد أبي مجاهد الطائي (وكان ثقة) عن أبي مدلة (وكان ثقة) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): **ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء و يقول بعزتي لأنصرنّك ولو بعد حين**[٨٦].

ــ باب: أن الصوم زكاة الأجساد ــ

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن اسماعيل بن أبي زياد، عن أبي عبدالله، عن آبائه (ع) (في حديث) ولكل شيء زكاة، وزكاة الأبدان الصيام. ونحوه في الكافي بسنده عن موسى بن بكر مقطوعاً[٨٧]. وهذا الحديث المقطوع رواه المفيد في المقنعة مرسلاً عن الصادق (ع)[٨٨]. ونحوه في المحاسن عن عدة من أصحابنا، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة، عن الصادق[٨٩]. ونحوه في نهج البلاغة[٩٠]. وأخرجه في الأمالي عن ابن المغيرة بإسناده الى السكوني الى الصادق (ع) وعن كتاب فضائل الأشهر الثلاثة عن جعفر بن علي بن الحسن بن علي بن عبدالله بن المغيرة، عن اسماعيل مثله، وعن نوادر الراوندي بإسناده الى موسى بن جعفر (ع) عن آبائه مثله[٩١]. ومرسلاً عن المحاسن والدعائم[٩٢].

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ حدثنا أبو بكر، حدثنا عبدالله بن المبارك (خ) وحدثنا محرز بن سلمة العدني، حدثنا عبدالعزيز بن محمد جميعاً، عن موسى بن عبيدة، عن جمهان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ص): **«لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم»**[٩٣].

ـ باب: أن الطاعم الشاكر كالصائم ـ

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ـ البحار عن كتاب الإمامة والتبصرة، عن القاسم بن علي العلوي، عن محمد بن أبي عبدالله، عن سهل بن زياد، عن النوفلي، عن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، قال: قال رسول الله (ص): **الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المتسحر**[94]. ومثله في كتاب قرب الاسناد عنه ـ هارون بن مسلم ـ عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر عليه السلام[95].

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ أخبرنا أبوعبدالله الحافظ وأبوسعيد بن أبي عمرو، قالا: حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا ابن وهب عن سليمان بن بلال، عن محمد بن عبدالله بن أبي حرة، عن عمه حكيم بن أبي حرة، عن سلمان الأغر، عن أبي هريرة، قال: لا علمه إلا عن رسول الله (ص) انه قال: **انّ للطاعم الشاكر من الأجر مثل ما للصائم الصابر**[96]. وأخرجه ابن ماجة، عن اسماعيل بن عبدالله الرقي، عن عبدالله بن جعفر، عن عبدالعزيز بن محمد، عن محمد بن عبدالله مثله. وكذا عن يعقوب بن حميد، عن محمد بن معن، عن أبيه، عن عبدالله بن عبدالله الأموي، عن معن بن محمد، عن حنظلة الأسلمي، عن أبي هريرة[97]. وأخرج الحاكم نحوه عن اسمعيل بن محمد الشعمي، عن جعفر بن أحمد الحافظ، عن اسماعيل بن بشر، عن عمر بن علي، عن معن[98].

ـ باب: ان لله عتقاء في كل ليلة ـ

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ـ علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن محمد بن مروان، قال: سمعت أبا عبدالله (ع) يقول: **إنّ الله عزّوجلّ في كل ليلة من شهر رمضان عتقاء وطلقاء من النار إلّا من أفطر على مسكرٍ، فإذا كان في آخر ليلة منه أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه**[99]. ورواه الفقيه بسنده عن محمد بن مروان مثله[100].

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: قال رسول الله (ص): **إنّ لله عند كل فطر عتقاء وذلك في كل ليلة**[101]. ونقله الهيثمي عن أحمد والطبراني في الكبير، ونُقِلَ عن أنس: **انّ الله عزّوجلّ عتقاء في كل ليلة من شهر رمضان إلّارجل أفطر على خمر.**

ونقله عن الطبراني في الصغير[١٠٢]. وأخرجه البزار أول حديث عن سليمان بن سيف الحراني، عن أبي جعفر العقيلي، عن زهير بن مكاوية، عن محمد بن جحادة، عن آبان، عن أبي الصديق، عن أبي سعيد[١٠٣]. أقول: و ينفع في هذا الباب ما ذكرناه في الباب الأول من هذا الفصل... فراجع.

ــ باب: كراهة قول رمضان دون شهر ــ

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ وعن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن هشام بن سالم، عن سعد، عن أبي جعفر (ع) قال: **كنا عنده ثمانية رجال فذكرنا رمضان، فقال (ع): لا تقولوا هذا رمضان، ولا ذهب رمضان، ولا جاء رمضان، فإنّ رمضان اسم من أسماء الله عزّوجلّ، لايجيء، ولا يذهب، وانما يجيء و يذهب الزائل، ولكن قولوا شهر رمضان. فالشهر مضاف الى الإسم، والإسم اسم الله عزّ ذكره، وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، جعله الله مثلاً ووعداً ووعيداً**[١٠٤]. ونقله في البحار عن ثواب الأعمال، عن أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطي مثله[١٠٥]. وفي الجعفريات عن محمد، عن موسى، عن أبي، عن أبيه، عن الصادق (ع) نحوه[١٠٦].

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ أخبرنا أبوالحسن علي بن أحمد بن عبدان، أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا ابن ناجية، حدثنا محمد بن ابي معشر (ح وأخبرنا) أبوسعد الماليني وأبو منصور أحمد بن علي الدامغاني، قالا: حدثنا أبو احمد بن عدي، حدثنا علي بن سعيد، حدثنا محمد بن أبي معشر، حدثني أبي عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لا تقولوا رمضان، فإنّ رمضان اسم من أسماء الله، ولكن قولوا شهر رمضان**[١٠٧]. ور واه البيهقي بأسانيد متعددة.

ــ باب: عدم وجوب صيام بالأصل غير رمضان ــ

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ محمد بن الحسن، عن محمد بن خالد الأصم، عن ثعلبة بن ميمون، عن معمر بن يحيى أنه سمع أبا جعفر (ع)، يقول: **لا يسأل الله عبداً عن صلوات بعد الفريضة، ولا عن صدقة بعد الزكاة، ولا عن صوم بعد شهر رمضان**[١٠٨]. ونقله في البحار عن مجالس الشيخ ــ ره ــ بسنده عن محمد بن خالد الأصم مثله[١٠٩].

ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ أخبرنا أبومحمد بن يوسف، أنبأنا أبوسعيد ابن الأعرابي، حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني، دثنا عاصم بن علي، حدثنا اسماعيل بن جعفر، أخبرني نافع بن مالك، عن أبيه، عن طلحة بن بيدالله: ان اعرابياً جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ثائر الرأس، فقال: يارسول الله أخبرني ماذا فرض الله لي من الصلواة؟ فقال: الصلوات الخمس، إلاّ أن تتطوع شيئاً، فقال: أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصيام، ل: صيام شهر رمضان، إلاّ أن تتطوع شيئاً، فقال: أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الزكاة؟ قال: فأخبره بعي ول الله صلى الله عليه وسلم بشرائع الإسلام، فقال: والذي أكرمك لا أتطوع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله يّ شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفلح وأبيه إنْ صدق دخل الجنة، والله إنْ صدق [110]. وأخرجه بخاري عن قتيبة بن سعيد، عن اسماعيل بن جعفر مثله [111]. وأخرجه النسائي عن علي بن حجر، عن ماعيل، عن أبي سهيل، عن أبيه، عن طلحة مثله [112] ●

الهوامش

و ٢ ـ الوسائل ج ٧، ص ١٧٧.

ـ البحار ج ٩٣، ط ج، ص ٣٤٨، والبحار أيضاً ص ٣٦٦، و بحار أيضاً ص ٣٧٢، ولوسائل ج ٧، ص ٢٥٩، والبحار ج

٩٠، ط ق، ص ٣ والبحار أيضاً ص ١٧

ـ الفقيه ج ٢، ص ٥٩.

ـ الكافي ج ٤، ص ٦٧ والوسائل ج ٧، ص ٢٢٤

ـ الفقيه ج ٢، ص ٥٩.

١ ـ البيهقي ج ٤، ص ٣٠٣. وراجع مجمع الزوائد ج ٣، ص ١٤٢ و ١٤٣

ـ البخاري ج ٣، ص ٣١ وليس فيه (ونادى مناد... الى آخر الحديث) وفيه اختلاف في بيان المعنى

٩ ـ ابن ماجة ج ١، ص ٥٢٦.

١٠ و ١١ و ١٢ ـ الترمذي ج ٣، ص ٦٦. البحار من طرق الشيعة ج ٩٣، ط ج، ص ٣٥٠، والترمذي ج ٣، ص ٦٨.

١٣ ـ مسلم ج ٣ ص ١٢١ و ١٢٢.

١٤ ـ مصنف عبد الرزاق ج ٤ ص ١٧٥ و ١٧٦.

١٥ ـ النسائي ج ٤ ص ١٢٦.

١٦ ـ النسائي ج ٤ ص ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩.

١٧ ـ الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٤٢١.

١٨ ـ موطأ مالك ج ١ ص ٢٨٩.

١٩ ـ الدارمي ج ٢ ص ٢٦.

٢٠ ـ الوسائل ج ٧ ص ١٧٧.

٢١ ـ الوسائل ج ٧ ص ١٧٤.

٢١ ـ الكافي ج ٤ ص ٦٥. ورواه أيضاً ص ٦٤ غير أنه ليس فيه عن بكر بن صالح.

٢٣ ــ الوسائل ج ٧ ص ١٧٧.
٢٤ ــ البحار ج ٩٣ ــ ط ج ــ ص ٣٦٦ والبحار أيضاً ص ٣٧٥ والبحار ج ٩٧ ــ ط ق ــ ص ١٧.
٢٥ و ٢٦ ــ البحار ج ٩٣ / ط ج / ص ٣٤٢ و ٣٤٧. ولعل مراده من قوله (بهذا الاسناد) عبد الجبار عن عبد الواحد عن اسماعيل بن الزاهد عن محمد بن أحمد، والبحار أيضاً ص ٣٦٣ والبحار أيضاً ص ٣٧٦
٢٧ ــ الترمذي ج ٣ ص ٧٦ وص ١٧١ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ١٤٤
٢٨ ــ مصنف عبد الرزاق ج ٤ ص ٢٥٨.
٢٩ ــ النسائي ج ٤ ص ١٥٤ وفيها (من قام رمضان) فقط.
٣٠ ــ النسائي ج ٤ ص ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ وفيه (من قامه) فقط.
٣١ ــ منحة المعبود ج ١ ص ١٨١ وفيه (كيوم ولدته أمه)
٣٢ ــ البيهقي ج ٤ ص ٣٠٤ والبيهقي ج ٤ ص ٣٠٦.
٣٣ ــ البخاري ج ٣ ص ٣٢ و ٥٦ وفي الثاني زيادة في ليلة القدر.
٣٤ ــ ابن ماجة ج ١ ص ٥٢٦
٣٥ ــ النسائي ج ٤ بشرح السيوطي ص ١٥٧
٣٦ ــ مسند الحميدي ج ٢ ص ٤٢٢ و ٤٤٠.
٣٧ ــ منحة المعبود ج ١ ص ١٨١
٣٨ ــ الدارمي ج ٢ ص ٢٦.
٣٩ ــ البيهقي ج ٤ ص ٣٠٤.
٤٠ ــ مجمع الزوائد ج ٣ ص ١٤٤
٤١ ــ البيهقي ج ٤ ص ٣٠٤. وهذا الحديث بعينه رو يناه عن أنس في طرق الشيعة من البحار.
٤٢ ــ الوسائل ج ٧ ص ٢٩٥ ومعاني الاخبار ص ١١٦ كما في الهامش والبحار ج ٩٣ / ط ج / ص ٢٥٢.
٤٣ ــ الكافي ج ٤ ص ٦٥ الوسائل ج ٧ ص ٢٩٠ ونحوه ما أرسله الصدوق عن المعصوم بزيادة اسناد الحديث الى الله عزّوجلّ. الوسائل ج ٧ ص ٢٩٢ ونحوه عن ابن عباس عن النبي (ص). الوسائل ج ٧ ص ٢٩٤، والخصال ج ١ ص ٢٤ كما في هامشه ونحوه ما أسنده الطوسي في مجالسه. الوسائل ج ٧ ص ٢٩٧، والمجالس ص ٣١٦ كما في هامشه.
٤٤ ــ البحار ج ٩٣ / ط ج / ص ٢٤٨ والبحار ج ٩٣ / ط ج / ص ٢٤٩ ــ ٢٥١ وفي الخصال ج ١ ص ٢٤ كما في حاشية البحار.
٤٥ ــ الكافي ج ٤ ص ٦٤ والوسائل ج ٧ ص ٢٩٠ ونحوه ماأرسله الصدوق(ره) عن المعصوم (ع) الوسائل ج ٧ ص ٢٩٢ وأسند نحوه في ثواب الأعمال كما في الوسائل ج ٧ ص ٢٩٤. وفي ثواب الأعمال ص ٢٨ كما في هامشه. ونحوه عن ابن عباس عن النبي (ص) الوسائل ج ٧ ص ٢٩٤ وفي الخصال ج ١ ص ٢٤ كما في هامش الرسائل.
٤٦ ــ الفقيه ج ٢ ص ٤٥
٤٧ ــ الكافي ج ٤ ص ٦٢، الوسائل ج ٧ ص ٢٨٩. وفي حديث آخر عن أبي عبدالله (ع) نحوه. الوسائل ج ٧ ص ٢٩٠، وكذا نحوه في حديث مسند عن الصادق عن النبي (ص) الوسائل ج ٧ ص ٢٩٢، ونحوه عن ابن عباس عن النبي (ص) الوسائل ج ٧ ص ٢٩٤، والخصال ج ١ ص ٢٤ كما في هامشه، ونحوه عن أنس ج ٧ ص ٢٩٥، ومعاني الأخبار ص ١١٦ كما في هامشه.
٤٨ ــ الكافي ج ٤ ص ٦٢.
٤٩ ــ نفس المصدر (٤٧).
٥٠ ــ البحار ج ٩٣ / ط ج / ص ٢٥١ ومعاني الاخبار ص ٤٠٨ كما في حاشية البحار، والبحار أيضاً ص ٢٥٩.
٥١ ــ الفقيه ج ٢ ص ٤٤.
٥٢ ــ الكافي ج ٤ ص ٦٣، الوسائل ج ٧ ص ٢٩٠، ونحوه عن أبي جعفر عن النبي (ص) بتعبير (به) مكان عليه، ونحوه عن ابن عباس عن النبي (ص). الوسائل ج ٧ ص٢٩٤ والخصال ج ١ ص ٢٤ كما في هامشه.

٥٣ ــ البحار ج ٩٣ / ط ج / ص ٢٤٩، والبحار أيضاً ص ٢٥٦

٥٤ ــ البيهقي ج ٤ ص ٢٣٥، وروى البيهقي نحو هذا الحديث بأسانيد مختلفة ج ٤ ص ٢٧٣

٥٥ ــ مصنف عبد الرزاق ج ٤ ص ٣٠٦. وليس فيه (للصائم فرحتان وفي الباقي تقدم وتأخير واختلاف في اللفظ فقط).

٥٦ ــ النسائي ج ٤ ص ١٦١ و ١٦٢ وليس في الأول تعليل الصوم لي، ولا فيه الصوم جنة والثاني فيه زيادة في أوله.

٥٧ ــ النسائي ج ٤ ص ١٦٢ وليس فيها التعليل ولا الصوم جنه

٥٨ ــ الدارمي ج ٢ ص ٢٤.

٥٩ ــ البيهقي ج ٤ ص ٢٧٠.

٦٠ ــ مسلم ج ٣ ص ١٥٧.

٦١ ــ ابن ماجة ج ١ ص ٥٢٥.

٦٢ ــ النسائي ج ٤ ص ١٦٧.

٦٣ ــ الدارمي ج ٢ ص ١٥

٦٤ ــ البيهقي ج ٤ ص ٣٠٤، ونحوه ما رواه البيهقي بسنده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي (ص). نفس المصدر وكذا ما رواه عن أبي صالح عن أبي هريرة نحوه. نفس المصدر وموطأ مالك ج ١ ص ٢٨٧

٦٥ ــ والترمذي ج ٣ ص ١٣٦.

٦٦ ــ مسلم ج ٣ ص ١٥٨ واختلافه أنه فيه زيادة واختلاف في التقديم والتأخير فقط

٦٧ ــ مصنف عبد الرزاق ج ٤ ص ٣٠٦ وفي الباقي اختلاف في الألفاظ والتقديم والتأخير

٦٨ ــ البخاري ج ٣ ص ٣٠

٦٩ ــ منحة المعبود ج ٢ ص ١٨٢ وفيه (كل العمل كفارة إلا الصوم)

٧٠ ــ الدارمي ج ٢ ص ٢٥

٧١ ــ الوسائل ج ٧ ص ٢٩٥ ومعاني الاخبار ص ١١٦ كما في الهامش.

٧٢ ــ والبحار ج ٩٣/ ط ج / ص ٢٥٢ والبحار أيضاً ص ٢٥٦

٧٣ ــ البيهقي ج ٤ ص ٣٠٥ ونحوه ما رواه البيهقي عن الشيخ الصالح الدامي عن محمد بن يعقوب عن محمد بن عبد الوهاب عن خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن ابو حازم عن سهل عن النبي (ص) نحوه و بزيادة

٧٤ ــ الترمذي ج ٣ ص ١٣٧.

٧٥ ــ مسلم ج ٣ ص ١٥٨

٧٦ ــ البخاري ج ٣ ص ٣٠.

٧٧ ــ ابن ماجة ج ١ ص ٥٢٥.

٧٨ ــ النسائي ج ٤ ص ١٦٨.

٧٩ ــ النسائي ج ٤ ص ١٦٨.

٨٠ ــ نقله في منحة المعبود ج ١ ص ١٨٢ وقال أنه في مسند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣.

٨١ ــ البحار ج ٩٣ / ط ج / ص ٢٥٦ وص ٢٥٥.

٨٢ ــ ابن ماجة ج ١ ص ٥٥٧.

٨٣ ــ المستدرك ج ١ ص ٤٢٢

٨٤ ــ منحة المعبود ج ١ ص ١٨٥.

٨٥ ــ كشف الأستار ج ١ ص ٤٥٨.

٨٦ ــ ابن ماجة ج ١ ص ٥٥٧.

٨٧ ــ الكافي ج ٤ ص ٦٢ و ٦٣.

٨٨ ـ الوسائل ج ٧ ص ٢٩٠.
٨٩ ـ الوسائل ج ٧ ص ٢٩٧.
٩٠ ـ نهج البلاغة ج ٤ ص ٣٤.
٩١ ـ البحار ج ٩٣/ ط ج / ص ٢٤٦ و ٢٥٥ وفي الأخير الأجساد بدل الأبدان.
٩٢ ـ البحار ج ٩٣ ص ٢٥٤ و ٢٥٧.
٩٣ ـ ابن ماجة ج ١ ص ٥٥٥.
٩٤ ـ البحار ج ٩٣ الطبعة الجديدة ص ٣١٢.
٩٥ ـ قرب الاسناد ص ٣٦ وفيه (المحتسب) بدل (المسحر).
٩٦ ـ البيهقي ج ٤ ص ٣٠٦.
٩٧ ـ ابن ماجة ج ١ ص ٥٦١.
٩٨ ـ المستدرك ج ١ ص ٤٢٢.
٩٩ ـ الكافي ج ٤ ص ٦٨.
١٠٠ ـ الفقيه ج ٢ ص ٦٠.
١٠١ ـ ابن ماجة ج ١ ص ٥٢٦.
١٠٢ ـ مجمع الزوائد ج ٣ ص ١٤٣ وليس فيه (وذلك في كل ليلة) ونقله عن ابي سعيد ومجمع الزوائد ج ٣ ص ١٥٦.
١٠٣ ـ كشف الأستار ج ١ ص ٤٥٨.
١٠٤ ـ الوسائل ج ٧ ص ٢٣٢، الكافي ج ٤ ص ٦٩ وليس فيه (جعله الله مثلاً) بل (جعله مثلاً) كما أنه ليس فيه كلمة (ووعيداً) في آخره.
١٠٥ ـ البحار ج ٩٣/ ط ج / ص ٣٧٦ وليس فيه (ووعيداً) في آخره.
١٠٦ ـ الجعفريات ص ٣٩.
١٠٧ ـ البيهقي ج ٤ ص ٢٠١.
١٠٨ ـ الوسائل ج ٧ ص ١٧٧ ومثله حديث آخر ص ١٧٨.
١٠٩ ـ البحار ج ٩٣/ ط ج / ص ٢٦٨.
١١٠ ـ البيهقي ج ٤ ص ٢٠١.
١١١ ـ البخاري ج ٣ ص ٢٩ وفي آخره (أودخل الجنة ابن صدق) ولايوجد قسم.
١١٢ ـ النسائي بشرح السيوطي ج ٤ ص ١٢٠.

على هامش:
المؤتمر العالمي للإمام الرضا (ع)

عقد في مدينة مشهد المقدسة بمحافظة خراسان في الفترة (١١ ــ ١٥ ذي القعدة ١٤٠٤ هـ)مؤتمر الإمام الرضا (ع) إذ تناول شخصية الإمام (ع) وسيرته وأخلاقه والحركات الثقافية السياسية في عهد الأئمة المعصومين (ع) ضد الكفر والظلم.

وبدأ المؤتمر أعماله بكلمة لحجة الإسلام والمسلمين السيد علي الخامنئي رئيس الجمهورية الإسلامية في ايران. وقد حضر الجلسة الإفتتاحية حجة الإسلام هاشمي الرفسنجاني رئيس مجلس الشورى الإسلامي، وأكثر من (٣٠٠) من الشخصيات المحلية والأجنبية، وفقهاء مجلس صيانة الدستور، ووزراء: الثقافة والتعليم العالي، التربية والتعليم، والبريد والبرق، والصحة، والزراعة، والطاقة، وأعضاء لجنة الثورة الثقافية، وجمع من أئمة الجمعة في محافظات البلاد، وعدد من ممثلي مجلس الشورى الإسلامي، وأعضاء مجلس القضاء الأعلى، وجمع آخر من مسؤولي البلاد.

ورحّب حجة الإسلام واعظ الطبسي ممثل الإمام القائد وسادن الروضة الرضوية بالمشاركين في المؤتمر، شارحاً الهدف من إقامة مؤتمر الإمام الرضا (ع) ومشيراً الى الخدمات الثقافية التي تقدمها الروضة الرضوية منذ انتصار الثورة الإسلامية، قائلاً: لقد تمكّنا خلال السنوات الخمس الماضية، إضافة الى إنشاء جامعة العلوم الإسلامية، من المباشرة بطبع معجم بحار الأنوار. وأضاف بأنّ محافظة خراسان تعتبر محوراً ثقافياً غنياً بالعلوم الإسلامية.

كلمة رئيس الجمهورية:

وقد ألقى وزير التربية والتعليم كلمة رئيس الجمهورية حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الخامنئي الى المشاركين في مؤتمر الإمام الرضا (ع) العالمي. وجاء في الكلمة:

إنّ انعقاد مؤتمر الإمام الرضا العالمي والذي يتناول مسيرة حياته (ع) بصورة علمية وفي جوار مرقده الشريف وتزامناً مع ذكرى ميلاده السعيد، يعتبر خطوة جديدة نحو بيان شخصية الأئمة المعصومين عليهم السلام والتعرف على مسيرة حياتهم، ويجب أنْ نعترف بأنّ سيرة حياة

الأئمة (ع) وجهادهم والمصاعب التي تحملوها خافية حتى على شيعتهم. وان حياتهم السياسية التي ضمت قرنين ونصف قرن من أحسن وأهم فترة في تاريخ الإسلام، قد واجهت تعتيماً غير سليم من أكثر المحققين والباحثين والكتاب.

وأضاف سماحة الخامنئي في كلمته بأن من أهم ما أُسدل الستار عليه في حياة الأئمة الأطهار (ع) كفاحهم منذ بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري، حيث أخذت الخلافة الإسلامية طابع الملكية أو الإمبراطورية وتبدلت إمامة المسلمين الى حكومة الجبابرة أو الملوك، ولذلك صعّد أئمة أهل البيت (ع) كفاحهم بصور وسبل شتى، وكان الهدف من كفاحهم هو إقامة نظام إسلامي وحكومة قائمة على أساس الإمامة. ومن الأهداف الأخرى لجهاد أهل البيت هو بيان الدين كما وصلهم عن جدهم الرسول (ص) و إزالة التحريف والمعرفة المحرّفة المشوّهة عن المعارف والأحكام الإسلامية.

وأضاف رئيس الجمهورية مستطرداً في حديثه قائلاً.. في جو الكبت والقمع الذي يصفه أحد أتباع الإمام الرضا بأنه «كان يقطر فيه الدم من سيف هارون» في ذلك الجو استطاع الإمام أن يحفظ مدرسة أهل البيت (ع) من الضياع والزوال.

ثم شرع سماحته في كلمته التفصيلية بالتحدث عن حياة الإمام الرضا (ع) في عهدي خلافة هارون الرشيد والمأمون، والحوادث التي وقعت في تلك الفترة، وسياسة الإمام الرضا الحكيمة في التعامل مع السلطة القائمة آنذاك، وتفوقه على خصومه الذين كانوا يحوكون له الدسائس، ودفاعه عن الآراء الاسلامية الأصيلة بالدليل والحجة الدامغة وافحامه الخصوم.

وفي ختام كلمته أعرب حجة الإسلام الخامنئي عن أمله في أن يقوم الباحثون والمحققون والعلماء بالبحث والتدقيق والتمحيص في تاريخ القرون الأولى من الإسلام لإلقاء ضوء أكثر على سيرة وحياة الأئمة (ع) وأن يقوموا بمناسبة افتتاح الجامعة الإسلامية الرضوية وذكرى ميلاد الإمام الرضا (ع) بتخصيص بعض نشاطاتهم في مجال تعريف وفهم هذا التاريخ وشرح التاريخ السياسي لحياة الأئمة (ع) لجيل اليوم والأجيال القادمة آخذين بنظر الاعتبار عنصر الكفاح كمحور رئيسي لهذا التاريخ وذلك عن طريق عمل جماعي وشامل.

كلمة رئيس مجلس الشورى:

كما ألقى السيد هاشمي الرفسنجاني رئيس مجلس الشورى الإسلامي كلمة بيّن فيها مساعي الأئمة الأطهار عليهم السلام ورواد العا الإسلامي لإقامة الحكومة الإسلامية بتحـ كافة الطاقات والإمكانات في هذا السبيل وأعاد الى الأذهان المتناقضات التاريخية للإستكبار منذ زمن الأئمة المعصومين وحتى عصـ الحاضر.

وضمن سرده لسيرة الأئمة الأطهار عليـ السلام، أضاف السيد هاشمي الرفسنجاني يقول: بعدما أنعم الله سبحانه وتعالى علينا بـ النعمة، وأصبحت الحكومة وفي الوقت المناسـ

ولاية الفقيه ووحدت محورها الاساس. وإن
ب يفرض علينا جميعاً بأنْ نتّحد اجراءات
سية جداً من أجل تاريخ الإسلام وعزته
خره.
ثم أكد على هلع الشرق والغرب من الثورة
لامية، وقال مشيراً الى أنّ أبعاد الثورة
لامية المضادة للإستكبار: لقد فضحت
اقضات الشرق والغرب أكثر فأكثر، وإن
ابن الذي أوجده لها التاريخ قد كبل أيديهما
ه لها الصفعة القوية مما اضطرهما الى صفق
س قليلاً لكنهما لم يخفيا غضبهما وتذمرهما مما
في صدد إضعافها، الأمر الذي يدفعهما للقيام
ال صبيانية، فمثلاً قضية تلغيم قناة السويس
حر الأحمر حيث يتجسد تناقضهما فيها حين
سبان ذلك الى الجمهورية الاسلامية في ايران
طيها الأبهة من جهة ويطلقان عليها اسم
مابية من جهة أخرى فكل تحركاتهما تستهدف
اف الجمهورية الإسلامية والنيل منها.

وقال رئيس مجلس الشورى الإسلامي: انني
ح أولئك الذين يسيرون في ركب أميركا
وس للإساءة الى هذه الحكومة الإسلامية
يعودوا الى رشدهم ويدخروا طاقاتهم
كاناتهم لدعم هذه الحركة ومساندتها.

ن المؤتمر:

وقد ترأس المؤتمر آية الله أحمد جنتي عضو
هاء مجلس صيانة الدستور الذي قال في كلمة
إننا بصفتنا أبناء الثورة يجب أن نقوم
جباتنا في البحث والتحقيق حول الثقافة
الإسلامية.

ومضى آية الله جنتي الى القول: إنّ جهودنا في الماضي كانت منصبّة في التحقيق والبحث حول المسائل الفقهية والعرفية والبحوث الأصولية، وعلينا الآن أنْ نقوم بعدد البحوث العلمية بالثقافة الإسلامية العينية وأصول العقائد. كما يجب شرح أصول العقائد لطلاب العلم.

وأضاف آية الله جنتي قائلاً: يجب أنْ تعبّأ الإمكانات والطاقات العلمية الإسلامية لحل المسائل الأساسية والعقائدية. وبنا نتوقع من المؤتمر البحث والتحقيق الجاد حول الإمام الرضا (ع).

ثم تناول سماحته بالتفصيل شخصية الإمام الرضا وأخلاقه وسيرة حياته.

المحاضرون:

وهنا نرى من الضرورة بمكان الإشارة الى جوانب من محاضرات بعض الشخصيات المحلية والأجنبية. فالسيد محمد حسن الأمين الذي يعد من الشخصيات الدينية والإجتماعية لمنطقة جبل عامل اللبنانية، تطرق بالتفصيل الى مؤامرات اسرائيل في جنوب لبنان ونضالات سكان هذه المنطقة. وقال: انني أحمل تحيات جبل عامل، وان معركتنا هي جانب من معركة الإسلام الكبرى التي بدأت من هنا، من الأرض الايرانية.

ودعا السيد الأمين الى المزيد من التضامن والتعاضد بين المسلمين لمواجهة الإستكبار العالمي، وقال: إنّ الجمهورية الإسلامية في ايران

ئمة (ع) وجهادهم والمصاعب التي تحملوها فية حتى على شيعتهم. وان حياتهم السياسية ضمن قرنين ونصف قرن من أحسن وأهم رة في تاريخ الإسلام، قد واجهت تمويهاً غير م من أكثر المحققين والباحثين والكتاب.

وأضاف سماحة الخامنئي في كلمته بأنّ من م ما أُسدل الستار عليه في حياة الأئمة طهار (ع) كفاحهم منذ بداية النصف الثاني ن القرن الأول الهجري، حيث أحدث الخلافة سلامية طابع الملكية أو الإمبراطورية وتبدلت امة المسلمين الى حكومة الجبابرة أو الملوك، ذلك صعّد أئمة أهل البيت (ع) كفاحهم بصور ل شيء، وكان الهدف من كفاحهم هو إقامة ظام إسلامي وحكومة قائمة على أساس الإمامة. ن الأهداف الأخرى لجهاد أهل البيت هو بيان دين كما وصلهم عن جدهم الرسول (ص) إزالة التحريف والمعرفة المحرَّفة المشوَّهة عن معارف والأحكام الإسلامية.

وأضاف رئيس الجمهورية مستطرداً في حديثه قائلاً.. في جو الكبت والقمع الذي يصفه حد أتباع الإمام الرضا بأنه «كان يقطر فيه الدم ن سيف هارون» في ذلك الجو استطاع الإمام ن يحفظ مدرسة أهل البيت (ع) من الضياع الزوال.

ثم شرع سماحته في كلمته التفصيلية بالتحدث عن حياة الإمام الرضا (ع) في عهدي خلافة هارون الرشيد والمأمون، والحوادث التي وقعت في تلك الفترة، وسياسة الإمام الرضا الحكيمة في التعامل مع السلطة القائمة آنذاك، وتفوقه على خصومه الذين كانوا يحوكون له الدسائس، ودفاعه عن الآراء الاسلامية الأصيلة بالدليل والحجة الدامغة وافحامه الخصوم.

وفي ختام كلمته أعرب حجة الإسلام الخامنئي عن أمله في أن يقوم الباحثون والمحققون والعلماء بالبحث والتدقيق والفحص في تاريخ القرون الأولى من الإسلام لإلقاء ضوء أكثر على سيرة وحياة الأئمة (ع) وأن يقوموا بمناسبة افتتاح الجامعة الإسلامية الرضوية وذكرى ميلاد الإمام الرضا (ع) بتخصيص بعض نشاطاتها في مجال تعريف وفهم هذا التاريخ وشرح التاريخ السياسي لحياة الأئمة (ع) لجيل اليوم والأجيال القادمة آخذين بنظر الاعتبار عنصر الكفاح كمحور رئيسي لهذا التاريخ وذلك عن طريق عمل جماعي وشامل.

كلمة رئيس مجلس الشورى:

كما ألقى السيد هاشمي الرفسنجاني رئيس مجلس الشورى الإسلامي كلمة بيّن فيها مساعي الأئمة الأطهار عليهم السلام ورواد العالم الإسلامي لإقامة الحكومة الإسلامية بتحشيد كافة الطاقات والإمكانات في هذا السبيل، وأعاد الى الأذهان التناقضات التاريخية للإستكبار منذ زمن الأئمة المعصومين وحتى عصرنا الحاضر.

وضمن سرده لسيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام، أضاف السيد هاشمي الرفسنجاني يقول: بعدما أنعم الله سبحانه وتعالى علينا بهذه النعمة، وأصبحت الحكومة وفي الوقت المناسب

سيد ولاية الفقيه ووحدت محورها الأساس. وإنّ الواجب يفرض علينا جميعاً بأنْ نتخذ اجراءات أساسية جداً من أجل تاريخ الإسلام وعزته ومفاخره.

ثم أكد على هلع الشرق والغرب من الثورة الإسلامية، وقال مشيراً الى أنَّ أبعاد الثورة الإسلامية المضادة للإستكبار: لقد فضحت متناقضات الشرق والغرب أكثر فأكثر، وان التباين الذي أوجده لهما التاريخ قد كشف أيديهما ووجه لهما الصفعة القوية مما اضطرهما الى ضبط النفس قليلاً لكنهما لم يخفيا غضبهما وتذمرهما منا وهما في صدد إضعافنا، الأمر الذي يدفعهما للقيام بأعمال صبيانية، فمثلاً قضية تلغيم قناة السويس والبحر الأحمر حيث يتجسد تناقضهما فيها حين ينسبان ذلك الى الجمهورية الاسلامية في ايران ويعطيانها الأبهة من جهة ويطلقان عليها اسم الإرهابية من جهة أخرى فكل تحركاتهما تستهدف اضعاف الجمهورية الإسلامية والنيل منها.

وقال رئيس مجلس الشورى الإسلامي: انني أنصح أولئك الذين يسيرون في ركب أميركا والروس للإساءة الى هذه الحكومة الإسلامية بأنْ يعودوا الى رشدهم ويدخروا طاقاتهم واماكاناتهم لدعم هذه الحركة ومساندتها.

رئيس المؤتمر:

وقد ترأس المؤتمر آية الله أحمد جنتي عضو فقهاء مجلس صيانة الدستور الذي قال في كلمة له: إننا بصفتنا أبناء الثورة يجب أن نقوم بواجباتنا في البحث والتحقيق حول الثقافة الإسلامية.

ومضى آية الله جنتي الى القول: إنّ جهودنا في الماضي كانت منصبّة في التحقيق والبحث حول المسائل الفقهية والفردية والبحوث الأصولية، وعلينا الآن أنْ نقوم بإعطاء الخطوات العلمية بالثقافة الإسلامية العلمية وأصول العقائد، كما يجب شرح أصول العقائد لطلاب العلم.

وأضاف آية الله جنتي قائلاً: يجب أنْ تعدّ الإمكانات والفعاليات العلمية الإسلامية لحفظ المسائل الأساسية والعقائدية، ونحن نتوقع من المؤتمر البحث والتحقيق الجاد حول الإمام الرضا (ع).

ثم تناول سماحته بالتفصيل شخصية الإمام الرضا وأخلاقه وسيرة حياته.

المحاضرون:

وهنا نرى من الضرورة بمكان الإشارة الى جوانب من محاضرات بعض الشخصيات المحلية والأجنبية. فالسيد محمد حسن الأمين الذي يعد من الشخصيات الدينية والإجتماعية لمنطقة جبل عامل اللبنانية، تطرق بالتفصيل الى مؤامرات اسرائيل في جنوب لبنان وبطولات سكان هذه المنطقة. وقال: انني أحمل تحيات جبل عامل، وان معركتنا هي جزء من معركة الإسلام الكبرى التي بدأت من هنا، من الأرض الايرانية.

ودعا السيد الأمين الى المزيد من التضامن والتعاضد بين المسلمين لمواجهة الإستكبار العالمي، وقال: إنّ الجمهورية الإسلامية في ايران

تعتبر المرتكز والمنطلق لجميع حركات التحرر العالمية.

والضيف الآخر الذي تحدث في المؤتمر كان حجة الإسلام السيد جعفر مرتضى الذي تناول في كلمته النهضات الثقافية والإنتفاضات السياسية واتساعها في عهد الأئمة المعصومين ومواقف الأئمة ازاء هذه الحركات.

و بعد أنْ استعرض الأحداث السياسية والإجتماعية والثقافية بعد عهد الرسول الأكرم (ص) عدَّد النهضات الإسلامية في عهد كل من الخلفاء والأئمة المعصومين (ع) والقيود التي كانت تفرضها الحكومات آنذاك للحيلولة دون نشر تعاليم الأئمة عليهم السلام من قبل أصحابهم من علماء الدين المسلمين.

كما تطرق الى جوانب من الحياة السياسية والإجتماعية للإمام الرضا (ع) الزاخرة بالعطاء والتي كانت لها ميّزات خاصة نظراً لسياسات المأمون المتلونة وأجهزته الحكومية العظيمة، شارحاً آثار النهج السياسي الفريد للإمام الرضا في الحفاظ على ديمومة خط الإمامة.

أما حجة الإسلام فلسفي فقد شرح في كلمته أهداف رسالة أنبياء الله (ع) مستنداً الى الآيات القرآنية، وقال: إنَّ الهدف من نهوض الأنبياء هو إقامة القسط والعدل، وهنا يطرح السؤال التالي نفسه: هل ان الناس لا يتمكّنون من إقامة القسط والعدل ليتولى الأنبياء هذه المهمة و يقوموا بتربيتهم؟

الجواب: نعم، إذ انَّ الإنسان غير قادر على إقامة القسط، لأنّه عرضة للأهواء النفسانية والشهوات. ثم ان البشر لايمكن مطلقاً أنْ يدرك العدل في جميع الموارد والحالات. ا... يكون قادراً و بالإستفادة من قوة العقل أنْ يدر... بعض العدل، إلاّ أنه لايستطيع ذلك في ... موضع ومكان، وان الإنسان اليوم ونظراً للّ... من الشواهد لايمكنه إقامة العدل والقسط.

لنأخذ أميركا مثلاً ولنلاحظ ان ... الحاكمين أسود من حيث أسلوب معاملتهم للبيض جهة، ولسائر الملونين من جهة أخرى، وهذا د... واضح على عدم استطاعتهم إقامة العدل واله... ولو في جانب يسير، وان الحرية المطلقة هي على فئة من البيض دون غيرها.

لذلك نرى ان الملايين من السود ي... الويلات على أيدي البيض، وتنتهك حر... دونما رحمة، ويدّعي هؤلاء في ذات الوقـ... يفهمون معنى العدل والحرية.

أما رسالة الأنبياء فانها تدحض الرأسمالي والآيديولوجية الإشتراكية معاً، واقعاً جديداً، وطبقاً لما جاء في القرآ... فإنَّ الأنبياء والرسل قد جاءوا كي يعد... الناس بشكل جيث ينهضوا بنفـ... العدل، لا أنْ يزعموا تحت وطأة الـ... لمراعاة العدل.

بعد ذلك أشار الى حركات ملهـ... تامن الأئمة الأطهار نحو رعاية المصـ... الإسلامية و إزالة الروابط غير السليـ... محاصرته بالدعاء وطول العمر لإمام الثاني لجد الإسلام.

كما تحدّث في جلسة المؤتمر ا...

إمام الرضا عليه السلام آية الله جوادي الآملي
ول معرفة الوجود، وقال: ــ إذا أراد الإنسان
رفة العالم والكون لكي يعرف نفسه، فإنّ ذلك
س ميسوراً، وان أفضل سبيل للتفكير هو معرفة
فس.

وبالإرتباط مع هذا الموضوع، أشار سماحته
، المكانة العلمية البارزة للإمام الرضا (ع) في
نازله لبعض علماء الإلحاد في ذلك العصر،
ارحاً أصول ومبادئ أبحاث الإمام الثامن (ع)
تطرق آية الله جوادي الآملي الى استمرار خط
ولاية، وصلة ذلك بالثورة الإسلامية، وقال
بدأ آثار هذه الثورة من خلال إشارته الى رسالة
إمام علي (ع) الى مالك الأشتر: إذا كان
إنسان على معرفة بالماضي، فانه سيدرك الآن
، الذين قد تحرر. لقد كان القرآن في الماضي
سيراً في مخالب الطاغوت، وان الثورة الإسلامية
مضى بلطف الله وعنايته قدماً، وعلينا أنْ ندرك
نفسنا ونفهمها أكثر فأكثر.

هذا ولم يخلُ المؤتمر من القصائد الشعرية
الرائعة في وصف الإمام الرضا (ع)، حيث ألقى
بعض الشعراء من حملتهم جحة الإسلام بهجتي
بعو الشاعر المعاصر قصائد تضمنت وصفاً لسجايا
ثامن الأئمة الأطهار وصفاته السامية ورسالة جد
الإسلام وتضحياتهم وعزم الثورة الإسلامية
لمضي قُدماً رغم جميع المؤامرات والدسائس التي
دبرها القوى الشيطانية والإستكبارية..

على انه كان هناك الكثير من المحاضرين
الآخرين الذين أتحفوا المؤتمر بمقالاتهم.

إختتام المؤتمر:

إختتم المؤتمر أعماله عصر يوم الأثنين الموافق ١٥ ذي القعدة بعد أنْ استغرق خمسة أيام. وكانت الجلسة النهائية قد أُفتتحت بتلاوة معطرة من القرآن الكريم، ثم أنشدت فرقة مكتب الحزب الجمهوري الإسلامي فرع مشهد نشيد «حرباً حرباً حتى النصر» بعد ذلك ألقى الشاعر المعاصر محمد علي مرداني قصيدة في وصف الشخصية الفذة لثامن الأئمة الأطهار الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ــ والقيادة الحكيمة للإمام الخميني قائد الثورة الإسلامية والأهداف المقدسة لشهداء الإسلام الأبرار.

ثم ألقى بعض السادة المشاركين في المؤتمر كلمات تناولوا فيها بدورهم حياة الإمام الرضا (ع) بشكل خاص، والأئمة المعصومين بشكل عام، معربين عن أملهم في الإهتمام بمثل هذه المؤتمرات وإقامتها متى ما سنحت الفرصة وذلك لفائدتها العظيمة في مجال توعية المسلمين.

وقد تضمن البيان الختامي للمؤتمر ستة قرارات، أكدت على ضرورة إقامة مثل هذه المؤتمرات، وعدم التقاعس في هذا المجال، واطلاع العالم على حياة القادة الإلهيين لكي يعي المظلومون والمستضعفون الطريق الذي يجب أن يسيروا فيه.

ودعا البيان الى تأليف معجم عن حياة الإمام الرضا (ع) بالإستعانة بمختلف المصادر الموجودة في مكتبات العالم.

وأكد المشاركون في المؤتمر في بيانهم الختامي على ضرورة مواصلة الحرب ضد النظام البعثي القائم في العراق ●

الموقف السياسي

للإمام الرضا ع

نقدم فيما يلي كلمة حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الخامنئي رئيس الجمهورية الإسلامية في ايران التي ألقاها في المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام الذي عقد في مدينة مشهد المقدسة خلال النصف الثاني من شهر ذي القعدة الماضي.

إنَّ إقامة المؤتمر العلمي عن حياة ثامن الأئمة (ع) بجوار مرقده الشريف، وترامناً مع ذكرى ميلاده السعيد، يعتبر خطوة جديدة لرسم معالم شخصية الأئمة المعصومين (عليهم السلام) والتعرف على الحياة المفعمة بالحماس والمسعاب لهؤلاء القادة العظام. ويجب أنْ نعترف هنا بأنَّ حياة الأئمة (ع) لم تعرف بالشكل المطلوب. كما أنَّ مسرلهم الجهادية المليئة بالمحن والمصاعب ظلَّت مجهولة حتى على أبناعهم. ورغم تأليف آلاف الكتب الصغيرة والكبيرة، القديمة منها والجديدة، حول حياة الأئمة (ع) إلاَّ أنَّ الإبهام مازال يسود القسم الأعظم من حياة هؤلاء الأبرار، هذا إضافة الى أنَّ الحياة السياسية لأبرز شخصيات آل البيت (ع) والتي تشمل قرنين ونيفاً من أخطر وأدق مراحل تاريخ الإسلام، قد واجهت التحريف والإهمال والتجاهل والعداء من قبل الكثير من المحققين والكتاب والمؤلفين. ولذا فاننا نفتقر الى تاريخ مدون ودقيق حول حياة هؤلاء القادة العظام المشحونة بالحوادث والملاحم.

إنَّ حياة ثامن الأئمة (ع) والتي تشمل مايقارب عشرين عاماً من تلك المرحلة المصيرية تُعدُّ من أهم وأبرز فترات المرحلة المذكورة، مما يتطلب التأمل فيها واجراء التحقيقات حولها.

وأهم بُعد لم يلتفت اليه بشكل جدي في حياة الأئمة (ع) هو عنصر «النضال السياسي الحاد». فمنذ بدء النصف الثاني من القرن الهجري الأول، والذي استرجعت فيه الخلافة الإسلامية ــ علانية ــ بالأحابيل الطاغوتية، وبدأت الإمامة الإسلامية تواجه سلطة طاغوتية ظالمة. بدأ أئمة أهل البيت (ع) بتعميق نضالهم السياسي وفق أسلوب يتناسب مع الأوضاع والظروف. وكان أهم هدف لهذا النضال، هو إقامة النظام الإسلامي وتأسيس حكومة على أساس الإمامة.

ومما لاشك فيه ان تبيين وتفسير الدين على ضوء رأي أهل البيت (ع) وإزالة التحريف عن الحدود

لامية وأحكامها، كانا يدورها هدفاً مهماً
اد أهل البيت. لكن وطبقاً للقرائن والشواهد
مية، فإنّ جهاد أهل البيت لم يقتصر على هذه
داف، إذ أنّ أكبر هدف له كان يتمثل بتشكيل
ومة علوية وإقامة نظام إسلامي عادل. ولهذا
ب تحمّل الأئمة وأنصارهم. الكثير من الآلام في
ابهم المرة والجهادية، ولقد بدأ الأئمة (ع) بعد عهد
ام السجاد (ع) وبعد واقعة عاشوراء بالعمل
الأرضية المناسبة لهذا الهدف العظيم.

وخلال المرحلة التي دامت مائة وأربعين سنة واقعة عاشوراء وولاية ثامن الأئمة (ع) فإن التيار ن كان يسير في ركب أئمة أهل البيت، كان يعتبر لى الدوام من أكبر أعداء أجهزة الخلافة دّها خطورة. وفي تلك المدة توفّرت الظروف اسبة لمرات عديدة، واقتربت نضالات مدرسة ل البيت (ع) التي يلزم تسميتها بـ «النهضة علوية» من الانتصارات الكبيرة، لكن وفي كل ة كانت تظهر موانع جديدة في طريق النصر هائي، وكانت أكبر الضربات توجه عادةً والمركز الرئيس لهذه النهضة، أي شخص الإمام كل زمان، فيعمل على زجه في السجن أو سقاطه شهيداً، وعندما كان يصل الدور للإمام آخر كان الظلم والاضطهاد يصلان الى حدٍ تحتاج ه عملية إعداد الأرضية الى فترة أطول.

لقد تخطى الأئمة (ع) العواصف الشديدة لمراحل الصعبة والشاقة بذكاء وصبر وبسالة، ولم يستطع الخلفاء الامويون والعباسيون في أي مقطع زماني يقضوا على الإمامة بقضائهم على الإمام. وبقي هذا السيف البتار يجري في كيان جهاز الخلافة، ويسلب راحته على الدوام. وعندما استشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام نتيجة سقيه السم بعد أن قضى سنين طويلة في سجون هارون الرشيد، سادت الدكتاتورية جميع أنحاء المنطقة التي كان يحكمها العباسيون. وفي ذلك الجو من الكبت والقمع الذي وصفه أحد أنصار الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بأنه: «كان يقطر فيه الدم من سيف هارون» في ذلك الجو استطاع الإمام بعصمته وعظيم فطنته وحكمته أن يصون مدرسة أهل البيت من الأخطار التي كانت تحدق بها، ويمنع من تشتت أصحابه أو شعورهم باليأس والإضطراب، كما استطاع باللجوء الى أسلوب «التقية» أن يحافظ على حياته التي كانت في الحقيقة محور أتباعه. ويواصل نضاله في عهد أكبر الخلفاء العباسيين قوة وفي مرحلة استقرار وثبات حكومة ذلك النظام.

ولا ينبغي هنا أن نذكر بأن التاريخ لم يستطع أن يجسد لنا بوضوح مرحلة السنوات العشر من حياة ثامن الأئمة في زمان هارون وبعده، أي خلال السنوات الخمس من الحرب الداخلية بين خراسان وبغداد، ومع ذلك يمكن من خلال التدبر أن نفهم بأنّ ثامن الأئمة كان في تلك المرحلة يواصل نفس النضال الذي بدأه أهل البيت (ع) بعد واقعة عاشوراء، دون أي تمايز من حيث الهدف وجهة النضال.

وبعد أن فرغ المأمون في عام ١٩٨ من حربه مع الأمين، وسيطر على السلطة، أقدم قبل أي شيء على ضرب العلويين ونضالات أتباع مدرسة أهل

لبيت. وقد أخذ بنظر الاعتبار تجارب جميع أسلافه، التجارب التي حشّدت حركة تلك النهضة وعمقها وسعتها من جهة أُخرى. لقد أدرك المأمون أن الظلم الهاروني رغم سم الإمام لم يستطع ــ مطلقاً ــ أن يمنع من الإنتفاضات والنضالات السياسية والعسكرية والإعلامية والفكرية لأتباع أهل البيت(ع). ولما لم يكن يتمتع بنفس قوة أبيه وأسلافه من الحكام، وكان يرى في الحروب الداخلية بين بني العباس تهديداً للسلطة العباسية، فانه أحس بضرورة متابعة خطر نهضة العلويين بجدية أكبر. ومن المحتمل أن المأمون كان يفكر بشكل واقعي في تقييمه لخطر أتباع أهل البيت على الحكومة. فخلال ١٥ سنة، أي منذ استشهاد الإمام السابع حتى ذلك اليوم، وخاصة خلال السنوات الخمس من الحرب الداخلية، استطاع تيار أهل البيت أن يعد نفسه الى درجة كان مهيئاً معها لإعلاء راية الحكومة العلوية.

لقد أحس المأمون بهذا الخطر، وقرر التصدي له على الفور، ولذلك وجّه دعوة للإمام الثامن للقدوم الى خراسان من المدينة، وأجبره على قبول ولاية العهد.

وهانحن نرى من الضرورة الإشارة باختصار الى ولاية العهد التي اقترحت على الإمام الرضا عليه السلام.

لقد رأى الإمام(ع) نفسه في تلك الفترة امام تجربة تاريخية عظيمة، وأمام معركة سياسة خفية بحيث ان انتصارها أو فشلها كان قادراً على تغيير مصير أتباع أهل البيت(ع).

في تلك المعركة نزل المأمون الى الساحة بجميع امكانياته. نعم، لقد نزل الى الساحة بأقصى ذكائه وفطنته وتدبيره، بحيث انه لو كان ينتصر و يستطيع أنْ ينفّذ ما خطط له، لكان ــ بلا شك ــ يحقق الهدف الذي لم يستطع أي من الخلفاء الأمويين والعباسيين منذ السنة الأربعين للهجرة، أي منذ استشهاد الإمام علي بن ابي طالب(ع) ان يحققوه، وذلك الهدف كان متمثلاً بالقضاء على جذور مدرسة أهل البيت، وعلى تيار المعارضة الذي كان يشكل على ــ الدوام ــ شوكة في عيون أقطاب الحكومات الطاغوتية.

غير أنّ الإمام الرضا(ع) و بتدبيره الإلهي انتصر على المأمون، وجعله يتراجع في ساحة المعركة السياسية التي أوجدها بنفسه. فلم تضعف مدرسة أهل البيت، وإضافة الى ذلك أصبحت تلك الفترة التي امتدت الى عام(٢٠١)هـ. ق، أي العام الذي تحققت فيه ولاية عهد الإمام(ع) من أكثر الأعوام بركةً في تاريخ مدرسة أهل البيت(ع) حيث نفخت روحاً جديدة في نضالات العلويين. *كل ذلك بفضل التدبير الإلهي لثامن الأئمة وأساليبه الحكيمة التي لجأ اليها في ذلك الإمتحان الكبير.*

ولكي نسلط ضوءاً أكبر على هذه الحادثة المدهشة، نرى من اللازم الإشارة ولو بخلاصة الى الأساليب التي انتهجها كل من المأمون والإمام الرضا(ع) في تلك الحادثة.

لقد كان المأمون يريد من وراء دعوته للإمام الثامن(ع) للمجيء الى خراسان، تحقيق عدة الأهداف، **أولها وأهمها:** *تبديل ساحة [illegible]*

الثوري الشديد الى نشاط سياسي لا ينجم عنه أية أخطار. ومثلما قلنا فانّ أتباع أهل البيت (ع) كانت لهم نضالات متواصلة ومكثفة في ظل «التقية». وهذه النضالات التي كانت مترامية مع ميزتين، لعبتا دوراً كبيراً في ضرب سلطة الخلافة. وتلكما الميزتان تمثلتا بالمظلومية والقدسية.

لقد كان اتباع مدرسة أهل البيت (ع) ومن خلال الإستناد الى هذين العاملين، يوصلون الى قلوب الناس وأذهانهم، تصوراتهم وأفكارهم وآراءهم التي كانت متمثلة بالتفسير وتبيين الإسلام على ضوء آراء أئمة أهل البيت (ع)، و يستعطفون اليهم من كانت في قلبه ولو ذرة واحدة من الإيمان وبهذه الوسيلة بدأت مدرسة أهل البيت تنمو يوماً بعد آخر، وتحتل مكانة مرموقة لها في عالم الإسلام. نعم ان المظلومية والقدسية استطاعتا من خلال التسلح بآراء وافكار مدرسة أهل البيت (ع) ان تقود الإنتفاضات والحركات المسلحة ضد جهاز الخلافة في كل مكان وزمان.

كان المأمون يعتزم سلب هذا الإستتار من هؤلاء المناضلين، وجرّ الإمام من ساحة النضال الثورى الى الساحة السياسية، بغية القضاء على ديمومة حركة مدرسة أهل البيت التي تمخضت عن ذلك الإستتار تتسع بمرور الزمن. ولو كان المأمون قد نجح في خطته، لكان يسلب هؤلاء الميزتين المؤثرتين اللتين أشرنا اليهما، إذْ أنَّ الجماعة التي يكون قائدها من أبرز أفراد الخلافة، وولي عهد ملك مطلق العنان له حق التصرف في أمور البلاد لن يكون لا مظلوماً ولا مقدّساً.

وهذا التدبير كان يستطيع أنْ يضع فكر مدرسة أهل البيت في صف العقائد والأفكار التي كانت رائجة آنذاك وتغييرها الى فكر غير معارض للنظام.

ثانياً: إثبات بطلان إدعاءات أتباع مدرسة أهل البيت (ع) حول كون الخلافتين الأموية والعباسية غير شرعية، وإضفاء صفة الشرعية عليهما. وكان المأمون يسعى بهذه الأحابيل لإثبات أنّ ادعاء الشيعة حول عدم شرعية خلافة المفروضة والذي يُعدُّ من المبادئ العقائدية لمدرسة أهل البيت، لا أساس له من الصحة، و ينشأ من الضعف و الشعور بعقدة الحقارة.

وكان المأمون يريد أن يؤكد للناس بأنه لو كانت خلافة الآخرين غير شرعية وظالمة، فإنّ خلافته هو الآخر يجب أنْ تكون غير شرعية. في الوقت الذي أثبت الإمام علي بن موسى الرضا بانضمامه الى حكومة المأمون، أثبت شرعية تلك الحكومة. وعلى هذا الأساس فان خلافة البقية كانت شرعية، وهذا ما يخالف جميع ادعاءات أتباع مدرسة أهل البيت (ع).

نعم، كان المأمون يريد بهذه الوسيلة أنْ يبادر الامام (ع) للتأكيد على شرعية الحكومات السابقة، و يزول نتيجة لذلك أحد الأركان العقائدية لمدرسة أهل البيت (ع) والمتمثل بالنظر الى الحكومات السابقة على أنها حكومات جائرة وظالمة.

والى جانب ذلك فان ادعاء أتباع مدرسة أهل البيت فيما يخص الزهد والتقوى وعدم اعتناء الأئمة (ع) بالدنيا كان يفقد مفهومه بذلك العمل، و يتم التصور آنذاك بأنَّ الأئمة لا يغضون النظر عن

الدنيا إلاّ حينما لا يستطيعون الوصول اليها، ولكن عندما تفتح أبواب جنة الحياة لهم يسارعون لدخولها مثلما يفعل الآخرون!

ثالثاً: السعي بهذه الوسيلة لتجميد نشاط الإمام(ع) (وهو الذي كان محوراً للمعارضة والنضال) وبالتالي السيطرة على جميع العلويين، مما كان يحقق للمأمون نصراً كبيراً لم يحققه من قبل أي من أمثاله في بني أمية وبني العباس.

رابعاً: فرض الحصار على الإمام الذي كان عنصراً شعبياً وقبلة للآمال ومرجعاً للناس، والتقليل من منزلته الإجتماعية، ووضع الحواجز بينه وبين الناس، بل بينه وبين مشاعر الناس وأحاسيسهم.

خامساً: سعى المأمون بهذه الوسيلة أنْ يكسب له شخصية وسمعة. وكان من الطبيعي في ذلك الزمن أنْ ينظر الناس باحترام الى المأمون باعتباره عيّن أحد آل بيت الرسول الأكرم(ص) وشخصية مقدسة ومعنوية ولياً للعهد، مبعداً إخوته وأبناءه عن هذا الإمتياز، هذا إضافة الى أنّ المتعارف عليه هو ان اقتراب شخصية دينية من أخرى غير دينية يقلل من شأن تلك الشخصية الدينية، فيما يزيد من سمعة واحترام الشخصية غير الدينية.

سادساً: كان المأمون يتصور انه بعمله هذا يستطيع أنْ يجعل من الإمام مبرراً لأعماله. وطبعي ان شخصاً عالماً ومتقياً مثل الإمام الرضا (عليه السلام) الذي كانت له منزلة رفيعة، كان يستطيع أنْ يبرر مايقوم به المأمون من ممارسات وذلك لاعتماد الناس عليه وثقتهم الكبيرة به وباعتباره من آل بيت الرسول الأكرم(ص). ولو كان يعمل على تبرير ممارسات الحكومة لما استطاع أي صوت معارض التقليل من شأن الحكومة، وإضافة الى ذلك كان المأمون يفكر بأهداف أُخرى.

ولذا نرى ان هذا التدبير هو بدرجة من العمق بحيث ان شخصاً غير المأمون كان لايستطيع القيام به. ومن هنا فإن أصدقاء المأمون والمقربين اليه كانوا يجهلون أبعاد ذلك التدبير وجوانبه. ونحصل من بعض الوثائق التاريخية ان الفضل بن سهل (الذي كان وزيراً وقائداً عاماً ومن أقرب المقربين الى المأمون) كان لا يعلم بهذه السياسة. ولكي يحقق المأمون أهدافه ببساطة ولا يواجه أية عقبات، كان يؤلف قصصاً كاذبة حول دوافع خطوته تلك.

ويلزم القول ان سياسة المأمون لم تكن اعتباطية، بل جاءت عن خبرة ووفق دراسات.

وفي المقابل، تصرَّف الإمام الرضا عليه السلام بشكل أحبط فيه جميع المحاولات والخطط الجهنمية للمأمون، وسلب منه المبادرة.

وبذلك فإن المأمون ورغم المحاولات التي بذلها والوقت الذي صرفه لم يستطع أن يحقق أياً من أهدافه، بل وإن السياسة التي انتهجها أدت الى نتائج عكسية، حيث انه وبعد فترة وجيزة عاد عن سياسته السابقة، وكأسلافه لجأ الى الأسلوب القديم، أي أسلوب التصفية الجسدية، وكشف وجهه الحقيقي وشخصيته الفاسدة والغادرة.

والآن نشير الى السياسة التي انتهجها الإمام الرضا عليه السلام إزاء تلك القصة:

١ ـ عندما وجهت دعوة للإمام(ع) ...

خراسان من المدينة فانه (ع) تصرّف بشكل عرف الناس معه ان المأمون يريد إبعاده رغماً عنه، حيث كان (ع) يظهر استياءه من المأمون بمختلف الصور، مثلاً أظهر ذلك عند وداعه لحرم الرسول الأكرم (ص) وعند وداعه لعائلته خلال خروجه من المدينة، وعندما طاف حول الكعبة. كل ذلك ليؤكد ان سفره سينتهي الى الموت. وهذا ما أثار رعب الناس على المأمون باعتباره سلبهم امامهم، و يريد أن يقتله.

٢ ـ عندما اقترحت ولاية العهد على الإمام (ع) فانه رفضها، ولم يقبلها إلاّ عندما هدده المأمون بالقتل. وقد علم الناس بهذه القضية، الى درجة ان عناصر الحكومة التي كانت تجهل الهدف من وراء سياسة المأمون، بدأت تصرح هنا وهناك قائلة بأنّ الرضا (ع) لم يقبل الحكومة. حتى ان الفضل بن سهل قال أمام بعض أفراد الحكومة انه لم يرَ الخلافة ضعيفة بهذه الصورة، لأنّ «اميرالمؤمنين» يقترح الخلافة على الإمام الرضا (ع) لكنه يصر على رفضه لتلك الخلافة.

وكان الإمام متى ما سنحت له الفرصة يؤكد انه أجبر على قبول ذلك المنصب، و يقول اني هُددت. وكان من الطبيعي أنْ يسمع الناس بهذه التصريحات و يتناقلوها فيما بينهم، و يتحدثون كيف أنّ المأمون حارب أخاه مدة ستين من أجل السلطة، وقتله، وجاء برأسه الى المدينة ليعرضه للناس هنا وهناك، وهاهو اليوم يعرض الولاية على شخص مثل علي بن موسى الرضا (ع) لكنه يرفض ولا يقبلها إلاّ عندما يُجْبَرُ عليها.

نعم، كان الناس يقارنون بين هاتين القضيتين، ويخرجون بنتائج غير التي كان يفكر بها المأمون.

٣ ـ اشترط الإمام (ع) عند قبوله ولاية العهد أنْ لا يتدخل في أي من شؤون الحكومة، ولا يبدي وجهة نظره حول الحرب أو الصلح أو العزل والتعيين. وقد وافق المأمون على هذا الشرط متصوراً انه سيتمكن فيما بعد من جرّ الإمام على ممارسة وظائفه الحكومية. وواضح ان تحقق هذا الشرط، كان يحبط مخططات المأمون و يقضي على القسم الأعظم من أهدافه.

ورغم ان الإمام قَبِلَ ولاية العهد، وكان يحظى بإمكانيات كبيرة، إلاّ انه كان يتصرف بشكل يفهم منه انه معارض لجهاز الخلافة، وإلاّ لكان مارس ولو جانباً بسيطاً من مسؤولياته.

و بديهي انه عندما يبتعد أحد عناصر الحكومة عن جميع مسؤولياته، فهذا يعني انه لا يؤيد الحكومة. ولذلك أحسّ المأمون بهذا الأمر، وحاول مراراً أنْ يجعله يمارس الوظائف المخولة له، لكنه (ع) أبى في كل مرة.

وجاء في الروايات أنّ «معمر بن خلاد» قال عن لسان ثامن الأئمة (ع) إنّ المأمون طلب من الإمام أنْ يرسل كتاباً الى الناس في المناطق المضطربة و يدعوهم لإطاعة الحكومة، غير انه (ع) أعلن استنكافه وأعاد الشرط السابق الى ذهن المأمون.

وهناك أمثلة كثيرة أُخرى، وعلى سبيل المثال فان المأمون طلب من الإمام الرضا (ع) في أحد الأعياد أن يؤم الناس مؤكداً له ان إمامته للصلاة إنما تريد من محبته في قلوب الناس، لكنّ الإمام رفض،

غير ان المأمون لجأ الى التهديد مما دعا الإمام لقبول طلب المأمون شريطة إقامة الصلاة بأُسلوب الرسول الأكرم(ص) والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). وبذلك اغتنم الإمام الفرصة مما جعل المأمون يندم على فعله ويتراجع عن قراره ويمنع الإمام من اتمام عمله.

٤ ــ والإمام (ع) بقبوله ولاية العهد أقدم على حركة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الأئمة(ع) بعد انهاء خلافة أهل البيت(ع) في السنة الأربعين للهجرة وحتى ذلك اليوم بل وحتى أواخر عهد الخلافة. وقد تمثلت الحركة بالإعلان عن الإمامة وتجاوز التقية وايصال نداء مدرسة أهل البيت عليهم السلام الى مسامع جميع المسلمين، حيث بدأ يوصل الى المسامع ــ علانية ــ ما أُخفي خلال (١٥٠) عاماً.

ان مناظرات الإمام بين أوساط العلماء وفي محضر المأمون (التي كان يبيّن فيها أقوى استدلالات الإمامة) ورسالة جوامع الشريعة التي شرح فيها جميع المسائل العقائدية والفقهية لمدرسة أهل البيت(ع) للفضل بن سهل، وحديث الإمامة المعروف الذي تحدث به لـ «عبد العزيز بن مسلم»، والقصائد التي أُنشدت في مدح الإمام(ع) مثل قصائد دعبل وأبي نواس، كل ذلك يبيّن النجاح الكبير الذي أحرزه الإمام الرضا(ع).

وعندما سمع الناس في المدينة وفي أكثر المناطق الإسلامية بـ «ولاية عهد» الإمام علي بن موسى الرضا بدأوا يتحدثون عن فضائل أهل البيت(ع).

فأهل البيت الذين وجّهت لهم خلال سنين سنة أنواع الإهانات والشتائم، ولم يكن آنذاك ليتجرأ أحد على ذكر فضائلهم، أصبحت فضائلهم حديث الساعة، مما بدأ أصحابهم يشعرون مرة أُخرى بالقوة، وبالمقابل أخذ الوعي يدبّ بين الناس، وشعر الأعداء بالضعف والذل والهوان، فيما بدأ محدثو ومفكرو مدرسة أهل البيت(ع) يدرّسون في الجامع العلمية والأماكن العامة، المعارف التي كانت الى ذلك اليوم تُدرَّس في الخفاء.

٥ ــ في الوقت الذي كان المأمون يرغب في أن تكون هناك فجوة بين الإمام والناس، بغية قطع العلاقات المعنوية والعاطفية بين الطرفين، كان الإمام يسعى جاداً لتقوية علاقاته مع الناس.

وبينما كان المأمون قد حدد مسير حركة الإمام من «المدينة» الى «مرو» بشكل لكي لا يمر عليه السلام بالمدن المعروفة بحبها لأهل البيت مثل الكوفة وقم، غير ان الإمام وفي نفس المسير المحدد لم يترك فرصة إلا وأستغلها لتقوية علاقاته مع الناس. في «الأهواز» تحدث عن آيات الإمامة، وفي البصرة واجه حب الناس له وتعاطفهم معه، وفي نيسابور روى حديث السلسلة الذهبية ذكرى خالدة، والى جانب ذلك كان يغتنم كل فرصة تسنح له بهدف توعية الناس وارشادهم، وفضح الحكومة وأساليبها ومؤامراتها.

٦ ــ شعر أتباع مدرسة أهل البيت ... بالارتياح لحضور إمامهم، كما أن المجردين كانوا يخفون حبهم في الخفاء والوجدان ... الباطنية يحملون المصاعب والمشقات، ... ونتيجة دعم الإمام لهم ــ يخطون حتى ... عناصر الحكومة في المدن المختلفة، مثلاً ...

المجاني دعبل الذي لم يساوم أي وزير وأمير، ولم يجل في أحضرتهم، ولم يسلم أي من عناصر جهاز الخلافة من لسانه، وكان يسير طويلة مسرّداً بين المدن والقرى، وقد استطاع أن يلتقي بالإمام و ينشد أروع قصيدة له بيّن فيها أحقية النهضة العلوية ضد الخلافتين الأموية والعباسية، وتلك القصيدة انتشرت خلال مدة قصيرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، الى درجة أنّ دعبلاً حين عاد من عند الإمام، التقى مصادفة في الطريق بزنس أحدى العصابات فسمعه يردد تلك القصيدة.

والآن لنلق نظرة أُخرى على الوضع العام الذي كان يسود ساحة هذا الصراع الخفي الذي أوجده المأمون بنفسه والأسباب التي دفعت بالإمام الرضا عليه السلام لدخول تلك الساحة. فبعد عام من إعلان ولاية عهده من الأئمة، كان الوضع العام بالصورة التالية.

المأمون وفّر للإمام علي بن موسى الرضا (ع) جميع الإمكانيات والحرمة اللائقة به، لكن الجميع كانوا يدركون جيداً ان الإمام لا يدخل في أي من شؤون الحكومة، ولا شأن له بما يخص جهاز الخلافة، وانه وافق على ولاية العهد شريطة عدم تدخله في مايهم الجهاز من أُمور.

وكان المأمون لايترك فرصة إلاّ و يتحدث فيها عن فضائله(ع) وتقواه ونسبه الرفيع ومنزلته العلمية، لكنّ هذا الأمر لم يساعده على كسب ود أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، أوخنق أصواتهم، حتى ان الإمام(ع) أصبح يبعث الأمل والطمأنينة في نفوس هؤلاء. أما بقية الأقطارالإسلامية، فقد ستتغير الحالة فيها، حيث بدأ الحديث يدور هنا وهناك عن فضائل الإمام الرضا وآبائه المظلومين والمعصومين، بعد أن كان لايتجرأ أي شخص على أن يتحدث عن أهل البيت(ع).

وخلاصة القول ان المأمون لم يجن شيئاً في لعبته تلك، وفي نفس الوقت خسر الكثير الكثير، وأصبح يتوقع أنْ يفقد ما تبقى لديه.

وهنا أحسّ المأمون بالخطر، وقرر أن يعوّض عن الخطأ الذي وقع فيه، وأخيراً رأى انه من الضرورة اللجوء الى السلاح نفسه الذي لجأ اليه أسلافه، أي أُسلوب التصفية الجسدية.

وطبيعي ان قتل الإمام في مثل تلك المرحلة لم يكن أمراً ميسوراً، وتدل الشواهد والقرائن على أنّ المأمون لجأ الى أساليب أُخرى قبل أن يغتال الإمام الرضا (ع) عسى ان يجد له مخرجاً من الورطة التي وجدها بنفسه لنفسه. على سبيل المثال كان ينشر الدعايات حول الإمام وينسب له تصريحات كاذبة من عنده فيقول ان الإمام الرضا عليه السلام يرى الناس عبيداً له.

وحين نقل «أبو الصلت» هذا الخبر للإمام الرضا، رفع الإمام عليه السلام يده للدعاء واستشهد الباري جل وعلا عليه وعلى آبائه الطاهرين انهم لم يقولوا ذلك وان ذلك من مخطط لظلم حق اهل البيت عليهم السلام.

ومن التدابير الأُخرى التي اتخذت ضد الإمام(ع) هو تشكيل المناظرات العلمية تصوراً من المأمون بأنّ الإمام لابُدّ وأنْ يفشل في تلك المناظرات ويخرج مهزوماً. لكن النتيجة كانت عكسية، فكلّما

كانت المناظرات تستمر، كانت القدرات العلمية للإمام تبرز بشكل جلي، مما شعر المأمون باليأس والفشل والخذلان.

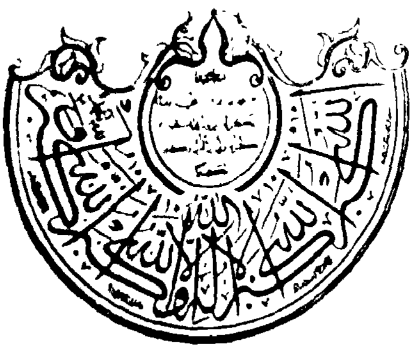
وتشير الروايات الى أن المأمون خطط أكثر من مرة بواسطة عملائه ومرتزقته لقتل الإمام الرضا، بل وألقاه في السجن، لكن هذا الأسلوب لم يعد بالفائدة له وزاد من مكانة الإمام(ع).

وبعد أن فشل المأمون في جميع مؤامراته، قرر أن يسمّ الإمام بيده ويتخلص منه بهذه الوسيلة. وبالفعل أقدم في عام ٢٠٣ (هـ. ق) على قتل الإمام الرضا(ع)، أي بعد سنتين على مجيئه(ع) الى خراسان من المدينة.

كانت هذه نظرة عابرة على جزء هام من الحياة السياسية لأئمة أهل البيت(ع) خلال (٢٥٠) عاماً، أملاً في أن يجري المحققون والمفكرون والمؤرخون دراسات جدية على القرون الأولى للإسلام.

هذا ونرى من الضرورة أن تخصص الجامعة الإسلامية الرضوية التي افتتحت تزامناً مع ذكرى ميلاد ثامن الأئمة(ع) جزءاً من نشاطاتها ومحاولاتها لتبيين هذا التاريخ، وترسم للأجيال الحاضر والقادمة تاريخ الحياة السياسية لأئمة أهل البيت(ع) مع الأخذ بنظر الإعتبار عصر النضال الذي يشكل محوراً أساسياً لهذا التاريخ.

إنّ تأسيس الجامعة الإسلامية العظيمة في هذه المدينة المقدسة وفي هذا اليوم الرائع يبعث الأمل [illegible]. وفي الختام [illegible] الفرصة لأتقدم [illegible] [illegible] الروضة الرضوية المقدسة [illegible] أحسوا بهذا النقص وعملوا على سدّه. و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] و[illegible] [illegible] هذه الجامعة. و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ●



تقرير عن :
الملتقى الثامن عشر للفكر الإسلامي في الجزائر

محمد علي التسخيري
معاون رئيس منظمة الإعلام الإسلامي للعلاقات الدولية

رأينا في الملتقى اتجاهاً (محدوداً جداً والحمد لله) ينكر وجود الصحوة رأساً، ويدَّعي ان ليس هناك أية حالة استثنائية، وانما هي الحالة التي كانت عليها الأمة، دون أن يطرأ عليها جديد.

في المجتمع فلماذا لايقومون بتطبيقها لو كانوا صادقين؟ وهل تحتاج عملية تحريم الخمر و... الخ الى أرضية غير متوفرة فعلاً !؟

قال لي أُستاذ من الجزيرة العربية: إنَّ القلوب كلها معكم، ولا تعبِّر مواقف الحكومات عن مواقف الشعوب.

في الفترة ما بين (١٠ ــ ١٦/ شوال /١٤٠٤ هـ . ق) الموافق (١٠ ــ ١٦/ تموز (يوليو)/١٩٨٤ م) والمصادف أيضاً (١٩ ــ ١٣٦٣/٤/٢٥ هـ . ش)، وفي مدينة الجزائر (العاصمة)، تم عقد الملتقى الثامن عشر للفكر الإسلامي، وقد حضيت أنا والأخ الدكتور قائمقامي نجفي رئيس تحرير مجلة (Echo of Islam)) بحضوره، من قبل الجمهورية الإسلامية في ايران.

وكما قلت من قبل، فان هذا الملتقى يملك مكانة خاصة في قلوب المسلمين، ولدى المفكرين في شتى بقاع العالم نظراً لخصائصه الجيدة، وما قدّمه من خدمات جلى للفكر الاسلامي. وللصحوة الاسلامية ــ بلاريب ــ فهو يتمتع بما يلي إذاً:

أولاً: بالتاريخ الطويل نسبياً. فقد عقد على الدوام (١١) عاماً في مواكبة الثورة الجزائرية، الأمر الذي وفّر له نوعاً خاصاً من المكانة في القلوب. خصوصاً وانه عقد [illegible] لانطلاقتها العملاقة بتوجيه من العلماء الجزائريين، وعلى رأسهم المرحوم المصلح الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس وتلميذه الشيخ الابراهيمي. [illegible] شهيد مسلم، ــ فضلاً عن [illegible] الطاهرة قرابين، في سبيل الحفاظ على الصبغة الإسلامية للجزائر، والاستقلال عن الاستعمار الفرنسي الغاشم. وقد تركت هذه الثورة الرائعة أثرها في نفوس كل المسلمين والأحرار في العالم، بما قدّمت من صور التضحية الإسلامية المعطاءة.

ثانياً: بحضور جمع كبير من العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي وغيره. وقد روعي في انتخابهم تنوع مناطقهم، وتخصصاتهم، وقدرتهم في الغالب على فهم اللغة العربية، وشعبيتهم الواسعة (ان حدّما)، وسنذكر فيما يأتي بعضاً منهم، مع المواضيع التي طرحوها.

ثالثاً: بحضور حشد كبير من العلماء والمفكرين الجزائريين، واساتذة الجامعة الجزائرية، والمسؤولين عن الشؤون الدينية وعلى رأسهم السيد وزير الشؤون الدينية في الجزائر، السيد عبدالرحمن شيبان، والوزير

السابق، السيد مولود قاسم، المسؤول عن تعليم اللغة الأصلية (العربية) في الجزائر وغيرهم من كبار المسؤولين الجزائريين.

وحضور هذا الحشد الكبير له أثره الكبير في ايجاد حركة فكرية اسلامية منسجمة. ما دورها في التوجيه والتوعية بلاريب.

رابعاً: بالعمل الدؤوب لوسائل الإعلام الجزائرية، كالإذاعة، والتلفزة، والصحف الجزائرية المتنوعة، والإختصاصات، لنقل بعض وقائع المؤتمر ومحاضراته، سواء أثناء انعقاده أو بعده، على مدى الفترة بين انعقاد ملتقى وآخر.

خامساً: بحضور أكثر من ألف طالب جزائري، شباب وشابة، وتجدهم جميعاً متعطشين للمعرفة، والتزود من الفكر الإسلامي الصائب، ولهم دورهم في توجيه المناقشات والأسئلة، وإعطاء المؤتمر مسيرته الصحيحة وحيويته الدائمة في الواقع.

سادساً: أهمية موضوعه. وكان في هذا العام (الصحوة الإسلامية والحضارة المعاصرة)، وهو من أهم الموضوعات الحية التي تواكب مسيرتنا الإسلامية اليوم، وأنعم به من أختيار.

هذا وقد كان المؤتمر غنياً بالموضوعات التي ألقاها الأساتذة، ونحن نقدم فيما يلي قائمة ببعض الموضوعات وبأصحابها:

(الثلاثاء: ١١/ شوال/١٤٠٤هـ)

(١٠/تموز/١٩٨٤م)

الافتتاح

كلمات الترحيب لسلطات الولاية، وكلمة الإفتتاح للسيد عبدالرحمن شيبان، العضو الإضافي للجنة المركزية، ووزير الشؤون الدينية.

النقطة الأولى: مدخل... من النهضة الى الصحوة:

١ ــ الدكتور عمار الطالبي: (الصحوة الإسلامية، من النهضة الى الصحوة).

٢ ــ الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم: (أمّة أم عمة، صحوة أم غفوة، ألا من نخوة؟).

٣ ــ الشيخ محمد الغزالي: (تدين يكره الحضارة، وحضارة تكره التدين).

(الأربعاء: ١٢/ شوال/١٤٠٤هـ)

(١١/ تموز/١٩٨٤م)

النقطة الثانية: الصحوة الإسلامية المعاصرة:

٤ ــ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي: (بلاغ الى الصفوة).

٥ ــ الدكتور عبدالحليم عويس: (العمل لتطبيق التعاليم الإسلامية في الحياة).

٦ ــ الدكتور أحمد بن نعمان: (بعض أسباب الصحوة الإسلامية).
٧ ــ الدكتور يوسف الكتاني: (الصحوة الإسلامية المعاصرة: أسبابها، مظاهرها، آفاقها).

ندوة

(الصحوة الاسلامية في العالم)

(افريقيا، آسيا، أوربا، امريكا الشمالية)

بمشاركة السادة:

١ ــ الدكتور الهاشمي التيجاني:
أستاذ الحضارة الإسلامية، جامعة الجزائر.

٢ ــ الدكتور ابراهيم محمود ديوب:
السنغال

٣ ــ الشيخ محمد الباقيو صيرة:
معلم اللغة العربية، داكار ــ سنغال

٤ ــ الأستاذ ابراهيم مرسيع:
الجمعية الإسلامية [illegible] ــ [illegible]

٥ ــ الأستاذ محمد العوبي:
مدير المركز الثقافي الإسلامي، [illegible] ــ [illegible]

٦ ــ الأستاذ عبد المتعال الجبري.
ــ ولايات المتحدة الأمريكية ــ

(الخميس ١٣ شوال ١٤٠٤هـ)
(١٢ جويلية ١٩٨٤م)

٧ ــ الأستاذ محمد الشاذلي [illegible]
أستاذ بكلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين ــ تونس ــ
(الصحوة الإسلامية دراسة وصفية [illegible])

النقطة الثالثة: الصحوة وتحديات العصر:

٨ ــ الدكتور [illegible]
أستاذ [illegible] جامعة الجزائر، عضو المجلس الإسلامي [illegible]
ــ [illegible] ــ
([illegible] المعاصرة، وأثرها في المجتمع الإسلامي)

٩ ـ الدكتور محمد عزيز الحبابي:

باحث، وعميد شرفي لجامعة محمد الخامس

الرباط ـ المغرب

(التيارات الفكرية المعاصرة، وآثارها في المجتمع الإسلامي)

ندوة

(الصحوة الإسلامية في الميدان الفكري والثقافي)

(تحديات وآفاق)

بمشاركة السادة:

١ ـ د. عبدالله لوصيف:

عميد الكلية الزيتونية للشريعة وأُصول الدين

ـ تونس ـ

٢ ـ الأستاذ فهمي هويدي:

الوكالة الإسلامية للإعلام

ـ بريطانيا ـ

٣ ـ د. شكري الفيصل:

عضو مجمع اللغة العربية

ـ دمشق ـ

٤ ـ د. السيد محمد علي قائم مقامي نحو:

أُستاذ سابق بجامعة طهران، مدير مجلة محجوبة

ـ ايران ـ

٥ ـ الشيخ عبدالعزيز التوري:

مدير المركز الثقافي الإسلامي

دكار ـ السنغال

(السبت: ١٥/ شوال/ ١٤٠٤ هـ)

(١٤/ تموز/ ١٩٨٤ م)

١٠ ـ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه، كلية الشريعة، جامعة دمشق.

ـ سوريا ـ

(الغزو الثقافي الحديث)

١١ ــ الدكتور عبدالعظيم محمود الديب:

الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ــ جامعة قطر.

(الصحوة الإسلامية في مواجهة الغزو الثقافي)

١٢ ــ الأستاذة فاطمة الجامعي الحبابي:

الأستاذة بجامعة محمد الخامس،

الرباط ــ المغرب

(المشكلات الاجتماعية والسلوكية التي يثيرها التصنيع في العالم الإسلامي)

ندوة

(الصحوة الاسلامية في الميدان الاجتماعي والاقتصادي)

(تحديات وآفاق)

بمشاركة السادة:

١ ــ الأستاذ محمد الأكحل شرفاء:

مفتش التكوين بالمعاهد الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية

ــ الجزائر ــ

٢ ــ الأستاذ العربي كشاط:

عضو المجلس الإسلامي الأعلى

ــ الجزائر ــ

٣ ــ الأستاذ هشام بن محمود:

الأستاذ بكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين.

ــ تونس ــ

٤ ــ الأستاذ محمد عبدالله المهدي البدري:

الأستاذ بجامعة الإمارات العربية المتحدة

٥ ــ الأستاذ محمد الطاهر فضلاء:

مدير المكتبة المركزية بقصر الحكومة.

ــ الجزائر ــ

٦ ــ الشيخ عبدالقادر بن محمد العماري:

القاضي بالمحكمة الشرعية الأولى،

ــ قطر ــ

٧ ــ الأستاذ عمر عبيد حسنة:

مدير مجلة الأمة

ــ قطر ــ

الأحد: ١٦/ شوال /١٤٠٤ هـ)

(١٥/ تموز/١٩٨٤ م)

النقطة الرابعة: آفاق الصحوة الاسلامية:

١٣ ــ الشيخ أحمد حماني:

العضو الإضافي باللجنة المركزية، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى

ــ الجزائر ــ

١٤ ــ الدكتور يوسف القرضاوي:

عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر.

(مستقبل الصحوة الاسلامية)

١٥ ــ الدكتور أحمد كمال أبوالمجد:

مستشار الشؤون القانونية والدستورية، مكتب سمو ولي العهد

ــ الكويت ــ

(آراء وملاحظات حول مستقبل الصحوة الاسلامية)

١٦ ــ الدكتور محفوظ السماتي:

أستاذ علم الإجتماع، بجامعة الجزائر

(دور النخبة في المجتمع)

١٧ ــ الدكتور محمد أركون:

أستاذ بمعهد البحوث العربية الإسلامية، جامعة السربون الجديدة

باريس ــ فرنسا

(بعض الشروط لتجديد الفكر الإسلامي)

(الاثنين: ١٧/ شوال / ١٤٠٤هـ)

(١٦/ تموز/١٩٨٤ م)

١٨ ــ الدكتور محي الدين عطيه:

دار البحوث العلمية.

ــ الكويت ــ

(أمراض الصحوة الإسلامية: محاولة للتشخيص والعلاج)

أما محاضرتي، فكانت بعنوان «الصحوة الإسلامية: حقيقتها، أسبابها، استدامتها» في حين كانت محاضرة الأخ الدكتور نجفي، بعنوان: «الصحوة الإسلامية سبيل التوحيد والوحدة».

هذا، وقد ألقى السيد وزير الشؤون الدينية في الجزائر، في جلسة [illegible] كلمة [illegible]

أيها السادة العلماء:

لا شك أنكم تدركون ثقل مسؤولية [illegible] الصحوة [illegible]

من المسلمين أنفسهم، ومن أعدائهم.

وهذا لا يتحقق إلا [illegible]

والمؤتمرات الإسلامية، في المستوى [illegible] الإسلامي [illegible]

مجالات الفكر والثقافة [illegible]

يأخذ وما يدع، ويتركه [illegible]

المعاصرة من أمراض، يحذر منها عقلاء هذه [illegible]

أنه لا أمل يرجى من هذه الصحوة [illegible] شروط [illegible]

شروط أساسية، أولها

ـ أن يكونوا على [illegible]

بقوله تعالى:

«قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين»

وهذا ما [illegible]

موقفا من الحضارة المعاصرة».

نشاطات الوفد الإيراني:

وقد [illegible]

الأول: [illegible]

[illegible] الصحوة [illegible]

استدامتها»

[illegible]

وعندما يكثر الأفراد الصاحون من جهة، وتتعاطف معهم الجماهير الإسلامية. وتنسجم مع حركتهم، فإنّ الصحوة الإسلامية تصبح ظاهرة اجتماعية.

ووفقاً لذلك، قررت وجود مثل هذه الحالة الرائعة في حياة أُمتنا اليوم، وقارنت بين خصائصنا عند الغفوة، وهذه الخصائص بعد الصحوة، ثم تحدثت عن أسبابها، فلخصتها في الأُمور التالية:

١ ـ عمل العلماء المصلحين والمفكرين الواعين.

٢ ـ عمل الحركات الإسلامية المنتشرة في عالمنا الإسلامي.

٣ ـ فشل الإستعمار في هجومه وفضيحته أمام جماهيرنا المسلمة.

٤ ـ الثورة الإسلامية المباركة في ايران بقيادة الإمام الخميني العظيم امام الامة الاسلامية، واعتبرت هذا أهم الاسباب.

وأخيراً، رحت أتحدث عن الأمور التي ينبغي أن يراعيها المفكرون والشباب والدعاة، لكي تدوم الصحوة، محذراً من بعض التطرف أو الإحتواء.

كما قام الأُستاذ الدكتور قائم مقامي بالقاء شطر من أفكاره في الندوة التي عقدت لدراسة تحديات الصحوة الإسلامية وآفاقها المستقبلية.

الثاني: الإشتراك النشط في دراسة الآراء المطروحة، والتعقيب عليها مرات عديدة، وقد تناولت في المواضيع التي نذكر منها: مسألة وجود الصحوة ومسألة مد الجسور مع الحكام، وغيرها، كما ستأتي الإشارة اليها:

الثالث: اللقاء المفيد بسيادة الرئيس الجزائري، الشاذلي بن جديد، في اطار لقاء العلماء والمفكرين به، وقد طرح الوفد المسائل التالية مع سيادته:

الأولى: مسألة الحب والود والتقدير الخالص، الذي يحمله الشعب المسلم في ايران للجزائر وثورتها [illegible].

الثانية: مسألة بعض العراقيل، التي تواجهها المطبوعات الإيرانية أثناء ورودها الى الجزائر.

الثالثة: مسألة اسلامية الثورة الجزائرية، ولزوم الوقوف بوجه كل المؤامرات التي تحاول ـ عبثاً ـ أن تسلخ منها روحها الإسلامية.

الرابعة: مسألة فتح قسم للدراسات المقارنة بين المذاهب الإسلامية من جهة، وبينها وبين المبادئ الأخرى من جهة أخرى.

هذا وقد حيّى الرئيس الجزائري الشعب الايراني، وطلب ـ مشكوراً بكل اخلاص ـ متابعة الأمور التي طرحت، ونحن نأمل أنْ يسترشد المسؤولون الكرام بتعليماته التي أصدرها بهذا الصدد.

الرابع: اللقاء بالمفكرين المدعوين.

فقد وفقنا الله تعالى للإلتقاء في جلسات ـ خاصة وعامة ـ بالاخوة المدعوين الى المؤتمر، وكان من بينهم بعض رؤساء تحرير الصحف العالمية، وأساتذة ورؤساء الجامعات في أقطار مختلفة، وعلماء كرام،

ووزراء، ومعاونين، ونواب في مجالس برلمانية، وغيرهم.

وقد تناولت الأحاديث شتى المسائل عن الثورة الإسلامية المباركة بدءاً بصحة الإمام القائد، التي كان الجميع يطلبون طمأنتهم عليها، ومروراً بالمعطيات الرائعة للثورة الإسلامية على الأصعدة المختلفة: الفكرية، والثقافية، والإقتصادية، والأخلاقية، والإجتماعية، وغيرها، وانتهاءً الى مسائل من قبيل: الحرب الظالمة التي شنّها الإستعمار الكافر، بواسطة عميله صدام، على الجمهورية الإسلامية، ووقوف القوى العظمى خلفه، وآفاق المستقبل من كل ذلك.

وقد قام الوفد باعطاء شتى الإيضاحات، التي كان لها تأثيرها البالغ ــ كما نتصور ــ في نفوس الاخوة، وهذا ما عبّروا عنه بشتى التعابير.

كما اننا استوضحنا الوفود والهيئات عن أوضاعهم الإسلامية، وشؤون المسلمين في مناطقهم، وسمعة الثورة الإسلامية، حيث ردّوا علينا بما أثلج الصدور، وانعش كل الآمال، في استمرار الصحوة الإسلامية، وانتشار أضواء الثورة المباركة، في شتى بقاع الأرض، والحمد لله.

الخامس: اللقاءات المثمرة بالشباب الجزائري المسلم، سواء في داخل المؤتمر، أو في خارجه، وقد لمسنا ــ في هذا الشباب الطاهر ــ الشوق العارم نحو المعرفة الإسلامية، والعشق الخالص لله تعالى، والدعاء القلبي الطاهر للثورة الإسلامية المباركة وقائدها المظفر، والتساؤل الملح عن قضاياها المختلفة، ومنجزاتها وخططها المستقبلية، ولزوم تقوية إعلامها لينعم المسلمون بما تقدّمه الثورة الإسلامية، من فكر أصيل، وتجربة إسلامية حية.

والواقع اننا نعتبر فترات لقائنا القصيرة بالشباب الجزائري المسلم، من أروع الفترات على الإطلاق، وننتظر له مستقبلا سعيداً حافلاً بالآمال، خصوصاً، وقد شاهدنا تمسكه بالإسلام، وتمسك الفتيات بالحجاب الإسلامي الجيد، الأمر الذي يكشف عن مظهر من مظاهر الصحوة الإسلامية، وما أكثر المظاهر عند شبابنا المسلم، اليوم.

السادس: عقد لقاءات صحفية مثمرة مع بعض الصحف، والمجلات، والإذاعة الجزائرية، كصحيفة (المجاهد) الصادرة بالفرنسية، والشعب، والعصر، والنصر، ومجلة المرأة الجزائرية.

وقد تناولت أسئلة هذه اللقاءات الصحفية مختلف جوانب الصحوة، ودورها في صنع المستقبل الزاهر للأمة.

وكمثال على الأسئلة التي أُجيب عليها، نذكر الأسئلة التي وجهتها الإذاعة الجزائرية على النحو التالي:

• الإعلام الغربي يدرس، ويحلل، و ينشر التقريرات المطولة عن الصحوة الإسلامية. ماهو تحليلكم لهذه الظاهرة؟ أهي تجري خوفاً منها أم ماذا؟

• ما هو دور الإعلام الإسلامي في تشجيع الصحوة الإسلامية؟

• ما هي ــ في رأيكم ــ الصحوة الإسلامية، وأسبابها؟

• ما هو دور المراكز التعليمية في مجال تنشئة الجيل الواعي؟

وقد تمت الإجابة المفصلة بما يناسب الوقت. كما تم الحديث عن البرنامج التعليمي في الجمهورية الإسلامية في ايران،و التركيز على اسلامية المناهج، والمشرفين، والأساتذة، والمواد.

السابع: اشتركت أنا في اللجنة الأولى لصياغة التوصيات، واشترك الأخ الدكتور علي في اللجنة الثانية، وقدّمنا مقترحات مفيدة، أحدث بعض الإعتبار، والحمد لله.

نظرات عامة فيا طرح في المؤتمر من أفكار:

من المناسب أن نوقف القراء الكرام على بعض الإتجاهات الفكرية المطروحة في المؤتمر، ليدركوا المسار الفكري اليوم، و يقفوا على خطورته في هذه الفترة، ذات الحساسية من حياتنا. وسنعرض ذلك ضمن نقاط:

النقطة الأولى: كان عقد الملتقى لدراسة ظاهرة الصحوة الاسلامية سابقة حسنة واعية مفيدة. وقد طرحت في هذا اللقاء أفكار واعية ايجابية كثيرة، طافت حول حقيقة الصحوة الإسلامية، والمقصود منها، خصوصاً بعدأن وقع بعض الخلط بين مفهومها اللغوي ومفهومها الاصطلاحي، ذلك أنها بمفهومها اللغوي تساوي النهضة،لكنها بمفهومها الإصطلاحي تأتي بعد عصر النهضة الإصلاحية الإسلامية، التي ترتب أكثر ما أثرت في الشمال الأفريقي، على يد المدرسة الإصلاحية، التي عرفت بدورها المصلح الكبير السيد جمال الدين، وتلامذته ... وعلى أي حال، فقد شملت البحوث — أيضاً — أسباب هذه الصحوة وآفاقها، والتحديات التي تقف أمامها، والآفاق المستقبلية لها، وقد طرحت بعض المحاضرات نقاطاً فكرية محددة، كمحاضرة الأستاذ الشيخ الغزالي، والأستاذ الشيخ يوسف القرضاوي، خصوصاً عن المواد العشرين، التي اقترحها لمسيرة الصحوة، وكانت — بحق — مما يحتاج للتأمل والتفكير، كما أن بعض المحاضرات قدّم صورة لا بأس بها عن تاريخ الحركات الإسلامية وخصوصاً (الاخوان المسلمون)، والدور الذي لعبوه في رفد المسيرة الصاعدة، بل عرضت بعض الملامح الجيدة لشخصية الداعية الكبير الأستاذ البنا، وغير ذلك، الأمر الذي أفاد منه الحاضرون كثيراً.

النقطة الثانية: ورغم كل تلك الإيجابية، فقد طرحت بعض الأفكار الأخرى، والتي تحتاج الى وقوف وتأمل كثير عندها، لما تتركه من آثار خطيرة على هذه الصحوة، وربما أدت بها الى مسارب منحرفة، أو عملت على احتوائها،دون أن يقصد أصحابها ذلك، وربما كان ذلك نابعاً:

أ) — اما من اطلاق اللفظ على عواهنه دون تقييده بظروفه الخاصة.

ب) — أو من تحويل الإستثناء الى قاعدة وأصل.

جـ) — أو من طرح قضية حقة، ولكن يمكن استغلالها بسهولة في سبيل الباطل.

د) — أو ربما كان ذلك بضغط من الوضع السياسي القائم في بلد المتحدث، الأمر الذي يدفعه لابهام الفكرة، وربما لتحريفها. وغير ذلك من العوامل.

وعلى أية حال، فنحن نذكر لهذا الأمر بعض النماذج الخطرة، التي ينبغي أن يركز عليها الباحثون، ويجلوا الحقيقة فيها، خدمة لقضية الصحوة الإسلامية، واداءً للأمانة التاريخية:

النموذج الأول: انكار الصحوة رأساً، أو التقليل من شأنها :

فقد رأينا في الملتقى اتجاهاً ـ (محدوداً جداً والحمدلله) ـ ينكر وجود الصحوة رأساً، و يدعي ان ليس هناك أية حالة استثنائية، وانما هي الحالة التي كانت عليها الأمّة، دون أن يطرأ عليها جديد.

ولاريب في كون هذا الإتجاه ـ كما علّق الوفد الايراني ـ ينكر حقيقة تملأ العيان، و يدس رأسه في الرمال، ولا يشاهد هذه المظاهر الكبرى للصحوة الإسلامية، التي هزّت الشرق والغرب، فينكر مثلاً هذا الاقبال الهائل على دراسة الإسلام ووعيه، وهذا الحماس المنتشر بين قطاعات الأمة الإسلامية، وهذا الإتجاه العظيم نحو التخلق بالأخلاق الإسلامية، كانتشار ظاهرة التحدي الكبرى (الحجاب)، بين الفتيات الجامعيات في كل مكان، وهذا العمل المنظم الحثيث لمقارعة ومقاومة مظاهر النفوذ الإستعماري على كل الأصعدة، وغير ذلك كثير.

هذا، وربما كان هذا الإنكار الغريب ناشئاً من خلط بين طبيعة الاسلام، التي تلازم الوعي والإثارة والحقيقة، وحالة المسلمين، التي تختلف باختلاف ما تتوفر عليه من قابليات، لتلقي الفيض الإلهي الغامر، (فسالت أودية بقدرها)، وهوما تمّ ايضاحه للملتقين، لئلا يقع هذا الإنكار، و يؤدي بالتالي الى تجاهل حقيقة عبّر عنها الأعداء بالزلزال الذي يهز الأرض، وعبّر عنه نيكسون قائلاً في حديثه مع الفيغارو الفرنسية.

[ان المشكلة الرئيسية لنا اليوم هي مشكلة المسلمين التقليديين، الذين يمتد نفوذهم من مراكش حتى باكستان،(المسلمون التقليديون هو: الاسم الذي اطلقته الأوساط الغربية على المسلمين الثوريين الملتزمين بخط الجمهورية الاسلامية)]

وهكذا توالت تصريحات الأعداء، في حين نجد هؤلاء الأصدقاء ينكرونها.!!

نعم لامانع من أن يقول أحدهم: ان هذه الظاهرة الكبرى ـ رغم عظمتها اليوم ـ كانت لها في تاريخ الأمة الإسلامية ـ سابقة أو سوابق ـ فهذا مما لايملك ردّه أي مطلع على صحوات هذه الأمة، بين فترة وفترة، خصوصاً والحديث الشريف يتحدث عن حالات اقبال القلوب في هذه الأمة وادبارها، مما يقطع أي شك في البين، إلاّ أن هذا يختلف عن انكار أصل الصحوة المباركة القائمة اليوم.

النموذج الثاني: وصف الصحوة الإسلامية أو عناصرها بالإرهاب والعنف والتطرف.

رغم أننا نؤمن ان هذه الصحوة الإسلامية المباركة قدتعترضها وتعتورها بعض العلل، اذا لم يع المشرفون والموجهون عليها الخط الصحيح، وان من أعراض هذه الصحوة التطرف ـ أحياناً ـ في تقييم الأشياء، وهذا ما أشرنا اليه في محاضرتنا ـ نحن ـ داعين للتأكد من عدم الإفراط والتفريط، سواء في صراعها مع العدو، أو في جوانب الصحوة الفكرية والأخلاقية، نعم رغم هذا، فان المتتبع لتحليلات الصحف الغربية، والإتهامات الموجهة للصحوة، والقوائم السوداء التي أعدها الإستكبار العالمي لدرج

الصحوة وقيـادتها فيهـا، يجد أنّ هناك خطة عالمية لاتهام الصحوة وعناصرها وحركاتها الإسلامية
هضة، الثائرة بالتطرف أحياناً، و بالارهاب والعنف أحياناً أخرى، وذلك لتنفير الجو العالمي منها،
ل بالتالي ضربها والقضاء عليها من داخلها، وهذا هو الخطر الذي يجب أنْ ينتبه له العاملون تماما.

ومن هنـا، فقد حذرنا من افراط بعض الباحثين بتوجيه اتهام التطرف للصحوة وللحركة
لامية عموماً، بل اننا رأينا البعض من الباحثين، يقعون ــ عن لا عمد ــ في هذا الفخ، عندما
سون حركة الشباب الإسلامي الهادرة في كل مكان، والثائرة على الأوضاع اللاإسلامية القاتلة في
نا الإسلامي، والمطالبة بتطبيق الإسلام على الأوضاع، مدينة بذلك كل الأساليب الوضعية، التي
ل الحكام العملاء على تطبيقها في أرضنا الإسلامية، فهم يدرسون هذه الظاهرة في إطار حركة
باب الغاضب في العالم كله، و يصفون حركاتنا الإسلامية ضمن حركات البادر مايهوف والالو ية
راء، والجيش الأحمر في اليابان وغير ذلك، وهذا احجاف ما بعده احجاف! فأين هذه من تلك، وأين
الأهداف الطاهرة من تلك الأهداف الوضيعة وهذا ما نبّه الوفد الايراني عليه بكل صراحة عند
يقه على أحد المحاضرين الكرام، ولم يكن هذا المعنى مختصاً به، فقد ردده البعض الآخر، الأمر الذي
لعجب.

ذج الثالث: الخط المسالم في الحركة الإسلامية:

من المعروف ان هناك خطين في الحركة الإسلامية عموماً، هما: خط المسالمة على طول الخط،
عمل على الإصلاحات الجانبية، وايجاد أكبر قدر منها، مع عدم التوجه للقضايا الإجتماعية الكلية
ياسية، والخط الآخر هو الخط الثوري الذي يصب جلّ اهتمامه على ضرب نقطة الداء، وتغيير المجتمع
المراكز تغييراً أساسياً.

واذا كان تناسي الخط الأول للعنصر التغييري مضراً جداً، فإنّ نسيان أهمية الإصلاحات
بية في تهيئة التغيير الكلي هوـــ بدوره ــ أمر مضر أيضاً.

ومن هنا كان المنهج الصحيح في التحرك الإسلامي العام، هو: التركيز على ضرب المركز
نحرف، الى جنب خط الإصلاحات الجانبية، التي تجري في اطار التغيير الكلي المرتقب، وتحقيق
رضية الملائمة له.

الا اننا شهدنا في المؤتمر اتجاهات مسالمة، وربما كانت من النوع الأول، بل وربما نسبت بعض
سادة الاسلاميين الثوريـــين كسيد قطب ــ مثلاً ــ الى التحليل الطوباني البعيد عن المجتمع، و ادعت
الكثير من أفكاره الثورية كان سيتغير لو انه خرج من السجن الى المجتمع، بل وربما نسبت ذلك الى
بيعة تكوينه الجغرافي، باعتباره من الجنوب المصري الحاد في طباعه، أوالى تركيبته الفكرية، التي بدأت
ى يد المرحوم العقاد، ثم تحوّلت الى إسلامية صرفة، وكان الأنكى من كل ذلك، أنْ تثار أمام الشاب
سلم الجالس في المؤتمر، والذي يعشق فكر (سيد) المربي، ان تثار أمامه فكرة خروج (سيد) على مذهب

السلف، وكأنه لم يكن في مذهب السلف أئمة مجاهدون قارعوا الحكام وقاوموهم.

وعلى أي حال؛ فقد تألمنا لمثل هذا التعامل مع هؤلاء المفكرين، وقمنا بواجبنا الى حد ما في توضيح الحقيقة.

النموذج الرابع: مد الجسور مع الحكام:

وكانت هذه الفكرة إمتداداً للنموذج السابق، فقد رأيناها عند الأكثرية ممن تكلموا في المؤتمر ولكن بتعبيرات مختلفة.

فالبعض منهم قلل من شأن انحراف الحكام في البلاد الإسلامية، وجعل البعض منهم صالحين مخلصين، بل ومطبقين للتشريعات الإسلامية تماماً في بلادهم!! والبعض الآخر عده ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فعسى الله أنْ يعفو عنهم!!.

في حين راح بعض المتحدثين يحذر من مضرات تخويف الحكام من الشباب، وتخويف الشباب من الحكام وخلق القطيعة بينهما، داعياً لمدّ الجسور، وحذف عوامل التخوف المتبادل.

وراح الآخرون يذكرون بالدماء التي سفكت في هذا الصراع العقيم!! على مرّ هذه العصور. الى غير ذلك.

إلاّ ان الوفد الإسلامي الإيراني قدّم التوضيحات الكافية في هذا الموضوع، وأوضح: ان هذا الأ خطير اذا اخذ على اطلاقه.. فصحيح ان باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتسع لنهي الحا بالّلسان ووعظه وارشاده، والضغط عليه بالوسائل السلمية المتعارفة، لجره الى الخط المستقيم، وليرعو و يتوب الى الصواب...

إلاّ ان ذلك يجب أنْ يتم في جوه الطبيعي، أما مع الحكام الذين نعلم بعمالتهم للأجنبي الكاف فإنَّ مدّ الجسور معهم يعني بكل بساطة مدّ الجسور مع الكفر العالمي، وأما مع الحكام الذين يطبقون ببلادنا نظاماً وضعياً رأسمالياً أو ماركسياً، فإنَّ التعامل معهم يعني اغتيال القضية الإسلامية وتمييعها و يعني أيضاً تخدير الأمة بالأساليب الماكرة، وكسر فورتها الإسلامية، واحتواء صحوتها المباركة.

إنَّ حكاماً سرّبوا ثروات الأمة الى البنوك الكافرة، وملأوا خزائنها بالنفط، حتى عاد غ بكسر سعر النفط الإسلامي، وأشاعوا الفساد في كل بلادنا، من خمر، وميسر، و بلاجات خليع وخلاعة، وطبقوا القوانين الوضعية، وتآمروا على الثورة الإسلامية المباركة، بل وجهزوا الجيوش لضر عشرات الالوف من المسلمين، لا لشيء، إلاّ لأنهم آمنوا بالله، وراحوا يفسحون المجال لمئات البعثا (التبشيرية الصلبية والصهيونية والبهائية) لتعيث في أرض المسلمين بالفساد، وان حكاماً راحوا يبذر أموال المسلمين في حفلاتهم، وملاذهم، وسباق خيولهم، وجمالهم!! بل وحتى في مؤتمراتهم الإسلامية، إقامة الحفلات الراقصة الماجنة، مثل هؤلاء الحكام، هل يمكن مدّ الجسور معهم، ومعاملتهم معاملة الم الساذج، الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، والذي اذا طاف عليه طائف من الشيطان تذكر ورجع ربه؟!

ان قليلاً من التأمل في وضع هؤلاء القتلة لشعوبهم، يعطينا الجواب القاطع لهذا التساؤل، ويوضح: ان هذه الدعوة ــ مع سلامة نية من أطلقها ــ تعني تآمراً صحماً على الصحوة، لاحتوائها.

هل تساءلنا لماذا يقف الشاب المسلم ضد هؤلاء الحكام و يمنع الشيوخ و يأزرون الى جحورهم خوفاً؟ وهلاً تساءلنا عن السبب في وقوف الكثير من العلماء الواعين الى صف هؤلاء الشباب، ونكول الكثير عن ذلك؟ وهلا استمعنا الى نداءات قادتنا الكبار الذين طلبوا منا خلع طاعة المخلوق، اذا كانت فيها معصية للخالق؟ الم يحدثنا أمير المؤمنين علي (ع) ان الله أخذ على العلماء ألاّ يقاروا على كظة ظالم وسغب مظلوم؟!! و يقول الامام الحسين (ع) ــ موجهاً خطابه الى العلماء داعياً اياهم لمقارعة الظالمين ــ:

«ثم أنتم أيتها العصابة بالعلم مشهورة، و بالخير مذكورة، و بالنصيحة معروفة، و بالله في أنفس الناس مهابة. يهابكم الشريف، و يكرمكم الضعيف، و يؤثركم من لافضل لكم عليه، ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج اذا امتنعت من طلابها، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الأكابر. أليس كل ذلك انما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله؟ وان كنتم عن أكثر حقه تقصرون. فاستخففتم بحق الأئمة،فأما حق الضعفاء فضيعتم، وأما حقكم بزعمكم فطلبتم، فلا مالاً بذلتموه، ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله، أنتم تتمنون على الله جنته، ومجاورة رسله، وأماناً من عذابه؟

لقد خشيت عليكم ــ أيها المتمنون على الله ــ ان تحل بكم نقمة من نقماته لأنكم بلغتم من كرامة الله منزلة فضلتم بها، ومن يعرف بالله لا تكرمون، وأنتم بالله في عباده تُكرَمون، وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون، وذمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخفورة، والعمي والبكم والزمن في المدائن مهملة لا ترحمون، ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تعنون، و بالادهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون، كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون، وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسعون.

ذلك بأنّ مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلاّ بتفرقكم عن الحق،واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة، ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، واليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم، وأسلمتم أمور الله في ايديهم، يعملون بالشبهات، و يسيرون في الشهوات، سلطهم على ذلك فراركم من الموت، واعجابكم بالحياة، التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستعبد مقهور، وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقلبون في الملك بآرائهم، و يستشعرون الخزي بأهوائهم، اقتداء بالأشرار وجرأة على الجبار، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالأرض لهم شاغرة، وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خول لا يدفعون يد لامس، فمن بين جبار عنيد، وذي سطوة على الضعفة شديد، مطاع لايعرف المبدئ (و) المعيد، فيا عجباً ومالي (لا) أعجب، والأرض من غاش غشوم، ومتصدق ظلوم. وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا، والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا.

أللهم انك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنرى (ل ـ خ ل) المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك ، و يأمن المظلومون من عبادك ، و يعمل بفرائضك وسن وأحكامك، فإنْ لم تنصرونا وتنصفونا، قوي الظلمة عليكم وعملوا في اطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله، وعليه توكلا واليه أنبنا واليه المصير».

والغريب، ان يحتج بعض المفكرين على لزوم مد الجسور، بأنَّ ضرره أقل من ضرر الثورة : الحكام، في حين يتناسون ان الضرر العظيم لهؤلاء ليس هو مجرد القتل والسجن، بل هو وقوفهم في و وحدة الأُمة الإسلامية الحقيقية، وانطلاقتها الحضارية، لتكوين الدولة الإسلامية العالمية، التي تقف وجهاً لوجه ــ أمام الأنظمة الكافرة، وتصنع الغد الأفضل، انهم متآمرون على أصل عقيدتنا وأم نظامنا، وأصل مستقبلنا، ولكننا ننسى ذلك، ونركّز على خسائرنا الجزئية، في سبيل هذا الـهد العظيم.

والواقع اننا نحتاج الى عمل علمي جاد، يقف ــ بموضوعية ــ على الإتجاهات الإسلا الأصيلة، ناسباً اياها الى منابعها، كما يقف على حقيقة ما يجرى على الساحة الإسلامية، من هؤ الحكام، وأذنابهم من فقهاء السلطان، أو ما اطلق عليه اسم: (وعاظ السلاطين).

وأذكر هنا ما قاله شهيدنا الكبير آيـة الله المطهري ــ وهو يتحدث عن عوامل الإنحراف البريني المادي ــ حيث ذكر ان المادية تذرعت بالثورية ومعاداة الإستعمار، الأمر الذي جعلها مو للمستضعفين الثائرين على الظلم، فقال ــ رحمه الله ــ في كتابه (الدوافع نحو المادية): «**وقد استقر بعض النفوس وخصوصاً الشباب ــ على اختلاف في الشدة والضعف ــ أن الإنسان إما أن يكون إلهياً مـ طالباً للعافية متقوقعاً جامداً، وإما أنْ يكون مادياً متحرراً ومناضلاً معادياً للاستعمار والإستثمار والإستبداد!**

اما لماذا وجدت هذه الفكرة طريقها الى أذهان الشباب؟ ولماذا اقترنت المادية بهذه الخاصة، في ٠ اقترنت الإلهية بتلك؟ ومن أين يستفاد ذلك من المادية أو من الدين؟!

فإنَّ جواب ذلك واضح، إذ لايلزم عند هؤلاء، أنْ يستنبط ذلك من تعاليم كل من المذهبين ولا ر للشباب بهذا الإستنباط المنطقي، ذلك انه يرى شيئاً واحداً يكفيه للإستنتاج! انه يرى ان الثورات والصراعات كل مكان يقودها الماديون، أما الإلهيون فهم على العموم في الطرف الساكن الجامد! ان هذا يكفي دليلاً و للطبقة الشابة كي تستنتج تلك النتيجة وتحكم ضد المبدأ الإلهي مؤيدة المادية.

ولا مجال لانكار حقيقة أنَّ الجزء الهام من الصراع البطولي ضد الإستبداد والإستعمار في الحال الحا يقوده أُناس لهم ميول مادية ــ إنْ قليلاً أو كثيراً ــ ولا ترديد في أنهم يشغلون مواقع البطولة الى حدٍّ كبير، فهم حدٍّ معين قد خصوا أنفسهم بخاصية مقارعة الإستعمار والنضال ضده. كما انه يجب الإعتراف بأنَّ الحم للمفاهيم الدينية في عصرنا قد قلَّ.

واذا أدركنا مدى الردود التي يحدثها الظلم لدى الطبقات المحرومة والمظلومة، كما أدركنا الى جنب غريزة الكمال وحب البطولـة المغروسة في أعماق الانسان، اذا أدركنا كل هذا عرفنا القيمة الإيجابية

تمنحها هذه الدعاية العلمية للمادية والقيمة السلبية لذلك السلوك العملي لدى الإلهيين في التضعيف والنفور من المعسكر الإلهي.

وهذا الأمر غريب جداً، فالواقع يقتضي أن يكون الأمر على العكس. إذ انه من لوازم الإيمان بالله تعالى ومعرفته أنْ يترفع الإنسان عن الأهداف المادية، ويستهدف ماوراءها، مضحياً بما يملك، على خلاف المادية التي تربط الإنسان ـ بالطبع ـ بالمادة والماديات وما يرتبط بحياته الفردية الشخصية ضمن الإطار المادي للحياة فقط.

وعلاوة على هذا نجد أن التاريخ يؤكد لنا دائماً ان الذين كانوا يقفون على مرّ التاريخ ضد الفراعنة والجبابرة ويدكون معاقل الشيطان هم الأنبياء واتباعهم. إذ كانوا هم المحركين لقوى الايمان في الطبقات المحرومة المستثمرة ضد الطبقات الغنية المترفة... والقرآن الكريم يقول في سورة القصص:

«ونريد أنْ نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكّن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون»

(القصص الآية ٥ ـ ٦)

ويقول في موضع آخر: «وكأيّن من نبي قاتل معه ربّيون كثيرٌ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربّنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين».

(آل عمران الآية ١٤٦ ـ ١٤٨)

وبعد أن رأينا ان آيات سورة القصص تؤكد على ان الله يريد أن يمكّنهم في الأرض تلوح لنا آية أخرى موضحة سلوك اتباع الأنبياء عند ما يتمكّنون في الأرض، إذ يقول تعالى في وصفهم: «الذين إنْ مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور».

(الحج الآية ٤١)

فهم يعملون على أي حال وسواء وصلوا الى الغاية المرجوة أم لا، فذلك أمر تابع لسلسلة العلل والمصالح التي هي بيد الله.

كما أنه ورد في آيات سورة القصص ان الله يريد أن يجعلهم أئمة. وهناك آية أخرى في سورة السجدة توضح من هم الأئمة وما هي خصائصهم؟ إذ تقول: «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون».

(السجدة ـ الآية ٢٤)

ويقول القرآن في موضع آخر: «... فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكُلّاً وعدالله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً».

(النساء الآية ٩٥)

ويقول أيضاً: «إنّ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيانٌ مرصوصٌ».

(الصف الآية ٤)

ويعرض لنا في موضع آخر ـ هدفهم النطولي فيقول على لسانهم: «ربنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقد[illegible] وانصرنا على القوم الكافرين».

ولا ينحصر الأمر بهذه الآيات، فما أكثرها في القرآن الكريم... ولكن هل يمكن أن نتصور حماساً [illegible] هذا الحماس؟

إنّ القرآن حافل بآيات البعث والحماس والدفع نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم تـ[illegible] الإلهيون عن موقع الثورة ـ والحال هذه ـ واحتله الماديون؟

قد يكون الجواب سهلاً بالنسبة للأديان الأخرى ـ غير الإسلام ـ إلا أن الذي هو غريب حقاً أ[illegible] أتباع القرآن هذه المواقع... ولا عجب من الكنيسة ذلك لأنها كانت تطعن وتشمت ـ لقرون عديدة ـ بالإسلام ونبيه وقرآنه، وتنعى عليه تركه الصوامع والرهبانية وانطلاقه الى الحياة ووقوفه أمام الظلم والـ[illegible] والمتحكمين في النفوس. وعدم عمله بقاعدة (مالله لله وما لقيصر لقيصر!) نعم لا عجب منها ولكن العجب [illegible] العجب من أتباع القرآن!

إننا نعتقد أن تخلية هذا الموقع من الإلهيين واحتلاله من قبل الماديين يعود الى [illegible] الأخرى.

فقد أخلي موقع البطولة وقيادة النهضة ضد الظالمين من قبل الإلهيين [illegible] وطلب العافية والراحة و[illegible] ادعوا لأنفسهم القيادة الدينية. [illegible] هذه الظاهرة [illegible] تسلّم القيادة أناس يتطلعون [illegible] الأنبياء وقادة الدين الحقيقيين. وهكذا [illegible] أرادها الأنبياء لهم. [illegible]

وطبيعي أن [illegible] هؤلاء [illegible] طلبهم للمقاعد [illegible] الدين نفسه».

[illegible]

[illegible]

النموذج الخامس [illegible] الإسلامي:

[illegible]

الحكومة [illegible]

[illegible]

الحكم [illegible] الإسلامية، [illegible] الإسلامي [illegible]

[illegible] أمر لا مورد له، [illegible]

في إيران [illegible]

١ ـ اننا نخشى أنْ تتحول هذه الدعوة الى ذريعة يتذرع بها الحكام (نحن نعلم جميعاً من هم؟) [illegible]ا أو يستوعبوا عملية المطالبة بتطبيق الإسلام، باعتبار ان الأرضية المناسبة لها لم تتحقق بعد، أو ربما [illegible]بتطبيق بعض الأحكام الجزئية وتركوا الأمر الأعظم، الى حين توفر الأرضية المناسبة.

أذكر ـ بهذا الصدد ـ انه عندما نجحت النهضة الوطنية ـ كما أسموها اصطلاحاً ـ في ايران، [illegible]الدكتور مصدق الى سدة الحكم، طلب منه آية الله الكاشاني (وكان هو بطل النهضة الواقعي) ان [illegible]الخمر، فتذرع بأنَّ ذلك يوجه ضرراً اقتصادياً للخزينة العامة. فما كان من المرحوم آية الله الكاشاني [illegible]، أعطاه وعداً، بانه لو حرم الخمر، فانه سيطلب من الشعب أنْ يضيف شيئاً بسيطاً الى قيمة السكر، [illegible]ن به أضعاف ما تخسره الخزينة بتحريم الخمر، إلاّ انَّ مصدقاً ـ نظراً لطبيعته الليبرالية المنحرفة ـ لم [illegible]ـ لذلك الأمر، الذي أفقده رصيده الشعبي، وسهّل القضاء عليه.

٢ ـ أليس من حق علمائنا وشبابنا أنْ ييأسوا في الحكام اتجاهاً حقيقياً نحو التطبيق؟ انا نجد [illegible]مراً مستمراً في كثير من الأقطار.

٣ ـ إنَّ هناك أحكاماً إسلامية لاتحتاج الى أرضية، أو ان أرضيتها متوفرة حتماً في المجتمع. [illegible]ـاذا لايقومون بتطبيقها لو كانوا صادقين؟ وهل تحتاج عملية تحريم الخمر، أو القمار، أو الملاهي [illegible]مة، (التي ينتهك فيها القرآن الكريم علناً) وأمثالها، الى أرضية غير متوفرة فعلاً؟!

٤ ـ إنَّ البدء بتطبيق بعض الأحكام الجزئية يجب أنْ يتم في إطار التطبيق الكامل للإسلام، [illegible]، الإجتماعية، والإقتصادية، والسياسية، والتربوية. وعليه، فيجب أنْ يعتبر تطبيق الأحكام الجزئية [illegible]ة، وأرضية مناسبة لتطبيق باقي الأحكام لا أن يكون تطبيقها لمجرد الإستهلاك المحلي كما يقولون.

٥ ـ ثم ألا يمكن أنْ نتساءل، وأنْ نعلن عن حقنا في المطالبة برفض تلك النظم الوضعية، التي [illegible]تنسجم بطبيعتها مع طبيعة الإنسان الشرقي المسلم؟ فهي بالتالي لا تمتلك أرضية مناسبة في مجتمعاتنا، [illegible] مع ذلك تُفرض علينا فرضاً.

يقول الشهيد آية الله الصدر في مقدمة كتابه (اقتصادنا):

«وقد أخذ بعض المفكرين الأوروبيين يدركون هذه الحقيقة أيضاً، و يلمحون اليها، معترفين بأنَّ [illegible]ـهم لا تتفق مع طبيعة العالم الإسلامي، وأذكر ـ كمثال على ذلك ـ جاك أوستروي، فقد سجّل هذه [illegible] بوضوح في كتابه: (التنمية الاقتصادية) بالرغم من أنه لم يستطع أنْ يبرز التسلسل الفني والمنطقي، لتكون [illegible]ـية الأوروبية، وتكوّن الأخلاقية الإسلامية، وترتب حلقاتها، ولا الأبعاد الكاملة لمحتوى كل من [illegible]ن، وتورط في عدة أخطاء...».

[illegible]ـادس: النظر الى الاعمال الخادعة على انها أعمال حقيقية:

[illegible]بالتحديد، فان الكثير من ممثلي بعض البلدان الإسلامية، اعتبروا ما أُعلن في بلادهم من سعي [illegible]الإسلام، أموراً حقيقية، تمثل سعي حكامها الى ذلك، إلاّ أنَّ الواقع الذي لايمكن انكاره: ان

الكثير من هؤلاء، يخفي دوافع أخرى، أقلها ــ كما مر ــ هو احتواء الصحوة واليقظة، فهناك الكثير من التساؤلات التي تطرح لتكشف عن اللعبة.

فلماذا يتم إعلان تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان، تماماً، على اثر انتهاء المناورات العسكرية الامريكية ــ السودانية المعروفة الدوافع؟

وما معنى هذا التطبيق، في وقت يرح فيه عشرات الآلاف من الجيش والمرتزقة السودانيين، لحرب الجمهورية الإسلامية الايرانية؟

ولماذا تمّ هذا الإعلان بعد تعاظم الحركة المعارضة؟

وما معنى إعلان الملك الحسن عن التزامه بالإسلام وتطبيقه لنظام الحسبة، ترامناً مع الخطوات الصهيونية، التي قام بها، من تمرير السادات الى القدس، الى توفير حولقاء النظام الاردني مع ممثلي اسرائيل العاصة، الى المؤتمرات التي أرجعت مصر كمب ديفيد الى الصف الإسلامي الحكومي، وانتهاءً بالمؤتمر الصهيوني الأخير، الذي عقد تحت رعاية الحكومة المغربية، وهناك الكثير من الأسئلة الأخرى، التي تكشف عن النوايا الحقيقية لهؤلاء.

النموذج السابع: مبدأ ولاية الفقيه، وفكرة الإنتظار:

فقد لاحظنا ان هاتين الفكرتين لم تتوضحا جيداً، إذْ قال أحد المفكرين: إنَّ اخواننا الشيعة عاشوا في جمود ــ نتيجة هذه الفكرة ــ حتى جاء الإمام الخميني بفكرة ولاية الفقيه، و بعث هذه النهضة، وأقام دولتهم!

وقد ناقش الوفد الإيراني هذا المعنى موضحاً:

أولاً: حقيقة فكرة الإنتظار. وأنها ــ بدلاً من ذلك التصور السلبي ــ تحمل مفهوماً ايجابياً، باعتبار ان المنتظر الحقيقي للإمام المهدي، هو ذلك الشخص الذي أعدَّ نفسه لينخرط في جيش، يُراد له أنْ يعمم حكم الإسلام في العالم كله، وهذا يعني لزوم الإعداد النفسي الصحيح، ولزوم تهيئة الأرضية الإجتماعية والدولية، لتحقق تلك الفكرة.

ثانياً: إنَّ تحرك العلماء في مدرسة أهل البيت ضد الظالمين، على مدى العصور، أمر لا يمكن أنْ ينكره أحد، و يكفينا أنْ نشير أخيراً الى دورهم الريادي في النهضة المشروطة في ايران، والثورة الإسلامية في العراق ــ ثورة العشرين، وغيرهما.

ثالثاً: إنَّ فكرة ولاية الفقيه لم يأتِ بها الإمام القائد كفكرة جديدة، وانما أُستمدت أُصولها من الروايات ومن طبيعة المدرسة، وتحدث عنها العلماء الآخرون، قديماً وحديثاً. نعم لقد كان للإمام القائد دوره الرائع في تأصيلها في النفوس، وتحويلها الى نظام يلتحم مع الجوهر الآخر (الشورى)، ليشكلا أساسين رائعين لنظام إسلامي متكامل، في مجال الحكم.

نموذج الثامن: العلماء وتسلّم المسؤولية السياسية:

ويقدم هذا كنموذج أخير لما اردنا عرضه. فقد طرحت فكرة انفصال العلماء عن تسلم المسؤولية السياسية، واكتفائهم بالتوجيه والإرشاد، وهي فكرة، لو أُخذت على إطلاقها، لكانت من أخطر الأفكار، ذلك ان الإسلام أراد للعلماء أنْ يمثلوا دور الأنبياء في الحركة الحضارية. «العلماء ورثة الأنبياء» هذا يعني أنه أراد لهم أنْ يحملوا المسؤولية الدينية بكل أبعادها، ومن هذه الأبعاد الجانب السياسي الإداري بلاريب. فأي تقاعس عن هذه المسؤولية، وأي انزواء وتحجر وتقوقع يعني نكوصاً ونكولاً عن المسؤولية بلاريب، و يعني استسلاماً للمصالحة التي تمت في الغرب بين السياسيين ورجال الدين لاغير، في حين ان هذا ينسجم مع العقلية الغربية، لا مع العقلية الإسلامية، والتصور القرآني لعلاقة الدين بالحياة.

لقد وقع العلماء في خطأ صنع الثورة وتسليمها الى العناصر التي لا تؤمن بالإسلام في ايران مرتين. مرة عند المشروطة، وأخرى عندما سمي بالنهضة الوطنية، التي جاءت بالدكتور مصدق الى الحكم. ولكن هذا الخطأ لم يتكرر في الثورة الإسلامية المدركة، رغم المحاولات التي قام بها الليبراليون لعزل العلماء عن قيادة الأمة، والتي باءت بالفشل الذريع.

وانما لنجد الخطأ نفسه يتكرر في ثورة العشرين في العراق، وربما في أماكن أخرى من العالم الإسلامي.

نقطة الثالثة: تقييم عام للنماذج المذكورة:

و بكثير من حسن الظن، نجد أنّ الأفكار الماضية على اطلاقها ــ كما قلنا ــ لا تنفع في مد الصحوة وترشيدها، الترشيد الصحيح، بل وربما أدت أحياناً الى انحرافها أو احتوائها، احتواءً قاتلاً.

إلاَّ أن الملاحظ ــ رغم كل ذلك ــ هو أن العناصر الإيجابية كانت أكثر بكثير من هذه الأفكار، فقد كان نفس طرح موضوع الصحوة الإسلامية في ظل الثورة الجزائرية، وذلك العطاء الثر الذي قدّمه المفكرون على صعيد ترشيدها، ووعي الشباب المسلم في الجزائر لمعنى الإسلام، والجو الحركي العكري الذي ساد الملتقى، وفوق كل ذلك توفيق الله وهدايته للمتقين، نعم كان كل ذلك، السبب الذي يؤدي بنا الى الحكم على الملتقى بالنجاح الباهر في ايصال الحقيقة الى العالم الإسلامي.

ولا ننسى هنا أنْ نذكر بالدور المهم الذي أدته توضيحات السادة المعلقين والعلماء وتعقيباتهم، من جملتها تعقيبات الوفد الإيراني في مجال تحقيق النتيجة المذكورة.

النقطة الرابعة: من المظاهر الجديدة في المؤتمر، دعوة بعض الأساتذة المتأثرين بالفكر الغربي الى حدٍّ كبير، من مثل الأُستاذ محمد أركون رئيس قسم الدراسات الإسلامية في الجامعة الفرنسية، وغيره، حيث منحوا الحرية في أنْ يقولوا ما لديهم، ثم جرت مناقشات حرة جيدة ودافعة، عادت على الجميع بخير

كثير.

وكمثال على ذلك، ماطرحه الأستاذ أركون من أفكار بشكل سريع، لقلة الوقت، ولكنه عبّر عن الكثير من مكنونات نفسه وفكره، وطرح أفكاراً خطيرة منها:

ــ فكرة إدخال المدلول في الدلالة اللغوية، الأمر الذي استفدت منه، أنه يريد جعل أية عملية فكرية نتيجة لتأثيرات اللغة، وقد سألته شخصياً: هل يمكن التفكير دون لغة؟ فأجابني بالنفي ــ مما أكد لي ــ تلك الإستفادة.

ــ ومنها فكرة لزوم إخضاع الظاهرة الدينية للظواهر الإجتماعية الأخرى.

ــ ومنها فكرة لزوم تحكيم نتائج الدراسات الإجتماعية والنفسية في مجال فهم النصوص الدينية.

ــ كما كان منها فكرة منع العقل من الكلام في الأمور الغيبية.

ــ ومنها التساؤل عما قدّمته الفلسفة الإسلامية من عطاء.

وأخيراً، قدّم اقتراحاً غامضاً في مجال تغيير مفهوم الاسطورة، على أنه كان غامضاً في مجموع ما قدّم من أفكار، وذلك على طريقة الفكر العربي العامة.

وقد أثارت هذه المحاضرة عاصفة من الإعتراضات من قبل الأساتذة والطلبة، وتراوحت التعقيبات ــ التي أخذت شطراً كبيراً من وقت اليوم الأخير للملتقى بين: تعقيبات علمية دقيقة، وأخرى أقرب الى إطالة الكلام منها الى المناقشة العلمية، في حين كانت بعض التعقيبات غير واردة.

وقد اشترك الوفد الإيراني في مناقشة بعض النقاط السابقة، مناقشة موضوعية ــ كما نتصور ــ محللاً مسألة علاقة اللفظ بالمعنى، وموضحاً مسألة استغلال الفكر المادي العربي لنتائج بحوث بافلوف في التعليم لطرح فكرة تبعية الفكر عموماً للغة، وجعله ظاهرة اجتماعية متأخرة، وبالتالي منح الأولوية للعوامل المادية في تحريك التاريخ، وقد تمّت مناقشة ذلك، من خلال التأكيد على أصالة الفكر الإنساني، والبديهيات التي يملكها على طول الخط، دون أن تتأثر بأي تغير اجتماعي. كما تمّ تحليل حاجة الإنسان بشكل طبيعي الى اللغة وان ذلك على اساس أن تكون أفكاره في ذهنه، وسعيه لنقلها الى الآخرين.

وتمّ نقض الحديث عن بافلوف، ونظريته الآنفة.

هذا بالنسبة للمسألة الأولى. اما بالنسبة للمسألة الثانية، فقد تمت مناقشت معقولة، من [illegible] الظاهرة الدينية إن أريد منها الدين نفسه ــ بما فيه من عقيدة ونظام ــ فهي أمر لا يدخل في إطار [illegible] الإجتماعية، وإنما هو فوق التاريخ والمجتمع [illegible] الظاهرة في الحياة الإجتماعية. [illegible] تأثيرات الظاهرة [illegible]

[illegible]

[illegible]

لات مختلفة من الغيب ـــ كالتوحيد الإلهي، والصفات، والقضاء، والقدر، وما الى ذلك، وكلها سائل غيبية، للعقل فيها رأيه القاطع. نعم هنالك مجالات هي أكبر من العقل، فهو يعرف عندها حدوده ف خاشعاً.

أما التساؤل عمّا قدّمته الفلسفة الإسلامية، فقد كانت في الإجابة عنه إشارة الى التحديد الرائع لفلسفة الإسلامية في المسيرة العقلية، والى صعف العقل البشري أمامها. وأنه ما زالت بحوث قيّمة، عاجزاً حل مشكلات فكرية صحمة، كمسكلة العلة الأولى، ومفهوم المكان، والحركة، والزمان، وغيرها. حين قطعت الفلسفة أشواطاً رائعة في هذا السبيل.

وانتهت المناقشة بخاتمة طيبة، حيث وقف الدكتور المذكور يستغفر الله عمّا أذنب. فشكره يع العرالي، ونمنّى له الموفقية. وبالتالي ختم المجلس بالخير.

طة الخامسة: مع عطاء الثورة الإسلامية المباركة في ايران للصحوة الإسلامية في العالم:

والذي لاحظته من خلال كل اللقاءات بالأساتذة والمفكرين والمسؤولين أنهم يحملون تقديراً صا للثورة المباركة، ويدعون الله تعالى لها أن تنتصر على كل العقبات التي يزرعها الاستعمار في يقها.

أما نصيب الثورة الإسلامية من الحاضرين فقد كانت الفكرة التي طرحتها في المحاضرتين ـ عن ها من أعظم العوامل التي أوجدت هذه الصحوة ـ موضع احترام الجميع، فلم يعترض عليها أحد، إلاّ أن ستاذ الدكتور مهدي، أستاذ الجامعة في الامارات العربية المتحدة، علّق على المحاضرة، بذكر مقابلة تمّ في أوائل الثورة، مع وفد ايراني زار الإمارات آنذاك، وصرح عنه للأستاذ ببعض المقترحات. وخلاصة مايلي: ـــ

أولاً: كان من الصحيح أن يطلقوا لفظة النهضة على ما حدث في ايران، بدلاً من كلمة ثورة.

ثانياً: من الضروري تشكيل مجلس إسلامي عام، من العلماء، من جميع أقطار العالم الإسلامي، موموا برفد الثورة، بالتخطيط والتشريع.

ثالثاً: من اللازم قيام جيش إسلامي تطوعي عام، تشكله الجمهورية الإسلامية، ليدافع عن كل نطقة إسلامية يعتدى عليها.

رابعاً: من الضروري أنْ تعتبر ايران نفسها دار هجرة للمسلمين المطاردين.

خامساً: يجب الإسراع في تطبيق الإسلام وتقديم النموذج الإسلامي الحي.

سادساً: لزوم توجيه الدعوة ـــ بالحسنى ـــ الى جميع أقطار العالم.

سابعاً: ضرورة تعاون الحكومات في الأقطار الإسلامية مع الجمهورية الإسلامية، لتقوم بحمل ء التمثيل.

وطلب في الختام أنْ أوضح له ما تمّ في هذ المجال.

ورغم قلة المدة الممنوحة لي للرد على هذا التساؤل المهم، فقد وفقني الله لتقديم بعض التوضيحات التي أُلخصها فيمايلي:

أولاً: إنَّ مصطلح «ثورة إسلامية» يعني العمل التغييري الشامل على طريق التكامل الذي يتصوره الإسلام. ومن هنا فما قمنا به ينطبق عليه مفهوم «ثورة إسلامية» انطباقاً تاماً.

ثانياً: إنَّ الثورة الإسلامية قد طلبت من العلماء ـ في شتى بقاع العالم ـ أنْ يرفدوها ـ بشتى آرائهم ـ حول الدستور الإسلامي المقترح، و بالفعل، وصلت الى مجلس الخبراء ـ الذي انتخبه الشعب ـ ردود وأطروحات كثيرة، وربما كانت بالمئات،وعكف عليها العلماء الخبراء، وتوصلوا فيها الى الشكل الموجود، وفعلاً وافق عليه الشعب بتلك الأغلبية الساحقة. ومع كل ذلك، فالإقتراحات الناءة يمكنها أنْ ترفد مسيرة تطبيق الدستور والقوانين التمهيدية المختلفة دائماً، فأهلاً وسهلاً بكل اقتراح.

ثالثاً: نود أنْ نقول: إنَّ الجمهورية الإسلامية باشرت بتشكيل الجيش الإسلامي الضخم، جيش العشرين مليوناً، ليؤدي مهمته الإسلامية الكبرى، وفي طليعتها تحرير القدس من شر الصهاينة العاصين.

رابعاً: إنَّ ايران اليوم: هي دار هجرة المؤمنين المطاردين في كل مكان، وعندنا منهم أكثر من مليون ونصف افغاني، ومئات الالوف من العراقيين، والكثير من غيرهم، وهم يعيشون بين اخوة لهم كرام، و يعملون في سبيل القضاء على النظم العميلة في بلادهم.

خامساً: كان هناك عمل دائب على تطبيق الإسلام في شتى نواحي الحياة: القضاء، الإعلام، التربية، الجو الإجتماعي العام، الإقتصاد، وهناك برامج نموذجية رائعة الأثر، طبقت في مختلف المجالات، ويمكن لأي أخ كريم، أنْ يزور الجمهورية الإسلامية، ليشهد ـ عن كثب ـ عملية التطبيق الرائع للإسلام، على كل مجالات الحياة، ولئن كنا لم نوفق بعد للوصول الى الصورة المثلى، فنحن ـ بحمدالله ـ على الطريق سائرون، ومن الله التوفيق والنجاح.

سادساً: وقد قامت الثورة الإسلامية بتوجيه الدعوة بالحسنى الى الجميع، إلاَّ أنَّ مخططات العدو حاولت المستحيل، لتشوه تلك الدعوة.

سابعاً: أما مدى تعاون الحكومات في الأقطار الإسلامية، فهو أمر متروك للأستاذ نفسه ليجيب عليه!!

وعلى أي حال، فقد تحدث مختلف الأساتذة عن الثورة الإسلامية، فذكر الدكتور أحمد بن نعمان ـعضو المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائرـ الدور العظيم الذي لعبته الثورة الإسلامية في ايجاد الصحوة، وذكر الحاضرين بمقولة وزير الدفاع الإسرائيلي السابق، موسى دايان، والذي وصف الثورة بأنها: زلزال هزَّ الارض.

كما تحدَّث عنها الأستاذ الدكتور عمار الطالبي، مدير معهد العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر، وعضو المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر.

واعتبر الأستاذ فهمي هويدي ـ المشرف على الوكالة الإسلامية للاعلام في بريطانيا ـ الثورة الإسلامية أعظم مظهر للصحوة الإسلامية. كما أنّ الأستاذ الدكتور الهاشمي التيجاني ـ أستاذ الحضارة الإسلامية في جامعة الجزائر ـ نوّه بالصحوة الإسلامية التي أوجدها الإمام الخميني القائد.

وهكذا أشار الشيخ المرصاوي الى الثورة الكبرى التي قادها الإمام القائد.

وكذا فعل الأستاذ عبد الرزاق قسوم أستاذ الفلسفة جامعة الجزائر.

إلاّ أنّ الشيء الذي ينبغي ذكره هو تغافل البعض الآخر عن هذا الدور العظيم، ومحاولة التغطية عليه، بل أننا رأينا أحد الأساتذة ـ من المغرب ـ يتحول عن الحديث عن أسباب الصحوة (وهو عنوان محاضرته)، الى الحديث عن مظاهر الصحوة فقط، والذي نعتقده ان الجو السياسي في المغرب ـ بلاريب ـ لا يسمح له بالطبع للتعرض لدور الثورة الإسلامية، في ايجاد هذه الصحوة الكبرى.

والواقع: انّ الإنسان لا يستطيع أنْ يصف تلك المشاعر الصادقة، التي عبّر عنها الشباب المسلم في الجزائر، من دعاء للإمام القائد بالنصر، وطلب الإطمئنان على صحته، والتساؤل عن مدى التقدم الذي حققته الثورة في المجالات المختلفة.

ولا أنسى أيضاً أنْ أذكر ان مختلف الأساتذة كانوا يعبّرون عن مشاعر صادقة رائعة، حتى أنّ أستاذاً مصرياً سألني السؤال التالي:

ترى هل تعلمون ـ أنتم ـ مدى الحب والتقدير الذي تملكونه في قلوب أبناء الشعب المصري؟

وأضاف: ان لي صديقاً، من عائلة فنية لاصلة لها بالدين، ولكنه يدافع عن الثورة، كما يدافع عن وجوده هو.

وكانت لحظة رائعة، رأيت فيها أصدق مشاعر الحب.

وانحنى على اذني قائد جزائري بطل ليقول لي: أبلغ الإمام القائد تحياتي الحارة، ودعائي له بالنصر المؤزر. وراح شيخ آخر يحدثني عن عرفان الإمام وعظمة مقامه. كما راح بعض الأساتذة الجامعيين يشدون على يدي، طالبين الإصرار على مواصلة الدرب، نحو تطبيق الإسلام، وتحدي القوى العظمى.

وقال لي أستاذ ـ من الجزيرة العربية: إنّ القلوب كلها معكم، ولا تعبّر مواقف الحكومات عن مواقف الشعوب.

والواقع أنّ الجو العام كان جو التأييد التام للثورة الإسلامية، فلم يكن يضره محاولة بعض الآتين من نظم رجعية لإثارة بعض البلبلة في أذهان الشباب، إذ كانوا يلقون الرد عليهم من الشباب نفسه.

أما مسألة الحرب، فرغم الغموض الذي كان يكتنفها، فإنّ التوضيحات التي قدمت كان لها أثرها الكبير في اعطاء الصورة الحقيقية لها، وعدم الإنخداع بالصورة المحرفة عنها.

في الجلسة الختامية:

هذا، وقد كانت الجلسة الختامية للمؤتمر ـ بعد جلسات طويلة عقدت قبلها ـ لإنهاء أعمال

المؤتمر، مما اضطرت اللجنة المشرفة، لعقدها بعد الساعة العاشرة ليلاً، وقد أختتم المؤتمر بكلمة قيّمة للأُستاذ الشيخ عبدالرحمن شيبان، جاء فيها:

أيها السادة العلماء؛

أنكم برهنتم في تناولكم موقف المسلمين من الحضارة المعاصرة، على تفتح واعٍ وفكرٍ أصيلٍ، حين أجمعتم على أن موقفكم ليس موقف المعرضين عنها برمتها، أعراض جمود وتحجر، ولا موقف المقبلين عليها اقبال انبهار وتبعية، بل هو موقف الراشدين الواعين الذين يأخذون من هذه الحضارة كل ما هو صالح ومفيد، و يرفضون كل ما هو فاسد، يضر الحياة السوية للأفراد والجماعات.

ولم تكتفوا بذلك، ولكنكم ألححتم على وجوب مضاعفة الجهد، للقضاء على التخلف في جميع أشكاله و ميادينه، وتحقيق الإكتفاء في الإنتاج، بجميع أنواعه، كي لايبقى المسلمون عالة على غيرهم، يستهلكون نتاج حضارة لم يساهموا في صنعها.

وطالبتم بضرورة الأخذ بأسباب القوة والتقدم العلمي، والتكنولوجي. والعمل من أجل الإنتقال من مرحلة الإستهلاك والتبعية، الى مرحلة التفاعل الايجابي مع الحضارة المعاصرة، والمساهمة في اثرائها وتقويمها؛

وأكدتم أن هذا ــ كله ــ لايتحقق، إلاّ إذا كانت صحوتنا المباركة متكاملة متوازنة، شاملة شمول إسلامنا، تستغل ثروات بلادها لخير شعوبها، وتستثمر طاقات أبنائها و بناتها، حتى تنصر بعينين، وتحلق الى المجد بجناحين؛ متطور معاهدنا التكوينية، في جميع الإختصاصات العلمية، وبرودها بأحسن الخبراء، في تكوين الرجال؛ مستعينين في كل ذلك بالأنماط المعتبرة، هنا و هناك ، كما تثري جامعاتنا الإسلامية، ببرامج أصيلة عصرية متطورة؛ تجمع بين الفهم الصحيح للإسلام، والإدراك الواعي لطبيعة العصر ومقتضياته.

هذا، و لقد أصدر المؤتمر توصيات عديدة؛ إلاّ اننا لم نستطع الحصول على نسخة كاملة منها، لذا نكتفي ببعض توصيات اللجنة الأولى:

(١) ــ ضرورة تدريس مادة النهضة الإسلامية المعاصرة في كل مكان، وصناعة و نشر الأفلام الهادفة عنها.

(٢) ــ تشجيع المؤلفين والكتاب الإسلاميين، على تأليف الكتب والمقالات، في مجال تحليل النهضة الإسلامية المعاصرة، وتقييمها، ونقدها، وطرح الحلول الماسة للعقبات التي تعترض سبيلها، والمقترحات التي تحقق لها نجاحاً أكبر.

(٣) ــ دعم وإسناد قضايا الصحوة الإسلامية واتجاهاتها الكبرى، مثل تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في البلدان الإسلامية، وإحياء الدور الحضاري الذي تمتاز به الشريعة الإسلامية، كالأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، لما لذلك من أثر في احياء وحفظ الشريعة الإسلامية.

(٤) ـــ ضرورة مقاومة الغزو اللغوي الغربي، عبر الإعتماد على التأليفات والأفلام المحلية، أو ترجمة الأفلام الصالحة.

(٥) ـــ العمل على نشر اللغة العربية، في الأقطار الإسلامية بشكل كامل.

(٦) ـــ العمل على إنشاء دائرة معارف إسلامية.

(٧) ـــ لزوم مشاركة الجهات المسؤولة في عملية الإشراف على الكتب والأفلام الواردة.

(٨) ـــ متابعة مناطق النفوذ الغربي الإستعماري، وكشفها.

(٩) ـــ إنشاء مراكز أبحاث في البلاد الإسلامية، على مستويين، (محلي وعالمي).

(١٠) ـــ ضرورة تحرك مراكز الإعلام الإسلامي.

(١١) ـــ إنشاء إذاعات باللغات المختلفة للإرشاد الإسلامي.

(١٢) ـــ تدريس مادة (العالم الإسلامي) في مختلف الجامعات.

(١٣) ـــ الطلب الى منظمة المؤتمر الإسلامي لتنشيط لجنة القانون الدولية.

(١٤) ـــ العناية بالمغتربين المسلمين.

(١٥) ـــ الدعوة لانشاء مجلس إسلامي عالمي، للإهتمام بتوحيد المسلمين، على المستويات عبر السياسية.

(١٦) ـــ مناشدة الجامعات الإسلامية لتقديم منح للدول الإسلامية الأفريقية.

(١٧) ـــ دراسة فكر الحركات الإسلامية ونشاطها، دراسة موضوعية.

(١٨) ـــ مطالبة وسائل الإعلام الإسلامي بتعميق معالم الصحوة الإسلامية.

(١٩) ـــ إنشاء مكتبات خاصة، ومراكز أبحاث متخصصة.

(٢٠) ـــ إدراج مادة فقه الدعوة الإسلامية، في مناهج الجامعات.

(٢١) ـــ التعجيل بإنشاء الجامعات الإسلامية ـــ المتفق عليها ـــ في أفريقيا.

وفي ختام هذا التقرير أود أنْ أشكر الاخوة ـــ المسؤولين الجزائريين ـــ حسن ضيافتهم، وكرم ضيافتهم، وسهرهم على الملتقى، وأدعو لهم بالتوفيق والسداد، كما أخص بالذكر السيد سفير الجمهورية الجزائرية في طهران، على ما أبداه من تعاون، وأخيراً أشكر الاخوة الكرام في سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في الجزائر، على جهودهم، وتعاونهم البالغ، وخصوصاً السيد السفير، راجياً المولى العلي القدير، أنْ يمُنَّ علينا ـــ جميعاً ـــ بالخير والتوفيق، انه هو الموفق للصواب ●

الصحوة الإسلامية

حقيقتها، أسبابها ودوامها

محاضرة القيت في الملتقى الثامن عشر للفكر الإسلامي بالجزائر خلال شهر تموز من العام الجاري (١٩٨٤).

الشيخ محمد علي التسخيري

يكاد الحديث عن هذا الموضوع يعدّ من أجمل الحديث، لأنه يتعلّق بأهم قضية وأهم ظاهرة تعيشها الأمّة الإسلامية كمنعطف في تاريخها المبارك ... وما أجمل أنْ نركّز على قضايانا المعاصرة، من زواياها العقائدية والحضارية، بدلاً من الإنخراط في مشاكل عقيمة، بعيدة عن الواقع الذي نعيشه، والأهداف التي نرنو اليها.

وقد اخترت في مجال تناولي هذه الظاهرة المباركة، أنْ أتعرض لها من الزوايا الثلاث: (الحقيقة، الأسباب، الإستدامة)، تحميماً للترابط المعلوم بين هذه الزوايا، وتأكيداً للنتائج العملية التي يجب أنْ ننتهي اليها من خلال البحث.

حقيقة الصحوة الإسلامية:

إنَّ من نافلة القول أنْ نتحدث عن التركيبة الإسلامية ــ ككل ــ إلاّ أنَّ التذكير بها يحقق تمهيداً جيداً لفهم حقيقة الصحوة الإسلامية.

فالإسلام عقيدة تحدد للإنسان الوجود والكون والحياة والإنسان، بتاريخ ومستقبله.

وتنبثق من هذه العقيدة مفاهيم، تُشَ عملياً واسع الأبعاد.

وعلى أساس من العقيدة والمفاه تتخذ العواطف الإنسانية مساراً توحي احتلالاً حقيقياً عنها عندما لا تعيش في هذا

وبعد كل هذه الأرضية المناسبة، الإجتماعي الإسلامي ليشمل تخطيط الإ نواحي الحياة الإنسانية.

وحينئذ؛

فالمسلم الواعي حقاً يتمتع بالعناصر ا

أولاً: فهم الحقيقة الإسلامية فهماً مدّ

ثانياً: وايمان منطقي بها،

ثالثاً: ونموذ ايماني الى العواطف الصياغة التي تنسجم بها مع الأُسس،

...اً: وانتهاء الى المجال العملي، الشخصي

... العناصر التي يتميّز بها المسلم الواعي، والتي ... لإنسان مدارج الكمال من خلال تأصلها في ... حياته.

...فهم:

... فهم الإسلام ــ أسساً و بناءً نظرياً ــ من ... في الاطار العملي التنفيذي من جهة اخرى، ... لفهم الإسلامي التطبيقي؛ فهم التعليمات ... ة الهادفة لكيفية ملء المساحة المباحة، أو ما ... عليها أحد كبار المفكرين (منطقة الفراغ)، ... كها الإسلام للحاكم الإسلامي ليقوم بملئها ... ه التعليمات، مع ملاحظة المصلحة ... ة العليا، والظروف الموضوعية القائمة.

... معتبر مايسمى بالعلم اللدني ــ الموحى ... ــ أسمى درجات هذا الفهم، في حين يتلوه ... نة ما يتحصل بالإجتهاد الأصيل الصحيح.

... الايمان:

... و بدوره متفاوت الدرجة، مما يبرر أنْ يؤمر ... منوا بالايمان، وتصعيد هذه الدرجة، أو توسيع ... ة الايمانية، و يشمل الايمان بالموقع المحدد من ... ، والمنطلق الحياتي، والهدف السامي، ونوع ... الى الهدف.

... ا ركّزنا على الصعيد العاطفي، رأينا نفس ... ع فيه، حتى يصل الأمر الى مستوى أنْ يملأ ... لإلهي وجود العبد، و يسمو هذا، حتى ليقول ... ث عن الزهراء (ع) تلميذة الإسلام؛ ان الله ... ضى لرضاها و يغضب لغضبها، وحتى يتحول ... الى حب كله، (وهل الدين إلاّ الحب) كما ... بعض الروايات.

ومن هنا يُدعى المؤمنون الى تجاوز مرحلة الايمان العقلي المجرد، الى مرحلة الخشوع والتحرك العاطفي. فيقول تعالى:

«ألمْ يَأنِ لِلّذينَ آمنوا أن تخشعَ قلوبُهُمْ لذكر الله وما نزل من الحق، ولايكونوا كالّذينَ أُوتُوا الكِتابَ من قَبْلُ فَطالَ عليهمُ الأمدُ فَقَسَتْ قلوبُهُمْ...»

(الحديد/ ١٦)

وأخيراً تصل المرحلة الى عنصر العمل، الذي يأتي بشكل طبيعي بعد التحرك العاطفي، ذلك أنَّ الإرادة الإنسانية هي حصيلة الشوق المؤكد الى حدٍّ كبير...

وأشدُّ الناس تمزقاً في الشخصية: هم أُولئك الذين تنفصل أعمالهم عن عقائدهم وعواطفهم، وأذكر هنا قولة للفرزدق، فانه بعد أنْ سأله سبط رسول الله الحسين بن علي (عليه السلام) عن أهل الكوفة فأجاب: **«قلوبهم معك وسيوفهم عليك»**.

والواقع انَّ انعدام العمل يشكّل قرينة طبيعية على عدم فاعلية الأُسس؛ يقول القرآن الكريم:

«أرأيتَ الذي يكذب بالدين* فذلكَ الّذي يَدُعُّ اليتيم* ولا يَحُضُّ على طعام المسكين».

(الماعون / ١ــ٣)

بعد هذا التحديد لمعالم الوعي والصحوة، يمكننا أنْ نشخص تحققها في أي زمان ومجتمع عبر ملاحظة تحولها الى ظاهرة اجتماعية، وعدم اقتصارها على مجموعة صغيرة. نعم إذا شملت الصحوة قطاعاً كبيراً، وتعاطفت معه الأكثرية الجماهيرية المسلمة، أمكن ــ بحق ــ أنْ يتحلى ذلك المجتمع بحالة الصحوة الاسلامية.

هكذا كانت الغفوة:

ولقد مرّت أُمتنا الإسلامية بفترات زمنية طويلة، عمّتها غفوة، وشملها تخدير وضياع مقيت، يتفطر له القلب ألماً.

فالفهم الإسلامي الصحيح غير متوفر، إلاّ على أصعدة فردية محدودة المجالات، وحينئذ من الطبيعي أنْ لاتجد تعاليم الإسلام المحيية للنفوس مجالها الطبيعي المؤثر في القيام ببناء النفوس والمجتمع.

> **إنَّ علينا أنْ نطمئن دائماً الى نصر الله وعونه ـ تعالى ـ فإذا ما حققنا في أنفسنا قابلية الفيض الالهي، فانه تعالى فياض لاينقص فيضه ولا يبخل به...**

والتجزيئية:

تعمل عملها الخبيث، في تمزيق الفرد المسلم من كل الجهات، فهو ممزّق في رؤيته الكونية، وقد أراد له الإسلام أنْ يتخذ رؤية واحدة تجاه الأشياء، وهو ممزق في شخصيته، حائر بين الإلتزام بقوانين السماء والإتجاه مع الواقع الفاسد والولاءات المتعددة، وآلهة التاريخ والتمدن، والعنصرية، والقومية، والوطنية، واللون، وحتى العلم، كلها تشكل مطلقات يجردها الذهن الإنساني من نسبيتها، ويمنحها صفة الإطلاق لتشكل بالتالي قيوداً على التحرك الحضاري الى الأمام، والاشتغال بالهموم الضيقة والشخصية هو الديدن العام، وقليل أولئك الذين يفكرون في مصالح الأُمة كل الأُمة، و يعيشون قضاياها الرئيسية، وجرائم الكفر والإنحراف الفكري والخُلقي تسود الساحة، فلا تجد أمامها من يقف في وجهها.

والروح الحماسية ميتة، إلاّ تعصباً لمال أو تجمع أو مذهب خاص أو حاكم طاغٍ.

ومن الطبيعي والحال هذه أنْ تكون هذه العائلية ممراً للاحتلال على مختلف الأصعدة، ومنها الصعيد العسكري.

هكذا كان الحال: و بدأت الصحوة ـ شيئاً فشيئاً ـ حتى بلغت ما نحن فيه من حال.

معالم الصحوة:

وقد تمثلت معالم الصحوة اليوم في أُمور كثيرة. لسنا بصدد استيعابها. بقدر ما نحن فيه من الإشارة، حيث نجدها في:

ـ هذا الإتجاه العام نحو تفهم الإسلام ومعرفة جوانبه الحياتية.

ـ وهذا الإتجاه الصارم للقطاعات المختلفة، وخصوصاً قطاع الجيل الشاب نحو تطبيق الإسلام على كل شؤون الحياة الإجتماعية والفردية، والنظر للإسلام كمنقذ من كل المهالك والمشاكل، التي تورطت فيها مسيرة الأُمّة.

ـ وهذا التفهم الواعي لدور قوى الإستكبار العالمي، في التخطيط لإفناء الشخصية الإسلامية، ثم العمل على امتصاص دمائها.

وكذلك تفهّم الطاقات الضخمة التي تملكها الأُمة المسلمة، ونوع المرحلة التاريخية التي تعيشها

ـ وكذلك هذا الترابط الإحساسي والشعوري

المسلم في الجانب الآخر منها.

ــ ثم هذا التخطيط الحثيث هنا وهناك لاستعادة المجد الإسلامي، وإقامة الدولة الإسلامية الواحدة على كل الأرض الإسلامية.

.. ورغم اختلاف مستويات التخطيط فإنها تكشف جميعاً عن التطلع والعمل على صنع المستقبل.

ــ وهذه الحرارة الثورية المتصاعدة، والتي بدأت تمص مضاجع اللصوص الكبار وتهز عروش عملاء الصغار، وتمزق أستار المستشرقين والمستغربين، انها حرارة الخشوع والتضحية والفداء في سبيل العقيدة، وهي تستمد أوارها من انطلاقة المسلم في الصدر الأول نحو الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، ناسياً دنياه ومتعه، في سبيل متعة تحقيق الهدف السامي العظيم.

وأخيراً وليس آخراً؛ هذا الإتجاه الجماهيري نحو تعميم الأخلاق الإسلامية على المجتمع، وإزالة مظاهر الطاغوت والعصيان، إذْ رأينا الحجاب الإسلامي يسري سريان العافية في أوصال المجتمعات الإسلامية، ورأينا النفور من مظاهر الخلاعة والخمر والميسر وباقي العادات السيئة، يمثل ظاهرة إسلامية محمة.

كل هذا أرعب دهاقنة الكفر وعملاءهم، حتى أيقنوا أنَّ ما كانوا يخشونه قد تحقق، واستعادوا من جديد الى ذاكرتهم قولة غلادستون عن القرآن، أكبر عنصر دفاعي لدى المسلم، وقولة ديغول حين أخبرهم ــ في الأربعينات ــ من هذا العملاق النائم، والذي تداعب خصلات شعره مياه الأطلسي، وتغسل رجليه مياه المحيط الهادئ...

فراحوا يكررون التحذير.

فهذا وزير الخارجية الأميركي يحذِّر العالم من اليقظة الإسلامية، وهذا وزير الخارجية (الاسرائيلي) يكرر التحذير، وهذان العملاقان المتعاديان يضعان يداً بيد لمواجهة المدّ الإسلامي. لقد اشتد التخطيط لمواجهة هذا السيل الإسلامي العارم، الذي يهدد حضارتهم بالزوال، لأنه يحمل العلاج الصحيح، والذي يحرق أحلامهم، ويقضي على مطامعهم الجشعة.

> **اذا امتلكت الصحوة قيادتها الواعية، وأحسَّت في شتى مجالاتها بالشمول الإسلامي والتفاعل الإنساني، كهدف إسلامي، لم تنحرف الى مجالات التطرف.**

وكان الإستعمار بين عشيةٍ وضحاها ــ وجد أنّ كل أحابيله وبذوره الشيطانية التي زرعها في قلب هذه الأمة، وكل الآلهة التي نصبها أمامها ــ كما أشرنا اليها من قبل ــ وجد هذه الآلهة تتهاوى وتتمزق تماماً، كما وجد المبشّر المسيحي نفسه في حيرة، عندما حدَّث بعض المسلمين عن معاجز الرب المسيح، فراحوا يصلُّون على محمد (ص) وآل محمد.

لقد وجد الإستعمار ان القوى والأساطيل الجامدة تذوب عند كل صرخة تكبير يطلقها مجاهد مسلم، ولقد استولى الرعب على الطغاة عندما وجدوا أن القيود والسجون ترتجف أمام تكبير الأسير المسلم وصرخته الربانية الهادرة.

الأسباب:

وليس من الصعب على من ينطلق في تفكيره من زاوية إسلامية موضوعية أنْ يكتشف أسباب هذا التحول العظيم في حياة الأمة ــ نعم قد يعمى عنها الحوّل القلّب، اما البصير، فلا يشك في كونه لطفاً إلهياً محضاً، شمل هذه الأمة بعد فترة، وأهّلها لأنْ تطرح نفسها في الساحة العالمية، ويُمكّن إسلامها من قيادة العالم من جديد، موطئة لليوم الموعود، «... ويكون الدينُ كلُّهُ لله...» (الأنفال / ٣٩)

اما العناصر التي أهّلت الأمة لسموها باللطف الإلهي لها، فهي:

أولاً:

العمل الدؤوب للعلماء والمفكرين الذين احسّوا بداء هذه الأمة، وراحوا يخططون و يرسمون في أحداقها سُبل العلاج... والواقع ان عمل العلماء انصبّ على أنْ يستعيد الإسلام دوره في النفوس والعقول، وحينئذ فهو يتكفّل بدفعها نحو سبل السعادة، بما يحمله من طاقات ذاتية، وإبداع متدفق، يفجّر طاقات الفطرة، و يستخرج مكنوناتها، و يستثير دفائنها، واذا تجلّت الفطرة النفسية على السطح الحياتي، كان الفلاح كله.

والجدير بالذكر ان هؤلاء المفكرين لم يستطيعوا أنْ يحققوا ما حققوا إلاّ بعد أنْ حرروا نفوسهم من المتع الرخيصة، ونذروا أنفسهم للهدف، وتخلصوا من قيود التبعية للحكّام الذين شكّلوا ــ في فترة الغفوة ــ قيوداً ظالمة، ومازال الكثيرون منهم يشكّلون ذلك، و إلاّ بعد أنْ اتصفوا بالعلمية والروح التغييرية الإسلامية معاً.

- ولن تستطيع كل أساليب التمويه والخداع والإتهام أنْ تمحو من أسماع الأُمة صرخات الأفغاني، وعبده، والبنّا، وسيد،وعودة، والمودودي، وابن باديس، والإبراهيمي، والمطهري، والصدر، والإمام القائد الخميني، بعد أنْ أدت دورها العظيم في تحقيق هذه الصحوة المباركة.

ثانياً:

الدور الرائع الذي لعبته الحركات الإسلامية، في نشر الوعي، والحماس الثوري بين أبناء الأمة، وقد اختلف تأثير هذه الحركات على هذه المنطقة أو تلك، كما اختلف مستوى الوعي والحماس لدى هذه الحركة عن تلك، إلاّ أنها جميعاً قد أجّجت الشوق الجماهيري نحو تطبيق الإسلام، وأوجدت

> **قد يحصل الايمان في لحظة صحو وبكل سهولة، ولكن الأمر الصعب هو الإستقامة على خطه، والعمل بمقتضياته، والصمود بوجه الضربات والعقبات الداخلية والخارجية.**

شعوراً ذا مساحة معتدٍّ بها، بلزوم مقاومة مظاهر الطاغوت، والعودة الى الاسلام... و إني لأعلم أنّ الكثير الكثير من أبناء هذه الأمة قد اهتدى بفعل تأثير هذا العامل، كما أعلم أنّ الكثير من المحاولات الاستعمارية والعميلة، قد جرب لجرّ البعض منهم الى سبيل الإحتواء، أو الإنضواء تحت الرايات

الخادعة، أو الاعتماد على نظم لا تمت الى الإسلام بصلة، وطبيعي ان هذه المحاولات لا تلبث وأن ينكشف زيفها في فضاء الوعي السائد، وهكذا كان الأمر، وراحت حركة التوعية تقطع أشواطها الضخمة التأثير.

> **لقد اثبتت الفلسفة الغربية خواءها أمام الفلسفة الإسلامية، وأعلنت التنظيمات الغربية عن إفلاسها أمام عمق التخطيط الإسلامي.**

ثالثاً:

ردود الفعل التي أعقبت الهجوم الغربي الفاشل على العالم الإسلامي. فرغم التخطيط الدقيق لهذا الهجوم، والعمل على أنْ يستوعب مختلف الجوانب الحياتية و يستكمل كل عناصر النجاح المطلوب، بل ورغم هذا النجاح الظاهري الذي تصور الإستكبار العالمي أنه حققه فسلب الأُمة فكرها وايمانها بإسلامها، وعاطفتها الحماسية، وشخصيتها، و بالتالي ثروتها المادية، حتى ظنَّ أنها ماتت، أو هي توشك على الموت، بعد أنْ شدَّ وثاقها بالحدود المصطنعة، ومزَّق وجودها بالتناحر القومي، والوطني، والعنصري، والتاريخي، وزرع في وجودها الغدة السرطانية الخبيثة، وأثقل كاهلها بالعملاء الحكّام، وسرَّب الى أوصالها سمومه الفكرية والعاطفية، وملأ حياتها بالمجون والترف والفسق، فان من كان يرى ايران في عهد الشاه، يصيبه الذهول لمصير هذه الأمة، واليأس القاتل من هداها، وعودتها الى الإسلام.

نعم؛ رغم كل هذا أنتج الهجوم نتيجة عكسية، فقد أيقظ الأمة، وأفهمها ان سر وجودها: هو إسلامها العظيم، وانها لن تجد السعادة إلاّ في ظلّه.

وقد كان تأثير الهجوم العكسي على طريقين:

الأول:

انه كشف نفسه وحضارته وأخلاقه أمام أبناء هذه الأمة. فلقد أثبتت كل الآراء والنظم التي خططها للحياة الاجتماعية فشلها وعريها وغربتها عن فطرة الإنسان وشعور المسلم وعقليته. وهي حقيقة أدركها الإستعمار تماماً قبل غيره، فراح يستر فشله بعملية الترقيع، أي عملية إلباس الأفكار الغربية، لبوس العروبة والشرق والإسلام، مما فضح به نفسه أكثر فأكثر.

لقد أثبتت الفلسفة الغربية خواءها أمام الفلسفة الإسلامية، وأعلنت التنظيمات الغربية عن إفلاسها أمام عمق التخطيط الإسلامي. أما الأخلاق والإنسانية، فلا يعرف الغرب منها إلاّ شعارات لامضمون لها على الإطلاق... كل هذا ترك أثره ــ بلا ريب ــ في التوعية من حيث لا يريد العدو.

الثاني:

انه دفع الحريصين، المؤمنين بمستقبل هذه الأمة، الى اتخاذ موقف المواجهة والتخطيط الدؤوب للصحوة المباركة.

و بعد هذا الفشل، لم تعد الإستعمار كل أساليب التطبيع الخبيثة، ولم تجد له نفعاً حتى الأقنعة الإسلامية، والمظاهر الخادعة التي تعلن الدفاع عن الإسلام، ولكنها تحرِّف الإسلام نفسه في أذهان

الأمة، وتفرغه من محتواه الثوري والتغييري، فإذا بعباداته طقوس واجترار عقيم، و إذا بنظمه قيود للحياة الفردية، وانزواء عن الحياة الإجتماعية.

انه التحريف والتحريف، وهو أمر لا يطلى على الفطرة التي سرعان ما تكتشف زيفه، فينقلب الأمر لصالح الحقيقة.

وكان من جملة ما انكشف زيفه للجماهير المسلمة، تلك الصيغ الرجعية للحكم الإسلامي، وتلك الأطروحات الـذيلة المموهة للوحدة الإسلامية، والتي صوَّرتها للامة وحدة بين الحكّام، وراحت تعلن للأمة ــ كل يوم ــ أنها تسير على خطى تحقيق الوحدة. وتمر أعوام وأعوام، و إذا بالأمة تجد نفسها أسيرة الخداع من أول الطريق، فلا الشخصية عادت، ولا الأرض السليبة استعيدت، ولا الفوارق الظالمة الإجتماعية رفعت، بل سارت الحال من سيىء الى أسوأ، يغضب له الرب العظيم، و يفرح له الشيطان الرجيم.

نعم، فشلت كل أساليب مقاومة الهجوم الغربي بالأسلوب الغربي، لالشيء إلّا لأنها كانت من صنع الغرب نفسه، وأنى تنقذ الأمة من ورطتها الحادة الأساليب الشيوعية أو الليبرالية.

رابعاً:

الأحداث الضخمة في العالم الإسلامي، وفي مقدمتها نجاح الثورة الإسلامية المباركة، بقيادة الإمام العالم الزاهد الشجاع الخميني، والتي هزَّت العالم الإسلامي من أقصاه الى أقصاه، وحقّقت حلماً كان يبدو بعيد التحقق، من شعب أعزل، لا يملك إلّا ايمانه وقبضاته العزلاء.

وقد استطاعت هذه الثورة المباركة، عبر الكثير من المُعطيات أن تؤثر الأثر الأكبر، في تحقق الصحوة، وتناميها، وانتشارها.

وقد شملت تلك المعطيات الأصعدة الحياتية المختلفة، وأعطت الأمة الإسلامية والعالم دروساً رائعة.

> **لن تستطيع كل أساليب التمويه والخداع والإتّهام أنْ تمحو من أسماع الأمة صرخات: الأفغاني وعبدة والبنّا وسيد وعودة والمودودي وابن باديس والابراهيمي والمطهري والصدر والإمام الخميني.**

انها أكدت للشعوب المسلمة:

قدرتها على أنْ تقارع أقوى القوى وبهرمها،

وضرورة تواجد القيادة الحكيمة، والتفاف الشعب حولها،

ولزوم تحرر العلماء من سيطرة الحكومات ليقودوا شعوبهم،

وكيف تتدخل يد الغيب في نصرة المؤمنين وارعاب الطغاة،

ونوعية ومقدار المعاجز التي يحققها تواجد الشعب المسلم في الساحة السياسية والتشريعية،

وكيف يتلاحم مبدأ قيادة الفقيه العادل ونظام الشورى، في عملية رائعة الأثر،

وكيف يتحول كل التآمر الإستعماري لصالح القضية الإسلامية،

وان الإسلام يستطيع ــ تطبيعياً ونظرياً ــ أنْ يشمل جميع الجوانب الحياتية،

وكيف يتم تطهير الجوص الإنحرافات الأخلاقية والإجتماعية وفضح الأنظمة التي ادعت الإسلام وحدمت قضية الإستكبار،

ولزوم تقديم القرابين من أجل الإسلام، والدروس المعبرة في الشهادة والتسابق نحوها، مما لم يعهد إلاّ في الصدر الإسلامي الأول،

وتحدي هيبة الدول الكافرة العظمى، وتمريغ أنوفها في التراب،

وقد استطاعت الثورة الإسلامية أنْ تهزم كل الأساليب القومية، والوطنية الضيقة، والشيوعية الملحدة، والليبرالية غير الملتزمة، وكل الطروحات التي موّه الغرب بها على الامة الاسلامية.

كما دعت الى توحيد المسلمين ضد العدو الكافر، فقامت بأروع الخطى في هذا السبيل.

وانتهجت سياسة اقتصادية مستقلة، قائمة على أساس الإكتفاء الذاتي، فاستطاعت أنْ تقف على قدميها، رغم كل أنماط الحصار والظروف القاسية، التي فرضها الإستعمار وعملاؤه.

وغيّرت كل أساليب التعليم، صابغة اياها بالصبغة الإسلامية الخالصة،

وطهّرت كل وسائل الإعلام من أدران الإنحراف والتحريف، واضعة أُسس إعلام إسلامي نزيه، واتبعت نظاماً تربوياً إسلامياً، شمل كل الجوانب.

وبحثت في القضاء على التناقضات الحادّة بين الفئات الإجتماعية، عاملة في سبيل الإرتفاع بالطبقة المحرومة، مانعة من الإسراف وتجاوز الحد، دون أنْ تخرج عن الحدود الإسلامية.

ولا نستطيع أنْ نستمر في تعداد المُعطيات، فهي مما لايمكن عرضه بهذه العجالة.

كل هذه المعطيات وغيرها كثير كثير أحدثت ثورة في كل مكان، وهزّت الجماهير هزاً، وفتحت آفاق الأمل نحو الغد الإسلامي الأمثل.

الأمر الذي لاحق شبحه الإستعمار وعملاءه في كل مكان، فراح يعد حساب أمره من جديد، بعد أنْ أعلنت عقوله الألكترونية المعقّدة فشلها في تمرير الموقف الجديد.

على اننا نعت الأسس وجود بعض العوامل الأخرى، ولكنها ــ مهما تسامت ــ ثانوية جداً، لا تستطيع أنْ تخطى بهذا الشرف الكبير.

ملاحظات حول
الصحوة الاسلامية وما يحف بها

الملاحظة الاولى:

حول الصحوة الإسلامية، وترشيدها، وإدامتها.

وبكل اختصار نقول: إنّ هذه الصحوة من أعظم النعم علينا، فينبغي أنْ نشكر الله تعالى عليها، وشكر هذه النعمة يعني الإنسجام معها، ووعيها جيداً، والعمل على تعميمها وتعميقها ودعومتها في الحياة....

فالتحول الكبير لايتم إلاّ في فترات الصحوة العامة، والقائد الفذ هو الذي يستطيع أنْ يضمن الوعي المتأجج حاساً في شعبه لقضيته الكبرى، فإذا ما خبا ذلك التأجج، كان ذلك إيذاناً بموت المسيرة بلاريب.

ان التأجج الواعي ليحول كل العقبات الى جسور، وكل المؤامرات المعادية الى ضربات معاكسة، يزكّي بها نفسه، و يزيل عن وجوده

النفايات الضارة...

هذا، ويجب أنْ لا تغيب عن بالنا حقيقة مهمة، هي: ان الإيمان قد يحصل في لحظة صحو وبكل سهولة، ولكن الأمر الصعب هو الإستقامة على خطه، والعمل بمقتضياته، والصمود بوجه الضربات والعقبات؛ الداخلية والخارجية.

وربما كانت هذه الصعوبة هي السر الكامن في قولته (ص): «شيبتني هود»، وذلك لمكان آية الإستقامة فيها: «فاسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ...» (هود / ١١٢)

وهكذا يمكن أنْ ينطبق الأمر على التحولات التي تحدثها صحوة إجتماعية ما، فقد يكون السيل عارماً، والثورة ضخمة، بحيث لايقف أمامها الطغاة، فينهارون، وقد تحدث بارقة، فتعم الصحوة قطاعاً واسعاً.

اما الأمر المهم، فهو المحافظة على الصحوة، ونتائج الثورة المباركة، وادامتها بعد أنْ يهدأ الطوفان، ويملك العدو الفرصة الكافية للمواجهة والتخطيط، بل وتنسحب من الميدان العامل عناصر فقدت فاعليتها، أو رأت الأمر على خلاف مصلحتها الذاتية، أوغير ذلك مما يتواجد — عادة — في سبيل العاملين.

ومن هنا فان على كل الواعين القادة، وكل مسلم يدعو ربه أنْ يجعله للمتقين إماماً، أنْ يجعلوا الحفاظ على الصحوة، بل وتوسعتها وتأجيجها، في طليعة ما يفكرون به، و يعملون على صيانته، و إلاّ فالخيانة العظمى، والتفريط المخزي.

إنَّ عليهم أنْ يواصلوا دفع عجلة النهضة الفكرية والعملية، بكل مايملكون من طاقة، وبعد أنْ يحرروا وجودهم وفكرهم من سيطرة الطواغيت، والعمالة للأجنبي، فالتحرير الذاتي شرط أساسي لعملية التحرير الإجتماعي.

وان عليهم أنْ لا يتوانوا في عملية ضخّ الزخم الثوري في العروق النابضة. فأي فتور في ذلك يعني النكوص بلاريب، وعندما أتحدث عن الثورة فلا أعني إلاّ التغيير على الخط الفطري الصاعد، والذي تتلاحم فيه العقيدة والمفاهيم، والعواطف والأعمال، وهو ما أشرنا اليه في طليعة الحديث.

الملاحظة الثانية:

الصحوة والتطرف

لابُـدّ من أن ننبه الى أنَّ هناك أعراضاً قد تصحب عملية الصحوة، أو عملية الثورة، ينبغي أنْ يتنبّه لها العاملون:

> **وعملية الإحتواء ثم التحريف هي من أخطر العمليات التي واجهها الإسلام خلال تاريخه الطويل، وهي نفسها أخطر ماتواجهه الصحوة الاسلامية اليوم...**

— فمن أعراض هذه الصحوة ما قد يبدو من تطرف في تعميم الجهاد، حتى ليرفض الدخول في أي حوار فردي بنّاء، أو حكم لسلوك خاص، بحجة الإنشغال في عملية الجهاد، بل وحتى يكون التركيز كله على نصوص الجهاد، مع إهمال للنصوص الأخرى. وما هي — جميعاً — إلاّ أجزاء لنظام فكري

ملي متلاحم، لايتم عطاؤه إلاّ بالتركيب والتناغم
نسجام، وقد ابتلينا في ايران وغيرها بأناس
ـلة، تصوّروا أن الإسلام ينحصر في هذا المعنى،
رفوا الى الحد الذي نبذوا الإسلام نفسه، وانخرطوا
لمسلك اليساري الإلحادي.

ــ كما ان من أعراضها على الصعيد الإجتهادي
يفرط المرء في التجديد، حتى لينبذ الأسس القويمة
أسسها القدماء من المفكرين المسلمين، وحتى
تصور الإنسان أنه ينبغي أنْ ينفصل عن كل
،، بحجة الصحوة الجديدة.

إلاّ أنّ الصحوة إذا امتلكت قيادتها الواعية،
ـتّسمت في شتى مجالاتها بالشمول الإسلامي
تفاعل الإنساني، كهدف إسلامي، لم تنحرف
مجالات التطرف.

على اننا يجب أنْ لاننفعل، ان الكثير مما توصف به
صحوة الإسلامية اليوم من تطرف إما يعثّر عن لؤم،
ماعس، أو تخطيط خبيث للمصاء عليها، أو
سلام لفهم جامد، أو لهوى حاكم فاسد، أو ما الى
من الأدواء التي يصاب بها البعض.

حظة الثالثة:

حوة والتهم

رأينا ان صحوة الأمة الإسلامية، أمرٌ حذّر منه
اقنة الكفر على مرّ العصور، بعد أن أدركوا، ان
سلام إذا انطلق من عقاله تحمله جماهيره الواعية،
ن يبقى لنظمهم ومصالحهم وخططهم المستقبلية
ية، وقلنا ان الإستقامة على الصحوة هو الأمر
صعب، بعد أن تنتشر الشبهات، ومن هنا فقد
أت التهم الإستكبارية تنهلّ، وتتشكل بأشكال
لفة ورحنا نستمع الى ألفاظ من قبيل:

الفئة التقليدية، الفئة الرجعية، الفئة التي تخرق
الأعراف الإجتماعية، الفرق الإنتحارية، الإرهاب
الإسلامي، وما الى ذلك:

وإذا كانت التهم قد استطاعت أنْ توقف
مسيرة الإسلام العظيم المادرة في الصدر الأول،
فإنها تستطيع أنْ تؤثر أثرها اليوم، أما والوعي
الثوري الأصيل ينتشر، والجماهير متواجدة في
الساحة الاسلامية العامة والمفكرون الواعون
يسعون لنشر الحقيقة، فإنّ كيد الشيطان الأكبر،
والشياطين الصغار، يرد الى نحورهم بلاريب، بفضل
الله تعالى وعنايته.

الملاحظة الرابعة:

الصحوة الإسلامية والإحتواء

وعملية الإحتواء ثم التحريف هي من أخطر
العمليات التي واجهها الإسلام خلال تاريخه
الطويل، وهي ــ نفسها ــ أخطر ما تواجهه الصحوة
الإسلامية اليوم... لقد تمثلت الصحوة في عطش
جماهيري حاد لتطبيق الإسلام على كل شؤون
حياتها، وطرحه على الساحة العالمية مبدأ يهزم أمامه
كل المبادئ المنحرفة، ويعمل على إزالة كل الصور
الطاغوتية في الحياة والمسيرة.. وما ان أحسّ
الإستكبار بأنه لايستطيع أن يواجه هذا السيل، حتى
خطط لاحتوائه، وامتصاص كل ذلك الشوق
الجماهيري، من خلال مسرحيات، وعمليات،
وشعارات برّاقة تخلب الألباب، دون أنْ تحمل
مضموناً معيناً، وعدنا حينئذ نشهد على الساحة
الإسلامية:

اتجاه الكثير من الأنظمة لطرح الإسلام،
وإعلان الكثير من الحُكّام التديُّن المصطنع، وعقد
الكثير من المؤتمرات الضخمة المترفة باسم الإسلام،
بل وتشكيل المنظمات الدولية الإسلامية، وتفرعها

الأخطبوطي، بما يشمل مختلف الجوانب، بحيث يبهر المرء المسلم عندما يواجه هذا العمل الإسلامي الضخم، وراحت القرارات تصدر الواحد تلو الآخر، لتعبر عن الطموح الموحد، بل وأُنشئت عدة تنظيمات وجمعيات كبرى، باسم العمل على حمل هم الاسلام الى العالم.

هكذا شهدنا تتابع الرجوع الى الاسلام من قبل الأنظمة حتى اتخمنا بالحديث.

وظنّ الإستكبار الخبيث الأحمق، أنه يستطيع من خلال ذلك، خداع الجماهير المسلمة، وامتصاص شوقها، وزاد في تصوره هذا، انجذاب البعض من الأفراد والفئات الى اللعبة.

أما الحقيقة، فبقيت كما هي ناصعة... بعد أنْ شهدت الجماهير المسلمة هذا الهوان والتراجع المتزايد أمام العدو، وهذا البيع المتزايد للثروة وتقوية العدو، وهذا الترف والسرف والفجور الذي يمزق الحجب والأقنعة، وهذا التآمر السافر على الأمل الإسلامي الجديد، وهذه الفوارق الطبقية الهائلة، بل وهذه المذابح هنا والمراقص هناك، وهذه المجاعة هنا والتخمة هناك، «وما جاع فقير إلا بما متع به غني» كما يقول أمير المؤمنين (ع).

وانّنا لنوجّه كلمة أخيرة لهؤلاء الذين يقفون في وجه الصحوة: إنَّ الله تعالى أذن لعصر العودة أنْ يبدأ، ولمسيرة الإسلام الحاكم أنْ تنطلق، ولن تستطيع كل أنماط التآمر والخذلان، والتهم والإحتواء، أنْ توقف الزحف الإسلامي المقدس.

كما أقولها لجماهيرنا الإسلامية الواعية: ان علينا أنْ نطمئن دائماً الى نصر الله وعونه ـ تعالى، وإذا ما حققنا في أنفسنا قابلية الفيض الإلهي، فانه تعالى فياض لا ينقص فيضه ولا يبخل به، ولتعلموا ان العقبات والضربات أمر طبيعي في المسيرة، بل هي مصدر قوة، إذا وعينا كيف نتلافاها، أما الألم وأما الجرح، فهو أمر نشترك فيه مع العدو، في حين نتفوق عليه بالأمل العظيم بالله تعالى، وهو أعظم دافع للنصر والفوز.

«... إنْ تَكونوا تَألَمونَ فَإنَّهُمْ يَألَمونَ كما تَألَمونَ وتَرجونَ من اللهِ ما لايَرجونَ...» (النساء ـ ١٠٤)

(صدق الله العظيم)

إنَّ المستعمرين أشاعوا فكرة الفصل بين الدين والسياسة في المجامع الدينية والشعبية المسلمة، وبتعميم هذه الفكرة بواسطة الحكّام العملاء والخونة ووعّاظ السلاطين تمكّنوا من إغفال طبقة عظيمة من المسلمين البسطاء غير الواعين عن الحقائق الدينية والأهداف الإجتماعية والسياسية للشعائر الإسلامية الكبيرة مثل: الحج وصلاة الجمعة وصلاة العيدين.

شجون الحديث

ابو هدى

أم على قلوب أقفالها

«الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً...»

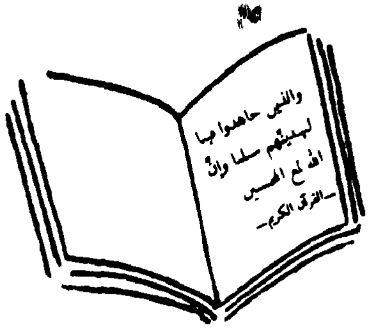
قد تشتد المصيبة على الإنسان يوماً فيضحك لها... وقد يتطاول التافهون على الحقيقة تطاولاً يضحك الإنسان أيضاً... ولهذا ضحكت عندما سمعت تهديد الصغار (العملاء) الوزراء المتجمعين في بغداد للثورة الإسلامية كي تتنازل عن حقوقها وتسكت عن عقاب المجرم السادر في غيه صدام... فتذكرت قصة العصفور المغرور إذ رام الطيران من على الغصن فوجه انذاراً للدوحة الضخمة أنْ احذري فاني أريد الطيران!! فما كان جواب الدوحة هذه إلّا أنْ قالت: من ذا أحس بهبوطك على الغصن حتى يحس بطيرانك يا أبله؟!

ألا يصحو هؤلاء؟ بل ألا يصحو سادتهم الخشعون؟ وأنّى لهم أنْ يتناسوا أنّ أعظم الضغوط لم تؤثر على الموقف المبدئي للثورة.

هل نسي هؤلاء يوم تفجير مقر رئاسة الوزراء والذي أودى بحياة كل من رئيس الجمهورية الشهيد رجائي ورئيس الوزراء الشهيد الدكتور باهنر؟

لو كان لنا أنْ نركع لركعنا آنذاك! يوم تكالبت القوى علينا، فالحصار العالمي الإقتصادي والسياسي والعسكري يطوقنا، والغزو الإعلامي الإستكباري يملأ الأجواء ضدنا، والحرب الظالمة تلقي بثقلها على كاهلنا، والعملاء الليبراليون ــ بقايا بني صدر ــ مازالوا متواجدين في الساحة يواصلون غدرهم، والإغتيالات الوحشية العمياء منتشرة هنا وهناك، وتحركات العملاء القوميين والوطنيين أو اليساريين وتودة والمنافقين وغيرهم تهدد الوضع العام، وجراح انفجار الحزب الجمهوري الإسلامي مازالت تنزف من أعظم جرح، جرح فقدان قادة البلاد الاشاوس وغير ذلك كثير كثير. كل هذا والشعب الايراني المسلم خلف قائده العظيم يصرخ... لقد خابت ظنون أمريكا فكل فرد في ايران هو (رجائي).

أفلا يتذكرون إذنْ أم على قلوب أقفالها...!! أم إنه الغريق يتشبث بكل حشيش، وان غد الإسلام العظيم لآت آتٍ ولو كره الكافرون ●



حجة الاسلام والمسلمين طاهري خرم آبادي

(القسم الأخير)

في الأقسام السابقة من البحث تحدث الكاتب عن مفهوم الجهاد. والأمر بالجهاد في القرآن وعاقبة الإعراض عن الله والجهاد في سبيله. ودوافع الجهاد، مقسماً الجهاد الى نوعين: دفاعي وابتدائي.

كما تحدث أيضا عن عوامل النصر، مشيراً بالتفصيل الى دور الصبر في تحقيق النصر. وها هو ذي القسم الأخير من البحث يعطي توضيحات أخرى عن أركان مسألة الصبر ودوره في الجهاد».

القسم السادس

يطول بنا الحديث إذا أردنا القيام بدراسة شاملة لدور الصبر في تحقيق النصر، ولذا سنكتفي بمرور سريع على أركان هذا الموضوع.

لقد تناول القرآن الكريم في بضع وثلاثين آية مسألة الصبر ودوره في الجهاد وكفاح الأنبياء والقادة الرساليين في مواجهتهم للعقبات التي وضعها في طريقهم الأعداء والأصدقاء، وفيما يلي نماذج لبعض تلك الآيات:ــ

«ليس البرَّ أن تُولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكنّ البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب ـبيين... والصابرين في البأساء والضرّاء وحين ـس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون».

(البقرة ــ ١٧٧)

٢ــ «وكأيّن من نبيٍّ قاتل معه ربّيّون كثيرٌ فما ـوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ـ يُحبُّ الصابرين».

(آل عمران ــ ١٤٦)

٣ــ «والذين هاجروا في الله من بعد ما ظُلموا ـوّئنّهم في الدنيا حسنةً، ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا ـون* الذين صبروا وعلى ربّهم يتوكّلون».

(النحل ــ ٤١، ٤٢)

ــ «ثُمّ إنّ ربك للذين هاجروا من بعدما فُتنوا ثُمّ ـوا وصبروا إنّ ربّك من بعدها لغفورٌ رحيمٌ».

(النحل ــ ١١٠)

تشير هذه الآيات الى أصناف من المؤمنين منهم: الصابرون في ميدان القتال، وأصحاب الأنبياء الذين جاهدوا معهم فصبروا وثبتوا ولم يضعفوا، والذين قاوموا الظلم وصبروا وتحمّلوه أو هاجروا بسببه... هذه الفئات من المؤمنين تصفهم الآيات الكريمة بصفات: المتقين، أحبّاء الله، والمشمولين بعفو الله ورحمته وثوابه في الدنيا والآخرة.

وتظهر من هذه الآيات العلاقة المحكمة بين الجهاد والصبر والكفاح والثبات أمام المشكلات.

٥ــ «قال موسى لقومه: استعينوا بالله واصبروا إنّ الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».

(الأعراف ــ ١٢٨)

نلاحظ هنا أنّ موسى (ع) أشار في كلامه الى عدة أمور.

منها: ضرورة الاستعانة بالله تعالى وطلب النصرة منه.

ومنها: ضرورة التحلي بالصبر والثبات.

ومنها: ان الله تعالى يورث من يشاء الخلافة في الأرض.

ومنها: ان العاقبة للمتقين.

٦ــ «... وتمّت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه...».

(الأعراف ــ ١٣٧)

هذه الآية شرح للآية السابقة، فهي تخبر بانتصار بني اسرائيل الذي هو في الواقع تنفيذ الوعد الذي قطعه موسى لقومه، وهي تشير الى أن سبب ذلك النصر هو الصبر الذي تحلّى به بنواسرائيل وهو نفس الشرط الذي وضعه موسى (ع) لانتصارهم كما حدثتنا الآية السابقة:

«قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا...».

٧ـ «أم حسبتم أنْ تدخلوا الجنّة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين».

(آل عمران ـ ١٤٢)

٨ـ «ولنبلونّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوَ أخباركم».

(محمد ـ ٣١)

تشير هاتان الآيتان الكريمتان الى اختبار الناس بالجهاد، والصبر ـ الذي هو من لوازم الجهاد ـ وتجعلان دخول الجنة رهناً بالنجاح في هذا الإختبار. فالفلاح إذن من حظ الذين يصبرون ـ في هذا الإختبار ـ والخيبة نصيب من لايشاركون في الجهاد أو لايصبرون عليه.

٩ـ «ولقد كُذّبت رُسُلٌ من قبلك فصبروا على ما كُذّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله...».

(الأنعام ـ ٣٤)

١٠ـ «وما لنا ألاّ نتوكل على الله وقد هدانا سُبلنا ولنصبرنّ على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون».

(ابراهيم ـ ١٢)

تشير هاتان الآيتان الكريمتان الى دور صبر الأنبياء على أذى و تكذيب أعدائهم في تحقيق النصر الإلهي الذي وعدوه. وتظهر الآية الأُولى بوضوح أن النصر الإلهي كان نتيجة للصبر.

١١ـ «وجعلنا منهم أئمّةً يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يُوقنون».

(السجدة ـ ٢٤)

تبيّن هذه الآية الكريمة أن الصبر ميزة خاصة في الإمام أو القائد، و يفهم منها أن الإمامة والقيادة تعطى لصاحبها بعد أن يتوفّر على الدرجة المطلوبة من الصبر واليقين. ومن الضروري أن يكون الأمر كذلك لأنّ القائد في أي مجتمع ينبغي أن يكون أول من يصبر و يثبت في مقاومة الأعداء والتغلب على المشاكل الداخلية والخارجية لكي يربي الأمّة على المقاومة والتحمل، و يصنع منها بنياناً مرصوصاً وسداً حديدياً: ولذلك نجد أن الآيات اللاحقة تأمر رسول الله (ص) بالصبر، فما لم يتمتع القائد بالصبر على مشاكل القيادة فلا يمكنه أنْ ينجح أبداً.

١٢ـ «وآصبر وما صبرك إلاّ بالله، ولا تحزن عليهم ولاتكُ في ضيق مما يمكرون».

(النحل ـ ١٢٧)

١٣ـ «فاصبر على ما يقولون وسبّح بحمد ربّك...»

(طه ـ ١٣٠، ق ـ ٣٩)

١٤ـ «فاصبر كما صبرأُولوا العزم من الرسل...».

(الأحقاف ـ ٣٥)

١٥ـ «فاصبر إنّ وعد الله حقٌ، ولا يستخفنّك الذين لايوقنون».

(الروم ـ ٦٠/ تراجع أيضاً غافر ـ ٥٥ و ٧٧)

١٩ـ «وآصبر لحكم ربّك فإنّك بأعيننا وسبّح بحمد ربك...».

(الطور ـ ٤٨/ و تراجع أيضاً سورة القلم، المعارج، المزمل، المدثر، وص: الآيات ٤٨، ٥، ١٠، ٧، ١٧، على التوالي).

كما أُمر النبي ـ إضافة الى ذلك بالصبر في موردين آخرين في قوله تعالى:

«...وآستقم كما أُمِرْتَ...».

(الشورى ـ ١٥)

و يستفاد من مجموع الآيات التي تدعو الناس والأئمة والقادة والأنبياء الى الصبر، ان أهم عامل لنجاح أية حركة هو الصبر، و انه أيضاً شرط أساسي لنجاح كل ألوان الجهاد سواء كان جهاداً مع

ـفس، أو مع العدو، أو مع المشاكل الإجتماعية، ، أن يكون ذلك في ظل الإيمان بالله و الغيب:

«وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا تنا يوقنون».

(السجدة ـ ٢٤)

فهذه الآية الكريمة تذكر اليقين بعد الصبر، و ستعمل كلمة (كانوا) الدالة على الماضي و ستمرار، أي أن هؤلاء آمنوا بآيات الله الى حد يقين، وصبروا. و بذلك ـ باليقين والصبر ـ بلغوا تبة الإمامة. و يبدو أن الصبر نتيجة طبيعية لوغهم مرتبة اليقين، وان الإمامة أُعطيت لهم بعد بلغوا الدرجة المطلوبة في الصبر.

الإمدادات الغيبية في الجهاد

إنّ أحد المواضيع المهمة في آيات الجهاد في قرآن الكريم ـ فيما يتعلق بالنصر الالهي ـ هو ضوع الإمدادات الغيبية التي ينالها المقاتلون روط خاصة. وقبل أن ندرس هذه الآيات، ينبغي نبحث بإيجاز في العوامل الغيبية.

الغيب: هو الخفي أو المستور عن الحواس ظاهرية، ويقابله الشهود أو الشهادة، وهو ما يمكن راكه بالحواس الظاهرية. وقد جعل القرآن الكريم اتين الكلمتين مقابل بعضهما البعض (عالم الغيب لشهادة).

من البديهي أن الفلسفة الإلهية والرسالات سماوية لا ترى الوجود منحصراً بالواقع المادي، خلافاً للفلسفة المادية التي ترى الوجود مساوياً مادة ولا تعترف بغير القوى والعوامل الطبيعية الوجودات المادية.

فالمدارس المادية لا تعترف بتقسيم الوجود الى عالم الغيب وعالم الشهادة، ولا ترى معنًى لعالم الغيب أصلاً، بينما تقسّم الرسالات الإلهية الوجود الى قسمين: **عالم الغيب وعالم الشهادة، أو عالم الطبيعة وعالم ماوراء الطبيعة.**

ان عالم الطبيعة والمادة محدود بالزمان والمكان وبأبعاد أخرى. أما عالم الغيب فليس مقيداً بهذه الأبعاد مع أنه محدود بحدود الإمكان. لأنّ الوجود الواقعي المطلق الذي لاحدّ له هو الله تعالى.

وعلى هذا الأساس فان الإنسان المقيّد بالحدود المادية والمحصور في إطار الزمان والمكان لا يتمكن ـ حسب محدوديته ـ أن يدرك عالم الغيب اللامحدود، وعليه ـ لإدراك ذلك العالم ـ أن يستعين بالعقل والوحي.

إنّ الأنبياء هم الوسيلة الإلهية للاتصال بعالم الغيب، وقد جاءوا ليرشدوا الناس الى ذلك العالم ليؤمن به من يؤمن فتقوم صلة بينهم وبينه. ولذا نجد القرآن الكريم يعتبر الإيمان بالغيب أحد أبرز صفات المؤمن المتقي:

«الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة...»

(البقرة ـ ٣)

والقرآن مليء بالحوادث والقصص المرتبطة بعالم الغيب والتي لا يمكن تفسيرها بالأسباب الطبيعية، ومن هذه الأمور معجزات الأنبياء التي ذكر القرآن الكريم الكثير منها كذلك أخبر القرآن الكريم بوجود الملائكة والجن والروح والعرش والكرسي واللوح والقلم والقيامة وعالم البرزخ والجنة والنار والعذاب والنعيم الأخرويين.. الخ من الأمور الغيبية.

وإذا تجاوزنا حقيقة أن جميع مفردات الوجود تنبع من عالم الغيب وتستمد منه مقومات بقائها، وان عالم الطبيعة بأسره ظاهرة غيبية، فإننا في حياة الناس نلتقي أحياناً بسلسلة من الإمدادات الغيبية التي يكون الإنسان فيها محلاً للعناية الإلهية الخاصة.

و بطبيعة الحال فانَّ هذه الإمدادات الغيبية والرعاية الإلهية لا تنال الإنسان جزافاً و بدون قيد و شرط، لكنها تشمل أُولئك الذين توفروا على شروط خاصة فتنزل عليهم الألطاف الخفية لتنجيهم من الشدائد والمصاعب:

«والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبُلنا...».

(العنكبوت ــ ٦٩)

فالهداية الإلهية الى الطريق السوي والصراط المستقيم والوصول الى الهدف المنشود، أُمور تحتاج الى مجاهدة ولا تعطى مجاناً و بلا عوض.

الإمدادات الغيبية في الجهاد:

ومن جملة هذه الإمدادات الغيبية النصر الالهي الذي ينزله تعالى بأشكال مختلفة في ميدان القتال بين الحق والباطل، إذ تهب قوى عالم الغيب لمعونة المقاتلين من أجل أنْ يكون النصر حليفهم.

و يتناول القرآن الكريم هذه المسألة في أكثر من أربعين آية يمكن تقسيمها بصورة عامة الى المجموعات التالية:ــ

١ــ الآيات التي تذكر النصر والعون الالهي دون أنْ تبيِّن كيفيته.

٢ــ الآيات التي تتحدث عن سلسلة من الإمدادات الغيبية و تذكر كيفيتها.

٣ــ الآيات التي تشير الى شروط النصر والعون الإلهي.

وسنبيِّن فيما يلي كلاً من هذه المجموعات بصورة موجزة:ــ

المجموعة الأولى: وتندرج فيها طائفة من الآيات منها:ــ

١ــ «ونوحاً إذْ نادى من قبل فاستجبنا له فنجّيناه وأهله من الكرب العظيم* ونصرناه من القوم الّذين كذَّبوا بآياتنا إنَّهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين».

(الأنبياء ــ ٧٦ــ ٧٧)

لقد صرَّحت هذه الآية الكريمة بالنصر الإلهي لنوح عليه السلام، وقد جاء هذا النصر على شكل طوفان عارم أغرق قوم نوح الكافرين.

وتشير آية أخرى الى الدعاء الذي كان نوح (ع) قد دعا به، إذْ قال:

«... أنّي مَغلوبٌ فانتصِرْ».

(القمر ــ ١٠)

«... ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً».

(نوح ــ ٢٦)

٢ــ «إنّا لننصر رُسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدُّنيا ويوم يقوم الأشهاد».

(المؤمن ــ ٥١)

في هذه الآية الكريمة وعد قاطع بنصر الأنبياء والمؤمنين في هذه الدنيا كما يظهر من التأكيد الظاهر في «إنّا» ولام التوكيد المتصلة بفعل «ننصر».

٣ــ «ولقد أرسلنا من قبلك رُسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبيّنات فانتقمنا من الّذين أجرموا وكان حقّاً علينا نصرُ المؤمنين».

(الروم ــ ٤٧)

٤ــ «إنْ ينصركُمُ اللّهُ فلا غالبَ لكم، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصُرُكم من بعده، وعلى اللّه فليتوكل المؤمنون». (آل عمران ــ ١٦٠)

٥ــ «ولقد منَنّا على موسى وهارون* ونجّيناهُما و قومَهُما من الكَرْبِ العظيم* ونصرناهُمْ فكانوا هُمُ الغالبين».

(الصافات ــ ١١٤ــ ١١٦)

٦ــ «ولقد سبقت كلمتُنا لعبادنا المرسلين* إنَّهُمْ لهُمُ المنصورون* وإنَّ جُندنا لَهُمُ الغالبُون».

(الصافات ــ ١٧١، ١٧٣)

والمقصود من «كلمتنا» هنا: الحكمة أو القضاء الإلهي الحتمي الصادر في حق الرسل.

وليس المقصود بكلمة «سبقت» السبق الزماني، لأنَّ الله تعالى وأفعاله لا يحدها البعد الزماني. لكنَّ المقصود هو أن هذا القضاء أو الحكم مقدم في نفوذه و تأثيره و غالب على كل ما سواه.

وقد جرى التأكيد على النصر الإلهي هنا بأكثر من صورة و ذلك باستعمال كلمة (ان) و (اللام) في لهم، و تكرار ضمير (هم) و (الألف و اللام) في منصورون. و كل أشكال التأكيد هذه تدل على الحصر الذي يفيد أن هؤلاء فقط هم المنصورون في النهاية.

إنَّ انتصار الأنبياء في آخر المطاف هو أحد المقدرات الإلهية الحتمية. ثم تقول الآية بأنَّ جندنا هم دائماً منتصرون. وقد استعملت كلمة (جندنا) للتعبير عن الفئة التي تجاهد بأمر الله وفي سبيله. وتحدثت آية أُخرى عن هذه الفئة و انتصارها بتعبيرات أُخرى:

«... فإنَّ حزبَ الله هم الغالبون».

(المائدة ــ ٥٦)

وعلى أي حال؛ فالمستفاد من هذه الآية ان الأنبياء وأنصارهم من المؤمنين العاملين في سبيل الله مشمولون بالعون الإلهي و منصورون، و ان اضافة (الجند) و (الحزب) الى لفظ الجلالة في تعبير (جندنا) و (حزب الله) يعطي لهذه الفئة أكبر الأهمية والخطورة، إذْ أن هذه الفئة هي جيش الله وليس جيشا لهذا و ذاك ، قد ارتبطت به سبحانه وأطاعت أوامره وتوكلت عليه واتصلت به واستمدت النصرة منه جلَّ شأنه.

٧ــ «واذكروا إذْ أنتم قليلٌ مُستضعفونَ في الأرض تخافون أن يتخطّفكم النّاس فآواكم و أيّدكم بنصره و رزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون».

(الأنفال ــ ٢٦)

تشير هذه الآية الى حال المسلمين في صدر الإسلام عندما كانوا تحت سيطرة مشركي قريش، وتذكرهم نعم الله عليهم والتي منها النصر والتأييد الإلهي ــ لعلهم يشكرون هذه النعم.

٨ــ «وإنْ يُريدوا أن يخدعوك فإنَّ حسبك الله، هو الذي أيَّدك بنصره و بالمؤمنين».

(الأنفال ــ ٦٢)

ولفهم معنى هذه الآية بشكل أدق ينبغي الرجوع الى الآية التي سبقتها والتي تقول:

«وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم».

ومعنى الآية انه لاداعي للخوف من خيانتهم ومكرهم او استغلالهم الصلح لشنهم هجوماً مباغتاً، لا خوف من ذلك كله مع التوكل على الله و الإعتماد عليه فهو سميع بصير عليم بكل شيءٍ وإنَّ الله الذي يعلم كل شيءٍ ولا يخدعه شيءٍ هو الذي يكفيك طالما كان اتكالك عليه.

ثم نعرض هذه الآية (٦٢) نفس الموضوع بصورة أوضح فتبيّن انهم إذا أرادوا الخداع أو الخيانة باسم الصلح وانَّ الله تعالى هو الذي يكفي رسوله لأنه تعالى أمره بالتوكل. ونتيجة التوكل هو كفاية الله تعالى لمن يتوكل عليه، كما يقول تعالى:

«... ومن يتوكَّل على الله فهو حسبه، إنَّ الله بالغ أمره، قد جعل الله لكلِّ شيءٍ قدراً».

(الطلاق ــ ٣)

ولا يعني التوكل ــ طبيعة الحال ــ أنْ يترك الإنسان الأخذ بالأسباب الظاهرية و يترك العمل والسعي ولا يعد العدة لمواجهة الأعداء. فقد أمرت الآية (٦٠) بتهيئة القوة لمواجهة العدو.

«وأعدّوا لهم ما آستطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل تُرهبون به عدوَّ الله وعدوَّكم...».

(الأنفال ـ ٦٠)

ولا يمكن أن يكون معنى التوكل عدم الأخذ بالأسباب الظاهرية، لأنَّ هذا يتنافى مع هذه الآية الشريفة، لذا فالمراد من التوكل هو عدم النظر فقط الى الأسباب والعلل الظاهرية، لأنَّ ما يظهر للإنسان من هذه الأسباب والعلل ليس إلاَّ قدراً يسيراً من الأسباب والعلل الخفية، وان السبب الكامل والعلة الثابتة التي لا يتخلّف عنها معلولها هو فقط ذلك السبب الذي ترافقه إرادة الله تعالى. وبالتوكل عليه تعالى تصبح الأسباب والعلل مؤثرة فاعلة بسبب إرادته ومشيئته جلّ شأنه.

وهكذا فإنَّ الإنسان المتوكل في الوقت الذي يأخذ بجميع الأسباب الطبيعية والعلل الظاهرية، فانه لا يعتمد عليها بل يعلم أنها جميعاً ترتبط بعلل مخفية بالارادة الإلهية التي لا يتحقق بدونها شيء. (فلا مؤثر في الوجود إلاّ الله).

إنَّ هذه الآيات الأُخرى الواردة في التوكل توضح بجلاء بأنَّ وراء الأسباب الظاهرية والعلل العادية أسباباً وعللاً أُخرى، فلو قصرت بالمؤمنين الأسباب الظاهرية، اذا استعملهم العدو أو نجحت مؤامراته فانَّ الأسباب الالهية الخفية تهب لنصرتهم. ثم يسوق القرآن الكريم دليلاً بيّناً على صدق هذه الدعوى. وليثبت رعاية الله تعالى في الظروف الحساسة، فيقول:

«هو الذي أيدك بنصره».

وهي إشارة الى الحالات التي نال فيها الامداد الغيبي والنصر الالهي الرسول (ص) وتعنيها إشارة الى أحداث سابقة كحدث هجرة الرسول (ص) واقتراب الأعداء من غار ثور، وحوادث بدر وأُحد

وغيرها مما تضمنته بعض الآيات الكريمة:

«الا تنصروه فقد نصره الله».

٩ـ هناك طائفة من الآيات الكريمة تحكي عن دعاء المؤمنين المجاهدين الذين سألوا الله تعالى أنْ ينصرهم:

«...ربّنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وآنصرنا على القوم الكافرين».

(البقرة ـ ٢٥٠)

«وكأيّن من نبيٍّ قاتل معه ربّيّون كثيرٌ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يُحبُّ الصابرين* وما كان قولهم إلاّ أنْ قالوا ربّنا آغفر لنا ذُنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبّتْ أقدامنا وآنصرنا على القوم الكافرين».

(آل عمران ـ ١٤٦ـ١٤٧)

وينقل من دعاء المؤمنين في آخر سورة البقرة:

«أنت مولانا فآنصُرنا على القوم الكافرين».

ونلاحظ هنا أن الفاء التي سبقت الفعل (آنصرنا) تدل على أن نصر الله تعالى هو أحد نتائج ولايته سبحانه. ولذلك فبعد أن اعترفوا بولاية الله سبحانه بقولهم «أنت مولانا» طلبوا منه أن ينصر المؤمنين على الكفار، وهذا يعني أن نتيجة ولاية الله تعالى ومقتضاها نصر الله وعونه للمؤمنين.

وينقل القرآن الكريم عن لوط (ع):

«قال ربِّ آنصرني على القوم المُفسدين».

(العنكبوت ـ ٣٠)

وعن نوح (ع):

«قال ربِّ آنصرني بما كذّبون».

(المؤمنون ـ ٢٦)

وفي آية أخرى يخاطب المؤمنين

«أم حسبتم أنْ تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مسّتهم البأساء والضرّاء وزلزلوا حتى

يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصرُ الله؟ ألا إنَّ نصرَ الله قريبٌ».

(البقرة ــ ٢١٤)

ويستفادون من هذه الآيات الكريمة أن جميع الأمم والأنبياء السابقين كانوا ينتظرون نصر الله ويطلبون منه سبحانه في الظروف الحرجة الوفاء بوعده الذي وعده كل الأنبياء والرسل العاملين في سبيله، وهو الوعد الذي تشير اليه الآية الكريمة:

«ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين* إنّهم لهُمُ المنصورون».

(الصافات ــ ١٧١ ــ ١٧٢)

والآية الكريمة:

«... وكان حقاً علينا نَصرُ المؤمنين».

(الروم ــ ٤٧)

١٠ ــ وتطالعنا في القرآن الكريم طائفة من الآيات التي تصف الله سبحانه وتعالى بأنه مولى المؤمنين وناصرهم.

«وان تولّوا فاعْلموا أنَّ الله مولاكم نِعْمَ المولى ونعم النصير».

(الأنفال ــ ٤٠)

وقد جاءت بعد الآية التي تأمر الناس بقتال الكفار والمشركين في قوله:

«وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدّينُ كله لله، فإن انتهوا فإنّ الله بما يعملون بصيرٌ».

(الأنفال ــ ٣٩)

أي فاعلموا بأنَّ الله تعالى هو مولاكم وناصركم ولا يخيفكم تصلب الكفار وعنادهم وعدتهم وعددهم بل قاتلوهم واعلموا أن الله تعالى هو الذي ينصركم عليهم.

والآيات في هذا الباب كثيرة وهي تدل على أنَّ النصر الإلهي والإمداد الغيبي ــ خصوصاً في ساحة الحرب بين الحق والباطل ــ هو أحد القضايا الأساسية، والمسلَّم بها في القرآن الكريم●

قال الإمام الحسين (عليه السلام) في مسيره الى كربلاء:

«إنَّ هذه الدنيا قد تغيَّرت وتنكَّرت، وأدبر معروفها، فلم يبق منها إلاَّ صُبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل.

ألا ترون أنَّ الحقَّ لايُعمل به، وأنَّ الباطل لايُنتهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً.

فإنّي لاأرى الموت إلاَّ سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلاَّ بَرَماً.

إنَّ الناس عبيد الدنيا، والدّين لعقٌ على ألسنتهم، يحوطونه مادرَّت معائشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلَّ الدَّيّانون».

ثنائيات

محمد رضا آل صادق

«مغبّة الهوى»

يَعافُ مليكَ الورىٰ غافِلٌ ويـنسـى سوابغ آلائِـهِ
ويدعوهُ ماحاق كربٌ به وذاقَ مغبَّة أهوائِهِ

«إضاعة الفرص»

تُضيعُ سُدىً فرصاً لم تفزْ بها إذ تمرُّ ولا تلبثُ
وتغدو كئيباً بهمٍّ لما تخالُ بيوم غدٍ يحدثُ

«استغفار!»

تصرّم أمسي وطيش الهوى وأسرُ الفؤاد بسحر اللحاظِ
وماغير عفوك ربّي أعدُّ لهولِ غدٍ والشداد الغلاظِ

«المعافى والسقيم»

يُصيبُ المعافى من الطيّبات ويبلغ منهن ما يستلذُّ
وتُعرِضُ عنهنَّ نفس السقيم وهل يستلذُّ الذي هو بذُّ[1]

«الدنيا والاخرى»[2]

فُتِنّا «بدنيا» غرور تزول وقد جعل الله «أُخرىٰ» قرارا
فبشرى التقيِّ وويلٌ لمن على يده الشرّ جارٍ مرارا

«آيات الله»

تبـاركـت ربّاه مـن خـالـقٍ   لسلطانه ذلّ مـن يـشـمـخُ
وآيـاتـه الـغـرر الـبيّـنـات   و يـنـسـخُ منهـنّ مـابـنـسـخُ

«تذل الأمور للمقادير»

تُـذَلُّ الأمـورُ على رُغـمـنـا   لمـا قـدّرَ اللّـهُ سـبـحـانـهُ
فـإذ مـانـدبّـرُ مـن حـيـلـةٍ   بـه يُـضـمـرُ الحتـف سلطانهُ

«دار المجاز»

خُـلـقـنـا لـنُبلى بـدار المجاز   فـنـنـظـر أحـسـن مـانـسـلـك
وان «الـذي جـاء بـالـصـدق» فـازَ   ويهـلـك في الـغـيّ مـن يهـلـك

«شماتة»

يُسرّ الـفتى بهـلاك الـعـدو   ومـن فـرطِ غـفـلـتـه يـشـمـتُ
ألم يـدرِ ان سـيـذوق الـردى   كما ذاقـه ذلـك المـيّـتُ!

«مالقلبي محيص»

لحـاني حـبيبي وقـد غـاظـه   بـأنَّ هـوايَ عـلـيـه حـريـصُ
أمـا تـرعـوي عـن ضـلال الهوى   فـقـلـت لـه مـالـقـلبي محـيـصُ

«العمل الصالح»

ينـال أمـانـيّـهُ مـن ينـالُ   و يـكـدح في دهـره كـادحُ
وتـمـضـي هـبـاءً حـيـاة الورى   و يـبـقى لـك الـعـمـل الـصـالحُ

«خيول السنين»

على دمـنـة كـان لي وقـفـة   أُسـائـلُ عـن أهـلـهـا الظـاعـنين
فـقـال طـوتهـم ريـاح الـفـنـاء   كما سـحـقـتني خـيـول الـسـنين

---

١ ــ البد : من ساءت حالته.

٢ ــ مما أثر عن الامام موسى بن جعفر عليهما السلام قوله: «ويل لمن أجرى الله الشر على يديه» ومن مصاديق قول الامام شخص العلج الخبيث صدام.

نظرية التكامل من وجهة نظر القرآن

تأليف: الشيخ مسيح مهاجرى

القسم الأحير

أشار المؤلف في القسمين الأول والثاني من موضوعه الى النظرية المعروفة لـ «تشارلزداروين» حول كيفية خلق الإنسان وسائر الموجودات الحية الأُخرى، والى رأي القرآن الكريم إزاء هذه المسألة كما قسّم الآيات الخاصة بخلق الإنسان الى عدة أقسام، وتحدث بالتفصيل عن مفهوم الإصطفاء مستشهداً ببعض الأمثال واليكم فيما يلي القسم الأخير من الموضوع

نقد و دراسة الاستنتاجات الأخرى:

اتضح لنا في القسمين الأول والثاني من البحث رأي القرآن الكريم ازاء كيفية حلق الإنسان. وسنحاول في هذا البحث نفد و دراسة الإستنتاجات الأُخرى. وقد فضّلنا تناول استنتاج مخالف تماماً لاستنتاجنا من الآيات الخاصة بـ «حلق الإنسان»، أي الإستنتاج القائل بتأييد القرآن لنظرية التكامل.

و طبيعي ان دراسة هذا الإستنتاج، تشمل بقية الإستنتاجات الأُخرى، مما تغنينا عن دراستها كلاً على حده.

والأشخاص الذين يريدون تطبيق نظرية التكامل على المفهوم القرآني فيما يتعلق بالخلقة، فإنهم وضمن ذكر بعض الشواهد الدالّة على أنَّ الإنسان كلمة عامة، و آدم كلمة خاصة، يستنتجون من الآية ٣٣ من سورة آل عمران: «**إنَّ اللّهَ اصطفى آدمَ ونُوحاً**

وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمرانَ...»: (بأنَّ آدم مَثَله كمثل نوح وأنبياء آل إبراهيم وآل عمران الذين تمَّ اصطفاؤهم من بين الناس عصرهم، بمعنى انه أُصطفي من بين أُناس عصره، وهذا يعني أنَّ آدم لم يكن أول إنسان، وقد خُلِقَ بعد ظهور الإنسان. ومن هنا فان ادعاء القرآن بخلق النوع الإنساني من آدم ليس صحيحاً).

ويقول هؤلاء الأشخاص في مقام بيان سبب هذا الإصطفاء: (إنَّ اصطفاء آدم من بين معاصريه، جاء نتيجة لامتلاكه العلم الإلهي، وبالنتيجة فان تلك السلسلة من الآداب والتكاليف التي تعتبر فرعاً للحرية والإختيار فوِّضت الى آدم وأولاده و (بني آدم) مما أدى الى ظهور انسان متفكر ومسؤول).

لقد أجبنا عن هذه الشبهة عبر استنتاجنا من هذه الآية، ولتكميل الإجابة نستند الى تفسير الميزان للعلامة المرحوم الطباطبائي، فنفهم منه ان كلمة «العالمين» في آخر الآية تبيِّن ان نوحاً وآل ابراهيم و آل عمران لم يصطفوا من بين أُناس عصرهم فحسب، بل ومن بين جميع الناس السابقين واللاحقين. ولذلك يجب أنْ يكون اصطفاء آدم قدتمّ ـ قهراً ـ من بين الناس عامة. ولما لم يكن قبله أحد، فإنه أُصطفي من بين أُناس عصره، أي أولاده (وفقاً لما قلنا مسبقاً) والذين جاءوا بعده.

وبهذا التوضيح؛ يرتفع الإشكال المذكور، لكن الإشكال الذي يخطر في ذهننا ازاء ادعاء هؤلاء الأشخاص هو أنه لوكان سبب اصطفاء آدم يكمن في توفر العلم الإلهي لديه، ليظهر بهذه الوسيلة انسان متفكر ومسؤول، فإنَّ هذا الأمر أصبح عملياً من خلال اصطفاء آدم من بين أُناس عصره. وطبقاً لادعاء أنصار نظرية التكامل، فإنَّ أبناء آدم خلقوا مسؤولين ومتفكرين خلافاً لأُناس عصر آدم، ولم تكن هناك حاجة لاصطفاء نوح وأنبياء آل ابراهيم وآل عمران عليهم السلام.

وعلى هذا الأساس فان انتخاب هؤلاء كان أمراً عبثاً، (حسبما يدَّعي هؤلاء)، في حين ان الله منزَّه عن القيام بعمل لا معنى له، كما أنَّ القرآن هو أحقّ من أنْ ينسب مثل هذه الأمور الى الله.

أما الإشكال فهو ان الإصطفاء الذي تصوره هؤلاء لن يقبل الإستناد الى القرآن إلاّ إذا كان حرف (من) قد ورد بدلاً من حرف (على) في عبارة (على العالمين)، لأنَّ الإصطفاء من بين الناس يتباين مع الإصطفاء على الناس. وان المقصود من الآية ليس ان الله اصطفى هؤلاء من بين معاصريهم، بل ان الله سبحانه وتعالى فضَّلهم على العالم أجمع.

إنَّ أنصار نظرية التكامل يلجأون في المبحث الخاص بارتباط الإنسان وسائر الموجودات الأُخرى من وجهة نظر القرآن الى عدة آيات لإثبات ثلاثة أُمور:

أولها: إنَّ الإنسان لم يخلق مستقلاً ومن التراب في الوهلة الأولى، بل ظهر وفق خلقة تدريجية عبر تكامل سائر الموجودات الحية.

ومن جملة تلك الآيات، الآية (١١) من سورة الأعراف:

«ولقد خلقناكُمْ ثُمَّ صوّرناكُمْ ثُمَّ قُلْنا للملائكة اسجدوا لآدمَ فَسَجَدوا إلاّ إبليسَ...».

ويستنتج هؤلاء من حرف العطف «ثم» في هذه الآية الشريفة انه كانت هناك فترة زمنية طويلة بين مرحلة الخلق والتصوير من جهة، ومرحلة التصوير والسجود من جهة أُخرى.

لقد أجبنا على الشبهة حول الفاصلة الزمنية الطويلة بين الخلقة من الطين والتصوير، ويمكن الإستفادة منها كذلك في الإجابة عن الفاصلة بين التصوير والسجود.

وهنا يشير هؤلاء الى الآية ٧ من سورة السجدة **«...وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسانِ مِنْ طِينٍ»** ويقولون: كانت توجد هناك مرحلة بعد مرحلة الخلق من الطين، ولم يُخلق الإنسان من الطين فجأة.

كان من الأفضل لهؤلاء أنْ يعلنوا وجهة نظرهم بعد قراءتهم للآية الأُخرى التي تأتي بعد تلك الآية والتي تقول: **«ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَه مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ»** ليفهموا المسألة التالية وهي ان هذه الآية الشريفة هي في مقام بيان كيفية خلق الإنسان الأول (آدم) مقابل البشر الذين جاءوا بعده، وتريد القول بأنَّ الله سبحانه وتعالى خَلَق الإنسان من الطين، وخَلَقَ بقية أفراد البشر عن طريق توليد النوع.

إذنْ فالحديث هنا لايتناول مراحل خلق الإنسان، لكي نبحث في بداية الخلق أوختامه.

إنَّ أنصار نظرية التكامل وقعوا في خطأ آخر عند استنتاجهم من مجموع الآيتين ٧ ـ ٩ من سورة السجدة، حيث يقولون: (إنَّ الآيتين ٧ ـ ٩ تبيّنان في المجموع مراحل خلق الإنسان من التراب الى الإنسان الكامل، وإنَّ الآية ٨: **«ثم جعل نسله من سُلالة من ماءٍ مهين»** يجب أن تقصد ـ قهراً ـ سير الحياة في الأجيال السعدية).

ولبيان هذه الشبهة يلزم ملاحظة ماقلناه آنفاً بدقة، وربط هذه الآيات الثلاث مع بعضها. ومثلما قلنا فإن الآيتين ٧،٨ تبيّنان كيفية خلق الإنسان الأول الذي خلق من الطين، وبقية أفراد البشر الذين خلقوا من النطفة. أما الآية ٩ التي تتحدث عن التسوية فانها تقصدهما معاً، وتريد القول بأنَّ الموجودين خلقهما الله ونفخ فيهما من روحه. وبديهي ان النطفة في بداية ظهورها وانعقادها تكون مجردة من الروح، لكن وبعد أنْ يتم تسويتها في داخل الرحم وتتخطى بعض المراحل، إذْ ذاك تُنفخ فيها الروح.

وعلى هذا الأساس فاننا غير مجبرين لتبرير الآية الثالثة حسبما يفسّره أنصار نظرية التكامل.

والآية الأخرى التي يشير اليها هؤلاء هي آية ٥٤ من سورة الفرقان:

«وهو الذي خَلَقَ من الماءِ بَشَراً فجعله نَسَباً و صِهْراً، وكانَ رَبُّكَ قديراً».

ولما كانت كلمتا «النسب» و «الصهر» تعنيان القرابة النسبية والسببية، فانهم يقولون: (عند ما خُلق آدم، فمع من كان يستطيع أنْ يُقيم علاقة نسبية وسببية عدا التراب؟ لذلك يجب القول بأنَّ قرابة آدم كانت مع الموجودات الأُخرى التي كانت تعاصره، وكانت لآدم قرابة نسبية وسببية مع هؤلاء على ضوء مبدأ التبدل والتكامل).

ياللعجب! ان هؤلاء يفسّرون الآية حسبما تشتهي أنفسهم من دون الأخذ بنظر الإعتبار كلماتها. حتى أنهم لم يسعوا ليعرفوا هل أنَّ الآية تتحدث عن خلق آدم أم عن خلق البشر الذين جاءوا بعده؟

تقول الآية: «خلق من الماء بشراً».

طبيعي ان الآية لا تتحدث عن خلق آدم ليتم طرح مسألة قرابته مع التراب أو مع موجودات عصره، إذ أنها تتحدث عن خلق الذين ظهروا بعد آدم، أي الذين يخلقون عن طريق النطفة. ولهذا الغرض يستخدم تعبير «خلق من الماء».

ومما لاشك فيه ان الإنسان عند ما يُخلق تكون له روابط نَسَبيَّة، وتصبح له بعد ذلك قرابة سببية مع البشر. والآية هي في مقام بيان المسألة التالية وهي ان البشر (وليس فرداً معيناً) لهم قرابة نسبية وسببية بعضهم مع البعض الآخر. إضافة الى ذلك، إذا كانت الآية خاصة بالإنسان الأول، فإنَّ مرحلة النسب والصهر تأتي وراء مرحلة الخلق وغير ملازمة لها كما يدَّعي هؤلاء.

والكلام الوحيد الذي يمكن قوله حول مثل هذه الإستنتاجات والإستنباطات هو أنها لن تستطيع أن تكون سوى حكم مسبق حول آيات كتاب الله المجيد.

وحول الآية ١٤ من سورة نوح «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أطواراً» يقول أنصار نظرية التكامل: (إنَّ ادعاء المفسِّرين على أنَّ هذه الآية تختص بالمراحل الجنينية للإنسان ليس صحيحاً، لأنَّ «الأطوار» في اللغة تأتي بمعنى «تجاوز كل حدٍّ معين ومن ثم الإكتمال» وهذا المفهوم لا ينطبق مع المراحل الجنينية للإنسان التي تكون كل مرحلة منها غير كاملة وغير كافية لبقاء الحياة). ثم يضيفون قائلين: (وهذه الآية هي في مقام توضيح الآية ١٣ من نفس السورة. «مالَكُمْ لا تَرجونَ للهِ وقاراً»، أي أنَّ القرآن يريد أنْ يقول ان الله يتهدد الذين لا يؤمنون بقوته، و يعتبرون آثار صنعه متأتية عن طريق الصدفة وهي بعيدة عن المتانة والوقار. ولرد مثل هذا الأسلوب من التفكير فان الله سبحانه وتعالى يورد بيان ذلك في الحقيقة التدريجية والتطويرية للإنسان كما هو مذكور في الآية ١٤).

هناك إشكالان على هذا القول: أولها: اننا لو قبلنا تفسير هؤلاء «للطور»، فإنَّ مراحل الخلقة التدريجية للإنسان تكون غير كاملة، بالضبط مثلما لا تكون المراحل الجنينية كاملة بل وغير كافية لدوام الحياة،

لأنها لو كانت كاملة لما كانت هناك حاجة للتكامل والوصول الى الحد النهائي، أيْ بلوغ الإنسانية.

أما الإشكال الثاني هو انه لتفنيح أسلوب تفكير الأشخاص الذين يعتبرون صنع الله صدفة و بعيداً عن المتانة والوقار، فإنَّ تذكر المراحل الجنينية وعجائبها إنْ لم تكن أكثر تأثيراً من ما يسمى بالمراحل التدريجية للخلقة، فانها ليست أقل منها. إذنْ فما الذي يحتِّم علينا عدم حمل كلمة «الأطوار» على المراحل الجنينية دون حملها على المراحل التدريجية لخلق الإنسان؟

وهنا لا بُدَّ من الإشارة الى الملاحظة التالية وهي أنَّ أنصار نظرية التكامل تماهلوا بهذا الصدد أيضاً، ولم يفكروا في مراجعة التفاسير ليلاحظوا كيف ان المفسرين اعتبروا خلق آدم من التراب ومراحل الطفولة والشباب والعجز والضعف والقوة مطابقة لهذه الآية بالضبط مثل المراحل الجنينية. وهذه أمُور تستطيع أنْ تكون مؤثرة لرد وتقبيح أسلوب التفكير المادي، ولفت أنظار الناس الى قدرة الله وصنعه.

إنَّ أنصار نظرية التكامل يفسِّرون عبارة «صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» التي وردت في الآيات ٢٦، ٢٨، ٣٣ من سورة الحجر بالطين العفن والقابل للتغيير، و يستنتجون: (بأنَّ الطين المذكور يشبه الطين العفن في المستنقعات. ولما كان علماء المحيط والكيمياء يعتبرون محيط الحياة البدائية مثل المياه

السابقة لسطح الأرض، لذلك فإنَّ هذ الإنسان ــ وفقاً لهذه الآيات ــ قد ظهر م المستنقعات بهيئة كائن حي يتواحد عادةً ا مثل هذه الأماكن، وقد تبدَّل بعد ملايـ السنين الى إنسان عبر تكامله التدريجي).

لقد ذكرنا مسبقاً معنى «**صلصال من ح مسنون**» وقلنا إنَّ المنجد يقول: (سنّ الطير عمله فخاراً)، لكنَّ أنصار نظرية التكامل يأخذوا بنظر الإعتبار سوى كلمة (المتغيِّر) معنى الصلصال التي يذكرها الراغب المفردات. وانهم ومن دون الأخذ بنظ الإعتبار «المعنى» الذي يذكره المنجد يستنتجون وفقاً لمدَّعاهم، في حين اننا أخذنا بنظر الإعتبار ماجاء في المنجد، أ عبارة (عمله فخاراً) لأتضح لدينا ان خا الإنسان من الطين ــ بموجب هذه الآيات كان يحتاج الى العمل الذي يتم في صنا الفخار (أي تغيير الطين وصبّه في قوالب ومن ثم تجفيفه) وان مثل هذا الأمر لا ينطب ــ بتاتاً ــ مع ادعاء هؤلاء.

إضافة الى ذلك، إذا كان الإنسان خُلِقَ عن طريق موجودات متعددة، كا أصلها كائناً حياً يعيش في المستنقعا فيجب أنْ لاينسب الله ــ بشكل مباشر خلقة الإنسان الى «**صلصال من حمإٍ مسنون** فهذا خلاف لظاهر الآية، وليس لصرا الآية.

ماهي النفس الواحدة؟

إنَّ الآيات التي ورد فيها تعبير «**النف**

الواحدة» والتي تقول إنَّ الله سبحانه وتعالى خلقنا من نفس واحدة، تعتبر من وجهة نظر أنصار نظرية التكامل دليلاً واضحاً على أن الإنسان قد خُلِقَ من الكائن الحي الذي كان يعيش في المستنقعات، فيما يرجع أصل جميع الموجودات الحية بما فيها الإنسان الى ذلك الكائن. انهم يرفضون تفسير المفسِّرين الذين يرون تطابق «النفس الواحدة» مع آدم، و يقولون: (إنَّ هذا التعبير ليس صحيحاً، إذ انَّ آدم لم يكن أول بشر، بل أصطفي من بين البشر الذين كانوا موجودين) ثم يضيفون قائلين: (إضافة الى ذلك ان الإنسان والموجودات الأُخرى خلقوا في الوهلة الأولى من التراب والطين، وليس من آدم).

هذا الإستنتاج لن يكون صحيحاً إلاّ اذا كان استنتاج أنصار نظرية التكامل في البحوث الماضية قطعياً، أي انَّ آدم لم يكن أول بشر، بل أصطفي من بين البشر الذين كانوا موجودين من قبل، في حين اننا أثبتنا خلاف ذلك.

إذنْ، ليس هناك شك في أن تفسير العلماء هو تفسير صائب، وان «النفس الواحدة» هي بمعنى «آدم» وليس موجوداً آخر. مع العلم أنَّ أنصار نظرية التكامل لم يلتفتوا أيضاً الى الملاحظة التالية وهي أن الله عندما يقول بأنَّ الإنسان خُلِقَ في الوهلة الاولى من التراب والطين، فهذا يعني أن بقية أفراد البشر الذين هم من نسله قد خُلِقوا بدورهم من التراب والطين.

وطبيعي ان آدم (الذي يعتبر بقية أفراد البشر من نسله) حين يكون مخلوقاً من التراب والطين، آنئذ يمكن القول ببساطة إنَّ البشر خلقوا من التراب والطين، بالضبط مثلما يمكن القول حول سجادة مصنوعة من صوف الأغنام، بأنَّ هذه السجادة مصنوعة من التراب، ذلك أنَّ صوف الأغنام، ونتيجة لتغذية الأغنام من المواد التي تنبت في الأرض يرجع في الأصل الى التراب.

و يقول أنصار نظرية التكامل:

(إنَّ خلق الإنسان والموجودات الأُخرى بدأ ـ إستناداً الى ما يقوله القرآن ـ من التراب والطين وليس من آدم. في حين أنَّ القرآن لوكان له تصريح آخر في هذا الصدد، فانه يخص الإنسان فقط «وبدأ خلق الإنسان من طين» وليس الموجودات الأُخرى).

والسؤال المطروح هو: من أين جاء هؤلاء بهذا القول حول الموجودات الأخرى؟! حتى أنَّ ادعاءهم القائل بأنَّ الخلق بدأ من التراب والطين وليس من آدم هو نوع من التناقض لأنهم يقولون ـ إستناداً الى الآية ٥٨ من سورة مريم ـ: (مثل آدم كمثل نوح وابراهيم ـ عليهما السلام ـ حيث كان شخصاً معيناً حظي الأنبياء من نسلهم جميعاً بالنعم الإلهية) أي انَّ آدم كان واحداً من أفراد البشر مثل نوح وابراهيم، وإنَّ نوحاً وابراهيم وسائر الأنبياء(ع) هم من نسله.

إذنْ كيف استطاع هؤلاء الإدعاء بأنَّ القرآن ينص على أنَّ الإنسان ليس من آدم؟

وماهو الإشكال إذا قلنا إنّ الإنسان هو من التراب والطين، ومن آدم كذلك؟

وما هو الإشكال أيضاً إذا كان آدم من التراب والطين، وكان الإنسان من نسل آدم، وقلنا في النتيجة إنّ الإنسان خلق من التراب والطين، وهو من نسل آدم؟

* * *

إنّ أنصار نظرية التكامل يعثّرون عى كلمة «لازب» الواردة في الآية ١١ من سورة الصافات «... إنّا خَلَقْناهُمْ من طينٍ لازِبٍ» بالشيء اللزج والشبيه بالحشائش التي تستقر في قعر البحار، وان الكائنات الحية الأولى قد وجدت من هذه الأماكن. ولذا فهذه الآية دليل على أنّ الإنسان هو من نسل مثل هذه الموجودات.

إنّ كلمة «لازب» تعني اللزوجة. والآن لماذا لانعزو انتخاب هذا الطين الى ان صنع جسم الإنسان يحتاج الى طين لزج، لكي لايتمكك[1].

* * *

اما بالنسبة لآية: «وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طينٍ» فيقول أنصار نظرية التكامل: (إنّ هذه الآية تتطابق مع الإكتشافات العلمية والتي لا تظهر بموجبها الاحياء من التراكيب الترابية على وجه السرعة، بل مضت ملايين السنين حتى ظهرت في المياه القليلة العمق أجسام مائية (كاربونية)، تبدّلت فيما بعد الى موادحية وفيروسات، ومن ثم الى موجودات حية، إذْ أنّ تعبير «سلالة من طين» يبيّن حصول تغيُّرات في التراب، وبالتالي ظهور الإنسان. وهذه التغيُّرات لا تستطيع أنْ تكون سوى هذه المراحل التي تبتت صحتها في التجارب العملية).

نحن نتفق مع هؤلاء حول مسألة حصول تغييرات في التراب قبل خلق الإنسان، ولكن من أين يعرف هؤلاء أنّ هذا الأمر استغرق ملايين السنين؟ إضافة الى ذلك يبدو أن هذه الآية تنسب خلق الإنسان الى «سلالة من طين» مباشرة، وان حمله على أنّ الطين تبدّل الى أجسام مائية، ثُمَّ الى مادة حية وفيروسات، وبالتالي الى موجودات حية من جملتها الإنسان يحتاج الى عناء كبير.

وفيما يتعلق بالآية ٩٨ من سورة الأنعام: «وهو الذي أنشأكُمْ من نَفْسٍ واحدة فَمُسْتَقَرٌ ومُسْتَوْدَعٌ...» فإنَّ أنصار نظرية التكامل يتحدون المفسّرين ويقولون: (لما كانت «النفس الواحدة» تدل على الوحدة، فإنها لا تقبل التطابق مع انسان معين، لأنه لا يمكن ظهور جيل وأجيال متوالية من شخص واحد).

أما إشكال هذا القول فهو ان المفسرين لم يقولوا ــ قط ــ إنّ الأجيال ظهرت من آدم فقط، بل انهم واستناداً الى الآيات الأولى من سورة النساء والآية ١٩٨ من سورة

---

١ ــ هذا الكلام ينطابق مع عبارات: «حمأمسنون» و «كالفخار».

الأنعام، والآية ٦ من سورة الزمر يقولون إنَّ البشر ازدادوا نتيجة لازدواج آدم مع الزوج الذي خلقه الله له.

وهذه الآيات ترى أنَّ «النفس الواحدة» والزوج الذي خلقه الله لها هما منشأ ظهور البشر. على سبيل المثال نورد الآية الشريفة الأولى من سورة النساء: «يا أيها الناسُ اتقوا رَبَّكُمُ الذي خَلقكُمْ من نَفْسٍ واحِدةٍ وخَلَقَ منها زَوْجَها وَبَثَّ منها رِجالاً كثيراً ونساءً ...».

وبذلك لا تبقى هناك أية شبهة.

وحول الآية (٥) من سورة الحج: «يا أيها النّاسُ إنْ كُنْتُمْ في ريبٍ من البَعْثِ فإنّا خَلقناكُمْ من تُرابٍ ثُمَّ من نُطفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ من مُضغةٍ...» يقول أنصار نظرية التكامل: (إنَّ وجود حرف العطف «ثم» يدل على أنَّ خلق الإنسان جرى تدريجياً، وهذا مالايتنافى مع نظرية التكامل) ويضيفون قائلين: (لما كان أول انسان قد ظهر من النطفة، فهذا يعني انه كانت هناك موجودات حية أُخرى قبل الإنسان، وبذلك خُلِقَ الإنسان الأول من نطفتها).

لقد تطرقنا فيما مضى الى «ثم»، أما بالنسبة للجزء الأخير من كلام هؤلاء، فنقول: أولاً: إنَّ هذه الآية الشريفة ليست لها مثل هذه الدلالة.

ثانياً: يتضح لنا من خلال الأخذ بنظر الإعتبار الآية ٨ من سورة السجدة: «ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ من ماءٍ مَهينٍ» بأنَّ رأي القرآن الكريم يتباين مع الرأي المذكور، لأنَّ نسل الإنسان هو وحده الذي خُلِقَ من النطفة، وليس الإنسان الأول. ومثلما قلنا مسبقاً، فإنَّ الإنسان الأول واستناداً الى الآية ٧ من سورة السجدة «... وبدأ خَلْقَ الإنْسانِ مِنْ طينٍ» قد خُلِقَ من الطين لا من النطفة.

وفيما يتعلق بالآيات ١٢ ــ ١٤ من سورة المؤمنون: «ولقد خَلقْنا الإنسانَ من سُلالةٍ من طينٍ * ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكينٍ * ثُمَّ خَلَقْنا النُّطفَةَ عَلَقَةً فَخلقْنا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخلقْنا المُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنا العِظامَ لَحْماً...» فإنَّ استنتاجات أنصار نظرية التكامل من هذه الآيات ليست صحيحة، إذْ انهم فسّروها بشكل تتطابق فيه مع نظرية التكامل. فهم يقولون إنَّ المقصود من النطفة هنا هو الشيء الذي تظهر منه جميع الموجودات الحية ولا يختص بنطفة الإنسان، وبالنتيجة فإنَّ النطفة هي منشأ حياة الموجودات الحية من جملتها الإنسان، اما «القرار المكين» فيعني المكان الذي تستقر فيه نطفة الحيوانات اللبونة، وبيض الحيوانات البيوض، أي غير اللبونة.

ونحن نلفت أنظار هؤلاء الى أنَّ هذه الآيات تتحدث عن كيفية خلق الإنسان فقط «لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين» ولاشأن لها بأقوامه وأقربائه. لذلك فمن الأفضل لهم أنْ يعيدوا النظر في آرائهم ازاء هذه الآيات، لأنَّ مثل هذا الإستنتاج من آيات القرآن الكريم هو أوضح نموذج للحكم المسبق والتفسير بالرأي اللذين تم مشاهدتها

كثيراً في تعميمات مؤلف الكتاب.

أما بالنسبة للآية الثانية من سورة العلق «خلق الإنسان من علق» فإنَّ أنصار نظرية التكامل يتصورون بأنَّ هذه الكلمة تبيِّن الإرتباط والعلاقة بشيء واحد أوعدة أشياء. ثم يستنتجون بأنَّ تلك الكلمة إنّما هي إشارة الى العلاقة والإرتباط بين الإنسان والموجودات السابقة. فهم يعتقدون ان تعبير «العلقة» في الآيات الأخرى مثل الآية (١٤) من سورة المؤمنون والآية (٥) من سورة الحج والآية (٣٨) من سورة القيامة، تبيِّن نفس المعنى.

أما خطأهم فيكمن في أنهم أخذوا كلمة (العُلقة) بضم العين، وفهموا منها معنى الإرتباط والعلاقة، في حين أن اللغويين يقولون إنَّ (العلق) جمع (علقة) يعني الدم، وهذا ماقاله المفسّرون أيضاً، وهو إشارة الى إحدى المراحل التكاملية في الجنين. وتعبير (العلقة) الوارد في الآيات الأخرى مع (النطفة) و (المضغة) و (سائر المراحل التكاملية للجنين) يؤيد رأي المفسرين.

وهنا أرى من الضرورة بمكان الإلتفات الى أنَّ كلمتي «العَلقة» بفتح العين و«العُلقة» بضم العين لهما جذر مشترك . وكما يقول أهل اللغة، فإنَّ العلقة سُمِّيت بهذا الإسم من حيث الإرتباط أو اللزوجة الموجودة فيها. والمهم هو لماذا يجب غض النظر عن المعنى الظاهري لكلمة «العلقة» في الآية التي هي بدورها مرحلة تتوسط مرحلتي (النطفة) و (المضغة) وسميت بهذا الإسم بسبب انعقادها وحالتها اللزجة؟ ولماذا يتم السعي بتكلُّف للإستفادة من هذه الكلمة لعرض حكم مسبق واثبات الإتصال بين الإنسان والحيوان عن هذا الطريق؟.

إنَّ التعمق في مفهوم (الإتصال) ومقارنته بـ (الإرتباط) يبيِّن عدم جدوى مثل هذه المحاولات.

وبالنسبة للآية (٥٩) من سورة آل عمران «إنَّ مَثَلَ عيسى عند الله كمثلِ آدَمَ خَلَقَهُ من تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكونُ» فقد أعطينا بعض التوضيحات حولها في موضوع الإستنتاج من الآيات. ومع انها تبدو كافية، لكن وبهدف أنْ يكون استنتاجنا من الآيات كاملاً، فإننا نعطي توضيحات أُخرى.

ومن الملاحظات الأُخرى حول هذه الآية والتي رأينا من اللازم بذل الدقة فيها هي انه وردت في الجزء الأخير من الآية العبارة التالية «ثم قال له كن فيكون». فاما أن نعتبر هذا الجزء من الآية خاصاً بـ (آدم) قبل تكوّنه من التراب، أو بعد تكوّنه من هذه المادة. لكنَّ الإحتمال الأول لن يستطيع أنْ يكون صحيحاً، إذْ أنَّ ظاهر الآية هو أنَّ الخلقة والتكون تمتا على مرحلتين، وقد أُستعملت كلمة «ثم» لعطف المرحلة الأُولى على الثانية.

وعلى هذا الأساس فان عبارة «كن فيكون» يجب أنْ تكون خاصة بمرحلة جاءت بعد خلق آدم من التراب. من جهة ثانية

هناك آيات أخرى تنص على أنَّ الله سبحانه وتعالى خلق آدم من التراب أو الطين، ثم نفخ فيه من روحه «ونفخت فيه من روحي».

وهذا ما يوضح لنا أنَّ فعل الأمر (كن) يرجع الى مرحلة نفخ الروح، أي بعد أنْ تمَّ صنع هيكلٍ ترابي لآدم، فإنَّ الله جلّ وعلا غيَّره الى موجود حي (انساني). لكن هذا التبرير لايتفق مع نظرية التكامل، في التكامل التدريجي عندما يتبدل التراب ـ بالتدريج ـ الى انسان، فإنَّ بعض المراحل تتوسط المرحلة الترابية والمرحلة الإنسانية، وهي (الطين، المواد الكاربونية، المواد الحية والفيروسات وبالتالي الموجودات الحية المشخصة).

فإذا كانت هذه الآية مطابقة لنظرية التكامل، فبأي المراحل يتعلق فعل الأمر (كن)؟ فالآية لا تذكر سوى مرحلتين «خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» بالضبط مثلما ورد في كتب التفسير، في حين ترى نظرية التكامل وجود مراحل كثيرة، وهذا ليس معقولاً أبدا.

ويستشكل أنصار نظرية التكامل على هذا الموضوع قائلين: (لو ألغينا هذا التشبيه في حالة عدم خلق آدم من التراب، فيجب كذلك أنْ يُلغى حتى في حالة خلقه من هذه المادة، لأنه في تلك الحالة لم يكن له أم وان إنساناً مثل عيسى (ع) الذي كان له أم ولم يكن له أب لايمكن مطلقاً تشبيهه بإنسان ليس له أب ولا أم).

ويكمن الإشكال في أن هؤلاء يتصورون أنَّ جميع خصائص المشبَّه والمشبَّه به في عملية التشبيه يجب أن تكون واحدة. في حين أنَّ جهة التشبيه هي وحدها التي يجب أن تكون واحدة في هذين الإثنين وإنَّ آدم وعيسى (عليهما السلام) باعتبارهما متشابهين من حيث افتقارهما الى أب، فإنَّ تشبيههما من هذه الناحية يخلو من الإشكال، حتى وإنْ كان أحد هما له أم أو لم يكن للإثنين أم أو كان لهما أم...

النتيجة الكلية الحاصلة من البحث:

اما النتيجة الكلية التي نحصل عليها من بحثنا هذا فهو ان جميع الآيات التي تطرقنا اليها لا تشير مطلقاً الى خلق الإنسان على مراحل، أي بصورة تدريجية كما يزعم أنصار نظرية التكامل. ويجب الإلتفات الى المسألة التالية وهي أنَّ بعض تلك الآيات إذا دُرِسَتْ من دون الأخذ بنظر الإعتبار سائر الآيات الأخرى الخاصة بخلق الإنسان، فانها تكون قابلة للحمل على هذه النظرية، لكننا قلنا في استنتاجنا منها انه وبعد مقارنتها بسائر الآيات الأخرى بل ووضعها الى جانبها فلن تبق أية دلالة على هذا الموضوع بالنسبة لهؤلاء في حين ان التمعن في مجموع الآيات المدروسة يبيِّن لنا بوضوح ان مفهوم القرآن الكريم حول خلق الإنسان، هو ماذهب اليه المفسرون في هذا الصدد، وهذا ما تحصل عليه الأذهان الطاهرة عند تعمقها في

الآية (٥٩) من سورة آل عمران. أما السبب في الإستنتاجات الخاطئة لأنصار النظرية التكامل من هذه الآية الشريفة فيكمن في أن هؤلاء ونتيجة لتأثيرهم بنظرية التكامل التدريجي، لجأوا الى الحكم المسبق.

في الختام نسأل الله أن يوفقنا جميعاً لإدراك المعارف القرآنية السامية كما هي عليه، و يصوننا من أي حكم مسبق على هذا الكتاب الإلهي، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ●

ترجمة: فلاح سيرواني

مسلمو الاتحاد السوفياتي

التوحيد والوحدة والممانعة الاسلامية

السيد هاني فحص

[illegible]

القسم الثاني

٧ ــ كيف ردَّ المسلمون على عمليات الإبادة والتهجير؟

كان المسلمون يردّون بازدياد أعدادهم. وفي هذا المجال يظهر من الدراسات السوفياتية أن المناطق العربية قد شهدت من عام ١٩٥٩ الى عام ١٩٧٠ انخفاضاً في معدل نمو السكان، على العكس من المناطق الإسلامية، مع العلم أنه الى سنة ١٩٥٩ كان الأمر على العكس ولم يكن انخفاض النمو السكاني لدى المسلمين في هذه الفترة راجعاً الى انخفاض نسبة الولادات بل الى عمليات الإبادة. ويبقى غير القادرين على فهم الإسلام وأثره في حياة المسلم غير مؤهلين لرؤية السبب الإسلامي وراء هذه الظاهرة... شعوب إسلامية تضطهد من قبل قوة تريدها عدداً وعدةً وسلطةً، ولا تتراجع بل تدرك أن الإسلام هو المستهدف وأنها بمانعتها وتماسكها وتجمعها ترد على الأعداء بل وتأمل بالنصر وتغيير المعادلة، بعضهم يحاول أن يعلل المسألة ــ مسألة النمو السكاني ــ بمستوى التحضير (حسب المفهوم الغربي) مفترضين (جهلاً أو تعمداً) أنه كلّما أدخلوا الإنسان المسلم في النموذج الحضاري الآخر، كلّما استطاعوا التحكّم في نظام حياته... والنموذج الحضاري الغربي الفردي الأناني الشهواني يفترض (تحديد النسل)...

ولكنَّ الأرقام تصمع... تقول الأرقام:

١ ــ في روسية كانت نسبة التحضُّر عام ١٩٣٩ (٣٣٪) وأصبحت في سنة ١٩٧٠ (٦٢٪) وكانت نسبة ازدياد السكان ضئيلة.

٢ ــ في طاجكستان كانت نسبة التحضر (١٧٪) وأصبحت (٣٧٪) نسبة تحضر أقل ونسبة الزيادة السكانية أكبر.

٣ ــ روسيا البيضاء كانت نسبة التحضر (٢١٪) وأصبحت (٤٣٪) نسبة [illegible] الزيادة السكانية أيضاً أقل.

٤ ــ آذربيجان كانت نسبة [illegible] (٣٦) وأصبحت (٥٠٪) نسبة تحضر [illegible] ونسبة [illegible] السكانية أكبر...

والخلاصة هي أن عدد السكان المسلمين [illegible] من ٢٤ مليون الى ٣٥ مليون خلال [illegible] فقط، ولم يكن لدرجة التحضر [illegible] كان تأثيرها واضحاً على [illegible] الإسلامية وعندما [illegible] السكاني، يعتقد المراقبون [illegible] (٣٥ [illegible]) سكانها من المسلمين [illegible] وحدها لا تفسّر هذه الظاهرة، [illegible] الوفيات [illegible] المناطق الإسلامية، وإن [illegible] عليه في المناطق غير الإسلامية [illegible] الولادات تفسيراً [illegible] الإسلام هو [illegible] العقيدي لكثرة الولادات [illegible] بالتحدي... وعندما [illegible] الدخل (العامل المادي) [illegible] في هذه المسألة ــ قياساً الى النموذج الغربي [illegible] البعض منهم أن يرى في [illegible] كلّما ازدادت تربية المسلمين على المنهج الغربي [illegible]

تقدماً، كلّما قلّت نسبة الولادات، وتبعاً لذلك فانهم يرون أنَّ الذي يسبب التغييرات الحقيقية في الأوساط الإسلامية هو تربية المرأة... وتربية المرأة هي المسؤولة عمّا حدث من ارتفاع لوتيرة النمو السكاني وقد كانت خلاصة الدراسة التي أجروها هي التالي

١ ــ إذا اجتمعت إمرأة ذات [illegible] مع رجل [illegible]، تكون [illegible]

٢ ــ إذا اجتمعت إمرأة ذات [illegible] رجل ذي [illegible] غربية [illegible] [illegible]

[illegible]

٨ ــ نصف امرأة:

[illegible]

إذا [illegible] كان [illegible] الى [illegible] وصفت كانت كالـ[illegible] أرضعت كان [illegible]

ماعيل، فإذا سهرت كان لها بكل سهرة تسهرها عتق رقبة من ولد اسماعيل وذلك للمؤمنات الصابرات اللاتي لايكفرن العسر ـ أولا للص العسر ـ قال: ياله فضلاً لولا مايتبعه من رط «قالتها مازحة[3]...» وقال بعضهم لرسول الله (ص): «إنّ لي زوجة إذا دخلتُ تلقتني، وإذا خرجتُ شيّعتني، وإذا رأتني مهموماً قالت لي مايهمك؟ إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفّل به غيرك، وإنْ كنت تهتم لآخرتك فزادك الله همّاً...» فقال رسول الله (ص): «إنّ لله عمالاً وهذه من عماله.. لها نصف أجر الشهيد»[4]...

يعلم العلماء والقادة السوفيات بزيادة سكان البلاد، وفي عام ١٩٠٠ م تنبأ العالم الروسي «...لايف» بأنّ سكان بلاده سيرتفع عددهم الى ... مليون نسمة عام (٢٠٥٠م) اذا بقيت نسبة التزايد على ماهي عليه حتى العام (٢٠٠٠) وإنّ هذا التزايد لن يبق مستمراً إلاّ بفضل الدفق الديموغرافي للشعوب الإسلامية، وهذا مايدخل القادة السوفيات في تناقض حاد، إذ يخرجهم، إذا أرادوا الحفاظ على ... السكاني باعتباره ضرورة، ألاّ يستمروا في السعي ... توحيد السلوك بين سكان البلاد.. في حين أن ... التوحيد وترك المسلمين يتزايدون على طريقتهم ... بوقوع انقلاب في الدولة السوفياتية وتشكيلها، ... أن يستمر انخفاض السكان غير الإسلاميين ... يتوقع أن تصبح نسبة السكان المسلمين ٣/١ من ... العام، وسيصبح ثقل المسلمين ضعفيه خلال ... قرن[5].. وحتى الآن مايزال السوفيات أمام ...ذير ميّالين الى التوحيد والإدماج والإلحاق ... معدل النمو السكاني لدى المسلمين... ومن ... اتجهوا الى التركيز على تثقيف المرأة تمهيداً الزواج المختلط الذي يمكن أن يكون مجالاً ملائماً لحمل القيم الحضارية الغربية الى المجتمع الإسلامي..

لقد قرر السوفيات أن التغيير مستحيل إذا لم تسهم فيه المرأة. ولن تسهم إلاّ عن طريق التلقين والدراسة وإدخالها في الحياة المهنية وقيمها. وفي الإحصائيات التي قدمها السوفيات عام ١٩٧٥ أظهروا نوعاً من الإرتياح، لأنّ هناك كثرة من النساء العاملات اللاتي يمارسن الحياة المهنية. وأن نسبة ٥٠٪ منهنّ يشاركن في مجالس السوفيات.. ولكنّ الحقيقة غير الإحصاء، وهي تقول:

١ ــ ان الفتيات في آسيا الوسطى غالباً مايتركن الدراسة خلال مرحلة التعليم الثانوي وسواء في ذلك بنات العائلات المتطورة حسب التطور الأوروبي أو المفتقرة الى التربية.

٢ ــ يلاحظ أن ارتفاع نسبة الولادات يأتي من ميل المرأة للتفرغ لشؤون عائلتها.

٣ ــ لا اقبال على الحياة المهنية والمجتمع الإسلامي يبدي ممانعة شديدة.

٤ ــ في مقابل ذلك يلجأ السوفيات الى تقديم الإغراءات من قبيل عدم فصل المرأة عن زوجها في العمل وعدم جمعها مع رجل أجنبي عنها.

٥ ــ النوادي الإجتماعية النسائية مازالت مغلقة في وجه الرجال.

٦ ــ تخفي العروس وجهها خلال حفلات الزواج المدني في اوزبكستان على سبيل المثال..

ويتحدث محمد جميل بيهم عن مشاهداته في آذربيجان، فيلاحظ أنّ الآذربيجانيين يكثر بينهم اسم (عليوف) نسبة للإمام علي(ع).. أما في أوساط النساء فبالإضافة الى أسماء فاطمة وعائشة وزينب فانه حتى الأسماء الجديدة فهي عربية وذات ايقاع إسلامي (جميلة ونظيرة ومنيرة وسلطانة وطاهرة

وظريفة)[٦]... هل المسألة مسألة شكل؟ وهل يمكن أن يكون الفصل بين الشكل والمضمون في هذه الحالة إلاّ تعسّفاً؟ ويقول بيهم **«بمجرد أنْ يهبط مطار احدى مدن أوزبكستان تشاهد الثياب المزركشة والمناديل التي تنقمط بها رؤوس بنات العامة»[٧] وفي مكان آخر يقول: «ما أنْ زرت مسجد تارابز الكبير في آذربيجان حتى تبيّن لي أنَّ الإسلام لايزال راسخ الأركان.. ذلك لأني شاهدت كثيرات فيه وفيما حوله من سكان المحلة متأزرات أو معطيات الرأس بمناديل يعقدن أطرافها تحت الذقون شأن الفلاحات في البلاد الاسلامية»[٨]**

ورغم أن المفتي ضياء الدين باباخان يصرّ على أن المسلمين قد حفظوا بملة حضارية على أيدي الشعب السوفيتي البكر الأرشد، حيث يقول: **«وقد بلغت شعوب الشرق السوفياتي خلال فترة تاريخية قصيرة بمساعدة شعوب الإتحاد السوفياتي الأكثر تطوراً، قمم الحضارة الانسانية»[٩].**

إلاّ أنَّ الوقائع والشواهد لا تلبث أن تفلت من بين يديه لتنسرح الى مدى الغيب والقلب في اتجاه المستقبل وترسخ الطمأنينة بأنَّ الإسلام من العمق في تكوين هذه الأمّة... بحيث أنه يهتبل الفرص ليطلع شكلاً جميلاً.. كالورد... يبعث على البهجة ويختزن العافية.

يقول باباخان ـ وهو يريد أنْ يقول إنَّ السوفيات يسمحون للإسلام أنْ يمر من بعض الزوايا والحواري، في حين أنَّ الإسلام لاينتظر إذناً واذا ما مُنع أو موِنع فانه يخترق الزوايا ويحول الحواري الى مضامير ثورية ـ **«حسب التقاليد المتبعة في كثير من مدن شمال القفقاس تقوم الفتيات قبيل العيد بتطرير رايات اسلامية وتقديمها الى الشبان.. ويأخذ الشبان هذه الرايات ويمتطون جيادهم أو يركبون السيارات ويطوفون بالمدن والأرياف رافعين هذه الرايات و يقدمون التهاني الى الجميع بهذه المناسبة»[١٠].**

قبيل العيد... وكأنّه يريد أن يقول ايانا.. ولكني اتخيل الصبية القفقاسية منذ أول شعبان أ[...] معصمه تفتح «حصّالتها».. وتحسب ما جمعت عل[ى] مدى السنة من متفرقات العملة وتكمل حاجتها [...] يتبرع به الأب أو الأم أو الشقيق... وتذهب ال[ى] السوق لتختار الخيوط وقطع القماش المتعددة الألوان والزاهية وهي تعي أن «النمطية» في الفكر الماركسي الغربي تفرض وحدة اللون... وهدوءه.. المناسب لهدوء القائد العسكري الذي يبيد شعباً بكامله وه[و] مطمئن.. لايشغل باله إلاّ بُعده عن طفلته الجميل[ة] الصغيرة... تعي ذلك فتختار التعدد في الألوا[ن] لتوحدها في العمل.. بينما هم يوحدون في اللون.. والنمط والسلوك تطرياً، ويمارسون أبشع ألوان الفص[ل] والإنفصال.. وتختار الزاهي من الألوان لتعلن وجودها المميّز... حربها غضبها، وفرحها الآتي من منطقة أُخرى.. غير منطقة السلطة والفكر والفر[ز] السلطوي... وتشتغل على مدى شهر أو شهرين.

قبيل آذان الإفطار.. وما بين السحر والفجر.. بنسج الخيوط ووصل القطع القماشية... تقول: ها نحن نجتمع.. وإنْ فرّقنا اللون أو اللغة أو الجنس.. يجمعنا الاسلام.. وأنتم وحدكم المتعددون المتشققون المنقسمون ذاتاً وموضوعاً لأنكم لا تأتون من الواحد ولا تذهبون اليه... الراية! أليست راية حرب[...] اتخيلها بديلاً لكثرة المقاتل التي تحيكها فتيات المؤمنات لإخوانهم المقاتلين في ساحات الجهاد. عربون وفاء وانتظاراً للنصر.

وهذا التواصل التعبيري بين الشاب والشابة يعدله ألفاً وتوهجاً إلاّ أعناق الخيل تسيل بها أبا[...] ديار الإسلام... الخيل... انها تلويحة الى م[...]

...ليف وأنيس ومتناغم يستحضر نفسه بكل وهجه وإشراقاته.

...ربية الرجل:

تقول هيلين كارير دونكوس: «**إنَّ المسؤولين السوفيات ينظرون بقلق الى الحضور الديني ومظاهره، ولم يعد الإسلام بالنسبة اليهم مشكلة ماضية، بل حاضرة و مستقبلية وطريقة تطورها تشكل تهديداً حقيقياً لمستقبل المجتمع السوفياتي**»... فلابدَّ من التدخل إذن.. و إذا كان التوجُّه نحو ممَّرات المستقبل (النساء) قد فشل فلابدَّ من فصل هذا المستقبل عن مداه الحيوي والتوجُّه نحوه مباشرة. وإذا كان المسلمون بالنسبة باعتبارهم أجيالاً قديمة، فلابدَّ من التوجه نحو الأجيال القادمة (الأطفال)... لابدَّ من (تسريك) الطفولة، أي بناء أجيال على أساس الثقافة الإشتراكية.. من هنا كانت نظرية (تجميع الطفولة) أي إضفاء الطابع الإجتماعي المطبق على الأطفال.. وقد وافق المسلمون على ذلك.. ولكنهم «**قرروا التسلل المنظم الى المنظمات المكلّفة لا المساعدة في دمج الأطفال في هذه المنظمات.. بل هم يدخلون كمسلمين ليكونوا شهوداً على طائفتهم**».. تبقى الإسلام في العمق وتبقى الثقافة السوفياتية على السطح. وطبقاً لنظرية التجميع، يؤخذ الأطفال منذ نعومة أظفارهم للتربية الشيوعية، ومنذ ذلك الحين لا يجوز أن يشتركوا في الإحتفالات الدينية، وتمارس من خلالهم رقابة على الأهل فيما إذا كانوا يلقِّنونهم الإسلام عندما يرونهم في العطل.. انها عملية فصل ...جزئة.. لا تلبث أنْ تعطي ثمارها العكسية (مزيداً من الوحدة والإتصال بالجماعة) فالدراسات تقول: الشبيبة تظهر عدم مبالاة بالفكر المعادي للدين، ...جاهل المنع من المشاركة في الإحتفالات الدينية، والسوفيات يرون أنَّ الجميع مسؤولون عن ذلك «ولكنَّ الأكثر مسؤولية هي اللجنة الموكول اليها محاربة الدين»... وهذا يصور التشبع ... على تغطية القمع والقسر التربوي حتى وأدى الى خروجه من الإنتماء الحضاري الى الإسلام، يقول «**وقد تضمَّن مرسوم فصل الديانة عن الدولة، والمدرسة عن الديانة، أعمق المفاهيم الديموقراطية**»[١١].

٩ ـ الزواج المختلط:

لقد أمَّلت السلطات السوفياتية أنْ تصل عن طريق الزواج المختلط الى المزج بين الجماعات المختلفة في المجتمع، وتجعل منه شاهداً على تقدم الوعي الأممي الشيوعي ومؤشراً الى التخلي الإسلامي عن الصلة بالجماعة الإسلامية باعتبار أنَّ الزواج هو أعلى أشكال التعبير عن الرضا بالآخر.. هنالك إذنْ محاولة (توحيد) هو الذوبان بالآخر في النهاية يقوم على تجزئة، تجزئة المسلمين على جميع المستويات، ولكنها تواجه بمقاومة وإصرار على الإبتعاد عن الآخر وإظهار إرادة ثابتة في التوحد الذاتي من خلال التمسك بالقيم والثقافة والموانع والفواصل ـ الثوابت ـ.

والدراسات التي أُجريت عام ١٩٦٩ أظهرت مايلي:

١ ـ هنالك شعوب كان زواج اللحمة فيها ـ أي الزواج داخل المجموعة ـ شبه تام: القرغيز (٩٥ر٤٪) الكازاخيون (٩٣ر٦٪) التركمان (٩٠ر٧٪) الآذريون (٨٩ر٨٪) الأوزبك (٨٦ر٢٪) الطاجيك ٧٧ر٣٪).

٢ ـ هنالك فئات يغلب عليها الزواج المختلط: الروس البيض ٦١٪ زواج مختلط الأوكرانيون ٦٥ر٧٪ والأرمن ٧٦ر٦٪.

واذا كان هناك نسبة معينة تتراوح بين ٩ر٢٣٪ من الزواج المختلط في أوساط المسلمين، فكيف يتم ذلك؟ وأين تذهب هذه النسبة؟

عام ١٩٦٢م كانت التقارير تقول التالي:

١ ـ إنَّ الزيجات بين المسلمين وغير المسلمين كانت استثنائية قبل الثورة في آسيا الوسطى، واستمرت كذلك بعد الثورة بسبب التقاليد الاسلامية (فالمانع الإسلامي مستمر لكون الآخر ملحداً، والثورية لا تصالح بين الإلحاد والإسلام، ومع الإلحاد تسقط الثورية بالمنظور الاسلامي).

٢ ـ إنَّ هذه الزيجات في حال حصولها تتم بصورة شبه تامة بين شاب مسلم وفتاة مسلمة من شعب مسلم آخر.

٣ ـ الفتيات المسلمات لا يتزوجن أبداً من غير مسلم.

وفي تحليل هذه الظواهر يعتبر علماء الإجتماع السوفيات أن مشجّعات الزواج المختلط هي (درجة التحضير) والتربية، خاصته تربيه المرأة. مع العلم أن الآذريين هم على نفس المستوى التحضيري مع الروس البيض والأوكرانيين، ومع ذلك نفارق النسبة في الزواج المختلط بينهم هوالتالي: (٢ر١٠٪) للآذريين يقابلها (٦١٪) للروس البيض و (٧ر٦٥٪) للأوكرانيين.

وفي عام ١٩٧٩ كانت (ماخاتشكالا) عاصمة داغستان تعد (٣٢٪) من المسلمين الداغستانيين و (٥١٪) من الروس والباقي متفرقون، مما يفترض فيه أن يشجع الزواج المختلط. ولكن دراسة حصلت لما حدث في هذا المجال بين عامي ١٩٥١ و ١٩٦٦ أثبتت العكس، وظهرت نسبة الزواج المختلط (٢ر٢٥٪) سنة ١٩٥١ و (٢٥٪) سنة ١٩٦٦ مع العلم أنه يدخل في هذا الزواج كل زواج بين

مسلم وغير مسلمة، أو مسلم ومسلمة غير داغ
والخلاصة هي أن (٥٠٪) من الزواج المختا
(٥ر١٢٪) من مجموع الزيجات المختلطة
الروس والأوكرانيين.. وربع هذه الزيجات ا
أي (٦ر٢٥٪) من المجموع العام تر
داغستانيين و غير مسلمين. وفي هذا الر
الداغستانيات المتزوجات من غير مسلم قل
ولا يتجاوز تلك العدد، أي (٨ر٢٪) من
العام. وأعلن هؤلاء النساء المسلمات اللاتي
من غير مسلم يحملن أسماءً روسية، مما يدل
متحدرات من زيجات مختلطة.. هذا بالإ
وجود أعلى نسبة من الطلاق في أوساط
المسلمات المتزوجات من غير المسلمين.. وقد
الدراسات التي أُجريت في طاجكستان و
نتائج مماثلة[١٢].

١٠ ـ العبادات الإسلامية:

أ ـ الحج:

لقد فهم المسلمون ـ الحج ـ على
وحدوي... والسوفيات وكذلك الاع
أتاتورك، فهموا ذلك، فعملوا للحيلولة
المسلمين الطوعي الى هذا المؤتمر سعياً م
الوحدة.. يقول مؤلفا كتاب (المسلمون
السوفيات): «والحج الواجب على كل م
أداؤه مرة في العمر أصبح منذ سنة ١٩٢٠
ثم في سنة ١٩٤٥ سمحت السلطات
ولكنَّ السفر الإفرادي غير مسموح به، و
الجماعي الذي تنظمه السلطات، و
لعشرين أو ثلاثين شخصاً سنوياً تعد
الإسلامي فيذهبون للحج. ولذا فان

أر
الم
مز
الغ
يشـ
التغ
التوحيـ

١٩٤٥ وحتى اليوم قد لايزيدون على مئة شخص... ولا يسمح لكل من يطلب الحج بالذهاب للحج بل ينتقى الحجاج انتقاءً دقيقاً، وغالباً ممن يتقنون العربية لكي يكون وجودهم في الحج دليلاً على حياة الإسلام في الاتحاد السوفيتي»[١٣].

اما المفتي باباخان فانه يقول في مقدمة كتابه بأنه قام خلال زيارته الى البلدان العربية والإسلامية بالتحدث (عن الحرية التي يتمتع بها كافة المسلمين، بما في ذلك حرية العبادة في بيوت الله... والحج الى الأماكن المقدسة)[١٤]... وعندما نقرأ الكتاب.. يغيب موضوع الحج نهائياً، بدون.. والشيخ لايقول كلمة واحدة... وهل يمكن أن يقول؟... إذنْ يُسمح لعدد ضئيل اختارهم السلطة بالسفر الى مكة.. ولأسباب سياسية خارجية لا احتراماً لحرية العقيدة، ولكنّ المسلمين المصرين على الوحدة يغتنمون فرصة موسم الحج ليعبّروا عن وحدتهم بزيارة أضرحة العلماء والصالحين (ضريح العيساوي وشاه زند) في آسيا الوسطى مثلاً حيث تتحول الزيارة الى مهرجانات شعبية حاشدة. وتعلّق دوبكوس على ذلك بالقول: «إنّ هذه الإجتماعات دلالة على أنّ الدين يخرج باستمرار من نطاق الحياة الفردية فيكون تعبيراً عن وعي جماعي، ومن هنا فالمسلمون مؤمنين وغير مؤمنين يعبّرون عن شعورهم بالإنتماء الى جماعة تتجاوز مصيرهم الشخصي، فالإسلام مرادف للجماعة والتربية الجماعية...» وتضيف: «إنّ بروز الوعي الجماعي الإسلامي متجاوزاً المشاعر القومية ومحتوياً عالياً على مضمون ثقافي جامع ظاهرة تقابل الإنكماش في الإتحاد السوفياتي»[١٥].

الصلاة:

الصحافة السوفيتية تتجنب الحديث عن الصلاة، ولكن فيها اشارات استثناء الى اداء الصلاة في أماكن عامة. في مجلة (بوك) عدد أيار ١٩٦٧ خبر يقول: «إنّ قازاقياً مسنّاً أدى الصلاة في حجرة القطار السريع»[١٦].

وباستمرار يبقى العيد وصلاة العيد مناسبة لإظهار الهوية والتضامن والوحدة وفي صلاة العيد يلتقي الجميع، جميع من يعرفون بهويتهم الإسلامية، حتى وإن لم يكونوا يؤدون الفرائض العادية، ليعيدوا تأكيد هذا الانتماء، وفي الاستسلام أمام الأهل والأعداء معاً... فيقولون إنّ عدم الإلتزام بالفرائض العادية بسبب قهر أو غير سبب لا يعني الإنفصال عن الجماعة والانتماء الى أرض أخرى.

في سنة ١٩٥٣ وفي عيد الفطر امتلأ مسجد وصحنه بالمصلين الذين أمّوه، وقدر عددهم بـ (٧٠٠٠) بينهم عدد كبير من الشباب، وذكرت الصحافة السوفيتية أن عدد الذين أمّوا مسجد بلدة صغيرة في تركستان لصلاة عيد الأضحى زادوا على ٤٠٠٠، منهم ١٠٪ من الشباب.. وعدد الذين اجتمعوا في مقبرة عشق آباد للإحتفال بذكرى عاشوراء أكثر من ٥٠٠ شخص. في حين أنه لايزيد عدد الشيعة هناك على ١٢٫٨٠٠ وإذا أخرجنا النساء والأطفال من الحساب يصبح الرقم ذا دلالة واضحة.

بحسب الإسلام، وبحسب الصلاة، من حيث التوجه والتوقيت والحركة والأقوال.. اذا لم يتوفر أداء الصلاة جماعة كتعبير عن التوحيد والوحدة، فإنّ الصلاة الفرادية فيها ضمانات الإبقاء على هذا التعبير قائماً راسخاً... ومن هنا لايكتفي الأعداء بالتضييق على المسلمين لمنعهم من الصلاة جمعة وجماعة بهدم المساجد واغلاقها ومعاقبة المصلين الذين هم في متناول يدهم، بل يضعون العوائق في وجه

أداء الصلاة فرادى... يمنع السوفيات العمال من الصلاة، فكيف يرد العامل المسلم؟ بعضهم يكتفي بالصلاة مرة واحدة، وبعضهم يقضي صلوات يومه لدى عودته الى منزله، وبعضهم يقضي صلاة أسبوعه يوم الأحد، وبعضهم يصلي الجمعة والعيدين.. وكثيرون يفلتون من المنع اذا كانوا خارج الرقابة لتطبيقهم ساعات عملهم بحيث تبقى الفرصة للصلاة أداء قائمة..

وإذا كان الكلام الذي تناول اصرار المسلمين واقبالهم على الصلاة قد تناول نماذج في الجمهوريات الإسلامية، فإنّ محمد جميل بيهم ينقل بعض مشاهداته من مناطق أخرى، فهو يقول:

«والمفروض أنْ يكون المسلمون السوفيات القاطنون في غير الأقطار الإسلامية السوفياتية أقل من مواطنيهم المقيمين في هذه الأمصار أقلّ حرصاً على الدين وشعائر الدين، بيد أني رأيت في موسكو وهي قاعدة الشيوعية، مايدل على أنّ هؤلاء ليسوا دون أولئك تمسّكاً بالإسلام، فقد زرت الجامع ظهر يوم الجمعة فرأيته غاصاً بالمصلين، ولمّا لم يتسع المسجد وسدته لا يوائهم جميعاً، جلس فريق منهم في فنائه استعداداً للصلاة.. وقد لاحظت أن المصلين هم من مختلف الأعمار ومن شتى الطبقات»[١٧].

ويقول أيضاً: «وقد حدثني صديق كان قد زار هذا المسجد ـ مسجد موسكو ـ في عيد الأضحى أنّ بعض المصلين إذا لم يعثروا على مكان في المسجد جلسوا في فنائه وفي ساحته الكبرى على بُسط ممدودة، وكانوا يملأون الساحة على مسافة نحو مائة متر، وقد جاؤوا للصلاة والمعايدة، ونوّه الصديق أيضاً بإقبالهم على شراء صور الكعبة والحرم النبوي، وعلى تسابقهم لابتياع لوحات أخرى مخطوطة باللغة العربية ومزدانة بآيات قرآنية أو أحاديث نبوية... وفي الفندق بموسكو تعرّضت لي موظفة علمت أني من المسلمين، وأعلمتني أنها مسلمة ولا تزال تؤدي شعائر الدين، وفي لينغراد اتصل بي موظف آخر في الفندق، وكتب اسمه باللغة العربية، ثم لم يكتف بتلاوة بعض الآيات القرآنية، بل أسمعني بعض الأوراد... وعلاوة على هذا أرشدني الى طريقة للتسبيح بظاهر الكفين بدلاً من السبحة»[١٨]

ج ـ شهر رمضان والصوم:

ظلّ المسلمون في صراع مع السلطة المتشددة في المنع من الصوم بين الخضوع أو التنازل عن ايمانهم.. وحتى لايتنازلوا صار بعضهم يصوم يوماً واحداً أو ثلاثة أيام من شهر رمضان ويقول «المهم أنْ يساهم الشخص فكرياً في فرائض طائفته» والبعض لايرتضي لنفسه هذا القدر من المقاومة.. فيطلب اجازته السنوية على شهر رمضان ليصوم أو على شهر غيره ليصوم قضاء.

وتنقل من لسان الشيخ باباخان هذه العبارات التي تدل على مزيد من التواصل الإسلامي في شهر الله، يقول: «ومن مناهج هذا الشهر إقامة الأفراح وتنظيم الزيارات الجماعية من قبل الشباب المسلم الى بيوت والديهم وأقاربهم وأصدقائهم وتبادل التهاني، وينشد الأطفال الأغاني التقليدية ذات المحتوى الإنساني النبيل ويقوم المسلمون بدورهم بتقديم الحلوى والهدايا لهم... وهناك كثير من المسنين يبدأون الصيام قبل شهرين من حلول شهر رمضان المبارك ... ويعنى في شهر رمضان في بلادنا بضرورة تقوية العلاقات الودية بين الناس والأقربين، ومن التقاليد المتبعة عندنا عزائم الإفطار، حيث يقوم المسلم بإعداد وليمة ضخمة يدعو إليها الأهل والأصدقاء للإفطار، وبعد ذلك تقام الصلاة، ويقرأ القرآن»[١٩] ●

هوامش:

١ ــ القوميات والدولة السوفياتية ــ دونكوس ــ الفصل الثالث ص ٧٢ وما بعدها.

٢ ــ المصدر السابق ص ٧٠ وماقبلها.

٣ ــ الشيخ الطبرسي ــ مجمع البيان في تفسير القرآن مجلد ٢ج ٣ ص ٢٠.

٤ ــ الوسائل ج ٧ ص ١٧.

٥ ــ القوميات والدولة السوفياتية ــ دونكوس ــ ص ٦٨ ــ ٧٠ ومجمل الفصل الثاني.

٦ ــ محمد جميل بيهم ــ أسرار ماوراء الستار ص ١٥٤.

٧ ــ المصدر السابق ص ١١٣.

٨ ــ المصدر السابق ص ١٦٧.

٩ ــ ضياء الدين باباخان ــ الاسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ص ٨٢.

١٠ ــ المصدر السابق ص ١٣٠.

١١ ــ المصدر السابق ص ٧٢.

١٢ ــ القوميات والدولة السوفياتية ــ دونكوس ــ ص ١٦١ ــ ١٦٢.

١٣ ــ المسلمون في الاتحاد السوفيتي / ترجمة إحسان حقي ص ٢٧٩.

١٤ ــ الاسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ــ ضياء الدين باباخان ص ٤

١٥ ــ القوميات والدولة السوفياتية ــ ص ١٥٣.

١٦ ــ المسلمون في الاتحاد السوفيتي ــ ترجمة احسان حقي ص ٢٨٠.

١٧ ــ محمد جميل بيهم / أسرار ماوراء الستار / ص ٩٩ والمسلمون في الاتحاد السوفيتي ص ٢٨٠.

١٨ ــ نفس المصدر السابق ص ١٠١ ــ ١٠٢ ــ محمد جميل بيهم.

١٩ ــ ضياء الدين خان بن ايشان باباخان ــ الاسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية ص ١٢٨.

حول توحيد الشهور القمرية

في جواب السؤال التالي: ماهو رأيكم في مسألة توحيد الشهور القمرية والتي هي بطبيعة الحال خطوة على طريق الوحدة الاسلامية؟ كتب محرر المجلة مايلي:

أولاً: اننا نعتبر مسألة الوحدة الإسلامية من أهم خصائص الامة الإسلامية والتي عمل القرآن الكريم، وأكدت السنة الشريفة عليها، ونؤيد كل خطوة صحيحة مشروعة لتحقيق هذا الهدف الإسلامي الضخم والذي نصبو اليه جميعاً، حيث تقف الجماهير الإسلامية في خندق واحد تبني نفسها من جهة متكاملة نحو المطلق، وتقارع الطغاة المعتدين (الشرقيين والغربيين) من جهة اخرى.

ثانياً: كما أننا متأكدون من أنَّ الكثير من المسلطين على مقاليد الأمور في عالمنا الإسلامي حاولوا أنْ يستفيدوا من مسألة بداية الشهور القمرية والمناسبات وتوقيتها لصالح أغراضهم الضيقة، الأمر الذي يدعو الى تجريدهم من هذه السلطات وتسليمها بيد مراكز مستقلة لا تتأثر بالأهواء و إنما تراقب الله تعالى لاغير.

ثالثاً: من المعلوم أنَّ هناك حالات يخرج فيها القمر من المحاق، ولكنه لايمكن أنْ يُرى في بعض المناطق تبعاً لعوامل طبيعية متعددة:

منها: ان يظهر بعد غروب الشمس فوق الأفق الغربي قليلاً، ثم يختفي تحت الأفق الغربي فيكون غير واضح الظهور وربما صعبت رؤيته أو كانت غير ممكنة.

ومنها: ان يواجه الجزء المضيء من القمر الأرض، ثم يغيب و يختفي تحت الأفق قبل غروب الشمس، فلا تتيسر حينئذ رؤيته مادامت الشمس موجودة.

ومنها: ان يكون الجزء المنير المواجه للأرض من القمر (الهلال) ضئيلاً جداً لقرب عهده بالمحاق، فلا يمكن رؤيته بالعين المجردة.

وفي كل هذه الحالات تكون الدورة الطبيعية للقمر قد بدأت، إلاّ أنّ الهلال لايمكن رؤيته، وحينئذ

فان الشهر بمفهومه الشرعي لايبدأ حينذاك، وإنما يتوقف على أمرين:

أحدهما: خروج القمر من المحاق، ومواجهة جزء من نصفه المضيء للأرض.

والآخر: ان يمكن رؤية هذا الجزء بالعين الإعتيادية المجردة، وهذا قد يؤخر الشهر القمري الشرعي عن الشهر القمري الفلكي الطبيعي.

وقد قلنا سلفاً إنَّ إمكان الرؤية بالعين مجردة هو المقياس لا الرؤية نفسها، فوجود حاجب يحول دون الرؤية كالغيم والضباب لايضر بذلك.

كما أنه ليس المعيار الرؤية بالوسائل العلمية، وإنما المعيار هو إمكان الرؤية بالعين الإعتيادية المجردة.

حالة اختلاف البلاد في الرؤية:

قد يُرى الهلال في بلد دون آخر، فما هو الحكم؟

وللإجابة على ذلك يقال إنَّ هذا الاختلاف **تارة** يكون بسبب طارئ كوجود غيم في هذا البلد دون ذاك وحينئذ فلاشك في كفاية الرؤية في أحدهما بالنسبة للبلد الآخر.

وأخرى يكون الاختلاف تبعاً لاختلافهما في خطوط الطول أو خطوط العرض أو فيهما معاً، فتكون لدينا آفاق متعددة.

ولما كان من اللازم توفر الأمرين السابقين (خروج القمر من المحاق، وإمكان الرؤية المجردة) فإنه لاريب في نسبية دخول الشهر بالمفهوم الشرعي.

وذلك سواء آمنا بأنَّ خروج القمر من المحاق أمر نسبي أو أمر طبيعي واحد لايتكرر (تبعاً لاختلاف مفهوم المحاق وهل هو تحقق مركز القمر على الخط الواصل بين مركزي الأرض والشمس فيغيب القمر عن كل أهل الأرض، أو هو مواجهة الوجه المظلم تماماً للنقطة من على الأرض وهو أمر نسبي).

فإنَّ النسبية لامحالة آتية من إمكان الرؤية بالعين الاعتيادية المجردة.

ومع ذلك يجب الرجوع الى النصوص الشريفة لمعرفة ما إذا كان الشرع المقدس يعتبر إمكان الرؤية في مكان ما كافياً لاعتبار الأرض كلها قد دخلت في الشهر الشرعي أم لا يعتبر ذلك؟

وفي هذا المجال وقع اختلاف رئيس بين العلماء الأعلاء عند تمحيص النصوص، وسر الاختلاف يكمن في وجود انصراف لنصوص (الرؤية في البلد الآخر) يصرف الإطلاق الى البلد القريب المتحد في الأفق وعدم وجود مثل هذا الإنصراف.

فمثلاً وردت رواية نقلها الوافي عن التهذيب، عن سعد بن أحمد، عن الحسن، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن الإمام الصادق عليه السلام، انه قال فيمن صام تسعة وعشرين يوما: «**إنْ كانت له بيّنة عادلة على أهل مصر أنهم صاموا ثلاثين ــ على رؤية ــ قضى يوماً**».

ورواية أخرى عن الشيخ الطوسي،عن القاسم، عن أبان، عن عبد الرحمن، عن الصادق (ع) قال:
«لا تصم إلاّ أنْ تراه، فإنْ شهد أهل بلد آخرفاقضه»

وهناك روايات أخرى متفاوتة (راجع الملحق رقم ١).

وكما قلنا فان نقطة الخلاف تكمن في انصراف لفظ (البلد الآخر) الى البلد القريب و عدمه، فلو تم الإطلاق كان ذلك يعني أنّ رؤية شرعية ما في بلد تشكل حجة شرعية على كل الأقطار بدخول الشهر، أما لو أدى الإنصراف الى تقييد الإطلاق فالقاعدة هي وحدة الحكم في خصوص البلدان المتقاربة فقط. ولسنا نقصد فعلاً البحث عن المسألة بقدر ما نريد من تجلية الخلاف وذكر بعض الأقوال في ذلك لنصل الى النتيجة المطلوبة (راجع الملحق رقم٢).

وعلى هذا الأساس، نقول إنّ مسألة توحيد الشهور القمرية أمر لاينسجم مع هذا الخلاف ــ مادام قائماً ــ ولا يمكن أنْ تشكل نظاماً عاماً سواء قلنا بانفتاح باب الإجتهاد أو انغلاقه فانه بمراجعة الملحق نجد أنَّ المذاهب مختلفة فيها وكذلك آراء المجتهدين القائلين بانفتاح باب الإجتهاد.

ومن الطبيعي والحال هذه أنه لايمكن إجبار فرد أو دولة على اتباع نظام قد لا تؤمن به شرعاً، فكيف يمكن إصدار مثل هذا القرار؟

خامساً: ورغم ما سبق فاننا نجد أن الجهود المبذولة قد تكون نافعة في تقريب وجهات النظر، وتشخيص الشهادات الصحيحة من الباطلة ــ أحياناً ــ بل وهي تنفع في توحيد سطر كبيرمن الذين يؤمنون بمسلك وحدة الآفاق... إلاّ أننا مع هذا نحذر من الاستغلال السياسي اللئيم لهذه المسألة الشريفة.

سادساً: إننا إذا تمسكنا بشريعتنا وبخفايية ما تقول بكل دقة، فربما ولا يهمنا ما يقوله العالم لنا، ولذلك فاننا نسجل اعتراضنا على الإستناد الى ما يسمى بـ (الرأى العام العالمي) في كلمات بعض العلماء. والمهم لدينا أنْ نحقق ماتريده الشريعة، وقد علمنا أنَّ المسألة خلافية لا إجماع فيها.

وفي الختام فمع تقديرنا للجهود المبذولة في هذا السبيل نود أنْ يخرج هذا القرار عن الصفة الإلزامية الى الصفة الترجيحية مع الدعوة الى التقارب والتأكد من الأمر.

ونرجو في الختام التوفيق لكل المخلصين العاملين... والسلام عليكم.

ــ المحرر ــ

الملحق رقم (١)

بعض النصوص بالإضافة لما ذكر

يقول الإمام عليه السلام كما جاء في (فقه الصادق ج ٢ ص ٤٥):

«الفطر يوم يفطر الناس، والأضحى يوم يضحي الناس، والصوم يوم يصوم الناس».

وجاء في وسائل الشيعة قول الحر العاملي:

«وتقدم في المواقيت قولهم عليهم السلام: انما عليك مشرقك ومغربك وليس على الناس أن يبحثوا».

وعلق عليه بقوله:

«أقول هذا محمول على البلد البعيد لاتحاد المشارق والمغارب ولما تقدم».

وجاء في الوسائل أيضاً (الجزء السابع ص ٢٠٨).

«سئل عن اليوم الذي يقضى من شهر رمضان، فقال: لا تقضه إلاّ أن يثبت شاهدان عدلان من جميع أهل الصلاة متى كان رأس الشهر».

وفيه أيضاً:

«انه قال في من صام تسعة وعشرين، قال: إنْ كانت له بينة عادلة على أهل مصر أنهم صاموا ثلاثين على رؤيته قضى يوماً».

وفيه أيضاً:

«إذا رأيتم الهلال؛ فافطروا أو شهد عليه عدل من المسلمين».

وفي الوافي نقلاً عن التهذيب: عن محمد بن عيسى، قال: كتب اليه أبو عمرو: اخبرني يامولاي أنه ربما أشكل علينا هلال شهر رمضان، فلا نراه، ونرى السماء فيها علة، فيفطر الناس، ونفطر معهم، ويقول قوم من الحُسّاب قبلنا انه يرى في تلك الليلة بعينها بمصر وأفريقيا والأندلس، فهل يجوز يامولاي ما قال الحساب في هذا الباب حتى يختلف الفرض على أهل الأمصار فيكون صومهم خلاف صومنا وفطرهم خلاف فطرنا، فوقع عليه السلام لا تصومن الشك أفطر لرؤيته وصم لرؤيته.

وكذلك؛ سعد بن أحمد، عن الحسن، عن ابن ابي عمير، عن هشام بن الحكم،عن أبي عبد الله (ع) انه قال: «فيمن صام تسعة وعشرين، قال: إنْ كانت له بيّنة عادلة على أهل مصر انهم صاموا ثلاثين على رؤيته قضى يوماً».

وكذلك عن أبي عبد الله (ع) انه سئل عن اليوم الذي يقضى من شهر رمضان فقال: «لا تقضه إلاّ أنْ يثبت شاهدان عدلان من جميع أهل الصلاة متى كان رأس الشهر» وقال: «لا تصم ذلك اليوم الذي يقضى إلاّ أنْ يقضي أهل الأمصار، فإنْ فعلوا فصم».

وعلق المرحوم الفيض الكاشاني بقوله: من جميع أهل الصلاة يعني أي مذهب كان من ملل أهل الإسلام.

وكذلك عن أبي الجارود، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي (ع) يقول: «صم حين يصوم الناس وافطر حين يفطر الناس فإنّ الله عزّوجلّ جعل الأهلة مواقيت»:

وجاء في التهذيب عن أبي جعفر: «الفطر يوم يفطر الناس، والأضحى يوم يضحي الناس، والصوم يوم يصوم الناس».

الملحق رقم (٢)

بعض الأقوال والنصوص في هذا المورد:

نقل المرحوم (مغنية) في كتابه (الفقه على المذاهب الخمسة) ان الحنفية والمالكية والحنابلة قالوا: متى

ثبتت رؤية الهلال بقطر، يجب على أهل سائر الأقطار من غير فرق بين القريب والبعيد ولا عبرة باختلاف مطلع الهلال.

وقال الإمامية والشافعية: إذا رأى الهلال أهل البلد، ولم يره أهل بلد آخر، فإن تقارب البلدان في مطلع كان حكمها واحداً، وإن اختلف المطلع فلكل بلد حكمه الخاص.

وجاء في كتاب روائع البيان (تفسير آيات الاحكام) للشيخ محمد الصابوني الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة قوله:

الحكم العاشر: هل يعتبر اختلاف المطالع في وجوب الصيام؟

ذهب الحنفية والمالكية والحنابلة الى أنه لاعبرة باختلاف المطالع، فإذا رأى الهلال أهل بلد، وجب الصوم على بقية البلاد، لقوله (ص): «**صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته**» وهو خطاب عام لجميع الامة، فمن رآه منهم في أي مكان كان ذلك رؤية لهم جميعاً.

وذهب الشافعية الى أنه يعتبر لأهل كل بلد رؤيتهم، ولا تكفي رؤية البلد الآخر، والأدلة تطلب في كتب الفروع، فارجع اليها هناك (الجزء الأول ص ٢١١).

وقال حجة الإسلام الغزالي في كتابه (إحياء الدين ج ١ ص٢٣٢):

«**وإذا رؤي الهلال ببلدة، ولم ير بأخرى، وكان بينهما أقل من مرحلتين، وجب الصوم على الكل، وإنْ كان أكثر، كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب**».

ونقل العلامة الفيض الكاشاني في كتابه (الوافي ص ٢٠) الرواية التالية: عن البصري عن أبي عبد الله (ع) قال سألته عن هلال رمضان يغم علينا في تسع وعشرين من شعبان، فقال: «**لا تصم إلاّ أنْ تراه، فإنْ شهد أهل بلد آخر فاقضه**».

وعلق عليها قائلاً: انما قال (ع) فان شهد أهل بلد آخر فاقضه، لأنه إذا رآه واحد في بلد، رآه ألف كما مرَّ. والظاهر أنه لافرق بين أنْ يكون ذلك البلد المشهود برؤيته فيه من البلاد القريبة من هذا البلد أو البعيدة عنه، لأنَّ بناء التكليف على الرؤية لا على جواز الرؤية ولعدم انضباط القرب والبعد لجمهور الناس ولإطلاق اللفظ فما اشتهر بين متأخري أصحابنا من الفرق ثم اختلافهم في تفسير القرب والبعد بالإجتهاد ولا وجه له. (ص ٢٠)

إلاّ أن المرحوم الشعراني علّق على كلامه بقوله:

«**الشريعة بنفسها التي ربطت شهرها (القمري) الشرعي بامكان الرؤية لم تبين انها هل ربطت الشهر في كل منطقة بامكان الرؤية في تلك المنطقة أو ربطت الشهر في كل المناطق بامكان الرؤية في أي موضع كان؟**

والأقرب على أساس ما نفهمه من الأدلة الشرعية هو الثاني. وعليه فإذا رئي الهلال في بلد ثبت الشهر في سائر البلاد».

ويقول المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه (الفردوس الأعلى):

سؤال: هل البينة حجة من البلد في ثبوت الهلال فيما إذا لم يكن في السماء علة أم لا ......؟

الجواب:

في السؤال نوع إجمال، ولكن الضابطة الكلية أنَّ أدلة حجية البينة مطلقة غير مقيدة بعدم الإستبعاد، أو عدم الريب فيها بعد تحقق موضوعها، إلاّ أنْ يعلم اشتباهها أو خطأها، ولا فرق بين كونها من البلد أو خارج البلد بعيدة أو قريبة... ●

معي

بقلم: أبو آمنة / مري

ــ القسم الثاني ــ

المذهب الرمزي:

استقرَّ هذا المذهب في الآداب الأوروبية ...د عام ١٨٨٠ م. وهو أهم مذهب في الشعر ...غاني بعد الرومانطيقية. وقد ترك آثاراً عميقة ... الشعر العالمي حتى اليوم..

والرمز معناه الإيحاء، أي التعبير غير المباشر ...ن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على ...ائها اللغة في دلالتها الوضعية، والرمز هو الصلة ... الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر عن ... ثارة النفسية، لا عن طريق التسمية ...تصريح. وللمذهب دعامة فلسفية في فلسفة ...انط» التي تفسح مجالاً لعالم الأفكار، وتصرّح ...ذر معرفة العالم الخارجي عن غير طريق صوره ...عكسة فينا. والشعر الرمزي ذاتي، ولكنه ليس ... في المعنى الرومانطيقي، بل في المعنى الفلسفي، أي البحث عن الأطواء النفسية المستعصية عن الدلالة اللغوية. والرمزيون كالبرناسيين لا يحفلون بسواد الشعب والناس، بل يتوجّهون إلى الصفوة، ولكنهم لا يستسلمون للإلهام كما هو شأن الرومانطيقيين بل يؤمنون بالصنعة والأحكام، وإخضاع الخواطر لأول تفكير ذهني قصداً إلى السيطرة عليها عن وعي. والمذهب الرمزي رد فعل للبرناسية. والرمزيون يريدون أن يغوصوا بشعرهم في أعماق النفس. فلا يجرون وراء صور الطبيعة للخروج من نطاق الذات. وبينما صوّر البرناسيون صورهم الشعرية في صور تجسيمية، ليربطوا بين الشعر والنحت والرسم، عنى الرمزيون بتوثيق الصلة بين الشعر والموسيقى، ومن وسائلهم الفنية في ذلك الإفادة من تراسل الحواس، فتعطي المسموعات ألواناً وتصير

المشمومات أنغاماً، وتصبح المرئيات عاطرة، لتوليد إحساسات تغني بها اللغة الشعرية، ولا تستطيع اللغة الوضعية التعبير عنها، ورائدهم في ذلك «بودلير» في قصيدته التي عنوانها: تراسل، وفيها يقول: «الطبيعة معبد ذو عمد حية، وتنطق هذه العمد أحياناً ولكنها لا تفصح، ويجوس المرء منها في غابات من رموز تلحظه بنظرات أليفة وتتجاوب الروائح والألوان والأصوات، كأنّها أصداء طويلة مختلطة، تترد من بعيد، لتؤلف وحدة عميقة المعنى مظلمة الأرجاء، رحيبة كالليل، وكالضوء...».

شعراء المذهب الرمزي يؤكدون على تراسل الحواس، وهم يعيشون في عالم الأشباح والأرواح، وشعرهم مليئ بالأوهام والأحلام...

ويعبّر عن نفس المعنى بودلير أيضاً في قصيدة أخرى: «يا للتحوير الصوفي لجميع مشاعري المذابة في شعور واحد!! لتكون أنفاسه الموسيقى، ويكون صوته العطر». وبتراسل الحواس يتحول العالم الخارجي الى مفهومات نفسية فكرية، ويتجرد من بعض خواصه المعهودة ليصير فكرة وشعوراً. وذلك أن العالم الخارجي صورة ناقصة لعالم النفس الأغنى والأكمل.

... ولهذا كان يلجأ الرمزيون الى نقل صور العالم الخارجي من مواطنها المعهودة في شبه هويس فكري ــ ليوحوا بمشاعر غريبة لا تسمح عنها دلالات اللغة وضعاً، على نحو ما يعبّر عنه «رامبو»: «رضيت نفسي على خلق الأحلام الوهمية البسيطة، فكنت أرى في خلاء مسجداً في مكان مصنع، وجوقة لضرب الدفوف أفرادها من الملائكة، وعربات صغيرة متحركة المقاعد تسير في السماء، وحجرة استقبال في قاع بحيرة... فأجد في النهاية أن هذا التهويس الفكري قد اكتسب صفة التقديس».

ومن مبادئهم كذلك اللجوء الى الصور الشعرية الظليلة، يحددون بعض معالمها، ليتركوا الأخرى تسبح في جوّ من الغموض الذي لا يصل الى الألغاز، كما يقول «فرلين» في قصيدته السائرة الذكر: «أحبُّ شيء إليَّ هو الأغنية السكرى، حيث يجتمع المحدد الواضح بالمبهم اللامحدد». والأهمية الأولى للظلال لا للألوان.

ويلجأ الرمزيون الى الألفاظ المنسقة الموحية التي تعبّر في قراءتها عن أجواء نفسية رحيبة كلفظ الغروب الذي يوحي في موقعه مثلاً بمصرع الشمس الدامي والألوان الغاربة الهاربة والشعور بأنّ شيئاً يزول والإحساس بالانقباض وما إليه.

ويولع الرمزيون بتقريب الصفات المتباعدة رغبة في الإيحاء كذلك، مثل «السكون المقمر» و«الضوء الباكي» و«الأسماك المفضضة» و«القمر الشرس» و«الشمس المرة المذاق».. وكل تعبير منها في موضعه ممتع، موح بألوان الإيحاءات النفسية.

والرمزيون هم أول من دعا الى تحرير الشعر من الأوزان التقليدية، لتساير الموسيقى فيه دفعات

الشعور: فدعوا إلى الشعر المطلق من التزام القافية، والشعر الحر من الوزن والقافية. وفي داخل القصيدة الواحدة تتنوع موسيقى الوزن على حسب تنوع المشاعر وخلجات النفس وتطابق الشعور مع الموسيقى المعبّرة عنه هو ما يولف وحدة القصيدة الحق؛ والوزن التقليدي الرتيب يخل بهذه الوحدة.

و يبغض الرمزيون اللهجة الخطابية، بوسائلها التقليدية من إحالة وتهويل، لأنها تنافي التعمق في تصوير المعاني النفسية الخبيئة في حنايا النفس.

و يلعب عالم العقائد والغيب دوراً كبيراً في الصور الرمزية ــ وفيها يختلط الشعور باللاشعور، عالم الأشباح والأرواح بعالم الناس، للإيحاء بعالم نفسية دقيقة متأرجحة بين الإبانة والخفاء. يلقي الشاعر عليها أضواءً تمتد الى جوانب منها لا تستوعبها»[1].

إن الرمزية «في الأساس اتجاه فني يغلب عليه سيطرة الخيال على كل ماعداه سيطرة تجعل للرمز دلالة أولية على ألوان المعاني العقلية والمشاعر العاطفية بحيث يسرى الشاعر، أو الفنان، الى ترجمة أفكاره ومشاعره الى إشارات تعبّر عن المعاني والعواطف بالصورة الرامزة فقط، هي التي تمسي وكأنها وحدها لغة التعبير، كأنما العقل والشعور أصبحا يعملان في خدمة الرمز وتكتيفه. ومعنى هذا كله اختلال في التوازن بين القوى لمصلحة الرمز دون غيره، ومعناه، أولاً وقبل كل شيء، طغيان عنصر الخيال بشكل لا يسمح للعقل والمخيلة إلاّ أنْ يعملا تحت راية الرمز و بواسطته، إذْ عوضاً عن أنْ يعبّر الشاعر والفنان عن غرضه بالفكرة المباشرة أي بالمعنى العقلي التجريدي، وما يعادله من الصور التشبيهية وقد يكتنف ذلك كله من أجواء شعورية، بغض النظر عن أولوية هذا العنصر أو ذاك، فإنّ الفنان الرمزي يبحث عن الصورة الرامزة التي من شأنها أن تشير في النهاية الى الفكرة والى العاطفة، أي ان الرموز ليه عامة بأشكال الرمز، والإيحاء الرمزي الذي هو من نتاج المخيلة بالدرجة الأولى ونه هو العنصور الأكثف والأقوى بالنسبة لعنصري العقل والعاطفة»[2]

ان أُدباء الرمز قد حوّلوا القطع الأدبية الى ألغاز وطلاسم مغلقة لا يفهمها إلا ذو حظ عظيم، فتقرأ الشعر الرمزي فلا تفهمه... وتقرأ القصة فلا تعرف أولها ولا آخرها...

---

١ ــ الأدب المقارن د. محمد غنيمي هلال، ص ٣٨٢.

٢ ــ الفن والأدب / الدكتور ميشال عاصي / ص ٢٠١

... «ومن روّاده في فرنسا كان «فرنسيس جام» و «مالرميه» و «فاليري» و «رينيه» ثم تسرّب الى الغرب و بشّر به: «جورج استيفان» في ألمانيا و «بلوك» في روسيا. وأخذ ينتشر بسرعة فائقة الى أن دخل الشرق، وكان اللبنانيون أول من أظهروه في شعرهم ونثرهم، وانقسموا الى قسمين:

استعمل الأنبياء «ع» أسلوب الرمز في دعوتهم الى الله سبحانه، ومارسوه من أجل هداية الناس نحو الحقيقة الإلهية الأزلية...

قسم من يكتفي بالإيقاع الصوتي، والإيحاء اللفظي، والوضوح الظاهر في المعنى كقصيدة «الطين» لإيليا أبي ماضي:

نَسيَ الطين ساعةً أنه طين
حقيرٌ، فصالَ تيهاً وعربد
وكسا الخزّ جسمه فتباهى
وحوى المالَ كيسه فتمرد
يا أخي! لا تمل بوجهك عنّي
ما أنا فحمة، ولا أنت فرقد
لكَ في عالم النهار أماني
ورؤى والظلام فوقك ممتد
ولقلبي كما لقلبكَ أحلامٌ
حسانٌ، فإنه غير جلمد

أماني كلّها من تراب
وأمانيكَ كلّها من عسجد

والقسم الثاني؛ يحرص على جعل الكلا[م] قصي اللمعان، خفي اللمحات، كثير الغموض فيشعر القارئ بتعب شديد دون أن يدرك المع[نى] الذي يبتغيه كقصيدة «شيراز» لسعيد عقل:

شيراز شيراز
ليل من الشرق عبر المحار
عبر الفتون
ضوء له في الظنون
نحو اهتزاز
علقت أنغام
في الخاطر
يلوح في كوكب عاثر
طيوفاً وأوهام
أفق من الزند
صاء.

بدأ هذا المذهب في لبنان روما نطيه احتماعياً ثورياً، وأول من أعجب به و ب[شر] بروعته جبران، والريحاني، وطائفة من شعر[اء] المهجر، بيد أنه لم يعمّر طويلاً، واذا به ينف[رد] و ينعزل عن الشعب حتى بات فردياً يع[نى] بالآمال الضائعة والحنين المبرح. وتتمثل ه[ذه] النزعة في المدرسة اللبنانية الجديدة أمثال صلا[ح] اللبكي، وسعيد عقل، وأديب مظهر. وفي المدر[سة] المصرية المعاصرة أمثال؛ أبي شادي، و ب[شر] فارس، وحسن كامل الصيرفي. واذا بحثنا تاريخ الأدب العربي عن هذه الرمزية، لوجدنا

يشابهها في نظم بعض المتصوفين أمثال: الحلاج، والخيام، وابن الفارض، والجنيد، وابن عربي، والنابلسي، وقد أنشد الحلاج مقطوعته:

نديمي غير منسوب
الى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشرب
فعل الحر بالضيف
فلما دارت الكأس
دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح
مع التنين في الصيف[1]

* * *

نقد المذهب الرمزي:

١ ـ الإيغال في الرمز:

أسلوب الرمز أو الأسلوب غير المباشر ليس جديداً في حياتنا المعاصرة بل هو قديم قدم الزمان.. وقد استعمله الأنبياء «ع» في دعوتهم الى الله سبحانه، ومارسوه من أجل هداية الناس نحو الحقيقة الإلهية الأزلية التي فطرت الكون والحياة والإنسان... فها هو النبي ابراهيم الخليل «ع» يصوّر لقومه بطلان عبادة الكواكب والشمس والقمر بصورة غير مباشرة **«وكذلكَ نُري إبراهيمَ ملكوتَ السماوات والأرضِ وليكونَ من الموقنين * فلمّا جنَّ عليهِ الليلُ رأى كوكباً قال هذا ربّي، فلما أفَلَ قال لا أُحبُّ الآفلين * فلمّا رأى القمرَ بازغاً قال هذا ربّي، فلمّا أفَلَ قالَ لَئِنْ لمْ يهدني ربّي لأكونَنَّ من القوم الضالّين * فلما رأى الشّمسَ بازغةً قال هذا ربّي هذا أكبرُ، فلمّا أفَلَتْ قال يا قومِ إنّي بَريءٌ مما تُشركون * إني وجّهتُ وجهي للّذي فطر السماواتِ والأرضَ حنيفاً وما أنا من المُشركين»**. (الأنعام ٧٥ ـ ٧٩).

> **يولع الرمزيون بتقريب الصفات المتباعدة رغبة في الايحاء كذلك، مثل «السكون المقمر» و«الضوء الباكي» و«الأسماك الفضية» و«القمر الشرس» و...**

فأوحى اليهم بأنه حاول اتخاذ الكوكب أول إله، ثم تحوّل عنه بسبب طروء حالة الزوال عليه.. ثم يتّجه الى القمر.. ثم يتّجه الى الشمس.. ثم يتوجه الى الله الواحد القهّار.. فليس اتجاه النبي ابراهيم «ع» لهذه النجوم والكواكب اتجاهاً حقيقياً، بل هو من باب «إياكَ أعني واسمعي ياجارة»...

... إن دوافع الإتجاه نحو اتخاذ الرمز كأداة للتعبير، عديدة، منها الظروف السياسية القاهرة، بحيث لا يتمكن الأديب من التعبير عن آرائه وعواطفه بصورة واضحة وصريحة، فيتّجه الى الرمز والى الأسلوب غير المباشر خوفاً من الإرهاب

١ ـ تراثنا الأدبي المعاصر / نجيب مسعد / ص ٥٦.

والإضطهاد، وهذا السبب له في الأدب الماضي جذور كثيرة؛ فكتاب «كليلة ودمنة» هو نقد مرير للواقع المعاصر بأُسلوب غير مباشر على لسان الحيوانات وقصص المقامات التي اُشتهرت في العصر العباسي، هي نقد ساخر للواقع السياسي والإجتماعي في ذلك الزمن، وخاصة أنَّ المقامات تنتهي بأبيات من الشعر صريحة في نقدها للأوضاع الراهنة... أمّا الدافع الآخر فهو تعمّد الغموض لأجل الغموض فقط، أو لأنَّ ثقافة الأديب من العمق بحيث تضفي غموضاً حالكاً على نتاجاته، وقد امتاز الشاعر أبو تمام بهذه الحالة حتى سألوه: لماذا لا تقول ما يفهم الناس؟ فقال: ولماذا لا يفهم الناس ما أقول!.... فالرمز ممكن في حدود المعقول وفي الظروف السياسية القاهرة، ولكن حينما يتعمد الأدباء الغموض من أجل الغموض، وحينما يتحوَّل الشعر الى طلاسم وألغاز لا يفهمها الكثير من الأدباء فضلاً عن عامة الناس، ينفصل عن الشعب، و يفقد دوره الأساس في توجيه الإنسان نحو الحب والخير والعطاء... و يصبح الأديب بلا هدف و بلا مسؤولية...

إنّ الأدب الحقيقي هوالذي يهمه الأمّة، و يؤثر في الناس، و يساعد على حالات النهوض ضد الظلم والكفر والإستبداد... انما نشاهد ــ الآن ــ أُدباء الرمز قد حوّلوا القطع الأدبية الى ألغاز وطلاسم مغلقة لا يفهمها إلّا دوحظ عظيم، فتقرأ الشعر الرمزي فلا تفهمه.. وتقرأ القصة فلا تعرف أولها ولا آخرها، وهذا مثال يدل على ذلك . فمن شعر سليم بركات في مجلة الم... العربي نقرأ مايلي: «أنت البطاطا ساكن الأر... الساقط في الإمتحان، الشمندر المر، حراسك ال... والعذراء والأسياء والرسل وأرياح المهدسين والك... أربعة أرياح سرفنك، تحوم الوادى مثلث، م... تخلس فيه.. تتي الحرقة كالشوربا، والرياح ال... رامية السهام، سياح برسمه قلم الحبر الناسف، الرصاص»..

٢ ــ التكلف والشذوذ:

إنَّ شعراء هذا المذهب يتكلّفون ك... يتكلّفون ذكر الأسماء التأريخية في قصائده... من عصور اليونان والرومان الى عصرنا الحا... و يذكرون أسماء تاريخية وجغرافية متعددة ... ير بكون القارئ و يتعبونه بالرجوع الى الم... والموسوعات العلمية... و يتعمَّد بعض الن... ذلك ليظهروا بأنَّ ثقافتهم عميقة!.. ونرى واضحاً عند الشعراء الرمزيين المعاصرين.. يكتفوا بذلك فقد لجأوا الى التقريب بين الص... المتباعدة والجمع بين النقاد والغريب على ... يعبِّر رامبو: «رصت نفسي على حلو الأحلام ال... البسيطة فكنت أرى في خلاء مسجداً في مكان م... وحوقة لضرب الدفوف أفرادها من الملائكة، وعر... صغيرة متحركة المقاعد في السماء، وحجرة استقبا... قاع بحيرة.. فأجد في النهاية أن هذا التهويس ال... قد اكتسب صفة التقديس»...

٣ ــ التهويش الفكري:

شعراء هذا المذهب يؤكدون على ... الحواس، وهم يعيشون في عالم الأ...

والأرواح، وشعرهم مليء بالأوهام والأحلام.. تكرار هذه الأشياء يحوّل الأدب الى انعكاسات نفسية وعاطفية فقط، ويجعلون من الأديب متأثراً لا مؤثراً، متغيراً لا مغيراً.. وهذا ما يفقد الأديب هدفه في هذه الحياة.. وحينما يركّزون على الخيال و يفضلونه على العقل وعلى الواقع فإنهم بذلك يجعلون من الإنسان رحلاً يعيش في حلم دائم وفي خيال طويل!.. يحيث ينسونه واقعه و يبعدونه عن تلمس طريقه الصحيح... فيصبح كالنعامة حينما تدفن رأسها في التراب هرباً من رؤية الواقع.. وابتعاداً عن مواجهة الحقيقة الكاملة.

٤ ــ شعراء الرمز يؤمنون بالصنعة والإحكام ولا يعتمدون بالإلهام، وهم يتوجهون الى الصفوة في أدبهم، و يرفضون التوجه نحو عامة الشعب، وقد تطرّقنا لنقد هذين المفهومين حينما تعرّضنا للمذهبين الكلاسيكي والرومنطيقي فتراجع هناك... ●

اعتذار وتصحيح

نعتذر عن حصول خطأ في العدد التاسع من المجلة، حيث سقط سهواً كلمة «الفلسفة» من السطر الخامس (ص ــ ٢٢)، والعبارة الصحيحة هي: «الفقه والتفسير والفلسفة وسائر العلوم الإسلامية الأخرى» بدلاً من «الفقه والتفسير وسائر العلوم الإسلامية الأخرى».

الدولة الاسلامية

خصائصها.. ومميزاتها

الشيخ محمد نوري / السماك

١ـ تصور الدولة الاسلامية:

لقد شاء رب العالمين، أن يتفضل برحمته التي وسعت كل شيء، فخلق من العدم الخلائق، واختار منها الإنسان، ونفخ فيه من روحه، وجعله خليفة على أرضه، وأسجد له الملائكة أجمعين، وكرّمه خاصة بنعمة العقل والإدراك ،وحرية الاختيار، فتحمّل الإنسان تبعاً لذلك الأمانة الثقيلة التي أشفقت منها السماوات والأرض والجبال، فسخّرها اللّه جميعاً للإنسان، واقتضى ذلك حسب الإرادة الأزلية أن يهبط الى الأرض لممارسة خلافته. ولكنه ككل حادث عاجز، وبدون عناية مطلق الكمال وهدايته وتوفيقه، لن يهتدي بنفسه. ولذلك تفضّل عليه الرحمن الرحيم، فبعث من أجناسه أطهرهم وأكملهم وأقربهم من مطلق الكمال ليكونوا صلة اليه تعالى، فكانوا سراجاً منيراً، وهدى الى الطريق القويم، وحكّاماً يحكمون بين الناس فيما اختلفوا فيه... **«فإمّا يأتينّكم منّي هدىً فمن تبع هداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون»**.(البقرة : ٣٨)... **«فمن اتّبع هداي فلا يضلّ ولايشقى»** (١٢٣/٢٠) **«لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط...»**(٢٥/٥٧).

اقتضت حكمة الخالق بعد أن بلغ الإنسان الرشد وهداه الرسل الى الحكم الصحيح العادل، أن ينهي مهمة الأنبياء الذين أدوا دورهم أحسن أداء«..**وما على الرسول إلّا البلاغ..**»(النور : ٥٤) وقد بلغوا :«.. **اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً..**»(المائدة :٣).

هكذا يتجلى لكل ذي عقل أن الحكم الوحيد الذي جعلته الإرادة الأزلية قادراًعلى أن يحكم بالحق والعدل، بلا تحيُّز، لا للشرق أو للغرب أو للشمال أو للجنوب، ومخرجاً من الظلمات الى النور، ومن الشقاوة الى السعادة، هو الحكم الاسلامي المتمثل، منذ أن بعث خاتم الرسل في الشريعة المحمدية التي هي الامتداد الصحيح غير المريب فيه، والخلاصة الكاملة المكملة لكل الرسالات السابقة وناسخها. «**...ان الحكم إلا**

لله...» (٤٠/١٢) «إنّ الدين عند الله الاسلام...» (١٩/٣).

هذا التصور للحكم الاسلامي يؤكد لنا أن الدولة الاسلامية، تستمد أصولها لا فقط من اجماع فقهاء المذاهب الإسلامية كلها على وجوبيتها، وانما هي المنهج الالهي الى الهداية والفلاح.

عمل الرسل لرسمه، فجاء خاتمهم الأعظم فأكمله وأوضحه، وأكد وجوبيته وضرورته بممارسته صلى الله عليه وسلم بنفسه تطبيق كل أوامر الله وأحكامه على شؤون الحياة الدينية والدنيوية، جلائلها ودقائقها، فكان (ص) يعلّم الدين، و يؤم الصلاة، و يقضي في الخصومات والمنازعات، و يصدر الأوامر، و يعلن الحرب، و يقود الجيوش، و يولي العمال على الولايات، و يعيّن الأُمراء والقادة، و يراسل الملوك والأُمراء، و يعقد المعاهدات أو يلغيها، و يبعث اليهم رسله و وفوده.

كيف يتحرأ احدٌ بعد هذا كله، على القول بعدم مشروعية الحكم الاسلامي في القرآن الكريم أو بعدم استمرارية وجوبيته وضروريته؟

ان هذا الزعم لايقوله إلاّ جاهل يتعالم بخبث، أو عميل يكيد و يعمل لأعداء الاسلام. فالحق ما قاله الإمام الخميني حفظه الله: «فكل من يتظاهر بالرأي القائل بعدم ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية، فهو ينكر ضرورة تنفيذ أحكام الاسلام، ويدعو الى تعطيلها وتجميدها، وهو ينكر بالتالي شمول وخلود الدين الاسلامي الحنيف».

٢ــ ان الحكم إلاّ لله:

إنّ طبيعة الإنسان أياً كان ذلك الإنسان، لا تسمح له أبداً مهما حاول أن يتخلص تماماً من مؤثرات بيئته، و يتنزه كلياً عن المصالح الضيّقة المحيطة. فقد أصاب كبد الحق من قال: «الإنسان ابن بيئته» انه لضعفه التكويني لايستطيع أن يدرك بنفسه الحق المطلق المجرد فضلاً عن أن يحكم به، وهذا هو الأصل في كون كل المذاهب والنظريات، والآيديولوجيات، والنظم الإنسانية الناتجة منها، ملطّخة بهذا العيب المشين، ومطبوعة بهذه المحدودية. انها جميعها قديمها وحديثها، لم تكن ولن تكون غير تعبير وتمثيل للآراء والمصالح الخاصة لأصحابها ولمحيطهم الضيّق. وهذا بالتأكيد، ماحل افلاطون على الدعوة الى حكومة الفلاسفة الذين لم يكن يعرف أحسن منهم. فالأزل الحي القيوم الخبير البصير الحكيم المتنزه عن الولدية والوالدية والصاحبية والحاسة، هو وحده يعلم كل شي «... وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرة...» و يقضي بالحق لأنه الغني الحميد. «إن الحكم إلاّ لله».

٣ــ البيعة أو الإنتخاب:

والدولة الاسلامية التي هي موضوعنا، تقوم وتحكم بما أنزل الله، متقيدة بالشريعة الإسلامية المبيّنة في القرآن الكريم والسنّة النبوية، وما أجمع عليه علماء الأُمة الإسلامية، العاملون المتمسكون بها. «...انما يخشى الله من عباده العلماء...» (٢٨/٣٥). انها ليست ثيوقراطية ولا نورموقراطية، ولا ديموقراطية ،ولا اتوقراطية ،ولا استبدادية ،ولاملكية ، وانما هي جمهورية اسلامية لاغير، تتضمن كل ماهو صالح في هذه النظم دون ما هوطالح. والعلماء ورثة الأنبياء، والقائمون بالقسط هم الذين يقومون بأمر من الله، و باسم الأمّة، وفي نطاق هيئة أهل الحل والعقد حسب الاصطلاح القديم وأهل الاختيار، أو

أهل الاجتهاد، أو هيئة العلماء والرؤساء، وأهل العلم والرأي والخبرة، كما سمّاهم :الماوردي والبغدادي وصاحب المنهاج والشيخ شلتوت والمودودي... هؤلاء هم الذين يقومون بترشيح الأكفاء المستوفين لشرطي العلم والعدل الشاملين لتولّي مقاليد الدولة نيابة عن الأمّة صاحبة السيادة. و يشترط في عضوية هذه الهيئة، التقوى والعدالة والعلم والرأي والحكمة. ولا مانع شرعاً من أن يتم تعيين أعضائها، وأعضاء مجلس الشورى، ورئيس الدولة كذلك عن طريق نظام الاقتراع العام المباشر. وقد اتفق على هذا جلّ العلماء المعاصرين.

٤ــ السيادة للأمّة بتفويض من الله :

ولابُدّ من موافقة جماهير الأمّة بالبيعة الحرة النزيهة(أو الانتخاب حسب لغة العصر) على كتاب الله والعمل لصالح الأمّة، للمرشحين الذين هم وكلاؤها وخدامها ومسؤولون أمامها: ذلك لأنّ الأمّة بعامتها هي الوارثة للزعامة المحمدية، كما قرر ذلك الرازي و بعده الشيخ محمد عبده. وكما يفهم من مؤلفات الشهيد محمد باقر الصدر، وكما يشاهد من تطبيقات الجمهورية الاسلامية في ايران. فالأمّة هي المخاطبة في القرآن الكريم كشخصية معنوية مستقلة: «**ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول...**» لا تفسدوا. ياأيها الناس، لا تشركوا، أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، «**كونوا قوّامين بالقسط**»، «**ولا تركنوا الى الذين ظلموا**». وهي المكلفة بالسهر على حسن تطبيق أحكام الله وتنفيذ قوانينه. وهي بناء على ذلك ،و بتفويض من الله خالق كل شيء ومالكه، المطلق الملكية، صاحبة السيادة في الدولة الإسلامية، إلاّ أن سيادتها ليست مطلقة ولا مستمدة من نفسها. انها تفويض ونعمة من الله ما[...] كل شيء. وهذه إحدى أهم خصائص الد[...] الإسلامية ومميزاتها عن الديمقراطية المعروفة. وللأ[...] عن طريق مجلس الشورى أن تحدد كيفية انتخا[...] ولاة الأمر ومدة ولايتهم وما أشبه.

٥ــ مسؤوليات الدولة في الاسلام :

الغاية من إقامة الدولة الاسلامية وال[...] لوجودها، هي أن تكون أداة لتنفيذ تلك الواجبا[...] التي كانت في الأصل مفروضة على الأمّة كك[...] وأول هذه الواجبات هو اتخاذ كل التد[...] والترتيبات لانشاء الهيئات التي تمكّنها من إ[...] حكم اللّه على القواعد الاسلامية والعمل للقض[...] بالعدل في الخصومات والمنازعات، ولنصرة الد[...] وتبليغه، والدفاع عن بيضته وعن دار الاسلا[...] وصيانة استقلالها وسيادتها وعزتها بعيداً عن أية تب[...] للغير أياً كان، مع عدم السماح بأي تدخل أجنبي [...] شؤونها، ولحفظ حياة وكرامة وحقوق المواطن[...] مسلمين وغير مسلمين، والسهر على احترام حريات[...] ولتحقيق العدالة والمساواة بصورة عامة بين المواط[...] حسب المعايير الاسلامية والوقوف بجانب [...] المظلومين والمستضعفين في كل مكان بدون اع[...] لدينهم أو جنسهم أو وطنهم. ومن أوكد واجب[...] الدولة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، [...] طريق تشكيل هيئة متخصصة مستقلة تقوم [...] المهمة و باستقلال تام ودون تدخل أية جهة أو س[...] أخرى طبقاً لقوله تعالى : «**ولتكن منكم أمة يد[...] الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر**» (١٠٤/٣). وهذا من أعظم الفرائض التي يتو[...] عليها صلاح أمر الدنيا وعدم انحراف ال[...]

المجتمع. وقد عدّها المعتزلة أحد الأصول الخمسة التي لايتم الايمان إلاّ بها. قال تعالى : «واتّقوا فتنة لاتصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة...» (٢٥/٨). وفي الحديث : «إنّ الله لايعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه». وقوله أيضاً : «ما أقر قوم المنكر بين أظهرهم إلاّ عمّهم الله بعذاب محتضر» .ويجب على الدولة كذلك أن تتخذ كل الوسائل لنشر العلوم الدينية والدنيوية والثقافية العامة، واشاعتها وضمان تربية اسلامية صحيحة سليمة كذلك مجاناً. ويرى ابن عابدين أن العلم هنا يشمل كل ما لايستغني عنه قيام أمور الدنيا. والدولة هي المسؤولة كما قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن توفير وسائل العمران والرخاء كاحياء الموات (الاصلاح الزراعي). بتطبيق المبدأ الاسلامي المعروف :«الأرض لمن يزرعها» والاعتناء بأصحاب الصنائع والحرف والمهن والتجار، ومراعاةً للمبدأ القرآني المعروف: المال لله الذي خلقه وحده للناس، وان المالكين الحاليين، ليسوا أكثر من مستخلفين من قبل الله الذي جعل لكل الناس حقاً فيما خلقها لهم وأورثهم إيّاها.

تجب على الدولة السهر على عدم وقوع الحكرة والاكتناز أو الاسراف والتبذير أو استغلال حاجات الناس، أو تثقيل كاهل الرعية بالضرائب، ولابُدَّ لها من تحقيق التكافل الاجتماعي. ويفسر علماء الشريعة هذا البند بأنه يعني دفع ضرر المسلمين وكفالة أهل الذمة. وبيّن صاحب المنهاج قائلاً :«ككسوة عارٍ واطعام جائع» أي عار وأي جائع. «من بات شبعاناً وأخوه جائع وهويعلم فليس منا» .واعارة اهتمام خاص بمن أسماهم الامام علي في «نهج البلاغة» بالطبقة السفلى، من الفلاحين، والصناع، وأصحاب الحرف، والمهن، والخدم، والأجراء الخ... ويتميز النظام الاسلامي عن غيره من المذاهب والنظم الأخرى التي لا تنظر الى الانسان إلاّ كحيوان ناطق، ولاتهتم لذلك الاّ بارضاء حاجاته المادية والدنيوية.

فإنّ الدولة الإسلامية، يتحتم عليها أن تضع في مقدمة مهامها رعاية شؤون الدين، وتوفير الوسائل التي تمكن كل فرد من أداء حق الله عليه بأحسن وجه، ذلك لأنّ النظام الاسلامي لايقبل أي تفريق بين الدين والدنيا، بين الروح والجسد، بل يدعو الى مراوجة منسجمة بينها «ليس منّا من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه».

٦ـ شروط الإمام : رئيس الدولة الاسلامية :

إنّ الشروط التي يجب أن تتوفر في الإمام، هي بمجملها، شروط أيضاً في كبار المتعاونين في الحكم، كمثل وزراء التفويض أو التنفيذ، وهي أيضاً شروط في عضوية هيئة أهل الحل والعقد. وكما لابُدّ منها في البداية، فهي كذلك في الاستدامة، فكل من لم تتوفر فيه هذه الشروط منذ البداية، فلا يصح ترشيحه. وإنْ ولي كانت ولايته باطلة، واذا اختل شرط منها بعد ذلك وجب الحكم ببطلان ولايته. وقد عدّد بعض العلماء والفقهاء هذه الشروط بأربعة: كمثل البغدادي، وابن خلدون. وجعلها الماوردي سبعة، وأوردها الغزالي في الاحياء عشرة، إلاّ أنهم متفقون على الشروط الأساسية التي أولها: العلم بأشمل معناه، بما في ذلك في الدرجة الأولى العلم بالشريعة ومقاصدها وأحكامها ومصادر تلك الأحكام. واتفق البغدادي والغزالي والرملي وابن

خلدون، على أن العالم يجب أن يبلغ درجة الاجتهاد. وقال صاحب الموافقات، انه لابدّ من أنْ يكون الإمام عالماً في مواد التفسير، والحديث، وتاريخ التشريع، وتاريخ الدول الاسلامية، والأصول، والمنطق، وعلوم اللغة. كما يجب أن يكون ذا ثقافة سياسية وحربية واقتصادية وادارية واسعة (البغدادي، والايجي). ومن شروط الإمام، الكفاية النفسية والجسمية. وشرحها الماوردي بالشجاعة والنجدة الدافعتين الى حماية البيضة وجهاد العدو، اما الكفاية الجسمانية فيعنون بذلك سلامة الحواس والأعضاء. إلاّ أنّ أهم الشروط هو ما ألحّ عليها الامام علي (ع) في رسالته الى مالك الاشتر ولخّصها الإمام الخميني (حفظه الله) بالعدالة، بمعناها الشامل للتقوى والورع والعصمة. وليس يخفى أنّ العدالة تقتضي أن لايرتكب أي ظلم، بل وأن لايصدره كما أوضح الامام الخميني، سواء فيما يتعلق بالمال أو حرية الناس أو أي حق من حقوق الرعية. وسواء كان ظلماً بقول أو بفعل أو باقرار. فإنّ أي شيء من هذا يخرجه عن كونه أهلاً للإمامة أو الوزارة أو الإمارة، ولابُدّ لمن يُرشح للامامة أن يكون من أهل الولاية الكاملة التي يشترط فيها الاسلام والحرية والذكورة والبلوغ والعقل.

قال الإمام علي بعد بيعة الناس له في مسجد الرسول: «**وقد علمتم أنه لاينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء، والمغانم والأحكام، وامامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلّهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنّة فيهلك الأمّة**».

٧ــ المواطنة في الدولة الإسلامية:

الله تعالى هو الذي حدّد في القرآن المواطنة، أو بالأصح الأخوة في الأمّة الا فقال: «**ياأيها الذين آمنوا ــ انما المؤمنون أ**

وهكذا، فالعقيدة الاسلامية لا الفكر هي المعتمدة في تحديد المواطنة. فكل بعقيدة: «**لا إله إلاّ الله محمد رسول الله**» بقواعد الإيمان والإسلام المعروفة في الشريعة يتمتع بحق المواطنة. المرأة كشقيقها تتمتع ناخبة ومنتخبة لكل المناصب ماعدا رئاسة محكمة المظالم التي تشترط فيها الذكورة. و أهل الذمة وهم غير المسلمين الذين يقبلو للدولة الاسلامية، ويخضعون لحكمها مؤد مع احترام للدين الاسلامي وحرماته.

٨ــ حقوق الدولة أو الحاكم الاسلامي

إذا كان الامام أو رئيس الدولة م للشروط المذكورة أعلاه، قائماً بواجبا وبتطبيق قواعد الشريعة وقوانين الدولة، على الأمّة حقان، وقيل ثلاثة: الطاع والنصيحة، مالم يتحير. والخروج على مثل يعتبر بغياً. وعرّفوا البغي بأنه الخروج على الدولة بغير حق. ومن الواجب المؤكد المواطنين نصرة الإمام اذا واجه مثل هذ قال (ص): «**من أتاكم وأمركم جميع يريد جماعتكم فاضربوه بالسيف أو فاقتلوه**». الامام، نصيحته. وتدخل في باب الأمر والنهي عن المنكر. قال (ص): «**الدين قيل لمن يارسول الله؟ قال لله ولرسوله ولأ المسلمين وعامتهم**». وقال أيضاً: ثا

ـب مسلم : إخلاص العمل، ومناصحة
، ولزوم جماعة المسلمين.

سبق أن الإمام مسؤول أمام الأمة التي
، وما هو إلاّ وكيل عنها، فلها الحق في أن
تسـألـه عن عمله وتصرفاته أو تحاكمه هو
ـأي فرد من الرعية في محكمة عادية، فإذا
الحق أو ظلم أو بدّل السيرة أو عطّل حداً
الله أو خالف الشرع، وجب تقويمه، وإنْ لم
ـزل. قال بذلك جمهور العلماء. روى
ي في شرح العقائد النسفية أن الإمام
قال: «أن الإمام يعزل بالفسق والجور».
ـهرستاني: «وإنْ أظهر بعد ذلك جوراً أو
كفراً، أخلع منها أو خلعناه». (نهاية
ص ٤٩٦) ـ الغزالي: «السلطان الظالم
يكفّ عن ولايته وهو اما معزل أو واجب
(احياء علوم الدين ج ٢ ص ١١١) ـ
، تفسير قوله تعالى: « لاينال عهدي
» : «إنّ الظالمين غير مؤتمنين على
» (مفاتيح الغيب ج ١ ص ١٧٣). ويجب
خلع الإمام الجائر وعزله (المواقف ج ٨
ا ابن حزم. في الملل والنحل: «فإنْ زاغ في
ـمع وأقيم عليه الحد والحق، فإنْ لم يؤمن
فلع خلع ».

الفقهاء في كل الفرق والمذاهب متفقون
ن مثل هذا الإمام يجب عزله ويحرم طاعته،
ـوا على أن سل السيف في الأمر بالمعروف
ن المنكر واجب اذا لم يمكن دفع المنكر إلاّ
وأكد ابن حزم أن هذا مذهب أهل السنة
التابعين، وذكر منهم انس بن مالك وسعيد
والحسن البصري والشعبي ومحمد بن الحسن

وأحاه ابراهيم، وأضاف أن هذا أيضاً هو الذي تدل عليه أقوال الفقهاء، كأبي حنيفة ومالك والشافعي وداوود ،ولاخلاف مطلقاً في أنه لاتجوز الطاعة إلاّ فيما وافق الشرع. قال الرسول (ص) «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره مالم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة». وأيضاً: «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق». وقال الغزالي في الإحياء ج ٢ ص ١١٢: «إنّ لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال؛ الحالة الأولى :وهي شرها؛أنْ تدخل عليهم. والثانية وهي: دونها؛ أنْ يدخلوا عليك. والثالثة وهي: الأسلم؛أنْ تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يروك». واستشهد الغزالي بحديث الرسول في الأمراء الظلمة: «فمن نابذهم نجا، ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم، ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم».

والإمام الظالم مسؤول أمام الله وملعون في الآخرة. قال (ص) : «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته». وفي القرآن : «...فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد...» (ص/ ٢٦). وفي الحديث : «ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم الا حرّم الله عليه الجنة». «و من لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الظالمون» (المائدة).

٩ـ حقوق الرعية أو المواطنين على الدولة :

أنْ يتصرف ولاة الأمر كخدمة للرعية فرداً أو جماعة، وأن يحققوا رعاية كاملة وعناية للجميع بدون تفرقة أو تمييز إلاّ بالتقوى، و يطبقوا العدالة المطلقة بين الرعية، وأنْ تتيح الدولة الفرص لكل فرد ذكر

كـان أو أنثى، بحيث يتمكن من أداء واجباته العينية والجماعية ومسؤولياته العائلية والاجتماعية وممارسة حقوقه المشروعة الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، ومن التمتع بحرياته المعترفة بها شرعاً، وفي نطاق حدود الله وحقوق الآخرين وحرياتهم، فله الحق في اختيار العمل الذي يروقه والوظيفة التي تكون كفأ له وفي عيش كريم وفي التملك والتمتع بثمرة عمله، وفي الأمن والتربية الصالحة والتعليم مجاناً. فطلب العلم ونشره واجب على كل من يقدر، وأنْ تنفق الدولة عليه إنْ كان فقيراً أو مسكيناً ولا يجد مكسباً، وفي الإقامة أو التنقل الى حيث شاء. وللمواطن الحق كذلك في احترام انسانيته في عرضه وماله وشخصه حياً وميتاً، وحرمة منزله، وفي حرية التفكير والتعبير عن رأيه، وكل ذلك في نطاق **«لا تظلمون ولا تظلمون»** **«ولا ضرر ولا ضرار»** **«...وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان...»** (المائدة/٢).

١٠ــ حقوق غير المسلمين :

تطبيقاً لمبدأ الأُخوة الإنسانية العامة الذي كان الإسلام أول من أقره وأعلنه ودعى اليه، يتمتع غير المسلم في الدولة الاسلامية بالحقوق والحريات الشخصية السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية المقررة للمواطن المسلم في الشريعة بشرط أن لايمس حرمة الدين وهيبته وقداسته، وان تم ممارستها طبقاً للترتيبات التي تضعها الدولة حماية لذلك .و يتمتع بحرية العمل وتولي الوظائف الرسمية باستثناء المناصب القيادية والحساسة التي لها صلة بأمن الدولة. وعليه أن يدفع الجزية لا الزكاة لتكون عوناً للدولة على الدفاع عن أمنه وحقوقه وحرياته. وغير المسلمين كما في :« التشريع الاسلامي لغير المسلمين» احرار في عقائدهم ومعابدهم وعاداتهم مالم تضر ممارستها أمن الدولة أو حرمة الدين الاسلامي أو مهابته، وأن لايكون ذلك في الجزيرة العربية لقوله (ص): **«لايجتمع دينان في الجزيرة العربية»**. ولمعتقدات غير المسلمين حرمتها التي قد ضمها القرآن بقوله : **«ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً»**. (الانعام).

١١ــ المبادئ الأساسية لشرعية الدولة :

إن السلطة العليا في الدولة الاسلامية هي القانون الالهي المنصوص في القرآن الكريم وسنة نبيه المبينة للناس ما أنزل اليهم. وتحت هذه السلطة الالهية تمارس الأُمة بواسطة نوابها سيادتها التي منحها الله إياها، بواسطة هيئات : **تشريعية؛** تنتخبها لوضع القوانين وتنظيم شؤون الدولة، **وتنفيذية؛** لتسير هذه الشؤون والسهر على مصالح الأُمة، **وقضائية؛** تحكم بين الناس بالعدل. وكل ذلك طبقاً لمبدأ الشورى المفروض على كل مستويات المجتمع والدولة من قبل العلي القدير. وهذه الشورى تكون في كل ما لم يرد فيه نص صريح ملزم من الكتاب والسنة واجماع الأُمة. ولابُدَّ من تحقيق مساواة كاملة بين أفراد الرعية في الحقوق والواجبات وأمام القانون. فلا فضل ولاامتياز لأحدٍ بسبب مولده أو نسبه أو جنسه أو لونه، اللهم إلاَّ بالتقوى والعمل الصالح. فالخلق كلهم عيال الله وعباده، وهو وحده الذي خلقهم، وهو وحده مالكهم، وكل ماسواه ملك له وحده مطلقاً، وهو وحده المانح للحقوق، والواضع للواجبات، فلا يجوز لأحد أن يحرم أحداً مما منحه الله أو يتسلط عليه أو يفرض على أحد ما لم يفرضه الله

عليه. والعدالة الاجتماعية التي يجب تطبيقها في كل الأوساط والفئات الاجتماعية سيّما العمالية منها، ومع الأعداء والأصدقاء : **«إنَّ الله يأمر بالعدل والاحسان»** « **بالعدل قامت السماوات والأرض»**. وما أصدق ما قاله ابن خلدون في العلاقة بين العدل والعمران: «إنَّ عدل الحاكم أو ولي الأمر فيما يتعلق بما للناس من حقوق في أموالهم أو حقوق مترتبة على أعمالهم هو الذي يؤدي الى أنْ يشعر الرعية باطمئنان ويحفزهم على الاقبال على العمل والجد، لينتج من ذلك العمران واتساعه وتكثر الأموال والخيرات. والمال والعمل يؤديان الى تقوية الدولة و بقاء الحكم واستمراره. و بالعكس تكون عواقب الاعتداء على أموال الناس وحقوقهم أو غمطهم» . وقال العلامة في موضوع آخر: «أعظم من ذلك في الظلم وافساد العمران في الدولة، التسلط على أموال الناس بشراء ما في أيديهم بأبخس الأثمان، ثم فرض البضائع بأرفع الأثمان». وقال الماوردي: «من القواعد التي تصلح الدنيا حتى تصير منتظمة وأُمورها ملتئمة، فهي عدل شامل يدعو الى الألفة، و يبعث على الطاعة وتعمر به البلاد وتنمو به الأموال و يكثر معه النسل و يأمن به السلطان». وقال ابن خلدون: [إنَّ السخرة من أنواع الظلم. ومن أشد الظلمات وأعظمها في إفساد العمران، تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حق. والتكافل الاجتماعي من لوازم الأُخوة الاسلامية، بل جعل الله عدم وجوده علامة من علامات التكذيب بالدين، فقال: **«أرأيت الذي يكذّب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولايحض على طعام المسكين»** . ومعناه أنْ يشعر كل مسلم بأنه مسؤول عن أخيه وعن حياته: مثل المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، يفرح بفرحه ويحزن بحزنه. مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. و يؤثره على نفسه: **«و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»** (الحشر:٩). **«وفي أموالهم حقٌ للسائل والمحروم»**.(الذاريات/ ١٩) وقال (ص) **«من بات شبعاناً وأخوه جائع وهو يعلم فليس منا»**. و يستلزم التكافل الاجتماعي الاسلامي كذلك حسن الظن بالناس : **«لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً...»**. (النور/١٢) والامتناع عن افشاء الشر والكذب : **«ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم »** (النور/١٦). والعمل دائماً لافشاء السلام : **«الا لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا. الا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم، افشوا السلام بينكم»**.

١٢ــ العلاقات أو السياسة الخارجية للدولة الاسلامية :

حينما ينطلق المسلم في أية مناسبة، خصوصاً حين دخوله في الاسلام بشهادة «أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله»، ثم يكررها مراراً كل يوم على الأقل عند تهيئه للصلاة بالوضوء والآذان والإقامة، وفي الصلاة وهي أعظم العادات التي يقف فيها بين يدي ربه مناجياً إياه، لا يعني هذا انه يقرر وحدانية الخالق المطلقة بما في ذلك مطلقية حاكميته فحسب، و بالرسالة المحمدية، وانما يتعهد أيضاً بالعمل لإقرار هذه الرئاسة التوحيدية الناسخة لما قبلها من الرسالات الالهية في كل مكان، ولازالة أية حاكمية لغير الله.

وهكذا، فالمسلمون أفراداً وجماعات قبل أن يكلفهم الله بتبليغ الرسالة المحمدية التوحيدية بمقتضى أعتناقهم بها متطوعون: **«لااكراه في الدين...»**(٢/٢٥٦)، عاهدوا الله بذلك و يأبون الا أن يؤكدوا هذه المعاهدة الثقيلة في كل لحظة من حياتهم **«وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا»**(١٦/٩١). والدولة الاسلامية التي رأينا أن المبرر الوحيد لوجودها هو القيام نيابة عن الأمة التي انتدبتها لذلك بتنفيذ الواجبات العامة التي فرضها الله عليها، لابُدَّ من ان تجعل أهم اهتماماتها هو تنفيذ أثقل معاهدة واكبر واجب على عاتق المسلم فرداً أو أمة، ألا وهي تبليغ الرسالة التوحيدية التي من شأنها هي وحدها أن تحقق الانسجام التام بين المخلوقات ثم بينها و بين الخالق واهب الوجود. وهو الشرط اللازم للنجاح والفوز والسعادة: **«...الا بذكر الله تطمئن القلوب»** (١٣/٢٨)، فأول ما يجب أن تستهدفه الدولة الاسلامية في علاقاتها الخارجية هو كما هدانا الأسوة الحسنة في رسائله الى الملوك والسلاطين، هو نشر الدعوة الاسلامية واقرار ونشر السلام عن طرق سليمة ومناصرة كل القضايا العادلة والدفاع عن المستضعفين والمظلومين **«وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها...الخ»** (٤/٧٥). و يتأكد أن تعير اهتماماً خاصاً بالأقليات الاسلامية في أي مكان وتتبنى قضاياها بالجد والاخلاص.

وعلى أساس المبادئ الاسلامية السامية، تكون العلاقة بجميع الدول والشعوب. ولها مع كل دولة غير محاربة ومسالمة أن تعقد حسب مصلحتها معاهدات واتفاقيات في الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية والفنية على احترام كامل لسيادة الدولة الاسلامية. الا أن الأستاذ عاطف الزين يرى انه لايجوز لها أن تعقد المعاهدات السياسية أو الأحلاف العسكرية. ولكن الله تعالى قال في القرآن الحكيم: **«لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم»** (٦٠/٨). **«وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان»**. وتسمح لرعايا هذه الدول غير المحاربة أفراداً أو جماعات أو منظمات اقتصادية أو تجارية بدخول البلاد الاسلامية على اذن وشروط محددة تراعي فيها خاصة سيادة ومصالح الأمة الاسلامية داخلياً وخارجياً.

اما الدول المحاربة للبلاد الاسلامية أو لدعوتها أو لأي شعب من شعوبها أو لأقلية اسلامية، وكذا الدول الامبريالية الساعية لبسط نفوذها ظلماً أو تعتدي على الحقوق والقيم الانسانية، فكل هذه الدول تُعامل على أساس حالة الحرب وكذلك تعامل رعاياها أفراداً أو منظمات أو هيئات على نفس الأساس. **«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم»** (٨/٦٠).

والبلاد الاسلامية التي تتقيد دولها وحكوماتها بالشريعة الاسلامية، سيما مايتعلق بواجب الأخوة والتضامن الاسلاميين، أمة واحدة متضامنة، يعتبر رعاياها مواطنين كاملي الحقوق في كل الاقطار الاسلامية: **«انما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين اخويكم»** **«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض»** و يتحتم العمل بكل الوسائل لتوحيدها.

ولا يجوز للدولة الاسلامية بأي حال من أن تبرم معاهدة أو حلفاً أو اتفاقاً تمس سيادة الدولة الاسلامية أو تضر مصالح بلد مسلم أو جماعة اسلامية مع أي طرف آخر: شركة أو هيئات أو أنظمة خصوصاً تلك الشركات المتعددة الجنسية التي تعيش في البلدان الاسلامية حيث تشكل دولة في دولة تتحجر على شعوبها وتنتهك بوقاحة حرمات دينها. قال رسول الله (ص): «**كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل**» وقال تعالى «**... ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً**» (١٤١/٤). «**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق**» (١/٦٠). وبناء على هذه النصوص، فكل معاهدة تخالف أو تناقض أحكام الشريعة فهي باطلة يجب معارضتها ومحاربتها بكل الوسائل: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان**». اما المعاهدات والاتفاقيات التي روعيت فيها المبادئ الاسلامية، فأنها يجب الوفاء بها. قال تعالى: «**وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها**». واذا نقض الطرف الآخر في العقد ما عاهد عليه أو بيّت عدواناً أو خيانة، فالحكم هو «**واما تخافنّ من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لايحب الخائنين**» (٥٨/٨).

كل دولة تزعم أنها دولة اسلامية ولا تطبق كلياً وجدياً الشريعة الاسلامية، خصوصاً في علاقاتها وسياستها الخارجية، يجب أن تُعامل معاملة المنافقين أو معاملة الدولة المحاربة حسب درجة خيانتها للأمة الاسلامية وارتباطاتها بالأعداء.

الاسلام دين سلام وعدل، يدعو الى السلام والعدل، ويسعى لنشرهما في كل مكان: «**وان جنحوا للسلم فاجنح لها...**» (٦١/٨). ومع ذلك فأن على الدولة الاسلامية أن تكون دائماً على استعداد مستمر لرد أي عدوان: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**»

واذا فرضت على الدولة الاسلامية أو على شعب من شعوبها حرب، فالله تعالى يقول «**أُذِنَ للذين يُقاتلونَ بأنهم ظُلِموا وان الله على نصرهم لقدير**» (الحج / ٣٩) «**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا....**» (١٩٠/٢).

ويجب مراعاة التعاليم الاسلامية المتعلقة بالحرب وادارتها ومعاملة الاسرى وعند عقد الهدنة أو الصلح، وهي أسمى بكثير مما تسمى بمعاهدة جنيف. وإنْ وقع قتال بين بلدين أو جماعتين من المؤمنين فالحكم هو: «**وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإنْ بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإنْ فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إنّ الله يُحبُّ المقسطين**»

(الحجرات: ٩)

هكذا يكون الاصلاح بالعدل والقسط ومجاهرة الجاني بالحق، وحمله على الكف عن الظلم والبغي، ولايكون الإصلاح بالنفاق والتحيز للقومية: «**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى**» (١٣٥/٤). «**قل الحق ولو كان مراً**» «**ولو كان على نفسك**».

وبعد؛ فهل من حاجة بعد كل ما تقدم الى القول بأن مثل هذه الدولة الاسلامية، لازالت ومنذ

صدر الاسلام تنتظر من يبعثها ويجددها و يرعاها؟ وانه لولا تجربة الجمهورية الاسلامية في ايران التي هي الأمل الوحيد حالياً في بعث الأمة الاسلامية واقامة دولتها والتي نرى أن واجب كل مسلم يؤمن بالله ورسوله حقاً ان يخلص لدينه فيؤازرها و ينصرها بكل ما يملك من وسائل كما أمره الله، أقول لولا الجمهورية الاسلامية في ايران، لقلنا انه لا توجد دولة في العالم يجوز اطلاق اسم الاسلام عليها مطلقاً. فما ذكرنا من المبادئ والقواعد والشروط والمواصفات الموجزة من القرآن والسنة واجماع الأمة، لا تترك أي مجال للشك أو التردد في الاعتراف بهذه الحقيقة المؤلمة.

فمن لايتحرأ على الله و يتجنى على الاسلام، لايغدر أن يطلق اسم الاسلام على واحدة من هذه الدول، سواء منها ما تسمّت بالجمهورية أو المملكة أو الامارة. فالإسلام كل لايتجزأ يطبق كله أو يترك كله، و بالأخص بالنسبة للدولة: «**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزيٌ في الحياة الدنيا و يوم القيامة يردون الى أشدّ العذاب**» ●

حب أهل البيت(ع)

من القضايا التي يشترك في صحتها جميع المسلمين: تأكيد الرسول العظيم على محبة أهل البيت عليهم السلام وولائهم باعتبار ان ذلك الحب العاطفي له أثر كبير في تأسّي الأمة بهم. إلاّ أن الطغاة حاولوا اطفاء نورهم بشتى الوسائل، ومن أجمل مايروى بهذا الصدد:

إنّ القائد موسى بن أبي العافية كان شديد البغض لأهل البيت(ع) وكان يتّبع الهاشميين في المغرب، و يوقع بهم القتل والتشريد.

وقد حدث ذات مرة أنْ لجأ أحد أبناء الرسول(ص) الى قبيلة تدعى (البنانوة) وأحسّ شرطة ابن أبي العافية بلجوئه، فحاصروا رئيس القبيلة، وطلبوا منه أنْ يسلمهم هذا العلوي الهارب، ولما لم يجد رئيس القبيلة بُداً من فعل أي شيء لإنقاذ العلوي المطارد، أقدم على أروع عمل تضحوي، فسلّمهم أحد أبنائه على أنه العلوي المطلوب، فقاموا بإعدامه.. و بقي العلوي في تلك القبيلة، فتزوج وأنجب دون أنْ يتحدد بالضبط من هو.. ومنذ ذلك اليوم والى يومنا هذا ينظر الشعب المغربي الى هذه القبيلة بعين الإحترام والتقدير لوجود علم إجمالي بأنّ أفرادها هم من أبناء رسول الله(ص).

وهكذا يسعى الطغاة لإطفاء نور الله جلّ وعلا (والله متمّ نوره).

حول الصحوة الاسلامية: كلمة خارج اطار البحث العلمي

صاق بار كاظم / مصر

عودة المرأة المسلمة الى الزيّ الإسلامي، بوازع ن ضميرها الإسلامي الذاتي، كانت إحدى علامات البارزة للصحوة الإسلامية التي برعت أشرقت وغطت مساحة الوطن الإسلامي خلال لسنوات العشر الأخيرة. هذه الصحوة، التي ترامت ، كل الأقطار الإسلامية المتفرقة والممزقة على غير ـاس ميعاد وبلا تنظيم أو اتفاق، هي صحوة أذن لله بها وتمت بمشيئته.. إذ أفاقت الشعوب لإسلامية لتجد نفسها في قاع المجتمع الدولي، بعد حلة خاضتها في مسخ نفسها بالتغريب والعلمانية ـند مطلع هذا القرن، وبعد حقبة سرابية مع ثورات لخمسينات العسكرية التي أسقط الناس عليها حلامهم ليفيقوا بعدها في الستينات على انكسار روع واجههم بحقيقتين:

١ ـــ إسحاق المواطن وكرامته تحت أجهزة قمع.

٢ ـــ واحتلال الأرض بالهزيمة تحت قوات الغزو لصهيوني.

ومع حلول الظلام الدامس على خاصر الأمّة، المهزومون يدورون حول أوثانهم ورموزهم يبحثون فيها عن بدائل أشد مرارة من الهزيمة وأكثر عمى من الظلام. وكان لابُدَّ أن يفر الناس الى الله ليهديهم من جديد الى الرحمة التي وهبها لهم وللعالمين منذ أربعة عشر قرناً: الإسلام: عقيدة وشريعة وخطة عمل ومنهج حياة.

في غمرة الهوس الإشتراكي، وفي حلبة الخطبة العلمانية، كان الإسلام دائماً في قلب الناس خافتاً، محاصراً، مطارداً، معتقلاً، مسحوباً، مشنوقاً: لكنه لم يغب عن الناس لحظة واحدة، بل كان رغم الهجمة المعادية الشرسة مدركاً في كل الأحوال، في الضمائر وفي العقل، أن نهاية الطريق اللاإسلامي أشواك حتمية وحنظل. ولذلك سرعان ما دلف الإسلام حاضراً ليدفع الإنهيارات واليأس عن أبنائه، المسروقين منه، لحظة أنْ تقوضت أركان الهياكل المزيفة للكيانات اللاإسلامية وانكفأت بزعمائها ورموزها كحصاد الهشيم أو كعصف مأكول.

كان «الإسلام» في قلوبنا هو اليد الحانية التي تلقفتنا وتلقفت أمتنا لحظة السقوط لترفعنا من جديد، بالأمل في أنفسنا، وبقوة دفع هوار نحو مستقبل تصوغه لنا الرؤية الإسلامية، مصححة

أخطاء سنوات التيه في ضلال التغريب والعلمانية التي أضعنا فيها الوقت هباءً منثوراً.

وكان لابُدَّ لكل مسلم من أن يلتفت الى ذاته أولاً: ليقارن بين مقولات الإسلام وحقائقه، ومدى تحققها في نفسه. ولم يكن صعباً أن يرى المسلم، أين هو من الإسلام. ومع هذه المواجهة الصادقة التي واجه المسلم فيها ابتعاده المفجع عن (عقيدته) العالية كان لابُدَّ أن تعلو الحسرة. ومعها الندم، وبها جاءت الصحوة الفردية والوعي الذاتي بأنَّ على المسلم أن يهرع نحو اللحاق والإلتحاق بإسلامه السامي، أو أن يعلن انفصاله عنه صراحة: فالصدق يستوجب: الإلتزام أو ترك الأمر برمته والعياذ بالله.

إنّ أي تصور للأحداث المعاصرة والجارية على خريطة الوطن الإسلامي بمعزل عن الوعي بالأسباب التي أدت الى سرقة الأندلس، وسرقة الولايات الإسلامية و... الخ، تصور قاصر لايتعلم من آيات الله وامتحاناته.

هذه العملية واجهها كل مسلم في كل قطر إسلامي على حده: إلاَّ أن وحدة الظروف، التي ولدت وحدة في النتائج على الأرض الإسلامية، جعلت صحوة المسلمين مترامنة، متلاقية في التوقيت واللغة وفي الشكل والمضمون، مما جعل أجهزة الأمن العالمية تحتار وتقف مشلولة عاجزة عن اكتشاف هذا «التنظيم» الدقيق الذي أفرز تلك الصحوة الواسعة التي فرضت نفسها على المساحة الهائلة للوطن الإسلامي، هكذا «فجأة» كما بدا لها.

ولأنهم غرباء عن «الإسلام» فهم لم يفهموا تماماً ماذا يعني «الإسلام» حين يلتزم به المسلم، وماذا يدخر للأمة حين تتخذه أيديولوجيتها الموجّهة لخطواتها. ولم يعرفوا أنه مادام بيد المسلمين هذا الكتاب الواحد ــ القرآن الكريم ــ وماداموا يجتمعون خمس مرات يومياً تجاه قبلة واحدة ومنهاج في الصلاة واحد، فإنَّ المسلمين يكونون تلقائياً، بذلك، تنظيماً دولياً كونياً، يحكمه الله و ينصره، ولايمكن لمخلوق، مهما اتسعت حيلته واشتد مكره أن يقسمه أو يفتته: لأنَّ وعد الله الحق أنه ينصر من ينصره و يدافع عن حزبه: «... ألا إنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (٢٢: المجادلة).

كان الإلتزام الذاتي للمسلم: على مستوى الشكل والمضمون هو «بيعة» مجددة لنصرة الله والرسول، وكان عند آخرين إعادة اعتناق للإسلام يشهِّرها في وجه عصر الخُشْر الذي طوقته أمريكا بأسلحتها النووية وقواعد انتشارها السريع طارحة أسلوبها: «القمع والعدوان والعنف والإرهاب» ــ باسمه الحركي: «الحرية والسلام والأمن العالمي» ــ سياسة تاركة بصماتها على هيروشيما وناجازاكي وفيتنام وأمريكا اللاتينية ولبنان والمحيط الهندي.. الى آخره!

وجد «المسلم» أن إعادة صياغة نفسه، وفق الرؤية الإسلامية، مهمة تستمد ضرورتها باعتباره جزيئاً في جسم المجتمع الإسلامي الدولي ــ وإذا صحَّ الجزء صحَّ الكل ــ فلم تكن أموراً تافهة إذن، حرصُ المسلم على إقامة الشعائر بدقة، بعد دراستها والمساءلة فيها ــ وتعظيم الشعائر كما علّمنا القرآن الكريم من تقوى القلوب ــ وحرصه على أن ينزع مظاهر غير الإسلاميين و يرتدي ما يميزه و يبرزه

بشكله الإسلامي الناصع، وكان خروج المرأة المسلمة من دائرة «الموضة» العربية ونزوات الأزياء العالمية تحريراً لها على المستوى الفكري والاقتصادي. فقد نزعت عن نفسها عملية مطهرية متخلفة القيم، وارتدت مع ربها الإسلامي عملية تتجاوز المطهر نحو قيم متقدمة تتلمس المعايير الإنسانية التي حددها الإسلام لمفهوم الجمال والتزيين ومكانة المرأة العالية حين تكون أُمّاً، لا «محظية» وطبيعتها الإمتاع «للحميم» بالتزيين «للحميم» لتكون حداثة «للحميم» وفاتنة «للحميم» مع: تحديد النسل!

هذه «الصحوة الإسلامية»، التي أذن الله بها لتبعث الأمة ناهضة عفيّة من ركام الهزائم والمهانات والخرائب والتي أحدث بُعْدها المادي متمثلاً في دولة الاسلام: الجمهورية الإسلامية المقامة بداية على أرض ايران، هذه الصحوة الإسلامية هي: سفينة نوح، وسوف ينجو كل من تعلق بها ودخلها مؤمناً بأن: لا عاصم اليوم من طوفان «مافيا الكفر العالمي» ـــ الذي سيسلط الله أمواجه على بعضها البعض ليكون بأس الظالمين بينهم ـــ لا عاصم اليوم من الطوفان إلاّ من رحمه ربي بالإسلام.

الروح المنتصرة قد بُعِثَتْ ولا أمل هناك لإخمادها رغم قوات الغزو الداخلي والخارجي ورغم المذابح على أرض المرابطين، لأن «التشهيد» لا يمكن أن يحدد نسله وقد جعله الله أكثر الرجال خصوبة، فالإسلام الولود مستمر في العطاء حتى تظل أرض المرابطين ممتلئة بالمرابطين الى يوم القيامة وتستمر المقاومة الإسلامية لطوفان الكفر و يستمر وجودنا اليانع.

ولكننا مع هذا اليقين بالنصر والإمتلاء بالروح المنتصرة لا يسعنا أن نغفل لحظة عن شراسة المعركة التي نخوضها مع قوى الكفر العالمي وعملائها المحليين الذين، بأسمائهم الإسلامية، اتخذوا أيمانهم جُنّة ليصدوا عن سبيل الله: هؤلاء الذين يتولون عن أسيادهم الكفار كبت الكلمة الإسلامية على أرضها، ومحاصرة الصوت الإسلامي الصاعد من صدر الجماهير المسلمة: من رأس «أيديولوجيتها» الوحيدة الصادقة: «العقيدة الإسلامية». و بالوقفة المسلم المتربّص به، في وطنه وديره، بين تجمعات علمانية: لا إسلامية تجهمه وتتاجر بالدفاع عنه وعن شهدائه الأقدار. و بين من أرادوا أن يعبروا المفاهيم حتى يخضع المسلمون لأعداء الصلاة في مسجد الضرار: تفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن يحاربون الله والرسول: «وللهِ العِزّةُ وَلِرَسُولِهِ وللمُؤمنينَ».

الهجمة الصهيونية الشرسة تمتطي أقصى عنوها وافسادها الإسرائيليين متحالفةً مع العصبية التي لم تخمد لحظة والماسونية النشطة والمهنية المتخصصة المتسللة: متسوقين موقعهم الأمثل عبر مسك كل العلمانيين «الوطنيين» وأبواقهم «المحلية» التي منها «التقدمية» ومنها «الليبرالية» و«الحضارية التغريبية»: ثمار الشجرة المرة التي غرسها أمثال أحمد لطفي السيد في مصر، المدعو «أستاذ الجيل»، و يالها من «أستاذية» و يالَه من «جيل»!

الهجمة الصهيونية وحدها يتبوأون موقعهم الأمثل عبر العلمانيين لمواصلة محاولاتهم لضرب العقيدة الإسلامية وشلّ فاعليتها على أرضها: بل في قلب كنانتها «مصر»: قاصدين «الإبادة» ـــ لا أقل ـــ وليست بعيدة جرائم الإبادة في:

ـــ الأندلس (١٤٩٢ و ١٦٠٩).

ــ عزل السلطان عبد الحميد (١٩٠٩).

تسليم الدولة العثمانية للعلمانيين من عصابة الإتحاد والترقي ليسمحوا بهجرة اليهود الى أرض الإسلام فلسطين وليخرج وعد بلفور (١٩١٧). ثم ترتدي الخيانة الوقاحة الكاملة وتصفع المسلمين من طنجة الى جاكرتا ومن اسلامبول الى لاحوس، و يتم إعلان إلغاء الخلافة العثمانية (١٩٢٥) وتتم سرقة فلسطين وتسليمها للدنس الصهيوني(١٩٤٨)، حتى تصل العصابة الإسرائيلية الى الإمساك بلبنان من خناقها وتتقدم مع الصليبيين نحو إبادة المسلمين في «صبرا» و«شاتيلا» (١٩٨٢/٩/١٧)، وتسميم الفتيات في «جنين» (١٩٨٣/٣). و يتم ذلك كله دون أن تتحرك نوازع «الحسم» و «الحزم» عند النظم العربية المشغولة بمحاربة جند الإسلام في حرب ضروس تكمل بها من جانبها دائرة الحصار الصهيوني الصليبي الشيوعي المعادي لقيام الدولة الإسلامية على أرض ايران والمرتعب من صحوة وانبعاث الإنسان المسلم على مساحة الأرض الإسلامية. وحيث تواصل النظم الذيلية، الممتهنة مهزومة الروح، تواصل «تمشيط» صفوف الجماهير المسلمة لأبطال آلية الدفاع ــ الفكري والمادي ــ البديهية لدى الشعب المسلم الذي يرى الخطر الصهيوني القادم واضحاً. وتتم عملية سلب الشعب من قواه الدفاعية تحت لافتات: القضاء على «الإرهابيين» و «المتطرفين» و «الجهلة»: الذين يرفضون الإستسلام للتبشير البهائي الذي ينسخ الشريعة الإسلامية بكاملها ومن بينها «فريضة الجهاد» و يشرِّع بديلاً عنها فريضة «التواؤم» مع الذابحين والخنوع للقتلة والصلاة معهم في «مجمع الأديان»: صلاة القردة والخنازير.

حين يصبح التطرف اليهودي المتسلح بالغلو في العنف المتوحش والمرتكز على عقائد الخزعبلات

■■

الأحزاب العلمانية في الوطن الإسلامي ــ متخذة مواقع المعارضة أو مواقع الحكم ــ لاتخرج أقوالها من رأس شعبنا المسلم ولا تعبر عن أحلامه ولا تسعى نحو مصلحته...

■■

والأساطير الخرافية، حين يصبح هذا التطرف اليهودي حقاً وأمراً واقعاً تحميه الحامية الأمريكية التي قوامها ربع مليون جندي أمريكي في المنطقة: حين يصبح هذا التطرف والتعصب اليهودي «تديناً» لابُدَّ من احترامه وقبوله والإعتراف به والتعامل معه ــ وإن لم يعترف بنا ــ وحين تكون العودة خمسة آلاف سنة الى الوراء عبر ادعاءات وخرافات كهنة وسحرة وأحبار اليهود ومؤتمر العرّافين الدجالين: حين تكون هذه العودة، مع الكذب خمسة آلاف سنة الى الوراء، عودة الى التأصيل والأصالة. فلابُدَّ عندئذ أن يكون من «الضروري» و «الواجب» و «العاجل» ــ عند شياطين الإنس وأوليائهم ــ «تحريم» و «تجريم» و «حظر» و «تطويق» الإلتزام الإسلامي المنبثق من الحق والعدل والخير والجمال، وتكون العودة التي يعودنا اليها القرآن ــ المحفوظ بعناية الله ــ لاستلهام روحانية وعقلانية الإسلام: تكون هذه العودة المنطقية الواعية في نظر السفهاء و «الخُشُب المسنَّدة»: عودة بالبلاد ١٤٠٠ سنة الى الوراء و «ردة» الى «العصور المظلمة» والى «القرن السابع

الميلادي» ـ قاصدين القرن الذي نزغ فيه نور النبوة المحمدية والرسالة الإسلامية ـ وقد جاءت كل هذه التعبيرات المجرمة وأكثرها في صحف ومجلات تصدر في مصر، كنانة الله المحروسة!

لقد تمّ شحن العلمانية الى أرض الإسلام منذ ما يزيد عن قرن ـ كصندوق الأذى الذي خرجت منه أفاعي الماركسية ـ (عاملة تحت شعار الإشتراكية) ـ وعقارب الرأسمالية الإستعمارية الصليبية ـ (عاملة تحت شعارالليبرالية الديمقراطية) ومعها خرج هوامش الدعوة الإقليمية والدعوة القومية المتنقلة بين جبال الأفاعي والعقارب متشاركين جميعاً في هدف تنحية الإسلام عن سلطة الحكم بما يسمى: «فصل الدين عن الدولة» وهذيان: «لادين في السياسة ولاسياسة في الدين» ومن تحت عباءة ـ عفواً قبعة فالعلمانيون لايلبسون عباءة بل قبعات ـ من تحت قبعات العلمانيين خرجت كل نكباتنا المعاصرة: ابتداءً من وعد بلفور وسرقة القدس واستباحتها حتى انهمار المواسير وطفح المجاري في شوارع وطرقات أقدم العواصم الإسلامية مروراً بكل الهزائم والمذابح والإنهيارات المعروفة جيداً لدى الطفل قبل الكهل.

إن الأحزاب العلمانية القائمة في الوطن الإسلامي ـ متخذة مواقع المعارضة أو مواقع الحكم ـ لاتخرج أقوالها من رأس شعبنا المسلم ولا تعبر عن أحلامه ولا تسعى نحو مصلحته وعلينا أن نعرف أنها أجسام غريبة زرعت قسراً في جسدنا الإسلامي لتمتيته لصالح الحركة الصهيونية الدائبة والزحف الإسرائيلي الدائم الذي يفرض نفسه، بواسطتهم، علينا: ومن هنا تصبح شعاراتهم المرفوعة ضد الصهيونية والإمبريالية هزيلة وفارغة فوق أنها مزيفة وكاذبة.

وهكذا: يكون من الطبيعي في حقبتنا هذه الصاعدة نحو المواجهة الحتمية بين جنود الإسلام وأبالسة الصهيونية: ليدخل جند الاسلام «...المسجد كما دخلوه أول مرة» وليتبروا ماعلو الاسرائيلي تتبيراً، أقول: يكون من الطبيعي في حقبتنا هذه أن تأخذ الحركة الإسلامية دورها القيادي بصفتها الممثل الوحيد للأغلبية الشعبية في مصر والوطن الإسلامي كافة: وبصفتها المعبّرة حقاً عن عقل وقلب ووجدان هذه الأغلبية والساعية نحو مصلحتها التاريخية والآنية معاً والروحية والمادية كذلك.

بهذه الصفة وبهذا التحديد لحجم المسؤولية الملقاة على عاتق الحركة الإسلامية العالمية، تبرز دعوة الحاجة الملحة الى توحيد صفوف هذه الحركة على مساحة الوطن الإسلامي وفي المواقع التي تكون بها: متذكرين أن هذه «الوحدة» «أمر قرآني» نصت عليه هذه الآيات الكريمة:

ـ «إنَّ الذينَ فرَّقوا دينَهُمْ وكانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ في شَيْءٍ...»

(الأنعام/١٥٩)

ـ «... ولا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكينَ ● مِنَ الَّذينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ»

(الروم/٣١، ٣٢)

ـ «وَلا تَكُونُوا كالَّذينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ماجاءَهُمُ البَيِّناتُ..»

(آل عمران/١٠٥)

ـ «... ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبيلِه...»

(الأنعام/١٥٣)

«... أنْ أقيمُوا الدّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فيه...»

(الشورى/١٣)

ـ عزل السلطان عبد الحميد (١٩٠٩)
تسليم الدولة العثمانية للعلمانيين [illegible]
الإتحاد والترقي ليسمحوا بهجرة [illegible]
الإسلام فلسطين ويخرج وعد [illegible] ([illegible])
ترتدي الخيانة وقاحة الكلمة [illegible]
طفحة الى حكرك ومن سلامون [illegible]
إعلان إلغاء الخلافة العثمانية (١٩٢٤) [illegible]
فلسطين وتسليمها [illegible] (١٩٤٨) [illegible]
تصل العصابة الإسرائيلية [illegible]
وتتقدم مع الصليبيين [illegible]
و«شاتيلا» (١٩٨٢/٩/١٧)، [illegible]
«حسين» (١٩٨٣/٣) [illegible]
تتحرك نوازع «الحسد» و«الحقد» [illegible]
العربية المسعورة تحركها ضد الإسلام [illegible]
ضروس تكمن [illegible]
الصليبي الشيوعي [illegible] الإسلامية
على أرض إيران والمرتعب من صحوة [illegible]
الإنسان المسلم على مساحة الأرض الإسلامية
وحيث تواصل [illegible]
الروح، تواصل «الحسد» [illegible]
لأسطال آلية الدوح [illegible]
لدى الشعب المسلم [illegible]
القادم واضحاً. وتم [illegible]
الدعائية تحت لافتات [illegible] «الأصوليين»
«المتطرفين» و«الجهلة» [illegible] الإسلام
للتستير الهائل الذي يستبيح شريعة الإسلام
بكاملها ومن بينها «فريضة الجهاد» [illegible]
عنها فريضة «الولاء» مع [illegible]
والصلاة معهم في «مجمع الأديان» [illegible]
والخنازير.

[illegible]
[illegible]

■■

الأحزاب العلمانية في الوطن الإسلامي مستحدة مواقع المعارضة أو موقع الحكم لا تخرج أقوالها عن رأس [illegible] تعبر عن أحلامه ولا تسعى نحو مقصده.

■■

[illegible]

«ردة» أو « [illegible] »

[illegible]دي» ـ قاصدين الفرن [illegible] نور [illegible]
[illegible]دية والرسالة الإسلامية ـ وقد جاءت كل هذه
[illegible]تعبيرات المحرمة وأكثرها في صحف ومجلات
[illegible]ر في مصر، كنانة الله المحروسة!

لقد تمّ شحن العلمانية الى أرض الإسلام منذ
[illegible] يزيد عن قرن ـ كصندوق الأذى الذي خرجت
[illegible] أو عن الماركسية ـ (عاملة تحت شعار
[illegible]شتراكية) ـ وعقارب الرأسمالية الإستعمارية
[illegible] ـ (دامة تحت شعار الليبرالية الديمقراطية)
[illegible] [illegible] الدعوة الإقليمية والدعوة
[illegible] [illegible] الأفاعي والعقارب
[illegible] [illegible] الإسلام عن سلطة
[illegible] [illegible] «فصل الدين عن الدولة»
[illegible] [illegible] ولا سياسة في الدين»
[illegible] [illegible] ففي [illegible] بيوت
[illegible] [illegible] من تحت قبعات
[illegible] [illegible] المعاصرة. ابتداء من
[illegible] [illegible] حتى انحدر
[illegible] [illegible] وطرقات قدم
[illegible] الإسلامية مرور [illegible] والمذابح
[illegible] معروفة جيداً لدى [illegible] الكهف.
[illegible]ن الأحزاب العلمانية القائمة في الوطن
[illegible]لامي ـ متحدة مواقع المعارضة أو مواقع الحكم
[illegible] قواه من رأس سعد المسلم ولا تعرض
[illegible]ه ولا تسعى نحو مصلحته وعلينا أن نعرف أنهم
[illegible]ام عرسة زرعت قسراً في جسدنا الإسلامي
[illegible]يه لصالح الحركة الصهيونية الدائنة والزحف
[illegible]ائيلي الدائح الذي يفرض نفسه، بواسطتهم.
[illegible]. ومن هنا تصبح شعاراتهم المرفوعة ضد
[illegible]ونية والإمبريالية هزيلة وفارغة فوق أنهم مربيه

وكاذبة.
وهـ [illegible]
[illegible]
[illegible] دخلوه [illegible]
[illegible] سراء
[illegible] هذه أن تأخذ
[illegible] المثل
[illegible] الإسلامي
[illegible]

ـ [illegible] ولا تكونوا [illegible]
[illegible] وكانوا [illegible] كل حزب [illegible]

ـ ولا تكونوا كالذين [illegible]
[illegible]

ـ [illegible] ولا تتخذوا [illegible]

[illegible]

ـ «وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقُوا..»

(آل عمران/١٠٣)

صدق الله العظيم.

إن القوى العلمانية ـ داخل وخارج السلطة ـ متوحدة في جبهة نحو الباطل، فالأجدر بكل صوت وجهد إسلامي أن يتوحَّد جبهة نحو الحق، مسقطاً بلا تردد كل نية للإندراج تحت أي جبهة علمانية ولو اتحدت مرحلياً مع المطالب الوقتية للحركة الإسلامية ـ فالجبهة لا تكون سوى جبهة الرؤية الواحدة، للهدف الواحد، للمصلحة الواحدة لتحديد العدو الواحد ومجابهة الخطر الواحد، فكيف ـ بالله عليكم ـ يمكن للإسلامي أن يجبّه أو يكتّل مع قوى هي بذاتها عدوة للإسلام وعامل خطر يؤذيه؟ فلا تغرنا المودة الزائفة التي تبديها بعض القوى والعناصر العلمانية نحو الإسلام، فهي إنما تدرك قوة العقيدة

■■

النظم العربية مشغولة بمجابهة جند الإسلام في حرب ضروس تكمل بها من جانبها دائرة الحصار الصهيوني الصليبي الشيوعي المعادي لقيام الدولة الإسلامية على أرض ايران...

■■

الإسلامية وأساسها الراسخ بصفتها «الآيديولوجية الشعبية» المسيطرة على الغالبية الساحقة للحسم الإسلامي العظيم الممتد على نصف خارطة الكرة الأرضية. وبهذا الإدراك، للحقيقة الساطعة كالشمس، تتعامل القوى العلمانية مع بعض القوى والعناصر الإسلامية بتكتيك «المقصّ» الذي يفتح ذراعيه لإحتضان باتر: فتراها تلحّ في دعوة القوى والعناصر الإسلامية للتجمع بين ذراعيها ـ خاصة عندما تشتد المحن و يقوى الحصار على الإسلاميين ـ تمهيداً لقصهم وبعثرتهم أجزاءً ضعيفة متشرذمة توضع على المنصات للزينة الخارجية في المهرجانات السياسية والندوات الغوغائية التي تقلب فيها الحقائق و يزوّر فيها التاريخ وتموّه فيها الوجوه وتبث من خلالها المغالطات و يدعى فيها أعداء الثقافة القومية ـ التي هي الإسلام بلاشك ـ الدفاع عن الثقافة القومية و يقوم فيها صانع مذابح الشعب المسلم بإنشاء جمعيات لصيانة حقوق الإنسان!

إن أي تصور للأحداث المعاصرة والجارية على خارطة الوطن الإسلامي بمعزل عن الوعي بالأسباب التي أدت الى سرقة الأندلس، وسرقة الولايات الإسلامية المندرجة بطشاً تحت لواء الإتحاد السوفيتي، وإلغاء الخلافة العثمانية، وسرقة فلسطين، وغزو أفغانستان ومحاربة ومعاداة وحصار الدولة الإسلامية على أرض ايران، ووضع اليد على أرتيريا، والصومال، ومذابح المسلمين التي أقامها تيتو في يوغوسلافيا، ومكاريوس في قبرص، وماركوس في الفلبين، وأنديرا في الهند، وعبدالناصر في مصر، و صدام في العراق. أي تصور لايعي الأسباب وراء كل هذه اللطمات والركلات وغيرها: تصور قاصر لايتعلم من آيات الله وامتحاناته. وإننا إذا ارتضينا تناسي كل هذه الصفعات والركلات: فإنَّ الذي صفعنا لن ينسى أن أسلوبه كان مجدياً وسوف ينتهج معنا الصفع والركل أسلوباً متواصلاً حتى نفيق ونكون نحن:

«وَٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ».

صدق الله العظيم.

(الشورى/٣٩)

ـ اعداد ـ

قسم الأرشيف في منظمة الاعلام الاسلامي

حوار

مع احد العلماء المجاهدين في شرق افريقيا

التقى مراسلنا في طهران أحد العلماء المجاهدين المسلمين في كينيا. وتناول الحديث الأوضاع التعليمية والسياسية والثقافية القائمة في أفريقيا، ومدى انتشار الأفكار القومية في هذه القارة، والتآخي القائم بين الشيعة والسنة، وتصاعد نشاطات التبشير.....

س: نرجو أنْ تحدثنا عن الأوضاع التعليمية والثقافية والسياسية القائمة في أفريقيا.

ج: إنَّ أكثرمسلمي القارة الأفريقية غير واعين، واذا كانت لديهم معلومات فهي قليلة جداً. ولو ألقينا نظرة على أوضاع المسلمين في العالم لوجدنا أنَّ القارة الأفريقية هي القارة الوحيدة التي يمكن تسميتها بـ «القارة المسلمة» لأنَّ المسلمين يشكلون الأكثرية الساحقة فيها. غير أن غالبية الناس لا تأخذ هذه المسألة بنظر الاعتبار، وذلك تصوراً منها بأنَّ سكانها غير مسلمين، ولم يصل الاسلام اليها بعد!!

أنا شخصياً التقيت مع بعض الأخوة من الدول الآسيوية، وكانوا يتعجبون عندما يسمعون بوجود مسلمين في الدول الأفريقية. أما لماذا؟ السبب واضح. فعندما غزا المستعمرون القارة الأفريقية، قرروا أنْ يفصلونا عن إخواننا المسلمين في المناطق الأخرى من العالم، الى الحد الذي ينسى معه المسلمون في بقية القارات بأنَّ لهم إخواناً مسلمين يعيشون في هذه القارة. وأكثر من ذلك طبّق المستعمرون هذه الخطة في داخل القارة الأفريقية نفسها، بحيث أن المسلمين في شرق أفريقية لا يعلمون بوجود أخوة مسلمين لهم في غرب قارتهم. وبالنسبة لي كنت الى قبل فترة لا أعلم بوجود مسلمين في أوروبا، حتى التقيت بعضهم في فرنسا وانجلترا. فعندما سألتهم هل أنتم مسلمون؟ قالوا؛ بالتأكيد نحن مسلمون. ثم سألتهم هل يوجد مسلمون هناك ؟ قالوا: نعم، يوجد مسلمون كثيرون. وقد تعجّبوا بدورهم عندما أخبرتهم بوجود مسلمين في الشرق.

هذا هو الدور الذي لعبه الإستعمار في أفريقيا... لقد استطاع بهذه الوسيلة أنْ يسيطر على المسلمين.

وكان الاستعمار ـ إضافة الى ذلك ـ يحاول أنْ يصور للعالم بأنَّ أفريقيا قارة ميتة وهمجية.

وبعد أن حصلت قارّتنا على مايسمى بالإستقلال، سيطر المسيحيون على زمام الأمور فيها، و بدأوا يبذلون نشاطات كبيرة في مجال التبشير. ولمّا كان الحكام من المسيحيين، فإنَّ الناس كانوا يعتقدون بأنَّ معظم سكان القارة الأفريقية هم مسيحيون. غير أنَّ الأمر ليس كذلك، إذ أنَّ المسلمين يشكّلون ثلثي (٢/٣) سكان القارة... على سبيل المثال أن نسبة المسلمين في كينيا تشكل ٣٠ الى ٤٠٪ من السكان. وهذه الإحصائية تعود الى عهد السيطرة الإستعمارية. واليوم ورغم مرور ٢١ عاماً على الإستقلال، إلاّ أنَّ تلك النسبة مازالت تذكر على مستوى رسمي. مما دفعنا لنقوم باحصاء بأنفسنا، فتأكد لنا أنَّ نسبة المسلمين هي ٧٠٪ من السكان.

ولكي يؤكد الإستعمار على مسيحية هذه

القارة، بدأ بوفر الإمكانات للمنظمات والجمعيات المسيحية ليتسنى لها القدوم لأفريقيا واستثمار الرساميل وبالتالي منع المسلمين من ممارسة النشاطات الإجتماعية والسياسية والنضالية وغيرها.

والسبب الآخر هو محاولات الإستعمار والإمبريالية لمنع المسلمين من ممارسة النشاطات الإقتصادية. وبديهي ان هذه القارة تستطيع بسبب ثرواتها المعدنية الغنية مثل الحديد والنحاس والنفط واليورانيوم والأحجار الكريمة والذهب أنْ تصبح أغنى قارة في العالم. أما من الناحية الزراعية فتمتاز افريقيا بموقع جغرافي جيد، وذلك لوقوعها على خط الاستواء. ولذا وبمجرد نفوذ القوى الإستعمارية في هذه القارة، مُنِعَ المسلمون من ممارسة النشاطات الإقتصادية، وبذلك أصبح المسلمون أفقر سكان هذه القارة، فيما أصبح المسيحيون أثرياءَ نتيجةً للمساعدات التي يتلقونها من الإستعمار.

ومن الأسباب الأخرى التي أدّت الى انعزال المسلمين الأفريقيين عن بقية مسلمي العالم هوالفقر السائد في القارة الأفريقية. فالمسلمون في أفريقيا يفتقرون الى الإمكانات الإقتصادية والسياسية، مما يجعلهم عاجزين عن اثبات قدرتهم للآخرين. فمثلاً الإعلام يحتاج الى صحف ومجلات ونشرات اخبارية وزيارات الى الخارج والالتقاء بالمسلمين، غير ان هذه الإمكانات ليست متوفرة، وبذلك لا يعرف المسلمون في أنحاء العالم الشيء الكثير عن اخوانهم في أفريقيا.

وعندما يذهب الواحد منّا الى الدوائر والمؤسسات الحكومية، يرى أنَّ معظم العاملين فيها هم من غير المسلمين. والى جانب ذلك يُمْنَعُ المسلمون حتى من التعليم العالي.

وبالنسبة لإمكانات التعليم، فانها متوفرة لغير المسلمين، لكن المسلمين محرومون من أبسط الوسائل التعليمية. وفي كينيا تدار أكثر المدارس من قبل الكنيسة، لذلك لايرسل المسلمون أبناءهم الى مثل هذه المدارس، إذ أنَّ الشرط الأول لدخولها هو تغيير الأسماء الإسلامية الى مسيحية، مثلاً يجب تغيير اسم «أحمد» الى «جان بيتر» إلاّ أنَّ المسلمين يرفضون مثل هذه الشروط.

يقول أحد الإنجليز: (عندما تطبِّل كينيا ترقص جميع القارة). ولذلك بدأوا يستعمرون القارة من هذه النقطة. فحين احتلوا كينيا، سقطت جميع أنحاء القارة. أمّا الحركات التحررية فانطلقت من كينيا، فعند ما انتفض المسلمون الكينيون تحرَّك المسلمون في بقية المناطق الأخرى.

إنَّ كينيا هي أشهر دولة في شرق القارة الأفريقية، لأنها تعتبر بؤرة لجميع المنظمات الفاسدة. على سبيل المثال ان أقوى مركز لوكالة الإستخبارات المركزية الأميركية في أفريقيا يوجد في كينيا، كما يوجد فيها مركز الموساد الإسرائيلي. واضافة الى ذلك هناك

مجلس الكنائس، وبهائيون، وقاديانيون و ديانات ومذاهب أُخرى.

وعندما استيقظ المسلمون من سباتهم خلال الأعوام ١٩٥٠ ــ ١٩٦٠ شعرت الإمبريالية بالقلق، واضطرب المستعمرون خوفاً من أنْ تؤثر الحركات الإسلامية على البلدان الأُخرى. لذلك استنجدوا بالوهابية التي يقع مركزها في العربية السعودية.

و بعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران، تحرّك المسلمون مرةً أُخرى، مما دفع الإستعمار لتأسيس فرع لحزب البعث العراقي في كينيا للإنطلاق منه الى بقية بلدان القارة الأفريقية.

س: نرجو أنْ توضحوا لنا أكثر حول ثقافة الأفريقيين وعاداتهم وتقاليدهم واعتقاداتهم.

ج: لا يمكن القول إنه توجد هناك ثقافة واحدة في أفريقيا، وحتى في اطار بلد واحد نرى تعدد الثقافات فيه، على سبيل المثال ان ثقافة الناس الذين يسكنون في القسم الشمالي من بلدٍ ما تختلف عن ثقافة أهل الجنوب أو الشرق أو الغرب، لأنَّ الثقافة إما أنْ تنشأ من الأفكار الخاصة بالآداب والرسوم أو من التقليد.

ولكن نحن المسلمين يجب أن تكون لنا ثقافة واحدة... ثقافة إسلامية، لأنَّ العادات والتقاليد السائدة في هذه الدول ليست لها أية صلة بالاسلام. والسبب في ذلك معرفتنا بالإسلام الحقيق.

تعالوا أيها المسلمون لنحمل ثقافة ولتكن اسلامية، ونبتعد عن ال[illegible] الأجنبية والوضعية... تعالوا لننشر والتعاليم الإسلامية من خلال ا[illegible] والخطابات والكتب والأفلام و.و... ا[illegible]

إنَّ بعض الدول تحاول من خلال المصاحف الكريمة على الأفارقة أن[illegible] اسلاميتها، وذلك تحقيقاً لأغراضها.

اسرائيل بدأت هي الأخرى ترسل المصا[illegible] أفريقيا لتؤكد للمسلمين هناك بأنها غ[illegible] للمسلمين، وبالتالي تستطيع النفوذ بين م[illegible] والأماهي علاقة الصهاينة بالقرآن الكريم؟

إنَّ أكثر المصاحف التي توزع في هي مصاحف محرَّفة غايتها إبعاد ا[illegible] عن اسلامهم.

س: ما الدور الذي تلعبه القومية في أف[illegible]

ج: إنَّ أفريقيا ــ اليوم ــ ا[illegible] أفريقيا السابقة، فقبل ٦٠ الى[illegible] كانت قارتنا موحَّدة، لكنها و[illegible] للسياسات الإستعمارية انقس[illegible] دويلات تفصلها حدود. فهناك[illegible] وتنزانيا والسنغال وغيرها من الدول.

ونحن المسلمين لا نؤمن بالقومية لأننا نعلم جيداً بأنَّ القومية هي

الأمراض الخطرة التي جاء بها أعداء الإسلام الى أفريقيا ليتمكّنوا بذلك من الحيلولة دون وعي الناس.

والمسلمون الملتزمون يعارضون القومية، و يسعون للقضاء عليها، حتى ان الناس المحليين لا يؤمنون بدورهم بالقومية، على سبيل المثال توجد قبائل يعيش قسم منها في كينيا وقسم آخر في الحبشة وآخر في تنزانيا والصومال وفي السودان، لكنها لا تؤمن بالقومية ولا تتعصب لبلدانها.

وطبيعي أن اعداء الإسلام يحاولون نشر القومية بين أبناء أفريقية، حتى ان حكومات الدول الأفريقية تحاول تشجيع الناس على النزعة القومية، ولكنها تواجه الفشل في كل مرة.

وخلال عشر سنوات أي من عام ١٩٥٠ الى ١٩٦٠ كانت الحكومات تشجع الناس على التعصب لقوميتهم لكنها فشلت، ثم حاولت بعد ذلك اقناعهم على ضرورة التعصب للونهم، ولكنها فشلت في هذه اللعبة أيضاً، ثم حاولت نشر التعصب المحلي ففشلت أيضاً. و بعد كل هذه الدسائس والمخططات تحاول ــ اليوم ــ طرح مسألة الشيعة والسنة.

ولاننسى أن مسلمي أفريقياهم من أتباع المذهبين الشيعي والسني، و يعيشون مع بعض منذ عدة قرون دون أنْ تبرز خلافات بينهم.

علينا أنْ نبيِّن الإسلام الحقيقي لأبناء أفريقيا، وليس الإسلام الذي تبلّغ له الحكومتان السعودية والعراقية العميلة في أفريقيا.

إنَّ السعودية لم تستطع لحد الآن أنْ تنفذ بين صفوف الافريقيين، ذلك أنَّ الافريقيين مستاؤون من المذهب الوهابي الذي يُعادي أهل البيت عليهم السلام.

في كينيا توجد مدارس وجمعيات ومنظمات إسلامية تعود للشيعة والسنة، تعمل جميعها بصدق واخلاص لخدمة الإسلام والمسلمين ولا توجد بينها أية خلافات.

ونحن في كينيا بحاجة الى مساعدة بقية المسلمين لنتمكّن من نشر وتعميق الإسلام في بلادنا... اننا نفكر منذ مدة بتأسيس معهد أو جامعة اسلامية ليكون بمقدور شبابنا أن يدرسوا العلوم الاسلامية فيها.

س: توجد في أفريقيامصادر وثروات طبيعية كبيرة، و يدخل المستعمرون ــ عادةً ــ من باب الصداقة، و يبدأون بنهب ثروات أبناء هذه القارة. نريد أنْ نعرف كيف ينظر أبناء القارة الأفريقية الى هذه المسألة؟

ج: إنَّ أبناء أفريقيا يعلمون جيداً بأنَّ قارتهم غنية جداً من حيث المصادر والمعادن والأراضي الخصبة، و يعلمون كذلك بأنَّ الإستعمار الحديث يبذل كل ما في وسعه

للإبقاء على الناس متخلفين بغية استغلال خيراتهم... إنهم واثقون من أنّ حكوماتهم هي عميلة للإستعمار.

والأفريقيون بحاجة الى تنظيم قوي يعبئهم و يوحّدهم، فهم مستعدون لمكافحة الشركات الاستعمارية التي لا تتوانى عن أية فرصة لنهب ثرواتهم ومصادرهم... وهم في الوقت نفسه يواجهون أخطار التبشير الصليبي...

س: السؤال الأخير هو: كيف تنظرون الى مستقبل أفريقيا، مع الأخذ بنظر الإعتبار الثورة الإسلامية في ايران و تصدير ثقافة الثورة الإسلامية ــ إنْ شاء الله ــ الى جميع أنحاء العالم وخاصة أفريقيا من جهة، والضغوط التي يوجهها المستعمرون الأميركيون والروس والفرنسيون والإنجليز الى هذه القارة من جهة أخرى؟

ج: نحن واثقون من أنّ النصر سيك
حليف الإسلام... الصليبيون يحاولون
القرن المنصرم جعل أبناء أفريقيا مسيحي
وكان الإعتقاد السائد بأنّ الأفار
سيصبحون مسيحيين حتى نهاية القرن الحا
بالضبط كما حصل في أميركا الجنوبية، لـ
أحلامهم هذه ذهبت أدراج الرياح.

ولما عجزوا عن تحقيق أغراضهم الدني
بدأوا يعملون على إشاعة الفساد والفحـ
بين المسلمين، حيث تنتشر محلات بـ
المشروبات الكحولية هنا و هنال
و يتداول الناس المجلات الخليعة، وأصبـ
العلاقات الجنسية غير المشروعة مسموحاً
وفي الختام أقولها بصراحة إنّ الجمهو
الإسلامية في ايران تستطيع وبحق أن تل
دوراً بارزاً في إرشاد الأفريقيين الى الطر
الصحيح ونشر التعاليم الإسلامية
بينهم. والسلام عليكم ●

دراسة مقارنة في

القرآن

بقلم: الدكتور الحسيني

Qur'an: Kor'an: Qer'an:

لقد صرّفنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ

.

لقد صرّفنا في هذا القرآن للنّاس من كلّ

.

لقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ

.

الآيات الثلاث المتقدمة على ما فيها من
راب جزئيّة بنيويّة: Structural تتصف
رب «التوكيد والتخصيص» في الكلام على
وع المسوق له الكلام، وقد جاءت هذه
يرات البنيوية «لأغراض بلاغيّة» حسب
اق القرآني، الذي يمكن التعمق فيه بمراجعة
، التفسير والبلاغة واللغة، وإنّ هذه الآيات
دأ بلام التوكيد و«قد» التي تفيد التحقيق،
لمة «لقد» التي تفيد التوكيد والتحقيق على
ن قال بعدم تجزئتها، وكذلك جاءت جميعاً
ف الفعل «الماضي» الذي يدلّ على تنجّز
الشيء وتعمقه أيضاً. كما وردت لفظة «النّاس» مدخولة للام الجرّ التي تفيد أكثر من دلالة على «الإختصاص» وأهمية «النّاس» «وكونهم المخاطبين من قبل الرسالة»: القرآن الكريم الذي «صرّف فيه» و«ضرب فيه» من «كلّ مثل». وإنّ دلالة «صرف» هي: «الفضلة» والزيادة في البيان والتبيان، كما يقال «بين الدّرهمين صرف: أي فضلة لجودة فضّة أحدهما[4]» وانّ دلالة «ضرب» هي: «الوصف والبيان» كما يقال: «ضرب الله مثلاً: أي وصف وبيّن[5]». كما أنّ دلالة «المثل» هي: «الصفة»: «ومثل الشيء ـ بفتحتين ـ صفته[6]».

وأما دلالة «القرآن» اللغوية فهي الجمع والضمّ، والنظم والقانونية والشمول والوضوح في الأمر ـ كما سنتبين من خلال البحث الدّلالي المقارن لمختلف الإشتقاقات وفي مختلف اللغات ـ وخلاصتها أنّه جامع لأصول الحقائق وشامل لجواهر الأمور، ومصدر لأمات الأمثال وأمّهاتها. والأهم من

كلِّ ذلك أنه «رسالة عالمية جامعة» للناس لكلِّ الناس: **«وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين»**[7] و**«وما أرسلناك إلاّ كافة للناس»**[8]. : نوراً، وهدى، وبلاغاً.

وإذا كان «الكون» كتاب الله الأكبر المفتوح للحياة وبالحياة وكما يقال «كتاب التكوين»، «فالقرآن» الكريم كتاب الله الأعظم للحياة وبالحياة وهو كتاب التشريع، وهو «الجامع المانع» الأكمل على حدِّ تعبير المناطقة وهو «القرآن: الفرقان» على حدِّ تعبير القرآن نفسه. وتعبير «أهل العرفان» عنه: «فرقان: اين اصطلاح عرفاني است و فرقان كتابيست از علم تفصيلي است كه فارق ميان حق و باطل است، وقرآن علم اجمالي لدني است كه جامع جميع حقايق است (اصطلاحات شاه نعمت الله ص ٥٦)»[9].

والعلاقة بين «الكون» و«القرآن» صوتية ودلالية حسب ما سنوضّحه من دراسات اشتقاقيّة ولغويّة، كما أنّ علاقة «قانون» الشيء بالكون والنظام واضحة إذ الفسادُ ضدُّ الكون وضدُّ القانون، وقد جاء في تعريف الشيخ الرئيس ابن سينا عن الكون: «كون عبارت از اجتماع أجزاء، وفساد عبارت از افتراق آنها است» (الشفاء ج ١ ص ١٨٨). وفي تعريف اخوان الصفا: **«الكون خروج الشيء من العدم الى الوجود أو من القوة الى الفعل، والفساد عكس ذلك** ــ اخوان ج ٢ ص ١٠»[10]. ومن كل ذلك تفهم العلاقة الصوتيّة والدلاليّة بينها بشكل ما، حيث تدلّ جميعها على «النظم» والانتظام في الوجود والطبيعة والحياة والمجتمع والدين والحكم وبدون «النظم والنظام» يحصل الفساد والخراب، وليست علاقة «قانون» و«كانون»

و«كيان» بمختلف اللغات ببعيدة عن الجذر المش
اذ ورد Canon بمعنى قانون الشيء «كينونيته» بالانكليزية وباللغات الأور المنحدرة عن اللاتينية ــ كما بحثنا ذلك في ؛ مستقلّ عن كلمة «قانون»[11]، وان كلمة «كيا هي الطبع والطبيعة بالسريانيّة. و«الكيان الطبْعُ بالسريانيّة وبه سُمّي كتاب سَمْع الكيا وهو بالسريانيّة شمعاً كياناً»[12]. فالشيء اذا على الطبع والطبيعة والوجود الفطري والكوني على القانون والقاعدة، وبخلافه يكون الف والدمار وليس لذلك المجتمع أو الانسان «كيان» اذا لم يحكمه القانون أو النظام. والقا الفطريّ الذي ينظم حياة البشريّة جمعاء «القرآن»، الجامع لأصول الدساتير الإلـ والأديان.

والعلاقة كما ذكرنا بين الكتابين: «التكو والتشريعي» طبيعية وواضحة، فكلاهما ر وفيّاض وغير مُتناه، وكلاهما صادر عن خالق الو وصانعه، ومبدأ الفيض والكمال المطلق، وليس حقيقة كلّ منهما نقص أو خلل، أو فساد أو بطلا وقد صرح الله تعالى في القرآن الكريم عنه: **«لا الباطل من بين يديه ولا من خلفه»**[13].

والبحث في دلائل القرآن العظيم ودلا العميقة الدقيقة، كالبحث في أسرار هذا الـ الرحيب العجيب: **«وما يعلم تأويله الا والراسخون في العلم»**[14]. أُولئك الذين اصطفاهم وعلّمهم ما لم يكونوا يعلمون، وفتح لهم خزائن واسرار معرفته، والذين اتقّوا الله حقّ تُقاته وات بالتقوى فعلّمهم من لدنه علماً: **«واتّقوا الله ويُعلّ الله والله بكلّ شيء عليم»**[°] والذين هم أب

لمدينة العلم» الإلهيّة الفاضلة. حيث استجابوا رسول حين دعاهم لما يُحييهم[١٦]: «**وأوحيَ إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ**»[١٧]. وراح يفسره لهم يطبقه عليهم «قولاً» و«عملاً» و«تقريراً» كانت سنته صلى الله عليه وآله وسلم ـ شارحةً لقرآن، وكان أهل بيته ـ عليهم السلام ـ القرآن ناطق الذي يترجم ما بين الدفتين. فقد قال الإمام لي (ع) في أمر التحكيم: «**إنّا لم نُحكِّم الرجال وانّما حكّمنا القرآن». وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين لاينطق بلسان ولابُدَّ له تُرْجُمان**»[١٨]. وقد كتبت فيه الترجمات والتفاسير الغزيرة، وأُلِّفت في علومه الكتب والمصنفات الكثيرة، ووضعت بركته لآداب والمعارف الإسلامية، ومايزال غضّاً طرياً أعلاه مورق، وأسفله معرق، وفيه حلاوة، وعليه طلاوة ـ كما وصفه خصومه وأعداؤه ـ باديءَ ذي بدء ـ «والفضلُ ماشهدتْ به الأعداءُ»وأرضه بكرٌ صالحةٌ للحرث والزرع والثمر واليَنْع، وهو كما عبّر عنه الإمام علي (ع) تارة «بالنهر الجاري» وأخرى «بالنور» الذي لايخبو توقده ولا تنطفي مصابيحه، وكما قال عنه في بعثة الرسول (ص): «**ابتعثه بالنور المضيء، والبرهان الجليّ، و المنهاج البادي**»[١٩]. وخلاصة القول فيه ماورد عنه (ع) أيضاً: «**ألا انّ فيه علم مايأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم مابينكم**»[٢٠] فهو كما تدلّ عليه مادته اللغوية «جامع» لأخبار الماضين والآتين عبره، وفيه صلاح الدنيا والدين رحمةً، وهوهادالى أقوم السبل محجةً: «**انّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**»[٢١] وقد جمع بين أصول الشرائع السماوية السابقة كما أكمل الدين وأتم النعمة اللاحقة، وهو ـ كما جاء في وصف الرسول (ص) ـ الخاتم لما سبق،والفاتح لما استقبل، والمهيمن على ذلك كلّه.

فبالنسبة لكونه جامعاً لأصول الشرائع السابقة، نلاحظ قوله تعالى: «**شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا اليك**»[٢٢] و«**إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذريةً بعضها من بعض والله سميعٌ عليمٌ**»[٢٣]. وبالنسبة لكونه نظاماً كاملاً ونعمة تامة، نلاحظ قوله تعالى: «**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**»[٢٤].

والطريف في الموضوع أن مادة «القرآن» اللغوية واشتقاقاتها في العربية وفي مختلف اللغات تساوق دلالاته المعنوية والإصطلاحية، وأنّ كلمة «قَرَأ» التي منها «القُرآن»: تدلُّ على الجمع والنظم والضم، وإنّ أظهر دلالات كلمة «القرآن» مدلولها على «القِراءة» وهي في معناها المعجمي: الجمع والضمّ. وفي هذا المعنى جاء تفسير الآية الكريمة: «**إنَّ علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتَّبع قُرآنه**»[٢٥]: أي: قِراءته، و يكفي البشرية فخراً أن تكون أول سورة من كتابها الذي أمرت باتباعه واتباع الرسول الذي أُنزل عليه، سورة «إقرأ» او سورة «العلق» التي تبدأ بكلمة «إقرأ» والسورة الثانية هي سورة «ن والقلم»[٢٦] والقراءة والكتابة هما سبيلا المعرفة المنظمة. والآيات الأوائل هي: «**بسم الله الرحمن الرحيم، إقرأ باسم ربّك الذي خَلَق،خَلَقَ الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم،الذي علّم بالقلم، علَّم الإنسان مالم يعلم**»[٢٧] وقد تناولت هذه الآيات الكريمة أمر «القراءة» باسم الربّ الخالق، ولما كان المخلوق الأكمل في هذا «الكون» الرحيب والموجود الأشرف، في هذا الوجود العجيب، هو الإنسان، فكان ذكره هنا لتبيان أصدق مصاديق الخلقة

وأشرفها، كما أن ذكر «العِلْم» يدل على شرفه وكرمه، وأن تكرار كلمة «إقرأ» يدل على أهمية القراءة وعظمتها «**إقرأ وربك الأكرم،الذي علّم بالقلم،علّم الانسان مالم يعلم**» فمن كرمه ونعمه تعليم الإنسان «بالقلم» وهو من أعظم النعم و«**ان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها**»[28].

ولكن السؤال هنا ماالمقصود بالقراءة؟ وما يجب أن يقرأ؟ ولمن يقرأ؟ وكيف يقرأ؟... وفي تفسير هذه الآيات يتساءل السيد الطالقاني في «پرتوى از قرآن[29]»: «اين امر إقرأ، براى خواندن چه بوده، آيا نوشته يا كتابى در برابر چشمش نمايانده شد تا كلمات وسطور آنرا بخواند؟ و اگر آن نوشته همين قرآن مكتوب بوده چنانكه بعضى گفته اند، با چه حروف وخطى نوشته شده بود؟ وآيا آنحضرت پس از قرائت آن ميتوانست قرآن مكتوب وخطوط مانند آنرا بخواند، يا در همان لحظه خواند و ديگر نتوانست؟... وچون اصول معانى و حقايق قرآن نيز پرتو اسم ربّ است، كتاب تكوين آفرينش و كتاب تدوين وتعليم، دو نسخه و دو صورت از يك اصل ومنشأ ميباشد. واينكه گفته اند مورد امر به قرائت قرآن بوده، شايد نظر بهمان اصولى باشد كه پيش از تنزيل وتفصيل بر آنحضرت نمودار شده است: «**كتاب أحكمت آياته ثمّ فصّلت**»[30]».

ويقول العلامة الطباطبائي معقباً على تفسير الراغب في «مفرداته»: «وبهرحال وقتى گفته ميشود: قرأت الكتاب، معنايش اينستكه از ضم و ضميمه كردن چند حرف ازآن، كلمه در آوردم و از ضم كلمات آن با يكديگر جمله هائى در آورده، مطالبى استفاده كردم، هرچند كه آنحروف و اين كلمات را بزبان هم نياورده باشى و بس قرائت هم شامل مطالعه ميشود، و هم شامل آنجائيكه هم حروف وكلمات را در تلفظ بكنى، و هم آنجائيكه اين عمل را با شنيدن انجام دهى، كه اطلاق قرائت بر معناى اخير تلاوت هم ناميده ميشود، همچنانكه خدايتعالى فرموده: «**رسول من الله يتلوصحفاً مطهرة**»[31].

وان مصطلح «المصحف» هو القرآن المسطور في الصحف أي الكتاب ولفظة «القرآن» أشمل[32] وانْ دلّ كل منهما على الجمع[33].

والمتتبع لدلالة كلمة «قرأ» بشتى اشتقاقاتها في القرآن الكريم يجدها متساوقة لمعنى «قراءة القرآن» و«تلاوته» وليست التلاوة إلاّ «المتابعة والضم» وجمع الآيات بشكل «ترتيليّ» كما تشير الآيات التي وردت فيها كلمة «قرأ» ومشتقاتها.

وان معنى القراءة الأظهر هو «الجمع» و«النظم» سواء أكان جمع الأصوات و نظمها بترتيل «مسموع» أو «بصمت» أوحتى بجمع بين المعاني والأفكار، ومنه قيل: قراءة الأفكار أيْ جمعها وفهمها. وان الراغب الأصفهاني في «مفرداته»[34] ركّزعلى «جمعها» مقروءة بمعنى القراءة المتعارفة، غير أنّ دلالات القراءة أوسع، والذي نذهب اليه أنها مطلق «الجمع» وليست حكراً على العربية، بل نراها سارية فيأغلب اللغات حقيقة ومجازاً، ومنها في Reading the mind أي: قراءة الفكر. وحتى أن «الكتاب» الذي يُقرأ، إنّما سُمّي كتاباً لأنه يجمع بين هذه الأفكار والعبارات عنها، ومن دلالات مادته «كتب» على الجمع «الكتيبة: الجيش»[35] وكذلك سائر المفردات القريبة صوتاً

ادة «قرأ» ومايـــــادلهـا
Phone في مختلف اللغات، كما
ظريتنا التي نذهب اليها في سلسلة
صطلاحات المحوتة بهذا المنهج
يتمشى أساساً النظرية العالمية أو
Unive

: «قرأ الكتاب قِراءَة وقُرْءاناً ــ
ي ء قُرْءاناً ــ بالضم أيضاً ــ جمعه
مّي القُرآن، لأنه يجمع السور
تعالى: «انّ علينا جمعه وقُرءانه»[٣٦]

مع بدلالة كلمة «جامع»، بحيث
لقرآن على كونه جامعاً للسور
جامع لكل شيء، كما تشير بعض
«ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل
م بين أسباب سعادة الدنيا ونعيم
ار ماكان وما هو كائن ومايكون،
الإمام علي(ع) وتقدّمت الإشارة
الإمام الصادق (ع): «فيه خبرما
ايكون بعدكم، وفصل ما بينكم»[٣٨]
ع»ــ بكل معنى الكلمة ــ لجميع
ادات، وهو دستور لكل العصور
جماع» الشرائع والدساتير الإلهية،
انين الفطرية، والعلوم والفلسفات
كارم الأخلاق والآداب، وخلاصة
ئون، وجوهر الأمور والأشياء. وهو
م الله المعجز الذي لايرقى اليه كلام
ب في «اعجازه» مكتبات، وفي
سع هذا المقام الضيق حتى الإشارة
به القرآن من الكلام الموجز المعجز،

إذ يحتاج في ذلك الى رسالة خاصة[٣٩]. كما قد ألف العلماء فيه رسائل ومنها «ثلاث رسائل في اعجاز القرآن» بتحقيق محمد خلف والدكتور محمد زغلول سلام. وعلى سبيل المثال «رسالة الايجاز والاعجاز» لأبي منصور الثعالبي النيسابوري وقد جاء في عنوان الباب الأول منها: «في بعض ما نطق به القرآن الكريم من الكلام الموجز المُعجز: من أراد أن يعرف «جوامع» الكلم ويتنبه لفضل الاختصار ويحيط ببلاغة الايماء، ويفطن لكفاية الايجاز فليتدبر القرآن وليتأمل علوّه على سائر الكلام»[٤٠] ثم يعرض لبعض الآيات ويدلل على اعجازها وايجازها، ويشير الى بعض الوجوه المعجزة فيها، وما لم يكتشف منها أكثر وستكتشف هذه الوجوه حسب مقتضيات الأزمنة والأجيال، وتطور العلوم والفنون، والمعارف والآداب، وحسب استعداد الإنسان في عالم الإمكان. وقد تقدمت الإشارة الى ذلك في قول الامام علي (ع): «لا تطفى مصابيحه ولا يخبو توقده».

وفي مقام «معرفة القرآن تحليلاً» يقول الأستاذ الشهيد مطهري: «نريد في هذا الفصل أن نبحث في محتويات القرآن. وطبيعيّ أننا لو أردنا تناول موضوعاته موضوعاً موضوعاً لاقتضانا ذلك «أمتاراً» من الورق. وعليه سوف نعالج الكتاب أولاً ومن ثم نعود على بعض من الجزئيات»[٤١].

ويبدأ بتعريف القرآن تحت عنوان «كيف يُعَرِّفُ القُرآنُ نَفْسَهُ»: ويقول: «من الأفضل في تحليل القرآن أن نبدأ من ملاحظة رأيه في نفسه، وكيف يعرف نفسه إنّ أول ما يطالعنا بهذا الشأن هو قوله ان هذه الكلمات والعبارات هي كلام الله. إنّه يُعلن صراحة أن الرسول ليس هو منشئ القرآن، بل انه انما يبين ماينزل به روح القدس أوجبرائيل

بإذن الله. والأمر الآخر الذي يوضحه القرآن هو تعريف رسالته، وهي أنها هداية أبناء البشر وقيادتهم للخروج بهم من الظلمة الى النور: «**كتابٌ أنزلناهُ اليك لِتُخرجَ النّاس من الظُلمات الى النّور**»[42، 43].

والذي نريد أن نُؤكده في هذه المقالة هو دلالة كلمة «القرآن» وجذرها وسائر الكلمات المتشابهة في العربية وغيرها على معاني الجمع والضم والنسق والنظم بمختلف الأبعاد والدلالات. فمن المواد القريبة منها جذراً واشتقاقاً وصوتاً ودلالةً كلمة «قرن» إذ يقال للرجل قرنان أي ضفيرتان، وذو القرنين لقب اسكندر الرومي. والقرن ثمانون سنة، والقرن مثلك في السنّ تقول هو على قرني أي على سني، والقرن في الناس أهل زمان واحد. قال الشاعر:

إذا ذَهَبَ ٱلقَرْنُ الذي أنتَ فِيهُمُ
وَخُلِّفْتَ في قَرْنٍ فَأنْتَ غَرِيْبُ

«والقرن: قرن الهودج. والقرن: جانب الرأس، وقيل منه سُمّي ذوالقرنين، لأنه دعاهم الى الله فَضُرب على قرنيه وقَرْنُ الشمس أعلاها، وأول مايبدو منها في الطلوع»[44]. فأنت تلاحظ كل دلالات «قرن» على الجمع، اما بين الأشياء أو الأشخاص، أو الأزمان، وحتى تشمل الجمع بين جوانب الشيء الواحد نفسه بالنظر الى جانبيه أو أعلاه وأسفله أو طلوعه وغروبه، وما الى ذلك من دلالات الجمع والمقارنة.

واذا حركنا وسط القرن وأصبح «القَرَن» بالفتح فيدل دلالات متشابهة «والقَرَن ــ بالتحريك موضع، وهو ميقات أهل نجد، ومنه أُويس القَرَني ــ رضي الله عنه ــ قلت: هو في التهذيب. بسكون الراء نقله عن الأصمعي، وأنشد عليه بيتاً وتحقيقه في «المغرب» والقرن أيضاً مصدر قولك رجل أقرن بيّن القرن: وهو «المقرون» الحاجبين و بابه طَرِبَ.

و«القِرْن» ــ بالكسر ــ كفؤك في الشجاعة و«القُرْنة» ــ بالضمّ ــ: الطرف الشاخص من كل شيء يقال قُرْنَة الجبل وقُرْنة النصل. وقرن بين الحج والعمرة يقرن ــ بالضم والكسر ــ قِراناً: أي جمع بينهما. وقرن الشيء وصله به، و بابه ضرب ونصر، وقُرِّنت الأُسارى في الحبال شُدِّد للكثرة، قال الله تعالى: «**مقرّنين في الأصفاد**»[45]. واقترن الشيء بغيره. و«قارنته قِراناً»: صاحبته، ومنه قِران الكواكب... وأقرن له: أطاقه وقوى عليه. قال الله تعالى: «**وما كُنّا له مقرنين**»[46]: أي مطيقين و«القرين»: الصاحب، و«قرينة الرجل» امرأته[47].

ولو تتبعنا المواد اللغوية الأخرى القريبة من جذراً واشتقاقاً لرأيناها قريبة المعنى صوتاً ودلالة فعلى سبيل المثال لا الحصر مادة (قرا) ــ فلاحظ نجد فيها: «القَرَا: الظهر»[48] والظهر والظهير هو الشخص أو الشيء الثاني المؤيد والمساند للشيء الأول، ومنه الآية الكريمة: «**والملائكة بعد ذلك ظهير**»[49]، وكذلك «القرية»: التي هي «جماع لعدة بيوت متعاضدة يتاخم بعضها بعضاً، والى اليو تستعمل بعض الألفاظ في الريف من «الجِماعة» ــ بكسر الجيم ــ للدلالة على القرية و«القرية: معروفة، والجمع «القرى» والقياس «قِراء» كظبية وظباء. و«القرية»: ــ بالكسر ــ لغة يمانية... والقريتين في قوله تعالى: «**على رجل من القريتين عظيم**»[50]: مكة والطائف و«استقرى» البلاد تتبّعها يخرج من أرض ا

رض. وقرى الضيف يقريه قِرىً ــ بالكسر ــ قَراء ــ بالفتح والمدّ ــ أحسنَ إليه. والقرى أيضاً: ماقري به الضيف»[51]. فكل ذلك «باضافة» شيء ء ل «الضيف» وقراه بزاد أوراحلة أو هدية، أو بدل الزاد والراحلة معاً.

واذا توسّع في هذه المواد حذراً واشتقاقاً، نلاحظ كلمة «القيروان» ــ بضم الراء ــ لقافلة: فارسيّ معرّب، وفي حديث مجاهد «يغدو لشيطان بقيروانه الى السوق»[52]، ولعلّ كلمة يروان معرّبة عن الفارسية «كاروان» ومنه في لفارسية «كاروان سراى» أيْ منزل القافلة، وقد ردت كلمة «كاروان» في الشعر الفارسي كثيراً في كثير من كتب الأدب و الدواوين. وحتى أننا نجد كلمة: Carvan الانكليزية والتي تستعمل في علب اللغات الأوربية الحديثة تحمل نفس الدلالة على القافلة أو ماهو بديلها، ويقال للجماعة المسافرين النازلين معاً في مكان معين للإصطياف والتنزه: Carvan sife وهي تشبه «كاروان سراى» الفارسية لفظاً ودلالة، ولعل في تسمية طير «الكروان» دلالة على ذلك النوع من الطيور التي تصادفه القوافل في مسيرها ذاهبة وآتية وتتمتع بلحنه ودعائه: «دعاء الكروان».

ولو رجعنا الى نظرية «الإشتقاق الأكبر» التي أسسها الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني الهجري وبلورها ابن جنّي في القرن الرابع الهجري، لرأينا المواد مثل؛ «قنن، قرن، قرأ، قرب، قلم، وما إليها تدل على الجمع والمقارنة، والنظم والنسق بين الأشياء أو الأشخاص أو الأفكار ولانريد هنا الخوض في غمارها فلتراجع في المظان والمعجمات اللغوية[53]، وكأنّ الجذر الأساس حرف واحدٌ أو حرفان ومايشبها أو يثلّثها مخصص للمعنى العام المشترك. فأنت نلاحظ في كتاب «العين» للخليل هذه الظاهرة وكذلك في كتاب «الخصائص» لابن جنّي، و«معجم مقاييس اللغة» لابن فارس، وسائر المعجمات التي تبنّت هذه النظرية، وفي «المُعْرَّب»: باب القاف مع الراء المهملة»[54] ثم يسرد مايتلها للتخصيص، وقد جاء في أول الباب: «قرأ الكتاب قراءةً وقرآناً وهو قارىء وهم قُرَّاء، واقرأ سلامي على فلان، وقولهم اقرأ سلامي عاميّ و«القرآن»: اسم لهذا المقر (كذا). والمجموع بين الدفتين على هذا التأليف، وهو معجز بالإتفاق، إلاَّ أن وجه الإعجاز هو المختلف فيه، وأكثر المحققين على أن الوجه هو اختصاصه برتبة من الفصاحة خارجة عن المعتاد، وتقريره في «المعرب».[55].

و«القُرء» ــ بالضمّ والفتح ــ الحيض في قول الأكثرين، وقيل انه يصلح لهما[56]. وقد جاء في هامش «المعرّب»: القَرء ــ بفتح القاف ويجمع على أقراء وقروء، وهو من «الأضداد» يقع على «الطهر» واليه ذهب الشافعي وأهل الحجاز، وعلى «الحيض» واليه ذهب أبو حنيفة وأهل العراق ــ «نهاية»[57].

وقد جاء في نفس الباب تحت مادة «قرن»: «قَرْن البقرة وغيرها، وشاة قَرْناء، خلاف جمّاء، وقَرْن الشمس أول مايطلع منها، وقرنا الرأس: فَوْداه أي: ناحيتاه... و«القَرْن»: الجمعة الصغيرة تضم الى الكبيرة... والقرن: الحبل يُقرن به بعيران[58]. كما جاء في كتاب «مفاتيح العلوم» في علم النجوم: «القِران: يعني اجتماع زُحَل والمشتري خاصة اذا أطلق، فاذا عني قِران كوكبين آخرين قُيّد بذكرهما[59]».

وقد جاءت كلمة Chronicles في الالفاظ الكتابية وهي تدل على الأوقات و« القرون »، وأنّها تشابه كلمة «قرون» صوتاً ودلالة، كما أنّها جاءت في اللغات الأوربية مشتقة من أصل يوناني Kronika وعبر اللغة اللاتينية المتأخرة Chronica ومنها الى الفرنسية القديمة Cronique والانكليزية الوسطى Cronique حيث ورد في تفسيرها الايتيمولوجي Etymological ما يأتي:

«Chronicle ckronikel M.E. and O.F. Cronique, late l. Chronica, sing., from Gr. Kronika... A register or history of events in order of time; a history, a record, v.t. to record in a chronicle; to register, chronicles, n. pl. The two books of the old Testament immediately following 1 and 2 kings. Chronicler n. »[٦٠]

فأنت تلاحظ دلالاتها على «الجامع» لكتابي العهد القديم، وهو الكتاب السماوي أصلاً. ومنها دلالة Chronic المنحدرة من أصل (اغريقي) Chronikos وجذرها Chronos على «القرون» والزمن.

وقد استعملت في المصطلحات الطبية للدّلالة على الحالات «المزمنة» والقدمة، وأصبحت كلمة ــ Chrono بادئة: Prefix لكل شيء يصطلح به على معنى معيّن مضاف اليه البعد الزماني أو «القروني»:

«Chronic a. continuing for a long time: of disease, deep seated and lasting»[٦١]

ومنها المصطلحان اللغويان في علم اللغة ا
اللذان يعتمدان النظر العلمي المبرمج في الدر
اللغوية: Dia-Chronic: وهو منهج ا
الذي يسير طولاً ويعتمد التطور التاريخي ا
للغة، و Syn-chronic وهو منهج ال
الذي يسير عرضاً ويعتمد الحقة التاريخية
والملابسات البنيوية لذلك المقطع العرضي من
للّغة. وقد ضرب رائد علم اللغة الحدي
سوسور De Saussure: مثلاً لهاتين الد
مقارناً اللغة بالشجرة الضخمة المعمرة.
تـــدرســـهـــا بـــشـــكـ
عمودي Longitudinal يستقري -
وطبقاتها طولاً و يلحظ نموّها عبر الزمن
وأخـــرى تـــدرســـهـــا بـــشـــ
عرضي transversely يستعري خ
وتراكيبها في مقطع أُفقي خاصّ يحكي ترابط أ
وعلاقاتها القائمة فعلاً[٦٢].

والعجيب أن كلمة Century الانكليز
هي من الجذر cent والدالة على «القرن»
مئة سنة: Period of 100 years »[٦٣]
تقابل كلمة «صد» الفارسية والكرد
ودلالة، وهي بعض دلالات «قَرْن» إذ مرَّ أنها
تدل على ثمانين أو ثلاثين سنة، ولا تخفي الـ
التاريخية بينها.

وأنّ «القِران» بين الرأس والتاج، أوم
عليه من زينة وحُليّ مادية ــ ومنها ينـ
المعنويات ــ يُسمّى في الانكليزية Corona
الكلمة تساوق كلمة Crown بمعنى التا
ودلالةً، وهي من أصل لاتيني، وقد ارتـ
بدلالات تزينيّة بالكنائس والمعابد، كما أ

دلالة على «الهالة» ــ Halo ــ التي تحيط الشمس أو القمر «مقترنة» و«مقرونة» بمعنى النور أو الضياء «كالثريّا»:

«Corona (korona) (L., a crown), n. (pl nae) A brood projecting face forming the principal member of a cornice, a circular chandelier hanging from the roof, esp. in churches; (Bot.) the circum ference or margin of a compound radiated flower; a disk or halo round the sun or the moon; an anthelion radiance round the moon in total eclipse of the sun»[1]

وأي دلالات لغوية متقاربة بين مادة «قرآن» في العربية و Corona المذكورة في هذا النص الدالة جميعاً على الضياء والزينة والهالة المقترنة بمنبع الأشعة المادية التي ينتقل منها الى النبع العرفاني الفيّاض «والنور الذي لا يخبو توقده». ولو أردنا استقراء الكلمات المرتبطة بها صوتاً واشتقاقاً لطال البحث وتشعبت بنا السبل، و نحن هنا نشير الى علاقتهــا بــــ Coronal وCoronation و Coronate و Coronary و Coronet و Coroner وجميعها تحمل نفس الدلالة على التتويج والإقتران والجمع والعقد والإنعقاد. حتى جاء في الكلمة الشهيرة Coronation مايدل على الإحتفال التتويجي والإحتفال «بعقد القسم» الذي يرتبط بالحكم والحاكم.

n. TRhe act or ceremony of Solemnly Crowning a sovereign. Coronation oath, n. The oath taken by a sovereign at the corona tion»[1]

«Coronation: (koronashun) (as prec.),

فإذا لم يلتزم بالقسم(theoath)فقد (أحنث) وهنا تجدر الإشارة الى العلاقة الصوتية والدلالية أيضاً بين « oath » والحنث، مما يدعم النظرية التي نذهب اليها ونحن بصدد جمع المعطيات اللغوية (data) و «دادنيها» التي هي أيضاً تحمل الرابطة و«الدلالة» وتؤدي نفس «المؤدّى»، كما سنبحثها في مقالات لاحقة إنْ شاء الله.

وإنّ الجامع بين «عقد القران» في الزيجات والدلالة اللغوية الأصلية هو «التماسك والجمع» بين الروحين المتماسين المساكن كل للآخر: «وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجكَ الجنة»[66] فالزوج سكن للزوج الآخر و«قرين» له. وكذلك قيل في الصديق والصاحب: «القرين». وقديماً قيل في الشعر الذي ذهب مضرب الأمثال:

«عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينهِ
فكلُّ قرينٍ بالمقارن يقتدي»

ولعلّ البادئة ــ Con المتبادلة مع Com في مفردات معينة بالانكليزية حسب الاقتضاء الأصواتي والنظام الصوتي تحمل نفس دلالة «قرن» ايها تصدّرت في الكلام والاصطلاحات التي تبلغ المئات بل الآلاف، وهي تدل على معنى عام مشترك ، وهوما يصطلح عليه في علم اللغة بـ Cognate والذي يشير الى أنها جميعاً ذوات جذر مشترك وأصل جامع، وحتى أن كلمة Cognate نفسها من هذه الكلمات حيث تبدأ بـ« Co » وهي تخفيف لها وكذلك الكلمات Common و Combination و Contact Connection و Contract, وما شابه وشاكل، وهي ذات

جذر لاتيني وأصلها « Cum »:

«Com - (L , the combining form Cum-Cchiefly before b,f,m,p), pref. with; together; in Combination; Completely»[1]

وفي نهاية المطاف لابُدَّ لنا من العرض السريع لأسماء القرآن ومصطلحاته الخاصة به والتي اصطلح هو بنفسه عليها والإشارة الى مناساتها. وقد اختلف الباحثون في النظر الى هذه الاسماء هل هي أسماءٌ متعددة لمسمى واحد، أم أنّها صفات والاسم واحد؟ حتى أن المرحوم الدكتور العطار عدَّ ذلك الخلط بين الأسماء والصفات وهماً من بعض المعنيين، فقد قال في كتابه موجز علوم القرآن: «تناول العلماء أسماء القرآن بالبحث، فقال (أبو المعالي عُزيزي بن عبدالملك المعروف بشيدلة ــ بضم عين عُزيزي ــ في كتاب البرهان: اعلم أنّ الله سمّى القرآن بخمسة وخمسين إسماً)[٦٨].وهذاوهم منه، إذْ أنه خلط بين الأسماء والأوصاف، وأكثر ماذكر من أسماء للقرآن إن هي إلاّ أوصاف، مناسبة لكتاب الله العزيز»[٦٩].وفي نظرناأن الأسماء في العربية غالباً ماتلمح فيها صفة المسمى واقعاً أو تفاؤلاً، حقيقةً أو مجازاً. واذا اشتهرت الصفة لذلك الموصوف فقد تصبح إسماً ولا تناقض في جعل بعض الصفات أسماءً للشيء أوجعل بعض الأسماء صفة للشيء إذا لمح فيها الوصفية كدلالة اسمي الحسن والحسين على صفة الحُسْن. ومهما يكن من شيء «فلكلّ اسم من أسماء القرآن أووصف من أوصافه مناسبة مضمونيّة: فوصفه بـ(الحكيم) مثلاً لإحكام صياغته واحتوائه على الحكم والعبر إذْ الحكيم صفة تناسب مضمون القرآن. وكذا وصفه بـ(النور) لأنَّ الرؤية لا تتم ــ مع وجود البصر ــ إلاّ بالنور. والعقل مع قدرته على الإدراك فانه لايدرك كثيراً من الحقائق ولايهتدي اليها إلاّ بالقرآن وتوجيهاته النيرة. قال تعالى «**قد جاءكم من الله نورٌ، وكتابٌ مبينٌ، يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام**» [٧٠ ٧١].

ومن الأسماء والأوصاف القرآنية التي وصف القرآن بها نفسه: «شِفاء»، و«قَصَص»، و«حكيم»، و«حِكمة»، و«حَبْل»، و«صِراط مستقيم»، و«عزيز»، و«موعِظة»، و«مجيد»، و«بلاغ»، و«بصائر»، و«بيان»، و«مثاني»، و«تنزيل»، و«وحي»، و«رَحْمة»، و«نذير»، و«مُهَيْمن»، و«ذكر»، و«كلام»، و«فُرقان»، و«هُدَى»، و«كتاب» وما اليها، إذْ أنّها جميعاً مستنبطة من الآيات التي وردت مصرّحة بكونه كذلك.

وقد عدَّها بعض العلماء توقيفية، وبعضهم قال غير ذلك، غير أنها جميعاً تهدف الى مناسبات دقيقة وشاملة تتلخص دلالة في كلمتي: «القُرآن» و«الفُرقان» إيجاباً وسلباً وهما متلازمتان كصفتي «الجامع والمانع» في التعاريف المنطقية: «جامع إيجاباً للأفراد ومانع سلباً للأغيار».

فالقرآن مناسبته في التسمية أنه: «جمع أحكام الأُمم الغابرة، وأخبارها، وجمع بين رقة الشعر وجزالة النثر البليغ، وجمع بين أصول العقيدة ومبادئ الأخلاق والأحكام العملية، وجمع ــ للمتمسك به ــ خير الدُّنيا والآخرة، وجمع بين متطلبات الإنسان الجسدية والروحية وهكذا، والى هذا المعنى ذهب جماعة كبيرة من اللغويين، وأنه الأصل في اللغة العربية»[٧٢].

والفرقان ومادته في التسمية «تفيد معنى التفرقة، ومناسبتها الإشعار بالدور الذي أدّاه كتاب

. تعالى في التفريق بين الهدى والضلال، والحق لباطل، وطريق الجنة وطريق النار، وسبيل الحلال سبيل الحرام، ومنهج العبودية في عبادة المخلوق، نهج التحرر في عبادة ربّ الأرباب الخ، وقيل سُمّي بذلك لأنه يؤدي الى النجاة والخروج بطير قوله الى: «يجعل لكم فرقانا»[73]

وخلاصة القول في دلالات «القرآن» اللغوية لاصطلاحية هو وجود التناسب والتساوق في دلالة على كونه «جامعاً» لجميع ماعرضنا له سابقةً الى كونه نزل «مجموعاً» ودفعة واحدة على لب النبي الكريم (ص) في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك «يوم التقى الجمعان»[75] في السابع عشر من سنة احدى واربعين من عمره الشريف في قعة بدر الكبرى، وهذا لاينافي ماورد فيه من كونه ل «منجّماً» أي مفرقاً بعد حين وحسب الظروف سياسة وأسباب النزول المذكورة في المظانّ، في مدة ثلاث وعشرين سنة حتى كان تنجيمه مثار عتراض المشركين، وقد ذكر ذلك القرآن وأجاب نه، وقال في سورة الفرقان: «وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبّت به فؤادك رتلناه ترتيلا»[76]، لما فيه تنجيمه وتكرار الوحي إشراق نور العلم على قلبه من التثبيت لفؤاده لشريف، ولا تنافي بين نزوله مفرقاً ومنجماً وبين قوله تعالى: «انّا أنزلناه في ليلة القدر»[77] و«شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن»[78] و«انّا أنزلنا في ليلة مباركة»[79] لصحة اطلاق القرآن على بعضه، كما في قوله تعالى: «كتاب أُحكمت آياته»[80] مع العلم بأنّ أُخر منها متشابهات، على أنه يمكن أن نقول بأنّ روح القرآن، وهي «أغراضه الكلية» التي يرمي إليها تجلّت لقلبه الشريف في تلك الليلة: «نزل به الروح الأمين على قلبك»[81]. ثم ظهرت ملابساته الأظهر «مفرّقة» في طول سنين: «وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً»[82]

وهذا تفسير لطيف ودقيق لدلالة الصيغتين: «الإفعال»، و«التفعيل» اللتين وردتا في القرآن الكريم في صيغتي «الإنزال»، و«التنزيل» واللتين يدلاّن على كون الشيء ينزل أو يرسل أو يُعلَم دفعةً واحدة، والثانية تدلّ على أن الشيء ينزّل أو يرسل أو يُعلّم على مراحل ودفعات، كمثل الفرق بين دلالتي الإعلام والتعليم أو الإرسال والترسيل وما الى ذلك من مواد أخرى يمكن استعمالها في هاتين الصيغتين القياسيتين، كما يقرّر ذلك علم الصرف في اللغة العربية، وبالتفسير المذكور يرتفع الاشكال ويندفع اللبس والابهام اللفظي. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ●

هوامش :

١ ـ سورة الاسراء، الآية: ٨٩.

٢ ـ سورة الكهف، الآية ٥٤.

٣ ـ سورة الزمر، الآية: ٢٧ وكذلك سورة الروم، الآية.

٤ ـ الرازي، المختار، مادة صرف ص ٣٦٢ ط. بيروت

٥ ـ الرازي، المختار، مادة ضرب ص ٣٧٩ ط. بيروت

٦ ـ الرازي، المختار، مادة مثل ص ٦١٤ ط. بيروت.

٧ ـ سورة الأنبياء، الآية. ١٠٧

٨ ـ سورة سبأ، الآية: ٢٨

٩ ــ د. سجادي، فرهنگ علوم عقلي، ص ٤٤٢. (تهران ١٣٦١).

١٠ ــ أنظر مقالتنا عن «القانون» في مجلة التوحيد، العدد الأول، ص ١٢٧ طهران، ١٤٠٣هـ .

١١ ــ أنظر المصدر السابق، ص ١٢١

١٢ ــ الخوارزمي، مفاتيح العلوم ص ٨٤ دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣ ــ سورة فصلت، الآية: ٤٢.

١٤ ــ سورة آل عمران، الآية: ٧.

١٥ ــ سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

١٦ ــ «استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم» الأنفال / ٢٤.

١٧ ــ سورة الأنعام، الآية: ١٩.

١٨ ــ شرح نهج البلاغة لفيض الإسلام، مج ١ ــ ٣، ص ٣٧٧.

١٩ ــ المصدر السابق، ص ٥٠٥.

٢٠ ــ شرح نهج البلاغة، لفيض، الجزء ١ــ٣ ص ٤٩.

٢١ ــ سورة الإسراء، الآية: ٩.

٢٢ ــ سورة الشورى، الآية. ١٣.

٢٣ ــ سورة آل عمران، الآية. ٣٣ ــ ٣٤

٢٤ ــ سورة المائدة، الآية: ٣.

٢٥ ــ سورة القيامة، الآية: ١٧ ــ ١٨

٢٦ ــ انظر تاريخ القرآن للزنجاني ص ٩ ط. طهران.

٢٧ ــ سورة العلق، الآية: ١ ــ ٥.

٢٨ ــ سورة ابراهيم، الآية: ٣٤، وسورة النحل، الآية ١٨

٢٩ ــ سورة هود، فصلت، الآية: ١.

٣٠ــ پرتوى از قرآن، سيد محمود الطالقاني، ج ٣، ص ١٧٧ ــ ١٧٨.

٣١ ــ سورة البينة، الآية: ٢.

٣٢ ــ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، (الترجمة الفارسية) ج ٤٠ ص ٣٠٦، انتشارات محمدى ــ طهران: ١٣٦١.

٣٣ ــ أنظر الدكتور العطار، موجز علوم القرآن، ص ٤٤.

٣٤ ــ ينظر الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن ــ مادة قرأ.

٣٥ ــ الرازي، المختار، مادة كتب، ص ٥٦٢. (ط. بيروت ــ دار العلم).

٣٦ ــ سورة القيامة، الآية. ١٧.

٣٧ ــ الرازي، المختار، مادة «قرأ» ص ٥٢٦.

٣٨ ــ الحسني، دراسات في الكافي للكليني وال للبخاري، ص ٣٤٦، ط. ١٣٨٨ هـ. ــ ١٩٦٨م.

٣٩ ــ عرضنا الى موضوع «الاعجاز» واصطلاحه ، المؤلفة فيه في كتابنا دراسات وتحقيقات، ص ٦٧، ط. ١٩٧٤م.

٤٠ ــ خمس رسائل، ومنها رسالة الايجاز والاعجاز ، ص ٤ ط. دار الكتب العلمية النجف الأشرف.

٤١ ــ الأستاذ المطهري معرفة القرآن، الجزء الأ ٢٤.

٤٢ ــ سورة ابراهيم، الآية ١.

٤٣ ــ الأستاذ المطهري: معرفة القرآن، الجزء الا ٢٥.

٤٤ ــ الرازي، مختار الصحاح، ص ٥٣٢.

٤٥ ــ سورة ص، الآية ٣٨ وابراهيم. ٤٩

٤٦ ــ سورة الزخرف، الآية: ١٣

٤٧ ــ الرازي، مختار الصحاح، ص ٥٣٣. وقد هامش ص ١٨١ «موجز علوم القرآن» للدكتور العطار «تدعى سورتا الأنفال والتوبة القرينتين لأنها لم يفص (بسم الله الرحمن الرحيم) فلربما عدها القارئون واحد

٤٨ ــ الرازي، المختار، ص ٥٣٣.

٤٩ ــ سورة التحريم، الآية. ٤

٥٠ ــ سورة الزخرف، الآية: ٣١.

٥١ ــ الرازي، المختار، ص ٥٣٠

٥٢ ــ المطرّزي، المعرّب، ص ٣٧٥.

٥٣ ــ بحثنا بعضها مثل: مصطلح. القانون، ، العددين الأول والثاني من مجلة التوحيد.

٥٤ ــ ينظر المطرّزي، المعرب، ص ٣٧٥.

٥٥ ــ المطرّزي، المعرب، ص ٣٧٥.

٥٦ ــ المصدر السابق، نفس الصفحة.

٥٧ ــ المصدر السابق، نفس الصفحة، الهامش

٥٨ ــ المصدر السابق، ص ٣٨٠.

٥٩ ــ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٣٤. «اقتران زحل و المريخ في برج العقرب الذي كان ء

بعض المستشرقين عام ولادة النبي (ص) وقبلها بقليل، استدلوا على ظهور ملة الاسلام عن تاريخ القرآن للزنجاني ص طهران

٦٠ ــ معجم كاسل.

٦١ ــ فردي سوسور، علم اللغة العام.

De Saussure, Course in General Linguistics, p 8 (Glasgow-1978)

٦٢ ــ معجم اكسفورد الصغير

The oxford Minidictionary, p 64 (oxford-1981)

٦٣ ــ معجم وبستر.

Webster's Dictionary, p 63 (New York- 1980)

٦٤ ــ انظر معجم كاسل.

Cassell's, English Dictionary, p 252 (London 1968)

٦٥ ــ انظر معجم كاسل

Cassell's English Dictionary p 252 (London 1968)

٦٦ ــ نفس المصدر / نفس الصفحة

٦٧ ــ انظر معجم كاسل

Cassell's, English Dictionary p 223

٦٨ ــ نقل هذا الدكتور الصغير عن السيوطي، الإتقان، ج ١ ص ٥٠.

٦٩ ــ الدكتور العطار، موجز علوم القرآن، ص ٤٢

٧٠ ــ سورة الحاقة، الآية ١٥ ــ ١٦

٧١ ــ الدكتور العطار، موجز علوم القرآن، ص ٤٢ ط طهران ١٤٠٣هـ.

٧٢ ــ الدكتور العطار، موجز علوم القرآن، ص ٤٣

٧٣ ــ سورة الأنفال، الآية ٢٩

٧٤ ــ الدكتور العطار، موجز علوم القرآن، ص ٤٥

٧٥ ــ سورة الفرقان، الآية ٤١

٧٦ ــ سورة الفرقان، الآية ٣٢

٧٧ ــ سورة القدر، الآية ١

٧٨ ــ سورة البقرة، الآية ١٨٥

٧٩ ــ سورة الدخان، الآية ٣

٨٠ ــ سورة هود، الآية ١.

٨١ ــ سورة الشعراء، الآية ١٩٣

٨٢ ــ سورة الاسراء، الآية ١٠٦

جدول تقابليّ مقترح للّغات واللهجات ذات العلاقة الصوتيّة والدّلاليّة بكلمة «قرآن» عموماً

١ــقرأ	ق	ر	أ		(١) عربية (جذر) يدلّ على الجمع والنظم ولاسيّما في الكلام.
٢ــقِرآءة	قِ	ر	آ	ءة	عربية (مصدر) يدلّ على التلاوة والنظم في أدائها.
٣ــقِراء	قِ	ر	ا	ء	عربية (جمع) قرية على القياس كظبية وظِباء.
٤ــقِرية	قِ	ر	ي	ة	لغة يمانيّة للقَرية.
٥ــقُرى	قُ	ر	ىٰ		جمع (قَرية) ومنها (أمُّ القُرى): مكّة.
٦ــقِرى	قِ	ر	ى		عربية بمعنى إكرام الضيف وإنعامه.
٧ــقَرآء	قَ	ر	آ	ء	لهجة أخرى ــ بالفتح والمدّ ــ وهي بنفس المعنى.
٨ــقريتين	ق	ر	ي	تين	قرآنية للدلالة على مكّة والطائف.
٩ــقيروان	ق	يْر	وا	ن	جمع القوافل ومحطّ رحالها ومنها مدينة القيروان.
١٠ــكاروان	كا	ر	وا	ن	فارسية، ومنها كاروان سراى محل القوافل.
١١ــ Carvan	ca	r	va	n	انكليزية ــ لاتينيّة ــ عالمية من جذر واحد.
١٢ــكروان	ك	ر	وا	ن	عربية أو معرّبة ومنها (دعاء الكروان).
١٣ــقَرَنٌ	قَ	رَ	ن	ٌ	عربية (ميقات) أهل نجد ومنه أُويس القرني.
١٤ــقَرَنٌ	قَ	رَ	ن	ٌ	مقرون الحاجبين خاصّة.
١٥ــقَرْنٌ	قَ	رْ	ن	ٌ	لهجة عربية تدلّ على الهودج.
١٦ــقَرْنٌ	قَ	رْ	ن	ٌ	لهجة أخرى تدلّ على المِثْل والنظير.
١٧ــقِرْنٌ	قِ	رْ	ن	ٌ	لهجة ــ بالكسر ــ بنفس المعنى.
١٨ــقُرنة	قُ	ر	ن	ة	مجتمع الشيء ومنه قُرنة الجبل والقُرنة لمجمع النهرين.
١٩ــقِمّة	قِ	م	م	ة	القُلّة والقُنّة وهي أعلا الجبل.
٢٠ــقُلّة	قُ	ل	ل	ة	القِمّة والقُنّة وهي أعلا الجبل.
٢١ــقُنّة	قُ	ن	ن	ة	القُلّة والقِمّة وهي أعلا الجبل.
٢٢ــقَرَنَ	قَ	رَ	نَ		عربية (فعل) تدلّ على الجمع والضمّ والنظم.
٢٣ــقَرْنان	قَ	رْ	ن	ان	مثنّى الشيء ومنه الضفيرتان.
٢٤ــقُرْآن	قُ	رْ	آ	نَ	كلام الله المجيد والكتاب الجامع لأصول الشرائع والأحكام.
٢٥ــ Quran	Qu	r	a	N	نطق القرآن وكتابته في اللغة الأنكليزية.

٢٦ـ Korán Ko r á n نطق القرآن وكتابته بصورة أخرى في الأنكليزية.

٢٧ـ Qerán Qe r á n نطق القرآن وكتابته في اللغة الألمانية.

٢٨ـ Corán co r á n نطق القرآن وكتابته في اللغة الفرنسية.

٢٩ـ Canon ca n o n كانون، قانون: عربية أو معرّبة ـ عالمية.

٣٠ـ كانون كا ن و ن كانون تدلّ على النظم والجمع والرسوم.

٣١ـ قانون قا ن و ن قانون تدلّ على النظم والجمع والرسوم.

٣٢ـ Canonic Ca n o nic انكليزية مشتقّة عن اللاتينيّة ـ عالمية.

٣٣ـ كون ك و ن عربية تدلّ على التكوّن والنظم والوجود.

٣٤ـ كيان ك يا ن كنانية ـ سريانية ـ عالمية تدل على الطبع والطبيعة.

٣٥ـ كيهان ك يها ن فارسية تدلّ على الكون والعالم الكبير.

٣٦ـ جهان ج ها ن فارسية لغة أخرى مشابهة لكيهان.

٣٧ـ uni-verse u i n verse (٢) انكليزية ـ لاتينيّة تدلّ على الكون والكيان الواحد الكبير.

٣٨ـ كيوان ك يوا ن فارسية ـ معرّبة تدلّ على أحد الكواكب المعروفة.

٣٩ـ چيوان چ يوا ن لهجة عراقية بنفس المعنى.

٤٠ـ خوان خ وا ن عربية تدلّ على المائدة والمعنى الجامع.

٤١ـ خوان خ وا ن فارسية تدلّ على المعرفة والقراءة.

٤٢ـ know k ow n (٢) انكليزية ـ اسكتلندية ـ تدل على المعرفة.

٤٣ـ خان خ ا ن تركية ـ فارسية ـ معرّبة تدل على العارف والكبير.

٤٤ـ king k ı ng انكليزية تدلّ على الحاكم والملك.

٤٥ـ Queen Qn ee n انكليزية تدلّ على الحاكمة والملكة.

٤٦ـ Crown c row n انكليزية تدلّ على التاج والرتبة.

٤٧ـ Corona co ro na لاتينية ـ عالمية تدلّ على الرتبة والتاج.

٤٨ـ coronal co ro na l انكليزية تدلّ على الرتبة ولاسيما في الكنائس.

٤٩ـ coronate co ro na te انكليزية تدلّ على الرتبة ولاسيما في الكنائس

٥٠ـ coronation co ro na tion انكليزية تدلّ على التتويج والرتبة والهالة.

٥١ــ et n ro co coronet		انكليزية تدل على التاج الصغير والهالة.
٥٢ــ قارون	قا رو ن	قارون صاحب الكنوز والجامع للزينة.
٥٣ــ قُرون	ق رو ن	جمع (قَرْن) تدل على مئة سنة أوثمانين أوثلاثين.
٥٤ــ قِران	قِ را ن	مصدر أواسم مصدر يدلّ على الجمع مطلقاً.
٥٥ــ قِران	قِ را ن	مصطلح فلكي يدلّ على احتماع زُحَل والمشتري وحديثاً على الزواج.
٥٦ــ قَرَنَ	قَ رَ نَ	مصطلح فقهي يدلّ على الجمع بين الحج والعمرة.
٥٧ــ قَزْنْ	قَ زْ ن	الجمة الصغيرة التي تُقرن إلى أختها الكبيرة.
٥٨ــ قرين	ق ري ن	الصاحب، والزوج، والملازم على الدوام.
٥٩ــ قلم	ق ل م	عربية ــ عالمية ــ تدلّ على النظم والإستقامة.
٦٠ــ	mn lu co column	انكليزية ــ لاتينية ــ عالمية بنفس المعنى.
٦١ــ	no ro ch chrono	بادئة تدلّ على القرون والأزمان والتلازم.
٦٢ــ	nic ro ch chronic	مصطلح طبّي وغيره يدلّ على الظواهر المزمنة.
٦٣ــ	le nic ro ch chronicle	كتابية ــ لاتينية ــ عالمية ــ بنفس المعنى.
٦٤ــ	s no ro ch chronos	(جذر) لسائر الإشتقاقات اللاتينية.
٦٥ــ	ca ni ro k kronica	يونانية (إغريقية) بنفس المعنى.
٦٦ــ	que ni ro ch chronique	انكليزية القرون الوسطى ــ فرنسية.
٦٧ــ	logy no ro ch chvonology	انكليزية تدل على سرد الأحداث وترتيبها زمنياً.
٦٨ــ	logical no ro ch chronological	انكليزية صفة للاسم المتقدم.

ملاحظات:

١ ــ لمزيد الإطلاع على المفردات المتساوقة مع الجذر «قرأ» و«قرن» صوتاً ودلالة تراجع المقالات في هذه المجلة تحت عنوان «قانون»، «قلم» وما إليها.

٢ ــ يلاحظ أنّ التوزيع الأصواتي حسب التركيب الفونوماتيكي Phonematic وليس الفونوتاكتيكي Phonotactic ، كما يلاحظ تبادل حرف الجيم أصواتياً مع حروف العلّة ولاسيما ((J)) اللاتينية وهي ذات تنوّعات عديدة «Allophones»

مسلمو الجانب الآخر للجدار

مسرحية تتناول أحد أساليب الماركسيين في القضاء على معارضيهم، والمتمثل باتهامهم بالجنون والتخلف....

تأليف: فاطمه مشكيني

الشخصيات:

١ ــ ايفان ــ طالب في الصف الخامس الثانوي
٢ ــ معلم التاريخ
٣ ــ والد ايفان
٤ ــ وعدد من الطلاب.

المشهد الأول

قاعة الدرس. خارطة الاتحاد السوفياتي معلّقة على الحائط.
صور: ماركس، لينين، خروشوف و بريجنيف، وصورتان لشخصين آخرين على الحائط المقابل. ملابس الطلاب شتوية، ومعطفان معلّقان على الحائط. ضوء أحمر يسود المشهد كله. المعلم يرتدي معطفاً طويلاً، أسود اللون. شاربه أسود
(الطلاب يتكلمون مع بعضهم. المعلم مقابل السبورة.

المعلم: حسناً، هيا، أسكتوا الآن... اسكتوا... قلت اسكتوا... ألا تدرون انكم يجب أن تقطعوا أنفاسكم هنا (تمضي لحظات و يسكت الطلاب)... لا أُريد أنْ أسمع بعد الآن أي كلام منكم. يجب أنْ تكون قاعة الدرس هادئة... كما هو الحال في جميع دول العالم... الطالب الجيد هو من يكون منظماً، ولا يؤثر على الدرس بتصرفاته الطفولية... حتى وإنْ كان لايبالي بالدرس، عليه أنْ لايبدي عدم رغبته، المهم أنْ تكون قاعة الدرس هادئة... والإنسان العاقل يراعي السكوت. ومن أراد التأثير على المجتمع بتصرفاته الفوضوية، فدار المجانين مكانه... إنَّ درسنا، ومدينتنا، ومجتمعنا بحاجة الى هدوء. (يضرب بيده السبورة بقوة، فيجلس الطلبة ساكتين في مقاعدهم) هل فهمتم؟ (يضع يده على خارطة الإتحاد السوفياتي ثم يلتفت الى الطلبة) والآن حافظوا على الإتزان الثوري (المعلم يبقي يده على الخارطة لمدة خمسة عشرة ثانية، و يبقى الطلبة كل على حالته خلال هذه المدة).

(المعلم يمسك الطباشير و يبدأ بكتابة كلمة على السبورة. وقبل أن يكملها، يلتفت الى الطلاب): حسناً أشرنا في الدرس السابق الى السبب الذي يدفع مجتمعاً ما للتحرك، وكيفية حصول الثورة. والآن لندخل في الدرس الجديد.

ايفان: أُستاذ... أرجو المعذرة... لقد أخبرتك في الدرس السابق بأنني لاأقبل أقوالك، فقلت لي بأنك ستتحدث عن هذا الموضوع في الدرس القادم... ولكن يبدو أنك نسيت!

المعلم: نعم، نعم... صحيح... لقد نسيته (يتحدث بلهجة العلماء). ان خلاياي العقلية في الجزء الخاص بالحافظة ضعيفة، على العكس من الأجزاء الأُخرى التي تساعدني في تحليل المسائل... حسناً أيها الطلاب... يبدو أن هذا الطالب لم يستمع بدقة لدرسنا الماضي، وإلاّ لما كان يسأل. هل توافقون على أن أُجيب الآن عن سؤاله (يرفع حاجبيه الى الأعلى و يفتح عينيه).

الطلاب: لا... لا... لا يا أُستاذ... لا... دعه لفترة الإستراحة... نحن لا نملك وقتاً كافياً.. فلقد فهمنا الدرس (يلتفتون الى بعضهم) أليس الأمر كذلك؟

أحد الطلبة: نعم، نعم... أنا فهمت جيداً.

طالب آخر: أُستاذ (يرفع يده ليستأذن استاذه) اننا سنشرح له الدرس السابق.

المعلم: حسناً... اسكتوا... إذن علينا أن نواصل درسنا... وأنت يا ايفان... سأجيب عن أسئلتك في وقت آخر.. وأُوصيك بأنْ تقرأ دروسك بدقة، لتفهمها.

ايفان: إنني فهمت الدرس، لكنني أرفض أقوالك؟

المعلم: لا... لالا... انني لم أسمع منك في الدرس الماضي مثل هذا الكلام.

ايفان: ليس مهماً... والآن أقولها بصراحة انني أرفض أقوالك.

المعلم: كيف يمكن لك ذلك؟ فكلامك هذا يثير لدينا السؤال؟

ايفان: أي سؤال يا أُستاذ؟

المعلم: كيف يمكن لشخص ما أن يرفض موضوعاً علمياً؟ أنت تعرف جيداً بأن هذا الكلام ليس اجتهاداً شخصياً من جانبي... انه رأي العلماء الكبار أمثال....

ايفان: ليس مهماً لي (وأنا لا أقبله مطلقاً) نعم، لاأقبله مالم تثبت لي صحته؟

المعلم: لا أفهم ماذا تقول؟... إذا كنت تتذكر فانني قلت فيما مضى إنَّ الذين يقفون بوجه العلم و يرفضون الحقائق العلمية هم أشخاص يحملون أفكاراً رأسمالية.

ايفان: أُستاذ، انك تسعى للتأكيد على علمية جميع ما تقوله.

(المعلم بين الطلاب)

المعلم: أنا لا أفهم كلامك؟ هل ترفض العلم؟

ايفان: لا يا أُستاذ... أنا لا أرفض العلم... بل أرفض ادعاءاتك، لأنها غير علمية، بل ولا علاقة لها بالعلم.

المعلم: أي جزء من كلامي ليس علمياً؟ وأي شيء هذا الذي لا علاقة له بالعلم؟

ايفان: مثلاً، الدرس السابق.

المعلم: أي جزء منه؟

ايفان: كله... كله يا أستاذ.

المعلم: لكن هل فهمت درسي؟

ايفان: لقد قلت في الدرس السابق ان التناقض الطبقي هو السبب الكامن وراء النـ في المجتمعات البشرية...

المعلم: حسناً، ما الخطأ الذي تراه في هذا الكلام؟

ايفان: كله خطأ يا أُستاذ... أنا أتصور بأنَّ جميع أقوالك في الدرس السابق كـ خاطئة، لأنها لم تكن كاملة... كما أتصور بأنَّ التناقض الطبقي ليس لجميع النضالات البشرية... انك تسعى متعمداً لنفي الوقائع العينية وتجاهل النضالات الأُخرى.

المعلم: (يبدو منزعجاً) لا... لا... هذا هراء... خرافات وأوهام... ما هذه الأبا يا بني؟ هل تدري أنك بكلامك هذا تهين شرف العلم. أنا أتصور بأنك : أفكاراً...

أحد الطلاب: أفكاراً رأسمالية يا أُستاذ... (بقية الطلاب يضحكون)

المعلم: نعم... انك أصبت ببعض التصورات الرأسمالية. (يفكر بعض الشيء) يعمل والدك ؟

ايفان: هل تريد أن تقول بأنَّ أبي هو شخص رأسمالي؟

المعلم: وهل تريد أن تقول انه ليس رأسمالياً؟ أو على الأقل لا توجد بعض ترسـ الأفكار الرأسمالية في ذهنه؟

ايفان: إنَّ والدي هو عامل منذ ثلاثين عاماً، وكان قبل ذلك فلاحاً (وفجأة يخطر في ذهنه ويقول ضاحكاً) هل تريد بكلامك هذا أنْ تقول بأنَّ الحكومة غير على استئصال جذور الرأسمالية؟

المعلم: (خائفاً) لا... لا... أنت لا تستطيع أن تتهمني. انني عضو في الحزب، أثبتُّ مراراً وفائي له.

ايفان: إذنْ، لماذا قلت ان الرأسمالية مازالت موجودة؟ فهذا الكلام إهانة مـ للحكومة. (يضحك باستهزاء).

أحد الطلاب: (معترضاً) سينتهي وقت الدرس يا أُستاذ... متى سندرس؟

المعلم: (وجد طريقاً للخلاص) نعم، نعم... أنا لست مُقصِّراً... حسناً... والآن من الأفضل أن ننتقل الى الدرس الجديد. فليس لدينا وقتاً كافياً.

ايفان: هل تسمح لي يا أُستاذ؟

المعلم: لا، لا أسمح لك.

ايفان: حسناً يا أستاذ... انني سأتكلم بدون إذنك.

المعلم: (بعصبية) انك عنيد جداً... ما الذي تريد أن تثبته بتصرفاتك هذه؟ يجب أنْ تعرف بأنَّ السواعد القوية للعمال والفكر العلمي للبروليتاريا هي التي قضت على قيصر رغم قوته. أما أنت فان وزنك في التاريخ أقل من وزن بعوضة.

ايفان: انني لست شقياً. لكن ومنذ عشرة أعوام أنت وأمثالك تأتون كل يوم وتملون علينا ما يملونه عليكم. ثم انك لا تسمح لي بأنْ أتكلم، واذا لم أسأل ولم أتكلم فان أسئلتي تزداد يوماً بعد آخر. أتدري أنك في هذه المدة فرضت علينا أشياء كثيرة لم تفهمها حتى أنت؟

المعلم: (يصيح بوجه ايفان) أتدري ماذا تقول؟... إذا كنت صادقاً في كلامك فقل لي أي شيء عدا التناقض الطبقي يؤدي الى حدوث حركة تاريخية؟ (سكوت) قل شيئاً، لماذا خرست؟

ايفان: لاأدري... وأقول بصراحة، أنا لم أفهم هذا الموضوع لليوم (الطلاب يضحكون).

أحد الطلاب: يا لهذا المنطق الرأسمالي.

المعلم: (في الوقت الذي يشعر بالارتياح) انني واثق من أنك لا تملك شيئاً لتقوله. فأنت تحاول أنْ تعترض من دون مبرر.

ايفان: على العكس ان لي كلاماً كثيراً. لكنني غير مستعدٍ لأقول شيئاً الآن. وسأجيب عليكم في الدرس القادم. أنتم تتهمون من يعارضكم بالرأسمالية وأشياء أُخرى من هذا القبيل. في حين انكم...

المعلم: حسناً، لننتظر الى الدرس القادم. والآن لا تأخذ وقتنا. فهمت؟ (تعلن فترة الإستراحة، و ينهض الطلاب ليخرجوا من قاعة الدرس).

أحد الطلاب: لقد أضاع كل وقتنا... انه يستحق صفعة على وجهه.

طالب آخر: أتركه وشأنه... انه متخلف.

(أحد الطلاب يبدأ بالغناء ويشاركه الآخرون).

المشهد الثاني

(نفس القاعة. الدرس الجديد. يدخل المعلم)

مراقب القاعة: قيام (ينهض الطلاب)

المعلم: تفضلوا، تفضلوا (يجلس الطلاب)

أحد الطلاب: هل تسمح يا أُستاذ؟

المعلم: تفضّل.

الطالب: من الأفضل أنْ نطرد الأشخاص الذين لايتفقون معنا ولا يفهمون درسك، وهذا أفضل حلٍ للمحافظة على هدوء الدرس.

طالب آخر: نعم يا أُستاذ... لو كانت القاعة هادئة، لفهمنا الدرس ببساطة.

المعلم: حسناً... إذا كان الجميع متفقين على هذا الأمر، فانني اتبع رأي الأكثرية مثل كل مرة... ايفان انني أُحذرك بأنْ...

ايفان: ولكن يا أُستاذ... أنا أُريد الإجابة عن سؤالك السابق (الطلاب يتهامسون).

أحد الطلاب: أنت خلفت الفوضى مرة أُخرى... أُستاذ، من الأفضل لنا أنْ نغادر القاعة !

طالب آخر: ما الذي يريد أنْ يقوله؟ (يضحك) انه يتصور نفسه عالماً.

المعلم: حسناً يا ايفان... قل ما تريده ولكن باختصار.

ايفان: نعم يا أُستاذ... أنا أتصور بأنّ الدافع وراء حركة المجتمعات وانتصار الثورات لايتمثل بالتناقض الطبقي، بل بالتفرقة.

المعلم: ماذا؟

ايفان: التفرقة يا أُستاذ، تفرقة... وليس التناقض الطبقي. بعبارة أُخرى يمكن القول إنّ التناقض الطبقي هو بحد ذاته نوع من التفرقة، ولكن ليست كل تفرقة تناقضاً طبقياً، إذن...

المعلم: أنا لا أفهم كلامك.

ايفان: معك الحق يا أُستاذ، لأنك اعتدت أنْ تسمع شيئاً وتفهم شيئاً آخر وتملي علينا شيئاً ثالثاً.

المعلم: (بعصبية) ماذا تقصد؟.. إذا كان لديك توضيحٌ فقله، وإلاّ فلا تضيع وقت الدرس!

أحد الطلاب: أُستاذ... أُطرده... انه لايسمح لنا بمواصلة الدرس.

طالب آخر: أُستاذ... انه يريد بكلامه هذا أنْ يحرف أذهان الطلاب.

طالب آخر: أُستاذ... ان ايفان يتكلم كما لو يتكلم الرأسماليون.

ايفان: حسناً يا أُستاذ... سأوضح أكثر. هل تسمح لي بأنْ أقترب من اللوحة؟

المعلم: كلا، تكلّم من مكانك.. هيا.

ايفان: ليس مهماً... الكلام الصحيح يمكن بيانه من كل مكان.

أحد الطلاب: كفاك ما أطلقت من شعارات، وإلاّ ضربتك على رأسك...

ايفان: لا يمكن طمس الحقيقة بالقوة.

نفس الطالب: سأضربك، لترى هل يمكن أم لا ياسيد حقيقة!

المعلم: حافظ على هدوء الدرس يا ايفان.

ايفان: أنا لم أفعل شيئاً، وهؤلاء هم الذين خلقوا الفوضى. والآن لو سمحت لي فانني سأتكلم.

المعلم: هيا اسكتوا أيها الطلاب ـــ اسكتوا... حسناً تكلّم.

ايفان: في البداية أُريد أنْ أسألك ماالذي يؤدي الى ثورة في بلادنا؟

المعلم: ثورة؟ هل ترى ضرورة لحصول ثورة جديدة في بلادنا؟ اليوم تمر ٦٠ عاماً على ثورتنا، ولا توجد في مجتمعنا طبقية لتثور ضد طبقة أخرى.

ايفان: إذا لم تكن هناك طبقية كما تزعم، فإنَّ التفرقة مشهودة في مجتمعنا. وهذه التفرقة تؤدي الى حركة، و بالتالي ستشتعل الثورة.

المعلم: أية تفرقة؟

ايفان: التفرقة بين الأشخاص الذين يديرون ما يسمى بالحكومة العمالية، و بين الأشخاص الذين مازالوا عمالاً كالسابق. تفرقة بين حكّام الحزب و بين الذين لاينتمون الى الحزب.

المعلم: يبدو أنك ترغب في عودة الرأسمالية؟ أليس كذلك؟

أحد الطلاب: نعم يا أُستاذ... انهم يريدون إعادة الرأسمالية.

ايفان: انكم بدأتم تتهموني من جديد. أنا أريد أنْ أتحدث عن الأمر الذي يجب أنْ يحصل في يومٍ ما.

المعلم: (معصبية و بصوتٍ عالٍ) لن يحدث شيء هنا.

ايفان: إنَّ قيصر كان قبل ٦٠ عاماً يحمل نفس هذه التصورات (يضحك) ولكن أين هو اليوم؟

المعلم: هل تقارنني بقيصر؟ بقيصر الرأسمالي؟

ايفان: عفواً يا أُستاذ، ان قيصر كان اقطاعياً أكثر مما كان رأسمالياً.

المعلم: أنا غير مستعد لأُدرّس. سأذهب الى مكتب المدير. ويجب أن يضع المدير حدّاً لهذا الوضع.

ايفان: تفضل يا أُستاذ... فنحن نستطيع أن نتحدث فيما بيننا.

(المعلم يذهب، والفوضى تعم القاعة).

أحد الطلاب: (بأسف) هل تدري يا ايفان انهم سيرسلونك الى المصح العقلي إذا ماثبت جنونك.

ايفان: ماذا تقول؟

نفس الطالب: الى المصح العقلي.

طالب آخر: أيُّها الزملاء... هذا شخص مجنون (يضحك).

طالب آخر: ماذا؟ مجنون؟ (يضحك)

نفس الطالب: نعم مجنون، أيها الزملاء... والآن، واحد... اثنان... ثلاثة... (الجميع يغنون معاً) مجنون مجنون... ايفان مجنون، ايفان مجنون (ايفان يشعر بالرعب) آه... لا.. لا.. لا.. أنا لست مجنوناً، لست مجنوناً (يصرخ) ساعدني يارب... (الطلاب يختفون تحت المقاعد).

أحد الطلاب: (بصوت عالٍ من بين الشعارات) أسمعتم؟ قلت لكم انه مجنون، ألم تسمعوا انه قال ساعدني يارب؟ (يستهزئ بايفان) أيُّ ربٍ؟ أنت مجنون!

(ايفان يجيب باكياً) الله، الله.

أحد الطلاب: اهربوا أيها الزملاء... اهربوا... انه مجنون.

ايفان: الله، الله.

الطلاب: اهربوا، وإلا أتى الله وأكلكم... (الجميع يخرجون من حو المشهد، و يبقى ايفان يستنجد

بالله، وررو يدأ رو يدأ يسود الظلام أرجاء المشهد).

المشهد الثالث

(الوقت ليل. غرفة بائسة. توجد في الغرفة بعض الوسائل المعيشية القديمة: ايفان يصلي صلاته، ثم يتمدد على السرير. والده يجلس الى جانب السرير، و يسلم عليه. فانوس ضعيف يضيء الغرفة).

الأب: استرح يا بني، فصحتك ليست جيدة، ايفان، بنيَّ. أنت طالب مجتهد، فلماذا لم تقرأ درسك وتشاجرت مع المعلم والطلاب؟

ايفان: أي معلم يا أبتي؟ هؤلاء ليسوا سوى آلات يديرها الآخرون كما يشاءون. انهم يكررون علينا نفس الدروس، الى درجة انني حفظتها كلها، بل وأحلم بها في بعض الليالي.

الأب: (بشك) بماذا تحلم يا بني ايفان؟ أخشى أن يكون كلام مدير المدرسة صحيحاً، وتكون مريضاً؟ ماذا تقول؟

ايفان: وأنت يا أبتي لماذا تقول هذا الكلام؟ انهم يريدون ازالتي من طريقهم، انهم يريدون ارسالي الى (يتحدث مع نفسه) انني أرى كل شيء. هكذا تبدأ الأمور. في البداية يتهمون الشخص، ثم يرسلونه الى المصح.

الأب: ماذا أصابك يابني؟ (يتحدث مع نفسه) إلهي، ماذا حلّ بولدي؟

ايفان: (ينهض و يتحدث مع نفسه) انني تحررت من قيودهم.

الأب: ايفان!... ايفان!

ايفان: نعم يا أبتي؟

الأب: يقول مدير المدرسة انه مضطر لإرسالك الى المصح، لأن معلم التاريخ رفع له تقريراً عنك. لقد أخبرني ان الطبيب سيأتي يوم غد ليفحصك.

ايفان: ويحتمل أن لا تراني مساء غد.

الأب: كلا يابني، المسألة بسيطة.

ايفان: لماذا أنت بسيط بهذه الدرجة يا أبتي. أي فحص؟ أي طبيب؟ هذه مؤامرة. انهم يريدون أن يثبتوا بأنني مجنون. انهم يعتقلون من يعارضهم و يرسلونه الى

المصح بتهمة الجنون. ولا يدري بحال هؤلاء إلاّ الله.

الأب: كلاّ يابني.

ايفان: نعم يا أبتي. وأنت تعرف جيداً، لكنك تخاف. ألم تكن أنت نفسك ذاك الشخص الذي شارك مع جدي في الحروب، ألم تدفن قيصر بنفسك؟

الأب: يا إلهي... هذا الأمر يعود لسنين طويلة. ثم ان هؤلاء يتباينون مع قيصر. فهذه الحكومة هي حكومة عمالية.

ايفان: أية حكومة عمالية؟ أوَ لم يبعدوك الى معمل آخر بسبب اعتراضك عليهم؟ أوَلم تشهد بنفسك كيف أخذوا ماكسيم اوف الى المصح ولم يعد لليوم الى بيته؟

الأب: يكفي يا بني. فصحتك ليست على مايرام. نعم، أنت مصاب بالحمّى. (تتضرع) أرجوك يا ايفان، لا تتفوه في المدرسة بمثل هذه الأقوال. وماذا نستطيع أن نفعل لوحدنا؟ أنت بتصرفاتك هذه تريد أن تقضي على عائلتنا. علينا أن نؤدي فرائضنا الدينية. وطالما لم يفهموا...

ايفان: وماذا بعد...؟

الأب: أنت تعرف باننا غير قادرين على التدخل في شؤون الحكومة. نحن سنواصل تأدية الفرائض الدينية في مختلف الأحوال.

ايفان: الى متى تريد يا أبتي أن تصلّي في الخفاء؟ وإلى متى تريد التظاهر بأشياء لا تؤمن بها؟ والى متى تخاطب الذين يمتصون دمك بالرفاق الأعزاء؟

الأب: ايفان... بُنيّ (بحشرجة).

ايفان: لا... لا يا أبتي. أدعو الله ولكن ليس بصوت منخفض، بل بصوت عال... يا الله... يا الله.

الأب: (يتضرّع خائفاً) ايفان، اخفض صوتك... يا إلهي ساعدني (في الوقت الذي يضع يده على فم ايفان لخفض صوته) إلهي ارحمنا... أرجوك يا بني ان الجيران سيسمعوننا (يطفىء ضوء المشهد و يبقى الشخصان على حالهما).

المشهد الرابع

(غرفة مدير المدرسة. طالبان جالسان في الغرفة والمدير يواصل حديثه والغليون في فمه):

المدير: شكراً جزيلاً، نعم، نعم. سننظر في هذه المسألة بأسرع وقت. وانتما تعاونا مع المعلم واخبراني بما يحصل. والآن تستطيعان الذهاب. الطالبان يغادران الغرفة. المدير يمسك أحد الملفات، يردد اسم ايفان مع نفسه: ايفان عليوف. وفي هذه اللحظة يطرق ايفان الباب).

المدير: أُدخل.

ايفان: السلام عليكم.

المدير: تعال يا ايفان، اقترب مني... كيف حالك؟

ايفان: إن سألتني فأنا مرتاح.

المدير: ألست مريضاً؟

ايفان: ولماذا يجب أنْ أكون مريضاً؟

المدير: يقول معلم التاريخ و بعض المعلمين ان صحتك ليست على ما يرام في هذه الأيام. لقد اخبروني بأنك خلقت الفوضى أثناء الدرس.

ايفان: لم يكن حالي جيداً مثل اليوم يا سيادة المدير.

المدير: إنَّ الإنسان لا يكذّب أقوال معلمه.

ايفان: من يعرف حالي أكثر، أنا أم معلم التاريخ؟

المدير: كيف تنظر الى الصين يا ايفان؟

ايفان: وما هي علاقة هذا الموضوع بمرضي؟

المدير: بديهي ان جميع الأمور لها علاقة ببعضها. اعتقد انك تعلّمت مبدأ التأثير المتقابل للظواهر في الديالكتيك، أليس كذلك؟

ايفان: (يضحك) نعم، تعلمته. (سكوت).

المدير: حسناً، وكيف تنظر الى أميركا؟

ايفان: وهل تريد أنْ تقول بأنَّ أميركا ظهرت في عقلي كغدة سرطانية؟

المدير: أنا لا أمـــزح معك يا ايفان. إنَّ التحقيقات الأكاديمية التي قام بها أطباؤنا وصلت الى النتيجة التالية وهي أنَّ التصورات الغريبة تشكل مجالاً لأمراض كثيرة. مثلاً ان الأشخاص الذين يجهلون التناقض الأصلي و يلجأون الى التناقضات الفرعية يصابون بأمراض نفسية شديدة.

ايفان: أنا لا أفهم كلامك يا سيادة المدير.

المدير: مثلاً ان الاشخاص الذين ينسون بأن السبب الرئيسي للثورات يتمثل بالتناقض

الطبق، و يلجأون الى التصورات والأوهام، يصابون بمثل هذه الأمراض التي لايمكن معالجتها إلاّ في مستشفى الأمراض النفسية.

ايفان: (يضحك).

المدير: تضحك؟ (يضحك المعلم بدوره) في الواقع ان إحدى علائم الجنون هي الضحك من غير مبرر.

ايفان: ولكن ضحكي ليس بدون مبرر يا سيادة المدير.

المدير: إذن لماذا تضحك؟ هل تضحك عليّ؟

ايفان: أضحك على الجمهوريات الإشتراكية للاتحاد...

المدير: (يصيح) أُخرج يا ايفان؟

ايفان: كيف أخرج. هل يمكن الخروج من هذه الجدران؟

المدير: لو كنت مكانهم لألقيتك خارجاً لتذهب الى الغرب وتواصل حياتك في المستنقعات.

ايفان: إنَّ الحياة في المستنقعات تختلف عن الحياة الصعبة والمجردة من الحرية في هذه البلاد.

المدير: كفاك يا ايفان، والآن أُخرج، وسأستدعيك عندما يحضر الطبيب. (يخرج ايفان ثم يدخل مرة اخرى).

ايفان: مارأيك بحالي يا سيادة المدير؟

المدير: أنا لست طبيباً. أنا متخصص بشيء آخر.

ايفان: اعتقد ان الكثير من الأشخاص لهم تخصص في ارسال الآخرين الى المصحات العقلية.

المدير: اخرج يا ايفان... (يخرج ايفان).

المشهد الخامس

(ساحة المدرسة. الطلاب منهمكون باللعب. ايفان يقف في زاوية من الساحة).

أحد الطلاب: ايفان... ايفان...

ايفان: ماذا تريد؟

نفس الطالب: تعال هنا... حاول أنْ لايرانا أحد؟

ايفان: هل تخاف مني؟

نفس الطالب: لا، لكنني أخاف أنْ يشاهدوني معك. اسمع يا ايفان. لقد جاء الدكتور، وهناك سيارة اسعاف قرب الباب. أتصور أنهم جاؤوا ليأخذوك. لذلك من الأفضل أنْ تعتذر منهم عندما يدعونك للفحص. فعند ما أرادوا أن يفحصوني في المرة السابقة اعتذرت منهم، فقالوا لي إنَّ صحتك جيدة. نعم، قل لهم، انك لن تفعل شيئاً بعد اليوم.

ايفان: وما فائدة ذلك؟ ألست مسلماً؟

نفس الطالب: لِمَ لا؟ ولكن...

ايفان: الى متى يجب أنْ يكذب مسلمو هذه الديار؟ والى متى يجب أنْ نقبل كلام الآخرين؟

نفس الطالب: ليست هناك فائدة يا ايفان، انك تقضي على نفسك بنفسك.

ايفان: دعني، لأذهب.

نفس الطالب: أين؟ هل تهرب؟ انهم سيعثرون عليك اينما ذهبت. واذا هربت فسيقولون انك انسان خطر.

ايفان: أنا لاأستطيع أنْ اسكت، ولن أذهب الى المصحّ العقلي، لأنهم سيرزقوني هناك ماتمكنوا من الحقن الى أنْ أصبح مجنوناً، والآن، دعني أذهب...

نفس الطالب: لا يا ايفان، لا يا ايفان، لا تذهب. لا تخلق مشكلة لنفسك. (ايفان يمضي في طريقه) لا تذهب يا ايفان... لا تذهب... (يرفع صوته).

أحد الطلاب: (يصيح) أيها الزملاء... ها هو ايفان... ها هو يهرب... أُنظروا كيف يهرب... اقبضوا عليه...

المدير: (يظهر) لا تدعوه يهرب... لا تدعوه (الطلبة يمسكون بايفان).

المدير: خذوه الى سيارة الأسعاف... هيا اسرعوا... ايفان ينادي ربه... ياالله.. ياالله.. ●

ترجمة: ناظم شيرواني

تجديد المنهج العلمي والمعرفة العلمية

على يد علماء الاسلام

الدكتور محمد عبدالهادي أبوريدة/ الكويت

القسم الثاني

منهج البحث النظري:

أما عن منهج البحث النظري، فإنَّ القرآن ــ الى جانب ما تقدَّم ــ يريد من المفكر، بوجه عام، أن يمحِّص الرأيَ الذي يراه والحكمَ الذي يحكمه، وذلك لكي يبني رأيه وحكمه على أساس صحيح.

وقد نجد القرآن يخاطب أصحابَ الآراء الخاطئة أو المتناقضة بقوله لهم: «**فمالكم! كيف تحكمون!؟**» (س ١٠/يونس/ ٣٥) أو: «**أفلا تعقلون!**» (س٣/آل عمران/ ٦٥) وقد يقول عنهم: «**ساء ما يحكمون**» (س ٦/ الأنعام/١٣٦).

ثم إن «الكتاب الحكيم» يطالب المفكر بالتمييز بين الأشياء بحسب ما يصدر عنها من أفعال: «**أفَمَنْ يخلُق كمن لا يخلق، أفلا تذكرون!**». (س١٦/ النحل/١٧)، «**هذا خَلْقُ الله، فأروني ماذا خلق الذين من دونه، بل الظالمون في ضلال مبين**» (س ٣١/ لقمان/ ١١).

ويؤخذ من بعض الآيات أن القرآن ينبّه الى أن المنكرين للحق ينكصون عن المضي في سلوك طريق النظر والإستدلال، ويدخلون في الجدال على غير علم بالموضوع ولا منهج سليم ولا مرجع سابق محقَّق.

«أَلَمْ ترَوْا أن الله سخَّر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبَغ عليكم نِعَمَه ظاهرةً وباطنة؟ ومن الناسِ من يجادل في الله بغيرِ علم ولا هُدىً ولا كتاب منير» (س ٣١/ لقمان/٢٠)

فالشطر الأول من الآية يبين المقدمات الطبيعية التي تؤدي عند التفكير الى الإستدلال على وجود خالق للأشياء وتسخيرها لحياة الإنسان.

والشطر الثاني يشير الى الذين لا يستكملون التفكير، فيعمدون الى جدال على غير أساس.

ويجب أن نذكر أن القرآن ــ بحسب كلامه ــ قد جاء بالحق ليدحض به الباطل، وفيه حجاجٌ كثير جداً مع المخالفين للحق على تنوع أصنافهم، حجاج يعتمد على الواقع والمنطق، وهو بأساليبه المتنوعة قد غذّى طريقةَ الجدل عند المسلمين، ويستحق الدراسة، كما فعل الغزالي في «القِسْطاس المستقيم»، حيث استخلص من آيات «الكتاب الحكيم» جميع أشكال الأدلة القياسية المعروفة، وسماها هو «الموازين».

وقد كان اختيارُ أبي حامد لهذه التسمية مستنداً الى فهم خاص له في معنى «الميزان» المقرون الى «الكتاب» في قوله تعالى: «لقد أرسلْنا رُسُلَنا بالبيِّنات، وأنزلنا معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ الناس بالقسط...» (س ٥٧/ الحديد /٢٥).

فعند الغزالي أن «الميزان» هو «ميزان الآراء»، اعتقاداً منه، وبحق، أن الوحي الإلهي الكامل لابد أن يشتمل في داخله على «ميزان» لتمييز الحق من الباطل.

ونحن نعتقد ــ بالإضافة الى مايقوله الإمام الكبير ــ أن ميزان الآراء، بحسب القرآن، هو منهجه التجريبي العقلي الإستدلالي الذي أشرنا اليه من قبل، شريطةَ استعمال العقل استعمالاً صحيحاً بعيداً عن الجمود والتقليد والظن والهوى، وعلى أساس مفهومات واضحة وسير الفكر على قوانينه الصحيحة، من غير اعتماد الإنسان إلاَّ على عقله.

ويجب أن نشير هنا الى أن الغزالي كان هو الذي قاد الثورة على متابعة آراء الغير أو مايسمى «حُجَّة» الغير((Authority)) وهو الذي وضع طريقة الشك المنهجي قبل ديكارت بقرون.

فهو في آخر كتابه «ميزان العمل»، وبعد كلامه عن اختلاف الناس في مفهوم «المذهب» ودعوته الى الاستقلال في النظريقول:

«فَجَانِب الإلتفاتَ الى المذاهب، واطلبْ الحقَّ بطريقة النظر، لتكون صاحبَ مذهب، ولا تكن في صورة أعمى، قائداً يرشدك الى طريق، وحواليك ألفٌ مثل قائدك ينادون عليك: بأنه أهلكك وأظلك عن سواء السبيل.... فلا خلاصَ إلاَّ في الاستقلال... ولولم يكن في مجاري هذه الكلمات إلا ما يُشَكِّكُكَ في اعتقادك الموروث لتَنْتَدِبَ للطلب فناهيك به نفعاً، إذ الشكوك هي الموصلة الى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر

بقي في العمى والضلال...».

وفي ضوء شعور المفكر المسلم بضرورة المنهج الصحيح يقول الغزالي في كتابه «مِحَك النظر» منبّها الى الأخطاء التي يقع فيها المشتغلون بالأبحاث النظرية، وهو كلام نستطيع أن نستخلص منه طريق الاستدلال الصحيح:

«إن الأغاليط في النظريات كلّها ثارت من إهمال الجليّات والتسامح فيها. ولو أخذت الجَلِيياتُ وحُرِّرَت ثم تطرق منها (الناظر) إلى ما بعدها تدريجاً، حتى لا يخفى، قليلاً، قليلاً، فيتضح الشيء بما قبله على القرب، لطاحت المغالطاتُ. ولكن عادةَ الهجومُ على غَمْرة الإشكال وطلب الأمر الخفي البعيد عن الأوائل الجَلِيَّة، بعد أن تخللت بينه وبين الأوائل درجاتٌ كثيرة، فلا تمتد شهادة الجَليّ ولا يقوي الذهن على الترقي في المراقي الكثيرة دفعةً، فتزلّ الأقدام وتَعتاص المطالب وتنحط العقول ولذلك ضل أكثرُ النظّار وأضلوا، إلا عصابة الحق الذين هداهم الله تعالى بنوره وأرشدهم الى طريقه» («محك النظر» في المنطق للغزالي)

ومن الواضح أن تأكيد القرآن لقيمة العلم الحق هو الذي جعل المفكر والعالم المسلم يتحرى العلمَ الصحيح وينشد فيه اليقين.

لغة الفكر في القرآن:

إذا كان «الكتابُ الحكيم» قد وضع الإنسان بما له من ملكات التفكير والمعرفة أمام الكون لكي يدرسَه ويعرفَ ما فيه ويجعله نقطةَ بداية لاستدلال علمي ــ فلسفي، ثم ليستخدم الأشياء بعد معرفة طبائعها وقوانينها، فإنّه أيضاً أمدَّ الفكر بألفاظ أساسية تستعمل في المعرفة وموضوعاتها بوجه عام.

ونحن عندما نتأمل آيات القرآن نجد فيها كثيراً من الألفاظ التي صارت مصطلحات مستعملة في وصف عمل العقل ومواقف المفكرين وفي العلوم النظرية والعملية والكونية والإنسانية، وكثيرٌ من مصطلحات هذه العلوم موجود في القرآن، إمّا من حيث الجذور أو الصيغة، ولغةُ القرآن هنا جديرةُ بدراسة خاصة.

ولنذكر بعض الألفاظ والعبارات، مع شيء من التصنيف: حقّ، يُحِقُّ الحَقَّ، **«بل نقذِف بالحق على الباطل فيدمغُه، فإذا هو زاهق»** (س ٢١/ الأنبياء/ ١٨).

بَطَلَ، باطل، مُبْطِل/ عِلْم، حَقّ: في مقابل الظن، عالِم/ حُكْم، حِكمَة، حكيم/ ذكر، تَذْكرة، ذكرى/ بُرهان، بيِّنة، سلطان/ حُجّة، حاجَّ يُحَاجُّ، حجةٌ بالغة، حجة داحضة/ آية، فُرقان، بيان، بلاغ/ ظن، زعم، خَرْص، هوى/ هدى، اهتدى، مهتدٍ/ ضلال، ضلال مبين/ يقين، موقن، مُسْتَيْقِن، **«وجَحدوابها واستيقنتها أنفسُهم...»** (س ٢٧/ النمل/ ١٤) شك، ريب، مريب/ جَدَل، جدال، مِراء، محاورة/ عمل، يعمل، قَلْب، فؤاد (بمعنى العمل/ فِكر،

يفكّر/ صدر، «شرح الصدر» / بصيرة، بصائر/ نطق، ينطق، مَنطِق، **«وما ينطق عن الهوى.»** (س/٥٣/ النجم / ٣)، **«هذا كتابُنا ينطق عليكم بالحق»** (س ٤٥/ الجاثية/ ٢٩) / روح، نفس/ خلْق، (بمعنى هيئة الشيء أوطبيعته)، هيئة، صُنع/ قَدَر، مقدار، تقدير/ حسب، حاسِب، حساب، حُسْبان/ وقت، أجَل، ميقات/ حين، دهر، سرمد/ جمال، حُسن/ **«... خلَق فسوّى»** (س٨٧/ الأعلى /٢) **«الذي خَلَقكَ فسوّاك فعدلك، في أي صورةٍ ما شاء ركبك»** (س٨٢/ الانفطار/٧، ٨).

هذا بالإضافة الى كثير جداً من أسماء الأشياء الطبيعية في الأرض والجووالسماء،وأسماء أمور وراء ذلك ، وأسماء الحواس وأنواع الإحساس والإدراك الظاهر والباطن وقوى النفس وأحوالها، والألفاظ الخاصة بالأمور الروحانية والأخلاقية والفنية والجمالية، وألفاظ الأمور الأجتماعية والتاريخية ومسائل العمران والحضارة وتغيرها والدول و بقائها وزوالها....

وكل هذه الألفاظ والعبارات لا ترد عارضةً في سياق قصة أوخبر فحسب، بل في سياق الكلام في الحق والعلم والمعرفة والبحث والنظر أيضاً، لأن القرآن جاء يبين ويعلم و يجادل ويتحدى.....

ومن يدرس ألفاظَ القرآن، ويقرأ كتب العلوم والفلسفة عند المسلمين، يتجلى له أن القرآن كما فتح أمام العقل أبوابَ التفكير والمعرفة، قدّم له أيضاً لغة الفكر والمعرفة.

لقد كان غرضنا من التفصيل في كل ما تقدّم أن نبين لشاننا المتوثب الذي يُحِب الاسلام وإحياء روحه أن: الأسلام في حقيقته عِلْمٌ، وهو لم يَعِش ولم يَنْهض إلا بالعلم، ولا يمكن أن يبقى إلا بعلمائه، والقرآنُ هوالذي وفّر للمفكر المسلم كلَّ شروط التفكير العلمي والفلسفي.

ومنذ بدايات البحث العقلي في الإسلام، بدأ مفكروه يستفيدونَ من القرآن في آرائهم ويفهمونه بحسب المعرفة العلمية في عصورهم.

ثم جاء المفسّرون في عصور التقدم العلمي ـــ الفلسفي، وصاروا يفسّرون آيات القرآن بآيات العلم الصحيح في نظرهم.

وإذا كان العمل بالشريعة من جهة قد اقتضى الإلمام بعلوم عديدة من الفلك والرياضيات، فإنّ اثبات عقائد الإسلام في مواجهات المذاهب الأخرى أدى من جهة أخرى الى علم وفلسفة، كما رأينا.

ونحن عندما ننظر في مؤلفات علماء الإسلام المتخصصين ـــ على اختلاف ميادينهم ـــ نلاحظ أنهم خصوصاً في أوائل مصنفاتهم في العلوم الطبيعية على مستوى الكون (علم الفلك والهيئة) وعند البحث في عالم الأحياء (النبات والحيوان) وفي العلوم الاجتماعية (التاريخ والجغرافية) وفي غير ذلك، نلاحظ أنهم قد اتخذوا من آيات «الكتاب الحكيم» أصُولاً للنظرة أو

حافزاً وشعاراً وأفكاراً هادية لهم في بحثهم، وسيظل هذا المنهج متّبعاً بحكم طبيعة الدين الإسلامي نفسه.

وكل ما في الأمر أننا يجب أن نتفطن إلى أن القرآن، وإن كان قد اشتمل على أصول مطلقة في البحث والمعرفة، فإننا يجب ألّا نتحفظ في وضع نظريات منه وأن نتعمق في الدرس حين نزداد علماً بصنع الله وإيماناً بوجوده وقدرته وحكمته ونزداد قدرة على استعمال الطبيعة في السماء والأرض كما سخّرها الله لنا.

تدرُّج الاهتمام العلمي في الإسلام، ومكان العلم في سياسة الدولة، وتطور أهداف البحث العلمي

بدأ التفكيرُ والبحث بين العرب مع اليقظة الفكرية التي ظهرت مع نزول القرآن وتعليمه. وأنواع الأسئلة التي وُجِّهت للرسول عليه الصلاة والسلام موجودةٌ في القرآن والحديث. وقد استمر البحثُ والتفكير حول بعض المفهومات الدينية والمسائل الإنسانية خصوصاً حول حرية الإرادة والإختيار، ثم حول مسائل التوحيد مما كان تمهيداً لحركة كبرى ظهرت بعد ذلك.

على أنه ربما كان أول اهتمام علمي عند العرب بعد الاسلام اهتماماً شخصياً وطموحاً فردياً. وهذا ما نجده عند الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥ هـ) الذي استحضر علماء من مصر وبلاد الدولة الرومانية ليترجموا له كتب الحكمة و «الصنعة»، أي الكيمياء بمعناها القديم. وكان هذا الامير الطموح يسمى «حكيم آل مروان» أو «حكيم بني أمية».

بعد هذا بدأت عنايةُ الدولة، شعوراً منها بحاجة الشعب، لأن رئيس الدولة يعتبر، بحسب الأسلام، راعياً للأمة مسؤولاً أمام الله عن رعايته لها. فنجد عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ / ٧٠٧م) يأمر بترجمة «كناشي» أي «مجموع» في الطب.

ثم يأتي الخليفة المنصور العباسي (ت١٥٨/ ٧٧٥م) فيبدأ الاهتمام بشيء من العلم والحكمة، ويترجم عبدالله بن المقفع للخليفة المنصور بعض المنطق إلى جانب الاهتمام بالحكمة العملية، كما نراها في ترجمة ابن المقفع للحكمة الهندية كما نجدها في كتاب «كليلة ودمنة».

ثم يمرض الخليفةُ المنصور عام١٤٨هـ ويُسْتَدعى له طبيبٌ من أطباء جنديشابور، حيث كان معهد الدراسات الفلسفية والطبية الذي أنشأه قبل ذلك بكثير كسرى أنوشروان، وبقي على نشاطه في ظل الاسلام. وذلك الطبيب هو جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع. فبعد أن عالج الخليفة وتم الشفاء على يديه، أمره الخليفة بترجمة كتب الطب خدمةً للأمة.

ومنذ ذلك الحين بدأت الترجمةُ على نطاق يزداد اتساعاً ويتدرج من الاهتمام بالعلوم العملية من طب وفلك ورياضيات وهندسة (هذه منذ أيام المنصور حيث ترجم كتاب «الأصول» لاقليدس، والغالب أن ذلك كان لأغراض عملية كالمباني، الى جانب فائدة علم

الهندسة في تدريب الفكر. ثم ظهر الاهتمام بالعلوم النظرية متدرجاً من العناية بدراسة الطبيعة والرياضيات الى أمور النفس وما بعد الطبيعة، وتتكامل المعرفة العملية والنظرية في دروة أولى شامخة عند الكندي أول علماء الاسلام وفلاسفته (ت حوالي ٢٥٢هـ)، حيث يصبح العلم في ذاته والحق في ذاته هدفاً رفيعاً.

وكان إهتمام المسلمين بالعلم والمعرفة وتقديرهم لكل حامل لها مما دعاهم الى طلب المعرفة من جميع مظانّها (الهندية والفارسية... خصوصاً اليونانية) والى احترام كل قادر على نقلها اليهم دون تمييز، فكان من المترجمين يهود ونصارى ومجوس ووثنيون...

وأكبر رعاية للعلم جاءت من الخلفاء المستنيرين لما تحت يدهم من امكانيات، كالمأمون والمعتصم، فقد انشأ المأمون «بيت الحكمة» لمن يريد العكوف على العلم، ثم إنه لما انتصر على الروم عام ٢١٥هـ / ٨٣٠م طلب من ملكهم أن يرسل اليه كتب العلوم القديمة المخزونة في بلاده عوضاً عن الغرامة التي فرضها عليه.

وبرواج الحركة العلمية والفلسفية وبدء الاحتكاك بين الاسلام ومبادئه وبين علوم الأمم الأجنبية، ظهرت العلوم الاسلامية وتأسست مناهجها وموضوعاتها، من شرعية وعقلية، وبعد الدرس والنقد ظهر الابداع متنوعاً على يد الكثيرين، ثم لم يلبث أن صارت للعلم الى جانب فوائده العلمية أهميةٌ وقيمة عقلية نظرية هي عنوان كمال الإنسان الذي منحه الله العقل، كما نرى ذلك عند جميع علماء الاسلام وفلاسفته.

ولم يَزَلْ خلفاء الإسلام وسلاطينه وجميع أمرائه وحكامه يشجعون العلم مستمدين ذلك من روح دينهم، فيرعون العلماء ويحيطون أنفسهم بهم، ويضعون لهم مشروعات العمل العلمي الفلسفي، مما لا يتسع المقام لتفصيله هنا، وربما يأتي شيءٌ من ذكره في كلامنا عن بعض علماء الاسلام.

وقد عاش العلمُ الاسلامي، بل هو ازدهر أحياناً، رغم الانحلال السياسي. ويمكن القول إن العلم الاسلامي في عصور ازدهاره كان وحده يملأ القرون المتتابعة، من القرن التاسع الى الرابع بل الخامس عشر للميلاد، ويستطيع مؤرخ العلم في شتى ميادينه أن يجعل من أعلام علماء الإسلام عناوين لعصور العلم وقرونه المتتالية، كما فعل سارتون G. Sarton بحق في تأريخه للعلم.

واذا كان العلم في الاسلام قد ركد مع ركود حضارته وبتأثير ظروف داخلية وخارجية لايتسع المقام لذكرها، فإنّ العلم الاسلامي والحضارة الاسلامية لم يموتا، بل بقيت الشعلة الى أن بدأت النهضات العلمية الحديثة، فوجدت روحاً للعلم وأساساً في الإنسان المسلم نفسه والحياة الإسلامية نفسها.

نماذج للإبداع العلمي في المجال والمنهج عند بعض العلماء

في هذا القسم من البحث لا ندخل في تفاصيل العبقرية العلمية أو المسائل والمكتشفات والإضافات الخاصة بكل واحد من العلماء الذين سنتكلم عنهم، ونترك ذلك للمتخصصين بحسب أغراضهم من أبحاثهم، ونهتم خصوصاً بالاشارة الى اهتمام العالم بمجال جديد أو بنهجه في البحث والتأليف أو روحه كعالم، ونُبرز شخصيته وخُلُقه واهتمامه بالحقيقة. وقد يكون في ثنايا ذلك عباراتٌ له عَظيمة الدلالة، لكن قد يعمرها العرضُ المفصل لمذهبه. ونحن إنما نذكر ما نذكره هنا ليكون موضوعَ تأمل أمامَ من يريد إحياء الإبداع العلمي من حيث الروح والمنهج، ايقاظاً للوعي الإبداعي عند شبابنا.

وطبيعي أن يكون كلامُنا موجزاً، لكننا سنأخذ بقدر الامكان من كلام العالم نفسه في كتبه.

ويجب أن نُنَبِّه الى أن علماء الاسلام جميعاً في عصر الازدهار الكلاسيكي للعلم الاسلامي كانوا فلاسفةً يمثلون وحدة المعرفة، لكن كُلاً منهم تخصص في ميدان من ميادين العلم. ثم إنهم كانوا في الغالب متدينين يشتغلون بالعلم الطبيعي مثلاً ويرون في الطبيعة مظاهر صنع الخالق ودلائل حكمته أو يشتغلون بالعلم خدمة للانسان أوطلباً للحقيقة وحدها.

ونبتدئ بنص ممتاز لمحمد بن موسى الخوارزمي الذي سنتكلم عنه، أخذناه من مقدمة كتابه: «الجبر والمقابلة».

يلاحظ الخوارزمي، بنظرة تمييز ثاقبة، أن المصنِّفين للكتب في العلم والحكمة، على مر العصور، «إمّا رجلٌ سبق إلى ما لم يكن مستخرَجاً قبلَه فورَّثه من بعده» ـــ يعني بذلك المبتكرَ الكاشف لمعرفة جديدة، «وإما رجلٌ شرح مما أبقى الأولون ما كان مستغلقاً، فأوضح طريقه وسهّل مسلكه وقرّب مأخذَه» ـــ والمقصود هو شارحُ التراث للمحصِّلين، «وإمّا رجلٌ وجد في بعض الكتب خلَلاً فلمَّ شعثَه وأقام أوَدَه وأحسنَ الظن بصاحبه، غير رادٍّ عليه ولا مفتخر بذلك... .» ـــ وهذا هو من يصحّح المعرفةَ ويحترم اجتهاد السابقين في نُبل العالم وتواضعه.

وانه ليحق لقارئ كلام الخوارزمي أن يرى فيه أيضاً إدراكاً لحاجات عصره وتصنيفاً للعلماء وما يكتبونه ومعياراً نرى في ضوئه علماءَ الاسلام وجهودَهم. ونحن عند التأمل والفحص نجد أنهم، من موقعهم في تاريخ العلم، يمثلون كل هذه الملامح، ومنهم من يمثلها جميعاً في وقت واحد مثل الكندي وابن الهيثم والبيروني وغيرهم.

جابر بن حيّان

أبوموسى جابر بن حيّان بن عبدالله الكوفي الصوفي، عاش بين حوالي ١٢٠ـــ٢٠٠ هـ. ق ودلّت الدراسات الحديثة ـــ بعد تشكك في مؤلفاته وحتى في وجوده ـــ على أنه فيلسوفٌ وعالمٌ

حعل من الكيمياء القديمة مما كان فيها من عناصر خرافية علماً له أسسه الفلسفية النظرية وله طرقه العلمية التجريبية (F. Sezgin: Gesch d. Arabischen Schrifthums, Bd. VII.)

فمن الناحية النظرية كان جابر يرى أن الأجسام كلها ترجع الى أصول واحدة ولها طبائعها وميزاتها. والاختلاف بينها يرجع الى النِسَب والمقادير في تركيبها من تلك الأصول. وعلى هذا فإن طموح جابر بلغ به الى حد القول «إن في قوة الانسان أن يعمل عمل الطبيعة»، بشرط الدُرْبة الكافية. وهو يقول «الدُرْبَة تُخْرج ذلك، فمن كان دَرِباً كان عالماً حقاً ومن لم يكن دَرِباً لم يكن عالماً، وحسبك بالدُرْبة في جميع الصنائع. إنّ الصانع الدَرِب يحذق وغير الدرب يعطل» («رسائل جابر» القاهرة ١٩٣٤ ص ٤٦٣، ٤٦٤)

أما من الناحية العلمية التجريبية، فإنّ جابراً أقام دراسته على مايسميه «العمل والتجربة» أو «الاختبار» أو «التدبير»....

وقد نجد أركانَ منهجه التجريبي في قوله عن شيء صنعه: «قد عملتُه بيدي و بعقلي من قبل، وبحثتُ عنه حتى صحّ، وامتحنته فما كذب». (رسائل ص ٣٢٢).

فأركان المنهج هي:

١) تصور يكوّنه العقلُ من دراسة الطبيعة ومن قراءة الكتب. (رسائل ص٥٤٦ــ٥٤٧)

٢) تنفيذ عملي للفكرة في عالم الواقع.

٣) تمحيص الفكرة ونتيجة البحث في عالم الواقع أيضاً.

على أن جابر قد تنبه الى مشكلة علمية وفلسفية عُولجت في العصر الحديث، وهي تتعلق بقيمة معارفنا بوقائع الطبيعة وقوانينها، وهل هي مثلاً أزلية أبدية؟ وما هو أساس ثقتنا في مجرى حوادث الطبيعة التي نراها مطردة منتظمة؟ إجابة جابر تدخل في سياق مناقشة طرق الاستدلال في مجال ظواهر الطبيعة، خصوصاً طريقة الاستدلال من المجرى العادي، فنحن نشاهد الأحداث والظواهر في الطبيعة تتكرر بانتظام و ينطبع ذلك في نفوسنا فنعود على توقعه ونثق في نظام الأشياء، لكن ذلك ليس فيه يقين، لأن معرفتنا محدودة في الزمان والمكان، و يجوز أنه كان للطبيعة من قبل أو أن يكون لها من بعد نظام آخر ومجرى آخر. وكلام جابر في هذا الموضوع جدير بالدراسة والمقارنة مع آراء علماء وفلاسفة في عصرنا الحديث مثل John Stuart Mill, Hume. وكان جابر في ثنايا كلامه يرد على الدهرية الذين ينكرون وجود الله و يقولون بقدم الزمان والنوع البشري. وليرجع الدارس المهتم الى رسائله ص ٤١٤ وما بعدها.

الخوارزمي

أبو عبدالله محمد بن موسى الخوارزمي، نبغ خصوصاً في عصر المأمون (بين ١٩٨ —

٢١٨ هـ)، ثم عاش بعد ذلك وتوفي بعد عام ٢٣٢ هـ/٨٤٦م.

ولا نكاد نعرف من أخبار حياته ــ كغيره من الذين وهبوا حياتهم للعلم ــ إلاّ ما قام به من أعمال علمية، كالتي أسندها إليه المأمون، مما هيأ له مساهمات في الجغرافيا والفلك، من ذلك تكليفه بالاشتراك في اللجنة التي ألفها الخليفة لقياس محيط الأرض و بتلخيص كتاب «السند هند» و بإصلاح زيج بطليموس.

ولا حاجة بنا الى تكرار القول بأنَّ الخوارزمي هو الذي جعل كُلاًّ من علم الجبر ــ الى جانب علم الحساب ــ علماً منظَّما، له أقسامُه وموضوعاتُه، وله قواعده النظرية والعملية الثابتة، ومعه طريقةُ تعليمه و بيانُ بعض مسائله المعضلة، و بذلك كله أعطى علمَ الجبر صورتَه العلمية فضلاً عن اعطائه التسميةَ المبتكرة المميَّزة التي صارت تسمية عالمية (Algebra).

و إذا كان موضوع بحث هذا المؤتمر هو «العلم في سياسة الدولة الإسلامية»، فإنه يحسن أن نذكر ما يقوله الخوارزمي من أن المأمون هو الذي شجعه على تأليف كتابه ليكون «كتاباً مختصراً حاصراً للطيف الحساب وحليله، لما يلزم الناس من الحاجة اليه في مواريثهم ووصاياهم وفي مقاسماتهم وأحكامهم و تجاراتهم وفي جميع مايتعاملون به بينهم من مساحة الأرضين وكَري الأنهار والهندسة وغيرذلك من وجوهه وفنونه».

والواقع أن الغايات العملية كانت هي الباعث على تأليف الكتاب، لكن ذلك لا يتحقق الا بعد علم نظري، وخصوصاً الرياضي. ومن هنا اشتمل كتاب «الجبر والمقابلة» على قسم أول نظري فيه شرحُ المفهومات والعمليات والمسائل و بيان الأمثلة، وقسم ثان عملي خاص بالمعاملات والمساحة والمواريث والوصايا والعتق. وهنا نجد الخوارزمي يضع مسائلَ تحتاج الى معرفة بالفقه من شتى الوجوه، فيعرضها ويقدم الحلول لها، و بذلك خدم الدين والحياة.

وأسلوبُ الكتاب علميٌّ محكَم بحسب عصره، ثم جاء الأستاذ المرحوم علي مشرفة وتلميذه محمد مرسي أحمد، فنشرا الكتاب وعرضا مسائله على الطريقة الحديثة.

كان الخوارزمي مبتكراً في الرياضيات. أما روحه كعالم فنجدها في مقدمة كتابه، حيث يشير الى ما يعانيه من يدرس ويفهم ويريد أن يُبْدِع، وهو يشير الى عناء العلماء في تأليف الكتب وما يحملونه على أنفسهم من المشقة «في كشف أسرار العلم وغامضه»، لكن عناءهم يصغر بجانب ما يشعرون به من الرضا لأنهم كما يقول ــ يكتبون الكتب «ذخراً لمن بعدهم» ــ أي خدمةً للأجيال التالية «واحتساباً للأجر»، يعني لنيل الجزاء من الله بعد هذه الدنيا، ورجاءَ أن يبقى لهم لاشتغالهم بالعلم ونشره للناس ذخرٌ ولسانُ صدق.

ومع كل ما يتجشمه العالم من العناء في كشف المعرفة واصلاحها فانه يحترم جهود السابقين ولا يزهو ولا يفتخر بما يفعله.

بهذه الروح وهذا الأمل كان الخوارزمي يؤلف كتبه، فعلّم الانسانية الحساب والجبر،

وخلّد اسمه في التاريخ.

الكندي

أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي، نبغ خصوصاً في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وتوفي حوالي ٢٥٢ هـ. اشتهر بالتبحُّر في فنون الحكمة اليونانية والهندية والفارسية، مؤسس العلم والفلسفة في الاسلام، أورث الانسانيةَ خلاصة علوم الأمم التي انتهت الى عصره.

كلّفه الخلفاءُ العباسيون بإصلاح الترجمات الى العربية، كما طلبوا منه تأليف بعض الكتب، فألف بعض كتبه وأهداها للمعتصم وابنه أحمد والى بعض أصدقائه ومعاصريه، وكانت دولة المعتصم «**تتجمّل**» بالكندي وتصانيفه.

يعرِّف الفلسفة ــ وهي عنده شاملة للمعرفة كلها ــ بأنها «علمُ الأشياء بحقائقها، بقدر طاقة الانسان». وعنده «أن أعلى الصناعات الانسانية منزلة واشرفَها مرتبة صناعةُ الفلسفة» التي بها كمال نوع الانسان.

وقد شعر بعظمة الحقيقة وأنها لم يُحِط بها أحد على الكمال، لكنه شعر بدوره في البحث عنها. ونحن قد قلنا إن الحق هو مدار القرآن ومنتهى غاية المؤمن، وذكرنا عند ذلك عبارة للكندي نوسّعها هنا وهي قوله: «ينبغي لنا أن لا نستحيَ من استحسان الحق... وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة لنا، فانه ليس أولى بطالب الحق من الحق. وليس ينبغي بخسُ الحق ولا تصغير بقائله ولا بالآتي به، ولا أحد يُبْخَس (يُبَخَّسُ) بالحق، بل كلٌّ يشرّفه الحق».

أما طريقة الكندي في نشر العلم والفلسفة فهو يقول إنه في جميع مؤلفاته يذكر آراء القدماء الصحيحة على أقصد السبل وأسهلها سلوكاً على المحصلين وإكمال ما لم يقولوا فيه قولاً تاماً، «على مجرى عادة [illegible] وسنة [illegible]»

وقد استطاع هذا الفيلسوف بفضل منهجه الطبيعي الرياضي المنطقي أن يثبت تناهيَ هذا العالم وحدوثه، وأن يثبت وجود الله ويثبت التوحيد ويُنشئ مذهباً فلسفياً اسلامياً حقيقياً، خالف فيه كثيراً من الفلاسفة [illegible]

وهو في زمانه [illegible] عقبة [illegible]، وذكر مثالاً واحداً على ذلك [illegible] «[illegible]». للاستاذ فؤاد سزكين، الرياض ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩م، ص ٩٨ــ٨٠).

ومنهجه [illegible] معنى، وعلى تمحيص مقدمات الاستدلال [illegible]، وذلك ليقطع الطريق على المشككين، [illegible] في موضوع النظر في العالَم والاستدلال منه (ويذكر النص [illegible])

إن في الظاهرات للحواس.... لأوضح الدلالة على تدبير مدبِّر أول... وعِلّةٍ لكل علة... لمن كانت حواسُّه الآلية موصولةً بأضواء عقله، وكان المُزَكّي عنده ـ في كل أمر شجر بينه وبين نفسه ـ العقلُ.... وإنَّ في نَظْم هذا العالم وترتيبه.... وإتقان هيئته على الأمر الأصلح في كون كل كائن.... لأعظمُ دِلالة على أتقن تدبير، ومع كل تدبير مدبر، وعلى أحكم حكمة ومع كل حكمة حكيم، لأن هذه جميعاً من المُضاف....»

يلاحظ أن منهجه حسي ـ عقلي ـ استدلالي.

وقد كان الكندي فيلسوفاً عالماً مؤمناً، دافع عن العلم والفلسفة بين المسلمين، وهو يرى أن الموضوعات الكبرى في الدين ـ وهي وجود الله ووحدانيته والخير والفضائل ـ هي أيضاً موضوعات الفلسفة، لكنه ميز بين العلوم النبوية التي هي تعليم إلهي مباشر موجز العبارة كثير الدلالة، وبين العلوم البشرية العادية التي تحتاج الى منهج وزمان، وعباراتها طويلة معقدة، وهي أكثر من معانيها (رسالته في كمية كتب أرسطو).

ثم إنه قد فهم الدين في ضوء المعرفة العلمية الفلسفية، ففسَّر مثلا سجودَ الأجرام السماوية والأشجار ونحوها بأنه رمز على أنها في نظام العالم تؤدي وظيفتها التي رسمتها لها قدرة الخالق المبدع، فهي ساجدة بالمعنى المجازي.

ابن الهيثم

أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم (٣٥٤ ـ ٤٣٢ هـ/ ٩٦٥ ـ ١٠٤١ م)، عالمٌ حقّ وفيلسوف حق، ترك لنا بخط يده احصاءاً لكتبه الكثيرة. كان مفكراً خامره الشكُّ في اعتقادات الناس، لكنه كان يؤمن «**بأنَّ الحقَّ واحدٌ وأن الإختلاف فيه إنما هو من جهة السلوك اليه**» فلما تهيأ لادراك الأمور العقلية انقطع الى طلب «**معدن الحق**» كما يقول، وأخذ يبحث عنه بين اختلافات الناس في المذاهب الدينية والفلسفية، وانتهى به البحث الى **أن أعظم خيرات الدين والدنيا تتلخص في أمرين: ايثار الحق وطلب العلم**، كما انتهى الى أن طريق الوصول الى الحق واليقين في المعرفة العلمية الفلسفية لايتسنى، على حد عبارته إلاّ من **آراء يكون عنصرها الأمور الحسية وصورها الأمور العقلية**» يقصد أنها تتألف مما تقدمه الحواس ويتولى العقل وضعه في مفهومات.

وكان هدف ابن الهيثم من معرفة الحق ثلاثة أمور:

١) إفادة من يطلب الحق ويؤثره.

٢) ارتياضه هو بالبحث، [illegible]

٣) [illegible]

[illegible]

[illegible]

والتطبيق، وترك لنا في علم البصريات أثراً خالداً هو كتاب **«المناظر»** الذي قلب علم الضوء القديم، فصار أثره في علم الضوء **«لا يقل خطورة عن أثر نيوتن في علم الميكانيكا»**، كما يقول الأستاذ **مصطفى نظيف** في كتابه العظيم: «الحسن بن الهيثم: بحوثه وكشوفه البصرية»، جزءان القاهرة، ١٩٤٢، ١٩٤٣.

وكان ابن الهيثم دائم التفكر في أبحاثه. فتطورت المعرفة عنده، وهو مثلاً يبيّنها في مقدمة كتاب **«المناظر»** الى مقالة كتبها قبل ذلك، سلك فيها طرقاً اقناعية، فلما وصل الى البراهين المحققة ألف كتاب «المناظر»، وهو يطلب من القارئ أن يصرف النظر عن تلك المقالة.

أما منهجه فقد كان على أساس الملاحظة والتجربة وتفسيرها بغية الوصول الى القانون، وكما أنه صنع بنفسه آلات للعمل العلمي، فانه كمهندس كان شديد الطموح حتى خطر له إمكان السيطرة على ماء النيل لكي يمكن الإستفادة من مياهه طول العام.

وهو في مقدمة كتاب «المناظر» بعد أن يُعْرِب عن شعوره بصعوبة الوصول الى الحقائق والمعارف اليقينية بسبب الحيرة والتباس الأمور، بحيث تفترق الآراء وتختلف النتائج، رأى في بحثه في الضوء والإبصار أن يهتم بالبحث **بغاية الامكان في اخلاص وعناية وتأمل حاد.**

وأساسيات منهجه موجودة في قوله: «ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال المُبْصَرات وتمييز خواص الجزئيات، ونلتقط بالاستقراء مايَخُص البصَرَ في حالة الإبصار وما هو مُطَّرِدٌ لا يتغير وظاهرٌ لايشتبه من كيفية الإحساس، ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب مع انتقاد المقدمات والتحفُّظ في النتائج، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفحه **استعمالَ العدل لا اتباع الهوى**، ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده **طلب الحق لا الميلَ مع الآراء».**

ويأمل ابن الهيثم أن ينتهي بهذا المنهج الى **«الحق الذي به يثلج الصدر»** ويصل بالتدريج والتلطف إلى **«الغاية التي عندها يقع اليقين»**. ويظفر مع النقد والتحفظ **«بالحقيقة التي يزول عندها الخلاف وتَنْحَسِمُ بها موادُّ الشبهات»**. ومع كل هذا الاجتهاد نجد تواضع العالم وشعوره بحدود الوسائل البشرية، لكنه يجتهد بحسب ما عنده من القدرة الانسانية، مؤمناً بالله ومستمداً منه العون.

أما منهج ابن الهيثم في نقد آراء غيره عن **اهتمام بالحق وخدمة للأجيال التالية فهو في** صدر كتابه: «الشكوك على بطلميوس» (تحقيق الأستاذ عبد الحميد صبرة، القاهرة ١٩٧١). هنا أيضاً نجد الشعور بصعوبة الوصول الى الحق [illegible] الخطأ في الشبهات، وما في طبع الناس من [illegible] معرضون بحثه.

وهكذا [illegible] ابن الهيثم [illegible] **صورة لصفات طالب الحق وواجباته، وهي أنه** لا [illegible]

رهان، وبهذا «يجعل نفسه خصماً لكل ما ينظر فيه». وهو أيضاً يتهم نفسه عند خصامه، فلا امل عليه ولا يتسامح في الحق. فهو اذا سلك هذه الطريقة انكشفت له الحقائق وظهر ماعساه في كلام من تقدمه من التقصير والشُبَه..».

على أن إبن الهيثم، إذ ينتقد الرياضي الفلكي اليوناني يعترف له بالفضل والتمكن في ياضيات وبما في كتبه من معرفة كثيرة الفائدة، لكنه لما نقدها، «وتحرّى إنصافَه وانصافَ ، منه وجد فيها مواضع مُشْبِهَة وتناقضاً»، لكنَّ ذلك يسير بالنسبة لما فيها من عناصر صحيحة.

وفي آخر هذا النص الرائع يعبر ابن الهيثم عن شعوره بواجب العالم نحو العلم وأهله من ده، فيقول: «فرأينا أن في الإمساك عنها (أخطاء بطليموس) هضماً للحق وتعدّياً عليه وظلماً ينظر بعدنا في كتبه، في سترنا ذلك عنه، ووجدنا أولى الأمور ذكرَ هذه المواضع واظهارَها لمن د من بعد ذلك في سدّ خَلَلِها وتصحيح معانيها بكل وجه يمكن أن يؤدي الى حقائقها».

وكان ابن الهيثم عالماً فيلسوفاً مؤمناً شاعراً بواجبه في مجال المعرفة الدينية. فله على سبيل ال «مقالة في ماتدعو اليه حاجة الأمور الشرعية من الأمور الهندسية، ولا يُسْتَغنى عنه بشيء ء».

وكان أيضاً مؤمناً بقيمة العلوم الفلسفية وأنها سَنَدٌ لأمور الدنيا والدين، فله رسالة بين ا «أن جميعَ الأمور الدنيوية والدينية هي نتاج العلوم الفلسفية». وفي رسالة «ثمرة الحكمة» بوبة اليه تعريفٌ للحكمة بأنها «علمُ كلِّ حق وَعَمل كل نافع» (مخطوطة رقم ١٦٠٤، مكتبة برولو ــ استانبول).

ولابن الهيثم تحليلٌ للجمال في المُبْصَرات، تناوله كعالم بصريات، لكن كرياضي ماً يدرك مسائلَ الشكل والحجم والتناسب. وكلامُه مفصّل في كتاب «المناظر» (ص ٣٠٧ ٣١٧)، وهو يحتاج الى دراسة خاصة ومقارنة و يتلخص رأيه في أن المبصرات فيها معان جزئية ، منها على انفراد «يفعل الحُسْنَ»، أي يجعل الشيء حَسناً، وهو يفعله أيضا مقترناً بغيره أو في سب مع غيره.

ثم إن إدراك الحسن عنده أمرٌ نَفْسِيٌّ لأنه يقول إن المعاني الجزئية «تفعل الحسن، أي في النفس استحسانَ الصورة المستحسنة».

و يفصل فيلسوفنا تلك المعاني الجزئية الكثيرة: من ضوء ولون و بُعد معين ووضع وتجسُّم شكل وحجم مناسب وحركة... وتشفيف وتماثل الأقسام (السمترية) وخصوصاً التناسب ائتلاف.

وكانت روح ابن الهيثم تشرئب الى تخيل الكون على حقيقته، ولا يطمئن الى التصورات مأثورة، وهو ينافس بعض التصورات، كما ذكر ذلك الفخر الرازي في «لباب الإشارات»

(إمكان القول بدوران القمر حول نفسه).

وله عبارات ذكرها البيهقي في كتابه «تتمة صوان الحكمة» (لاهور، ١٣٥١هـ):

«تَخَيَّلْنا أوضاعاً ملائمة للحركات السماوية، فلو تخيلنا أوضاعاً أخرى غيرها ملائمة لتلك الحركات لما كان من ذلك التخيل مانع، لأنه لم يقم البرهان على أنه لا يمكن أن يكون سوى تلك الأوضاع أوضاع أخرى ملائمة مناسبة لهذه الحركات».

ولا شك أن هذه الكلمات التي لفتت نظر البيهقي فذكرها جديرةٌ بالتأمل، لماتوحي به من أن تصورنا للعالم في نظر ابن الهيثم أمرٌ يحتمل وجوهاً عديدة، وكلامه يخالف التصور القديم للعالم وقوانينه.

كان ابن الهيثم زاهداً قنوعاً بعيداً عن ترف الحياة، يقتات طول العام من ثمن كتابين أو ثلاثة ينسخها و يبيعها، وظل على ذلك السنين الطوال. وكان يحب أن ينقطع الى النظر، لأنه كان يرى أن تَحَقُّقَ ذاته وحياته لايكون إلا في العلم، وكان يتمثل ببيتين من الشعر لوزير عالم هو علي بن عيسى، هما قوله:

رُبَّ مَـــيْـــتٍ قـــد صـــار بـــالـــعـــلـــم حـــيّـــاً
ومُـــبَـــقّـــىً قـــد مـــات جـــهـــلاً وغَـــيّـــاً
فـــاقـــتـــنـــوا الـــعـــلـــمَ كـــي تـــنـــالـــوا خـــلـــوداً
لا تَـــعُـــدُّوا الـــبـــقـــاءَ في الجـــهـــل شـــيّـــاً

البيروني

أبو الرَّيْحان محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢ ـــ ٤٤٠هـ)، عالم نادرة، يتبوأ مكاناً فريداً في عصره وفي تاريخ العلم الإسلامي كله. وصفه العلماء الذين درسوا كتبه بأنه صاحب حِسٍّ ناقد وميل الى الوضوح، وهو يتميز بروح النقد التي تميز بها مفكرو القرن التاسع عشر في أوروبا (مقدمة سخاو E. Sachau لكتابي البيروني: «الآثار الباقية» و «تحقيق ما للهند...»).

كان واسع العلم: جغرافياً وطبيعياً، وخصوصاً رياضياً فلكياً حاسباً. ولم يكن فيلسوفاً صاحب مذهب، لكن على جانب عظيم من الثقافة الفلسفية، نلمحها في إشاراته في كتبه الى مشكلات الفلسفة، مُلِمّ بعلوم الأمم وفلسفاتها ودياناتها والمقارنة بينها.

كان أول دلائل نبوغه كتابه «الآثار الباقية عن القرون الخالية» ألّفه ولما يبلغ بعد الثلاثين، وعرض فيه مناهج التأريخ والتقاويم الحسابية لمعظم الأمم ذات الحضارة في الشرق القديم بكل ما يتصل بذلك من وسائل فنية وتاريخية، وأهدى الكتاب لشمس المعالي الأمير قابوس بن وشمكير.

ثم إنه لا شك في أن طموحه العلمي هو الذي دفعه الى مصاحبة السلطان محمود الغزنوي في غزواته لبلاد الهند، وهناك أقام عشرات السنين، يدرس علوم الهند وأديانهم و يتعلم اللغة

السنسكريتية و يترجم عنها، وكانت ثمرة ذلك كتاباً سماه «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة». فالبيروني هو مصوِّر حياة الهند وفكرهم تصويراً علمياً دقيقاً كان أهم «ما أنتجه علماء الاسلام في ميدان معرفة الأمم» (بروكلمان، ج ١ ص ٤٧٥).

وقد بلغ طموح أبي الريحان الى منافسة بطليموس، فألف «القانون المسعودي في الهيئة والتنجيم»، وفيه عالج كل نواحي الفلك على نحو بسيط وجديد.

أما شأن البيروني كعالم فهو يرجع الى منهجه وروحه العلمية بقدر ما يرجع الى سعة علمه وتمحيص مادة البحث، مُتَّزن في حكمه. يتميّز «بالوقوف بين التفريط والإفراط» (آثار ص ٣٨)، و يتحدث عن الأسباب المُرْدِيَة في مهاوي الحكم الخاطىء كالعصبية (آثار ص ٤، ص ٥١ ــ ٥٢، ص ٦٦ ــ ٦٧)، و يبين مزالّ أقدام الباحثين مثل العادة المألوفة أو العصبية المستحكمة أو التغالب بالرئاسة.

وفي نظرته للتاريخ نجده معتدلاً محتاطاً، لاحظ ما في الأخبار المنقولة عن بدء الخليقة وأحوال الأمم الغابرة من أساطير وخرافات، لكنه لا يرفض الأمر لمجرد غرابته بالنسبة لما نشاهده في عصرنا، لأن الحوادث العظيمة لا تحصل في كل وقت، كما يقول. ومن ذلك الخبر يتحدث عن شيء في حدود الإمكان فإن خبر نفس لا تشهد ببطلانه شواهد أخرى (آثار ص ٤ ــ ٥، ص ١٤، ص ١١٧).

وهو في نظرته للأمور الطبيعية يفرق بين الطبيعة والصنعة، فلا يقبل مبالغة تحكي من أن الماء في مدينة من مدن اليهود كان يقف يوم السبت فلا يجري حتى ينقضي اليوم. و يقول إن هذا لا أساس له «في الطبيعيات لأن مداره على الأيام، وهي واحدة» (آثار ص ٧٩، ص ٨٢، ص ٢٨٤).

أما ما يشاهد من فعل الرقى والتميمة على الحيوان بالتعويذ فهو في نظر البيروني مجرد تعويذ وتدريج (تحقيق ما للهند ص ٩٥ ــ ٩٦) والبيروني يرفض عموم الخرافة وكل المعتقدات الوهمية في أمور الدين، ولا يقبل الا ما هو معقول وقائم على برهان تطمئن اليه النفس. والعلم اليقيني عنده هو الذي يحصل من احساسات يؤلف بينها العقل على نمط منطقي (آثار ص ٦٤ ــ ٦٥، ص ٦٨، ١٩٦، ص ٢٩٧، تحقيق ما للهند ص ٣٥)

وقد جاء في كلام المترجمين للبيروني أنه كان مُكِبّاً على تحصيل العلوم والتصنيف فيها، «لا تكاد تفارق يده القلم وعينه النظر وقلبه الفكر، إلا في يومي النيروز والمهرجان من السنة، لإعداد ما تمس اليه الحاجة في المعاش». وكان يرى أن الانسان يُحِسُّ للصدق ولمعرفة الحقيقة لذةً الى جانب الاعتقاد بها (تحقيق ص ٣). وهو يقول في أول كتابه «في استيعاب الوجوه الممكنة في صنعة الاسطرلاب»: الأنفس الصافية ذواتُ نُزوع واشتياق الى تصور الموجودات والإحاطة بها بإطلاق، فلذلك تنبعث لما يريدها روحاً وبهاءً وتنبعث لما يكسبها صفاءً وبهاءً

(مخطوط ليدن).

عاش البيروني للعلم لا يريد على تأليفه أجراً. فرد المال الذي بعث به إليه السلطان مسعود، معتذراً بأنه مستغن عنه، ولما أراد شمس المعالي قابوس أن يستخلصه لنفسه، و يرتبطه في داره و يسلم إليه الأمور والنهي في كل شيء فيها، ولكنه أبى. وكان الأمير من إجلاله لأبي الريحان لا يستدعيه بل يذهب إليه، احتراماً لعلمه.

وظل العالم الجليل مترفعاً بالعلم يتعلم حتى آخر رمق. فيحكى أنه، وهو يجود بنفسه وقد صافت نفسه، سأل صديقاً جاء يعوده عن مسألة في الميراث، فقال له صاحبه مندهشاً: «أفي هذه الحالة!؟» فقال البيروني: «إن هذا أوقع الدنيا، وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها؟»

[illegible] فيدهش كيف [illegible] هذه [illegible] و نعجب صبر البيروني وتدقيقه. وهنا عنه أبو الريحان و [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ابن سينا

أبو علي الحسين بن [illegible] (٣٧٠ ــ ٤٢٨ هـ)، أكبر فلاسفة عصره، ومن أكبر [illegible]، و[illegible] الفلسفة و[illegible]، وسكتي ــ وقد [illegible] فلسفته و[illegible] منهجه في التجربة للدواء المفرد

الفلسفة عنده [illegible]

تعريف موجز:

١ ــ «الحكمة [illegible] الأمور و التصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية»

وتعريف مفصّل:

٢ ــ «الحكمة صناعة نظر يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجودُ كلّه في نفسه وما الواجب عمله [illegible] ليشرف بذلك نفسه وتستكمِلَ وتصيرَ عالَماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية».

من سبقه من فلاسفة اسلاميين وغير اسلاميين.

والمهم أن الفلسفةَ عنده بلوغُ النفس الى كمالها الانساني، وهو تصور الوجود كله بحيث يكون في عقل الفيلسوف الكامل نظامٌ للوجود كله يضاهي حقائق الأشياء، كما يصل الفيلسوف الى الكمال في العمل و يستعد للسعادة في الحياة المقبلة».

أما عن منهج ابن سينا في التجريب فانه كان يجرب بنفسه و يكتشف و يرفض الاستدلال النظري القياسي عند بعض أطباء اليونان، و يقول إن «المعوَّل على التجربة».

والتجربة هنا خاصةٌ بالدواء المفرد، ولها شروط:

١ ــ أن يكون الدواء على حالته الطبيعية، لا على حالة مكتسَبة أو عارضة، بحيث يكون تأثيرهُ على نحو ثابت.

٢ ــ أن يكون تجريبه على علَّةٍ مفردة لكي تتبين العلاقة الدقيقة بين الدواء والعلة.

٣ ــ أن يجرب الدواء على علل متضادة لتتحدد علاقته الحقيقية لا العارضة و يظهر تأثيره الحقيقي.

٤ ــ أن يكون هناك تناسبٌ بين أزدياد قوة الدواء وما يقابلها من قوة العلة.

٥ ــ ملاحظة الزمان الذي يظهر فيه تأثير الدواء، وهل هو من أول استعماله أو بعد ذلك، لأنه قد يكون تأثيرهُ من طريق فعل حتى حصل ثم نشأ عنه على نحو عرَضي الشيء الذي ظهر آخر الأمر، وخصوصاً اذا كانت النتيجة بعد ابتعاد الدواء عن العضو المريض.

٦ ــ أن يتنبَّه المجرِّبُ لفعل الدواء وهل هو دائم أو في أغلب الأحوال، فإنْ كان دائماً كان دواءاً حقيقياً يؤثر بذاته وإلاَّ فتأثيره بالعرض.

٧ ــ أن تكون التجربة للدواء الإنساني على بدن الإنسان، وذلك لاختلاف بدن الإنسان عن بدن الحيوانات.

هذا تحليل موجز لما جاء في كتاب «القانون» مجلد ١ ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥ ، ويلاحظ تدقيق الشيخ الرئيس في معرفة علاقة العِلّية بين الدواء والداء، وكلامه يشتمل على جوهر ما نجده عند الفيلسوف الانجليزي جون ستيوارت مل (John Stuart Mill) في تحديد فعل العلة المؤثرة بحسب الطريق التي بيَّنها. ومجالُ المقارنة بين كلام ابن سينا وكلام مِلْ موجود أمام من يشاء.

على كل حال كان «كتاب القانون» بترجمته اللاتينية في متناول علماء أوروبا.

* * *

ألمحنا بمنتهى الايجاز بمناهج بعض علماء الإسلام وروحهم، فإذا سألنا عن سبب

ـم وإبداعاتهم، فإنه لا شك في أن القرآن كان له تأثيره العظيم في نفوسهم وأن العلم كانت له قداسةٌ من قداسة الحق ذاته.

ثم إن الذي يدرس إنجازات العلم عند علماء الإسلام يلاحظ أنها نشأت عن المراجعة لمعارف السابقين، وعن الدراسة المقارنة وطول التأمل للطبيعة في السماء وعلى الأرض، مع الدأب، وأحياناً مع المحاولة رغم الفشل في أول الأمر، وعدم الخوف من المخاطرة بالنفس العباس بن فرناس الطيران).

وكثير من العلماء كانت تشجعه الدولة وتضع أمامه مشروعات العمل، لكن كثيرين كانوا يدرسون و يُبْدعون بدافع ذاتي ينبعث من عقولهم.

وقد تميز العلم الاسلامي، كما تقدمت الاشارة، بأنه علم إيجابي وأن علماء الاسلام في الطريق الى العلم الحديث، لولا عوامل أدت الى الركود والتدهور في حضارة الاسلام في ومنها عوامل داخلية تقع تبعتها على المسلمين أنفسهم ومنها عوامل خارجية.

وليس المجال استعراضاً لهذا، بل مجال تأكيد أن العلم الاسلامي بقي الى أن بدأت النهضة الحديثة منذ أوائل القرن التاسع عشر، وهي نهضة متنوعة، لكن طاقة الأمم الاسلامية معظمُها في الصراع لأجل الاستقلال والحرية. والآن وقد تحررت الى حد كبير فقد بدأت النهضة العلمية، وهي في بدايتها.

لكن نهضة الأمم في العلوم، إن كانت بالاقتباس في أول الأمر، فإن الأمة لا تتقدم في الا بمجهودها الخاص و بالاعتماد على تنمية روح الابتكار مع الاجتهاد في وضع الأسس العلمية كما وضعتها الأمم المتقدمة.

وهذا لن يتيسر إلا بانشاء المعاهد المتخصصة التي تحتضن أصحاب المواهب وتتعهد بهم من يوجه تلك المواهب.

والإمكانيات المادية والانسانية والطبيعية كلها متوفِّرة في بلاد الاسلام، ولا ينقص الا والتعاون في العمل بأنفسهم.

أما حلتْ أدوات الانتاج العلمي هي ومن يديرها وزرعُها في بلادهم فهو بناء لا يستند س في الأرض ولا في العقول.

• • •

لقد حمل المسلمونَ مشاعل العلوم والحضارة بين العصر القديم والعصر الحديث. والآن عصر حديث سرعان ما سيصبح عصراً ماضياً، فهل سيعود العلم الى المسلمين كما عاد من قبل؟ إن العمل لتحقيق ذلك هو واجب حكام الإسلام وأهل النباهة والهمم العالية فق ذلك من قبل. والله هو الموفق ●

المراجع:

بعض المراجع الأصلية مذكورة في سياق البحث.

والمراجع الخاصة بالقرآن الكريم والعلم كثيرة جداً. وبعضها لعلماء متخصصين في العلوم الحديثة. ومن أحسنها كتابان للعالم طيب الذكر المرحوم الاستاذ محمد أحمد الغمراوي، أولهما ظهر منذ نحو من نصف قرن وعنوانه: «سنن الله الكونية» (القاهرة) والثاني ظهر عام ١٩٧٨ بعنوان: «الاسلام في عصر العلم»، وهو مقالات جمعها صديقه الكريم الاستاذ المرحوم الدكتور أحمد عبدالسلام الكرداني (القاهرة).

وهناك كتاب جيد بعنوان: «معجزة القرآن في وصف الكائنات» للاستاذ حنفي أحمد (القاهرة).

والمصنفات المفردة، بالعربية، حول علماء الاسلام الذين تكلمنا عنهم كثيرة جداً.

وليرجع القارىء إلى كتاب الأستاذ سزكين محاضرات في تاريخ العلوم، الرياض، ١٩٧٩ وكتاب «[illegible]» للأستاذ علي عبد الله الدفاع، [illegible] ١٩٧٩.

Ma[illegible] R[illegible] Q[illegible]
S[illegible] H[illegible] N[illegible] [illegible] London
Seyyed H[illegible] N[illegible] [illegible] Islam N.Y. 1980
Al-Biruni International Congress, Pakistan
Proceedings of the Celebrations of the 1000th Anniversary of Ibn Al-Haytham, Pakistan

Dictionary of Scientific Biography, Scribner, N.Y.

الإسلام ونظام الحكم

[illegible]سيد رئيس تحرير مجلة (العربي) الكويتية المحترم

السلام عليكم ورحمة الله و[illegible]

وبعد،

[illegible] اطلعت — صدفة — على [illegible] كتبه الأستاذ الدكتور محمد أحمد خلف الله في مجلتكم العدد [illegible] والمؤرخة [illegible] ١٩٦٤ [illegible] (النص والاجتهاد والحكم والإسلام) فصدمني [illegible] أشد [illegible]. الأمر الذي دفعني [illegible] [illegible] [illegible] ذكر.

[illegible] كل شيء [illegible] [illegible] خلف الله [illegible] هذا [illegible] ليصرف من [illegible] — ([illegible]) [illegible] وهي — كما يقول — قيام [illegible] الإسلامية [illegible]

[illegible] المقال:

[illegible] [illegible] ذكره [illegible] — حق — [illegible] [illegible] هو [illegible] البشرية هو الذي يرسم لها [illegible]

ثم [illegible] [illegible] الأوربية التي تنكرها الجماعات [illegible]

[illegible] هذه [illegible] من جديد وهو أن المجتمعات [illegible] (ولا [illegible] أحد من الجماعات [illegible]) [illegible] هذه [illegible] الحية المعنوية وإشاعة [illegible] الإسلامي [illegible] الوحي

[illegible] خطوة ثالثة يعرض [illegible] الموقف الآخر وهو موقف غير [illegible] الحكم باعتباره معرفة بشرية لا [illegible] الوحي الإلهي.

ثم يتساءل عن أي الموقفين هو الصحيح؟ [illegible] من فكرة بعد ذلك، و[illegible] جهده لتأييد [illegible] المدنيين أو [illegible] ([illegible]) ([illegible]) من نظام الحكم.

١ ـ كيف يولى رئيس الدولة في المجتمع الإسلامي؟ وكيف يعزل؟

٢ ـ كيف يمارس سلطاته ومن أين يستمدها؟

ليلحأ الى ما أسماه بالواقع العملي متلمساً الإجابة عليها في عملية تفريق بين نظام النبوة الخلافة.

أما نظام النبوة فهو ديني محض في نظره، يختار الله فيه الرسول، ويحمل هذا الرسول رسالة ... تثقيفي محض وهذا يعني انه ليس نظام حكم (بأي حال من الأحوال) باعتبار ان القرآن الكريم النبي العربي محمد بن عبدالله (ص) ملكاً.

و يضيف هنا؛

(والقرآن الكريم يجعل محمداً عليه الصلاة والسلام رسول الله وخاتم النبيين، وقضى بهذا ... النبوة، وأسلم بهذا شؤون البشرية للعقل ليجتهد هذا العقل فيما لا نص فيه).

ثم يعمل على ذكر بعض الخصائص التي تبعد نظام النبوة عن كونه نظاماً للحكم ... الجماعات الدينية اليه) و يذكر فيها:

١ ـ ان السلطة في نظام النبوة مستمدة من الله وهي في نظام الحكم مستمدة من الناس

٢ ـ ان القرآن كان يلفت الأنظار الى أنه ليس بوكيل على الناس ولا جبار ... من كل ... شؤون الحكم والرياسة.

ولذا كان يطلب اليه أن لا يعاقب الناس (وان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم)

اما نظام الخلافة: فهو نظام حكم مدني لا نص فيه. وقد وضعه العقل البشري و الجماعات الدينية تطالب بمثله وهي مطالبة غير معقولة.

و يعقب على ذلك كله بقوله:

(وهنا لابدَّ من التمييز بين الدين والتشريع: ان مصادر التشريع أربعة: الكتاب والسنة والقياس، أما مصدر الدين فهو الله سبحانه وتعالى. ومن هنا لايكون الإلزام ديناً إلا إذا كان عن النص

فالإجتهاد ينتج فكراً بشرياً خالصاً!!

والحكومة الإسلامية هي نتاج فكر بشري لاعلاقة له بالدين

وأخيراً يترك الجانب التشريعي الى مقام آخر

وما نلاحظه على الأستاذ الدكتور يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

أولاً: إنَّ دعوة الدكتور هي دعوة قديمة أطلقها أمثال الشيخ علي عبد الرازق وغيره، وناقشها الأجلة الى الحد الذي لم نكن لنتصور إنساناً يتجاهل كل ذلك الرد ثم ليكرر نفس المدعيات بل الأدلة والأمثلة التي ساقها علي عبدالرازق (من قبيل قول القرآن الكريم «لست عليهم بوكيل» صفحات مجلة تحترم نفسها وقراءها).

ثانياً: اننا اذا تصفحنا خصائص الإسلام باعتباره ديناً شاملاً لكل نواحي الحياة الإنسانية، مخططاً لكل نظام بحيث لايخرج أي سلوك إنساني من كونه محكوماً بحكم معين من أحكام الإسلام، إذا استعرضنا هذا أدركنا بكل بساطه أن الإسلام لم يغفل مسألة الحكم مطلقاً ولم يتركها للظروف والتقلبات التي تعرض نفسها على الأمة دون أنْ تستمد ولايتها من الإسلام.

وانا لايمكن أنْ نتصور الإسلام أعطى كل هذه النظم (الإقتصادية، والتربوية، والإجتماعية المتنوعة) ورغم انه يعلم بارتباطها الوثيق بمسألة الحكم لم يخطط للحكم على المدى الطويل وتركه لإجتهاد العقل الإنساني.؟.! وهل تقل الحاجة لنظام الحكم عن الحاجة لكيفية التطهير والاستبراء؟!

إنَّ المثال الذي ارتضاه الدكتور من أحد أبرز الدعاة هو الذي يجيب على هذا التساؤل، فإنَّ نظم الإدارة [illegible] هو من [illegible] عند [illegible] التشكيل الحضاري للجهاز الإنساني [illegible] عبر الإختلاف في نوع نظام [illegible]

ثالثاً: [illegible] هو نظام حكم [illegible]

[illegible] وهو الأمر الذي يقوم به [illegible] يسميه رسولاً لا [illegible]

[illegible]

«[illegible] أنزلنا عليك الكتاب لتحكم [illegible]»

«فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في صدورهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً»

[illegible]

[illegible]

وأخيراً [illegible] الإسلامية هو مضمون تشقيق محض!!

رابعاً: انا لاندري [illegible] في نظام النبوة مستمدة من الله وهي في نظام الحكم مستمدة من [illegible]؟

وهل [illegible] هذه الفكرة مع [illegible] الإسلامية [illegible] فكرة السيادة الإلهية دائماً وان الناس عبيد طائعون له وان الحكم له [illegible] وهو الذي يجعل الإمام و يسلمه السيادة، ذلك ان السيادة تعني بطبيعة الحال فرض تحديد معين على هذا السلوك أو ذاك لصالح التسيير الإجتماعي

العام. ومثل هذا لا تبرير له إلاّ اذا صدر من الولي الحقيقي (الله) أو من عيّنه الله وأوجب طاعته وهذا المعيَّن إما أنْ يتم تعيينه بالنص المباشر أو بوضع مبدأ تسير عليه عملية التعيين و يكتسب الشخص المعين صلاحيته من شرعية المبدأ الآنف. هذا هو ما نعرفه عن الإسلام والدين، ونحن نعترف ان الدين لو كان يتملك المفهوم الشخصي (أي باعتباره من الشؤون الشخصية) كما يتصوره الغربيون، فإنَّ ما يقوله الدكتور الكاتب حق، وأنى يتم ذلك؟!

إنَّ السلطة في كل مجتمع إسلامي تستمد من الله تعالى إما مباشرة كالنبي والمعصوم أو من المبدأ الذي يشرعه للحكم، وهذا ما يتطلب أنْ يكون هناك نظام معين للحكم، وان لايترك الأمور هكذا على عواهنها، وكأنَّ المسألة من الساقطة بمكان.

و يكفي لكي ننبه الكاتب على هذه الحقيقة أنْ يرجع الى إجماع الأمة الذي يبدو من خلال استدلال كلي على نظام الحكم الذي يرتضيه بالأدلة الشرعية، أي العمل على نسبته الى الشريعة والى الله بالتالي.

خامساً: اننا نعتقد ان وجود بعض نقاط الضعف في بعض التصورات التي قدمت لنظام الحكم في الإسلام والتي لم يهتد أمثال الكاتب لحلها هو الذي دفعه وأمثاله الى رفض وجود تخطيط ديني إسلامي للحكم وجعل المسألة مسألة مدنية

[illegible]

سادساً: [illegible] المتمثلة في [illegible] الجماعات [illegible] حيواني [illegible] الإنسانية [illegible]. ولا نظن الدكتور يغفل عن ذلك [illegible] تسمية التقدم العلمي التي حضارة [illegible]، لأنَّ الحضارة بالمفهوم الدقيق ترتبط بالجوانب المعنوية من الإنسان. «ولا يجرمنكم شنآن قوم على أنْ لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى».

سابعاً: [illegible] هذه الآيات [illegible]

فآية «لست عليهم بوكيل» مثلاً مكية، تطيب من خاطر النبي بعد ان تألم من إعراض المشركين عن الحق ووقوفهم أمام دعوته. واين هذا من قيادته الرسمية للدولة الإسلامية وتمشية الأمور بعد ذلك ولقد كان ولياً حقاً ووكيلاً حقاً وحاكماً حقاً بكل ما يتصوره للحكومة الصحيحة من معنى.

وان تعجب فعجب القول بأنه (ص) أمر بأنْ لايعاقب المتخلفين!! والسؤال إذن أين نضع نظام العقوبات الذي طبقه (ص) على شعبه؟. وهل سمع الأستاذ الكاتب قصة المخلفين وقصة ماعز وغيرها؟

ثامناً: وهذا التمييز بين الدين والتشريع لم نفهم له معنى! أيريد الكاتب أنْ يقول ان كل ما انتجته عملية الرجوع الى المصادر الإسلامية لايعد فكراً دينياً، وإنما هو فكر بشري خالص؟ أم يريد أنْ يقول ان الدين أمر يرتبط بالعقيدة، أما التشريع الحياتي فهو موكول للعقول الإنسانية الخالصة؟ أم ماذا؟

اما الذي نفهمه نحن فهو ان الإسلام خطط للحياة كلها سواء في جانب الحكم أم في الجوانب الأُخرى، واعطى تخطيطه في المجموع الكلي للكتاب والسنة، ودعى للاجتهاد في أُطر النصوص لتفريع الفروع. وما دامت العملية الاجتهادية ملتزمة بالقواعد الإسلامية، فانها تنتج فكراً دينياً على عكس ما يتصوره الأُستاذ.

نعم قد يقصد الأُستاذ ان الإجتهاد لايغلق على أحد، فهذا أمر آخر.

تاسعاً: وان من أخطر الأفكار التي طرحت في المقال ما جاء فيه من أن الخاتمية تعني تسليم شؤون التشريع الإنساني للعقل وانقضاء نظام النبوة.

ذلك: ان الواقع ما نفهمه من الخاتمية هو كون رسالة الرسول (ص) هي الرسالة والمنهج الذي أُعطي لمجموع البشرية لتطبقه في مسيرتها الصاعدة الى يوم القيامة، أو فلنعبر بخلود الرسالة الشاملة. وأين هذا من تسليم العقل هذه المهمة؟

إنَّ الإسلام يعتبر ان هناك جوانب [illegible] في حياة الإنسان، ولذا فقد وضع لتنظيمها نظماً ثابتة [illegible] كما ان هناك جوانب متغيرة كعلاقة [illegible] والظروف المتفاوتة. [illegible] بمعرفة الاتجاه الاسلامي [illegible] وكل ذلك في إطار تلك [illegible] (وفرق كبير بين [illegible]) فأين هي [illegible]؟

إنَّ [illegible] الإسلامي [illegible] هي أكثرها في [illegible]

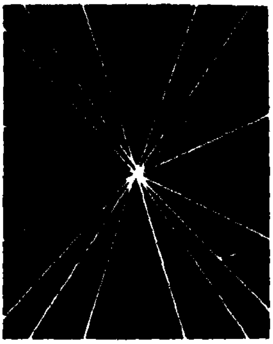
[illegible]:

[illegible] على خطه [illegible] العودة الى التفكير [illegible] الإسلامي المتنامي اليوم والسائر [illegible] الإسلام على كل نواحي [illegible]

[illegible] الأشواك [illegible]

والله من وراء القصد... ●

محمد علي التسخيري



ثمن الصمت

مصطفى زين العابدين / سوريا

(عندما يموت الطفل صامتاً
بين جلاديه، يعني انه قال
الحق في تحدٍ ورحل).

نهض من نومه فزعاً،

وعندما وقعت عيناه على منظرٍ لم يكن يألفه من قبل، صرخ محتجاً وهو لم يكد يفهم ما يجري.

سنيّ حياته الأربع لم تكن تسعفه في معرفة جوانب المصيبة التي يرمق أحداثها في تساؤل مبهم، بيد انه شعر ان هناك ما يستحق الفزع ويحمل لحظاته مبرراً للحزن والخوف وحتى للبكاء.

رأى ثلاث وجوه تعلوها أخاديد قاسية كالتي يراها على جدار المنزل، وعيوناً جاحظة يطفح فوقها غضب هستيري، لمح وجهَ أمهِ وقد اصفرَّ هلعاً، لكن حيرتها هي الأُخرى جعلتها واجمةً لا تعي ماتفعل.

اتقدت في داخله رغبة الإرتماء في أحضانها، فأسرع بكل مايملك من قوة متواضعة، يتعثر بثوبه وهو يمسح بيديه الدقيقتين عينين يثقلها النعاس والإرتياب. لكنَّ أحداً رفسه بساقه بقوة، فارتطم بالجدار وسقط على أرض الغرفة يغصُّ بالعبرةِ والبكاء.

سمع صرخةً مفجعةً صدرت عن صدر مثقل بالآلام، وعندما استطاع أنْ يُميّز فيه صوت أمه، توقع كما تعوّد من قبل انها ستدنو منه حتماً وتضمه لدفء صدرها مع شيءٍ من الحنان، أحسّ باليأس وهو يحاول جاهداً من أجل أنْ يسحب أنفاساً كادت أنْ تتوقف على أثر ارتطامه بالجدار.

فأدرك أنّ قوة ظالمة تفصله عن أُمّهِ، وتحيل بينهما،

ميّز كلمات صدرت بأسلوب فظ من أحد الرجال، كان قد تعلمها بالكاد، ولكنه استطاع أنْ يركب لها معنًى في ذهنه،

ـ أين زوجك؟ أخبرينا عن مكان وجوده؟... لابُدّ وأنك خمينية مثله.

ـ اقسم لكم، لا أعرف مكانه، لقد تركنا قبلَ شهر دون أنْ نعرف عنه شيئاً.

قالت الأم هذه الكلمات وهي ترد بنبرة المتوسل المُرتبك،

أشاح الطفل بوجهه يفتش عن أمه، فشاهد اثنين من الأوغاد يبعثرون أشياء الغرفة. وكأنهم يفتشون عن ضالةٍ مهمةٍ، وعندما وقعت عيناه عليها أثار في نفسه المنظر رعباً وخيفةً، رأى أمه منزوية في ركن الغرفة وقد انهال عليها أحد الرجال ضرباً مبرحاً وهو يردد كلمات بذيئة لايلفظها إلاّ فم الساقط المتهور ويعيد:

ـ تكلمي أين الخبيئة؟.. أين جنى روحك وإلاّ أسكتك الى الأبد؟!

دبّ في كيان الطفل شعور مخيف كالذي ينتابه عندما يقابل دوماً موعد سابق أحد الكلاب السائبة في أطراف محلته، فيرتد الى الوراء، وخده شوق ينتهب للاحتماء تحت جناحي أمه. انه ظن في تلك اللحظات الرهيبة انه لا مكان آخر يستطيع أنْ يضمن له الأمن من نقمة وبطش المتوحشين وهو لا يحتمي به، ولذا، ومن فمه يكرر هدوء بيته الجميل، ولكن ومع هول الصدمة لم يعد يطيق الانتظار، فقد فجرت آلام أمه المسالمة في نفسه ثورة صغيرة بحجم قامته، وأيقن أنه لابُدّ وأنْ يكف هذه اليد الغريبة عن اهانة أمه الحبيبة والاحتجاج عن ضربها، فانطلق بجسمه الدقيق بسرعة نحو الكف، وعضّ بفمه بهستيرية صفوية

تنبّه انّ ضربةً قويةً أفقدته الإحساس بالأشياء، ولم يكن قد سمع بعد ذلك غير صوت تناهى الى أسماعه، ثم خفت شيئاً فشيئاً، وتداعى حتى أصبح كالصمت، واستطاع فقط أنْ يعرف ان صرخة ندت من أمه عند سقوطه.

... عندما فتح عينيه لم ير الأشياء التي كان يألفها من قبل، لكنه شعر بالسعادة تغمر قلبه الصغير عندما أمسك كفّ أمه وهي تمسد شعره بحنان، حتى ان تلك السعادة أنسته بعض الوقت مشاعر الجوع الذي يبدو انه أحدث آلاماً شديدة في أحشائه.

حاول أنْ يسأل: لماذا يقبع معها في هذه الغرفة الحقيرة؟.. ومن جاء بهما، ولماذا،

وكيف، ومتى؟....

لكنه ركن الى الصمت عندما أدرك أنه ليس بوسعه أنْ يسأل عن أشياء أكبر من قدرته على التعبير.

غرفة بالكاد تبين فيها الأشياء، نتنة تفوح منها رائحة العفن، لا تملك من الضوء إلا حزمة ضيقة تصدر عن كوة قرب السقف، وتشكل عموداً بأسفل الجدار.

لم يكن قد رأى سجناً من قبل.

تفرّس في عينيّ أمّه، رأى أخاديداً من الدموع تنحدر فوق وجنتين ذابلتين، أثارت في نفسه الشفقة، وحرّكت في داخله شعوراً مبهماً كأنه الحزن والتساؤل.

قبلته بحرارة، وعززت قبلتها بابتسامة متكلفة فاترة، كانت تريد بدافع الحبّ أنْ تزيل آثار ذلك الحزن، والكآبة، أو الخوف الذي بدا وضاحاً على محيا الطفل.. وتمنحه قدراً أكبر من الحنان.

لم تكن تلك كسابقاتها، لقد خلت من الحرارة ماجعله يتذوق طعما أقلّ برودة، بَيْدَ أنه أدرك أنَّ وراء تلك العذوبة مايجعله يوجس خيفة وقد ألف عينيه تسبح في فضاء ضيق، غريب، ومشقل بالرطوبة ليس به ذلك النور المشرق الذي كانت تسفر به غرفته الجميلة التي تزخر بألعابه المفرحة.

كبرت بأحشائه آلام الجوع.

حدق بعيني أمه المدمعتين قليلاً، ثم قال:

ــ ماما.. إني جائع!...

حاولت أن تمنع آلامه بكلمات خرجت متعثرة من شفاه ترتجف:

ــ حسناً يا بني.. اصبر قليلاً؟!...

ووزع الطفل نظراته على مساحة الغرفة الضيقة، ولما لم يَرَ أيّ مظهر يدل على وجود مايزيل به ألم الجوع، تساءل ببراءة.

ــ أين البسكويت الذي جلبته لي البارحة؟؟.. أريد أنْ آكل؟ لماذا لم يأتِ أبي؟؟..

حسناً ياولدي، سيأتي قريباً، وحتماً سيجلب لك حلوى.

تذكر الحلوى، فأثيرت في نفسه الرغبة لتناول الطعام.

بكى بحرارة وعاد.

حاولت الأم جاهدة اسكاته، فلم تجد الى ذلك وسيلة، وران على قلبها شعور من الحنق والحزن وتعالى صوت الطفل، وتعالى الألم في نفس الأم، وبدت متعبة تكاد أنْ تنهار مما فيه، ومن

الآلام التي أحد ثتها سياط الجلادين العالقة على جسمها أثناء التحقيق.

ولما أيقنت أنها أخفقت في معالجة حالة الطفل البائسة، وتفجّرت في داخلها رغبة لتحطيم باب السجن، فطفقت تضربه بقبضتيها بقوة، وهي تصيح:

ــ أيّ قلوب متحجرة لديكم؟!! كسرة من الخبز الى الطفل، إذا كنت أنا من أذنب في عرفكم فما لهذا الطفل من ذنب، انه يتعذب من الجوع.

وتناهى صوت الأم الى أسماع الجلاوزة، وعالج أحدهم باب المعتقل، وأطلّ رجل قاسي الوجه يحمل في يده قطعة من الكعك، حملق ملياً داخل الغرفة العفنة، ثم قال وهو يشير الى الطفل:

ــ تعال...؟

كفّ الطفل عن البكاء، وشخصت عيناه اللامعتان ببقايا الدموع الى قطعة الكعك المعلقة في يد الرجل، ثم اقترب قليلاً وأستأنف النظر صامتاً.

ــ حسناً، لا تبك؟ سأحضر لك كوباً من الحليب، هلم.......

تردد بعض الوقت، لكن منظر الكعكة أسال لعابه لشدة الجوع، مما جعله يقترب أكثر الى الرجل. انتبذت الأم جانباً ترقب مع شيء من الهدوء والحنق حركات طفلها وقد خفت بكاؤه وعيناه تحملقان بالرجل بارتياب.

دنا الرجل وأجلس الطفل على الأرض، ثم نادى آخراً كان يقف الى جانبه أنْ يجلب كوباً من الحليب.

برقت عيناه لسماعه كلمة حليب.

مسك قطعة الكعك بحرص، وال بده ممى كوب الحليب.

وشرع بفمه الطفولي يلتهم الكعك ويكرع الحليب وعيناه تنظران شزراً الى أمّه بين حين وآخر وكأنه يريد أنْ يطمئنها بأنه سوف لن يبكي وقد حصل على وجبة شهية غير متوقعة.

غير أنَّ الرجل الذي دنى منه من الطفل، وقال بأسلوب رحيم هادئ:

ــ خبرني الآن أيها الطفل الجميل، أين أبوك؟ متى يزوركم؟.. دلنا على مكانه؟ ولم يكن بوسع الطفل أنْ يرد وقد شغله تناول الطعام.

تلقى السؤال بإهمال واضح، وقطب الرجل حاجبيه، وشعر بقدر من الإهانة، ومرّت لحظات ثقيلة كالموت، واستطرد الرجل بصوت أقلّ رقة، بل غلب عليه طابع الجزع:

ــ خبرني أيّها الصغير، أين يختبئ أبوك؟ حتماً ستخبرنا لأنك تعلم مكانه، لتبقى أُمّك الحمقاء على موقفها الذي سيؤدي بها الى الهلاك.. انك مخلوق جميل، وتعرف مكان أبيك، أعدك بأنّي سأشتري لك لعبة جميلة وعلبة من البسكويت...

لكنّ صمت الطفل بدى أكثر ثقلاً، وراح يواصل التهامه للكمكة دونما اكتراث.
حدّق الرجل بغضب الى وجه الطفل،
رفع الأخير كوب الحليب الى فمه يرتشف الحليب الذي اختلط مع بقايا الدموع التي تركت آثاراً على وجنتيه المحمرتين ومع السائل الذي نزل من أنفه الدقيق الذي احمرّ من شدة البرد، لقد أصرّ على الصمت وكأنه يتوخى إهانة الرجل الذي يحاول بأيّما أسلوب أنْ ينتزع جواباً ربما لم يكن له وجوداً في صدره.
وعندما شعر الرجل بقدر أكبر من الإهانة والإستخفاف، هوى بكفّيهِ بكلِّ مايمتلك من قوة جبانة و بأسلوب وحشي على رأس الطفل الرقيق،
تناثر الحليب على أرض الغرفة،
وقفز الكوب بعيداً عن فمه،
وسقط قريباً من جدار السجن، وقد سكنت أعضاءه بعد أنْ تلوى لحظات قليلة.
انهارت الأم،
واستشاطت غضباً، وقد رأت طفلها الوحيد أسكتته ضربة ظالمة كافرة من يد جلاّد مجرم.
وأسرعت بما تملك من قوة صوب الرجل الحقير، وأنشبت أصابعها في رقبته.
حاول أنْ ينتزع أصابعها من عنقه فلم يستطع. وطلب الإستغاثة بصوت ابح،
ودوى صوت اطلاقة،
تراخى جسم المرأة الأم. وانسحبت يداها بفتور الى الأسفل، ثم هوت الى الأرض وهي تسبح في الدماء.
أشاحت بوجهها نحو الطفل، تفقدته بعينين مدمعتين، حاولت أنْ تكلمه، لكنها أيقنت انه لن يستطيع النطق، لأنه ليس بوسعه أنْ يسمع وقد فارق الحياة،
نقلت أنظارها نحو الكوة الصغيرة قرب السقف، وكأنها تفتش عن شيء هناك،
كانت تريد أنْ ترى السماء ●

جولة في الصحافة



(أمير المؤمنين) في السودان

■ كتبت مجلة صوت [illegible] في عددها ([illegible])

تقول:

«ذكرت برقيات وكالات الأنباء أنه سيتم إعلان السودان جمهورية إسلامية ويرشح نميري نفسه أميراً للمسلمين. وقد أعدت لجنة خاصة بعد تكليف من نميري مسودة تعديل الدستور السوداني لعرض على مجلس الشعب وذلك لمناقشتها في المجلس. وقد نص هذا التعديل على تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع مجالات الحياة، وإن السودان جمهورية إسلامية وجزء من الأمة العربية والإسلامية وأفريقيا.

لماذا نميري هذا؟

أدركت الأنظمة الديكتاتورية في العالم الإسلامي خطر النشاط الإسلامي، وملاحقة الجماعات الإسلامية بالإرهاب، والزج بهم في السجون هو الدافع الأول الذي يدفع هذه الجماعات الى العمل السري الذي يعاقب عليه القانون. كما أدركت هذه الأنظمة بأنها هي مسؤولة عن حلول المشكلة بمواقفها من الاتجاه الإسلامي على مختلف مناهجه ووسائله... فلجأت الى تغيير جلدها. وللاحتماء من هذا الطوفان الإسلامي الهادر تحت مظلة الإسلام. وقد

غاب عن ذهن العديد من حكام المسلمين بأن الحكم بشرع الله لا يمكن أن يتحقق من خلال إصدار قرارات سياسية بتغيير بعض القوانين المدنية المعمول بها. إن الحكم بشريعة الله يتطلب تغييرات جوهرية في واقع المجتمعات وعلاقات الأفراد وعاداتهم وعلاقة الحاكم بالمحكوم والأسلوب الذي يتسلم فيه الحاكم سدة الحكم. فالرئيس نميري وصل الى حكم السودان بواسطة انقلاب عسكري. وقد حددت العقيدة الإسلامية السمحاء السبيل للوصول الى إمارة المسلمين عن طريق البيعة. فقد بايع الصحابة رضوان الله عليهم خلفاءهم على السمع والطاعة، فالجماعة في الدولة الإسلامية (جماعة المسلمين) هي التي تنصب الإمام وهي التي تستنبط من كتاب الله وسنة رسوله المطهرة أحكام هذه الإمامة. فأي جماعة نصبت الرئيس نميري إماماً وبايعته أميراً للمسلمين؟ وأي صحابة هم الذين بايعوا أو صادقوا على إمامته؟! وماذا نعني إحالة شريعة الله الى نفر من عباده ليقولوا فيها قولهم ويقولون!!؟ ويرقصون!!؟».

رسالة لشيمون!

■ مجلة الإرشاد اليمنية كتبت في العدد الثامن / السنة السادسة / تقول:

«بعث الملك الحسن الثاني، ملك المغرب برسالة الى زعيم

حرب العمل الإسرائيلي شمعون بيريز بواسطة طبيب يهودي يقيم في المغرب وكان قد زار اسرائيل مؤخراً...

ومن الغريب أن بعض الدول العربية تعتقد ان اسرائيل ستنتهي سياسة أكثر اعتدالاً إذا حصل حزب العمل المعارض على مقاعد السلطة في يوليو القادم!».

• ونحن نقول: هذه ليست المرة الأولى التي يبعث فيها الملك الحسن الثاني وأمثاله برسائل الى السلطات الصهيونية المحتلة لفلسطين.

إنَّ هؤلاء الخونة لم يكتفوا بالرسائل، بل ومدوا يد (الصداقة!) للحكام الصهاينة، وجعلوا من بلدانهم أسواقاً لتصريف البضائع (الإسرائيلية) بل وسمحوا للصهاينة بعقد مؤتمرات لهم على الأراضي الإسلامية و... الخ. فهل يكون عجيباً إذا سمع أحدنا ان الملك الحسن الثاني بعث برسالة الى شمعون بيريز؟! أو إذا تحدَّث صدام عن إحترام أمن (اسرائيل) أو إذا صرَّح مسؤول كبير ان مصر ستلتزم بموقفها المدني تجاه اتفاقيات كامب ديفيد الخيانية؟

خبر جدير بالقراءة!

■ مجلة (المجلة) السعودية وفي باب أشخاص وأحداث، أوردت في عددها ٢٣٣ خبراً مفاده:

«وزير عربي بارز التقى في محل لبيع الساعات الثمينة في لندن بأحد كبار الأغنياء العرب، فظلّ الوزير يمدح كرم الرجل وأخلاقه حتى خرج بساعة ثمينة بلغت قيمتها (٢٥) ألف جنيه استرليني».

• لقد تعوّدنا على سماع مثل هذه الأخبار بين الفينة والفينة، وهذه ليست مسألة جديدة علينا، فوزراء أكثر الأنظمة العربية هم جميعاً على شاكلة ذلك الوزير.. ينهبون من شعوبهم ما استطاعوا، ثم يودعون الأموال المنهوبة في البنوك العالمية، ليصرفوها على حفلاتهم وملذاتهم.

إنَّ (المجلة) لم تذكر اسم الوزير، وذلك لاحتمالين: إما ان الوزير كان سعودياً، أو ان عدم (ذكره) جاء متعمداً! بعبارة أُخرى ان المجلة قصدت بذلك جميع وزراء الأنظمة العربية. وفي هذه الحالة أيضاً، تكون المسألة قد شملت حتى الوزراء السعوديين، فماذا تقول مجلة (المجلة)؟

«الفجر القريب»

■ تحت هذا العنوان كتبت مجلة الرائد في عددها (٧٦) تقول:

«في نفس اليوم الذي انعقد فيه المؤتمر اليهودي في المغرب، بحضور وفد إسرائيلي، أصدرت إحدى المحاكم حكماً بالسجن لمدة عامين على الأستاذ عبد السلام ياسين، رئيس «الجماعة الإسلامية» في المغرب، وقالت وكالة الصحافة الألمانية انّ اعتقاله في أيلول/ سبتمبر الماضي كان بسبب نشره في مجلة «الصبح» آنذاك عبارة تقول: «إننا في انتظار الفجر الذي سيبزغ قريباً جداً». وقالت الوكالة إنَّ التهم التي أدين بها هي «احتقاره لسلطة الدولة والإلحاد في ذات الله!!»..

عودة العرب الى مصر!

■ في عددها الرابع وتحت هذا العنوان، كتبت جريدة «التيار» الصادرة في لندن تقول:

جولة في الصحافة

«من المتوقع أن يعلن قريباً عن عودة مصر الى جميع المنظمات والمؤسسات العربية الرسمية بعد أن وافقت أكثرية الدول العربية على الإعتراف بالنظام المصري الحالي. وقد قام بهذا الدور ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والذي سيجعل من القاهرة محل إقامته الدائم.

والواقع ان مصر لم تعد للدول العربية، وانما الدول العربية هي التي عادت الى مصر. فالسياسة المصرية لم تتغير وتكاد تكون هي هي، إلاّ ان الذي تغيّر هم الذين قاطعوا مصر وهاجموها!...» ١

الإنتخابات الإسرائيلية...

■ مجلة الطلائع السورية تشير في افتتاحيتها (العدد ٦٩٦) الى الإنتخابات الإسرائيلية، واهتمام أكثر الأنظمة العربية بها، حيث كتبت تقول

«الإنتخابات الصهيونية هذه المرة لها وضع خاص، إذ ليس الصهاينة وحدهم المراهنين عليها، وليسوا وحدهم المهتمين بها، بل وليس أصدقاء الصهاينة، وانما العجب العجاب أن يكون العرب هم أول المهتمين بها، والمرتقبين لنتائجها، والعاملين على أن تسير في مسار محدد.

فهم يريدون أن يفوز حزب العمل بالسلطة، لأنهم لا يعرفوا كيف يتعاملون مع الليكود، ولأنهم لا قوة من سياسته عدوانية ما أنساهم عدوان المعراخ، وكأن المعراخ لم يصل للسلطة سجل الكيان الصهيوني، ولم تقم حكومة منظمة ترحيل الصهاينة عن فلسطين ثم تقم بمراسم تسليمها للعرب. وينسى هؤلاء المتفائلون الحقيقة أن المعراخ هو الذي أوجد الكيان الصهيوني، وهو الذي نفذ أكبر حملات العدوان من بدايته الى نهايته، وهو الذي نفذ أبشع المجازر ضد شعب فلسطين، وهو الذي أقام المستوطنات في الأرض المحتلة عنوة، وهو الذي يعلن في برنامجه الانتخابي أنه لم يعثر من سياسته قيد أنملة، لكننا نخدع بالكلمات المنمقة التي يجعلها عادلنا الى كلمات صداقة ووعود رائعة بالسلام.. أي سلام هذا، وفلسطين كلها محتلة؟

إنّ المسلمين العرب الذين يريدون من الصهاينة بدأ نصرهم وهي معلقة بقفاز حريري بدلاً من قفاز حديدي. مع أن نتيجة الضربات واحدة، واليد التي تضرب واحدة. لاخلاف بين الصهاينة على الأهداف، وإنما الخلاف ينحصر في الطريقة التي ينفذون بها أهدافهم.

انها سخريات الأمور، وانه العجز الذي يوقع في الخيانة. فهم يريدون أن يحصلوا على الفتات الذي وعدهم به حزب العمل مقابل التنازل نهائياً عن الحق العربي. وهذا أخطر من التنصل الذي تنديه حكومة الليكود والذي تنص به على هؤلاء بالفتات.

وليعلم الساقطون وغيرهم أن شعب فلسطين وأحرار العرب لايهمهم من يفوز بالسلطة في الكيان الصهيوني، وما يهمهم هو النضال حتى إزالة هذا الكيان وإزالة كل مسرحياته الهزيلة، والتخلص من المتآمرين الذين يخدعون طوعاً بألاعيبه، فيؤمنون له طول البقاء».

الحكومة الأندونيسية تحارب الإسلام

صحيفة «دعوت» الهندية أكدت في عددها الصادر يوم (١٩٨٤/٧/٣١) على أنّ الحكومة الأندونيسية وهي عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي تعمل ضد الدعوة الإسلامية بانتهاجها سياسة التعليم اللاإسلامي.

وقالت الصحيفة: «...يجب على المنظمات الإسلامية وأعضاء المؤتمر الإسلامي إدانة مبادرة حكومة سوهارتو بمنع الحجاب في مدارس البنات».

وتضمن تقرير المجلة إقتراحاً ينص على سفر وفود من قبل الدول والمنظمات الإسلامية لهذا البلد من

، دراسة الأوضاع ومناقشة قضايا المسلمين كتبت
: «... يجب أن تحذّر هذه الوفود الحكومة الأندونيسية
فة قيامها بهذه الأعمال».

ودحضت الصحيفة المذكورة إسلامية حكومة
سارتو مستدلة بانتهاج هذه الحكومة للأساليب
ربية في مجالات التعليم، وقالت: «إنّ مبادرة
كومة الأندونيسية ستخلق مشاكل عديدة للمسلمين
ما يرون بأنّ الإسلام في بلدهم لايطبق في المجالات
عليمية فكيف بإمكانهم المطالبة بتطبيق هذا الأمر في
ان غير الإسلامية التي يقيمون فيها».

العراق مستعد لتوقيع اتفاقية مع اسرائيل

قالت صحيفة «داغنزنيهتر» السويدية في عددها
صادر يوم ٤ ذي القعدة من عام ١٤٠٤ هـ. ق
اري: «سيعقد ممثلو كل من العراق والاردن واسرائيل
ضور مندوب أميركا اجتماعاً لمناقشة موضوع مد أنابيب
فط العراق الذي يمرّ عبر الأردن الى ميناء العقبة».
ضافت نقلا عن مصادر الكيان الصهيوني قائلة:
قد تمّ طرح الخلافات والمشاكل الظاهرية الموجودة بين
ردن واسرائيل والتي تعتبر من أكبر مشاكل مد أنابيب
فط العراق عبر الأراضي الاردنية والسعودية الى ميناء
عقبة، وتم حلها، وسيتم مد هذه الأنابيب في المستقبل
ريب».

وتابعت الصحيفة حديثها مشيرة الى استعداد
دام رئيس النظام العراقي لعمل أي شئ حتى عقد
فاقية مع اسرائيل من أجل انقاذ نفسه والتخلص
ن ظروفه المزرية والتمكن من مواصلة الحرب
د ايران.

النظام الذي يتمتع باستقرار عجيب

تحت هذا العنوان كتبت صحيفة الفيغارو الفرنسية في عددها الصادر يوم ٩ آب ١٩٨٤ مقالاً عن وضع الجمهورية الإسلامية في ايران، فقالت:

«على الرغم من مرور أربع سنوات على الحرب. فإنّ الجمهورية الإسلامية في ايران تتمتع باستقرار عجيب».

وأضافت الصحيفة قائلة: «إنّ حادثتي اختطاف طائرتين خلال فترة ثمانية أيام يمكن أن يكون لأي نظام كلاسيكي بمثابة هزة، ولكنها كانتا لنظام الجمهورية الإسلامية بمثابة حدث عابر لأنها حرب المشاكل والمصاعب وصلب عودها أمام كل ذلك».

وأشارت الفيغارو الى الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلامية من قبل النظام البعثي الحاكم في العراق، فقالت:

«إنّ الحرب هي القضية الرئيسية بالنسبة للجمهورية الإسلامية، وان آية الله الخميني الذي يتصدر مركز اتخاذ القرارات الحازمة والكبيرة مازال لايساوم».

شؤون إسلامية

الأحزاب الإسلامية في سريلانكا تدين العلاقات مع الكيان الصهيوني

[illegible] في سريلانكا [illegible] الصهيونيين، [illegible] سريلانكا [illegible] الصهيوني [illegible] رئيس جمهورية سريلانكا [illegible] هذا الأمر، ودعو المسلمين [illegible] ذلك [illegible]

وأصدر البيان الذي وزع في [illegible] في كافة مساجد سريلانكا. [illegible] العسكريين الصهاينة إلى سريلانكا. [illegible] الكيان الصهيوني الغاصب الذي [illegible] المسلمين أعداءه، لن يتوانى عن اختلاق الصراعات [illegible] المسلمين في سريلانكا.

هذا وكانت الحكومة السريلانكية قد [illegible] المصالح الإسرائيلية في السفارة الأميركية في كولومبو (عاصمة سريلانكا).

وأبدى البيان كذلك احتجاجه الشديد لقيام الخبراء العسكريين الصهاينة بتدريب القوات السريلانكية، وطالب كافة المسلمين الأحرار في سريلانكا بالاحتجاج ضد دخول الإرهابيين الصهاينة إلى بلادهم، ودعاهم لتعبئة طاقاتهم لمواجهة.

إصرار الجامعيات التركيات على ارتداء الحجاب الإسلامي

في معرض حديث عن قضية الحجاب الإسلامي [illegible] السيدة «[illegible] كورو» أستاذة كلية علوم جامعة إزمير التركية فصلها عن الجامعة [illegible] ارتداء الحجاب الإسلامي، امتدحت [illegible] أعضاء مجلس النواب في تركيا أيضاً خلال الجلسة التي انعقدت في أوائل آب. فذكرت السيدة «مهرجان أردم» مندوبة مدينة اسبارطة خلال حديثها في المجلس أن الكثير من الطالبات المحجبات قد أرسلن إليها العديد من الطلبات [illegible] يرجون مساعدتهن للاستمرار في الدراسة [illegible] الحجاب الإسلامي وذلك عن طريق المصادقة على قوانين [illegible].

كما دعت السيدة «أردم» إلى إيجاد تغييرات في إدارة التعليم العالي وذوي الصلاحيات التنفيذية فيه.

من جهة أخرى قالت ممثلة أهالي أزمير ايتسيلاي [illegible] في حديثها عن الموضوع... إننا ولله الحمد مسلمون، غير أن الحجاب لا يليق بالإسلام! ويجب

الداخلية الماليزي في شهر آب من العام الجاري ان بلاده قد حظرت أي تجمع سياسي في ولايتي «كلانتان» و «تنانكو» اللتين تقطنها أكثرية مسلمة.

و يأتي هذا الإجراء في وقت منعت فيه الحكومة الماليزية التجمعات السياسية بما فيها تجمع أكثر من خمسة أشخاص في ولايتي «كدا» و «برليس» اللتين يقطنها المسلمون.

و وصف هيشام توسيع نطاق الحظر السياسي في الولايات الماليزية بأنه إجراء مؤقت لردع القوى الإسلامية، وأضاف يقول إنّ الحكومة ستتخذ تدابير أشد لو حاول أعضاء الحزب الإسلامي الوقوف بوجه هذه الإجراءات.

ندوة علماء السنة في كردستان

عقدت مؤخراً في مدينة مهاباد، إحدى مدن محافظة آذربيجان الغربية (وهي إحدى المراكز الكردية في غرب الجمهورية الإسلامية) ندوة عامة لعلماء الدين الأخوة من أهل السنة في محافظتي كردستان وآذربيجان الغربية. وحضر الندوة ممثل الإمام الخميني في غرب البلاد السيد موسى الموسوي، وأئمة الجمعة وكبار مسؤولي المحافظتين.

وقد شرح ممثل الإمام قبل أنْ تباشر الندوة أعمالها، أهداف الندوة، فحددها بهدفين، أولهما: من أجل ايجاد أجواء التآلف والمحبة بين الأهالي والمسؤولين في آذربيجان الغربية وكردستان، والثاني: إظهار الإتحاد بين أبناء الشعب الإيراني المسلم الذي يستظل بقوانين الدولة الإسلامية.

هذا وقد استغرقت أعمال الندوة يومين، صدر بعدها بيان ختامي تضمن مجموعة من المقررات التي تليت على أسماع أهالي منطقتي كردستان وآذربيجان الغربية. ومن أهم بنود البيان:

١ ــ حرّم البيان التعاون مع المجموعات المعادية للثورة الإسلامية والتي تحمل انحرافاً سلوكياً وفكرياً، وتتصدى بالسلاح للدولة الإسلامية، ومن أمثلتها الحزب الديمقراطي المنحل، ومنظمة «كوملة» الشيوعية، داعياً أبناء الشعب المسلم الى عدم إقامة أي ارتباط أو صلة مع هذه المجموعات المنحرفة التي تعمل على إعاقة مسيرة الثورة الإسلامية في المنطقة.

٢ ــ تجديد العهد مع الإمام الخميني في زعامته للثورة الإسلامية، واعتبار ان التبعية للحكومة الإسلامية أمر واجب على جميع المسلمين، واستعداد المنطقة لتطبيق أحكام القرآن والاسلام.

٣ ــ دعوة كافة الأخوة والأخوات المسلمين من أي عنصر وقوم ولغة للعمل على تعزيز الإتحاد بين المسلمين من أهل السنة والشيعة، وانضواء الجميع تحت لواء الجمهورية الإسلامية بقيادة الإمام الخميني من أجل تقدم الإسلام وتطبيق أحكام الإسلام، واعتبار ذلك واجباً شرعياً لا يجوز التفريط به.

٤ ــ إدانة مواقف أمريكا و روسيا وفرنسا التي أمدت النظام الصدامي بالمساعدات الحربية العسكرية والإقتصادية لادامة عدوانه ضد الدولة الإسلامية والشعب الإيراني المسلم.

٥ ــ مناشدة علماء الدين من أهل السنة في البلدان الإسلامية في المنطقة كي يمارسوا ضغوطهم على حكوماتهم لوقف الدعم العسكري والإقتصادي للنظام الصدامي المجرم.

٦ ـ إعتبار جبهة الحرب الإيرانية ـ العراقية، بأنها جبهة صراع الحق ضد الباطل المتمثل بالنظام الفاشي الحاكم في العراق، الذي يتستر بجرائمه البشعة خلف شعارات السلام التي يطرحها تزويراً للحقيقة.

ولقد سبق للأخوة أهل السنة أن عقدوا أكثر من ندوة، وأشتركوا في مؤتمرات إسلامية، في ضوء المؤتمرات التي أحتضنتها الدولة الإسلامية على طول تاريخها القصير خلال السنوات الخمس الماضية على الصعيدين الداخلي والعالمي.

الحكومة العسكرية في بنغلادش تعارض إقامة ندوة إسلامية

في شهر آب من العام الجاري منعت حكومة بنغلادش العسكرية من إقامة ندوة حول المسائل الخاصة بالعالم الإسلامي والحج في بلادها.

وقبل موعد إقامة الندوة أعتقلت السلطات، «مولانا عبد العزيز» أحد المسؤولين عن إقامة المؤتمر المذكور، ثم أطلقت سراحه بعد أن أجرت بعض التحقيقات معه.

ودعت السلطات الأمنية اللجنة القائمة على الندوة بتأجيل الندوة الى مابعد مراسم الحج. و يقال إنَّ الحكومة السعودية هي التي تقدّمت بهذا الطلب الى حكومة بنغلادش.

مسيرات ومظاهرات رائعة في موسم الحج

قام عشرات الآلاف من حجاج بيت الله الحرام خلال هذا العام بتظاهرات ومسيرات رائعة داعين فيها الى توحيد كلمة المسلمين وضرورة التصدي للقوى الإستكبارية والأنظمة العميلة لها التي تتآمر على الإسلام.

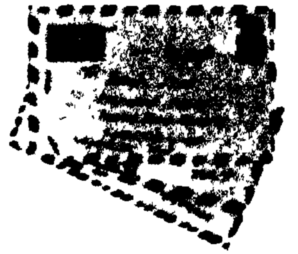
وجدير بالذكر ان أعداداً هائلة من حجاج بيت الله الحرام من مختلف دول العالم، كانت طيلة موسم الحج تتردد على الحجاج الإيرانيين، وتعرب عن تقديرها لما يقومون به من نشاطات في سبيل توعية المسلمين وحثهم على مقارعة الإستكبار والكفر العالميين والأنظمة العميلة في العالم الإسلامي.

والحدث الذي برز على الساحة في هذا العام هو ان المسلمين الساليين وبموقفهم البطولي أجبروا النظام السعودي على التراجع عن قراره بمنعهم من أداء فريضة الحج، وكان لهذا الحدث أصداء كبيرة في العالم الإسلامي وخاصة بين الشعب الإيراني المسلم.

ومن جملة الشعارات التي كان يرددها الحجاج: «الموت لأميركا، الموت لاسرائيل» ـ «لاشرقية، لاغربية، جمهورية إسلامية» «الله اكبر ـ النصر للإسلام والموت لصدام».

بريد التوحيد

ترحب مجلة التوحيد بأي انتقاد ورأي واقتراح من جانب القراء الأعزة وتبدي استعدادها للردّ على الاسئلة المطروحة عليها.



■ **من نيجريا بعث لنا السيد عبدالرحمن رسالة جاء فيها:**

• أبعث اليكم تحية حب واخلاص وتقدير، مشيداً بمجلتكم الزاهرة. لقد أطلعت على نسخة من مجلتكم الصادرة عن خلوص الإيمان، فرأيتها مشحونة بآيات الله عزّوجلّ وأحاديث الرسول الأكرم(ص) وحكم ومواعظ وتفاسير وعبر. فهي حوزة للقلوب، وجديرة بالمدح والثناء، ولاغنى عنها لكل قارئ عربي متعطش الى الثقافة العلمية والإسلامية ذلك لاحتوائها على فوائد كثيرة مستمدة من القرآن والتفاسير والأحاديث وأسلوبها الفصيح. وعلى هذا الأساس رأيت أن أتقدّم بالشكر على خدمتكم، وأسأل الله أنْ يوفقكم لما يحبه ويرضاه... وأخيراً أسأل الله النصر للإسلام والمسلمين والخزي والخذلان للصهاينة والأمريكيين والسلام عليكم.

■ **وبعثت لنا الأخت فاطمة محمد من الكويت رسالة، قالت فيها:**

• إخوتي في منظمة الإعلام الاسلامي: أود أنْ أشكركم على جهودكم المبذولة في سبيل الله وإصداركم مجلة التوحيد، هذه المجلة الجامعة التي تعكس جهودكم وأعمالكم الرسالية التي تسعى الى توحيد الكلمة، ونشر كلمة التوحيد، راجية من الله عزّوجلّ أنْ يتقبّل منكم أعمالكم، ولتبق راية الإسلام مرفوعة عالية خفاقة لتكون نوراً يهتدي به المسلمون و يتمكنوا بواسطته من الوقوف في وجه الطواغيت والإمبريالية العالمية والصهاينة.

■ **والسيد يوسف مسلم كتب الينا من ساحل العاج، يقول:**

• السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. قال رسول الله(ص): قام الإسلام على دعامتين «كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة». ومجلتكم هي مصداق لقول الرسول(ص) لتوحيد الثقافة الإسلامية ورفع راية لاإله إلّا الله محمد رسول الله وولاء أهل بيته الأطهار(ع) وذلك لما تحتويه من مواضيع إسلامية، فكرية، وثقافية، غايتها تعميق الوعي الإسلامي السليم، البعيد عن الأفكار الضالّة. نسأل الله أنْ يوفقكم، ويحفظ الثورة الإسلامية المباركة ويسددها بالنصر لكسر شوكة الكفر والإستعمار. و ندعوه عزّوجلّ أنْ يحفظ قائد الأمة الإسلامية الإمام الخميني ـ أطال الله عمره ـ وهو القائد الذي حمل ورسّخ أهداف الأنبياء والرسل والأولياء والأوصياء والصالحين والشهداء.

■ **ومن الجزائر وصلت رسالة من السيد حشيشي جمال كتب في جانب منها يقول:**

• كان لي الشرف العظيم اني أطلعت عن طريق الصدفة على مجلتكم (التوحيد) هذه المجلة التي تعالج الجانب الديني والروحي وتتناول الكثير من المسائل في المجالات المختلفة. لقد فرحت وسررت كثيراً لما وجدت فيها من تفسير لآيات القرآن الكريم ومواضيع قيّمة أخرى...

■ **والسيد صفدر عباس الكاظمي من باكستان كتب في رسالته قائلاً:**

• اني طالعت العددين الأول والثاني من مجلة التوحيد (باللغة العربية) وأصبحت شديد الإعجاب بمحتوياتها العلمية وبحوثها الإسلامية. أسأل الله أنْ يسدد خطاكم ويحقق أهدافكم و يوفقكم في خدمتكم الشريفة والصادقة للإسلام.

■ ومن طهران بعث لنا السيد حبيب رضائي برسالة جاء فيها:

• إنّ الجهود الكبيرة التي تبذلونها في خدمة الإسلام العزيز وغاياته النبيلة وفي سبيل نشر الفكر الإسلامي ذلك النور الإلهي على هذا العالم المظلم، لهي محل احترام وتقدير كبيرين من قبل الشاب المسلم الذي وجد في مجلة التوحيد ضالته المنشودة و ينبوعاً صافياً تنهل منه روح الحياة والمتمثلة بالفكر الإسلامي الأصيل...

ردود على رسائل القراء

■ السادة: الراجي من ماليزيا، محمد طارق من تركيا، أحمد محمد نصر الدين عن مركز جنوب لبنان الإسلامي، محمد ماهر من استراليا:

• وصلتنا رسائلكم القيمة، وأرسلنا ما طلبتموه من أعداد مجلة التوحيد، و يرجى إخبارنا بالوصول، ومواصلة الكتابة الينا، وشكراً.

■ الاخوة في الجمعية الإسلامية للطلبة العراقيين/ باكستان:

• نشكر تعاونكم معنا، ونحيطكم علماً بأننا حذفنا العنوان الذي أشرتم اليه، ونرجو أن تستمروا في الكتابة الينا واتحافنا بما يصدر عن جمعيتكم من نشرات ودوريات وما الى ذلك من نشاطات ثقافية.

■ السيد صالح محمد ركني من فرنسا:

• أرسلنا لكم الأعداد السابقة من مجلة التوحيد، عسى أن تكون قد وصلتكم. كما أحلنا رسالتكم على قسم توزيع الكتب في المنظمة وان مجلة الهدى كذلك.

■ السيد حسن عبدالله [illegible] ـ أمريكا:

• نحيطكم علماً بأننا و بناءً على طلبكم حذفنا العنوان السابق، ونرجو أن تواصلوا الكتابة الينا.

■ السادة في منظمة الطلبة المسلمين/أميركا:

• أرسلنا لكم المجلات، ونأمل أن يكون قد وصلكم الرد بخصوص الأسئلة التي طرحتموها.

■ الى السادة الذين طلبوا بعض الكتب التي تصدر عن منظمة الاعلام الاسلامي:

• يمكنكم الاتصال بالقسم العربي في المنظمة والخاص بارسال الكتب وذلك على العنوان التالي: الجمهورية الاسلامية في ايران-طهران ـ ص.ب(٢٧٨٢).

ولادة من جديد

هكذا مرت ذكرى الشهيد الكبير رجائي... فأثارت آلاف الأحاسيس والذكريات:

ذكريات الولد الفقير.. تضغط عليه الحياة، فينطلق بائعاً متجولاً على هذا الرصيف وذاك.

ثم المعلم البسيط يتلمس طريقه بين ركام من المفاهيم الجاهلية التي دستها السلطة العميلة الشاهنشاهية في الكتب المدرسية، فلا يجد إلاّ أنْ يقول كلمة الحق مهما كان الطريق وعراً مليئاً بالأشواك.

ثم السجين الوحيد الذي يعاني أشد أساليب التعذيب الوحشي القاسي في أطول فترة قضاها رجل من طلائع الثورة الإسلامية المباركة في ايران في زنزانات الحقد اللئيم!

و تنجح الثورة.. وتتفتح الآفاق أمام هذا الرجل المتعمد بثورته، والمقلد بحق لإمامه... فيخطو بكل قوة، و يتحرك بكل صلابة و يقف أمام كل عوامل التحريف التي حاولت أنْ تنال من الثورة: معلماً موجهاً في سلك التعليم، ونائباً مكافحاً في مجلس الشورى، ورئيساً للوزراء لا تلين عريكته أمام انحراف بني صدر، ثم رئيساً للجمهورية، مقسماً على تطبيق الإسلام في كل جوانب الحياة، وأخيراً شهيداً بطلاً ينال جائزته من رب العالمين، صارخاً (فزت ورب الكعبة)!!

فلا غرو إذنْ أنْ يعشقه الثوار المسلمون في كل مكان، ويهتف باسمه المعذبون هنا وهناك.. وتترنم بذكراه أوتار المحرومين وحناجرهم.

ولاغرو إذا ماعثرت على مقاتل جزائري عريق يحدثك عن دموعه التي سالت يوم سماعه نوفا الرئيس المسلم، لو التقيت بأخت مصرية مجاهدة لتحدثك عن فجيعتها بهذا الإنسان وأنها تعلق في مكت صورة زوجته الصابرة وهي تتحدث عن صمودها لهذا المصاب وفرحها بالشهادة.

أما أنا عزيزي القارىء فقد التقيت بهذه النماذج، وقرأت من خلالها كيف يلقي الله تعالى حـ الأبطال المجاهدين في القلوب حتى ولو كانت تعيش بعيداً في أقاصي الأرض، فهنيئاً أيها الشهيـ وهنيئاً لك أيتها الأمة بهؤلاء الأبناء، وهنيئاً لك أيها الإمام القائد بأولادك الأفذاذ البررة.

ولن تموت أمة نمت لمثال هؤلاء..... الأحياء ●

*** عزيزنا القارئ:**

يرجى الانتباه الى الملاحظات التالية:

أ ــ فور وصول هذه الورقة اليك، سارع في إرسال قيمة الاشتراك لسنة كاملة كي يتسنى لنا ارسال الأعداد القادمة، وفي غير هذه الصورة سنضطر لحذف اسمك من قائمة المشتركين.

ب ــ سعر المجلة في داخل الجمهورية الاسلامية وخارجها مبيَّن في أسفل الورقة، وكذا بالنسبة لطريقة الاشتراك .

ج ــ ترفق قيمة الاشتراك مع القسيمة الموجودة في أسفل الورقة على عنوان المجلة.

*** قسيمة الاشتراك ***

الاسم الكامل:

العنوان:

أرغب الاشتراك لستة أشهر □ لسنة كاملة □

الثمــن

■ ايران ١٠٠ ريال ■ لبنان ٤٠٠ قرش ■ سوريا ٤٠٠ قرش ■ الاردن ٤٠٠ فلس ■ الكويت ٤٠٠ فلس ■ عمان ٥٠٠ فلس ■ البحرين ٥٠٠ فلس ■ الامارات ٧ دراهم ■ السعودية ٨ ريالات ■ قطر ٨ ريالات ■ مصر ٤٥٠ مليماً ■ ليبيا ٥٠٠ درهم ■ السودان ٤٠٠ مليم ■ الجزائر ٥ دنانير ■ المغرب ٦ دراهم.

● وفي باقي دول آسيا وأفريقيا وفي أميركا واستراليا وأوروبا ٤ دولارات أو ما يعادلها

● العنوان:

الجمهورية الإسلامية في ايران ــ طهران ــ ص.ب (٣١٩٥ ــ ١٥٨١٥)

ــ تسدد قيمة الاشتراك على رقم الحساب التالي:

(٩٠٠٢٥) ــ ريال تبليغات اسلامي (مطبوعات خارجي)

بانك ملي ــ شعبة ٤١١ خشايار ــ خيابان طالقاني.

ــ ترسل الحوالات والصكوك على العنوان التالي

الجمهورية الإسلامية في ايران ــ طهران ــ ص.ب (٣١٩٥ ــ ١٥٨١٥)

مجلة التوحيد (باللغة العربية).

التوحيد

مجلــة

اسلاميــة ـ فكريــة ـ جامعــة

العدد السابع عشر ـ السنة الثالثة ـ ذوالقعدة ذوالحجة (١٤٠٥ هـ.ق)

٢٠ تموز ـ ١٦ أيلول ١٩٨٥ م

تُعنى بالفكر الإسلامي المعمّق،
والكلمة الهادفة الصادقة،
وكل مايهمُّ الأمة من رؤىً وسلوك بنّاء.

وتفتح صدرها؛
لكل المفكرين الإسلاميين،
خدمةً لقضية التوحيد الكبرى،
وتركيزاً لخصائص الأمة الاسلامية الواحدة،
ونشراً لأضواء الثورة الاسلامية في كل أرجاء الوجود.

بعيداً عن؛
كل تعصب ذميم،
وتفريق بين المسلمين لاتحمد عقباه،
ولغوٍ من القولِ لا طائل تحته .

الثمــن

ـران ١٠٠ ريال ■ لبنان ٤٠٠ قرش ■ سوريا
٤ قرش ■ الاردن ٤٠٠ فلس ■ الكويت
٤ فلس ■ عمان ٥٠٠ فلس ■ البحرين
٤ فلس ■ الامارات ٧ دراهم ■ السعودية
ـالات ■ قطر ٨ ريالات ■ مصر ٤٥٠ مليماً
ـسيا ٥٠٠ درهم ■ السودان ٤٠٠ مليم ■ الجزائر
ـاير ■ المغرب ٦ دراهم.
ـ باقي دول آسيا و أفريقيا و في أميركا و
ـليا و أوروبا ٤ دولارات أو مايعادلها.

طريقة الاشتراك

■ تسدد قيمة الاشتراك في بانک ملی شعبه حشايار على رقم الحساب التالي (٩٠٠٢٥) سازمان تبليغات اسلامى ـ مطبوعات خارجي
■ يرجى ارسال الحوالات الى ادارة المجلة.

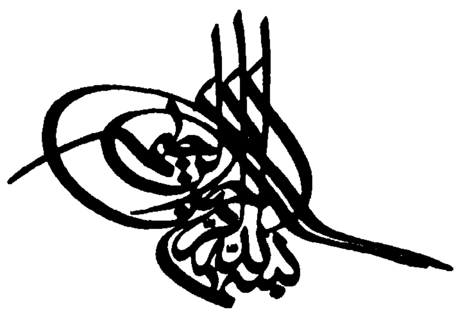
المراسلات على العنوان التالي:

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران
ص.ب (٣١٩٥ ـ ١٥٨١٥)

محتويات العدد

● يصدرها :
قسم العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي
تصدر كل شهرين مرة

ذو القعدة، ذو الحجة (١٤٠٥ هـ ق) ٢٠ تموز ـ ١٦ أيلول ١٩٨٥ م



هل ينفع التذرع بالحجج الواهية؟

بعد أن وجد الاستكبار العالمي ورقته العراقية تحترق، وأدرك أن نظام البعث العراقي الكافر آيل للسقوط، ولم تنفعه كل أساليب المكر الداعية للسلام، راح يحرك العملاء لتشكيل المؤتمرات، أو بث الشبهات عبر التذرع ببعض الآيات القرآنية الداعية للإصلاح بين المؤمنين، محاولاً إثارة العواطف الاسلامية واستغلالها لإنقاذ النظام العفلقي المتهاوي.

ولكن ما هو المدى الذي يستطيع أن يخدع الأمة من خلاله؟

آية الاصلاح بين المسلمين

تقول الآيتان الكريمتان العاشرة والحادية عشرة من سورة الحجرات:

«وإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤمِنينَ اقْتَتَلوا فَأصْلِحُوا بَيْنَهُمَا. فإنْ بَغَتْ إحْداهُمَا على الأُخرى فَقَاتِلُوا الّتي تَبْغي حَتّى تَفِيءَ إلى أمْرِ اللّه، فإنْ فاءَتْ فَأصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بالعَدْلِ وأقْسِطُوا إنّ اللّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ * إنّما المُؤمِنُونَ إخْوَةٌ فَأصْلِحُوا بَيْنَ أخَوَيْكُمْ وَاتّقُوا اللّه لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ».

وقبل بيان بعض الإشعاعات التي تلوح من هاتين الآيتين، من المناسب بيان مورد نزولها أولاً، ثم آراء بعض العلماء المفسرين فيها.

مورد النزول

ذكر صاحب «الدر المنثور» انه أخرج أحمد والبخاري ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابن مردو يه والبيهقي في سننه عن أنس قال:

قيل للنبي(ص): لو أتيت عبدالله بن أبيّ، فانطلق، فركب حماراً، وأنطلق المسلمون يمشون وهي أرض سبخة، فلما أنطلق اليهم، قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني ريح حمارك . فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك. فغضب لعبد الله رجال من قومه، فغضب لكل منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فأنزل فيهم: «**وإنْ طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...**».

وفي بعض الروايات ــ كما في مجمع البيان في تفسير القرآن ــ ان الذي قال ذلك لعبد الله بن أبي بن سلول هو عبدالله بن رواحة، وان التضارب وقع بين رهطه من الأوس ورهط عبدالله بن أبي من الخزرج.

و يرى بعض المفسرين ــ كصاحب الميزان ــ نوعاً من الخفاء في أنطباق الآية على هذا المورد.

وعلى أي حال؛ فمورد النزول لايعدو وقوع نزاع داخل المجتمع المسلم بين طائفتين مؤمنتين.

آراء بعض العلماء والمفسرين

يقول العلامة الطباطبائي ــ صاحب تفسير الميزان ــ:

«**فان تعدت إحدى الطائفتين على الأخرى بغير حق، فقاتلوا الطائفة المتعدية حتى ترجع الى ما أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل، فإن رجعت الطائفة المتعدية الى أمر الله فأصلحوا بينهما، لكن لا إصلاحاً بوضع السلاح وترك القتال فحسب، بل إصلاحاً متلبساً بالعدل بإجراء أحكام الله فيما تعدت به المتعدية من دم أو عرض أو مال أو أي حق آخر ضيعته. وقوله: «وأقسطوا إنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ» الإقساط: إعطاء كل ما يستحقه من القسط والسهم وهو العدل**»[1] .

و يقول «الفخر الرازي» بهذا الصدد: [illegible]... وإن [illegible] طائفتين من [illegible]، [illegible]

الأخرى فقاتلوا التي تبغي» أي الظالم يجب عليكم دفعه عنه»[٢].

و يقول «سيدقطب» في ذيل تفسيره للآية مانصه: «والأصل في نظام الأمة المسلمة أن يكون للمسلمين في أنحاء الأرض إمامة واحدة، وانه إذا بويع لإمام، وجب قتل الثاني وأعتباره ومن معه فئة باغية يقاتلها المؤمنون مع الإمام، وعلى هذا الأصل قام الإمام علي ــ رضي الله عنه ــ بقتال البغاة في وقعة الجمل وفي وقعة صفين، وقام معه بقتالهم أجلاء الصحابة رضوان الله عليهم... ومع قيام هذا الأصل فان النص القرآني يمكن إعماله في جميع الحالات ــ بما في ذلك الحالات الاستثنائية التي يقوم فيها إمامان أو أكثر في أقطار متفرقة متباعدة من بلاد المسلمين وهي حالة ضرورة واستثناء من القاعدة ــ فواجب المسلمين أن يحاربوا البغاة مع الإمام الواحد إذا خرج هؤلاء البغاة عليه، أو إذا بغت طائفة على طائفة في إمامته دون خروج عليه. وواجب المسلمين كذلك أن يقاتلوا البغاة إذا تمثلوا في إحدى الإمامات المتعددة في حالات التعدد والاستثنائية بتجمعهم ضد الفئة الباغية حتى تفيء الى أمر الله»[٣].

اشعاع الآيتين الشريفتين

إننا إذا تأملنا في ظهور الآيتين الكريمتين، وأخذنا بعين الاعتبار السياق العام لهما، وكذلك مورد النزول، وما ذكره المفسرون، ندرك بعض المعاني الجليلة فيهما وهي:

إن الآيتين تتحدثان عن نزاع يقع بين طائفتين مؤمنتين تعيشان في ظل نظام إسلامي عام تؤطره: (التقوى) و (الاخوة الاسلامية) و (الجو الأخلاقي العام الذي ترسمه سورة الحجرات)، حول قضية ما، فيسعى المسلمون لإصلاح الأمر بينهما بحل عادل، فإن خرقت إحداهما هذا الصلح، قاتلها المجتمع المسلم باعتبارها فئة باغية، وأجبرها على أن ترجع الى أمر الله وتسلم له، وحينئذ يقوم المجتمع بمعاقبة المنحرف، وسد كل النقائص وإجراء القسط والعدل.

فالمراحل التي تذكرها الآيتان هي على النحو التالي:

- نزاع بين طائفتين مؤمنتين.
- ثم إصلاح بينهما.
- ثم بغي من قبل إحداهما على الأخرى.
- ثم مقاتلة المسلمين للفئة الباغية.
- ثم تفيء الفئة الباغية الى أمرالله.
- وأخيراً تأتي مرحلة وضع الأمور في نصابها، و يقوم المسلمون بإجراء حدود الله تعالى.

أما المراد من (أمرالله) الذي تفيء اليه الفئة الباغية، ففيه احتمالات كما يقول «الفخر الرازي»:

- ومنها العودة الى طاعة أولي الأمر، استجابة لأمره تعالى «..أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ».
- أو الالتزام بالصلح أو التقوى.

إلا أن الظاهر من الآية هو العودة الى الالتزام بالنظام الاسلامي والتسليم لكل ما يقرره الله تعالى من حلول تشريعية.

«ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا...».

فالفئة الباغية تقاتل حتى تعود للإذعان والتسليم لمقتضى الاسلام والشريعة الاسلامية، تاركة طغيانها وعنادها للاسلام.

ومن الواضح تماماً أن الآية:

- لا تشمل أي نزاع بين طائفة مؤمنة مطبقة للاسلام وأخرى مناوئة له، لأن الحكم في هذه الحالة هو القتال المتواصل حتى إزالة أصل الفتنة «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ». ومايجري في العراق ــ لو أنصف الناظر ــ هو الفتنة بعينها، إذ يعمل النظام على إبعاد الشعب عن الاسلام بشتى الوسائل.

• كما لا تشمل الآية الفئة الباغية داخل المجتمع المسلم والتي تتحرك بأصابع أجنبية مستهدفة القضاء على أصل النظام الاسلامي وإعادة الأمر الى الحكم الكافر.

• كما لا تشمل ــ قطعاً ــ تلك الفئة المحاربة التي تعتدي على البلاد، وتقطع الطرق، وتهدم المدن، وتهتك الأعراض، وتسبي الذراري، فهذه الفئة ينطبق عليها حكم المفسدين في الأرض، و بالتالي فحكمها الاعدام وتقطيع الأيدي والصلب وتطهير الأرض من شرها.

يقول تعالى: «إِنَّمَا جَزَاءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ، ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

(المائدة ٣٣)

إنَّ أي ملاحظة ولو عابرة لجو الآية الكريمة ترينا مدى الغباء أوالقصور الذي ابتلي به بعض المنتمين للعلم حين راحوا يطالبون النظام الاسلامي بالقبول بسلام مفروض رغم بقاء الفتنة بل واحتمال تقويتها وعودتها من جديد بشكل أكبر فظاعة.

إنَّ شعبنا المؤمن لن يلدغ من جحر مرتين، ولن يدخل تجربة مرة أخرى، بل سيواصل هجومه المظفر حتى تزول الفتنة، و يكون الدين لله في عراق الاسلام الحبيب •

الهوامش

١ ــ الميزان: المجلد الثامن عشر، ص ٣١٤.
٢ ــ تفسير الفخر الرازي المجلد ٢٨، ص ١٢٦.
٣ ــ في ظلال القرآن، المجلد السابع، ص ٥٣١.



تفسير القرآن الكريم

١٧

إحساساً بضرورة وجود تفسير للقرآن الكريم، يحمل عناصر الايجاز والعمق والوضوح، بالاضافة الى طرح البعد الاجتماعي للمفاهيم القرآنية، فقد قام كل من الشيخ محمدعلي التسخيري والشيخ محمد سعيد النعماني بهذه المهمة التي نسأل الله تعالىٰ التوفيق لاكمالها.

وينبغي للقراء الأعزة ان يلاحظوا انه روعيت في هذا التفسير العناصر التالية؛

١ ــ الايجاز الى الحد الممكن مما يجعل كل صفحة من القرآن الكريم تقابلها صفحتان من التفسير تقريباً.

٢ ــ طرح الأبعاد المختلفة للمدلول القرآني ومنها البعد الاجتماعي الاصيل.

٣ ــ طرح التفسير وفق مختلف الآراء مهما امكن مع التركيز على المروي عن اهل البيت (ع).

ــ القسم السابع عشر ــ

من الآية (٩٢) من سورة النساء الى الآية (١٢٧)

وما كانَ لِمُؤْمِنٍ...: إن المؤمن يرتبط بأعظم الوشائج الأخوية بالمؤمن الآخر، وهي وشيجة العقيدة. فمن الطبيعي أن لا يقدم على قتل أخيه متعمداً.. إلّا أنه قد يقع الخطأ فيؤدي الى قتل عضو مؤمن من أعضاء المجتمع المسلم، وحينئذ تذكر حالات ثلاث لكل منها حكمها:

الأولى: أن يكون أهل القتيل المؤمن مؤمنين، فيجب إعطاؤهم الدية، إلّا أن يعفوا عنه و يتصدقوا بهذا العفو، وتحرير عبد مؤمن، وكأنه بهذين العملين يتم تطييب قلوب الأهل، كما يتم تعويض المجتمع المؤمن بإضافة عضو مؤمن حر اليه. و يلاحظ هنا ان الاسلام يعتبر الرق موتاً والتحرير احياءً، مما يعبّر عن الضرورة التي ألجأت الاسلام للقبول به بادئ الأمر كحالة استثنائية، ثم العمل على نفيه وفتح أبواب التحرير بشكل واقعي.

الثانية: أن يكون أهل القتيل المؤمن من الكفار المحاربين للاسلام، وحينئذ فليس هنا إلّا تعويض المجتمع المسلم بتحرير رقبة مؤمنة وضمها حرة اليه، ولايدفع أي شيء للأهل المحاربين.

الثالثة: أن يكون القتيل من قوم عاهدوا المسلمين (عهد ذمة وهو مختص بأهل الكتاب، أو عهد هدنة) وحينئذ فدماؤهم محترمة، ويجب تسليم الدية الى أهله، وتحرير رقبة مؤمنة أيضاً.

... فَمَنْ لَمْ يَجِدْ...: أما من لم يستطع على تحرير رقبة مؤمنة، فإنّ عليه الصيام شهرين متتابعين (أي يصوم على التتابع شهراً و يوماً على الأقل من الشهر الآخر، ثم يستطيع التفريق). ولعل في ذلك إشارة الى الفوائد التي يعود بها الصوم على الانسان، فيسد ما بدر منه من نقص، و يشده الى ربه وغير ذلك.

... تَوْبَةً مِنَ اللهِ...: وهو عودة إلهية بالرحمة على العباد، هذا الحكم رحمة للعبد (القاتل خطأ) وأهل القتيل، والمجتمع [المس]لم.

[ومـ]ـن يَقْتُلْ مُؤْمِناً...: إنها مكانة المؤمن الرفيعة باعتباره [الـ]مكرّم السائر في خط الخلافة الالهية والعامل على تحقيق [الخـ]لقة البشرية، فأي اعتداء على هذا الوجود يعني اعتداء على كل المسيرة، فهو بالتالي يستتبع الغضب الالهي واللعنة والعذاب الأليم وهو عقاب شديد قلّما يواجه القرآن به المجرمين (فالويل للطغاة الذين يلاحقون المؤمنين بالقتل والتشريد ــ دوماً ــ للحفاظ على عروشهم).

يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا...: تطلب الآية من المؤمنين التبين والتأكيد أثناء الضرب (أي التحرك الجهادي) في سبيل الله، وقبول قول من أدعى الاسلام، وعدم التشكيك فيه للحصول على غنائم ماهي إلّا عرض دنيوي زائل لاقيمة له في قبال الهدف الكبير وهو سبيل الله حيث المغانم المعنوية كثيرة لا تقاس بها الغنائم الدنيوية، والتخلص من تصورات الجاهلية التي كانت تستهدف الأهداف الرخيصة فمنّ الله عليهم بالايمان وحمل الأهداف السامية.

ثم تعود فتؤكد مسألة التبين حفاظاً على حياة المؤمنين وتأكيداً على لزوم التعامل بالظاهر معهم. وتؤطر هذا التأكيد بالتذكير بالخبرة والإحاطة الالهية بكل الأعمال.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ
مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟
لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

لا يَسْتَوِي...: يستمر القرآن في تحريضه على الجهاد عبر وسائل شتى، وهو هنا يذكر أصنافاً ثلاثة من المؤمنين:

القاعدون أولو الضرر: أي الذين يقعد بهم مرضهم عن الجهاد.

والقاعدون غير أولي الضرر: أي الذين يتكاسلون عن الجهاد بعد أن لم يجب عليهم عيناً في حال قيام جماعة فيهم الكفاية بعملية الجهاد.

والمجاهدون: المنطلقون الى ميدان العمل في سبيل الله.

وإذا كان الأولون معذورين لضررهم وربما نالوا بنياتهم الدرجات العالية، فإنَّ الفئة الثانية لن تحصل على الدرجة التي تحصل عليها الفئة الثالثة لأنها نتيجة الجهاد. وفي هذا التقسيم بلاريب دفع للتسابق والعمل على الانخراط في سلك المجاهدين، والحصول على الأجر العظيم، رغم أن كلا الطرفين موعودان باللطف الالهي والحسنى.

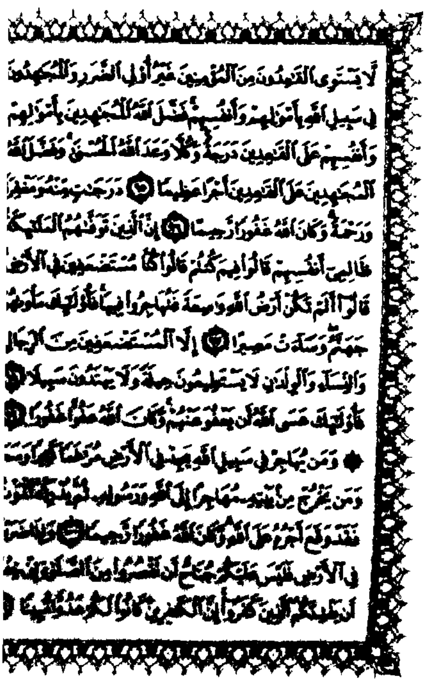
ومن هذه الآية الكريمة دفع أكيد لاعتماد الاستعداد للجهاد دائماً في سبيل إعلاء كلمة الله وتطبيق شريعته في الأرض وعدم القعود عن بذل أي شيء بعد أن يؤكد القرآن على الثواب العظيم مراراً، فهو يمرّ أولاً بتفضيل المجاهدين على القاعدين درجة، ثم يذكر تفضيل المجاهدين بالأجر العظيم، ثم يفصل ذلك بذكر الدرجات الالهية والمغفرة والرحمة من الله الغفور الرحيم.

إنّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ...: وهذا نموذج آخر من القاعدين، إلا أنه هنا نموذج مرفوض، محكوم عليه بسوء المصير، وهونموذج أولئك المسلمين الذين رضوا بالعيش في ظل الكافرين، وخضعوا لضغوطهم، فتركوا إقامة الشعائر الاسلامية إرضاءً للكفر. و يذكر القرآن هنا مشهداً مرعباً حيث يحاسبهم الملائكة، وهم يتوهونهم متسائلين عن السبب الذي دعاهم لهذه الحالة، فلا يملكون جواباً إلّا التذرع بحجة كونهم مستضعفين من قبل الكفار. وهنا يرد الملائكة عليهم بسؤال إنكاري يقول: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ و بالتالي تتخلصوا من ضغط الشرك، وحينئذ فلا جواب لهم، بعد أن شدهم الطمع للاحتفاظ بالأموال، أو الخوف من أهوال الهجرة، والكسل عن العمل التغييري الى البقاء وتحمل الضغط الكافر، ولا مصير لهؤلاء إلّا النار.

إلّا الْمُسْتَضْعَفِينَ...: وتستدرك الآية فتخرج من حكم الآية السابقة أولئك المستضعفين حقاً والذين لايقدرون على الهجرة ولايملكون وسيلة (حيلة) يتخلصون بها من الضغط الكافر، وربما شمل حكم هذا الاستثناء أولئك الذين طلبوا معرفة ا الحق فلم يهتدوا اليه سبيلاً، أو اولئك الذين لايملكون التحليل والتمييز بين الآراء فركنوا الى آراء ظنوها صحيحة، فـ وأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وهو العفو الغفور.

... وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً...: تأكيد قرآني الهجرة بعد أن تمين جهتها وهي (الله ورسوله) وتضمن للمـ النتيجة السامية والأجر الالهي إذا ما تعرض للموت في الطر

وإذا ضَرَبْتُمْ في الأرضِ...: من خلال تحريض الا على الجهاد تدعو هذه الآية للتقصير والتخفيف من الصلاة السفر والخوف من فتنة الكافرين وأعتدائهم، وهذا التقصـ ذكر هنا مقيدين لكن السنة وسعته لكل سفر، وأكدت ا المسلمين بما فيهم الإمامية على أن القصر عزيمة لا رخصة ولا التعبير بلا جناح عليكم، فهو وارد أيضاً في السعي، وهو بلاشك، وربما كان التخفيف في صلاة الخوف يشمل الرباعية الى ثنائية، كما يشمل التخفيف الكيفي بـ الحركات الى ايماءات إذا تطلب الأمر ذلك.


لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما (95) درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما (96) إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا (97) إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا (98) فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا (99) ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما (100) وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا (101)

وإذا كُنتَ فِيهِم...: في سياق الحديث عن الجهاد والقتال
ـرض هذه الآية الى كيفية الصلاة أثناء مقابلة العدو، مركزة
أهمية الاتصال الدائم بالله تعالى من خلال الصلاة، وأهمية
ـلاة جماعة حتى في حالات الخوف الشديد. ويختلف العلماء في
ـفية صلاة الخوف إلّا أن الراجح ان المراد هو أن ينقسم
ـلمون طائفتين فتصلي إحداهما مؤتمة بالرسول (ص) في ركعته
ـلى، فإذا أتم السجود، نهضت، فأتمت ركعتها الثانية، منفردة
ـعة ومنهية صلاتها ركعتين، ثم متجهة الى موقع الطائفة الأخرى
وقفت للحراسة فتأخذ موقعها. وتأتم الطائفة الأخرى بالنبي
ـكعته الثانية، فإذا انتهى السجود وسلم الرسول، قامت، فأتت
ـعتها الأخرى منفردة. وقد رويت صور أخرى لهذه الصلاة،
ـكم عام لايختص بزمن الرسول (ص).
والآية تأمر كل طائفة تأتم بالرسول بأخذ أسلحتها، مؤكدة
الحذر والوعي الشديد، مذكرة بتربص العدو. أما إذا كان
ـة مشقة من مطر أو مرض فقد سمحت لهم بعدم حمل السلاح
ـء الصلاة، ثم كررت عليهم مسألة الحذر الشديد، فإنه شرط
ـري لهزيمة العدو وأبتلائه بالتالي بالعذاب المهين المذل.
ـإذا قَضَيْتُم...: تأكيد على لزوم الذكر المتواصل لله عقب
ـلاة، وفي كل حالة من حالات الانسان (قياماً أو قعوداً أو
ـجاعا على جنب) فذكر الله زاد مسيرته التكاملية ووقودها
ـوازنها ووعيها لهدفها الكبير، وأي غفلة عن ذلك تعني
ـكاس والنكوص والخلل في السير.
.. **فإذا اطْمَأْنَنتُم...**: فإذا ملغتم محل إقامة وأمن، فأدوا
ـة كاملة في كيفيتها وكميتها.
.. **إنَّ الصَّلاةَ...**: إن الصلاة فريضة ثابتة على مدى
ـ، لا تسقط بحال، وذلك نظراً لأنها تسد حاجة طبيعية دائمية
ـسان في مسيرته المعنوية، وربما فُسّرت بأنها فريضة لها وقتها
ـ، إلّا أنه خلاف الظاهر بملاحظة السياق.
ـلا تَهِنُوا...: تحمل هذه الآية الكريمة أقوى تحفيز على القتال
ـلته وتحمل مشقته، فهي تأمر بعدم الضعف والتهاون في
ـدة الكفر والطاغوت وأشقائه.. وتركز في قناعة المسلم
ـن مهمتين مؤثرتين في استمرارية المطاردة وهما:
ـأولى: إن الألم الذي يحسونه يقابله ألم آخر يحس به العدو،
تكون ضربات المؤمنين أكثر إيلاماً في العدو المترف الراكن
ـدنيا وزينتها، في حين لايحس المؤمن الزاهد بالحياة بمزيد
ـألم تجاه الضربات التي يوجهها الطغاة.
ـثانية: إنَّ الرعيل المؤمن راج منتظر، والإنتظار هنا من الله
تعالى القوي العليم الحكيم، و الإنتظار الحقيقي طاقة كبرى بها
يحصل التحرك المتواصل والحرارة الدائمة، خصوصاً وانَّ مسند
النصر مضمون من الله تعالى، فهو مولى الذين آمنوا، والعليم بسبل
النصر، والحكيم الذي يضع الخطة الموصلة للهدف بكل دقة، أما
الذين لاينتظرون مستقبلاً حياً يتحقق لامحالة فهم إذا تحركوا
تحركوا على أمل نصر قصير دونما رصيد من قدرة تسندهم،
فالكافرون لامولى لهم.
إنَّا أنزَلنَا...: وهكذا تنزيل شريعة الله على أساس من
الحق الثابت والمصالح الانسانية الممتدة مع المسيرة الفطرية
لتحكم وتقضي وتقدم أيسر الحلول للمشاكل، وعلى حامل
الشريعة أن يحكم بها دونما تهاون أو ميل أو تنازل، ودون أن يكون
الحاكم خصيماً، أي مدافعاً عن خونة الحكم الاسلامي.
ولعل مورد نزول هذه الآية واقعة سرق فيها أحد المسلمين
ورمى بها غيره من اليهود وألح قوم السارق على النبي (ص) أن
يقضي لهم ضد المتهم البريء وأصروا عليه في ذلك فأنزل الله هذه
الآية لبيان الحق وتوضيح ان معيار الاسلام هو الحق حتى لو كان
ضد أحد الأنصار ولصالح أحد اليهود.

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ...: إن الاستغفار يعني طلب العودة الدائمة الى الله وطلب المدد منه، وهو أمر يشترك فيه الجميع حتى المعصومين ليغمرهم المدد والغفران و يعطيهم القوة في الوقوف بوجه الباطل.

ولا تُجادِلْ...: العصاة يخونون أنفسهم لأن وبال المعصية يعود على النفس، وربما كان المراد خيانة المجتمع المسلم باعتباره نفساً واحدة، فيجب عدم الدفاع عنهم لأنهم مبعدون عن الرضا والحب الالهي.

يَسْتَخْفُونَ...: إنهم يخفون خيانتهم و يستحيون من الناس في حين كان الأجدر بهم أن يستحوا ولا يقدموا على ماقاموا به معصية ورادوا عصياناً في رمي الغير بها والله تعالى مشرف على كل أعمالهم مطلع على ما يبيتون (يضمرون) من كلام وتآمر فهو المحيط بكل الأعمال.

ها أنتُم...: دعنا نفترض ان الدفاع عن هؤلاء أدى الى ستر جريمتهم في الحياة الدنيا، إلا أنه من سيجادل و يدافع عنهم يوم القيامة و يتكفل بخلاصهم آنذاك ؟

وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً...: بدلاً من لجوء العصاة الى رمي الغير بالمعصية للتخلص من تبعاتها، كان الأجدر بهم أن يعودوا الى ربهم مستغفرين ومستفيدين من فرصة العفو الالهي عبر التوبة والاستغفار الخالصين.

وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً...: الملاحظ في هذه الآية ومن قبلها التأكيد على عودة الاثم على النفس نقصاً وضعفاً وهي حقيقة يجب أن يشعر بها المؤمن دائماً فينسجم بشكل طبيعي مع خط الطاعة و يبتعد كذلك عن خط المعصية.

وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً...: قيل إن الخطيئة المعصية التي لا تتجاوز آثارها الانسان العاصي نفسه، كتر بعض الواجبات كالصوم، في حين أن الاثم معصية يستمر و ب كقتل النفس بغير حق. وعلى أي حال؛ فان الطريق الطبي للتخلص من الوبال هو التوبة النصوح، فإذا سلك العاص طريقاً أُخرى وهي رمي الآخرين بهذه المعصية فقد ارتكب إ مضاعفاً واضحاً حيث اتبع سبيل البهتان والاتهام الكاذب.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ...: إن تسديد الله تعالى دائم للنب يعصمه من أي ميل أو إستجابة لتآمر يعمل من خلاله البعض ع تشويه الحقيقة، و يظنون انهم يضلون النبي (ص) في حين ا لايضلون إلا أنفسهم ولايستطيعون الإضرار بالنبي (ص) مطل بعد أن أنزل الله عليه الكتاب والحكم وعلّمه العلوم الواسعة وهذا هو الفضل الالهي العظيم.

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ
عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ
ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ
عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن
شَيْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

لاخَيْرَ في...: تقلل الآية من قيمة التناجي وتبادل الحديث سراً بعيداً عن المؤمنين وتبييت الأمور دون علم المؤمنين وقائدهم، وخصوصاً إذا تمّ هذا من قبل المنافقين والعصاة ومؤيديهم، إلّا أن الآية تستثني من التزهيد بالنجوى التناجي والإجتماع الخفي لغرض ابتغاء مرضاة الله تعالى بالقيام بتقديم صدقة في السر أو العمل على نشر المعروف أو الاصلاح بين الناس مما يترك آثاره الايجابية الطيبة على المجتمع دون أن يضطر الآخرين لالقاء ماء الوجه أو الخجل، فإنّ الإعداد السري المسبق للأعمال الصالحة التي يرضاها الله حتماً يوجب الفوز بالأجر العظيم.

وَمَنْ يُشَاقِقِ...: إنّ من ينفصل عن سبيل الرسول و يتبع سبيلاً لايتفق مع سبيل المؤمنين وهو سبيل الطاعة لله والرسول والتمتع بالخصائص العامة للأمة الاسلامية من الوسطية والشهادة والقيام بالقسط وغير ذلك، مثل هذا يوكل أمره الى من يتولاه (وكل ماعدا الله ضعيف لايقدر على شيء) و يصلى جهنم و بئس المصير.

إنّ اللّه لايَغْفِرُ أنْ...: إن مشاقة الرسول والانفصال عن سبيله وسبيل المشركين تعني في الواقع تولي الأصنام و بالتالي الشرك بالله وهو ذنب عظيم لايغفره الله ــ وإن كان يغفر مادونه لمن تتوفر فيهم شروط المغفرة ــ لأنه الضلال البعيد عن هدى الفطرة ومقتضاها الواضح.

إنْ يَدْعُونَ مِنْ...: ذكرت الآية السابقة ان الشرك يعني الضلال والوهم البعيد (عن الفطرة ومقتضياتها) وكمثال على ذلك نجد المشركين يعبدون الملائكة وهم يتصورون انها اناث!! ــ وربما كانت الآية تشير الى ان الآلهة التي يعبدها المشركون آلهة مؤنثة بالمعنى اللغوي للتأنيث وهو الإنفعال والتأثر، فكلها مخلوقة متأثرة لاقيمة استقلالية لها ــ وربما عبدوا الشيطان وأتبعوه رغم انه العدو الأثيم المريد (اي الذي لاخير فيه مطلقاً) مما أستحق معه اللعنة والطرد الالهي فراح يخطط لاقتطاع جزء من البشرية المؤمنة وابعادها عن السير الصالح من خلال الاضلال، والأماني الكاذبة التي تبعدهم عن طاعة الله استجابة لرغباتهم النفسية الكاذبة، وكذلك من خلال بث خرافات الشرك بينهم لكي يحرموا الكثير من الثروات الحيوانية بعد تقطيع آذانها، وتغيير الخلق الالهي كما في اخصاء العبيد وأنواع المثلة واللواط وغير ذلك وكله خروج عن حكم الفطرة السليمة.

وتلك نتيجة طبيعية لمن يتخذ عدوه ولياً له، و يترك الولي الحقيقي الرحيم وهو الله تعالى، و بذلك فانه لن يجني سوى الخسران المبين.

يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ...: إن الشيطان ضعيف جاهل عاتل معاد، ومن الطبيعي أن الوعود والأماني الشيطانية رغم سعتها الوهمية هي غرور وتغرير وإيهام لاغير.

أُولَـٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ...: إنها العاقبة الطبيعية لمن أتبعوا خط الشرك والبعد عن الفطرة وركضوا وراء العدو الشيطان واتخذوه ولياً من دون الله وغرقوا في الخرافات القاتلة التي جروا معها حياتهم الدنيا وليس لهم في الآخرة مفر من جهنم التي ستكون مأواهم ومسكنهم

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

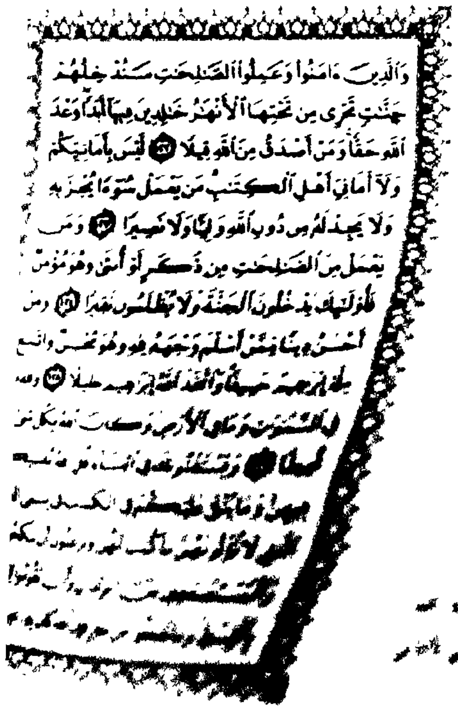
وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا...: في الآية السابقة وضح القرآن وهم الوعود الشيطانية ذلك لأنها وعود من عدو ضعيف جاهل عاجز. وفي قبال ذلك فالاعتماد الحقيقي المتين على قاعدة متينة يجب أن يتم على الوعود الالهية المؤكدة على المصير المشرق للمؤمنين العاملين للصالحات الى الجنة والخلود فيها وهو أقصى ما يمكن أن يتصوره إنسان من السعادة في ظل رضوان الله. إنه الوعد الالهي الحق باعتباره ثابتاً مطلقاً، مستمداً ثباته من علم الله المطلق وصفاته الكمالية، ومن أصدق من الله قولاً ووعداً؟

لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ...: إنه المعيار الاسلامي الحق الذي لايتبع الأهواء والأماني والتمولات والادعاءات الكاذبة بأن الانضمام اللفظي أو النسبي أو الطبقي الى مجموعة يكفي في النجاة حتى ولو لم يستتبع ذلك العمل الصالح والالتزام بالخط الأصيل، فقد يتصور المسلم انه بإسلامه المجرد اللفظي قد نجا ولا عليه إذا لم يعمل تماماً كما تصور أهل الكتاب من قبل فقالوا «نحن أبناء الله وأحباؤه» و «لن تمسنا النار إلّا أياماً معدودة» وأمثال ذلك، إلّا ان المعايير الاسلامية المنطقية تأبى كل هذه التصورات الباطلة، فالعاملون بالسوء سيلاقون نتائج عملهم بلاريب (الّا أن يغفر الله لهم نتيجة استعداد منهم ولطف منه تعالى)، ولن يجد المسيؤون من ينصرهم من دون الله من ولي أو نصير.

وَمَنْ يَعْمَلْ...: أما العاملون للصالحات في إطار ايمانهم فلهم الجنة ولا يظلمون مطلقاً حتى بمقدار نقرة الطائر على التمرة مبالغة في الدقة. ومن هنا يعلم ان العمل الصالح في غير هذا الإطار لايؤدي الى هذه النتيجة الكبرى. وفي الآية تأكيد رائع على انفتاح طريق التكامل أمام الأنثى تماماً كالذكر وهو أمر لم تكن البشرية آنذاك تعترف به

وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً...: [illegible]

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَاءِ...: كان المؤمنون الذين هداهم للإسلام يعملون على تطبيق الاسلام على كل جوانب ... والتخلص من أوضار الجاهلية ومنها تلك العادة الذميمة الا... بالنساء واليتامى بالخصوص حيث يلقي القوي منهم ثوبه ... اليتيمة فتصبح تحت تصرفه فهو يتزوجها إنْ كانت ... ويعضلها ويتركها دون أن يسمح لها بزواج إن كانت د... مستهدفاً أن يرثها ما تملك. وهكذا كان الحال بالنسبة لليتامى الذكور المستضعفين حيث لايشر... في الإرث باعتبارهم لايستطيعون قتالاً وانتاجاً!! هذه العاد... الجاهلية جاء المؤمنون يطلبون رأي النبي فيها فأعطاهم القرآن ر... الله (الذي يستند اليه الرسول دائماً). والمعنى ان الله يفتيكم ... اليتامى الاناث الذين كتب لهن بشكل طبيعي ان يكنّ أحر... في الزواج وكنتم ترغبون عن نكاحهن أن تفسحوا المجال لهنّ في ... وليس لكم أي ولاية عليهن، وكذلك يعامل المستضعفون ... الذكور (الولدان) معاملة عادلة فيعطون حقوقهم لأنهم أناس ... كل شيء والله تعالى هو العليم بكل خير يعمله الانسان.


وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ
اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (122) لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ
وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ
وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) وَمَن
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124) وَمَنْ
أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (125) وَلِلَّهِ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ...
[illegible]



الاربعون حديثاً

بقلم : مرجع الأمة الاسلامية الامام الخميني

القسم الأول

المقدمة:

«الأربعون»، أو الأربعون حديثاً منتخباً من
اديث المروية عن المعصومين (ع)، هذا
ب جداً، حرص العلماء وزعماء الدين
على أن يولوه اهتمامهم الخاص
لعملية جمعهم للحديث. ولعلنا
نجد الكثير من الكتب والمؤلفات بهذا الاسم والعنوان بين آثار مشائخ الحديث والفقهاء الكبار، وقد أطلقوا عليها هذا العنوان تبركاً وتيمناً بالحديث الشريف لخاتم الأنبياء (ص) «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ينتفعون بها، بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً».

وقد قاموا ــ رضوان الله عليهم ــ بهذا العمل المفيد خير قيام، وأوضحوا الأحاديث التي انتخبوها، وعلقوا تعليقات نافعة. ولكتب الأربعين للشيخ المفيد والعلامة الحلي والشيخ البهائي شهرة خاصة من بين تلك الآثار. ومن نفس هذا المنطلق وبنفس تلك النية الخالصة، وقبل نصف قرن تقريباً، وبالضبط في شهر محرم من عام ١٣٥٨ هـ.ق أنهى سماحة الامام الخميني ــ دام ظله ــ كتابه الذي يحمل عنوان «الأربعون حديثاً».

وعبارات هذا الكتاب السلسة وجمله البليغة، هي نفس العبارات التي ترد اليوم في خطابات سماحته والتي تجذب القلوب.

وتغتنم مجلة «التوحيد» الفرصة لتقتطف بعض المباحث والفصول من حصاد الفضل والعلم والعرفان والأخلاق، ولتعطر ــ من عطره ــ أرواح المريدين. والمجلة تضع بين يدي القراء ــ ابتداءً من هذا العدد ــ القسم الأول من هذا الكتاب القيّم، لينتفع به عبر مجموعة من أعداد المجلة، الى أن يحين الوقت لوضع الكتاب بصورة مستقلة بين يدي الجميع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله أجمعين ولعنة الله على أعدائهم الى يوم الدين.

اللهم أنر مرآة القلب بنور الاخلاص، وأجلُ عن صفحة القلب صدأ الشرك، واهد هؤلاء الساكنين في بيداء الحيرة والضلالة الى جادة السعادة والفلاح الواسعة...

اللهم وفقنا للتخلق بالأخلاق الكريمة وأشركنا فيا اختصصت به أولياءك من نفحاتك والطافك الخاصة...

اللهم وأخرج من مملكة قلوبنا جند الشيطان والجهل، وأحلل محلها جنود العلم والحكمة والرحمن...

اللهم واجعلنا نقضي هذه الدنيا بحبك وحب أوليائك .. وعاملنا برحمتك حين الموت وبعده...

اللهم وأقرن عاقبة أعمالنا بالسعادة بحق محمد وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

* سبب تأليف الكتاب *

وبعد.. فإني العبد الفقير الضعيف.. كنت أحدث نفسي لأمد، بأن أجمع أربعين حديثاً من أحاديث أهل بيت العظمة والطهارة عليهم السلام، المدونة في الكتب المعتبرة للأصحاب والعلماء رضوان الله عليهم، وأن أشرح كلّ حديث شرحاً يتناسب وفهم العامة. ومن هذا المنطلق كتبتها باللغة الفارسية كي ينتفع منها أولئك الذين ينطقون بالفارسية، ولعلي بذلك أصبح ممن يشمله الحديث الشريف لخاتم الأنبياء (ص) حيث يقول: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ينتفعون بها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً». وحيث توفقت للبدء في هذا المشروع بحمد الله وحسن توفيقه أسأله تعالى الإعانة لإتمامه. إنه ولي التوفيق.

● الحديث الأول ●

أخبرني اجازة مكاتبة ومشافهة عدة من المشايخ العظام، والثقات الكرام منهم:

الشيخ العلامة المتكلم، الفقيه الأصولي الأديب المتبحر الشيخ محمد الرضا آل العلامة الوفي الشيخ محمد تقي الأصفهاني أدام الله توفيقه حين تشرفه بقم الشريفة.

والشيخ العالم الجليل المتعبد الثقة الثبت الحاج الشيخ عباس القمي دام توفيقه. وكلاهما عن المولى العالم الزاهد العابد الفقيه المحدث الاميرزا حسين النوري نوّر الله مرقده الشريف عن العلامة الشيخ مرتضى الأنصاري قدس الله سره.

ومنهم السيد السند الفقيه المتكلم الثقة الثبت العلامة السيد محسن الأمين العاملي أدام الله تأييداته، عن الفقيه العلامة صاحب المصنفات العديدة السيد محمد بن هاشم الموسوي الرضوي الهندي المجاور في النجف الأشرف حياً وميتاً قدس الله سره، عن العلامة الأنصاري. ومنهم السيد العالم الثقة الثبت السيد أبو القاسم الدهكردي الأصفهاني، عن السيد السند الأمجد الاميرزا محمد هاشم الأصفهاني قدس سره، عن العلامة الأنصاري. ولنا طرق أخرى غير منتهية الى الشيخ تركناها، عن المولى الأفضل أحمد النراقي، عن السيد مهدي المدعو «بحر العلوم» صاحب الكرامات ـــ رضوان الله عليه ـــ عن أستاذ الكل الاقا محمد باقر البهبهاني، عن والده الأكمل محمد أكمل، عن المولى محمد باقر المجلسي، عن والده المحقق المولى محمد تقي المجلسي، عن الشيخ المحقق البهائي، عن والده الشيخ حسين، عن الشيخ زين الدين الشهير بالشهيد الثاني، عن الشيخ علي بن عبد العالي الميسي، عن الشيخ شمس الدين محمد ابن المؤذن الجزيني، عن الشيخ ضياء الدين علي، عن والده الحائز للمرتبتين الشيخ شمس الدين محمد بن مكي، عن الشيخ أبي طالب محمد فخر المحققين، عن والده آية الله الحسن بن مطهر العلامة الحلي، عن الشيخ أبي القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد الحلي المحقق على الاطلاق، عن السيد أبي علي فخار بن المعد الموسوي، عن الشيخ شاذان بن جبرئيل القمي، عن الشيخ محمد بن أبي القاسم الطبري، عن الشيخ ابي علي الحسن، عن والده شيخ الطائفة، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، صاحب كتاب «جامع التهذيب والاستبصار»، عن امام الفقهاء والمتكلمين، الشيخ أبي عبد الله محمد بن النعمان «الشيخ المفيد» عن شيخه رئيس المحدثين الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، صاحب كتاب «من لا يحضره الفقيه»، عن الشيخ أبي القاسم جعفر بن قولويه، عن الشيخ الأجل ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني، صاحب «الكافي»، عن علي بن ابراهيم، عن ابيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله (الامام جعفر الصادق) (ع) ان النبي صلى الله عليه وآله، بعث سرية، فلما رجعوا، قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد النفس».

شرح الحديث:

«السرية» قطعة من الجيش. و يقال خير السرايا أربعمائة رجل. وباقي مفردات الحديث واضحة...

إعلم إن الانسان مخلوق عجيب، وأن له نشأتين وعالمين، نشأة ظاهرية ملكية دنيوية تتمثل في جسده، ونشأة باطنية غيبية ملكوتية من عالم آخر. ولنفس الانسان ــ وهي من عالم الغيب والملكوت ــ مقامات ودرجات قسّموها بصورة عامة الى سبعة أقسام حيناً، والى أربعة أقسام حيناً آخر، وحيناً الى ثلاثة أقسام، وأخيراً الى قسمين. ولكل مقام ودرجة جنود رحمانية وعقلانية تجذب النفس نحو الملكوت الأعلى وتدعوها الى السعادة، وجنود شيطانية وجهلانية تجذب النفس نحو الملكوت السفلي وتدعوها للشقاء. وهناك صراع ونزاع محتدم بين هذين المعسكرين، والانسان هو ساحة الحرب بينهما، فاذا تغلبت جنود الرحمن كان الانسان من أهل السعادة والرحمة وآنخرط في صفوف الملائكة وحُشِرَ في زمرة الأنبياء والأولياء والصالحين.

وأما إذا تغلب جند الشيطان ومعسكر الجهل، كان الانسان من أهل الشقاء والتعاسة، وآستحق الغضب، وحُشِرَ في زمرة الشياطين والكفار والمحرومين.

ولأن هذه الأوراق ليست محلاً للتفصيل، لذلك أشير هنا بصورة إجمالية الى مقامات النفس وأوجه سعادتها وتعاستها، وأوضح كيفية مجاهدتها:

المقام الأول

وفيه عدة فصول:

الفصل الأول:

إعلم إن مقام النفس الأول ومنزلها الأسفل، هو منزل الملك والظاهر وعالمها. وفي هذا المقام تتألق الأشعة والأنوار الغيبية في هذا الجسد المادي والهيكل الظاهري، وتمنحه الحياة العرضية، وتجهز فيه الجيوش، فكان ميدان المعركة هو نفس هذا الجسد، وجنوده هي قواه الظاهرية التي وجدت في الأقاليم الملكية السبعة يعني «الأذن والعين واللسان والبطن والفرج واليد والرجل». وجميع هذه القوى المتوزعة في تلك الأقاليم السبعة هي تحت تصرف النفس ومقام «الوهم»، فالوهم سلطان جميع القوى الظاهرية والباطنية للنفس، فإذا تحكم الوهم على تلك القوى سواء بذاته ــ مستقلاً ــ أو بتدخل الشيطان، جعلها ــ أي تلك القوى ــ جنوداً للشيطان، و بذلك يجعل هذه المملكة تحت سلطان الشيطان، وتضمحل عندها جنود الرحمن والعقل، وتنهزم و تخرج من نشأة الملك وعالم الانسان وتهاجر عنه، وتصبح هذه المملكة خاصة بالشيطان. وأما إذا خضع الوهم لحكم العقل والشرع، وكانت حركاته وسكناته مقيدة بالنظام والعقل والشرع، لأصبحت هذه المملكة مملكة رحمانية وعقلانية، ولما وجد الشيطان وجنوده محط قدم لهم فيها.

إذن فجهاد النفس (وهو الجهاد الأكبر الذي يعلو على القتل في سبيل الحق تعالى)

جهاد النفس في هذا المقام هو عبارة عن أن ينتصر الانسان على قواه الظاهرية، وأن يجعلها تأتمر بأمر الخالق، وأن يطهر مملكته من دنس وجود قوى الشيطان وجنوده.

الفصل الثاني: التفكر، هو الخطوة الأولى

إعلم إن أول شروط مجاهدة النفس والسير باتجاه الحق تعالى، هو «التفكر»، وقد وضعه بعض علماء الأخلاق في بدايات الدرجة الخامسة، وهذا ــ التصنيف ــ صحيح أيضاً في محله.

والتفكر في هذا المقام هو عبارة عن أن يفكر الانسان بعض الشيء في الليل والنهار في مولاه الذي خلقه في هذه الدنيا، وهيأ له كل أسباب الدعة والراحة، ووهبه جسماً سليماً وقوى سالمة لكل واحدة منها منافع تحيّر ألباب الجميع، ورعاه وهيّأ له كلّ هذه السعة وأسباب النعمة والرحمة، ومن جهة أخرى، أرسل جميع هؤلاء الأنبياء، وأنزل كلّ هذه الكتب «الرسالات»، وأرشد ودعا الى الهدى.. فما هو واجبنا تجاه هذا المولى مالك الملوك ؟!. هل أن وجود جميع هذه النعم، هو فقط لأجل هذه الحياة الحيوانية وإشباع الشهوات التي نشترك فيها مع الحيوانات، أم أن هناك هدفاً وغاية أخرى؟

هل كان لهم عداء ضد الناس عندما كانوا ولازالوا يدعونهم الى حكم العقل والشرع والى الحذر من الشهوات الحيوانية ومن هذه الدنيا الفانية؟! أم أنهم لم يعلموا ــ كما لانعلم نحن ــ طريق صلاحنا نحن المساكين المنغمسين في الشهوات؟!.

أن الانسان إذا فكّر للحظة واحدة، لعرف أن الهدف من هذه النعم هو شيء آخر، وأن الغاية من هذا الخلق، أسمى وأعظم، وان هذه الحياة الحيوانية ليست هي الغاية بحدّ ذاتها، وان على الانسان العاقل أن يفكر بنفسه، وأن يترحم على حال نفسه المسكينة؛ وأن يخاطب نفسه: أيتها النفس الشقية التي قضيت سني عمرك الطويلة في الشهوات ولم يكن نصيبك سوى الحسرة والندامة، إرحمي نفسك، واستحي من مالك الملوك، وسيري قليلاً في طريق الهدف الأساسي المؤدي الى حياة الخلد والسعادة السرمدية، ولا تبيعي السعادة السرمدية بشهوات أيام قليلة فانية، وهي أيضاً لا تتحصل حتى بالصعوبات والمتاعب الشاقة، فكري قليلاً في أحوال أهل الدنيا، من السابقين الى هذا العصر الذي تعيشين فيه، ولاحظي متاعبهم وآلامهم كم هي أكبر وأكثر في مقابل هنائهم، في نفس الوقت الذي لاتجد فيه هناء وراحة لكل فرد.

ذلك الانسان الذي هو في صورته انسان لكنه من جنود الشيطان ومبعوث عنه، والذي يدعوك الى الشهوات، ويقول يجب ضمان الحياة المادية، تأمل قليلاً في حال نفس ذلك الانسان واستنطقه، وانظر هل أنه نفسه راضٍ عن وضع نفسه، أم أنه بنفسه مبتلى ويريد أن يبلي مسكيناً آخر؟!

وعلى أي حال؛ فادعُ ربك بخضوع وتضرع باداء واجباتك التي ينبغي أن تكون هي أساس

العلاقة فيما بينك و بينه تعالى، والأمل أن يهديك هذا التفكر ــ في أثناء مجاهدة الشيطان والنفس الأمارة بالسوء ــ الى طريق آخر، وتتوفق للترقي الى منزلة أخرى من منازل المجاهدة.

الفصل الثالث: العزم والارادة

وهناك مقام آخر يواجه الانسان المجاهد بعد التفكر، وهو مقام العزم (وهذا هو غير الارادة التي أعتبرها الشيخ الرئيس في الاشارات أولى درجات العارفين). يقول أحد مشايخنا أطال الله عمره: «إنّ العزم هو جوهر الانسانية، ومعيار حرية الانسان، وتتمايز درجات الانسان بتمايز درجات عزمه».

والعزم الذي يتناسب وهذا المقام، هو أن يوطن الانسان نفسه ويتخذ قراراً بترك المعاصي و باداء الواجبات، وتدارك مافات منه في أيام حياته، و بالتالي أن يعمل على أن يجعل من ظاهره إنساناً عاقلاً وشرعياً، بحيث يحكم الشرع والعقل ــ بحسب الظاهر ــ بأن هذا الشخص انسان. والانسان الشرعي هو الذي ينظم سلوكه وفق مايتطلبه الشرع، وأن يكون ظاهره كظاهر الرسول الأكرم (ص)، وأن يقتدي بالنبي العظيم (ص) ويتأسى به في جميع حركاته وسكناته، وفي جميع مايفعل ومايترك. وهذا أمر ممكن، فجعل الظاهر كظاهر هذا القائد امر مقدور لأيّ فرد من عباد الله.

وأعلم... ان طي أي طريق في المعارف الالهية، لايمكن إلّا بأن يبدأ الانسان بظاهر الشريعة، ومالم يتأدب الانسان بآداب الشريعة الحقة، فلايمكن أن يتحلى حقيقة بأي من الأخلاق الفاضلة، ولايمكن أن يتجلى في قلبه نور المعرفة، ولا أن تتكشف له العلوم الباطنية وأسرار الشريعة، كما لايمكن أيضاً القول بأنه و بعد انكشاف الحقيقة له وتجلي أنوار المعارف في قلبه سيتأدب بالآداب الشرعية الظاهرية. ومن هنا نعرف بطلان دعوى من يقول إنّ الوصول الى العلم الباطن يكون بترك العلم الظاهر، أو أنه و بعد الوصول الى العلم الباطن ينتفي الاحتياج الى الآداب الظاهرية. وهذه الدعوى ترجع الى جهل من يقول بها، جهله بمقامات العبادة ودرجات الانسانية. ولعلي أكون ــ إن شاء الله ــ قد توفقت لبيان بعض هذا الأمر في هذه الأوراق.

الفصل الرابع: الجد والاجتهاد

أيها العزيز... إجتهد لتصبح ذا عزم وإرادة، فإنك إذا تركت هذه الدنيا دون أن يتحقق فيك ذلك، فأنت إنسان صوري بلا لب، ولن تحشر في ذلك العالم (عالم الآخرة) على هيئة إنسان، لأن ذلك العالم هو محل كشف الباطن وظهور السريرة. وانّ التجرؤ على المعاصي يفقد الانسان تدريجياً العزم والارادة و يختطف منه هذا الجوهر الشريف، يقول الاستاذ الكريم دام ظله: «إنّ أكثر مايفقد الانسان العزم والارادة هو الاستماع للغناء».

إذن، فاجتنب يا أخي المعاصي، وأعزم على الهجرة الى الحق تعالى، وأجعل ظاهرك ظاهراً إنسانياً، وأدخل في سلك أرباب

الشرائع، واطلب من الله تعالى في الخلوات أن يكون معك في الطريق لهذا الهدف، وأن يقبل شفاعة الرسول الأكرم (ص) وأهل البيت (ع) فيك واطلب منه أن يتفضل عليك بالتوفيق وان يمسك بيدك في المزالق التي تعترضك في طريقك، فهناك أمام الانسان مزالق خطرة تعترضه في أيام حياته، وقد يكون سقوطه في مزلق مهلك منها، بالصورة التي يعجز معها عن سلوك أي سبيل للنجاة، بل وقد لايهتدي الى سبيل نجاة أصلاً، وربما لا تشمله حتى شفاعة الشافعين نعوذ بالله من ذلك.

الفصل الخامس: المحاسبة والمشارطة:

ومن الأمور الضرورية للمجاهد: «المشارطة والمراقبة والمحاسبة». فالمشارط هو الذي يشارط نفسه في أول يومه على أن لايرتكب اليوم أي عمل يخالف أو امر الله، و يتخذ قراراً بذلك و يعزم عليه. وواضح أن ترك مايخالف أو امر الله، ليوم واحد، أمر يسير للغاية، ويمكن للانسان بيسر أن يلتزم به. فاعزم وشارط وجربَ، وانظر كيف أن الأمر سهل يسير.

ومن الممكن أن يصور لك أبليس اللعين وجنده أن الأمر صعب وعسير، لكن هذه هي من تلبيسات هذا اللعين، فالعنه قلباً وواقعاً، وأخرج أوهامه الباطلة من قلبك، وجرب ليوم واحد، فعند ذلك ستصدق هذا الأمر.

المراقبة:

و بعدَ هذه المشارطة عليك أن تنتقل الى «المراقبة»، وكيفيتها هي أن تنتبه طوال مدة المشارطة الى عملك وفقها، فتعتبر نفسك ملزماً بالعمل وفق ماشارطت. وإذا حدث ــ لاسمح الله ــ أن وقع في قلبك أن ترتكب عملاً مخالفاً لأمر الله، فاعلم أن ذلك من عمل الشيطان وجنده، فهم يريدونك أن تتراجع عمّا اشترطته على نفسك، فالعنهم واستعذ بالله من شرهم، وأخرج تلك الوساوس الباطلة من قلبك، وقل للشيطان: «إني اشترطت على نفسي أن لاأقوم في هذا اليوم ــ وهو يوم واحد ــ بأي عمل يخالف أمر الله تعالى، وهو ولي نعمتي للسنين الطوال، فقد أنعم وتلطف عليَّ بالصحة والسلامة والأمن وألطاف أخرى، ولو أني بقيت في خدمته الى الأبد لما أديت حق واحدة منها، إذن؛ فليس من اللائق أن لاأفي بشرط بسيط كهذا»، وآمل ــ إن شاء الله ــ أن يطرد الشيطان، ويبتعد عنك، وينتصر جنود الرحمن.

والمراقبة لا تتعارض مع أي من أعمالك كالكسب والسفر والدراسة، فكن على هذه الحال الى الليل ريثما يحين وقت المحاسبة.

وأما «المحاسبة» فهي أن تحاسب نفسك لترى هل أديت ما اشترطت على نفسك مع الله، ولم تخن ولي نعمتك في هذه المعاملة الجزئية. إذا كنت قد وفيت حقاً، فاشكر الله على هذا التوفيق، وإن شاء الله يهديك تعالى للرقي في أمور دنياك وآخرتك، وسيكون عمل الغد أيسر عليك من سابقه، فواظب على هذا العمل فترة، والمأمول أن يتحول الى ملكة فيك بحيث يصبح هذا العمل بالنسة لك سهلاً ويسيراً للغاية،

وستحس عندها باللذة والأنس من طاعة الله تعالى وترك معاصيه، وفي هذا العالم بالذات، في حين أن هذا العالم ليس هو عالم الجزاء لكي تحصل على اللذة وأثر الجزاء الرباني.

وأعلم إن الله لم يكلفك مايشق عليك، ولم يفرض عليك مالاطاقة لك به ولاقدرة لك عليه، لكن الشيطان وجنده يصورون لك الأمر وكأنه شاق وصعب.

وإذا حدث — لاسمح الله — ان وجدت اثناء المحاسبة تهاوناً وفتوراً تجاه ما اشترطت على نفسك، فاستغفر الله واطلب العفو منه، وأعزم على الوفاء بكل رجولة بالمشارطة غداً، وكن على هذا الحال كي يفتح الله تعالى أمامك ابواب التوفيق والسعادة، ويوصلك الى الصراط المستقيم للانسانية.

الفصل السادس: التذكر والذكرى

ومن الأمور التي تعين الانسان — وبصورة كاملة — في مجاهدته النفس والشيطان، والتي ينبغي للانسان السالك المجاهد الانتباه اليها جيداً هو «التذكر». وبذكره نختم الحديث عن هذا المقام، على الرغم من أنه لازال هناك الكثير من المواضيع.

والذكرى في هذا المقام، هي عبارة عن ذكر الله تعالى ونعمائه التي تلطف بها على الانسان.

وأعلم إن احترام المنعم وتعظيمه، هو من الأمور الفطرية التي جبل عليها الانسان والتي تحكم الفطرة بضرورتها، وإذا تأمل أي شخص في كتاب ذاته، لوجد سطوراً فيه أنه يجب تعظيم من أنعم نعمة على الانسان. وواضح أنه وكلما كانت النعمة أكبر وكان المنعم لايستهدف من انعامه شيئاً، كان تعظيمه أوجب وأكثر حسب ماتحكم به الفطرة. فهناك مثلاً فرق واضح في الاحترام والتقدير بين شخص يعطيك «حصاناً» تلحقه عيناه ويرمي من ورائه شيئاً، وبين الذي يهبك مزرعة كاملة ولايمن عليك، أو مثلاً، إذا أنقذك طبيب من العمى، فستقدره وتحترمه بصورة فطرية، وإذا أنقذك من الموت كان تقديرك واحترامك له أكثر.

لاحظ الآن أن النعم الظاهرة والباطنة التي تفضل بها علينا مالك الملوك جلّ شأنه لو أجتمع الجن والانس لكي يعطونا واحدة منها لما أستطاعوا. وهذه حقيقة نحن غافلون عنها، فمثلاً هذا الهواء الذي ننتفع به ليلاً ونهاراً، وبه مرهونة حياتنا وحياة جميع الموجودات، بحيث لو فقد لمدة ربع ساعة لما بقي هناك حيوان على قيد الحياة، هذا الهواء كم هو نعمة عظيمة، يعجز الجن والإنس جميعاً عن منحنا مثيلاً لها لو أرادوا أن يمنحونا ذلك، وعلى هذا فقس وتذكر قليلاً.

وباقي النعم الالهية كسلامة البدن وقواه الظاهرية كنعمة البصر والسمع والتذوق واللمس، والقوى الباطنية كقدرة التصور والتخيل وغيرها، لكل واحدة من هذه النعم منافع خاصة لاحدّ لها. وجميع هذه النعم وهبها لنا مالك الملوك دون أن نطلب منه ودون أن يمن علينا بها، ولم يكتف بهذه النعم بل أرسل الأنبياء والرسل والكتب وأوضح لنا طريق

السعادة والشقاء والجنة والنار، ووهبنا كلّ ماتحتاجه في الدنيا والآخرة، دون أن يكون فقيراً محتاجاً الى طاعتنا وعبادتنا، فهوسبحانه لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية، وليس هناك فرق بالنسبة له بين طاعتنا وعصياننا، بل فقط لأجل خيرنا ومنفعتنا نحن أمر ونهى. وبعد تذكر هذه النعم والكثير الكوثر من النعم الأخرى التي يعجز حقاً جميع البشر عن إحصاء العام منها، فكيف بالخاص والجزئي؟ بعد ذلك يطرح السؤال التالي: ألا تحكم فطرتك بوجوب تعظيم منعم كهذا وما هو حكم العقل تجاه خيانة ولي نعمة كهذا؟!

ومن الأمور الأخرى التي تقرها الفطرة، إحترام الشخص العظيم، ويرجع كل هذا الاحترام والتقدير الذي يبديه الناس تجاه أهل الدنيا والجاه والثروة والسلاطين والأعيان، يرجع الى أنهم يرون أولئك كباراً وعظماء، فأي عظمة تصل الى مستوى عظمة مالك الملوك حيث تعتبر الدنيا الحقيرة التي خلقها والتي تعدّ أصغر العوالم وأضيق النشآت ورغم ذلك لم يتوصل عقل أي موجود الى ادراك كنهها وسرها لحد الآن، بل ولم يتعرف كبار المكتشفين في العالم بعد على أسرار منظومتنا الشمسية هذه وهي أصغر المنظومات ولا تعد شيئاً قياسا بباقي الشموس. أفلا يجب احترام وتعظيم هذا العظيم القادر على أن يطوي بيمينه جميع هذه العوالم وألوف الألوف من العوالم الغيبية؟!

وجوب احترام مثل هذا العظيم مسطور في كتاب الفطرة والعقل الفطري، وحتى اذا لم يفعل انسان ذلك، ولم يحترم هكذا عظيم، وأساء القول فيه في غيابه حتى في هذه الحالة، يكون التصرف الفطري هو أن يلتزم ذلك الانسان بالصمت اذا حضر هذا العظيم ويظهر الاحترام له. ومعلوم ان الله تبارك وتعالى حاضر في كل مكان، وتحت إشرافه تعالى تدار جميع ممالك الوجود، بل وان كلّ نفس هي في حضرة الربوبية وكلّ علم هوضمن محضر الربوبية.

فتذكري يا أيتها النفس أي ظلم فظيع وأي ذنب عظيم أن تعصي مثل هذا العظيم، تعصينه بنعم أنعمها هو عليك، وتعصينه وأنت في حضرته، ألا يبغي أن تذوبي من الخجل وتغوري في الأرض إذا كان لديك ذرة من الحياء؟

إذن: فيا أيها العزيز؛ كن ذاكراً لعظمة ربك، وتذكر نعمه وألطافه، وتذكر أنك في حضرته ــ وهوشاهد عليك ــ فدع التمرد عليه، وانتصر في هذه المعركة الكبرى، واجعل من مملكتك مملكة رحمانية وحقانية، واحلل فيها عسكر الحق تعالى محل جنود الشيطان، كي يوفقك الله تبارك وتعالى في مقام المجاهدة والترقي الى ميدان معركة أكبر قادمة، هي معركة الجهاد مع النفس في العالم الباطن، وهي في مقام النفس الثاني، وهذا ماسنشير اليه لاحقاً إن شاء الله. وأكرر التذكير بأن لا تأمل من أي مخلوف شيئاً، فغير الله تعالى لايمكن أن يخرج من يديه أي شيء، فاطلب من الحق تعالى نفسه بتضرع وخشوع، كي يعينك في هذه المجاهدة لعلك تنتصر. وإنه ولي التوفيق.

للبحث صلة.

الروايات المشتركة

الشيخ محمود قانصوه/لبنان

ـ كتاب الصوم ـ

ـ الفصل السادس ـ

* في القضاء *

يتضمن أحد عشر باباً:

أ ـ جواز القضاء منقطعاً.

ب ـ إن من ظنّ غياب الشمس فأفطر قضى يوماً مكانه.

ج ـ إن من ظنّ غياب الشمس فأفطر لم يقض مكانه.

د ـ الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة.

هـ ـ في أن من أفطر يوم الندب قضى يوماً مكانه.

و ـ في أن من أهمل القضاء حتى أدركه الشهر الثاني قضى وأطعم.

ز ـ في أن من لم يتمكن القضاء حتى أدركه الشهر الثاني لزمه الاطعام دون القضاء.

ح ـ الميت عليه قضاء قضى عنه وليه.

ط ـ كراهة القضاء في أيام العشر من ذي الحجة.

ي ـ النهي عن التطوع قبل القضاء.

ك ـ في أن من تمضمض فدخل الماء في حلقه قضى إنْ كان لغير المكتوبة، ولم يقض إن كان له

«باب: جواز القضاء منقطعاً»

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ـ محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، قال: **سألته عمّن يقضي شهر رمضان منقطعاً. قال: إذا حفظ أيامه فلا بأس.**[١]

٢ ـ محمد بن الحسن بإسناده عن الحسين بن سعيد، عن حماد، عن عبدالله بن المغيرة، عن ابن سنان (يعني عبدالله) عن أبي عبدالله (ع) قال: **من أفطر شيئاً من شهر رمضان في عذر، فإنْ قضاه متتابعاً فهو (كان) أفضل وإنْ قضاه متفرقاً فحسن.** وروى في الكافي مثله باختلاف يسير في الألفاظ، عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد مثله[٢].

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ أخبرناه أبو بكر بن الحسن القاضي وأبو زكريا بن أبي اسحاق قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر، قال: قرء على عبدالله بن وهب أخبرك أبو حسين رجل من أهل الكوفة، قال: سمعت موسى بن عقبة يحدث عن صالح بن كيسان، قال: **قيل يا رسول الله رجل كان عليه قضاء من رمضان فقضى يوماً أو يومين منقطعين أيجزىء عنه؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: أرأيت لو كان عليه دين فقضاه درهماً ودرهمين حتى يقضي دينه أتراه ذمته تُرئت. قال: نعم. قال: يقضي عنه**[٣]. وروى الدار قطني نحوه بإسنادين، وذكر في جواز التقطيع أحاديث[٤].

«باب: ان من ظنّ غياب الشمس فأفطر قضى يوماً مكانه»

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ـ محمد بن يعقوب، عن علي بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن أبي بصير وسماعة، عن أبي عبدالله (ع) في قوم صاموا شهر رمضان فغشيهم سحاب أسود عند غروب الشمس فرأوا أنه الليل وأفطر بعضهم ثم ان السحاب انجلى فإذا الشمس، فقال: **على الذي أفطر صيام ذلك. ان الله عزوجل يقول: «وأتموا الصيام الى الليل»، فمن أكل قبل أن يدخل الليل فعليه قضاؤه لأنه أكل متعمداً.** ونقل الاستبصار هذا الحديث عن الكافي ونحوه مروه في الكافي، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة. ونقله في البحار، عن العياشي، عن أبي بصير[٥].

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطّان، أنبأ عبدالله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن

سفيان، حدثنا آدم، حدثنا شعبة، عن جبلة بن سحيم، قال: سمعت علي بن حنظلة يحدّث عن أبيه، وكان أبوه صديقاً لعمر، قال: كنت عند عمر في رمضان، فأفطر وأفطر الناس، فصعد المؤذن ليؤذن فقال: يا أيها الناس هذه الشمس لم تغرب. فقال عمر رضي الله عنه: كفانا الله شرك إنّا لم نبعثك راعياً، ثم قال عمر رضي الله عنه: من كان أفطر فليصم يوماً مكانه[6].

أقول: ولا يخفى أن الرواية ليست صريحة في أن الافطار كان بسبب الغيم أو موجب آخر للإشتباه، إلا أن وجود مطلق سبب أمر مقطوع به عادة. وأخرجه عبد الرزاق،عن جبلة مثله[7].

٢ ـ أخبرنا أبوالحسين بن الفضل، أنبأ عبدالله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا عبدالله بن رجاء، أنبأ اسرائيل عن زياد (يعني ابن علاقة) عن بشر بن قيس، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: كنت عنده عشية في رمضان وكان يوم غيم فظنّ أن الشمس قد غابت فشرب عمر وسقاني ثم نظروا إليها على سفح الجبل، فقال عمر: لاسالي والله نقضي يوماً مكانه[8].

أقول: لم أجد في الباب حديثاً عن النبي من طرق أهل السنة.

«باب: ان من ظنّ غياب الشمس فأفطر لم يقض مكانه»

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ـ وبإسناده، عن أحمد بن محمد، عن الحسين (يعني ابن سعيد) عن فضالة، عن أبان، عن زرارة، عن أبي جعفر(ع) (في حديث) أنه قال لرجل ظنّ أن الشمس قد غابت فأفطر ثم أبصر الشمس بعد ذلك، قال: ليس عليه قضاه. ونحوه ماوراه الشيخ (ره) عن الشيخ، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن الفضل، عن أبي الصباح الكناني، قال: سألت أبا عبدالله(ع). وساق نحوه إلّا أنه ذكر أن في السماء علة. وكذا ماوراه عن أحمد بن عبدون، عن علي بن محمد بن الزبير، عن علي بن الحسن بن فضال، عن محمد بن عبد الحميد، عن أبي جميلة، عن زيد الشحام، عن أبي عبدالله (ع). وساق نحوه وذكر أن في السماء سحاباً[9]. وروى الصدوق نحوه بإسناده، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني كرواية الشيخ[10].

٢ ـ وبإسناده ـ محمد بن الحسن ـ عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني، قال: سألت أبا عبدالله(ع) عن رجل صام ثم ظنّ أن الشمس قد غابت وفي السماء غيم فأفطر ثم إن السحاب انجلى فإذا الشمس لم تغب. فقال: فقد تمّ صومه ولايقضيه[11].

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنبأ عبدالله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا عبيدالله بن موسى، عن شيبان، عن الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن زيد بن وهب، قال:

بينا نحن جلوس في مسجد المدينة في رمضان والسماء متغيمة، فرأينا أن الشمس قد غابت، وأنا قد أمسينا، فأخرجت لنا عساس من لبن من بيت حفصة، فشرب عمر وشربنا، فلم نلبث أن ذهب السحاب وبدت الشمس فجعل بعضنا يقول لبعض: نقضي يوما هذا؟ فسمع ذلك عمر فقال: والله لانقضيه وما تجانفنا لإثم[12].

وقد حمل البيهقي هذه الرواية على الخطأ لأنها خلاف الروايات الكثيرة عن عمر التي يصرح فيها بلزوم القضاء في هذه الحال. ولكن يمكن الجمع بين الروايات بحمل لزوم القضاء على ما لوكان الغيم موجباً لمجرد الإحتمال وعدم لزوم القضاء على ما لوكان الغيم موجباً للإطمئنان بغروب الشمس ولعلّ ملاحظة الروايات يساعد على ذلك، فلا يقال إنه جمع تبرعي.... فتدبّر.

«باب: ان الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة»

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ـ محمد بن يعقوب، عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن الحسن بن راشد قال: قلت لأبي عبدالله (ع): الحائض تقضي الصلاة؟ قال: لا. قلت: تقضي الصوم؟ قال: نعم. قلت: من أين جاء ذا؟ قال: إنّ أول من قاس إبليس. (الحديث)[13].

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب، حدثنا ابراهيم بن محمد (يعني الصيدلاني) وجعفر بن أحمد (يعني الحافظ)، قالا: حدثنا محمد بن رافع، حدثنا عبد الرزاق (ح وأنبأ) أبوالفضل بن ابراهيم المزكي، حدثنا أحمد بن سلمة، حدثنا اسحاق بن ابراهيم، أخبرنا عبد الرزاق، أنبأ معمر عن عاصم الأحول، عن معاذة العدوية، ان إمرأة سألت عائشة (رض): ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت لها: أحرورية أنت؟ فقالت: لست بحرورية، ولكني أسأل. فقالت: كان يصيبنا ذلك على عهد رسول الله (ص) فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة[14]. وروى الترمذي عن علي بن حجر، عن علي بن مسهر، عن عبيدة، عن ابراهيم، عن الأسود، عن عائشة نحوه، إلّا أنها ذكرت أن الآمر هو رسول الله (ص)[15]. وروى النسائي نحوه، عن علي بن حجر، عن علي بن مسهر، عن سعيد، عن قتادة، عن معاذ مثله[16].

«باب: ان المفطر يوم الندب يقضي يوماً مكانه»

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ـ محمد بن يعقوب، عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان،

عن الحلبي، عن أبي عبدالله (ع)، قال: سألته عن الرجل يصبح وهو يريد الصيام ثم يبدو له فيفطر؟ قال: هو بالخيار مابينه وبين نصف النهار. قلت: هل يقضيه إذا أفطر؟ قال: نعم، لأنها حسنة أراد أن يعملها فليتمها. قلت: فإن رجلاً أراد أن يصوم ارتفاع النهار، أيصوم؟ قال: نعم[١٧].

أقول: وعبارة (حسنة أراد أن يعملها) تبعد حمل الصوم على القضاء بل يحمل على كراهة الصوم بعد الزوال.

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ أخبرناه محمدبن عبدالله الحافظ ومحمدبن موسى بن الفضل، قالا: حدثنا أبو العباس محمدبن يعقوب، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا عبدالله بن وهب، أخبرني حيواة وعمر بن مالك، عن ابن الهاد، قال: حدثني زميل مولى عروة، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، أنها قالت: أهدي لي ولحفصة طعام وكنا صائمتين: فقالت إحداهما لصاحبتها هل لك أن تفطري؟ قالت: نعم. فأفطرنا ثم دخل رسول الله (ص) فقالت له: يا رسول الله انا أهدي لنا هدية فاشتهيناه فأفطرنا. فقال: لاعليكما، صوما يوماً آخر مكانه[١٨].

أقول: وقد يدعى كون صيامهما قضاء، وليس في الحديث اطلاق لاختصاص الحديث بواقعة معهودة نعم في هذه الرواية بسند آخر مايمكن حمله على صوم التطوع إما بالإنصراف أو الإطلاق ففيه: «فقالت يا رسول الله أصبحنا صائمتين فأهدي لنا طعام فأكلنا منه، فتبسم النبي (ص) وقال: صوما يوماً مكانه». فتأمل[١٩].

وروى الترمذي نحوه، عن أحمدبن منيع، عن كثيربن هشام، عن جعفربن برقان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة. ونقل أنه رواه صالح بن أبي الأخضر ومحمدبن أبي حفصة، عن الزهري مثله[٢٠]. وكذا أنه رواه البعض عن الزهري، عن عائشة مرسلاً[٢١]. وروى أبو داود نحوه، عن أحمدبن صالح، عن عبدالله بن وهب، عن حياة بن شريح، عن ابن الهاد، عن زميل مولى عروة، عن عروة بن الزبير، عن عائشة[٢٢]. وروى مالك نحوه، عن ابن شهاب، عن عائشة[٢٣].

«باب: ان من أهمل القضاء حتى أدركه الشهر الثاني قضى وأطعم»

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ محمدبن يعقوب، عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن حريز، عن محمدبن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبدالله (ع)، قال: سألتهما عن رجل مرض فلم يصم حتى أدركه رمضان آخر. فقالا: إنْ كان برء ثم توانى قبل أن يدركه الرمضان الآخر صام الذي أدركه وتصدَّق عن كل يوم بمدّ من طعام على مسكين وعليه قضاؤه. (الحديث)[٢٤].

٢ ــ محمد بن يعقوب عنه ــ علي بن ابراهيم ــ عن أبيه وعن محمدبن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن زرارة، عن أبي جعفر (ع) في الرجل يمرض

فيدركه شهر رمضان ويخرج عنه وهو مريض ولا يصح حتى يدركه شهر رمضان آخر. قال: يتصدق عن الأول ويصوم الثاني، فإن كان صح فيما بينهما ولم يصم حتى أدركه شهر رمضان آخر صامهما جميعاً ويتصدق عن الأول[٢٥].

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد، أنبأ أبوسهل بن زياد القطان، حدثنا علي بن محمد بن أبي الشوارب، حدثنا سهل ابن بكار، حدثنا أبو عوانة، عن رقبة، قال: زعم عطاء أنه سمع أبا هريرة قال في المريض يمرض ولا يصوم رمضان ثم يبرأ ولا يصوم حتى يدركه رمضان آخر. قال: يصوم الذي حضره ويصوم الآخر ويطعم لكل ليلة مسكيناً[٢٦].

٢ ــ أخبرنا أبوعبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن مكرم، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس في رجل أدركه رمضان وعليه رمضان آخر؟ قال: يصوم هذا ويطعم عن ذاك كل يوم مسكيناً ويقضيه[٢٧].

أقول: لم أجد في الباب حديثاً عن النبي (ص) من طرق أهل السنة.

«باب: من لم يتمكن من القضاء حتى أدركه الشهر الثاني لزمه الإطعام دون القضاء»

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ وعنه ــ الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن علي، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (ع) قال: إذا مرض الرجل من رمضان الى رمضان ثم صحّ فإنما عليه لكل يوم أفطره فدية طعام وهو مد لكل مسكين. (الحديث)[٢٨].

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ قال البيهقي: وروينا عن ابن عمر وأبي هريرة في الذي لم يصح حتى أدركه رمضان آخر، يطعم ولا قضاء عليه[٢٩].

«باب: الميت عليه قضاء قضى عنه وليه»

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن علي بن الحكم، عن

العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما (ع)، قال: **سألته عن رجل أدركه رمضان وهو مريض فتوفي قبل أن يبرأ؟ قال: ليس عليه شيء ولكن يقضى عن الذي يبرأ ثم يموت قبل أن يقضي.** ونقله في الإستبصار عن الكافي[٣٠].

٢ ـ محمد بن علي بن الحسين، قال: قد روي عن الصادق (ع) أنه قال: **إذا مات الرجل وعليه صوم شهر رمضان فليقض عنه من شاء من أهله**[٣١].

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأ أبوالفضل بن ابراهيم، حدثنا أحمد بن سلمة، حدثنا اسحاق بن ابراهيم، أنبأ عيسى بن يونس، حدثنا الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، **ان امرأة أتت النبي (ص) فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر فقال: أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟ فقالت: نعم. فقال: دين الله أحق بالقضاء**[٣٢]. ونحوه ما أخرجه الترمذي، عن أبي سعيد الأشج، عن أبي خالد الأحمر، عن الأعمش، عن سلمة بن كهيل ومسلم البطين، عن سعيد وعطاء ومجاهد، عن ابن عباس نحوه، بل الظاهر أن الإختلاف في العبارة إنما هو تصحيف، فرواية الترمذي (أختي) بدل (أمي). ورواه أيضاً عن أبي كريب، عن أبي خالد بالإسناد المتقدم نحوه[٣٣]. ورواه مسلم، عن اسحاق بن ابراهيم مثله، وأخرج نحوه بأسانيد متعددة[٣٤]. وأخرج ابن ماجة، عن عبدالله بن سعيد، عن الأحمر مثل الترمذي، وعن زهير بن محمد، عن عبد الرزاق، عن سفيان، عن عبدالله بن عطاء، عن ابن بريدة، عن أبيه نحوه[٣٥]. وأخرجه الدارقطني بسنده، عن أبي سعيد الأشج وأبي خالد الأحمر مثل الترمذي[٣٦].

٢ ـ أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرني أبو الوليد الفقيه، حدثنا أبو بكر بن أبي داود، حدثنا هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا ابن وهب (ح وأخبرنا) أبو عمرو محمد بن عبدالله الأديب، أنبأ أبو بكر الاسماعيلي، أخبرني أبو يعلى، حدثنا أحمد بن عيسى المصري، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن عبيد الله بن أبي جعفر، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، عن عائشة، ان رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: **من مات وعليه صيام، صام عنه وليه**[٣٧]. وأخرجه البخاري، عن محمد بن خالد، عن محمد بن موسى بن أعين، عن أبي، عن عمرو بن الحرث مثله، ونقله عن يحيى بن أيوب، عن ابن أبي جعفر[٣٨]. ورواه أبو داود، عن أحمد بن صالح، عن ابن وهب مثله[٣٩]. ورواه الدارقطني، عن أبي محمد بن صاعد، عن محمد بن الأصبغ، عن أبي قال، وعن أحمد بن منصور، عن الأصبغ، عن ابن وهب. ورواه بأسانيد أخرى.[٤٠]

«باب: كراهة القضاء في أيام العشر من ذي الحجة»

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ـ فأما مارواه أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن يحيى، عن غياث بن ابراهيم، عن جعفر(ع)، عن أبيه(ع) قال: قال علي (ع): **في قضاء شهر رمضان إنْ كان لايقدر على سرده فرقه. وقال: لايقضي شهر رمضان في عشرة من ذي الحجة**[٢١].

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنبأ أبوعثمان البصري، أنبأ محمد بن عبد الوهاب، أنبأ يعلى بن عبيد، حدثنا سفيان، عن أبي اسحاق، قال: قال علي رضي الله عنه: **لا تقضي رمضان في ذي الحجة، ولا تصم يوم الجمعة أفطه مفرداً** (الحديث)[٢٢]. وأخرجه عبد الرزاق بنقيصة الشطر الأخير، عن معمر والثوري مثله[٢٣].

أقول: لم أجد في الباب حديثاً عن النبي (ص) من طرق أهل السنة.

«باب: النهي عن التطوع قبل القضاء»

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ـ محمد بن يعقوب، عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي قال: **سألت أبا عبدالله (ع) عن الرجل عليه من شهر رمضان طائفة، أيتطوع؟ فقال: لا، حتى يقضي ما عليه من شهر رمضان.** ونحوه مارواه الصدوق بإسناده، عن الحلبي وبإسناده عن الكناني، جميعاً عن أبي عبدالله(ع). ونحوه مارواه محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن اسماعيل، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني[٢٤]. ومثله بزيادة في آخره (ثم يصوم.. إلخ) مانقله في البحار، عن الدعائم مرسلاً[٢٥].

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ أخبرنا أبو بكر محمد بن ابراهيم الحافظ، أنبأ أبو نصر أحمد بن عمرو العراقي، حدثنا سفيان بن محمد الجوهري، حدثنا علي بن الحسن، حدثنا عبدالله بن الوليد، حدثنا سفيان، عن الأسود بن قيس، عن أبيه، ان عمر رضي الله عنه قال: **ما من أيام أحب إليّ أن أقضي شهر رمضان من أيام العشر،** قال: وحدثنا سفيان، حدثنا عثمان بن موهب، قال: سمعت أبا هريرة وسأله رجل، فقال: **إنَّ عليَّ رمضان وأنا أريد أن أتطوع في العشر؟ قال: لابل ابدأ بحق الله فاقضه ثم تطوع بعدما شئت**[٢٦]. وروى الشطر الأخير

عبدالرزاق، عن الثوري مثله[47].

أقول: ولم أجد في الباب حديثاً عن النبي (ص) من طرق أهل السنة.

«باب: من تمضمض فدخل الماء حلقه قضى إن كان لغير المكتوبة ولم يقض إن كان لها»

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ـ محمد بن يعقوب، عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن أبي عبد الله (ع) في الصائم يتوضأ للصلاة فيدخل الماء حلقه، فقال: **إنْ كان وضوؤه لصلاة فريضة فليس عليه شيء، وإنْ كان وضوؤه لصلاة نافلة فعليه القضاء**[48]. وروى الصدوق نحوه و بإسناده عن العلا، عن محمد بن مسلم، و بإسناده عن سماعة بن مهران[49].

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ أخبرنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا رجل عن ابن أبي ليلى، عن عطاء، عن ابن عباس في الرجل يمضمض وهو صائم فيدخل بطنه؟ قال: **إنْ كان للمكتوبة فليس عليه شيء، وإنْ كان تطوعاً فعليه القضاء**[50]. أقول: ولم أجد في الباب حديثاً عن النبي (ص) من طرق أهل السنة.

الهوامش

١ ـ الوسائل (ج ٧، ص ٢٤٨) وفي الكافي (ج ٤، ص ١٢٠) وليس فيه: عن بعض أصحابنا بل يبتدئ بـ «أحمد ابن محمد».

٢ ـ الوسائل (ج ٧، ص ٢٤٩) والكافي (ج ٤، ص ١٢٠) وفي الاستبصار (ج ٢، ص ١١٧)

٣ ـ البيهقي (ج ٤، ٢٥٩) ونحوه عن موسى بن عقبة عن صدقة بن [illegible] المنكدر عن النبي (ص) مرسلاً

٤ ـ الدارقطني (ج ٢، ص ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣)

٥ ـ الوسائل (ج ٢، ص ٨٢)، والكافي (ج ٤، ص [illegible]) والاستبصار (ج ٢، ص [illegible]) و [illegible] ص ٢٧٨)

٦ ـ المصنف (ج ٤، ص [illegible])

٧ ــ مصنّف عبدالرزاق (ج ٤، ص ١٧٨) وفيه تغييرات لفظية وزيادات.

٨ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢١٧).

٩ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٨٨)، الإستبصار (ج ٢، ص ١١٥).

١٠ ــ الفقيه (ج ٢، ص ٧٥).

١١ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٨٨).

١٢ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢١٧).

١٣ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٢٣) وفي الكافي (ج ٤، ص ١٣٥) لكن ليس في اسناده (ابن أبي عمير) كما أن في متنه تغييراً بتقديم السؤال عن قضاء الصوم على السؤال عن قضاء الصلاة. والاستبصار (ج ٢، ص ٩٣) نقلاً عن الكافي.

١٤ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٣٦).

١٥ ــ الترمذي (ج ٣، ص ١٥٤).

١٦ ــ النسائي (ج ٤، ص ١٩١) ولم يذكر فيه في السؤال أنها لا تقضي الصوم لكن بقية الحديث قرينة عليه.

١٧ ــ الوسائل (ج ٧، ص ١١) والكافي (ج ٤، ص ١٢١).

١٨ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٨١) ورواه البيهقي بأسانيد متعددة.

١٩ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٨٠) ووجه التأمل في الاطلاق. أن عليه يكون الضمير في (مكانه) له معنيان: الأول مكان اليوم المتقضي إنْ كان الصوم قضاء، والثاني مكان اليوم المتطوع إنْ كان الصوم تطوعاً. وإنْ قيل الضمير يرجع الى اليوم المفطر فيه على الصورتين لزم قضاء يومين فيما لو أفطر في الصوم القضائي وهذا مالا يقول به أحد.

٢٠ و ٢١ ــ الترمذي (ج ٣، ص ١١٢).

٢٢ ــ أبو داود (ج ٢، ص ٣٣٠).

٢٣ ــ موطأ مالك (ج ١، ص ٢٨٤).

٢٤ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٢٤٤) والكافي (ج ٤، ص ١١٩).

٢٥ ــ الوسائل (ج ٤، ص ٢٤٥) والكافي (ج ٤ ص ١١٩)

٢٦ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٥٣) وروى البيهقي هذا الحديث بسند آخر.

٢٧ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٥٣)

٢٨ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٢٤٦) والإستبصار (ج ٢، ص ١١١، ح ٤)

٢٩ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٥٣).

٣٠ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٢٤٠) والكافي (ج ٤، ص ١٢٣) والإستبصار (ج ٢، ص ١١٠).

٣١ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٢٤٠).

٣٢ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٥٥).

٣٣ ــ الترمذي (ج ٣، ص ٩٥) والترمذي (ص ٩٦).

٣٤ ــ مسلم (ج ٣، ص ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧).

٣٥ ــ ابن ماجة (ج ١، ص ٥٥٩) وفي الأول (سلمة بن كهيل) وفيه زيادة الحكم مع مسلم وسلمة.

٣٦ ــ الدارقطني (ج ٢، ص ١٩٥).

٣٧ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٥٥). ورواه بإسناد آخر في نفس الصفحة.

٣٨ ــ البخاري (ج ٣، ص ٤٣ و ٤٤).

٣٩ ــ أبو داود (ج ٢، ص ٣١٥).

٤٠ ــ الدارقطني (ج ٢، ص ١٩٥).

٤١ ــ الإستبصار (ج ٢، ص ١١٩، ح ٢).

٤٢ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٨٥).

٤٣ ــ مصنّف عبدالرزاق (ج ٤، ص ٢٥٦) وفيه بدل: (تقضي) (يقضى).

٤٤ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٢٥٣) والكافي (ج ٤، ص ١٢٣).

٤٥ ــ البحار (ج ٩٣، ط ح، ص ٣٣٤).

٤٦ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٨٥).

٤٧ ــ مصنّف عبدالرزاق (ج ٤، ص ٢٥٧).

٤٨ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٤٩) والكافي (ج ٤، ص ١٠٧).

٤٩ ــ الفقيه (ج ٢، ص ٦٩).

٥٠ ــ مصنّف عبدالرزاق (ج ٤، ص ١٧٥).

[illegible]

القرآن والحياة

آية الله الشهيد مرتضى المطهري

تعرضنا في البحث السابق لدراسة فلسفية حول موضوع الحياة والروح، وكان البحث فيها يدور حول هذه الفكرة: هل أن الروح والحياة خاصة وأثر للمادة، كسائر خواص المادة وآثارها وأعراضها، أو أن المادة في ذاتها فاقدة للحياة، وآثار الحياة، وإنما الحياة حقيقة أخرى معينة، لها آثارها وخواصها، ولو لم ترتبط تلك الحقيقة الحياتية بالمادة، فان تلك الآثار الحياتية لا تظهر في المادة؟

وكانت تلك [illegible] تحدثنا فيها [illegible]ة فلسفية [illegible] قرآنية حول الحياة، حيث نريد التعرف على المنطق القرآني الخاص في الحياة، فما هي الرؤية القرآنية، وأسلوبه في موضوع علاقة الحياة بما وراء الطبيعة، وارادة الله؟

لقد ذكرت كلمة «الحياة» كثيراً في القرآن الكريم، في آيات كثيرة منه، ذكرت أمثال هذه المفاهيم: إحياء الموجودات، ظهور الموجودات الحية، تطورات الحياة، النظام الحاكم في خلق الموجودات، آثار الحياة وخواصها، أمثال الفهم والشعور والادراك والسمع والبصر والهداية والالهام والغريزة وغيرها، حيث اعتبرها القرآن الكريم،

[illegible]

[illegible] الحياة التي أودعها الله [illegible] [illegible] أن يمنح الحياة [illegible] [illegible] حول هذه الفكرة في هذه [illegible]

[illegible] يستدل القرآن الكريم من إبراهيم (ع) مخاطباً [illegible] عصره: «ربي الذي يحيي ويميت» هو الذي يمنح الروح، وهو الذي يقبضها، وفي سورة الملك، حيث تصف الله تعالى: «الذي خلق الموت والحياة».

وهناك آيات كثيرة تؤكد على هذه الحقيقة، وأن المحيي والمميت هو الله تعالى فحسب، حيث تنسب منح الروح وقبضها بصورة مباشرة لله تعالى، وتصرح في ذلك عن هذا الأمر، ومنها تلك الآيات التي ذكرت فيها قصة إحياء بعض الأنبياء للموتى، حيث تؤكد على هذا الشرط، بأن عملية الإحياء إنما [illegible] الآية (٤٩) من سورة آل عمران: [illegible]

[illegible]

[illegible]

ومن المعروف أن العلماء [illegible] عن العلاقة بين موضوع الحياة وموضوع [illegible] وإذا أثير، فإنهم يعزون حاجة [illegible] ظهور الحياة في الأرض، وكيف وجدت الحياة لأول مرة؟ فإن القواعد العلمية، والعقل حتماً، تدل على وجود البداية لظهور الحياة في الأرض، فليس هناك موجود حي من النبات، والحيوانات، وغيره، غير متناهي الوجود، ذلك لأن عمر الأرض نفسها محدود، بالإضافة إلى أن الأرض، في عمرها المحدود هذا، الذي يمتد إلى عدة ملايين من السنوات، لم تكن قابلة لوجود الكائن الحي فيها، ولكن كيف ظهر الكائن الحي فيها لأول مرة؟

وما نشاهده أمامنا، دائماً، أن يولد [illegible] فرد آخر من نوعه، النطفة من النطفة، [illegible] والفرس من الفرس، [illegible]

[illegible]

[illegible] الأولى، ومن أين [illegible] أن يوجد كائن حي بنفسه [illegible] أو بنفسه أو بواسطة من موجود حي [illegible] هنا نحن مضطرون الى القول بالاستعانة [illegible] الحية الأولى، وكما يصطلح عليه، [illegible] وان ذراع القدرة الإلهية خرجت من [illegible] ذلك الفرد.

أو ان هذه الأنواع جميعها، تمتد الى أصل واحد وهنالك قرابة بين الجميع؟ ووفق هذا الاعتراض، فإنّ السؤال السابق سوف يطرح نفسه، وانه حتى [illegible] انتهاء هذه الأنواع جميعاً الى أصل واحد أو عدة أصول وجذور، هو المبدأ لهذه الموجودات الحية المتنوعة جميعها، وذلك الأصل الأول هو حيوان، أو خلية حية؟ فيأتي السؤال نفسه: إذن، كيف وجد ذلك الكائن الأول؟ لأنه قد ثبت علمياً، ان الموجود الحي لايمكن أن يوجد إلاّ عن طريق موجود آخر، فلابُدَّ من الاستثناء والاعتراف بحيث تدخلت الارادة الإلهية، وخلقت تلك الخلية الحية.

ومن هنا نرى الماديين، حين يواجهون هذه المشكلة، يقترحون الكثير من الفرضيات التي لايمكنهم هم أنفسهم الاعتقاد والجزم بها، بينما الإلهيون على العكس منهم، يتخذون هذا السؤال نفسه دليلاً على وجود الخالق، وانه لابُدَّ من تدخل قدرة من وراء الطبيعة في ظهور الحي الأول، وان الارادة الإلهية قد تدخلت وأوجدته، ومن هنا نرى داروين [illegible] الإلهيين، بعد أن يعالج تطور [illegible] في نهاية استدلاله التطور في [illegible] أو أكثر ظهر على [illegible] من موجود حي آخر سبقه، ويقول: (بأنّ ظهوره لايمكن تفسيره إلا بالنفخة الإلهية للحياة).

يقول «كرسي موريسون»: (وقد افترض البعض ان الحياة قد جاءت من بعض الكواكب في شكل جرثومة، انسلّت دون أن يصيبها تلف، وبعد أن بقيت زماناً غير محدود في الفضاء، استقرت على الأرض، ولكن كان من الصعب على تلك الجرثومة أن تبقى حية في درجة حرارة الصفر المطلق في الفضاء، وإذا استطاعت البقاء رغم ذلك، فان الاشعاع الكثيف للموجة القصيرة كان يقتلها، فإن كانت قد بقيت حية رغم ذلك فلابُدَّ انها وجدت لنفسها المكان الملائم وربما كان الهبوط، حيث أدى اتفاق مدهش في الظروف الى توالدها، وبداية الحياة على الأرض، وفضلاً عن ذلك يعود بنا هذا الفرض خطوة أخرى، فيما نحن بصدده، لأننا يمكننا أن نسأل: وكيف بدأت الحياة على أي كوكب من الكواكب؟. إنَّ المتفق عليه عموماً هو انه لا البيئة ولا الطاقة مهما كانت موائمة للحياة، ولا أي اتفاق في الظروف الكيموية والطبيعية قد تخلقه المصادفة، يمكنها أن تأتي بالحياة الى الوجود. وبصرف النظر عن مسألة أصل الحياة التي هي بالطبع من الألغاز العلمية، قد افترض ان حبة ضئيلة من الحياة بلغت من الضآلة انها لاترى أو تلمح بالميكروسكوب، قد اضافت اليها ذرات، وقلبت توازنها الوثيق، فانقسمت، وكررت الأجزاء المنفصلة هذه العملية وبذا اتخذت أشكال الحياة... ولكن لم يزعم أحد انها اتخذت الحياة بنفسها)[1].

إنَّ «موريسون» يستهدف من حديثه هذا، أن يثبت تدخل الخالق في ولادة الحياة الأولى وظهورها، لأنه لايتلاءم تفسيرها والعلل والعوامل المادية والطبيعية، وأما حول ظهور الانسان والتحول الهائل الذي أدى الى ظهور هذا الموجود العاقل، المفكر، يملك تلك القوة الخارقة [illegible]

[illegible]

هذا نموذج لأسلوب تفكير هذه الفئة من الالهيين، وطريقة استدلالهم حول علاقة الحياة بإرادة الله، وليس من الضروري نقل سائر أصحابهم، فانها تتفق من قريب أو بعيد مع هذا المنهج من الاستدلال، وليس هناك من خلاف جذري معه.

وكما نعلم، فإنَّ البشر مهما بذل من جهود، لم يمكنه أن يصنع مادة الكائن الحي بالوسائل والطرق العلمية، فلم يتمكن أن يصنع بالمواد الكيمياوية، حبة حنطة، تمتلك خاصة الحياة، بحيث لو بذرها في التربة، ستخضر وتثمر، أو نطفة حيوان أو انسان، يمكنها التحول الى انسان، أو حيوان، ولا زال العلماء يبذلون أقصى جهودهم في هذا المجال، ويقومون في ذلك بمختلف التجارب، ولكنهم حتى اليوم، لم يتوضح لهم انهم قادرون في المستقبل على انجاز مثل هذا العمل، أم أن القوى البشرية العلمية عاجزة عن ذلك.

وكذلك مسألة بداية الحياة، الذي يثير اليوم ضجة، فان الإلهيين يعتقدون بأن الحياة بيد الله وحده، وقد مرَّ أسلوب تفكيرهم وطريقة استدلالهم، ثم يطرحون رأيهم في موضوع قدرة الانسان وتمكنه من خلق الحياة، بأن من العبث بذل الجهود في هذا المجال، فإنَّ الحياة بيد الله وحده، وليس بمقدور الانسان أن يخلق الحياة، بكل

[illegible] لأحد أن يحصل على [illegible]، ليقوم بالمعجزة، وهو تعالى، لا يجري [illegible] إلا على يد أنبيائه وأوليائه فحسب.

وهذه الفئة من الإلهيين، تتخذ من عجز البشر اليوم، دليلاً على صحة رأيها، فاننا نلاحظ البشر اليوم، يصنعون حنطة، لا تختلف في تركيباتها الكيمياوية عن الحنطة الطبيعية، ولكنها بالرغم من ذلك، فاقدة للحياة، حيث يدل ذلك على أنَّ الحياة مرتبطة بإرادة الله تعالى، فلابدَّ من اذنه تعالى، وهو تعالى لم يأذن إلاّ لرسله وأنبيائه.

• • •

قلنا إنَّ القرآن الكريم يصرح بهذه الحقيقة، بأن الحياة بيد الله تعالى وحده، وينفي فاعلية غيره تعالى في ايجاد الحياة، ولم نلاحظ في أي موضوع من القرآن الكريم، ان استدل على هذه الحقيقة، ببداية حياة الانسان، أو ببداية الحياة عامة لسائر الكائنات الحية، والاحياء، بل على العكس، فانه يعتمد على هذا النظام الراهن، المشهود، كشاهد على ذلك، وان هذا النظام الراهن للحياة، هو نظام الخلق، والتكوين والايجاد والتطوير والتكميل، يصرح القرآن الكريم بأن خالق الحياة هو الله تعالى، ولكن حين يتحدث عن خالقية الله للحياة، فلا يفرغ اليوم الأول، لظهور الحياة، فانه لا يرى فرقاً بين اليوم الأول والأيام اللاحقة، بل يؤكد على ان هذه التطورات المنظمة المتقنة للحياة، في فترات المختلفة، فمثلاً في سورة [illegible] (الآية [illegible])

[illegible] من [illegible] ثم
[illegible]
[illegible] فكسونا العظم
[illegible] خلقا آخر فتبارك الله أحسن
[illegible]

[illegible] تستعرض هذه الآية الشريفة التطورات
[illegible] في الجنين، عبر نظام معين، وتذكر أيضاً
[illegible] بعضها التطورات المستمرة للخلقة. وفي
[illegible] نوح (الآية: ١٣-١٤) يقول: «مالكم لاترجون
[illegible] وقد خلقكم أطواراً». وفي سورة الزمر
[illegible] ٦) «...يخلقكم في بطون امهاتكم خلقاً من بعد
[illegible] في ظلمات ثلاث...». وفي سورة البقرة
[illegible] ٢٨): «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً
[illegible] فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون». في
[illegible] الحج (الآية: ٦٦) «وهو الذي أحياكم ثم
[illegible] يحييكم...».

[illegible] والآيات كثيرة تتضمن هذه الفكرة، وان هذا
[illegible] الراهن المشهود هو نظام الخلقة، تفتق البذرة
[illegible] الأرض، واخضرار الأشجار في الربيع،
[illegible] ذكرت في القرآن الكريم شواهد على الخلق
[illegible] والايجادات الإلهية المستمرة. ولا نجد في
[illegible] من القرآن الكريم، أن يحصر الخلق وارادة
[illegible] الانسان الأول، أو الحيوان الأول،
[illegible] الأرض، وان ذلك الفرد، أو الخلية
[illegible] الأولى، وليد الارادة الإلهية دون

[illegible] القرآن الكريم مسألة خلق آدم الأول،
[illegible] والاستدلال على
[illegible] دليل على أنه قد
[illegible] بأن

ذراع القدرة الإلهية خرجت من كمها، فانها لم تكن أبداً في كم، ولا تعود الى الكم أبداً.

وهنا ملاحظة مهمة تستفاد من القرآن الكريم، فانه قد أشير في قصة آدم، الى الكثير من التعاليم الأخلاقية والتربوية، أمثال: قابلية البشر للوصول الى مقام الخلافة الإلهية، قابلية الانسان الهائلة للعلم، خضوع الملائكة لمقام العلم، استعداد البشر للتفوق على الملائكة، أضرار الطمع والكبر، وتأثير المعصية في سقوط الانسان من أرفع الدرجات، تأثير التوبة في خلاص الانسان، واعادته الى مقام القرب الالهي، تحذير البشر عن الوساوس الشيطانية المضلة، وأمثالها من التعاليم، ولكن لم نلاحظ في كل هذه الآيات أي ظاهرة معينة استثنائية في خلق آدم وعلاقتها بالتوحيد ومعرفة الخالق. وبما أن الهدف من عرض قصة آدم، التعريف ببعض التعاليم الأخلاقية والتربوية، لا الاستشهاد ببداية الحياة على التوحيد، ولذلك اكتفى القرآن الكريم بذكر آدم الأول فحسب، ولم نلاحظ أي ذكر لسائر أنواع الحيوانات، وكيفية بداية حياتها في الأرض.

وقد ذكرنا، ان الالهيين حين يبحثون حول الكائن الحي الأول، فانهم يفزعون الى تفسيره بالنفخة الالهية، ولكن القرآن الكريم، كما يفسر حياة آدم بالنفخة الالهية، فانه يفسر حياة سائر الناس الذين يوجدون بعد ذلك، بالنفخة الالهية أيضاً.

ففي موضع من قصة آدم الأول يخاطب الملائكة: «فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين». وفي موضع آخر (من سورة الأعراف) يقول: «ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم...». وفي سورة السجدة يقول: «الذي أحسن

[illegible]

... [illegible] عالم

... [illegible] شيء

... [illegible] وراء

الطبيعة [illegible] ماوراء الطبيعة [illegible] في

[illegible] الأمور التي يحدث فيها [illegible] خرق النظام،

[illegible] لم يستطيعوا [illegible] ماوراء الطبيعة،

لذلك [illegible] ماوراء الطبيعة [illegible] منه

العلة، [illegible] مقام العلة الطبيعية متناسين بأن ماوراء الطبيعة له نظام وقوانين معينة، أولاً، وثانياً: لو أن علة قامت مقام العلة المادية والطبيعية، فيلزم أن تكون بدورها طبيعية ومادية، وعلى مستوى الطبيعة والمادة، وهذا غير ممكن في ماوراء الطبيعة، فان مستوى الطبيعة في طول ماوراء الطبيعة لا في عرضها، فلا يمكن للعلة الطبيعية أن تقوم مقام علة من وراء الطبيعة، وكذلك العكس غير ممكن.

فالقرآن الكريم، لم يستدل أبداً على اثبات التوحيد بالحالات والأشياء التي تجهل علتها، والتي يحصل فيها خرق النظام الطبيعي، بل انه يستدل على ذلك بالأشياء والحالات التي يعرف الجميع عللها الطبيعية، ويجعل النظام الراهن والمشهود دليلاً على التوحيد.

ومنطق القرآن في خصوص الحياة، يعتمد على أساس أن الحياة [illegible] عامة، [illegible] من فوق [illegible] بأي طريقة [illegible] فيه [illegible] من [illegible] حالاتها

[illegible]

[illegible]

والاختلاف في الدرجة الوجودية بين المادة والحياة، بين المسائل العلمية المبرهن عليها، ونحن إذا أردنا التوصل للمنبع الكامن في ماوراء الطبيعة، من خلال اختلاف الدرجة الوجودية بين المادة والحياة، فاننا نكون قد اعتمدنا على الجانب المثبت الايجابي لمعلوماتنا، لا الجانب المنفي السلبي، فنبحث عن الله بين معلوماتنا لا مجهولاتنا، فلانحتاج في الحالة التي عجزنا عن كشف علتها الطبيعية تفسيرها بماوراء الطبيعة، وان ماوراء الطبيعة يهبط وينزل من درجته، ليقوم مقام الطبيعة، بل لابدّ أن نحدس بأنه توجد في مثل هذه الحالات، علة طبيعية، لم يتوصل علمنا اليها.

و «صدر المتألهين الشيرازي»، في سفر النفس من كتابه «الأسفار»، ينتقد بشدة «الفخر الرازي»، حيث انه يعجب من «الفخر الرازي» وغيره، فحين يريدون اثبات التوحيد أو غيره من أصول الدين، فانهم يبحثون عن الأشياء المجهولة العلة لاثباتها، والتي ــ بزعمهم ــ قد اختل اضطرب نظام العالم وحساباته وموازينه فيها[3].

• • •

من خلال الآيات التي ذكرناها، نتوصل الى رأي القرآن في هذه المسألة، بأن الخالق ليس [illegible] بل أن الحيوان أو الانسان، في [illegible] حال الخلق، بل

[illegible]

وتقف في [illegible] أخرى تصر [illegible] الخلق بـ (اللآن)، [illegible] البعض، فحين يريدون البحث حول خلق العالم فانهم يفرضون (اللآن) الأول، الذي خلق فيه العالم وخرج فيه من ظلمة العدم، وكأن الأمر لابد أن يفترضوا ذلك، فلايكون العالم حادثاً [illegible] وكذلك حين يبحثون عن خلقة الحياة، فيفرضون (اللآن) الأول الذي ظهرت فيه الحياة.

وهذه الطريقة من التفكير هي طريقة يهودية «وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟...»، ان هذه الطريقة من التفكير حول علاقة الحياة بالارادة الالهية، والتي يفزع فيها دائماً لبداية الحياة، وليدة التصور اليهودي. وقد سيطر هذا اللون من التفكير اليهودي على الأذهان، بالتدريج، ومما يؤسف له، ان بعض المتكلمين المسلمين قد تأثروا به أيضاً.

ولكن، وكما أشرنا اليه سابقاً، ان المنهج القرآني لايتعرض (للآن) أبداً.

• • •

ذكرنا في بداية الدراسة، انه طرحت في عصرنا، مسألة (امكان) أن يصنع البشر كائناً حياً، فهل يمكنه صنع نطفة انسان، بحيث تتحول الى انسان كامل، لو وضعت في الرحم، أو في أي محيط ملائم آخر؟ وذكرنا بأن تلك الفئة من الالهيين، الذين يفزعون دائماً للحالات الاستثنائية، وبداية ظهور الحياة، في اثبات علاقة الحياة بالارادة الالهية، قد أنكروا بشدة امكان ذلك، وقدرة البشر على صنع الكائن الحي، ولكن، على ضوء الأسلوب التعليمي للقرآن الكريم، لابدّ أنْ نقول، لامانع من [illegible]

وهذه الفكرة تحتاج لتوضيح أكثر، ونحن ندرسها من جانبين:

الجانب الأول: ما هي تعقيدات بنية الكائن الحي، وهل يمكن للبشر يوماً التوصل لجميع الأسرار والألغاز التي استخدمت في التركيب المادي لأجزاء خلية واحدة، أو الكشف عن القانون الطبيعي لوجود الخلية الواحدة؟ أو أن البشر عاجز عن ذلك، ولا يمكنه أبداً الوصول لسر ذلك القانون؟ ومن هذا الجانب، لا يمكننا أنْ نطرح رأياً في هذه المسألة، لأنه خارج عن تخصصنا، وما يمكننا قوله هنا، ما ذكره المتخصصون في هذا المجال: (إنَّ الشيء الذي هو أكثر أهمية وتعقيداً، من خلقة الأرض والسيارات، والمنظومات الشمسية ومن كل الكائنات، هو مادة البروتوبلازم).

الجانب الثاني: لو وفق البشر يوماً للكشف عن قانون الخلق في الكائنات الحية، كما أكتشف الكثير من قوانين الموجودات الأخرى، وتوصل الى جميع الشروط والأجزاء المادية الدخيلة في تركيب الكائن الحي، وصنع شيئاً يتوافق تماماً مع المادة الحية الطبيعية في تركيبها، فهل يصبح ذلك الموجود المصنوع حياً أم لا؟.

الجواب: انه يصبح حياً بالتأكيد، إذْ يستحيل أنْ تتوفر كل شروط الإفاضة تماماً، ثم لا تتحقق تلك الافاضة، ألا نعتقد ان الذات الأحدية صمد وكامل ومطلق وفياض على الاطلاق؟ ألسنا نعتقد ان واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات والحيثيات؟

وهنا ربما تخطر شبهة وتساؤل في الأذهان، إذن كيف يتفق هذا الرأي مع القول بأن الحياة بيد الله فحسب، وان غيره تعالى لا شأن له في الأحياء والاماتة؟ وقد ذكرنا سابقاً ان القرآن الكريم بنفسه يصرح بهذه الحقيقة.

والجواب: يتضح مما ذكرناه سابقاً، انه لو وفق البشر يوماً لذلك، فأقصى ما يمكن للانسان صنعه، هو توفير شروط الحياة، لا خلق الحياة، فالبشر لا يمنح حياة، بل انه يحقق قابلية المادة لافاضة الحياة كاملة، وكما يصطلح عليه ان الانسان فاعل الحركة لا مفيض الوجود.

فلو وفق البشر يوماً لذلك، فهو قد توصل لانجازهام في مجال الكشف العلمي، وأما في مجال تكوين الحياة وخلقها، فان مقدار تدخله بمقدار تدخل الوالدين في ايجاد حياة الولد عن طريق التناسل، أو بمقدار تدخل المزارع في ايجاد الحياة لبذور الحنطة، ففي كل هذه الحالات، لم يكن الانسان هو الخالق للحياة، بل ان مهمته توفير شروط الحياة في مادة ما، وقد عبَّر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة خير تعبير في سورة الواقعة: «أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ... أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ».

وأما موضوع معجزة الأنبياء: فان البشر بعلمه، وقدرته المحدودة، والعادية، عاجز عن القيام بمثل هذه المعجزة، والأنبياء أنفسهم لم يتوصلوا بالطرق العادية المألوفة، لذلك العلم، أو القدرة الخارقة للعادة، انهم قد ارتبطوا بقدرة وعلم فوق العادة والمألوف، رفعهم عن مستوى الطبيعة، لتظهر مثل هذه الأعمال المدهشة المعجزة منهم، واذا وفق البشر يوماً لذلك، فانه لا يقوم بما قام به الأنبياء، فان الأنبياء إنما انجزوا ذلك بإذن الله تعالى. فانهم بإذن الله يمنحون الحياة ويقبضونها، واما الإنسان العادي، فلو توصل يوماً لذلك، فان أقصى ما يمكنه عمله، هو توفير شروط الحياة، كما انه قادر على هدم وتخريب

شروط الحياة، ولكنه لايمكنه قبض الروح و الاماتة، فان افاضة الحياة وقبضها بيد الله فحسب، إذن فيمكن للبشر خلال الكشف عن قوانين افاضة الحياة وقبضها، أن يوفر عوامل قابلية المادة للحياة أو هدم هذه العوامل و ازالتها.

• • •

ذكرنا ان الحياة ليست من فعل البشر، فان المحيي و المميت هو الله فحسب، و ذكرنا ان توفير شروط الحياة من فعل البشر.

ولكن يجب أنْ لايفهم من حديثنا هذا، تقسيم العمل، فبعض الأعمال من فعل البشر، وليست من فعل الله، كما ان بعضها من فعل الله، وليست من فعل البشر، بل اننا نستهدف من ذلك فحسب، تحديد فعل البشر وتقييده، لاتقييد فعل الله وتحديده، فكل ما هو عند الله، مطلق، ليست له حدود وقيود، وانما التقييد والتحديد في جانب المخلوق، و هذا الموضوع يحتاج الى دراسة موسعة، ولأجل التوسع فيه يراجع الجزء الخامس من كتاب أصول الفلسفة ●

الهوامش

١ ــ العلم يدعو للايمان (ص ٩٦).
٢ ــ نفس المصدر.
٣ ــ يراجع الجزء الثالث من كتاب (أصول الفلسفة)، ص ٢٢٠.

إنّ الاسلام ليس في حاجة الى التعديل، وليس في حاجة الى التطوير والتحوير، وإنما الانسان هو الذي يجب عليه إذا أراد الحياة السعيدة النبيلة أن يطبّق الاسلام على نفسه فرداً وأسرةً ومجتمعاً وعالماً ليصلح الاسلام أمره لأن الاسلام لم يوجد ليبرزما في حياة الانسان من فساد وانحطاط وإنما وجد ليهذب هذه الحياة ويدفعها نحو الأهداف العليا التي أرادها الله للانسان.

ـ آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر ـ

الحج والتوحيد الابراهيمي

آية الله أحمد جنتي

«وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً واتخذوا من مقام ابراهيم مُصلّى...»

(البقرة. ١٢٥)

موضوع حديثي هذا هو فلسفة الحج وأسراره، وأبدأه بمقدمة.

العبادة الميتة التي لا روح فيها، والأخرى الحية:

يمكننا أن ندرس الحج ـــ مثله مثل كل العبادات ـــ في شكله الظاهري، وتركيبه الصوري، وحينئذ فلن نجد أمامنا الا طقوساً جافة لا روح فيها، وحركات مصنية لا يترتب عليها أثر؛ فهذه مسافة طويلة بعيدة تطوى، وتلك ثياب تبدل، وهذا تجوال لا هدف له، بين ازدحام شديد محطم من الناس، و بأرجل حافية تطأ الحصى الملتهب، وهي طائفة حول بيت قديم، أو راكضة ـــ دون هدف أو أثر بين جبلين، وهناك تجمع ضخم في بيداء، لا ماء فيها ولا عمران، بعد طي مسافة تلفح الرؤوس فيها أشعة الشمس، وعبر مشاكل وصعوبات يوجدها الزحام الشديد، وقلة الوسائل، وما أن ينقضي نصف يوم حتى يجمع المتجمهرون شملهم وأثاثهم، ليرحلوا في زحام أشد، الى بيداء أخرى، ليمكثوا فيها نصف ليلة، وليتحرك بعد ذلك السيل العرم غير المنظم الى النقطة النهائية للمسير، ولتبدأ عملية رمي، بحصيات لمجموعة من الأعمدة المنتصبة، ولعدة مرات، ثم ليذبح الهدي، وتبدأ العودة!

إن مثل هذا التصوير للحج، لاحصيصة له سوى تعب الطريق، ومصارف السفر للانسان الحاج، وتقديم ذريعة للسخرية والهزء من قبل العدو. وهذه هي النظرة السطحية السفيهة، التي يحملها كل أولئك المحرومين من العمل والتفكير السليم، عن أجزاء الوجود وكل الآيات الالهية الناصعة:

«وكأيّن من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها مُعرضون».

(يوسف: ١٠٥)

ومن خلال هذه النظرة، لن يبقى أي فرق بين الطواف حول الكعبة والطواف حول أي عمارة أخرى وبين أرض مكة وأية أرض أخرى، وبين عرفات ومنى وأية صحراء أو بادية أخرى، وبين رمي الجمار وأي رمي آخر للحجارة باتجاه أية أعمدة أخرى أو أي هدف آخر.

وعلى أساس من هذا التصور تخلو أية عبادة من أي محتوى، فتعود كشجرة يابسة، وكإطار فارغ لا أثر له، ولا حصيصة فيه. فلا هي مقبولة عندالله تعالى، ولا هي ذات قيمة عند الناس.

«فويلٌ للمصلين* الذين هم عن صلاتهم ساهون»

(الماعون: ٤ـ٥)

«فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ...».

(مريم: ٥٩)

مثل هذا الحج ينطبق عليه قول الإمام الصادق (ع):

«ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج»

وهناك نقطة أخرى ينبغي معرفتها: تلك هي: ان ما يقال عن أسرار الحج وفلسفته، يجب أن لا يختلط بالمسائل الفقهية له.

فإنَّ البحث الفقهي يتناول: واجبات الحج ومحرماته ومكروهاته ومستحباته،وماهو الشرط وما هو المانع،ومتى يصح العمل فلا يحتاج للإعادة،ومتى يبطل فتجب إعادته. ومن الطبيعي فان فلسفة الحج لا دور لها في هذا المجال. ولا يمكنها أن تكون من جملة الأجزاء أو الشروط أو الموانع، فتكون دخيلة في الصحة والبطلان.

إن البحث عن فلسفة الأحكام، يعني التركيز على فهم أسرار العبادة وحكمها، لفتح السبيل نحو آثار الأعمال في روح العامل، أو على الصعيد الاجتماعي، فلا يمكنه بأي حال أن يحدد ما هو الواجب، وما هو المستحب، أو ماهو الشرط، وماهو الجزء.

وحتى انه يذهب بهذا العزيز الى المذبح ليذبحه بيده ممتثلاً ــ أمر ربه ــ:
«فلما أسلما وتلّه للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت آلرؤيا...».

(الصافات: ١٠٣ــ١٠٥)

وهكذا يصل الى حد تقبل الاحتراق بنار عبدة الأصنام: «قالوا حرّقوه وآنصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قُلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم».

(الانبياء: ٦٨، ٦٩).

ولما خرج من هذا اللهيب المشتعل وهذا الامتحان رافع الرأس طاهراً، فقد عاد مستحقاً لمقامي (الإمامة) أي إمامة وقيادة قافلة الموحدين عبر التاريخ، و (الخلة) وهي الصفة التي اختصه القرآن الكريم بها.

«وإذ آبتلى إبراهيم ربه بكلماتٍ فأتمهنّ قال إني جاعلك للناس إماماً...».

(البقرة: ١٢٤)

«... واتخذ آلله إبراهيم خليلاً».

(النساء: ١٢٥)

وكان من بركة هذا المقام أن كان على كل الآتين بعده أن يتبعوا ملته:

«ثم أوحينا إليك أن آتبع ملة إبراهيم حنيفاً...».

(النحل: ١٢٣)

«ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلّا من سفه نفسه...».

(البقرة: ١٣٠)

و كان من شؤون هذه الإمامة تأسيس الكعبة، وإقامة قواعدها، حيث نجد القرآن في الآية (١٢٥: البقرة) و بعد حكاية قضية الامتحان الإلهي، ومنحه بشرى الإمامة، يقول:

«وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً، وآتخذوا من مقام إبراهيم مصلىً...».

(البقرة: ١٢٥)

و توضع على عهدته مسؤولية تطهير بيت الله من أدران المشركين، وأي تلوث آخر:

«ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود».

(البقرة: ١٢٥)

ليكون لجميع الموحدين، والى يوم القيامة، مثالاً وأسوة:

من دون الله...».

(الممتحنة: ٤)

بعد هذا البحث المقتضب في حياة سيدنا ابراهيم(ع) وتاريخه، من خلال ما يعرضه القرآن الكريم و يرسمه من صورة للمثال المعادي للشرك ، يمكننا أن ننتقل للبحث عن فلسفة الحج.

وإذا قلنا بأن الفلسفة الكبرى للحج ــ بشكل عام ــ هي إبقاء التوحيد الابراهيمي حياً، بمعنى تثبيت التوحيد في كل التجليات، ونفي الشرك بكل مظاهره، ربما لم نكن نعدو الواقع، إنه التوحيد الذي لا ينسجم مع أي صنم، سواء كان صنماً حجرياً أو خشبياً أو فلزياً، شمساً كان أو قمراً أو نجماً، كان ذا لحم و عظم وجلد. أو كان شيطاناً غوياً، أو كان نفساً، أو هوىً مضلاً. نعم؛ إنها الأصنام التي هوى عليها ابراهيم(ع) يكسرها بفأس التوحيد والإسلام، ويقول:

«واجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام * ربّ إنهنّ أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني...».

(ابراهيم: ٣٥ــ٣٦)

ولكي تثبت هذه السنة في التاريخ أبداً، يرفع ابراهيم قواعد بنائه الرفيع بواد غير ذي زرع:

«وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك، وأرنا مناسكنا...».

(البقرة: ١٢٧ــ١٢٨)

«ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، إنك أنت العزيز الحكيم * ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلّا من سفه نفسه، ولقد اصطفيناه في الدنيا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم، قال أسلمت لرب العالمين * ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب...».

(البقرة: ١٢٩ــ١٣٢)

هذا هو بيت ابراهيم، بل هو في الحقيقة بيت التوحيد الابراهيمي، البيت الذي يعتبر كل من طاف حوله واستلم الحجر الأسود فيه قد بايع ابراهيم، وقال:

«أسلمت لرب العالمين».

(البقرة: ٣١)

[illegible]

الإلهي، ولا يمكنه أن يسلم لأوامر المستكبرين الطغاة، العصاة لاله ابراهيم.

إنه المعبد الذي يتعلم فيه كل من استطاع اليه سبيلاً ــ الى يوم القيامة ــ ورأى الآيات البيّنات، وزار مقام ابراهيم، يتعلم فيه من ابراهيم درس: «لا أحب الآفلين» و «إنّا بُرآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله»، و يقتبس من ابراهيم كل ما عرضه القرآن من صور له، ويخلي بيت القلب من الاغيار.

فلنعش جميعاً مع سورة الحج، لنعرف كيف تبيِّن لنا الحج، فتقول:

«وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان آلبيت أن لا تشرك بي شيئاً، وطهر بيتي للطائفين والقائمين وآلركع السجود * وأذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا آسم الله في أيامٍ معلوماتٍ على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير * ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم. وليطوفوا بالبيت العتيق * ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خيرٌ له عند ربه، وأحلت لكم الأنعام إلّا ما يتلى عليكم، فآجتنبوا آلرجس من الأوثان وآجتنبوا قول آلزّور * حنفاء لله، غير مشركين به، ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه آلطير، أو تهوي به آلريح في مكانٍ سحيقٍ * ذلك ومن يعظّم شعائر آللّه فإنها من تقوى آلقلوب * لكم فيها منافع إلى أجلٍ مسمىً ثم محلها إلى آلبيت آلعتيق * ولكلِّ أمةٍ جعلنا منسكاً ليذكروا آسم آللّه على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فإلهكم إلهٌ واحدٌ، فله أسلموا، وبشر آلمخبتين».

(الحج: ٢٦ــ٣٤)

لاحظوا: كيف يطلب القرآن الكريم من أبناء إبراهيم أن يضعوا أقدامهم حيث وضع أبوهم قدميه، نفس ذلك التوحيد، ونفس ذلك التسليم، ونفس تلك العبادة، وعين ذلك الجهاد:

«يا أيها الذين آمنوا آركعوا وآسجدوا وآعبدوا ربكم وآفعلوا الخير لعلكم تفلحون * وجاهدوا في الله حق جهاده هو آجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس...».

(الحج: ٧٧، ٧٨)

إنه يريد من الأبناء أن يديموا السير على خطى الأب، فلا ينحنون إلا أمام ربه و يعودوا منابع لكل خير، ويجاهدوا في الله، ولايختاروا غير ملة الأب من الملل الأخرى.

وإن من يقف الى جوار بيت ابراهيم فيعقد الميثاق معه، لن يجعل لله شريكاً في ذاته، ولا في عبادته، ولا في تشريعه، و يعلنها براءة صريحة من كل من يصنعون الأصنام، وكل من يعبدونها. عليه على هذه الأرض، وعلى كل أرض، أن يعلن البراءة، و يكسر شوكة الأصنام

وصولتها، وهل هناك فوق الأرض نقطة أنسب لهذا الإعلان من الحج؟

«وأذان من ٱلله ورسوله إلى ٱلناس يوم ٱلحج الأكبر، أنّ ٱلله بريءٌ من ٱلمشركين ورسوله...».

(التوبة:٣)

في هذه البقعة من الأرض، إنطلق سليل ابراهيم(ع)ـ الرسول الأكرم(ص) ـ في إعلان دعوة التوحيد، والصراع ضد الشرك، وعقد عهداً مع مسلمي المدينة. والى جانب هذا البيت أيضاً وقف الحسين بن علي(عليهما السلام)، حين أحس أن كيان التوحيد الابراهيمي في خطر، فجمع علماء البلاد في موسم الحج، وأعلن فيهم نداء ابراهيم(ع)، على لسان من جلب معه اسماعيله للذبح، وبلغ نداءه لأسماع أتباع إبراهيم(ع)، ودعاهم لكسر الأصنام التي نجمت في روضة التوحيد، فقال بأروع بيان:

اعتبروا ـ أيها الناس ـ بما وعظ الله به أولياءه، من سوء ثنائه على الأحبار، إذ يقول: «لولا ينهاهم الربانيون والأحبار، عن قولهم الإثم، وأكلهم السحت...» .

وقال: «لعن الذين كفروا من بني اسرائيل ـ الى قوله ـ: لبئس ما كانوا يفعلون»، وإنما عاب الله عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك، رغبة فيما كانوا ينالون منهم، ورهبة مما يحذرون، والله يقول: «فلا تخشوا الناس واخشون»، وقال: «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر». فبدأ الله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكرـ فريضة منهـ لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت، إستقامت الفرائض كلها، هيّنها وصعبها، ذلك ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دعاء الى الاسلام، مع رد المظالم، ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها، ووضعها في حقها...، وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون، وذمة رسول الله محقورة، والعمي البكم، والزمنى في المدائن مهملة لا ترحمون، ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تعنون، وبالادهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون، كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي ـ وأنتم عنه غافلون....، ذلك بأن مجاري الأمور على أيدي العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك الا بتفرقكم عن الحق، واختلافكم في السنة، بعد البينة الواضحة، ولو صبرتم على الأذى، وتحملتم المؤونة في ذات الله، كانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، واليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم... فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا، والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا، اللهم انك تعلم انه لم يكن ما كان منا، تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك، وسننك، وأحكامك

نعم؛ هل هناك أنسب من أرض ميعاد ابراهيم واسماعيل، لكسر أصنام الكفر والإلحاد العالمي، أصنام: الكفر والغرور والظلم والاستبداد والجهل والضلال؟

إنها الأرض التي يرمي فيها الحجاج رمز الشيطان الغوي الغدار ـ بحصياتهم، معلنين حربهم ضد أعداء الله. وهل يمكننا العثور على نقطة تناسب هذا، أفضل من هذه الأرض؟ ترى هل يسمع نداء إبراهيم «تالله لأكيدن أصنامكم» في مكان بأعلى منه في هذا المكان؟ وهل يمكن إيصال رسالة ابراهيم للطائفين والعاكفين والساجدين بأفضل مما يمكن ايصاله فيها هنا؟ وهل هناك أنسب من هذا البلد الأمين لكسر الأصنام الشرقية والغربية التي تجمعت لمحو آثار ابراهيم، بل وحتى هذا البيت؟ ترى هل هناك شك في عدائهم لابراهيم؟ وهل نشك في لزوم إعلان البراءة من الأعداء؟

كان هذا موجزاً عن بعض أسرار وفلسفة أصل الحج، والتي يمكننا معرفتها من خلال مطالعة القرآن، وعرضه لتاريخ ابراهيم، وتشريع الحج بشكل واضح.

ومن الواضح اننا لاندعي كون ذلك كل ما في الحج من حكمة وأسرار، وإنما هي حكمة أساسية أصولية، تقوم على أساسها كل الحكم الأخرى.

أما الحكمة الأخرى التي تطرح كثيراً، وهي من الآثار والبركات التي لا تقبل الإنكار للحج، فهي التعارف، وتحكيم علائق الاخوة، والوحدة بين المسلمين، وتبادل المعلومات والخبرات، ووقوف المسلمين على مشاكل بعضهم البعض، والبحث عن الحلول، والتعاون واتخاذ القرارات المشتركة لحل المشاكل، وتحقيق الانسجام بين الحركات والخطوات الاسلامية، وعقد المعاهدات، وأمثال هذه الأمور التي ترجع جميعها الى الاخوة الاسلامية، والاعتصام بحبل الله، و(الولاء والبراءة) مما يقوي جبهة الاسلام، و يرفع من مستويات قدرة المسلمين، في التصدي المشترك لاعداء الله، ومؤامراتهم، ويخلق الرعب والوحشة في صفوفهم.

وفي هذا المجال علينا أن نقول: إن المسلمين قد غفلوا ـ تماماً ـ عن فلسفة الحج، و بالتالي أفقدوا هذا المؤتمر العالمي العظيم خواصه الرائعة، في حل المشكلات، ومنحهم القدرة اللازمة. وذلك من خلال اختلاف ألسنتهم، وعدم التوجيه الصحيح للحجاج، وهبوط المستوى الثقافي لهم، وتدخل السياسات التي تخاف من وعي المسلمين وصحوتهم، وتقصير العلماء في مجال القيام بواجب الارشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمثال هذه المسائل التي عاد معها الحج عبارة عن تجمع عظيم، يشد الأبدان الى بعضها، و يصنع منها شيئاً واحداً. أما القلوب فبينها من البعد ما يمكن أن يشبه ما بين المغرب والمشرق، ولذا فقد الحج محتواه وخواصه

الحقيقية، ومادام الأمر كذلك، فلن تحل أية عقدة من عقد المليار مسلم، ولن يخاف منهم العدو، كما لن يأمل فيهم محب مخلص، وان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

إشارة الى فلسفة مناسك الحج:

الى هنا والبحث كله يدور حول الفلسفة العامة للحج، هذه الفريضة الأساسية. أما جزئيات مناسك الحج، فلكل منها ــ بمفردها ــ بحث مستقل. نشير الى جوانب منها بشكل سريع وعابر، بعد أن طرحت في هذا المجال بحوث كثيرة.

الإحرام:

وهو الواجب الأول في الحج، وله شروطه وتروكه الخاصة به، والتي تشعرنا بمسائل لايمكن تجاوزها بسهولة، ذلك ان خلع كل العناصر التي توجب التمايز بين البشر، والتي حملها الانسان معه الى هذا المكان، من الألبسة الفاخرة، وأنماط الزينة، والتحول الى شكل كشكل الآخرين، والدخول في الجماهير المتواحدة، بحثاً عن ذاته هو، ومعرفة ما يتبقى من وجوده بعد الفراغ من الجاه، والمقام، والمال والثروة، والشهرة والفضيلة، وما ذلك المتبقي سوى الأخلاق والصفات الانسانية، والعقل، وأنماط التفكير، والارتباط أو عدم الارتباط بالله،

والخلاصة: كل ما يأخذه معه أثناء الموت... كل هذه الحالة، تشكل أرضية مساعدة للإحساس بالوحدة، والتوجه الى الله خلواً من المشاغل العادية، ومعرفة النقائص النفسية، والحاجة للطف الالهي، والتوجه الى عالم ما بعد الموت وموقف القيامة... ومثل هذا يقل أن يحصل لأحد في غير سفر الحج. والنقطة الأخرى هي الخضوع والتذلل في رحاب الله. ان على الحاج هنا أن يكسر في نفسه أسباب الكبر والنخوة. و يتجه مثل جميع الحجاج الى الله، و يترك ــ احتراماً له تعالى ــ ملاذه وشهواته. وانه كلما أحس العبد بضعته وصغره في قبال عظمة الحق تعالى، ازداد منه قرباً.

الطواف:

وفي الطواف يمكننا أن ندرك حقيقة وحدة كل المسلمين وطوافهم حول محور إلهي واحد. وهو ــ بالطبع ــ له جانب عبادي بارز، هو الانسجام مع الطائفين حول العرش، وهو المركز الذي ينتسب الى الله أكثر من غيره، والطواف حوله يمكن أن يكون اشعاراً بالطواف

حول صاحبه. كما ان له جانباً اجتماعياً ـ سياسياً، أي انسجام المجتمع الاسلامي بعضهم مع البعض الآخر، والإحساس بوحدة المسلمين من خلال وحدة المعبود، ووحدة القبيلة، ووحدة المحور، فالكعبة في خلاصة الأمر هي محور الوحدة.

الصلاة في مقام إبراهيم:

والصلاة في هذا المقام بدورها، تؤكد المعنى السابق. وان الموحدين في العالم يجب أن لاينسوا ابراهيم بتوحيده وتسليمه، وإيثاره وتضحياته، مطلقاً. ورغم ان كل مكان مسجد ومحل صلاة، إلا ان صلاة الطواف يجب أن تؤدى الى جانب مقام ابراهيم؛

«... واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى...».

(البقرة: ١٢٥)

السعي:

وتتجدد فيه ذكرى هاجر واسماعيل في السعي، تلك الأم وذلك الإبن، اللذان سلما لله، لإقامة الصلاة في أرض لا ماء فيها ولا زرع، وحيدين، تلفحهما أشعة الشمس الحارة، ولقد تعلقت أنظارهما باللطف الإلهي، للحصول على أكثر لوازم الحياة ضرورة، أي الماء، وها هي الأم تركض عطشى من محل الى محل، وتطلب بملء وجودها ماء في أرض قاحلة. لا أمل فيها لوجود الماء، فتمتد اليها يدالله الرحيمة ـ من خلال تطوافها هذا، ومن بين الرمال الحارة ـ وترسل لها الماء، فتحفظ تلك الأمانة التي سلمها ابراهيم لها من التلف، وهكذا عادت الهرولة أمراً مستحباً، ولها دورها في تحطيم التكبر والغرور لدى الانسان الحاج.

وقوف عرفات والمشعر:

وتبدو فيه الصورة الكاملة للتوجه الى الله، وبث الحاجة، والتضرع والمناجاة، والخضوع، والتذلل في رحابه المقدسة.. هنا يملأ وجود الأنسان تضرع وبكاء، وهنا يتجلى نموذج للقيامة والحشر والنشر:

«مهطعين مقنعي رؤوسهم لايرتد إليهم طرفهم، وأفئدتهم هواءٌ».

(ابراهيم: ٤٣)

وان دعاء الامام الحسين عليه السلام يوم عرفة ـ وهو أروع مناجاة لرجل غمره الحب الالهي ـ ليوضح لنا تماماً ذلك السير الملكوتي، الذي يمكن أن يطويه الانسان الحاج في هذه الصحراء.

من ورمي الجمرات:

ان منى هي المحل الذي يتحلى فيه إخلاص التوحيد، وهي ميدان صراع قوى الحق والباطل، الشرك والتوحيد، والظلمة والنور، فهذا ابراهيم يتلقى الأمر الالهي بذبح ولده فينطلق آخذاً بيد ولده، مستعداً لاجراء الأمر، عروجاً الى قمة التوحيد، إنه الولد الذي رزقه الله إياه على الكبر و بعد طول انتظار، يضحي به، ليحصل على الرضا الالهي. في حين يلقي الشيطان بكل ثقله، وكل حيله، ووساوسه، ليمنع من حصول هذا العروج، عروج قائد قافلة التوحيد، وليبعد بطل التوحيد عن ميدانه، و يسلب محطم الأصنام ومطلق نداء «لاأحب الآفلين» من يد الأجيال الآتية، والى الأبد فلا يدعه يصل الى مقام الإمامة، فيعود أسوة لكل العابدين لله... و يبقى الدور لابراهيم، ليتخذ قراره الأخير في هذا المنعطف التاريخي المهم، ليخرج من أعظم امتحان، على مدى القرن، مرفوع الرأس.

وقد جاء في الحديث ان الشيطان قد تجسّم ووقف في طريق ابراهيم يوسوس له، فيمد ابراهيم يده الى سبع حصيات فيرميه بها، و يزيحه عن طريقه، ولتستمر المسيرة. إلا ان الشيطان لاييأس، فما هي إلا خطوات، حتى يعترض طريقه مرة أخرى، ويجدد وساوسه. فما كان من ابراهيم الا أن كرر رميه بحصيات سبع أخرى، فطرده، و يتكرر المشهد للمرة الثالثة، و يفوز الأب وولده منتصراً الى مذبحه، ينيمه على الأرض:

«فلما أسلما وتلّهُ للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرُّؤيا...».

(الصافات ١٠٣-١٠٥)

لتمتد يد اللطف الالهي، فترسل له كبشاً عظيماً، ليفديه، بدلاً من ولده.

«وفديناه بذبح عظيم».

(الصافات ١٠٦)

الله، ما أروع العطاء الذي يمنحه الرمي فيفتح الآفاق؟! وكيف يستطيع أن يعيء أبناء ابراهيم في قبال شياطين عصورهم؟ أليس على من يتبع ملة ابراهيم أن يتسلح لكي يدفع الشياطين الذين يقطعون عليه طريقه آناً بعد آن، وخطوة بعد خطوة، فيدفع كل شيطان بالسلاح الذي يناسبه؟ ألا يجب أن يعد اللسان والقلم والفكر والرصاصة فيستعد للدفاع؟ ألا يعرف الشياطين؟ أم أنه لايرى مكائدهم ووساوسهم؟ من الأفضل أن نتعرف على أجوبة القرآن الكريم على هذه الأسئلة، وذلك لكي نعرف طريقنا حقاً. وإذا أدركنا معنى همزات الشياطين، عرفنا ان كل من يقوم بمثل هذه الوساوس شيطان... وكنموذج على ذلك

«وآلشيطان يعدكم آلفقر ويأمركم بالفحشاء...» .

(البقرة: ٢٦٨)

ألا نفهم من هذه الآية، ان أولئك الذين يهددوننا بالمقاطعة الاقتصادية، وأنماط النقص والضيق، و يصكون مسامعنا بأننا متى ما قطعنا العلائق بالقوى الكبرى فقد شللنا اقتصادنا، إنما هم شياطين؟

أو أن اولئك الذين يصبون كل همهم لاشاعة الفحشاء والفساد بين اتباع ابراهيم، ليلوثوهم كما تلوثوا هم، إنما هم شياطين؟

ألا نفهم من آية:

«إنما ذلكم آلشيطان يخوّف أولياءه...» .

(آل عمران: ١٧٥)

ان أولئك الذين يخوفوننا دائماً من القوى الكبرى و يغفلون عن قدرة الله، إنما هم شياطين؟ ألا نستطيع أن نصف أولئك المروجين للخمر والميسر في المجتمعات الاسلامية بالشياطين؟ بعد أن نقرأ قوله تعالى:

«... إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل آلشيطان فاجتنبوه...» .

(المائدة: ٩٠)

ولنستمع أيضاً الى القرآن، يصور لنا ـ بكل وضوح ـ خصائص هذا الموجود الغوي، فيقول:

«إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في آلخمر والميسر و يصدَّكم عن ذكرالله وعن آلصلاة...» .

(المائدة: ٩١)

إن الشيطان ينزغ بينهم:

... ومن يتّبع خطوات آلشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر...».

(النور: ٢١)

«كمثل آلشيطان إذْ قال للإنسان آكفر فلما كفر قال إني بريءٌ منك ...».

(الحشر: ١٦)

«يعدهم ويمنّيهم، وما يعدهم الشيطان إلّا غروراً».

(النساء: ١٢٠)

ان هذه الآيات الشريفة تعلنها بلحن صريح ـ للمسلمين ـ أن هؤلاء الذين يفسدون أخلاق الناس في العالم، و يوقعون العداوة بينهم، و يلهونهم، و يغمرونهم في لجة من الغفلة والضياع، و يعدون الشعوب المحرومة بوعود خلابة كاذبة... إن هؤلاء هم شياطين العصر، ورمي الجمرات يعين للحجاج واجبهم تجاه هؤلاء! ترى هل كان ابراهيم لوحده هو المكلف برمي الشيطان؟ ولو كان الأمر كذلك فلماذا نحيي ذكراه، بعد أربعة آلاف من السنين، فنتحمل آلاف المشاق، ومن خلال زحام شديد ـ يؤدي مكرراً لأن يوطأ الناس تحت الأقدام ـ ونتحلق حول ثلاثة أعمدة فنرميها بحصياتنا؟ مادمت هذه الأعمدة الثلاثة لتستحق كل هذا الرمي؟ ألا يخبرنا القرآن عن شياطين الإنس كشياطين الجن؟.

«وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدواً شياطين الإنس والجنّ...».

(الأنعام: ١١٢)

ثم ألا يخبرنا عن وجود الوشائج بين هذين النوعين، فيقول:

«يوحي بعضهم إلى بعضٍ زخرف القول غروراً...».

(الأنعام: ١١٢)

«... وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإنْ أطعتموهم إنّكم لمشركون».

(الأنعام: ١٢١)

ترى ألا تقوم أمريكا و (اسرائيل) وروسيا وعملاؤهم بعمليات شيطانية من هذا القبيل في العالم؟! ألا يعتبر أصغر حجر يمكن أن يرميهم به الحاج، أو أحد أتباع ابراهيم الحنيف، هو الحجر اللفظي (الموت لأمريكا)؟ وهل هناك أصغر من هذا؟

ولو أن المسلمين اليوم كلهم، وقادة الأقطار الاسلامية، استلهموا من رمي الجمرات، فراحوا يوجهون أجهزتهم الاعلامية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية باتجاه الخناسين المتواجدين دائماً حجر عثرة في طريقهم، يمنعوا سبيل الحق والعدل والتوحيد الابراهيمي، فيرمونهم و يطردونهم من طريقهم، لو أنهم فعلوا ذلك، ترى ما مدى العزة والقدرة، التي ستتجلى حينئذ لدى المسلمين؟ وكيف سيستطيع المسلمون أن يجتازوا هذا الامتحان الصعب، اجتيازاً ابراهيمياً موفقاً، فيحصلوا على مقام إمامة العالم وقيادته، فينقذوا أمماً من براثن إبليس، و يكونوا شهداء على الناس؟

«... ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل، وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس...» .

(الحج:٧٨)

واذا تم هذا فلن تعود الأقطار الاسلامية ــ مع ما لديها من ذخائر وإمكانات لا تحصى ــ مسرحاً يسرح فيه الأعداء ويمرحون، ولن تملأ أسواق المسلمين ببضائع الأجانب، ولن تسيطر الثقافة المنحرفة ــ الثقافة المعادية للاسلام، والقاتلة للإنسانية ــ على شؤون من لبوا دعوة ابراهيم، ولن تنتشر أشرطة المغنيات وصورها نصف العارية على الأغلفة ــ و بشكل مقزز ــ في كل مكان، ولن تكون الحكومات الاسلامية بحاجة مطردة ــ يوماً بعد يوم ــ لتوسيع أجهزة الأمن، المجهزة بوسائل القمع، والارهاب، والتعذيب، والتي تدار تحت اشراف الخبراء الأجانب، وتتخذ مثل هذه المواقف ضد الشعوب، ولن تصرف القوى التي يجب أن تبذل في سبيل معونة الاخوة المسلمين، ووحدة الأمة الاسلامية، لن تصرف في مجال التفريق، وايجاد العداوة والبغضاء، ولن تعود الملايين من المسلمين تجود بأنفسها تحت الضغط الدموي الغربي والشرقي.

وا أسفاه، إذ نرى فأس ابراهيم ــ محطم الأصنام ــ، وحجره الطارد للشيطان طريحاً على الأرض، لا يرفعه أحد فيهوي به على مفرق الأصنام الصغار والكبار، فإذا ما استعد قطر للسير خلف أحد أبناء ابراهيم، وحمل ذلك الفأس، والتضحية في سبيل احياء سنة ابراهيم بآلاف القرابين، فإن الآخرين لن يكتفوا بعدم التعاون معه فحسب، بل انهم يقفون صفاً أمامه، جاعلين صدورهم درعاً للكفر، دفاعاً عن الأصنام والشياطين، وإذا بهم يمارسون أعمالاً لم يمارسوها ــ خلال تاريخهم ــ مع أية قدرة شيطانية.

والسلام على ابراهيم، وآل ابراهيم، ومن اتبع ملة ابراهيم، حنيفاً ●

حول

الوحدة والتوحيد

آية الله المشكيني

• القسم الثاني والأخير

دعوة الإسلام إلى الوحدة بتشريع أحكام عبادية سياسية واجتماعية

كلما ذكرناه إلى الآن كان من جهة الأحكام العبادية والحدود الإسلامية. ومن جهة أخرى فإننا نرى أن هناك حكماً آخر من الدعوة المركزية للوحدة بين المسلمين واجتماع كلمتهم.

وهو دعوتهم إلى ذلك بشكل غير مباشر، وذلك عبر الأحكام العبادية والاجتماعية والسياسية، بشكل يظهر أنّ لكل من هذه الأحكام تأثيراً واضحاً في عملية توليد الوحدة في الأمة الإسلامية، ولكن الأمر الذي يؤسف له هو أنّ هذه الوصفات الطبية الشافية قد وقعت بين أيدينا نحن المرضى العاجزين لكننا لا نعمل بها، ونذكر من جملة الأحكام التي في هذا المجال:

١ ـ تشريع وجوب الحج على كل من تجتمع فيه الشروط، من الاستطاعة البدنية، والمالية، وتخلية السرب. وآثار هذا العمل العبادي السياسي في عملية إيجاد: الوحدة، والتضامن، وتحكيم الأخوة الإسلامية بين طبقات المسلمين المختلفة، كثيرة وواضحة، لا تحتاج إلى مزيد بيان.. ولا إلى إقامة برهان، كما أنّ تفصيل هذه الآثار الكثيرة لا يتناسب مع هذا البحث لاسيّما وأنها واضحة جداً.

وما ذكرناه في عقد هذا الموضوع ليس شيئاً يذكر في جانب الفوائد العظيمة لهذا التشريع العظيم، ولسوف يأتي اقتراح يرتبط بهذا الموضوع في نهاية هذا البحث إنْ شاء الله تعالى.

٢ ـــ تشريع إقامة صلاة الجمعة في كل اسبوع، وهذا من أهم وسائل ايجاد الوحدة، وتحكيم الروابط الاسلامية، وتجديد الأخوة الدينية بين المسلمين، واطلاعهم على أوضاع بعضهم البعض. ونظراً لإقامتها في بلاد المسلمين، سنتعرض لها أيضاً في أواخر هذا البحث إنْ شاء الله تعالى.

٣ ـــ تشريع صلاة الجماعة التي تقام مرات عديدة في اليوم الواحد. وهذه الصلاة تعمل على تجميع الوحدات الصغيرة في المجتمع، وتهيئتهم للأحتماع الاسبوعي العام في صلاة الجمعة، وهي بدورها تهيىء للاجتماع الكبير في الحج، في مكة، حرم الأمن الإلهي، وإنّ تأثير كل ذلك في ايجاد الترابط والاتحاد والائتلاف والتعاطف بين أفراد المجتمع الاسلامي ليس قابلاً للانكار، وهو واضح لايحتاج الى مزيد بيان.

٤ ـــ تشريع حكم وجوب صلة الرحم، والتحرُّز عن قطيعتها، طبقاً للآيات القرآنية الكثيرة وللروايات المتواترة بالنسبة لصلة الرحم والإحسان اليهم ـــ أعم من كونه بعيداً أو قريباً ـــ واعتبر ذلك أحد أهم الواجبات لتقوية الروابط. كما واعتبرت قطيعة الرحم من الكبائر. وقد يقال في بادىء الأمر بعدم أهمية ذلك كثيراً، ولكن الدقة في كل اجتماعات المسلمين ـــ التي اهتم الشارع بايجادها ـــ توضح: انّ الهدف هو إيجاد اجتماعات كاجتماعات الجيش الواحد المتشكل من اجتماع الأفراد. وأهمية هذه الاجتماعات حتى مع صغر الوحدات كبيرة لأن الفرد الواحد من هذا الجيش إذا كان ضعيفاً وجباناً قد يُعَرِّضُ الجيش بأكمله للخطر والزوال. وهكذا فإنّ المجتمعات الكبيرة تبدأ من تقوية الروابط بين أفراد الأمة الصغيرة، وبهذا تكون صلة الرحم من العوامل المهمة في توليد الوحدة في المجتمع الكبير، ولهذا نجد الحث والتأكيد الكثير الوارد في الآيات والأخبار عليها قال تعالى: «... وَاتَّقُوا اللهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحامَ ...»، ويقول أيضاً: «ولا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى ...» (النور: ٢٢) وعلى هذا الأساس فقد جعل على الأغنياء أنْ لايبخلوا عن مساعدة أقربائهم وصلتهم، ولقد رأينا انّ الله قد أمر النبي (ص) ـــ في أوائل مرحلة إبلاغ الرسالة ـــ بأن يبدأ بقومه، قال تعالى: «وَأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الأَقْرَبينَ». ولعلّ هذا يوضح عدم الحاجة الى ايراد الآيات والروايات المتعرضة لهذا الموضوع لوضوح ذلك لدى الجميع.

٥ ـــ تشريع حكم المساعدة المالية للضعفاء والمحتاجين ووجوب الإنفاق على الطوائف الثلاث: (الفقراء والمساكين والأيتام) من قبل الأغنياء، ليقوى المجتمع و يسلم من المشاكل التي ربما

راقبت ذلك. ولأجل ذلك فقد حثّ القرآن على وجوب الانفاق على الفقراء أياً كانوا، ومهما كانوا، فلا يشترط كونهم مسلمين. فيجب تأمين مستلزمات حياتهم، بتفقد أحوالهم، والعمل على حل مشاكلهم، ولقد ورد في سورة الحاقة: «خذوه فغلّوه» الى أنْ قال تعالى: «إنّهُ كانَ لايُؤمِنُ بالله العَظيم»، «ولايَحُضُّ على طَعَامِ المِسْكين». وفي آية أخرى: «كَلاّ بَلْ لا تُكْرِمونَ اليتيمَ * ولا تَحاضُّونَ على طَعامِ المِسْكين» (الفجر ١٧، ١٨) وقد جاء في الفقه الاسلامي ان من موارد صرف الزكاة هو الضعفاء، والمديونون، فإنّ بالانفاق عليهم تحل مشاكل طبقة واسعة من أفراد المجتمع، ويعاد اليهم احترامهم ومكانتهم الاجتماعية، وهذا بالتالي يؤدي الى تقوية وحدتهم وائتلافهم وأخوتهم.

٦ ـ تشريع الزواج مع الغاء الخصوصيات القومية والعملية والامتيازات العرقية، بل ورد الترغيب في التزاوج بين أفراد القبائل المختلفة، ولم يلاحظ في عملية القبول بالزواج الفقر والغنى، واللون والشكل، والعرق واللغة، وسائر الامتيازات الأخرى، بل أُلغيَ كل هذه الامتيازات، وأمر بالنظر الى نواحي الايمان والأخلاق. كما في حديث الرسول الأعظم (ص): «لا فَضْلَ لِعَرَبيٍّ على أعْجَمي ولا لأبْيَضَ على أسْوَدَ إلاّ بالتقوى». وهذا ما أكّد عليه القرآن واعتنى به عناية خاصة، فلقد ورد: «إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أتقاكُم».

وبصورة عامة لو عُمِلَ في هذا المورد بتعاليم الاسلام لاستحكمت أواصر الوحدة بين المسلمين بشكلٍ يصبح معه الجميع في خطٍّ واحد ويعملون لهدف واحد.

فبصفة عامة أنّ الملاحظة والدقة في أكثر القوانين الالهية والأحكام العبادية والاجتماعية تؤدي الى فهم غرض المولى وغايته منها.. ألا وهو انشاء المجتمع الاسلامي الواحد على غاية من الانسجام والأخوّة والألفة، ووحدة التفكير، ووحدة الصف، في مقابل الأعداء، ولكن ـ و يا للأسف ـ فاننا لازلنا نفتقد تلك النعمة الالهية العظيمة، وها نحن محكومون في كثير من بقاع العالم لجماعة من الأراذل والكفار الماكرين، الذين لايملكون شيئاً من الفضائل الأخلاقية والانسانية، والفاقدين للكمالات الروحية والمعنوية، والذين لايعتقدون بالله ولا باليوم الآخر. لا بل انهم مخالفون لأبسط المبادئ الوجدانية والانسانية المعترف بها دولياً. بل دخل المستعمر الكافر الى بيوتنا وأثّر على طريقة معيشتنا، وعلى ثقافتنا، وشرعنا، واقتصادنا، وسياستنا، والآن وفي هذه الأوضاع التي تدمي الفؤاد وتبعث على البكاء، وكما قال أمير المؤمنين (ع): «فلوانّ أمرءاً مسلماً من بعد هذا مات أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان عندي جديراً» الآن... ماذا يجب أن نعمل... وما هو موقفنا من هذه الحالة المأساوية التي نعيشها؟

وهنا أتقدم ببعض الاقتراحات التي أرى من المناسب الاهتمام بها والعمل على تحقيقها، ولربما يكون لها أثر كبير في تحقيق التقدُّم، على طريق حلّ مشاكلنا، والعمل بديننا واسلامنا..

* الاقتراحات *

وهذه هي اقتراحاتي المتواضعة مرتبة حسب أهمية موضوعها، أقدمها على النحو التالي:

أ ـ الاقتراح الأول:

بناءً على ماقيل سابقاً فان أهم الأحكام السياسية والعبادية والعامل الأساسي للوحدة بين الأمم الاسلامية هو حج بيت الله الحرام.

واقتراحي ـ الذي يرتبط بهذا الموضوع ـ إنما يستند الى نصوص الآيات القرآنية، والحكم الالهي الصريح، فإنَّ الكعبة وما يتعلق بها من المشاعر العظيمة؛ كعرفات، والمشعر المزدلفة، ومنى وكلّ الحرم الشريف، ثم حرم الرسول الأكرم (ص) في المدينة المنورة، وما فيها وحولها من أماكن شريفة، فهذه الأمكنة كلُّها ليست لطائفة معينة من المسلمين دون أخرى، وإنما هي للمسلمين جميعاً، من أول يوم بنائها الى يوم القيامة. ولأجل توضيح ذلك، فانني أشير الى الآيات الشريفة التالية:

١ ـ قوله تعالى: «**إنَّ أوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلّذي بِبَكّةَ مُبارَكاً وهُدىً لِلعَالَمِينَ**» (آل عمران. ٩٦)، فيفاد هذه الآية ان هذا البيت، وأركانه، وبنيانه، قد وضع للناس جميعاً ولكلٌّ حقٌّ فيه، بشروط معينةٍ، وقيودٍ خاصةٍ، وهي الاعتقاد والايمان بالله ومعرفة وظائفه. وهذا البيت مبارك، يعني كثير الخير والبركة، وهو محور الهداية للناس.

٢ ـ ويقول أيضاً: «**وإذْ جَعَلْنَا البيتَ مَثَابَةً لِلنّاسِ وَأمناً واتّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبراهيمَ مُصَلّىً ...**» (البقرة ١٢٥)، ومعنى الآية ان الله سبحانه وتعالى قد جعل بيته مقرأ للناس يصلون فيه الى التوحيد الحقيقي، ويشرق في قلوبهم نور الايمان. وتشاهد التجليات الربوبية في الآفاق والأنفس، وتذوب النفوس وتفنى في عظمة ربها، حيث يكون البيت هو المنبع لتوجه الفكر الانساني نحو الكمال الذي خلق الانسان لأجله.

نعم: ان هذا البيت قد أقيم لتحقيق، وتحقيق ذلك الهدف المذكور [illegible].

٣ ـ [illegible] «**جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس...**» [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] **والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواءً العاكف فيه والباد** [illegible]

[illegible]

ولابن المسافرين القادمين إليه من بلاد بعيدة، والكل فيه سواء، فلا أولوية ولا أحقية ولا ملكية لأحد دون الآخر. وأصولاً فإن هذه الأمكنة جزء من شعائر الله، كالمساجد في سائر البلدان والأمكنة، فهذه لا تدخل تحت سلطة أو تصرّف شخص أو أشخاص مهما كانوا، وهذا ما يقول كل فقهاء الإسلام، من أهل السنة والشيعة على حدّ سواء، ولذا فلا حاجة الى ايراد الآيات الأخرى، التي تدل على هذا الموضوع.

واقتراحي هو أنْ يكون هذا البيت للجميع، ويشرف على إدارته الجميع، لا أنْ يبقى تحت سلطة دولة ما، وخصوصاً إذا كانت هذه الدولة مرتبطة بعدو الإسلام، مما يعرض ذلك المكان المقدس للخطر. وبناءً على هذا فإن إدارة هذه الأماكن المقدسة في الحرمين الشريفين، وفي جميع أيام السنة، لا بدَّ وأن يعهد بها الى هيئتين متشكّلتين من جميع البلاد والدول الإسلامية. الهيئة الأولى تكون بمثابة مجلس الرئاسة والتخطيط. ويعهد الى الثانية أمر التنفيذ والإجراء، ويتم تشكيل الهيئة الأولى عن طريق انتخاب شخص أو أكثر من كل دولة إسلامية، بشرط أن يكون عالماً وله الجدارة والأهلية، وله معرفة بالعلوم والمعارف الإسلامية، وهذه الهيئة تتولى مسألة وضع نظام وقانون لإدارة الحرمين الشريفين، تضبط فيه أمور الإدارة بدقة كاملة، وفقاً للأحكام الإسلامية، والمستفادة من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة. وتسمى هذه الهيئة الرئاسية بالمجلس الأعلى لإدارة امور الحرمين.

وبعد ذلك ينتخب من كل دولة من الدول الإسلامية خمسون أو مائة شخص مجهزون بجميع التجهيزات المادية والمعنوية والأمنية ويعملون تحت إشراف المجلس الأعلى المذكور، ومهمتهم تنفيذ المقررات والقرارات التي تصدر عنه، ومن المفترض بكل منهم [illegible] المحترمين، وهدايتهم وتعليمهم والاهتمام بأمور [illegible]، مع ملاحظة كل [illegible] للجميع، [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

عليها السلام، فالأنجاس هم الذين أشرنا اليهم، ويجب أن يُطهَّر البيت منهم، ولاسيا الأمريكيين والصهاينة الأشرار.

•

ب ـ الاقتراح الثاني:

هومنع طباعة ونشر الكتب التي تُكتب من قبل بعض الأشخاص والتي يحاولون فيها الاستهانة بعقائد الآخرين، أو استعمال عبارات غير مؤدبة، فيها الكثير من التجريح الذي يمس عواطف الطرف الآخر، الأمر الذي يؤدي الى بذر بذور العداوة والبغضاء في قلوب فرق المسلمين، وبالتالي الى نشوء الحروب والمجازر فيما بينهم في كثير من الأحيان، أو على الأقل لابُدَّ من منع تلك الكتابات التي تؤدي الى تضعيف روح الأخوة الاسلامية وتعكر صفاء أجواء المسلمين، وتذهب بالوحدة المطلوبة فيما بينهم. إذْ ان من الطبيعي أن تصبح مثل هذه الأمور وسائل يستعملها أعداء الاسلام لتمزيقنا وتشتيت كلمتنا، ثم التسلط علينا.

إذن فيجب مراقبة تلك الكتب والنشرات، لاسيما من قبل أئمة الجمعة والجماعات وعلماء البلاد في مختلف الأقطار الاسلامية، ولو بأن يطلبوا ذلك من دولهم، بالاضافة الى وجوب تفهيم الناس مخططات الأعداء الجهنمية في هذا المجال، وتحريم العمل بكل مايدعو الى التفرقة. نعم لابُدَّ وأن يعملوا في هذا السبيل بكل جد واخلاص، اقتداءً بإمام الأُمّة وزعيم الثورة الاسلامية الامام الخميني مُدّ ظلّه، الذي ينظر لجميع الفرق الاسلامية بعين الأخوة والمحبة والاهتمام. وكذلك أيضاً كان حال الدولة الاسلامية بجميع مؤسساتها وشخصياتها الذين اهتموا بالقضايا الاسلامية، وعملوا بكل مالديهم من أجل وحدة المسلمين وتفاهمهم وتآخيهم. (وهذه قصة [illegible] معهم)، نعم لابُدَّ من [illegible] الاسلامية [illegible]

[illegible]

[illegible]

ج ـ الاقتراح الثالث:

إنّ من اخواني أهل السنة من يذهبون ـ في فقههم ـ الى أنه لايعتبر في اقامة صلاتين للجمعة أن تكون المسافة بين مكانيها فرسخاً أو أكثر أو أقل، كما أنّهم وفي نفس الوقت لايرون وجوب اقامتها معاً في ضمن هذه المسافة المشار اليها، ولذا فأنا أطلب من جميع المؤمنين من أجل تعظيم شعائر الله كما جاء في الآية الكريمة: «... ومن يُعَظِّمْ شَعائِرَ الله فإنّها مِنْ تَقوى القُلُوب» (الحج ٣٢) أن يسعوا ما أمكنهم الى توحيد صلاة الجمعة. فبدلاً من اقامتها في أماكن ضَيِّقة، يعملون على اقامتها في مناطق كبيرة وواسعة بإمامة الأعلم والأفقه والأتقى، ولولم يوجد ذلك الامام فليعمل على تناوب الأئمة الموجودين بالفعل، ولابأس بتبديل محلها بالتناوب أيضاً. وبهذا النحو يحصل تعظيم هذه الشعائر العظيمة، وتتم اجتماعات المسلمين بشكل أوسع وأقوى وأكثر عظمة، ليكونوا القوة الجارحة في أعين أعداء الاسلام، وليتحقق مصداق قوله (ص): «يد الله مع الجماعة».

ومن المناسب في هذا المقام من أجل التدليل على صحة مانقول الاستشهاد بصلوات الجمعة التي تقام في الجمهورية الاسلامية في ايران، ففي طهران مثلاً يمكن أن تقام أكثر من صلاة جمعة حسب شروط الفقه الجعفري لأنّ طول وعرض طهران يزيد عن أربعة أو خمسة فراسخ، ومع هذا فإن صلاة واحدة تقام في طهران كلها ويحضر اليها الناس من كل أطراف المدينة بحيث تتجلى منها عظمة الاسلام بشكل يسر قلب المؤمن ويكبت ويسوء المنافق والكافر.. وفي الحقيقة.. لقد أصبحت أماكن اقامة صلوات الجمعة منبراً ومرجعاً للأمة الاسلامية في ايران، تُطرح فيها كل ما يحتاجه المجتمع، وكل [illegible] اهتماماته من قضايا داخلية وخارجية، حتى أن أفراد [illegible] هذه الصلاة على الرغم من تأثير ذلك، [illegible] في مجال الدعوة الى [illegible] الجهة، جهة [illegible] [illegible]

الجمهورية ورئيس الوزراء وقيادة الجيش والحرس الثوري ومسؤولي الادارات وحتى الروحانيين الذين يتزعمون هذه النهضة المباركة ــ إنّ كل هؤلاء يمكن القول عنهم إنهم خدم الأمة والمحافظو عليها، ولكنهم يعرون و يعترفون بذلك، بل ويفتخرون به، وهذا معنى حاكمية الله والقرآن والقانو على أمةٍ من الأمم. و بالتالي فإنّ الناس راضون كل الرضا عن الحكام الموجودين، وعن الدوا والجيش والحرس الثوري، بل انهم في مقابل خدمات المسؤولين يُحسُّون بأنهم مدينون لهم، الحمد لا الذي ألّف بين قلوبهم، «... لَوْ أنْفَقْتَ ما في الأرضِ جميعاً ما ألّفتَ بين قُلُوبِهِمْ ولكنّ اللهَ ألّفَ بَيْنَهُمْ... (الأنفال: ٦٣)، ويدل على ذلك ازدياد نسبة الناخبين في كل مناسبةٍ انتخابيةٍ عن المناسبة التي قبلها فاننا نرى الكل حتى العجائز فضلاً عن الشباب ينطلقون الى صناديق الاقتراع انطلاقاً من احساسه بالواجب الملقى على عواتقهم، بل ان نسبة الوعي الموجودة، وادراك أوضاع الدولة ومشاكلها عن العجوز الأمية ــ اليوم ــ لتساوي الوعي الذي كان موجوداً عند الشاب الواعي والمثقف في أيا الطاغوت إنْ لم تكن أفضل وأعلى. ونحن نتوقع من الشعوب الاسلامية كلها أن تصل الى هذا الحد ا ظل الاسلام والقرآن «والحمد لله الذي هدانا لهذا وماكُنّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله».

د ــ الاقتراح الرابع:

اني أطلب من اخواني علماء أهل السنة الذين يحبون السلام الحقيقي المشرف والعادل، ومـ كل الذين تربطهم بالاسلام علاقة محبة وثيقة ويدعون الى الوحدة بكل ما لهذه الكلمة من معنىً، أطلب منهم أنْ يعيدوا النظر في طريقة تعامل الفرق الاسلامية مع بعضها البعض، وبتعبير أوضح طريقة تعامل أهل المذاهب: الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي السنية الأربعة مع بعضهم أو مـ اخوانهم الشيعة الامامية، والزيدية، لأن هذه الاختلافات القائمة بين الفِرَق الاسلامية هي أ الأسباب الاساسية في وجود حالة الضعف والوهن والتخلف المسببة لسقوطنا أمام أعداء الله وأعد الاسلام، ولتسليطهم علينا وعلى قدراتنا، ولتعريض ثقافتنا وكياننا واقتصادنا وقرآننا لعبث الأيد الأجنبية بها.. إنّ المسؤولية في كل ذلك تقع على عواتقنا نحن علماء الاسلام، لأن الناس تَـ لعلمائهم، ويتأثرون بآرائهم، فيجب علينا الاعتراف و بأسف شديد بهذه الحقيقة المرة.

لنتأمل قليلاً في أعمالنا ومواقفنا و وفاقنا ولنجعل نصب أعيننا أعمال العلماء الأبرار القدامى وكمثال على ذلك نذكر تأسيسهم ــ والشيخ شلتوت منهم ــ لدار التقريب بين المذاهب الاسلامية وكذلك فلننظر الى المذاهب السنية والى التشيع نظرة فاحصة وشاملة، ولنلاحظ بعد ذلك هل أنّ نشترك به أكثر أو ما نختلف فيه.

ان القوانين الدينية والسماوية تنقسم الى ثلاثة أقسام، هي عبارة عن: الاعتقادات والأخلاق والأعمال.

فالاعتقادات تعني الأعمال الفكرية والقلبية، والتصورات الداخلية للذهن والأخلاق تعني الصفات الروحية والأوصاف النفسية، والأعمال تعني أفعال الجوارح والبدن. وكل حكم نزل من عند الله سبحانه على النبي الأكرم (ص) مرتبط بهذه الأقسام الثلاثة. فأما أصول العقائد فهي عبارة عن الواجبات والمحرمات المرتبطة بالعقيدة، فضلاً عن أن الاعتقاد بالتوحيد واجب، والاعتقاد بالشرك حرام، وأما الأحكام الأخلاقية فهي عبارة عن القوانين التي بيّنها الاسلام حول الأخلاق، فمثلاً صفة الشجاعة والكرم حسنة، وصفة الجبن والبخل قبيحةٌ. وأما أحكام الأعمال فهي عبارة عن الواجبات والمحرّمات في مجال الممارسة والعمل الخارجي، فمثلاً وجوب الصلاة والصوم وحرمة الزنا وشرب الخمر وغير ذلك.

ومع أقل مراجعة لكتب أهل السنة والشيعة نرى أن الصفات الثبوتية والسلبية، يعني الجمالية والجلالية، مشتركة غالباً بين أهل السنة والشيعة، وكذا الحال في الاعتقاد برسالات الأنبياء، والاعتقاد بالكتب السماوية، ويوم المعاد وتفصيلاته من قبيل: السؤال يوم الحساب والاعتقاد بالجنة والنار وبالشفاعة وغيرها، فإنّ كلا الفريقين مشتركان فيها كلها، ولولا لاحظنا أيضاً كتب الأخلاق التي كتبها الشيعة فلربما لا يوجد في المائة مسألة مسألة واحدة تكون مورد اختلاف فهذا كتاب «إحياء العلوم» للغزالي الذي لخصه و لخص رواياته «الفيض الكاشاني» وأضاف اليها روايات عن أئمة الشيعة، فنحن لا نجد أي اختلاف بين روايات الغزالي وروايات الشيعة، ولو كان ثَمَّةَ اختلاف فهو كالاختلاف بين علماء السنة فيما بينهم، أو كاختلاف علماء الشيعة فيما بينهم.

وأما أحكام الأعمال، فلو طالعنا الكتب الفقهية من أول كتاب الطهارة حتى آخر الديات والتي يقارب عدد كتبها ٥٣ كتاباً، فنرى أن الاختلاف الموجود هو في غالب المسائل الفرعية، ولكن مايُلفِتُ النظر هو أن الاختلاف بين علماء الشيعة أنفسهم أو بين علماء السنة أنفسهم أكثر من الاختلاف الموجود بين علماء السنة (أعني علماء المذاهب الأربعة في مقابل الشيعة) فنرى مثلاً أنَّ أبا حنيفة له رأي في مسألة ما، والشافعي له رأي فيها، وكذلك الامام الصادق (ع) له رأي، ويمكن في أن يتفقوا جميعاً في مسألة واحدة، وقد يكون للجعفري والشافعي رأي واحد، وللحنفي والمالكي رأي واحد، وليس ثمة اختلافات أو انحرافات أساسية، بحيث تُعَدُّ فتاواهم تلك مخالفة للضروريات الدينية، أو مضادة للدين، بل انهم كغيرهم ـ يستندون في فتاواهم تلك بآيةٍ أو رواية أدّت بهم الى اختيار ذلك الرأي في المسألة. وعليه فلا يبقى أيُّ معنًى للضجة المفتعلة التي نشهدها من حين لآخر هنا وهناك حول هذا الموضوع.

نعم هناك قضية أساسية مهمة تفرض نفسها لكونها هي السبب الحقيقي في الاختلاف القائم، ويمكن عدم الالتفات الى كل الأمور السابقة، ثم التفاهم عليها، هذا إنْ لم نقل إنَّ من لوازم التحقيق

والتأمل والدقة وحرية الفكر هو حصول اختلاف في وجهات النظر أحياناً، ولكنه لايضر في التوجه العام بأي وجه، إلّا تلك القضية الأساسية، وهي قضية الامامة، إذْ هي السبب في ما هنالك من اختلافات كثيرة، فإنّ لأهل السنة فيها مسلكاً، وللشيعة مسلكاً آخر، ورغم هذا الاختلاف في وجهات النظر، فاني أود أن أعرض مايجول بخاطري حول هذه القضية بالذات في تحقيق التقارب بين الطرفين، وفسح المجال للتأمل والتفكر الموضوعي الحر فأقول:

أولاً: إنَّ كلا الطرفين لايختلفان في مبدأ مسألة القيادة، ولزوم وجود القائد والامام والرئيس، والمدير للمجتمع في أيّ عصر وزمان، بل أن الأصل عدم تعقل ترك الأمة بلا قائد وزعيم، أمة تُعَدُّ بالملايين، فكيف إذا كان عدد أفرادها يبلغ المليار؟ فهل يمكن أن تبقى هكذا كقطيع غنم مُفرق في صحراء دون راعٍ يرعاها، وهي في متناول أيدي الذئاب الجائعة والمفترسة. يقول الإمام الثامن الرضا (ع) ـــ في هذا المجال ـــ : «**فلابُـدَّ لِكُلِّ قومٍ من إمام برّاً كان أو فاجرا**» وليراجع ما عن الامام علي (ع) حول هذا الموضوع في «نهج البلاغة»، وإذنْ فالاختلاف القائم إنما هو حول التشخص والمصداق، لاحول أصل لزوم وجود قائد وإمام.

ثانياً: إننا نسأل: هل من المعقول أن يعيش المسلمون الذين يواجهون حرباً من كل الجهات مع العدو المشرك الذي لاينكر علياً وأبا بكر فقط، بل هو يعادي الله والقرآن ومحمداً(ص)، فهل من المعقول أنْ يعيش المسلمون ـــ والحال هذه ـــ في خضم الاختلافات، وأن يتوجهوا لتصفية الحساب، ويحملوا السيف على بعضهم البعض ليعطوا الفرصة لعدوهم لابتلاعهم وتشتيتهم أكثر، حتى لايبقى ثَمَّةَ ذكرٌ لعلي ولا لعمر ولا لرسول الله (ص)، لابل لايبقى ذكر لله ولا للقرآن المجيد؟

إنني أراه هذا الوضع لأقترح على اخواني أن نرجع الى سيرة الخلفاء الأربعة مع بعضهم البعض، لنرى كيف كانوا يناصرون بعضهم بعضاً حفاظاً على الدين الحنيف بعد رحيل الرسول الأكرم الى ربه، بعد أن تأهب الأعداء في شبه الجزيرة وغيرها منتظرين تلك الفرصة كي ينقضّوا على الاسلام ويقتلعوه من الأساس. ولابأس بالاشارة هنا الى ماجاء في «نهج البلاغة» في الخطبة رقم (١٤٦)، حينما شاور الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الامام علياً عليه السلام في اشتراكه في الحرب ضد المجوس آنذاك . فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**نحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصرٌ جنده، ومكان القَيِّم بالأمر مكان النظام من الخَرَز، يجمعه ويضمه، فإن انقطع النظام تفرّق الخَرَزُ وذهب، ثُمّ لم يجتمع بحذافيره أبداً، وَالْعَرَبُ ـــ اليوم ـــ وإنْ كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع! فكن قطباً، وَاستدر الرَّحا بالعرب، وَأصْلِهِمْ دونك نار الحرب، فانك إنْ شخصت من هذه الأرض، انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العوراتِ أهم اليك مما بين يديك. إنَّ الأعاجم إنْ ينظروا إليك غداً يقولوا هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لِكَلَبِهِمْ عليك، وطمعهم فيك**». والخَرَزُ: أي الحب المثقوب من الزجاج وغيره.

وجاء في الخطبة رقم (١٦٤) لما اجتمع الناس اليه، وشكوا اليه مانقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته واستعتابه لهم، فدخل عليه فقال: إنَّ النَّاسَ وَرَائي، وقَدِ اَسْتَسْفَروني بَينَكَ وبَيْنَهُمْ، ووالله ما أدري ما أقُولُ لَكَ! ما أعْرِفُ شيئاً تَجْهَلُهُ، ولا أدُلُّكَ على أمرٍ لا تَعْرِفُهُ. إنَكَ لَتَعْلَمُ ما نَعْلَمُ. ما سَبَقْنَاكَ إلى شَيءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، ولا خَلَونا بِشَيءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ وقَدْ رأَيْتَ كما رأيْنا، وسَمِعْتَ كما سَمِعْنا، وصَحِبْتَ رَسُولَ اَللهِ ـ صلّى الله عليه وآله ـ كما صَحِبْنا، وما اَبنُ أبي قُحَافَةَ ولا اَبنُ الخَطَّابِ بأوْلى بِعَمَلِ اَلحَقِّ مِنْكَ، وأنْتَ أقْرَبُ إلى أبي رسولِ الله ـ صَلّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ ـ وشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُما؛ وقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ ما لَمْ يَنالا، فَاللهَ اَللهَ في نَفْسِكَ! فإنَّكَ ـ واَللهِ ـ ما تُبَصَّرُ مِنْ عَمًى، ولا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ، وإنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وإنَّ أعْلامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ. فَاعْلَمْ أنَّ أفْضَلَ عِبادِ اللهِ عِنْدَ اَللهِ إمامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وَهَدَى، فأقَامَ سُنَّةً مَعْلومَةً، وأمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، وإنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ، لها أعْلامٌ، وإنَّ اَلبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ، لَهَا أعْلامٌ. وإنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اَللهِ إمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وضُلَّ بِهِ، فَأماتَ سُنَّةً مأخوذَةً، وأحْيَا بِدْعَةً مَتْروكَةً. وَإني سَمِعْتُ رَسُولَ اَللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ ـ يَقُولُ: «يؤْتَى يَوْمَ اَلقِيامَةِ بالإمَامِ اَلجَائِرِ ولَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ ولا عَاذِرٌ، فَيُلقَى في نَارِ جهنَّمَ، فَيَدورُ فِيها كما تَدُورُ الرَّحى، ثُمَّ يَرْتَبِطُ في قَعْرِها».

وإني أنْشُدُكَ اَللهَ ألّا تكونَ إمَامَ هَذِهِ اَلأمَّةِ اَلمَقْتولَ، فإنَّهُ كانَ يُقالُ: يُقْتَلُ في هذهِ الأمَّةِ إمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْها اَلقَتْلَ والقِتالَ إلى يَوْمِ اَلقِيامَةِ، ويَلْبِسُ أمورَها عَلَيْها، ويَبُثُّ اَلفِتَنَ فِيها، فَلايُبْصِرونَ اَلحَقَّ مِنَ اَلباطِلِ، يَموجُونَ فيها مَوْجاً، و يَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً. فَلا تَكُونَنَّ لِمَرْوانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شاءَ بَعْدَ جَلالِ السِّنِّ، وتَقَضِّي اَلعُمُرِ. فَقالَ لَهُ عُثمانُ (رض): «كَلِّمِ النَّاسَ في أنْ يُؤَجِّلُوني حتّى أخْرُجَ إلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ» فَقالَ عليه السلام: مَا كَانَ بالمَدِينَةِ فَلا أجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأجَلُهُ وُصُولُ أمْرِكَ إلَيْهِ.

الاقتراح الخامس:

أقترح على الاخوة تشكيل مؤتمر سنوي لأئمة الجمعة والجماعات في كل الدول الاسلامية، إمَّا في دولة معينة، أو متنقلاً في العديد من الدول، وذلك بهدف التعارف، وحصول التفاهم، وتبادل وجهات النظر المختلفة، وتشخيص الوظائف والمسؤوليات الاسلامية تجاه الظروف الطارئة، و بنفس الوقت للوقوف معاً في وجه العقبات التي تواجه مسيرة أمتنا وحل المشاكل العامة العالقة، ونكون بذلك قد امتثلنا للأمر الالهي، حيث يقول تبارك وتعالى: **«وَالَّذِينَ اَسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وأقامُوا اَلصَّلاةَ وأمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقونَ»** (الشورى: ٣٨) ويقول أيضاً في معرض الحديث عن المؤمنين: **«وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ اَلإثْمِ وَالفَواحِشَ...»** فالله يذكر انهم بريئون، أي عن ارتكاب الذنوب والمعاصي التي

تخرج عن حدود الشرع وقضاء وحكم العقل، ثم هو في نفس الوقت يُمجدهم ويمدحهم لقولهم دعوات الحق، ولاقامتهم الصلوات، والتي على رأسها صلاة الجمعة، ثم يتحدث عن عملهم بالمشاورة، وتبادل وجهات النظر والمشورة: هي استخراج المطلب الحق الصحيح من بين المطالب المتفرقة الكثيرة والمتقابلة. قال الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن: **«والتشاور والمشورة استخراج الرأي بمراجعة البعض الى البعض، من قولهم: شرت العسل أي إذا اتخذته من موضعه واستخرجته من محلّه»**. وكذلك يتفضل عزّوجلّ في كتابه العزيز فيقول: « ... **وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ...**». فاذا كان الله سبحانه قد أمر نبيه الأكرم (ص) بمشاورة المسلمين واستخراج آرائهم، ثم العزم والتوكل، فكيف يكون الحال بالنسبة لأفراد المسلمين؟ أيمكن أن نجب عليهم ذلك؟ وهل استغنوا عنه بالفعل؟ أم أنّهم أعلم وأدرى من النبي الأعظم (ص)؟ أو أنهم في عصرنا الحاضر أعرف بمصالحهم حتى لايحتاجوا الى مشورة أحد؟ وَلِمَ لانستمع لقوله تعالى: «**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**» ونجعل ذلك نصب أعيننا، ومحط نظرنا باستمرار؟

وخلاصة الأمر: انه كلما كانت هذه المؤتمرات والجلسات متقاربة زمنياً ـــ مع توسيعها كمّاً وكيفاً ـــ كلما كانت المنفعة منها أكثر وأعم، وأقرب الى مرضاة الإله الواحد.

ويتفرع على هذا الاقتراح... أعني الاقتراح الخامس:

١ ـــ تأليف لجنة من علماء الفريقين، تقوم بتبيين الأحاديث المتفقة معنًى، أومعنى ولفظاً، على طرز الوسائل والكافي، أو البخاري وباقي الصحاح الستة.

٢ ـــ تأليف لجنة تتولى الاطلاع على [illegible]

[illegible]

الاقتراح السادس:

تأسيس بنك اسلامي دولي (البنك اللاربوي الاسلامي) يساهم فيه المسلمون بشكل يتناسب مع حجم الدول المساهمة فيه، وقدرتها على الاشتراك. ويعمل على تأسيس ادارة مشتركة له تهتم بتأمين احتياجات موظفيه، ويُعنى هذا البنك بمساعدة الدول الاسلامية الناشئة، حتى لا تقع تلك الدول من خلال الديون التي تأخذها من الدول الاستعمارية في شرك الاستعمار، وتصبح بالتالي رهينةً له، ومرتبطةً به، ارتباطاً يؤثر على استقلالها وحريتها، وعلى شرفها ودينها، وتتعرض من ثم لبث السموم القاتلة، من خلال الثقافات الشرقية والغربية التي تفرض على تلك البلاد، نتيجة الأوضاع الاقتصادية المتردية فيها.

الاقتراح السابع:

وهو القيام بتشكيل مجامع ومجالس للتحقيق في شتى العلوم الاسلامية والانسانية المختلفة، من خلال الاستفادة من العلماء المسلمين والمتخصصين في العلوم المختلفة، في دولة من الدول الاسلامية، وتقوم تلك المجامع بالبحوث اللازمة والضرورية التي ترتبط بالأحكام والقوانين الاسلامية القرآنية، وإجراء مقارنة بين ما ورد في القرآن الكريم حول العلوم المختلفة، وبين العلوم المطروحة اليوم ــ وبشكل خاص ــ بالمقارنة بين النظرات الاقتصادية في القرآن والسنة الاسلامية، في مقابل المذاهب الاقتصادية المطروحة اليوم ــ الشرقية منها والغربية ــ وتُعنى تلك المجامع ببحث مسائل التكامل والتطور في خلق الانسان وسائر الحيوانات، وبما ورد في القرآن المجيد حول العلوم الأخرى، من قبيل: علم الكلام، الفلسفة، العرفان، علم الاجتماع، علم النفس، علم النبات، علم الاجنة، علم الفيزياء، الكيمياء، التاريخ، فلسفة التاريخ، بالاضافة الى بعد القرآن من الناحية العقائدية والتشريعية، وأبعاده الأخرى، ومقارنته مع ما جاء في التوراة والانجيل والمذاهب الأخرى، ويمكن القول أخيراً: إنَّ هذا المجمَّع العلمي المقترح يكون بمثابة الملجأ المرجع العام لعموم المسلمين، في فهم أي علم من العلوم وحل أي مشكلة يمكن أن تعترضهم دون أن يمدوا يدهم الى التوراة أو الانجيل، أو أن يراجعوا الباباوات، أو ما شاكل.. ودون أن تكون مصادر معارفهم هي الكتب الرأسمالية أوالشيوعية، بل علينا أن نعمل ونعمل حتى نصل الى درجة يشعر العالم ــ كله ــ بأنه بحاجةٍ الينا في شتى العلوم والمعارف.

وأنا شخصياً أرى أن هذا العمل من الضروريات الأولية وانّ أي نوع من الاهمال فيه يعتبر اهمالاً للحفاظ على كيان الاسلام وشرف المسلمين. وإذا كنا قد فرطنا فيما سلف، فاننا نستغفر الله، وعلينا أنْ لانعود ونستغفر الله، «...وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ آللهُ مِنْهُ....» (المائدة: ٩٥) أما تأمين احتياجات هذا العمل فليس أمراً صعباً، ولايعد مشكلة أصلاً.

وصر تكشفه، وسلطان حق تظهره، ورحمة منك تجللناها، وعافية منك تلبسناها، برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه، محمد وآله الغرّ الميامين ●

إنَّ المسلمين لو عملوا بما جاء في القرآن الكريم وسيرة الرسول الأكرم محمد(ص) والأئمة الطاهرين(ع) لما وصل ضعفهم الى ما هو عليه اليوم حيث يرزحون الآن تحت سلطة الشرق والغرب و ينهب ثرواتهم أعداء الاسلام الذين شردوا المظلومين الفلسطينيين من ديارهم،ولما تجرأت أميركا و «إسرائيل» على ارتكاب أبشع الجرائم في لبنان كما تفعل روسيا في أفغانستان، كل ذلك بسبب ابتعاد المسلمين عن تعاليم دينهم.

رائد الوحدة الاسلامية آية الله العظمى المنتظري

النهوض الثقافي في المجال الاعلامي

بقلم: الشيخ محمد علي التسخيري

ان العدو، وتأكيداً لعملية التغريب راح يزرع الشبهات تلو الشبهات في النفوس تجاه الاسلام عقيدة ونظاماً.

على الصعيد العملي: كان هدفه (العدو) المرحلي هو إبعاد النظام الاسلامي عن توجيه الحياة الانسانية، واحلال النظم الغربية المادية محله.

فكرة فصل الدين عن السياسة، وقصر الحياة الدينية على الشؤون الشخصية والعبادية، وترك الشؤون الاجتماعية للفكر التنظيمي الغربي ، فكرة استعمارية.

ان البعض من عملاء الغرب ووسائله الاعلامية المحلية العميلة راحت تدعو لإعادة النظر في الاسلام نفسه!!

للنفوذ الغريب جاء دور بث الفكر الالحادي المسموم لتحقيق المرحلة النهائية من العملية، ليصوغ الانسان المسلم مبشراً للماركسية بقيمها الواطئة أو الرأسمالية بجشعها ولؤمها، وعلى أي حال؛ يغدو عدواً للأمة وعميلاً للأجانب الأعداء.

واما على الصعيد العاطفي: فان خطته الخبيثة يمكن ان تتلخص بعمليتين: الأولى عملية اضعاف الروح الأخوية الاسلامية، روح احساس المسلم أينما كان بألم المسلم الآخر، واحلال الروح المحلية، والقطرية، والقومية، وحتى الوطنية الضيقة وغيرها، اما العملية الثانية فهي عملية توجيه العواطف والدوافع نحو المادية السلوكية، الأمر الذي يترك أثره على الجانبين العقائدي والعملي بكل قوة، فتتحول المادية العاطفية الى مادية عقائدية.

وقد استغل الاستكبار الغربي لتحقيق هذا الهدف كل الوسائل ومازال يستخدمها حتى يومنا هذا في أرضنا الاسلامية ونذكر منها:

النماذج الخلقية المنحطة، والمجلات والصحف الخليعة، والأذاعة المسموعة والمرئية، والسينما والمسارح، ومحلات الدعارة و بيوتها، والملاهي والمراقص، والحفلات الماجنة، ومعسكرات الشباب ومنظماته، (والبلاجات) والمسابح المشتركة، والرياضة وتعاطي الخمور، والتشجيع على استهلاك وسائل التجميل، والتشجيع على ارتكاب الجريمة، ودفع المجتمع نحو المخدرات واستغلال الابداعات والأعمال الفنية لهذا الغرض، ومن تلك الفنون المستغلة: الزخرفة والرسم والموسيقى، واستغلال النتاجات الأدبية كالقصة والشعر، وتربية الشعب على تقليد الغرب الخليع في مختلف الشؤون كاللباس والسكن والسلوك ، وفسح المجال للجمعيات والعناصر المندسّة من: الصهاينة والبهائية والماسونية، ورواد نوادي الروتاري والملحدين، ليساعدوا في اذكاء نار الفساد، ونشر أفلام الخلاعة (والفيديو)، واشاعة عملية المراسلة غير النزيهة بين الجنسين، وتشجيع عمليات المقامرة في (الكازينوهات) العامة الكبيرة منها والصغيرة، وفي المسابقات الرياضية، وسباق الخيل من قبل المتفرجين، وغير ذلك الكثير الكثير من الأساليب الرخيصة، ونؤكد هنا ان الكثير من هذه الوسائل الاعلامية اكتسبت ضعتها من أهدافها الوضيعة لامن طبيعتها كوسائل اعلامية مجردة.

وبالتالي فعلى الصعيد العملي: كان هدفه المرحلي هو ابعاد النظام الاسلامي عن توجيه الحياة الانسانية، واحلال النظم الغربية المادية محله، بشكل كلي، أو في غالب الأحوال، وهنا أيضاً تنوعت الأفكار التي مهد بها لهذه العملية، فشملت:

فكرة فصل الدين عن السياسة، وقصر الحياة الدينية على الشؤون الشخصية والعبادية، وترك الشؤون الاجتماعية للفكر التنظيمي الغربي.

وترويج الاتجاه الليبرالي المتحرر من التقيد بالتوجيهات الدينية.

وتحبيذ العلمانية في الحكم بكل صراحة، أو بشيء من غطاء دستوري يذكر الاسلام كدين للدولة تمويهاً، في حين يحجر عليه أن يصوغ مجمل الحياة الاجتماعية إلاّ بما لايتعارض مع المصالح الغربية والشخصية الضيقة.

وقد مهدت لهذه الفكرة أفكار أخرى مخادعة من قبيل: (فكرة تعقد الحياة، ولزوم التطوير في كل مجالاتها، وعدم قدرة النظم الدينية على مواكبة هذا التطور، باعتبارها تؤمن بالمطلقات التشريعية، وهذه المطلقات لا تنسجم مع عملية التغيير المستمر، وكذلك فكرة التخويف من الحكومة الدينية، أو مايسمونه بالاستبداد الديني، مذكرين بما جرى في القرون الوسطى من الظلم الكنسي، وكيف وقفت الكنيسة الى جانب الاقطاع المستبد، وان هذا لاينسجم مع الدولة الديمقراطية الحديثة)، وغير ذلك من الأفكار التي مهدت كما قلنا للعلمانية، فإذا بنا نجد الأرض الاسلامية تضج من وجود الحكم العلماني المغلّف، دون أن يشعر أكثر الأفراد بمدى الجرعة التي ترتكب عبر ذلك.

والأنكى والأمر من ذلك، ان البعض من عملاء الغرب و وسائله الاعلامية المحلية العميلة راحت تدعو لإعادة النظر في الاسلام نفسه !!

فهناك من يدعي ان الاسلام قد استنفذ أغراضه التاريخية.

وهناك من يرفع نداءه طارحاً فكرة (البروتستانتية الاسلامية).

وهناك من يطرح النظم الغربية أساساً يجب أن يحور الاسلام نفسه بحيث ينسجم معها، فتجد شيوع تعبيرات: (الديمقراطية الاسلامية، والاشتراكية الاسلامية... إلخ).

ولما لم يجد اذناً صاغية راح البعض يطرح الأفكار التلفيقية التي تأخذ من هذا ضغثاً ومن ذاك ضغثاً وتقدمه على أساس انه الاسلام المواكب لمسيرة التطور!! وهذا القسم الأخير هو أشد الأقسام خطورة على جيلنا الاسلامي الناشيء، (واذكر اننا عانينا في ايران من كل الأفكار الماضية كثيراً، إلاّ أن الاتجاه التلفيقي بشكله الغربي أو الشرقي كان يشكل العقبة الكأداء في عملية اسلمة الحياة الاجتماعية أسلمة كاملة، الأمر الذي اضطرت الثورة الاسلامية معه الى الضرب بيد من حديد بعد أن تآمر على كل المكاسب الاسلامية).

خطوط المواجهة الاعلامية للغزو الثقافي:

ونستطيع أن نميز في مجال مواجهة الغزو الثقافي الآنف على الصعيد الثقافي والاعلامي خطوطاً، أهمها خطان:

أولاً ـ الخط الاعلامي الثوري البنّاء: وقد امتاز هذا الخط بميزات منها :

أ ـ وعيه للاسلام وعياً نافذاً، وادراكه العميق الأصيل لنظرته الحياتية التغييرية الشاملة.

ب ـ ادراكه لأبعاد الغزو الثقافي ومساربه ومظاهره.

ج ــ تركيزه على عمق المشكلة دون اهمال جوانبها وفروعها وتفصيلاتها، وبالتالي فمرونة التغيير الثوري والاصلاحي في آن واحد.

د ــ تقديمه الطروحات الاسلامية للجيل، وبعث حركة ثقافية جديدة.

هـ ــ تحريك الحسّ الاسلامي الحماسي المطلوب وعدم الاكتفاء بالتنظير الفكري الجاف وهذا النوع هو الذي استطاع أن يقدّم خدمات جُلّى على صعيد المواجهة و ينقذ الأمة من وهدتها.

ثانياً ــ الخط الاعلامي السطحي: والذي تميّزه ما يلي:

أ ــ بطرح الاسلام شعاراً براقاً، والتذكير بالأمجاد دونما عمل على تقديم الطروحات الحياتية.

ب ــ بتحييد الاصلاحات الجانبية والغض عن الكثير منها خوفاً من الانفلات.

ج ــ باتباع أسلوب المساومة السياسية مع الحكام المرتبطين، مهما بلغ بهم الارتباط، والاكتفاء منهم ببعض الظواهر الكاذبة.

هذا، ومن الطبيعي أن يتجه الحكام ــ بعد وضوح عدم صحة الهجوم السافر ضد الاسلام ــ لاستغلال الاتجاه الثاني غطاء لما يريدونه هم في الحقيقة من أهداف ماكرة، و ينضوي في هذا الخط معظم ما يمكن تسميته اليوم بالاعلام الاسلامي الرسمي، الذي يمجد هذا الملك أو ذاك الرئيس، و يصنع منه بطل الاسلام المأمول، وهو يدرك في قرارة نفسه أكثر من غيره أنه لا يعدل أن يكون وجوداً تافهاً، مُسيّراً من قبل العدو نفسه.

ولهذا نجد جماهيرنا المسلمة تمجّ هذا الاسلوب، وترفض التعامل معه كاعلام اسلامي، مما أفقده تأثيره، لا على صعيد المواجهة فحسب، بل وحتى على صعيد التأثير الجزئي، فلم يعد يحقق حتى ما يقصده العملاء ــ من خلال تسخيره ــ من تخدير وتغطية، وأمامنا تجارب حديثة جداً، حاول فيها أمثال هؤلاء التمويه وتشويه الإرادة الاسلامية من خلال اعلام واسع الأبعاد وعلى الصعيد العالمي، فكذبتها الجماهير المسلمة وأسقطتها من على عروشها العاجية.

الاعلام القرآني جوهر النهوض:

واذا أردنا أن ننهض في مجال الاعلام المواجه والمربي في آن واحد، لم يكن لنا من سبيل إلاّ سبيل القرآن والدعوة القرآنية، اننا مسلمون قبل كل شيء، لنا تصوراتنا و نماذجنا الخاصة بنا، والمستقاة من خالق الكون العليم بما يصلحه، والقرآن هو نموذجنا الأسمى في شتى المجالات، فهو: (الكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع) وهو: (ناطق لا يعيا لسانه، وبيت لا تهدم أركانه، وعز لا تهزم أعوانه) وهو: (كتاب الله: تبصرون به وتنطقون به، وتسمعون به)، فعلينا أن نعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي، فهو: (البحر الذي لا يدرك قعره)[1]

(١) نصوص متفرقة عن الامام علي (ع) ــ تلميذ القرآن وتلميذ الرسول المبعوث بالقرآن ــ في (نهج البلاغة).

انه كتاب التوعية، والتوعية في الاسلام تسبق أية خطوة أخرى.

الاسلام دين التوعية والتربية.. وهو بمقتضى واقعيته وفطريته يقرر لزوم القيام بتوعية أي انسان يراد له أن ينضم الى معسكره، وأي مجتمع يراد للاسلام أن ينفذ الى عمقه... انه يعرض جوهرته الثمينة، لأنه يعلم ان قيمتها ستنكشف بكل وضوح للجميع.. ولذا فهو يرفض أي تقليد في العقيدة، و يدعو للبحث والبرهنة: «قُلْ هاتوا بُرهانكم». وهو يرفض أي عملية إكراه عقائدي «لاإكراه في الدّين»، كما يريد من الأمة أن تكون من أولي الأيدي والأبصار، قوية في بصرها و بصيرتها...، وفي مجال التعامل مع الآخرين يأمر بالدعوة البيّنة الواضحة قبل كل شيء. يقول القرآن الكريم:

«أدعُ إلى سَبيلِ رَبّكَ بالحِكمَةِ والمَوْعِظةِ الحَسنةِ وجادِلْهُمْ بالّتي هِيَ أحسَنُ، إنّ ربّكَ هُوَ أعْلَمُ بمَنْ ضَلّ عَنْ سَبيله وهُوَ أعْلَمُ بالمُهْتَدينَ».

(النحل: ١٢٥)

«فَلِذلِكَ فادْعُ وَاسْتَقِمْ كما أُمِرتَ ولا تَتّبعْ أهواءَهُمْ...».

(الشورى: ١٥)

«وَمَنْ أحسَنُ قَوْلاً مِمّنْ دَعا إلى اللهِ وعَمِلَ صَالحاً وقالَ إنّني مِنَ المُسْلمينَ».

(فصلت: ٣٣)

«قُلْ هٰذه سَبيلي أدعو إلى اللهِ على بَصيرةٍ أنا ومَنِ اتّبعني وسُبحانَ اللهِ وما أنا مِنَ المُشْركينَ».

(يوسف: ١٠٨)

وفي هذا يقول شهيد الثورة الاسلامية الكبرى، آية الله السيد الصدر في كتابه (اقتصادنا):

«والأمر الآخر: أن يبدأ الدعاة الاسلاميون — قبل كل شيء — بالاعلان عن رسالتهم الاسلامية، وايضاح معالمها الرئيسية، معززة بالحجج والبراهين، حتى إذا تمّت للاسلام حجته، ولم يبق للآخرين مجال للنقاش المنطقي السليم، وظلوا بالرغم من ذلك مصرين على رفض النور...، عند ذلك لايوجد أمام الدعوة الاسلامية — بصفتها دعوة عالمية تتبنى المصالح الحقيقية للانسانية — إلاّ أن تشق طريقها بالقوى المادية، بالجهاد المسلح. (ص ٢٧٥ ج/١)

وقد جاء في كتاب (الكافي) للمرحوم الكليني عن الصادق(ع) قوله:

«قال أمير المؤمنين(ع): بعثني رسول الله(ص) الى اليمن، فقال: يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه الى الاسلام، وأيم الله لئن يهدي الله عزّوجلّ على يديك رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي». (وسائل الشيعة ج/١١ ص٣٠) انه اسلوب القرآن قبل كل شيء، الذي علّمه الله لموسى و هارون(ع):

«اذْهَبا إلى فِرعونَ إنّهُ طَغى ۞ فقُولا له قَوْلاً لَيّناً لَعَلّهُ يَتَذَكّرُ أو يَخْشى».

(طه: ٤٣—٤٤)

انها الدعوة — حتى عند مواجهة الطواغيت — عسى أن يهتدوا الى الحق.

وها نحن نجد الرسول العظيم يكرر عبارة: «أدعوك بدعاية الاسلام» في رسالته الى كسرى

أنوشيروان، وقيصر امبراطور الروم تطبيقاً لهذا التعليم الاسلامي السامي.

وهكذا راح الدعاة يبثون الدعوةالى الأقطار. وقد ذكرت أسماء بعض الدعاة الأوائل الذين أرسلوا لتحقيق واجب الدعوة الى الله، ومنهم:

عبدالله بن حذافة السهمي ــ مبعوث الرسول الى ايران.

حاطب بن أبي بلتعة ــ مبعوث الرسول الى مصر لدعوة المقوقس.

دحية الكلبي ــ مبعوث الرسول الى روما.

عمرو بن أمية ــ مبعوث الرسول الى الحبشة.

سليط بن عمرو ــ مبعوث الرسول الى اليمامة.

عمرو بن العاص ــ مبعوث الرسول الى عمان.

حرملة بن زيد ــ مع وفد معه الى مدينة (أيلة) الواقعة على ساحل البحر الأحمر.

المهاجر بن أبي امية ــ مبعوث الرسول الى ملوك حمير.

خالد بن الوليد ــ مبعوث الرسول الى همدان (مدينة قرب بحر عُمان).

علي بن أبي طالب (ع) ــ مبعوثه الثاني الى هذه المدينة.

حذيفة بن اليمان ــ مبعوث الاسلام الى الهند.

عبدالله بن عوسجة ــ مبعوث الرسول الى قبيلة حارثة بن قريظ.

جرير بن عبدالله البجلي ــ مبعوث الرسول الى قبائل ذي الكلاع الحميري.

وغيرهم ممن حمل مهمة الدعوة الى الشعوب.

واذا أردنا أن نجد التطبيقات السياسية لهذا الأصل في التعامل الدولي، أمكننا أن نلحظها في بعثات الايضاح المرسلة من هنا الى هناك ، وفي أساليب توضيح الحقيقة عبر الوسائل السماعية والبصرية، وفي مذكرات الايضاح الموجهة، والمذكرات التفسيرية المقدمة الى المؤتمرات الدولية.

وما تتميز به العلاقات الدولية الاسلامية: انها تنظر لعملية التوعية والايضاح ــ كرسالة الهية ومبدأ ضروري ــ يجب الالتزام به قبل القيام بأية خطوة عسكرية أو سياسية أو غيرها تجاه الدول الأخرى.

اما ما نجده من السياسة الماكرة القائمة ــ بالفعل ــ فهو اعتماد هذه السياسة التوضيحية ــ باعتبارها مناورة سياسية ــ فاذا لزم الأمر قلبت الحقائق، وتغييرت الموازين.

الهدف الرئيس والأهداف المرحلية للاعلام:

الهدف الرئيس ــ بكل اختصار ــ هو تمهيد الأرض لله تعالى، وايجاد المجتمع المؤمن العبد

المحقق لخلافة الله في الأرض، واذا وجد مثل هذا المجتمع، فانه سيكون الأمة الوسط التي تطمح الأمم للوصول الى مستواها، والأمة الشاهدة على البشرية جمعاء، باعتبار مالها من علو حضاري، نفسي ومادي وحينئذ سيكون الدين كله لله، و يتحقق هدف الخلقة الانسانية «وما خلقتُ الجنّ والإنسَ إلاّ ليَعبُدون» (الذاريات: ٥٦).

ويجب أن تصب كل التشريعات والسلوكات والأقوال والأفعال وتتسمّر كل الأحداق بهذا الهدف الكبير، وتسترخص الغوالي لتحقيقه، انه عظيم ترخص في قباله دماء الأنبياء والطاهرين، وجهود الصالحين عبر التاريخ.

إلا أن هناك أهدافاً مرحلية (تنتهي الى ذلك الهدف الكبير) يعمل الاعلام القرآني على الوصول اليها بشتى الوسائل الممكنة فما هي؟

نستطيع أن نذكر أهم هذه الأهداف المرحلية في النقاط التالية:

الأولى: ترشيد انسانية الانسان: ذلك ان للانسانية خصائص ومعالم إذا رشدت ونميت ضمنت للانسان مسيرة متوازنة، اما إذا تلاشت من على سطح الوجود الانساني، فحينئذ يكون الفسق عن السبيل القويم، وحينئذ تكون المسيرة المكبة على وجهها، وعندئذ يتوقع الاجرام كله، وهذه المعالم باختصار هي: (التعقل السليم، والارادة الحرة، والخلقية الفطرية، والدوافع المنضبطة)، واذا لم نكن هنا بصدد عرض البرنامج الاسلامي، الواسع الأبعاد، لترشيد هذه الجوانب فان من الطبيعي الاشارة الى بعض مكوناته حينما نتحدث عن الأساليب الاعلامية.

الثانية: التوعية بالاسلام عقيدة و مفاهيم وتشريعاً، باعتباره السبيل الوحيد للوصول الى ذلك الهدف الكبير، وكلما تعمق وعي الأفراد لهذه الرسالة، وطروحاتها وخططها وحلولها للمشاكل الانسانية، واتضحت معالم الفرق بينها و بين المبادئ الوضعية و بانت خصائصها الرئيسة، استطاع المجتمع المسلم أن يخطو على طريق الهدف الكبير خطى أسرع، وأثبت في نفس الوقت.

الثالثة: التوعية بكل مايحيط بالأمة من أحداث وظواهر ومؤامرات وتفاعلات لها كلها أثرها على تعيين المواقف المبدئية والمتحركة.

الرابعة: ايجاد الأرضية الصالحة لتطبيق الاسلام، في كل الأرض الاسلامية، و بالتالي في شتى أنحاء العالم، و يشمل هذا الجانب أموراً نتحدث عنها في الأساليب التفصيلية.

الخامسة: تحقيق معالم الفرد المسلم والأمة المسلمة.

العدة المطلوبة والأسلوب الأمثل:

اما العدة المطلوبة للاعلام الاسلامي العامل على النهوض والمقاومة فيمكن تلخيصها في مايلي:

الأول: القدرة العلمية والثقافية الى الحد المستوعب لكل جوانب الاسلام وأهدافه العامة. فليس من المعقول أن يطلب من الاعلام تحقيق الأهداف السالفة دون أن يكون مزوداً بمثل هذه القدرة، ويمكننا أن نرد الكثير من نقاط الضعف الاعلامية الى افتقادها، وتواجد السطحية في الفهم.

الثاني: الاستيعاب اللازم للفهم الاجتماعي العام، ومعرفة التحرك العالمي السياسي والاجتماعي وأساليبه، ومحاوره، وتوفر الخبراء الهادفين والمحققين بكل جدارة.

الثالث: معرفة أساليب العرض، أو ما يمكن أن نطلق عليه بفن الاعلام المناسب، وهو بالضبط ما كان قدماؤنا يطلقون عليه اسم: (معرفة حال المخاطب)، فيجب أن نعرف من نخاطب، وكيف نخاطب، وانى يتم ذلك؟ وهذا هو مضمون التحلي بالحكمة في مجال الدعوة الى الله.

الرابع: الايمان العميق الواعي بالاسلام وأهدافه الكبرى، وتأصل ذلك في نفوس الاعلاميين الى الحد الذي يحملهم على التضحية بكل غال ورخيص في سبيل الهدف السامي.

الخامس: التخلص من كل تبعية، أو ضيق أفق، أو مصلحة شخصية، والتجرد من كل ذلك لصالح الحقيقة.

والواقع اننا نعتقد انه تكمن في هذه النقطة أحد أهم شروط النهضة الاعلامية، وان اعلامنا الاسلامي اليوم مبتلى في الكثير الكثير من مقولاته بالتبعية للحكومات المتسلطة على شعوبها بالحديد والنار، فهو لايعدو أن يكون دمية تتحرك بإرادة الحاكم القزم، و باتجاه تحقيق مصالحه.

والاّ فبماذا نسمي اعلاماً ينتسب للاسلام وهو يسكت عن كل انماط الخيانة الأخلاقية، أو الخيانة الاقتصادية، أو الانحراف السياسي والعمالة المفضوحة، أو الاستسلام للعدو الصهيوني الغاشم، أو يردد نفس تهم الاستكبار العالمي ضد أبطال المقاومة الاسلامية، أو يدعو للتستر على الجرائم، وربما يبلغ من النذالة الى الحد الذي يعلن فيه ان فكرة الحكم الاسلامي فكرة لا اسلامية. لا لشيء، إلاّ ليرضي الحكم المسلط على رقاب الشعب، والا ليبارك قبضة الجلاد التي تشدد الحبل على رقبة الجيل المسلم المؤمن. أو قد يبلغ به الأمر الى مهاجمة الأنبياء كداوود وسليمان (عليهم السلام) لأغراض قومية وما الى ذلك. أو ربما اتجهوا الى التأكيد الى اللغات غير العربية مع هجر العربية نفسها أو العامية العربية تمهيداً للمآرب الاستعمارية.

السادس: ملاحظة الأرضية الايمانية المتوفرة في أوساط الأمة الاسلامية، فانها خير مساعد وعدة على انطلاق الاعلامي في مسيره المناسب، وتتجلى لنا أهمية هذا العنصر حينما ندرك أنه يشكل سداً للمقاومة الرئيسي أمام الهجوم الاعلامي الغربي حيث تخلى عن الساحة حتى رموزه الفكريون والسياسيون.

السابع: التمتع بالخصائص القرآنية الاعلامية: وهذه الخصائص واسعة الأبعاد قد لا يمكن الإحاطة بها إلا لدراسة تحقيقية عميقة، ومن هنا فانا نكتفي بالاشارة لبعض منها بما يتناسب وحجم

هذا الحديث، وما نذكره منها يتلخص فيما يلي:

أولاً: استحضار النظرة الغيبية الى جانب الحسابات المادية وذلك في كل تحليل أو توقع مستقبلي والابتعاد عن النظرة المادية الحسابية الجافة فان التصورات القرآنية المعطاة تؤكد ان المسيرة المنسجمة مع العدل تنسجم معها القوى الطبيعية القائمة في خلقتها على نفس الأساس، في حين لايتوفر الانسجام المطلوب مع الإنحراف، وهو مايلخصه المقطعان القرآنيان الكريمان:

«فأكثروا فيها الفساد * فصبّ عليهم ربك سوط عذاب.»

(الفجر: ١٢ـــ١٣)

«استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً».

(نوح: ١٠ـــ١٢)

وكذلك كل النظرات الاسلامية في التاريخ والحياة والانسان، ومن ذلك ماقلناه من الترابط بين أجزاء التركيبة الانسانية.

ثانياً ـــ الموضوعية: والاتصاف بروح التبعية للحقيقة ـــ أياً كانت ـــ وحتى لو خالفت مصلحة شخصية، أو استدعت التضحية الغالية. و يبالغ القرآن في تحقيق الروح الموضوعية، وعدم النظر الى الواقع الموضوعي من خلال رؤية مسبقة الى الحد الذي يدعو فيه الخصم الى افتراض نقطة الصفر في الحوار، وعدم الايمان بشيء والانطلاق منها الى الحقيقة الموضوعية فيقول مخاطباً الكفار:

«... وإنا وإياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين» (سبأ: ٢٤).

ثالثاً ـــ الهدفية في كل خطوة: ذلك ان الهدفية لا تتنافى مطلقاً مع الموضوعية في التصور الاسلامي، لأن المؤمن مطمئن تمام الاطمئنان ان الحقيقة الموضوعية ـــ مهما كانت ـــ تشكل آية من آيات الله تعالى وهدىً اليه تعالى.

واذا انعكست الهدفية على حياة الداعية العامل، صرف النظر عن كل أنماط اللهو السخيف، والتضييع الوقتي فيما لاطائل تحته، و بالتالي لاتجد في نماذجنا الاعلامية مايهدر هذا الوقت الثمين.

ان الهدفية القرآنية نلحظها في كل قصة، وفي كل مثل، وفي كل عبارة، ففي كل موضوع عبرة، ومع كل حديث اعتبار، وكل شيء يعبر عن مادة للدراسة وخدمة الهدف من خلالها.

«لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب...».

(يوسف: ١١١)

و يكفي أن نتابع أية قصة قرآنية لنكتشف الهدفية التي تتجلى أروع تجلٍ.

رابعاً: التنسيق والانسجام بين كل الخطوات والجوانب وذلك انعكاساً للتنسيق القرآني فانّنا

الصورة المتشعبة تسودها روح واحدة، وهذه الخصيصة نتيجة طبيعية للخصائص السابقة وخصوصاً الهدفية بعد افتراض وحدة الهدف وشموله لكل جوانب التصور وأي اختلال لها يعني الانقلاب على الهدف «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مالا تَفْعَلُونَ» (الصف: ٣) في حين تتضاعف السرعة الى الهدف عند التناسق «... إليه يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...» (فاطر: ١٠)

واذا لاحظنا ضرورة هذه الخصيصة للتأثير المطلوب ادركنا سرضياع الكثيرمن الأفكار الصحيحة المطروحة في اعلامنا اليوم بعد ان كانت تكذبها الأعمال والأطر المنافقة والمساومة، والأقوال الأخرى من صاحب الفكرة نفسه.

خامساً: الواقعية والتفاعل المستمر مع الأحداث الاجتماعية، وعدم الفرق في تصورات طوبائية، فان من خصائص القرآن الكريم انه رغم كونه دستوراً عاما لكل المسيرة البشرية، كان ينسجم مع مايبدو من ظواهر، و يعالجها على ضوء تلك التصورات العامة الأصيلة؛ «قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إِلَى ٱللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما...» (المجادلة: ١).

«وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللهُ إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ ٱللهُ أَنْ يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ يَقْطَعَ دابِرَ ٱلْكافِرِينَ».

(الأنفال: ٧)

و ينبغي هنا أن نذكر بأننا نقصد بالواقعية هنا: ملاحظة الواقع والعمل على تطويره الى المفروض، لامايبدو أحياناً من تفسيرات تتجه بالواقعية الى عملية الإذعان للواقع، والتلون وفق متطلباته إذعاناً واستسلاماً له.

والواقعية تتطلب أن تطرح الأساليب البديلة الصحيحة عند العمل لإصلاح ظاهرة منحرفة، وذلك نظير مانلحظه في الآية الكريمة على لسان لوط (ع):

«...هؤلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ...».

(هود: ٧٨)

وما نجده في تعبير الامام علي ـعليه السلامـ حين يعمل على محو التعصب القبلي المقيت، بطرح التعصب لمكارم الخلال حين يقول:

«وأَمَّا ٱلأَغْنِياءُ مِنْ مُتْرَفَةِ ٱلأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لآثارِ مَوَاقِعِ ٱلنِّعَمِ فَقَالُوا: «نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ» فَإِنْ كَانَ لاَبُدَّ مِنَ ٱلْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ ٱلْخِصَالِ، وَمَحَامِدِ ٱلأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ ٱلأُمُورِ ٱلَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا ٱلْمُجَدَاءُ والنُّجَداءُ مِنْ بُيُوتَاتِ ٱلْعَرَبِ، وَ يَعَاسِيبِ ٱلْقَبَائِلِ...» (نهج البلاغة: ص٢٩٥).

سادساً: المنطقية في العرض والابتعاد عن السطحية، ان القرآن يربي المسلم على التأمل والبرهنة والتعقل واستقراء الأدلة القوية ومن ثم اصدار الحكم «قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ»

(البقرة: ١١١)، اما الاتهامات الواهية، أو حتى التوقعات التي لا تمتلك دليلاً من الواقع، وطرح الآراء ونسبتها الى الاسلام فهو الانحراف الكبير «... قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى آللهِ تَفْتَرُونَ» (يونس: ٥٩)، و من هنا يتخلص الاعلام الاسلامي من ركام المقالات والتحليلات الواهية، التي تترك أثرها السلبي على الأفكار، وتلقي بتبعاتها على كواهل هؤلاء الكتاب والمحللين، ولا استطيع هنا تحديد المساحة التي يجب ان تحذف من الاعلام المتداول في مناطقنا الاسلامية ـــ حين تطبيق هذا الشرط ـــ الا أنني متأكد من لزوم حذف المساحة الكبيرة مما ينشر بلاريب.

سابعاً: التفاعل الوجداني الحراري العاطفي مع الهدف وحمل هم الرسالة للعمل على زرع الحماس الاسلامي للقضية الاسلامية من خلال ذلك.

ان كلام الداعية يجب ان يكشف للسامعين عن تألمه لقضيته وحماسه لأهدافه، وخشوعه امام ربه وكلماته العليا، وتفاعله معها، وهو أمر يربي به القرآن في نفوس اتباعه.

«... كِتاباً مُتشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلودُ آلَّذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلينُ جُلودُهُمْ وقُلوبُهُمْ إلى ذِكْرِ الله ...».

(الزمر: ٢٣)

«أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذينَ آمنوا أنْ تَخْشَعَ قُلوبُهُمْ لِذِكْرِ الله وما نَزَلَ مِنَ آلحَقِّ ولا يَكُونوا كالَّذينَ أُوتوا آلكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلوبُهُمْ وكَثيرٌ مِنْهُمْ فاسِقونَ».

(الحديد: ١٦)

ثامناً: الأخلاقية الاعلامية ـــ ونعني بها الالتزام الكامل بالأخلاق الاسلامية في المجال الاعلامي؛ فلا يلقى القول على عواهنه، ولا تشاع الفاحشة، ولا يتهم المؤمن، ولا يرد على القضاء، ولا تنمى روح التحاسد والتباغض والتحاقد، ولا تستخدم الألفاظ التي تمجها الأخلاقية الاسلامية. وانما يعمل الاعلام الاسلامي على توفير البيئة الصالحة التي تتفتح فيها الفطرة عن طاقاتها المبدعة، و بالتالي: تسير بالانسان نحو أهدافه الأصيلة.

يقول القرآن الكريم واصفاً المؤمنين بقوله: «وعِبادُ آلرَّحمٰنِ آلَّذينَ يَمشونَ على الأرضِ هَوْناً وإذا خاطَبَهُمُ آلجاهِلونَ قالوا سَلاماً * وآلَّذينَ يَبيتونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وقِياماً * وآلَّذينَ يَقولونَ رَبَّنا آصْرِفْ عنّا عَذابَ جَهَنَّمَ إنَّ عَذابَها كانَ غَراماً * إنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرّاً ومُقاماً * وآلَّذينَ إذا أنفَقوا لَمْ يُسْرِفوا ولَمْ يَقْتُروا وكانَ بَيْنَ ذلكَ قَواماً * وآلَّذينَ لايَدعونَ مَعَ آللهِ إلهاً آخَرَ ولايَقتُلونَ آلنَّفسَ آلتي حَرَّمَ آللهُ إلاّ بالحَقِّ ولايَزْنونَ ومن يَفعلْ ذلكَ يَلْقَ أثاماً * يُضاعَفْ له آلعَذابُ يومَ آلقِيامةِ ويَخْلُدْ فيه مُهاناً * إلاّ مَنْ تابَ وآمنَ وعَمِلَ عَمَلاً صالحاً فأولئكَ يُبَدِّلُ آللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وكانَ آللهُ غَفوراً رَحيماً * ومَنْ تابَ وعَمِلَ صالحاً فإنَّهُ يَتوبُ إلى آللهِ مَتاباً * وآلَّذينَ لايَشْهَدونَ آلزّورَ وإذا مَرّوا باللَّغْوِ مَرّوا كِراماً * وآلَّذينَ إذا ذُكِّروا بآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرّوا عَلَيها صُمّاً وعُمْياناً * وآلَّذينَ يَقولونَ رَبَّنا هَبْ لنا مِنْ أزواجِنا وذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وآجعلنا للمُتَّقينَ إماماً».

(الفرقان: ٦٣ ـــ ٧٤).

تاسعاً: التنويع للأساليب الاعلامية: بوحي من الواقع بمقتضى تطبيق مبدأ الحكمة والموعظة الحسنة

والحديث عن تنوع الأساليب القرآنية بالذات حديث واسع، فالقرآن بأساليبه الرائعة استطاع أن يصوغ أمة هي في طليعة البشر من شراذم متخلفة، كانت تسترخلف المسيرة البشرية...، ويكفي هنا أن نشير ــ مثلاً ــ الى روعة الاستفادة من أسلوب الجمل المعترضة أو العبارات المعترضة في الحديث لتحقيق الهدف المطلوب، وتبدو لنا هذه الروعة إذا تأملنا كلمة «سبحانه» في الآية القرآنية الشريفة «ويجعلونَ لله البَناتِ ــ سُبحانَهُ ــ ولهُمْ مايَشتهونَ» (النحل: ٥٧) والحديث هنا كما قلنا واسع الأبعاد.

عاشراً: العالمية في الاهتمام: وذلك انطلاقاً من عالمية الاسلام نفسه، وسعيه لحل مشكلات الانسانية جمعاء، ومن هنا فان أي دراسة أو اهتمام عملي يجب أن يتم في هذا الأطار العالمي، العام، وعلى هذا الضوء يجب أن يهتم الاعلام الاسلامي بقضايا المظلومين والمحرومين والمستضعفين، و يتفاعل معها بكل حرارة، في حين يقف أمام كل حركة استكبارية يقوم بها الطغاة المجرمون.

حادي عشر: رصد التحركات التآمرية للشياطين على وجود الأمة الاسلامية، والعمل على توعية الأمة بها بشكل دائم، انها اذن المرابطة الدائمة في هذا المجال، والمرابطة: عمل جهادي يندب القرآن الأمة اليه، وانه الحذر الدائم «...إنّهُ يَراكُمْ هُوَ وقَبيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاتَرونَهُمْ...» (الأعراف: ٢٧) وهي مهمة جسيمة يجب ان ينهض بها الاعلام الاسلامي.

ثاني عشر: التأكيد على النقاط المشتركة الجامعة، ومن ثم الاتجاه لحل الخلافات في النقاط المختلف عليها، وهذا أحد أساليب الحكمة في الدعوة.

«قُلْ يا أهلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمةٍ سَواءٍ بَيْننا وبَيْنَكُمْ ألاّ نَعْبُدَ إلاّ اللهَ ولانُشْرِكَ بهِ شيئاً ولايَتّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أرباباً مِنْ دونِ اللهِ، فإنْ تَوَلّوْا فَقولوا اشْهَدوا بأنّا مُسْلِمونَ».

(آل عمران: ٦٤)

وأخيراً، فان ما أشرنا اليه من خصائص لايستوعب حتى الجزء الأكبر من الخصائص الاعلامية للمعجزة الاسلامية الاعلامية (القرآن الكريم) وانما ذكرنا مايفتح الأبواب أمام دراسة موسعة في هذا المجال.

ولئن كان حديثنا سريعاً كالمعتاد في مثل هذه المؤتمرات فانه وضع الكثير من النقاط على الحروف ــ في مجال الاعلام الاسلامي ــ على أمل ان يساهم في دفعه نحو موضعه الطبيعي الذي أهله الاسلام له.

والله نسأل أن يوفقنا للقيام بواجبنا في مجال حمل الاسلام الى الأرض كلها ومواكبة الصحوة الاسلامية الكبرى التي أعقبت نجاح الثورة الاسلامية في ايران بقيادة الامام الخميني، فأشعلت الأمل في كل القلوب، وشدت الخطى نحو تحقيق الأمل الكبير. والله الموفق●

المفهوم الاصيل للزهد

حسب وائل

لم يكن اختيار مفهوم «الزهد»، بقدر تطابع ترفي في مقالنا هذا، ولم نستوح العرض والبيان إنطلاقاً من الفهم المثالي للمفهوم.. بل إدراكاً للبعد التربوي الأصيل لهذه المفردة السلوكية التي حضتها الرسالة بالبيان والتوضيح.

فإن مفهوم الزهد ـ وبعيداً عن الإنطباع العرفي ـ مرتبط إرتباطاً جوهرياً بالمفاهيم الأخلاقية والتربوية التي تحث عليها الرسالة، بمعنى أنه مفردة ضمن الصرح الأخلاقي المتميز للشخصية الرسالية التي تريدها السماء بكل مزاياها.. ولم يكن ـ المفهوم ـ ترفياً إنطلاقاً من ظنون المتصوفة في اعتزال الحياة والإعراض عنها، كما لم يأت تعويضاً عن الحرمان والفاقة التي يعاني منها بعض أفراد الانسانية في معتركهم الحياتي، وملجأ يهرعون اليه حال فشلهم في الرفاه، والمكانة اللائقة ضمن (هيكلية) المجتمع،..

وبعبارة أخرى: إن المفهوم في موقعه الذي تمثّل الأصالة من حيث إرتباطه بعمق التشريع التربوي الإسلامي للشخصية الانسانية، وبه يتجاوز البعد المادي إلى الآخر والخصائص المعنوية المرتبطة حين بروزه للواقع العملي.

ولعل العديد من القيم والمبادئ الأساسية التي تحث عليها الرسالة، مرهونة ومرتبطة بشكل وآخر بعملية الزهد في الحياة الدنيا، وهذا ما يفسّر الحث الكبير لدى أفراده القادة المصلحون في تمكين هذه المفردة في الواقع العملي لحياة الأمة بشكل عام.

«ما عبدوا الله بشيء مثل الزهد في الدنيا»[1]

«طوبى لمن تواضع لله عزّ ذكره، وزهد فيما أُحلّ له من غير رغبة عن سنتي، ورفض زهرة الدنيا من غير تحوّلٍ عن سُنّتي»[2]

«ما اتّخذ الله نبياً إلّا زاهداً»[3]

«الزهد شيمة المتّقين، وسجيّة الأوّابين»[4].

«الزهد ثمرة الدين»[٥]،

«الزهد أساس الدين»[٦].

إننا نؤمن بأن من خلال هذه المفردة التربوية، ستحصل المرء ملكة استثنائية في مسيرته نحو الكمال، وتأدية الحق الشرعي، بل التسامي لمرتبة التشبه بأخلاق الله سبحانه، وهذا ما سيتوضح خلال الوقوف لدى محطات هذا المفهوم لاستجواب مداليله.

والذي نريد التأكيد عليه ــ هنا ــ إنّا سوف نقتصر على محاكاة البعد المعنوي لهذه المفردة في صياغتها للشخصية الانسانية، ولانبالغ في تناول الأثر المادي،.. لعلمنا بأن الثقل المعنوي للمفهوم أحرى في السيان أولاً، ولشيوع الأثر المادي ــ ولو بشكل عرفي ــ ثانياً، مما يحتم محاكاة المفهوم معنوياً، واستنباط القيم التربوية منه.

وفي هذه العجالة سنحاول السير معاً لمعرفة ما تذهب اليه الرسالة من الحكم وراء تشريع هذه المفردة، وحث الانسانية للعمل بها، وصولاً للبناء الهادف للفرد والمجتمع.

وقبل الشروع في المداليل العملية للمفهوم، هناك حقيقتان أساسيتان، تتحاذيان المفهوم وأثره الخارجي، وهما:

أولاً: إن النظرية التربوية الاسلامية تعتبر وحدة متكاملة، لايمكن الفصل بين مفرداتها التربوية على صعيد بناء الشخصية إجمالاً. وأية محاولة للفصل بين جوانب النظرية ــ فكراً وتطبيقاً ــ سوف تخل بعملية البناء كافة، باعتبار ان كل مفردة تربوية وأخلاقية تعتبر مكملة للأخرى في عملية التغيير المنشودة، ولأن ذات هذه المفردات متداخلة في نفسها وأثرها الخارجي [illegible] في [illegible] والمضمون، [illegible] [illegible] على [illegible]

الأفراد والحياة.

من هنا نقول: إن مفردة الزهد أساساً تدخل ضمن مجمل التشريع التربوي للشخصية، إلاّ أنها لا تؤتي أكلها دون مفردات النظرية التربوية الأخرى، بل لايمكن الاستفادة منها ــ بشكل موضوعي ــ إلاّ وفق عملية التناغم الكاملة لجميع المفردات الأخلاقية التي شرّعتها الرسالة.

ثانياً: إن الرسالة تهدف أساساً من خلال تشريع هذه المفردة، الى البناء الذاتي للانسان قبل البناء الخارجي (الاجتماعي)، لادراكها ان النظام الخارجي متوقف على أخلاقية الأفراد، ومدى تجسيدهم له خلال الواقع العملي. ومن هنا كان لزاماً ــ إذا ما أُريد للنظام الخارجي أن يمتلك نسبة متقدمة من الموضوعية في التطبيق ــ الإهتمام ببناء الفرد وتغييره قبل مرحلة البناء الاجتماعي، فالتغيير الاجتماعي متوقف على صلاح الأفراد، وهو تعبير عن قناعتهم بالتبع.

لذا فان مفردة الزهد، تأتي ــ أساساً ــ لبناء الفرد ذاتياً، وإعداده إعداداً هادفاً واعياً، لينطلق بعدها في ترجمتها اجتماعياً.

ولانقصد ان منتهى بعدها شخصي بحت، وإنما نقول بأن حملها الأول هو الفرد ثم المجتمع وهذا حال معظم المفردات السلوكية والأخلاقية للرسالة.

مداليل مفردة الزهد

سنحاول ــ قدر الامكان ــ أثناء [illegible] والتفاعل مع مفردة الزهد، الإبتعاد عن [illegible] الكلاسيكية، ونتصل مباشرة بأبعاد هذه [illegible] ومدى عطائها للفرد والمجتمع.

لذا فان المداليل [illegible] [illegible]

[illegible]

البحث في المقال، ولاننوي رسم المسالك المؤدية لهذا اللون من السير والسلوك، وكيفية توطين النفس لمظفر به،.. فهذا شأن الدراسات التي تبحث عن ترويض النفس وتربيتها، وهو أمر خارج عن موضوعنا.

كما لاننكر أن أحد الأبعاد المرادة من الزهد، البعد المادي، بمعنى الإكتفاء بالحد المعتدل من مظاهر الدنيا وزخارفها، والقصد في تلبية حاجات البدن وغرائزه فهذا ما ذهبت اليه جملة من المأثورات:

«يا أحمد، إنْ أحببت أن تكون أورع الناس، فازهد في الدنيا، وارغب في الآخرة.

فقال: يا إلهي كيف أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة؟

قال: خذ من الدنيا حقاً من الطعام والشراب واللباس ..» [٧]

قال يهودي للإمام علي (ع): **فإنَّ عيسى يزعمون انه كان زاهداً. فقال له علي (ع)؛ *لقد كان كذلك*، ومحمد (ص) أزهد الأنبياء (ع). ما رفعت له مائدة قط وعليها طعام، وما أكل خبز بُرّ قط، ولاشبع من خبز شعير ثلاث ليال متواليات قط، توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بأربعة دراهم، ماترك صفراء ولابيضاء مع ما وطىء له من البلاد ومُكّن له من العباد، ولقد كان يقسم في اليوم الواحد الثلاثمائة ألف وأربعمائة ألف، ويأتيه السائل بالعشي فيقول: «والذي بعث محمداً بالحق، ما أمسى في آل محمد صاع من شعير، ولا صاع من بُرّ، ولا درهم ولادينار»** [٨].

«.. يا بني فإنْ تزهد فيما زهدتك فيه، وتعرف بنفسك عنها فهي أهل لذلك.وإنْ كنت غيرقابل نصيحتي إياك فيها، فاعلم إنك لن تبلغ أملك، ولا تعدو أجلك، فإنك في سبيل من كان قبلك، فخفّض في الطلب، وأجمل في المكتسب» [٩].

ولكننا نقول بأن من أهم أبعادها الدلائل المعنوية المرادة من عملية التشريع، وهذا ما سنحاول عرضه من خلال الاستفادة من مجموعة الأحاديث الشريفة والأقوال الواردة عن المصلحين العظام.

المدلول الأول:

إنَّ الزهد يعني، حالات التحرر من أسر المادة وقيد التراب خلال التفاعل مع الحياة والقيم والمبادئ، أي أن يمتلك الانسان ذاته في عملية الصراع من أجل تثبيت الموقف الأمثل، ولايكون لسلطان النفس أدنى تأثير في تجسيد الموقف.

بعبارة أخرى: أن يمتلك الانسان إرادة الرفض قبال إغراءات الدنيا، ويعيش حالة الحرية من عبوديتها... عن طريق الإعراض والزهد في هذه الخمسة من المظاهر والمسميات والزخارف، والتي تشكل بمجموعها الدنيا...

إنَّ عملية الزهد هنا، تعني سيادة الذات الانسانية في التجاذب مع الحقائق والموجودات، وأصالة لقوى العقل والارادة في التفاعل مع الحياة... والزاهد هنا يرفض عبودية الدنيا، ويؤصل شخصيته قبال المغريات ونداءات المادة، فهو يأبى معولات التراب والتي تشده لمقاعد شهوانية، لتصادر إشراقة الحياة الحرة لديه.

فبإحكام العلاقة مع الدنيا، عن طريق إحكام الرابطة مع مظاهرها وأسبابها، سيجر الانسان الى الأرض ومفاهيمها، وينهي علاقته بالسماء.

لذلك؛ فهو يزهد في الدنيا ومظاهرها وأحوالها، ليعيش حالة الحرية، فلا سلطان لشهوة أو مقعد ترابي على ذاته،.. بل سيدأتنتصر لديه نفحة الرب على قبضة التراب.

«قد حقّر الدنيا وصغّرها، وأهون بها وهوّنها، وعلم ان الله سبحانه وتعالى قد زواها عنه آختياراً، وبسطها لغيره

ـأ، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها عن نفسه،
ـه أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشاً، أو
ـيها مقاماً»[10].

«الزاهدُ في الدنيا كلّما ازدادت له تجلياً ازداد عنها
[11]

ـاعتبار إدراكه ان توثيق سبل الوصل مع الدنيا،
ـب يمضي على الجذوة الحية في أعماقه، وشوقه
ـه للاتصال بالله سبحانه.

«إنّ العقلاء زهدوا في الدنيا، ورغبوا في الآخرة، لأنهم
ـ أن الدنيا طالبة ومطلوبة، وان الآخرة طالبة ومطلوبة،
طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي فيها رزقه، ومن
ـب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه الدنيا
ـخرة»[12].

ان الزهاد هنا، قد وعوا حقيقة الدنيا، وكيف
دار مجاز لدار قرار فزهدوا في ممرهم وصولاً
ـهم:

«وأحذّركُمُ الدُّنيا فإنَّها مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، وَلَيْسَتْ
ـرِ نُجْعَةٍ، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِها، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا،
ـها هانت على ربها، فخلط حلالها بحرامها،
ـيرها بشرها، وحياتها بموتها. وَحُلْوَهَا بِمُرِّها. لَمْ
ـصفِهَا الله لأوليائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا على أَعْدَائِهِ.
ـرُهَا زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ. وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا
ـسلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ. فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ
ـضَ البِنَاءِ، وَعُمُرٍ يَفْنى فيها فَنَاءَ الزَّادِ، وَمُدَّةٍ
ـقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ! اجْعَلُوا ما افْتَرَضَ الله
ـلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ، وَاسْأَلُوهُ مِنْ أداءِ حَقِّهِ ما
ـألَكُمْ»[13]

وقد تسامى بهم علمهم بأحوال الدنيا، وزهدهم
ـظاهرها ومتعها، لمنازل الأبرار والصلحاء، ليحيوا
ـحياة الحرية، وليملكوا زمام النفس، ويتحكموا
ـواقعهم، فلا تعود بغير العقل الهادف.

«أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها»[14]

ولعل هذا المدلول من أهم ثمار تشريع هذه المفردة التربوية، ومحاولة تمكينها من النفس، واتخاذها معلَماً سلوكياً ثابتاً، في نفسها وأثرها الخارجي، أعظم نتيجة وأثراً من الزهد (المادي) البحت. فالمطلوب هنا رياضة نفسية شاقة للوقوف أمام إغراءات الدنيا وأمانيها، مما يستدعي استنفار قوى الروح والإرادة وتهذيب السير والسلوك ضمن الاطار الهادف، وهو بعد مكابدة صريحة ومريرة مع الدنيا بالشكل الذي يخضعها لإرادته المستقاة من تعاليم الحق.

المدلول الثاني:

إنّ الزهد يعني الادراك المتقدم للحق والحقيقة، والفهم الأمثل لله سبحانه.. فالزاهد يكون قد وعى عالم الغيب، فاستهان بعالم الشهود.. وامتلكه العرفان بالملكوت فزهد في الناسوت..

«إنّ عبادي الصالحين، زهدوا فيها بقدر علمهم بي، وسائرهم من خلقي رغبوا فيها بقدر جهلهم بي، وما من أحدٍ من خلقي عظّمها فقرت عينه»[15].

من هنا فان الزهد يأخذ بالانسان لإدراك الحقيقة، ومحاكاة المضمون، وهو أمر له جملة من الآثار السلوكية والتربوية، فبقدر علم الانسان بالله سبحانه وعرفانه به، وتوافق سلوكه مع الحق، يكون قد بلغ مرتبة أسمى من واقعه، فيغدو باتجاه التكامل.

إنّا ندرك بأن مجمل التشريع إنما جاء لربط الانسان والانسانية بالله سبحانه، والأخذ بالروح والادراك لمعرفة الحق، ومجانسة السير والسلوك مع إرادة المتعال جلّ شأنه، وكل ذلك لا يتأتى من

خلال إحكام الارتباط مع عالم الدنيا، والجهل المطبق بعالم الغيب.. إنما الارتفاع بشأن الروح يتم من خلال التفاعل مع الله سبحانه، عن طريق العلم والتوافق الارادة مع تعاليمه.

لذا؛ فإن العالم بالحق، والذي يترجم علمه كواقع قائم.. يعني ان الزهد قد امتلكه، وتجاوز به دائرة الناسوت الى اللاهوت.. فيكون مدركاً للحق بالحقيقة.

«إنَّ الزهاد في الدنيا نور الجلال عليهم، وأثر الخدمة بين عينيهم، وكيف لا يكونون كذلك، وإن الرجل لينقطع الى بعض ملوك الدنيا فيرى عليه أثره، فكيف بمن ينقطع الى الله تعالى لايرى أثره عليه؟»[16].

إنَّ الانقطاع الى الله سبحانه في الوقت الذي يعني رفض سلطان الدنيا، يدل ــ كذلك ــ على ادراك متقدم وعرفان جليل بالله سبحانه، ويترك بوضوح أثر الانقطاع عليه.. الانقطاع الذي يضمن مجانسة سلوكه مع تعاليم الحق، بالشكل الذي يأخذه بتأديه كامل الحق الرسالي المناط به.

«كانوا قوماً من أهل الدنيا وليسوا من أهلها، فكانوا فيها كمن ليس فيها، عملوا فيها بما يبصرون، وبادروا فيها ما يحذرون، تقلب أبدانهم بين ظهراني أهل الآخرة، يرون أهل الدنيا يعظمون موت أجسادهم، وهم أشد إعظاماً لموت قلوب أحيائهم»[17].

إذن؛ فالزاهد لمن يجهل الحق، أو لمن يباين سلوكه تعاليم المتعال، فلا شك في اختلاط المفاهيم لديه، بل وحتى الأثر الخارجي لتلك المفاهيم، بالشكل الذي يجهل فيه المسلك والغاية.

«كيف يزهد في الدنيا من لايعرف قدر الآخرة»[18].

لذا فإن الزهد يعني الادراك الحق لله سبحانه، والزاهد في طليعة أولئك العرفاء والسالكين نحو الكمال.

المدلول الثالث:

إنَّ الزهد يربي لدى الانسان جوانب الحكمة والبصيرة، فإنَّ الذي يحول دون إشراقات الحكمة وأنوار البصيرة، حجب المادة، وأستار التراب، وهي معدومة لمن زهد في الدنيا، باعتبار تحرره من أسرها وقيودها، وأزاح حجبها المتمثلة بهذه الجمة من الظواهر والمسميات.

«يا أباذر: ما زهد عبدٌ في الدنيا، إلاّ أنبتَ الله الحكمةَ في قلبه، وأنطلق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه الله منها سالماً الى دار السلام»[19].

«من يرغب في الدنيا فطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر رغبته في الدنيا، ومن زهد فيها فقصر أمله أعطاه الله علماً بغير تعلم، وهدىً بغير هداية، وأذهب عنه العماء وجعله بصيراً»[20].

«إزهد في الدنيا يبصرك الله عوارتها، ولا تغفل فلست بمغفول عنك»[21]

إن محاولة التحرر من الدنيا، والرفض لها ولمغرياتها، يأخذ بالانسان لمحاكاة الحقائق والموجودات ببصيرة أعظم، حيث انه ينطلق في تحاديه وتفاعله مع تلك الحقائق والموجودات من موقع مقترب للأصالة والتحرر، ومعلوم ان التعلق بالشيء يترك بصماته بوضوح على طبيعة العلاقة ومن ثم طبيعة الفهم والتقييم والتفاعل... وتوثيق الصلة بالدنيا، سيترك أثراً بيّناً في تقييم ذات الدنيا، الأمر الذي قد يحجب الموضوعية والحكمة والبصيرة في التقييم للحقائق والموجودات.

وبخلافها ــ أي بالزهد في الدنيا ــ عن طريق ادراك ماهيتها، وتوظيف الارادة مع الادراك بالشكل الذي يصادر سلطانه وقيمومتها على النفس والفعل.. تترقى لدى الانسان جوانب الحكمة والبصيرة، لأنه بدأ يلامس الماهية لا الاطار، وأخذ يحاكي الجوهر واللباب لا الظواهر والمسميات..

من هنا فإنه موضوعي في التقييم والاجراء الخارجي، وحكيم في تجسيد المواقف والأفعال.. ومع هذه المرتبة تتنزل ألطاف الله وأنواره على القلوب الزاهدة.. فيزداد النور نوراً، والبصيرة بصيرة،..

«خرج رسول الله (ص) ذات يوم فقال: هل منكم من يريد أن يؤتيه الله علماً بغير تعلم، وهدياً بغير هداية؟، هل منكم من يريد أن يذهب عنه العمى ويجعله بصيراً؟

ألا أنه من زهد في الدنيا وقصّر أمله فيها أعطاه الله علماً بغير تعلم، وهدياً بلا هداية» [٢٢].

«يا أباذر: إذا رأيتَ أخاكَ قد زهد في الدنيا فاستمع منه، فإنه يلقي الحكمة» [٢٣].

المدلول الرابع:

إنَّ الزهد يهذب طموحات النفس وأمانيها، إذا ما استقطبت هذه الطموحات حياة الانسان، وأخذت منه مأخذ الهدفية في السير والسلوك.

فعملية الترهد، تبصر الانسان تفاهة هذه الدنيا، وترفده بمعالم التقييم الحقيقي لماهيتها، فتجعله موضوعياً لايتجاوز بطموحاته دائرة الحق.

«مَنْ زهدَ في الدنيا أعتق نفسه وأرضى ربّه» [٢٤].

باعتبار ان الزهد يوفر الامكان للانسان في تحديد دائرة التحرك والممارسة ضمن طاعة الله سبحانه، وخدمة الأهداف والمبادئ بشكل متجرد ممتاز بالإخلاص.

بعبارة أخرى: ان الزهد يقصر الأمل لدى الانسان، حيث يجعله يتحرك ضمن الاطار الواقعي للحياة، في حالة إعراضه عن مقدمات الطموحات والآمال المتمثلة بهذه المجموعة من المتعلقات والأسباب الدنيوية، تكون نفس الطموحات والآمال ــ فيما إذا تجاوزت الحد الموضوعي والعقلائي ــ تافهة لديه لا تعدل أية قيمة حقيقية، حيث انه قد زهد في مقدماتها، ولم تكن لديه حالة الالتصاق والعشق لها، فكيف بالأمل والطموح المؤلف من مجموع هذه المقدمات؟

«الزهدُ يخلق الأبدان، ويجدد الآمال،.. ويباعد الأمنية،..» [٢٥].

«الزهد تقصير الآمال، وإخلاص الأعمال» [٢٦].

إنَّ مسألة تحديد الآمال، أساسية في المعترك الحياتي للفرد، فإنَّ التمنى في حقل الآمال على الصعيد الذهني، إما أن يجر الانسان ــ في الواقع التطبيقي ــ لتوظيف شتى السبل للوصول تلك الآمال، بغض النظر عن قداسة وشرعية السبل، وذلك لتمكنها من روحه وقلبه، واستقطابها لمشاعره وأحاسيسه،.. أو تحيله الى كائن غير واقعي يتحرك ضمن دائرة الافتراض والخيال بعيداً عن طبيعة الواقع الكائن، فيكون عامل سلب لايجود بغير الفعل الفاسد أو المشوّه، إنْ لم تتجمد لديه الحيوية والعطاء أصلاً.

من هنا: فان الزهد يأخذ بالانسان لمعايشة واقعية وأصيلة وهو يؤدي دوره في الوجود، لإبرازه من جهة الماهية الحقيقية للحياة، ولربطه الانسان بالحق المتعال من جهة أخرى،.. والذي يضمن له الموضوعية والهدفية أثناء التحرك والممارسة الحياتية، باعتبار ان الحق المتعال وتعاليمه كافة تتكفل الانسان للفعل الجاد والهادف والمقدس.

المدلول الخامس:

إنَّ الزهد يعني الاستعداد للقاء الله سبحانه وتعالى، والتهيؤ لليوم الآخر، فالإعراض عن الدنيا والزهد في أحوالها يتهيأ المرء لدخول عالم الطهر والنقاء بعد أنْ قطع سلطان الدنيا عن نفسه، وأحكمها بعالم الحب والفناء في ذات الله سبحانه، لا البقاء في الدنيا وأسبابها، فمثل هذا الفناء يفضي على إشراقة الروح المتقدة.

وبعبارة أخرى؛ ان احكام العلاقة مع الدنيا، شغل جميع حالات الانسان، ويمتلك سره وعلنه، مجال معها للتفرغ لاحكام العلاقة مع السماء،..

«كل قلب فيه شك أو شرك فهو ساقط، وانما أرادوا مد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة»[٢٧]

إنَّ عملية التفرغ لاحكام العلاقة مع الآخرة، تأتى من خلال الواقع العودي للدنيا، بل تتحقق حلال الزهد فيها والرفض لها، فالإلتصاق رص لامحالة يصادر الاستعداد للقاء الله سبحانه، ه يشكل اهتمامات هذا القلب في التفاعل حاذب ليأسره باتجاه الدنيا ومقولاتها.

إنَّ ربط القلب بالله سبحانه، لابُدَّ وأنْ يسير ط متواز مع قطع سبل الدنيا، وتهذيب التجاذب بها، ومحاولة إبقاء القلب حياً ينبض للتفاعل مع خره وعوالمها، يتم بافراغه من همّ الدنيا، ليعمر له الله سبحانه دون سواه.

«الزهد مفتاح باب الآخرة، والبراءة من النار، وهو تركك ل شيء يشغلك عن الله، من غير تأسف على فوتها، ولا عاب في تركها، ولا انتظار فرج منها، ولا طلب محمدة ها، ولا عوض منها، بل ترى فوتها راحة، وكونها آفة، ون أبداً هارباً من الآفة معتصماً بالراحة»[٢٨]

«انكم ان زهدتم خلصتم من شقاء الدنيا، وفزتم بدار اء»[٢٩].

لول السادس:

إنَّ الزهد يعني تربية جوانب الصلاح والإيمان تقوى لدى الانسان، حيث ان التحرر من قيد نيا، يعني امتلاك ارادة الرفض في مواجهة سبل حراف، والترفع عن الرذيلة ومساربها،..

إنَّ جُلَّ المعاصي والآثام إنما تحصل جراء سعي نسان وراء زخارف الدنيا ومتعها، والدنيا تعني ثام والخطايا، إذا ما حُددت سبلها بهذه تعلقات. وعملية الإعراض عنها ـ حيال هدف أسمى ـ يعني تعزيز جوانب الايمان والتقوى في الذات الانسانية.

«ألا من صابر كريم، فانما هي أيام قلائل، ألا انه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا»[٣٠].

«وقد قيل للإمام الحسن (ع): ما الزهد؟ قال: الرغبة في التقوى، والزهادة في الدنيا»[٣١].

إنَّ محاولة الرقي في سلم العرفان، ونهج مسالك الايمان الحق، يستلزم من الزهد في الدنيا، وتطبيع السير والسلوك مع إرادة الله سبحانه، وكلّما تقدم الانسان خطوة لتعزيز التقوى والايمان لديه، تحرر من أسر الدنيا وقبضتها،..

«المؤمنون لأنفسهم متهمون، ومن فارط زللهم وجلون، وللدنيا عائفون، والى الآخرة مشتاقون، والى الطاعات مسارعون»[٣٢].

وبخلافها يفتقد الانسان ثمرة الايمان وحلاوته،..

«من كان أكثر همه نيل الشهوات، نزع من قلبه حلاوة الايمان»[٣٣].

المدلول السابع:

ان الزهد يعني تربية جوانب الثقة بالله سبحانه وتعالى، أي أن لاتكون المعادلة المادية في تقييم النعم ودوامها تتفوق وتتميز عن مبدأ التوكل والاعتماد على الله سبحانه، باعتباره مبدأ النعم ومنتهاها، وسبيلها الأول،.. بل ان ما هو كائن لايعدو فيضاً ولطفاً من ألطافه، وهو مفتقر اليه في كل مقاطع وجوده.

«الزهد ليس بتحريم الحلال ولكن أن يكون بما في يدي الله أوثق منه بما في يديه»[٣٤].

وبتعبير آخر: أن يمتلك رصيد الثقة بالله سبحانه، أثناء مسيرته الحياتية، باعتباره مسبب جميع الألطاف، وهذه في الحقيقة عملية إعراض ثانية عن

ـنيا، وذلك بترك ظواهرها ومتعلقاتها والاتصال
سبب الحقيقي والاعتماد عليه حتى في إحراز مرتبة
ـة بدوام النعم مع توفير السبب الموضوعي.

وبعبارة أخرى: أن تعدم حتى مرتبة العلاقة
ـفسية بينك وبين الدنيا، وكيف أن زخارف
ـنيا ومتعلقاتها ــ في ذاتها ــ ممكنة مفتقرة الى
ـاجب جلّ شأنه، إنْ كان في أصل الايجاد أو في
تمراريته، وكيف أن التوفيق الحقيقي يأتي من الله
لّ شأنه، باعتبار تدبيره للوجود، ومنحه الامكان
ـنسان.

من هنا فان الزهد يشد الانسان ــ أساساً ــ
ـ الحقيقة ويتجاوز به الاتصال واحكام العلاقة
الظواهر والأسباب الفانية.. [٣٥].

«أصل الزهد حُسن الرغبة فيما عندالله» [٣٦].

المدلول الثامن:

إنَّ عملية الزهد ترتّي عند الانسان جانب
ـشكر لنعم الله سبحانه وتعالى، وألطافه وإفاضاته،
ـيث ان الزاهد قد قدر حقيقة هذه المتعلقات،
أستوضح قيمتها في المعيار الحقيقي للتقييم.

وباعتبار ان شكر المنعم ضرورة عملية، سيما
ـبال المنعم الأبدي، يتحتم على الانسان السعي
لحثيث لتأديه حق الشكر ضمن أساليبه الواردة.

ولكن نقول: إن عملية الشكر تأتي من خلال
ـهم وتقدير لها ولدورها، وهذا لايحصل مع
لانغماس فيها، وبشكل تمتلك مشاعر الانسان
وتستقطب عواطفه.. فإنَّ حالة التقييم الموضوعي
لها، لابُدَّ أن تتم من موقع امتلاك الإرادة، إرادة
الرفض أو القبول وهذا ما يوفره لنا الزهد، باعتباره
يمنح الانسان ملكة خاصة في التفاعل مع الدنيا،
بالشكل الذي يجعله سيداً يتجاذب من موقع المقتدر
في الرفض أو القبول لمقولاتها.

ان حالة الانغماس في الدنيا ومتعها، تجرد
الانسان من الأصالة والحرية، وسيكون ترابياً
لايمكنه الفهم والممارسة إلّا من خلال الدنيا،.. من
هنا فان التقييم الموضوعي سينتفي بالتبع، وعليه
فشكر الله سبحانه ــ باعتباره المنعم ــ سوف
لايتحقق، لأن الانسان ــ هنا ــ يجهل حقيقة
الدنيا وحقيقة أسبابها ومتعلقاتها وكيف أنها إفاضة
من المنعم الحقيقي وهو الله سبحانه.

«جعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا» [٣٧].

وبامكاننا القول، بأن الخير المقصود ــ هنا ــ
مادي ومعنوي، باعتبار ان الغاية من كليهما، إنما هي
مرتبة السعادة بمختلف مداليلها،.. وهذا لايتحقق
ــ وكما أسلفنا ــ إلّا من خلال فهم حقيقة الدنيا
والزهد فيها عن طريق تطبيع الإرادة والسلوك وكذلك
شكر المنعم بها، للضرورات الموضوعية والعملية،
ولتتحقق المعادلة،..

«وإذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» [٣٨].

المدلول التاسع:

ان الزهد يساوق القوة لا الضعف، في ادارة
شؤون الحياة والتفاعل مع الحقائق، فهذه الملكة في
السيطرة على جوانح النفس وأمانيها، والترفع عن
مسببات الرذائل المتمثلة بهذه الحفنة من المظاهر
والزخارف الدنيوية، تعني القوة في النفس والإرادة،
فالمرء الذي يتحكم في إرادته وفعله، ولا يجود بغير
الاحراء الهادف والأصيل، يعتبر قوياً في عواطفه
وأحاسيسه،.. والضعيف من تغلبه هذه الشهوات

ماني، فتحرره الى الأرض دون السماء، لتكون ه في التحرك والسعي.

هذا اللون من العبودية للدنيا والاضمحلال في بابها، معدوم لدى الزهاد،... أولئك الدين كوا قيمة هذه الدنيا، وكيف أنها لا تعدو «لعب و» وان الحقيقة هناك،.. في عالم الطهر بقاء،..

الزهاد يدركون هذه الحقائق،.. لذا فهم أبعد س عن الانصياع للدنيا ومغرياتها[39]،..

وهم — بالتالي — أقوى الناس إرادة في مواجهة نيا، وأمثلهم في إقرار قيم السماء...

«أحزمكم أزهدكم»[40].

«إنّ أصبركم على البلاء لأزهدكم في الدنيا»[41].

ان الزّهادة ملكة، معالمها السيادة للذات، لأصالة لقوى العقل وإرادة وقوة استثنائية شخصية في تفاعلها مع الدنيا، فلا توظف إلاّ باتجاه الصالح المعطاء.

من هنا فهي قوة ورشد،.. وتمام الضعف عند ئك الذين يجسدون العبودية للدنيا في كل مقطع مقاطع حياتهم وفصولها.

«الزاهدون في الدنيا قومٌ وعظوا فاتعظوا، وأخيفوا فحذروا، وعُلّموا فتعلّموا، وانْ أصابهم يُسرٌ شكروا، وانْ ابهم عُسرٌ صبروا»[42].

خاتمة:

بعد استعراض شمولية مفهوم (الزهد)، وارتباطه أصيل بجوانب الحياة والقيم والأهداف، نرى من ضروري الإشارة الى وجوب تساوق وتجانس هذا فهوم مع المفاهيم الأخرى، أي يجب مراعاة الجانب موضوعي في إقرار هذه المفردة ضمن السير والسلوك إنساني، بالشكل الذي لا تكون معه وبالاً على مفاهيم: التربوية والسياسية والاجتماعية الأخرى،.. فلا زهد — مثلاً — في إشغال مكانة سياسية أو اجتماعية إذا ما توفرت الشروط الموضوعية والشرعية في التصدي،.. واعتبارها من زخارف الدنيا وأسبابها، الأمر الذي قد يجر الانسان الى الالتصاق بها والعمل لها،.. فهذا ما يأباه الشرع والعقل،..

وإنما الزهد هنا، يعني أن لا تكون هذه المكانة السياسية أو الاجتماعية داعياً من دواعي الإنحراف أو الغرور، أي اعتبارها مسؤولية وليست إمتيازاً.

ان عملية الزهد، يجب أن تضمن لنا الفاعلية والحيوية في إدارة الحياة، فالزهد قوة يجب أن توظف لخدمة المبادئ بشكل معطاء، ومثل هذا التوظيف سيكون شريفاً وعدلاً، حيث لا مجال للأهواء والرغبات الساقطة من الظهور على مسرح النشاط والعمل، باعتبار تحرر الانسان من أسر هذه الإغراءات والرغبات الترابية، وترفعه من أن يكون عبداً لها ولمغرياتها،..

إننا نرفض أن يكون الزهد عاملاً من عوامل الضعف، كما عليه ما ذهب إليه بعض الطوائف المتصوفة، من الإعتزال عن ممارسة النشاطات الانسانية،.. بل نؤمن ان الانطلاق في التعامل مع الدنيا من موقع الذوبان فيها وفي أسبابها ومظاهرها،.. سيكون وبالاً على الانسانية، لأن صيغة التعامل ستكون من موقع الأخذ لا العطاء، عندها لا يعطي الانسان للحياة وللانسانية إلاّ الحدّ الأدنى من العطاء، الحد الذي يؤمن معه امتيازه، أي يعمل وفق منطق المنفعة، فالأنانية هي التي تسيره وتحدد له معالم الطريق.

أما الانطلاق في التعامل مع الدنيا مع موقع التحرر منها، وامتلاك الإرادة، إرادة الرفض قبال امتيازاتها وأحوالها، سيكون خيراً وسلاماً للانسانية،

لانسان هنا يتعامل من موقع المتحرر من ضغوطها، جه لتركيز معالم الصلاح والعدل،.. عندها يعطي ل شيء لأنه يدرك الحقيقة، وكيف ان هذه الدنيا، اضة من إفاضات الله سبحانه ولطف من طافه،.. ولاقيمة لأي وجود، إلّا بمقدار ارتباطه لك الأصل والجوهر، وبمقدار تجسيده الأمثل بودية والطاعة،..

لذا فان تفاعل الانسان مع الوجود والدنيا يكون من خلال نافذة الحق،.. عندها لايجود بغير عل الهادف،..

«إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه، وإذا طلب اهد الناس فاهرب منه» [43]

إن الزاهد يتناغم وكل مفردات الحياة، يتخذها حقلاً للصالحات، والباقيات من الممارسات الهادفة،.. و يُسيِّر دفة الحياة من موقع التحرر منها ومن متعلقاتها، لإدراكه ان الزهد في الدنيا يعني ألّا تمتلك ضميره وقلبه[44]، فتحيله الى مارد جبار، يسحق القيم تحت قدميه و يبتسم لحظة الانتصار، انتصار الشهوة والهوى،..

إذاً فالزهد ثروة، تغني صاحبها عن طلب دنيا الشهوات والرغبات الباطلة، وحالة من حالات رفض العبودية لغير الله سبحانه،.. وهو بعد من مقدمات العرفان الحق، في السير التكاملي للانسان.

والحمدُلله ربّ العالمين ●

الهوامش

ــ الرسول الأعظم (ص)، بحار الأنوار (ج ٧٠، ص ٣٢٢).
ــ الرسول الأعظم (ص)، بحار الأنوار (ج ٧٧، ص ١٢٧).
ــ الرسول الأعظم (ص)، مستدرك الوسائل (ج ٢، ص ٣٣).
ــ الإمام علي (ع)، غرر الحكم.
ــ الإمام علي (ع)، غرر الحكم.
ــ الإمام علي (ع)، غرر الحكم.
٧ ــ حديث قدسي، بحارالأنوار (ج ٧٧، ص ٢٢).
٨ ــ الإحتجاج (ج ١/ ٣٣٥).
٩ ــ من وصايا الإمام علي (ع) لابنه الحسن (ع)، بحار الأنوار (ج ٧٧، ص ٢٠٥).
١٠ ــ الإمام علي (ع)، فيما وصف به زهد الرسول الأكرم (ص)، نهج البلاغة (٣٣٦)
١١ ــ الإمام علي (ع)، بحار الأنوار (ج ١١، ص ٤١٩)
١٢ ــ الإمام الكاظم (ع)، بحار الأنوار (ج ١١، ص ٣٠١)
١٣ ــ الإمام علي (ع)، خطبة ١١٣، ص ١٦٨.
١٤ ــ الإمام علي (ع)، في وصفه للمتقين.
١٥ ــ ما ناجى الله تعالى به موسى (ع)، الامام الصادق (ع)، بحارالأنوار (ج ١٣، ص ٣٣٩).
١٦ ــ الإمام الصادق (ع)، بحارالأنوار (ج ٧٨، ص ٢٧٨).
١٧ ــ الإمام علي (ع) في صفة الزهاد، بحارالأنوار (ج ٧٠، ص ٣٢٠).
١٨ ــ الإمام علي (ع)، غرر الحكم.
١٩ ــ الرسول الاكرم (ص)، بحارالأنوار (ج ٧٨، ص ٢٧٠)
٢٠ ــ الرسول الأكرم (ص)، بحارالأنوار (ج ٧٧، ص ٢٦٣)
٢١ ــ الإمام علي (ع)، بحارالأنوار (ج ٧٠، ص ٣١٩)، وعنه (ع): **(مع الزهد تثمر الحكمة)** مستدرك الوسائل (ج ٢، ص ٣٣٢).
٢٢ ــ تفسير الدر المنثور (ج ١، ص ٦٧).
٢٣ ــ الرسول الأكرم (ص)، بحارالأنوار (ج ...

٢٤ ــ الإمام علي (ع)، غرر الحكم.

٢٥ ــ الإمام علي (ع)، بحار الأنوار (ج ٧٠، ص ٣١٧).

٢٦ ــ الإمام علي (ع)، غرر الحكم.

٢٧ ــ الإمام الصادق (ع)، بحار الأنوار (ج ٧٠، ص ٢٣٩).

٢٨ ــ الإمام الصادق (ع)، بحار الأنوار (ج ٧٠، ص ٣١٥).

٢٩ ــ الإمام علي (ع)، غرر الحكم

٣ ــ الإمام الصادق (ع)، بحار الأنوار (ج ٧٣، ص ٤٩).

٣ ــ تحف العقول (ص ١٦٢).

٣ ــ الإمام علي (ع)، غرر الحكم.

٣ ــ الرسول الأكرم (ص)، تنبيه الخواطر ص ٣٥٧

٣ ــ الرسول الأكرم (ص)، بحار الأنوار (ج ٧٧، ص ١٧٢).

٣ ــ من هنا جاء وصف الإمام علي (ع) ان: **«الزهد ثروة»** وان **«الزهد متجر رابح»**.

٣٦ ــ الإمام علي (ع)، غرر الحكم

٣٧ ــ الإمام الصادق (ع)، بحار الأنوار (ج ٧٣، ص ٤٩).

٣٨ ــ سورة إبراهيم، آية ١

٣٩ ــ يقول الإمام علي (ع) **«أحق الناس بالزهادة من عرف نقص الدنيا»** غرر الحكم

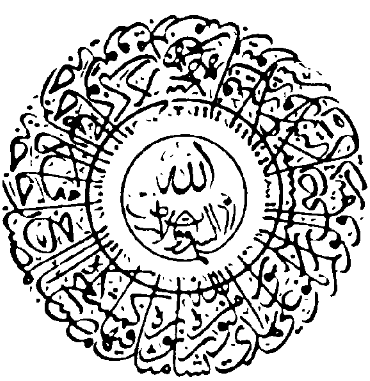
٤٠ ــ الإمام علي (ع)، غرر الحكم

٤١ ــ الإمام الكاظم (ع)، بحار الأنوار (ج ١٨، ص ٣٠٨).

٤٢ ــ الإمام علي (ع)، تنبيه الخواطر (ص ٤٤١)

٤٣ ــ الإمام علي (ع)، غرر الحكم

٤٤ ــ فضلاً عن إعراضه عن فضل الحرام **«لا زهد كالزهد في الحرام»** الإمام علي (ع)، بحار الأنوار (ج ٦٩، ص ٤٠٩)



محاضرات في :

الايديولوجية المقارنة

تأليف: الأستاد محمدتقي مصباح

عرض وتلخيص: أبو برار

المقدمة:

يمرّ العالم الاسلامي في الوقت الراهن بمرحلة خطيرة من تاريخه، تجتاحه فيها تيارات متعارضة، وتغزوه فئات شرقية وغربية تسيطر على زوايا منه حيناً، وتتراجع مهزومة حزينة حيناً آخر [illegible] كيانه [illegible]

[illegible]

الوسائل والأجهزة والحيل والدعايات. لقد صادق بعض [illegible] في شعوب نسيت هويتها وخسرت أنفسها وافتتنت بالحضارات الأجنبية [illegible] [illegible] الفنية [illegible] ومرونة. [illegible] على [illegible]

[illegible]

شوه وجهه الجميل، وأحدث عمائم دون نوره
..

كخطوة في هذا المجال أعادت منظمة الاعلام لامي طبع كتاب «محاضرات في الآيديولوجيه ية» للأستاذ «محمدتقي مصباح اليزدي» وذلك وته الأساسية القيمة في المعرفة والنظرة الكونية ة عليها.

° ° °

يقع الكتاب في (١٨٩) صفحة، و يشتمل على ا محاضرة.

ي المحاضرات: الأولى والثانية والثالثة والرابعة، ث الاستاذ «مصباح» عن مفهوم الآيديولوجية ورها والرؤية الكونية، وعلاقة الآيديولوجية ؤية الكونية، والمواضيع الأساسية في الرؤية ونية، وألوان الرؤية الكونية، ومفهوم العلم لسفة والدين والعرفان، والفلسفة العلمية كسية، ومفهوم الميتافيزيقية، حيث يقول في صفحة (٢٤) وتحت عنوان الرؤية الكونية امة:

«إن المواضيع الأساسية للرؤية الكونية هي أمور فلسفية من اثباتها بالطريقة العقلية، ولا وجود اطلاقاً لرؤية ة مستقلة عن الفلسفة».

وعن الفلسفة العلمية يقول في الصفحة (٢٧).

«إنّ الفلسفة العلمية تعبير غير ملائم ولا موفق. وهو على عجز مبتكريه عن تمييز الفلسفة من العلم أو على فهم، لأن الفلسفة والعلم متميزان تماماً من حيث نوع ومن حيث الأسلوب، فموضوعات العلوم التجريبية ذة من المحسوسات، بينما المفاهيم الفلسفية حاصلة من ل العقلي...».

فيما يخص اعتقاد أصحاب المذهب الماركسي بأن فلسفتهم (المادية الديالكتيكية) هي الفلسفة الوحيدة التي نستطيع أن تقدم للناس رؤية كونية مدعمة بالأدلة المحكمة، وأصحاب هذه الفلسفة ومبتكريها بـ «الفلسفة العلمية» وذلك في مقابل «الفلسفة الميتافيزيقية» التي يرفضونها ساخرين، متحججين به كما يكون التعبير «العلمي» علامة على اعتبار وقيمة الفلسفة المادية الديالكتيكية، وبالطبع «الميتافيزيقية» علامة على سقوط وابتذال الفلسفات الأخرى. يقول الكاتب في الصفحة (٣١) معقباً على هذا الاعتقاد:

«... إنّ الطابع العلمي لايكون صفة مدح لفلسفة ما، ليس هذا فحسب، وإنما هو علامة على ضحالة وجهل وخداع مؤسسي تلك الفلسفة، حيث أرادوا استغلال الشهرة الحسنة للعلم ليخدعوا بها الذين لايعلمون...».

وفي نفس الصفحة والصفحة التي تليها يعطي تعريفاً للميتافيزيقية، ثم يخلص الى القول:

«الدراسة التي تتناول الوجود الصرف بقطع النظر عن التخصصات الماهوية هي دراسة ميتافيزيقية، وكل قانون يشمل الوجود كله هو قانون ميتافيزيقي».

وفي المحاضرة الخامسة يقدم توضيحاً مفصلاً عن مفهوم «المعرفة»، ثم ينتقل في المحاضرة السادسة الى موضوع «الواقع الخارجي» و يبدأ محاضرته بالسؤال التالي: أيوجد واقع خارجي وراء ادراكاتنا أم لا؟

ثم يقول: **«طرح هذه المسألة يثير الاستغراب عند الذين لا ألفة لهم بتاريخ الفلسفة، ولعلهم لايصدقون بوجود أشخاص يشكون في وجود متعلقات للادراك، أي واقعيات خارج ظرف الادراك، لأن وجود الواقع الخارجي، فطري عفوي من المعاني فعند ما يرى الانسان شيئاً فانه يعده واقعاً خارج ذهنه، وعندما يسمع صوتاً فهو يعتقد بوجود صوت خارجي ووجود مسببه، وعندما يشعر بالجوع فهو يقدم على الاستفادة من الطعام الخارجي...».**

وفي الصفحة (٦٦) والصفحات التي تليها يذكر الأستاذ «مصباح» كيف أن السوفسطائيين ينكرون الواقع الخارجي، وكيف نهض ضدهم «سقراط» واستطاع أن يمضي تقريباً على المذهب السوفسطائي.

وفي المحاضرات السابعة والثامنة والتاسعة يتحدث عن الواقعية والمثالية في الفلسفة، والمثالية والمادية، مؤكداً على أن الماركسيين يسقطون من الحساب اختلاف معاني المثالية أولاً، وثانياً فهم يجعلون المثالية في مقابل المادية، وثالثاً يجعلون المثالية مساوية للاعتقاد بوجود الله، و يوهمون الناس بأنَّ إبطال المثالية يؤدي بشكل دائي الى نفي وجود الله أيضاً.

وحول الخلط بين المصطلحات وجعل المثالية في مقابل المادية حيث لايوجد له وجه صحيح يقول في الصفحة (٨٢):

«يحتمل أن يكون (هذا الخلط) ناتجاً من عدم الدقة والتساهل والاستعجال في اصدار الأحكام، وتوجد هذه الظاهرة بكثرة في أحاديث زعماء الماركسية، ويحتمل أن يكون متعمداً، وذلك لهدف المغالطة والخداع، فيردون لوناً من المثالية (كمثالية باركلي مثلاً) و يستنتجون من هذا ان جميع ألوان المثالية إذن مردودة....».

وفي المحاضرة العاشرة يتحدث عن أنواع المعرفة والمعقولات. و بعد أن يثبت ان وسائل معرفة الانسان ليست محصورة بالحس وإنما لابُدَّ من عد العقل وسيلة أخرى للمعرفة، ينتقل في المحاضرة الحادية عشرة الى موضوع «الأصل في المعرفة»، مشيراً الى نظريات «افلاطون» و «ديكارت» و «كانط»، و مؤكداً على أن نظرية «افلاطون» لايمكن تطبيقها إلا في المفاهيم الماهوية. ولايمكن الاستفادة منها في المفاهيم الفلسفية والمنطقية.

و يذكر بعد ذلك ان «ديكارت» يقسّم التصورات الى ثلاث فئات هي: التصورات العارضة، التصورات الجعلية والتصورات الفطرية. و يضيف انه (أي ديكارت) قد اعتبر على هذا الأساس من «أصحاب أصالة العقل الفطري»، وقد أشكل عليه معاصروه بأن هذه التصورات كانت فطرية للزم أن يكون الأطفال متمتعين بها.

و يضيف قائلاً: لو أن «ديكارت» كان قد قبل بالحس والتجربة على أساس انها العامل لانتقال الادراكات الفطرية الى الفعلية لما تعرض لهجوم التجريبيين.

ثم يشير بعد ذلك الى نظرية «كانط» فيقول في الصفحة ١٢٦: يعتقد كانط ان نشاط العقل النظري لا بد أن يحدد بمنطقة نفوذ التجربة (العلوم)، ولكن عقلنا يحلق عالياً، و يريد أن يصدر حكمه فيما وراء التجربة أيضاً. ومن هنا فهو ينتصور ثلاثة أسس «متقدمة» لجميع الادراكات التجريبية، وهي عبارة عن: النفس، العالم والله. وهو يسميها بـ «المفاهيم العقلية المتقدمة». ويمضي الى القول: إنَّ «كانط» يعتبر هذه المفاهيم ذهنية، أي انها تحصل بدون تدخل الحس والتجربة.. بعدها يورد بعض الملاحظات حول نظريته.

وفي المحاضرة الثانية عشرة يتطرق الى أصحاب أصالة الحس، فيشير في الوهلة الأولى الى نظرية «جون لوك» باعتبارها أشهر من البقية وأكثر اعتدالاً، ثم يشير الى نظرية «كندياك» التي تعتبر أكثر افراطاً من سابقتها، و بعد ذلك يمر بصورة سريعة على نظريتي «باركلي» و «هيوم» في التصورات.

فيما يخص «جون لوك» يذكر في الصفحة (١٣٠): انه أي «جون لوك» يعتقد بأن ذهن الانسان في بدء وجوده يشبه صفحة بيضاء لم يخط فيها شيء، ثم تأتي التجارب الظاهرية والباطنية لتوجد فيه التصورات البسيطة. بعد ذلك يقوم الذهن بالتحليل والتركيب والمقارنة والتجريد والتعميم للمعطيات الحسية. وبهذه الصورة فهو يصنع مفاهيم جديدة، ولولم تكن هذه المعطيات الحسية، لم تحصل هذه المفاهيم للعقل.

وفي الصفحة (١٣١)، يشير الى ان «جون لوك» يرى ان الحس الظاهري والباطني غير كاف لوجود التصورات المركبة، و يعتقد ان قوة الفاهمة أيضاً تؤثر في وجودها. وبمساعدة هذه القوة نعي نفهم ان هذه الكيفيات التي تقبل التعبير تحتاج الى شيء ينسب اليه هذا التعبير وهو «الجوهر».

والواقع ان «جون لوك» قد وفق الى حدٍ بعيد ـ على حد قول الاستاذ ـ في رد نظرية الأفكار الفطرية لديكارت... كما ان ادعاءه المبني على ان ذهن الانسان ليس فيه أي تصور بالفعل منذ البداية يمكن قبوله أيضاً.

«ولكن هذا لايرد نظرية العقل الهيولاني، أي لاستعداد الخاص للذهن الانساني لادراك المعاني العقلية، بل لايمكنه حتى نفي وجود هذه المفاهيم في أعماق الذهن والعلم اللاشعوري بها....». (ص ١٣٢).

وفيما يخص رأي «جون لوك» بالعلية، يقول في الصفحة (١٣٣): «... إنه يعتبر العلية من قبيل الإضافة والنسبة التي نحصل من ملاحظة تعاقب ظاهرتين بصورة منتظمة، بينما مفهوم العلية يحكي عن التأثير العيني والخارجي لموجود ما في ظهور موجود آخر... ويبدو ان جون لوك يريد القاء معرفة حقيقة العلية على عاتق قوة الفاهمة، ولذا فقد عد وجودها ضرورياً لظهور التصورات المركبة، ولكننا نعلم ـ من جهة أخرى ـ ان هذا معناه الاعتراف الكامل بأصالة العقل!»

وعن «كندياك» يقول: إنه اول فيلسوف فرنسي قبل نظرية أصالة الحس، إذ اعتبر التجربة محصورة في الاحساس الظاهري، وحتى وجود قوى النفس وأفعالها كالحافظة والارادة فقد اعتبرها معلولة للاحساس الظاهري. ولذا لم يشعر بحاجة الى لون آخر من التجربة يتعلق بقوى النفس وأفعالها...

وكان «كندياك» يعتقد بأن الحس الظاهري وحده يستطيع أن يكون منشأ ظهور الادراكات والقوى النفسانية. (ص ١٣٤).

وينتقل الأستاذ «مصباح» في حديثه بعد ذلك الى نظرية «باركلي» قائلاً: ان «باركلي» اعتقد بأن الموجود هو الصورة الجزئية التي يمكن جعلها (علامة) للجزئيات الأخرى لتشابهها. ولذلك فان الألفاظ الكلية إنما هي أسماء تستعمل في مسميات متعددة. وعلى هذا فقد دبت الحياة من جديد في مذهب قديم يسمى بأصالة التسمية. (ص ١٣٥).

و يضيف: ان «باركلي» يعتقد بأن «الانتزاع» ليس صحيحاً، سواء أكان بمعنى فصل الجهة المشتركة بين عدة أشياء عن المشخصات والمميزات الفردية مثل انتزاع المفهوم العام للحركة من الحركات المختلفة أم كان بمعنى الحصول على مفهوم جديد بوساطة مفاهيم سابقة، أي لايوجد اطلاقاً مفهوم كلي يصلح ليكون مورد الادراك الذهني. والذي يدرك إنما هو أمر جزئي شخصي دائماً ويجعل علامة على عدة أشياء متشابهة.

و يصل باركلي الى النتيجة التالية وهي ان كثيراً من المسائل العويصة في الفلسفة قد حصلت نتيجة لسوء استعمال الكلمات وتركيبها. وفي الواقع فان كثيراً من المسائل الفلسفية ليست صادقة ولاكاذبة وإنما هي تركيب لامعنى له! (ص ١٣٦).

و ينكر «باركلي» مفهوم «الجوهر» بعنوان انه أمر واحد يكون موضوعاً للأعراض المتنوعة، و يصل الى هذه النتيجة وهي ان الجوهر ليس شيئاً سوى مجموعة من الأعراض المختلفة، وهو يعتبر الاعتقاد بوجود الجوهر الذي ينشأ عن القول بالمفاهيم الانتزاعية. كما يعتقد باركلي أيضاً جميع ما ندركه إنما هو موجود فقط في أذهاننا.

وفي ختام حديثه عن نظرية «باركلي» يؤكد على ان قبول أصل العينية وضرورتها ولزوم التسمية بين

لة والمعلول هو بنفسه اعتراف بأصالة العقل، لأن ه المعاني لايمكن أن تدرك بالحس، وان أقصى يستطيع أن يفعله «باركلي» حسب أسسه هو الشك ، وجود العالم المادي وليس انكاره بصورة يقينية.

وفي المحاضرة الثالثة عشرة يتحدث عن نظرية رفة الماركسية، مشيراً الى أن الماركسيين يقسمون صورات الى قسمين: احساس ومفهوم. و يضيف هؤلاء يقولون في الواقع بـ (أصالة التسمية) Nominalism) ولكنهم يفرون من قبول مها. (ص ١٤٤).

ثم يتطرق الى بعض مغالطات الماركسيين في ل المعرفة، و يقول في ختام محاضرته: إنَّ نظرية فة الماركسية تقوم على أساس كون الادراك أمراً مادياً.

ويحاول في المحاضرة الرابعة عشرة أن يزيل بهام عن موضوع البحث، وتحديد محل النزاع بدقة ماذهب اليه الفلاسفة الحسيون والعقليون. ثم تهي الى النتيجة التالية، وهي: ان جميع تصوراتنا ست ناشئة من «الحس»، وللمفاهيم الكلية إدراك مستقل مل بوساطة قوة مدركة خاصة تسمى العقل.

وفي المحاضرة الخامسة عشرة يذكر: ان كثيراً من فاهيم الكلية لايحتاج اطلاقاً الى الصورة الحسية، و بعضها ج فقط الى الادراك الحسي على أساس انه شرط ومهيّء حقق الادراك العقلي. (ص ١٦٩).

ثم يقول بعد ذلك: إنَّ مسألة أصالة الحس أم العقل التصديقات ليست تابعة لمسألة أصالة الحس أم العقل في تصورات، مؤكداً على انه حتى لو فرضنا ان شخصاً قال صالة الحس في التصورات فانه يستطيع أن يقول بأصالة قل في التصديقات. (ص ١٧٧).

و يتوصل في نهاية محاضرته الى النتيجة التالية ي، انه توجد هناك أصالة لأحكام العقل في مورد التصديقات، وان الأحكام العقلية البديهية تشكل في الواقع الخلفية للأحكام الحسية. (ص ١٧٩).

وفي المحاضرة السادسة عشرة والأخيرة يتطرق الى ألوان المعرفة، و يتوصل خلال بحثه الى نتائج نذكر بعضاً منها:

١ ـ إن مجال العلم الحضوري في الأشخاص العاديين يكون في النفس وقواها وأفعالها وانفعالاتها، وفي هذا اللون من المعرفة فقط ينكشف فيه الواقع للانسان بلا وساطة.

٢ ـ تدرك الحقائق المنطقية بوساطة العقل فقط.

٣ ـ وكذا الحقائق الفلسفية، فهي تعرف بوساطة العقل، ولو أن من الممكن أن يكون موضوعها من المفاهيم الماهوية التي لها مصداق محسوس، وفي هذه الصورة يعدو الادراك الحسي شرطاً لازماً لتصوير الموضوع.

٤ ـ إنَّ معرفة الواقعيات المجردة (اللامادية) تدخل في نطاق العقل أيضاً.

٥ ـ تعرف القضايا الشخصية المتعلقة بالأمور المحسوسة بوساطة الحس، ولكن اثبات وجودها الخارجي ونفي احتمال الخطأ في الحس لايستغني عن الأصول العقلية.

٦ ـ إنَّ القضايا الكلية التي موضوعها ومحمولها من المفاهيم القابلة للانطباق على المحسوسات تعرف عن طريق التجربة الحسية، ولكن تصور الموضوع والمحمول فيها يحتاج الى العقل.

٧ ـ لايستغني أي تصديق ضروري عن العقل.

٨ ـ لا تدرك الواقعيات المادية اطلاقاً ـ بشكل كامل ومن كل الجوانب ـ بالادراك الحسي. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ●

أصفهان

قلب التاريخ ونبع الشهادة

تحقيق: الأستاذ زهير سليمان

المقدمة:

يحار الكاتب أو المحقق عندما يريد أن يبحث عن مدينة **«أصفهان»** التأريخية التي تعتبر إحدى خمس مدن مهمة في العالم[1] وذلك لأهميتها التأريخية والسياسية والأثرية والعلمية وحتى الطبيعية، وامتلاكها لمعادن مهمة، وامتيازها بأنتاج زراعي متنوع ومتعدد ووفير باختلاف أصنافه وأنواعه، فضلاً عن الصناعات القديمة والحديثة.

و «أصفهان» هو أسم لمدينة الجند، حيث كانت مقراً للجيوش الايرانية في عهود الملوك والأباطرة قبل آلاف السنين، وقد جاءت هذه الكلمة من تطور لكلمة «سپاه وصفاهان» قبل الفتح الاسلامي بأكثر من ٦٠٠ عام. حيث جاء في كتاب «سني ملوك الأرض والأنبياء» باللغة العربية للكاتب والمؤرخ العالم الكبير حمزة الأصفهاني (من علماء القرن الرابع الهجري القمري) الكثير من المعالم التي حفلت بها هذه المدينة العريقة. كما يتحدث الكتاب عن فتح أصفهان من قبل الجيش الاسلامي عام (١٩ هـ.ق) أو عام (٢١ هـ.ق).

إنّ وسع أصفهان وكثرة المراكز المختلفة فيها، من مراكز علمية وأثرية وتأريخية وثقافية وصناعية وطبيعية واجتماعية وفنية وغيرها تحيّر الباحث أو المحقق، حيث لايكفيه الإقامة فيها ليوم أو يومين أو ثلاثة، بل ولا حتى لشهر أو لشهرين، خصوصاً لمن يريد أن يضعها تحت النظر الفاحص. ورغم كل ذلك وقصر الاقامة لأجل اعداد بحث ينشر في المجلة ورغم كل الصعاب، فقد توكلنا على خالقنا، وولجنا المدينة غير عابئين بشيء.. ننقلكم بعد لحظات من مكانكم لتعيشوا معنا هذه الجولة في مدينة أصفهان.. مدينة الشهداء والتضحية في سبيل الله.

في الطريق:

ونحن في طريقنا من طهران العاصمة متجهين الى مدينة أصفهان التي تبعد أكثر (٤٠٠) كم عن طهران، طرقت في نفسي الكلمة المشهورة التي قيلت عن (أصفهان) «أصفهان نصف جهان» أي (أصفهان نصف العالم) أو (نصف الدنيا). قال تلك المقولة «مهدي أرباب أصفهاني» في القرن الثالث عشر الهجري (وهو من الذين تأثروا بالعلم الكبير والعالم المؤرخ «الحافظ أبونعيم الأصفهاني» من علماء القرن الخامس الهجري).

بعد ٦ ساعات متواصلة في السيارة، نصل المدينة المترامية الأطراف المتصلة من جميع نواحيها بمدن صغيرة وكبيرة تتبع لها بصورة مباشرة الى المركز.

الموقع والطبيعة:

«أصفهان» واسعة، تبلغ مساحتها(١٩٧٣٠٣) كيلومترات مربعة. تحدها شمالاً مدينتا «كاشان» و«گلپايگان»، ومن الجنوب «آبادة» و «بهبهان»، ومن الشرق «يزد»، أما من الغرب فيحدها «بختياري» وبعض حدود «خوزستان». حيث يبلغ طولها من حدود بختياري حيث منبع نهر «زاينده» حتى بحيرة «كاوخوني» مايقارب (٣٠٠) كم.

تقع «أصفهان» على خط ٤١ درجة و ٣٩ دقيقة و ٤٠ ثانية عن خط كرينج، تقع من خط الاستواء على ٣٢ درجة و ٣٨ دقيقة و ٣٠ ثانية. وترتفع عن سطح البحر (١٥ ـ ١٥٨٤م). أما أعلى ارتفاع لمدينة أصفهان فيقع في مدينة «الكرد» [illegible] ٢٠٦٦م. و أقل ارتفاع فيها (١٢٣٣م). و[illegible] أصفهان عن مدينة طهران [illegible] ثانية.

[illegible] «[illegible]» معروف [illegible] (١٠١٤ ـ [illegible] هـ.ق [illegible] (١٦٦٤ ـ ١٦١٠م)، (٨٠٠٠٠٠) نسمة. [illegible] (تدرون).

و[illegible] أصفهان [illegible] خلال الأعوام (١١٧٠، ١٢٠٢، ١٢٣٢، [illegible] ١٢٥٠) [illegible] درجة كبيرة. حيث وصلت خلال عامي (١١٩٨ ـ ١١٩٥هـ) كما يذكر ذلك [illegible] (٣٠٠) ألف نسمة، معظمهم من المسلمين، و المسيحيون و اليهود يشكلون ٤٪ من مجموع السكان. غير ان ذلك الرقم [illegible] (١٣٤٥هـ.ق) توصل الى (١٢٣/٧٧٧).

تمتاز أصفهان بأن تحيطها سلاسل جبلية عالية يصل ارتفاع بعضها الى (٣٠٠٠) متر، إذ تمتاز هذه الجبال بالنعم الالهية المختلفة لما تحتويه من الرخام المتميز المعروف بجنسه النفيس، والمعادن المختلفة كالنحاس والفحم الحجري، والأملاح المختلفة. كما تقع في هذه الجبال منابع نهر الكارون. ومن أهم سلاسلها الجبلية، سلسلة جبال: فريدن وكرون ودالان ولنجان وكلاه قاضي.

وتنعم أصفهان بجو لطيف، فمع حلول مطلع السنة الهجرية الشمسية التي تصادف ٢١ آذار، يبدأ ربيع أصفهان، و يورق معه كل ما هو أخضر من نبات وأوراد، و يستمر ربيعها جميلاً. وكذلك صيفها الذي لا ترتفع فيه درجة الحرارة عن (٣٠) درجة إلاّ نادراً، حتى حلول فصل الخريف. وفي هذا الفصل أيضاً تبقى أصفهان نضرة جميلة بعد أن يبرد الجو و يبدأ «الجليد» بالسقوط اعتباراً من كانون الثاني و بشكل كثيف وحتى بداية الربيع مجدداً. وتنخفض درجة الحرارة خلال الشتاء الى درجة ١٠ مئوية، وأدنى درجة انخفضت فيها الحرارة الى ٢٠م تحت الصفر. كما تنزل الأمطار فيها في فصلي الشتاء والربيع.

شهرة مدينة أصفهان:

تشتهر «أصفهان» بالكثير من الأمور، الا أن أهمها هو «الزعفران» و «السرمة» (الكحل) حيث تسمى بمدينة (السرمة والزعفران) كما تشتهر بالفاكهة المختلفة حيث كل نوع من الفاكهة يتألف من عشرات الأنواع. والمشمس على سبيل المثال له أنواع مختلفة، وكذا بالنسبة للرمان والتين والعنب والكمثرى والتفاح. وهناك كذلك الجوز والفستق. أما الورود فهي متعددة الأنواع. وتتميز هذه المدينة كذلك بغاباتها الكثيفة ومراعيها الخضراء ووجود حيوانات كثيرة فيها (وحشية وأهلية).

وتشتهر أيضاً بالصناعات اليدوية الكثيرة منها: صناعة السجاد والكاشي والخواتم والظروف النحاسية، وما الى ذلك من صناعات هنا طابع فني.

متى أصبحت أصفهان عاصمة للبلاد ومتى عبرت؟

كانت مدينة «قزوين» التي تقع شمال غربي طهران عاصمة لايران. وفي زمن الشاه عباس الصفوي الأول (١٠٧٤ ــ ١٠٨٠ هـ.ق) نقلت العاصمة الى أصفهان. وطيلة حكم الدولة الصفوية بقيت أصفهان عاصمة للبلاد، لكنها انتقلت في عهد الشاه «نادر شاه أفشار» الى مدينة مشهد.

صفهان تأريخياً:

تعتبر أصفهان من المدن التأريخية المهمة، فلقد حلّت بها حكومات مختلفة وحضارات دول، كما حفلت بأدوار ومشاركات في بناء التأريخ والحضارة ومشاركة فعالة في النتاج لعلمي الانساني، إذ أنجبت الكثير من العلماء والحكماء والفلاسفة. وإن آثار أصفهان الحالية تدلل بوضوح على تأريخ هذه المدينة التي أقرت المحافل الدولية بأنها من بين أهم خمس مدن في لعالم.

الآثار:

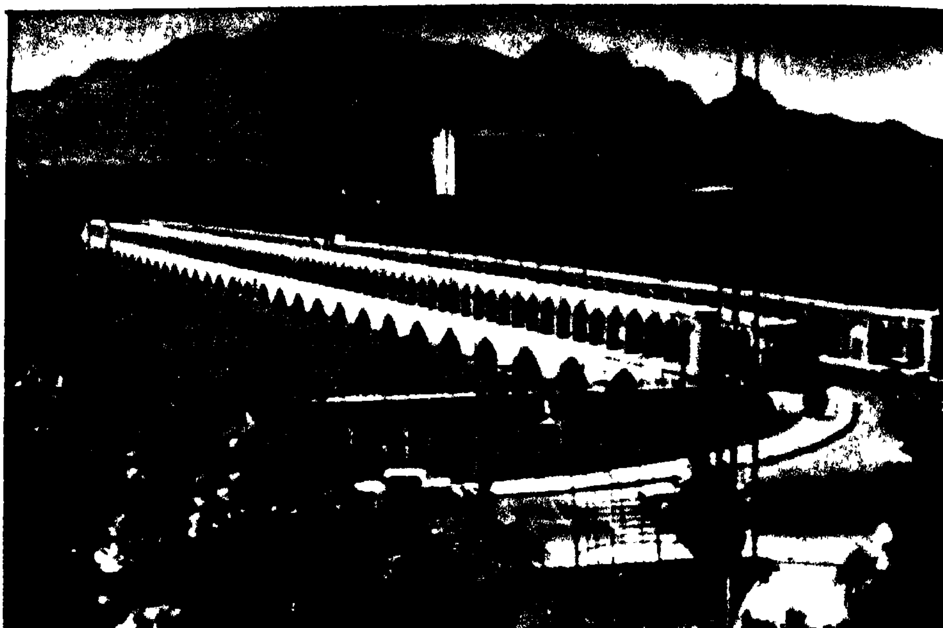
توجد في أصفهان عشرات المواقع الأثرية المختلفة والتي تمثل عهوداً متعاقبة، وتجسّد مختلف المجالات العلمية والعسكرية والعمرانية. فقد ذكرها الرحالة المشهور ابن بطوطة[٢] في القرن الثامن و بالضبط عام (٧٢٧هـ. ق) حينما زار ايران عن طريق «شوشتر» و «أشتركان» و «فيروزان».

يخترق مدينة أصفهان النهر الكبير المسمى «زاينده» الذي تقع عليه مجموعة كبيرة من الجسور التأريخية، مثل:

جسر خواجو: وهو من أجمل الجسور. يقع على طريق شيراز، و يربط طرفي المدينة ببعضها أنشيء عام (٧٦٩هـ. ق).

جسر (سي وسه پل): أي جسر ذو الثلاثة والثلاثين عموداً، حيث يتألف كما في الصورة من (٣٣ قاعدة)، يربط طرفي شارع (چهار باغ) أي (الأربع بساتين) الذي يبلغ طوله أكثر من (٥ كم) وهو شارع في غاية من الجمال. فلو بدأنا من أحد جانبيه نراه يشمل ممراً عاماً تقع عليه المحلات ثم حديقة على طول الشارع ثم بعد ذلك طريق السيارات ثم حديقة ثم ممراً خاصاً بالدراجات الهوائية والبخارية ثم منتصف الشارع الذي يمثل ممراً بعرض أكثر من (٣م) للجلوس فيه. ثم يبدأ القسم الثاني من الشارع الذي يحتوي على نفس الأقسام المذكورة الى الجانب الآخر مع وجود ساقيتي ماء. وجسر (سي وسه پل) يربط قسمي هذا الشارع، وقد أنشيء عام (١٠٠٨هـ. ق). طوله (٣٦٠م) وعرضه (١٤م) وهو روعة في الفن والعمارة، يخاله الناظر قصراً ملكيا.

جسر أصفهاد أو جسر المدينة: وهو من الجسور الرائعة، وقديم جداً، يرجع الى التاريخ الساساني، أُنشيء في زمن آل بويه، وقد أُغلق مؤخراً بوجه السيارات للمحافظة عليه.



حسر (سى وسه پل)

كما توجد هناك أكثر من (١٠) جسور أخرى، كجسور: كله وزمان خان و بابا محمود وفلاورجان ومار بانان وچوبي وحوم ودشتي وزرنة. وهي لا تقل أهمية عن السالفة، فمثلاً حسر جوبي تعبر عليه ساقية ماء جميلة تظهر فن الهندسة الرائع المتقدم.

أما مساجد أصفهان فيمكن أن تقول عن هذه المدينة انها مدينة المساجد وذلك لكثرة المساجد فيها وروعتها وجمالها وعمارتها الاسلامية النادرة التي تظهر عظمة مجتمعها وعنايتهم ببيوت الله الكريمة، ففيها العشرات من المساجد المهمة والكبيرة، منها أثرية قديمة جداً تعود الى القرن الثاني الهجري كالمسجد الجامع، و منها حديثة العهد.

المسجد الجامع:

يقع المسجد الجامع في وسط المدينة، و يعود بناؤه الى عام (١٥٦ هـ.ق). وقد أنشيء على أنقاض بناية كبيرة جداً لمعبد الزرادشت الذي يرجع تأريخه الى أكثر من ٦٠٠ عام قبل الاسلام. فبعد الفتح الاسلامي وآعتناق أهالي أصفهان الاسلام و تمسكهم بهذا الدين الحنيف عمدوا الى هدم هذا المعبد و بناء المسجد الكبير. و يبدو أنهم استفادوا من الطابق الذي تحت الأرض حيث دلت الحفريات الأخيرة على آثار ذلك والذي يرجع الى عهد الساسانيين.



صورة من الداخل للمسجد الجامع

للمسجد (٨) أبواب كبيرة وعالية جداً، توالت عليه حكومات كثيرة، وكلها تقريباً شاركت بتوسيع الجامع وإضافة أقسام جديدة له كالصاحب بن عباد الطالقاني المتوفى عام

(٣٨٥هـ.ق) والمدفون في أصفهان، ونظام الملك الذي بنى قبة لا تزال تعرف باسمه (كان من وزراء الملك السلجوقي) حيث تقع هذه القبة جنوب المسجد ولا تزال تحمل رونقها المعماري والهندسي الرائع رغم مرور مئات السنين عليها،إد تزينها مجموعة خطوط كالخط الكوفي والثلث والنسخ. ويمكن القول ان المسجد مرَّ بخمسه مراحل:

المرحلة الأولى: تبدأ من عام (١٥٦هـ.ق) حيث أنشئ المسجد كما بيّنا سابقاً.

المرحلة الثانية: تبدأ من عام (٢٢٦ هـ.ق) فقد توسعت بعض أقسامه، وعمرت حتى الربع الأول من القرن الرابع.

المرحلة الثالثة: تبدأ من عام (٣٢٤) الى عام (٤٤٢هـ.ق) حيث حصلت الكثير من التغييرات سيما أيام آل بو يه.

المرحلة الرابعة: تبدأ من عام (٤٤٣) الى (٥٩٠هـ.ق) وفيها حكم السلاحقة.

والمرحلة الخامسة: تبدأ من القرن الثامن حتى الآن حيث في الفترة السابقة لها لم تحدث تعميرات تذكر. وفي عام (٨٥٠هـ.ق) حدد بعض أقسام المسجد.

إنَّ المسجد الجامع لايمكن وصفه في تحقيق كهذا الذي بين يديك عزيزي القارىء. وجدير بالذكر ان هذا المسجد الكبير قد تعرض لقصف وحشي من قبل طائرات النظام الكافر القائم في العراق..

مسجد الإمام:

يقع جنوب ساحة «الإمام الخميني» وهو مسجد رائع بديع جذاب، أشرف على بنائه الأستاذ الكبير المعمار المهندس علي أكبر أصفهاني، وقد أُنشىء في عهد الصفوية خلال الأعوام (١٠٢٠) ــ (١٠٣٨) هـ.ق وأستمر العمل فيه وزخرفته (١٨) عاماً. ترتفع فيه قبة بطول (٥٤م)، وهي مصممة بشكل بحيث إذا أُحدث فيها صوت، سمعت أنعكاساته بوضوح ولسبع مرات على الأقل. أما الواجهة الكبيرة للمسجد فهي قلعة رائعة في الفن والهندسة.

مسجد الشيخ لطف الله:

وهو أيضاً يقع شرق ساحة الإمام الخميني، مقابل قصر الشاه عباس الصفوي الذي يعرف بقصر «عالي قابو» وفيه قبة تعتبر من أجمل قباب ايران، وعليها آيات قرآنية مخطوطة بدقة حيث خطتها يد الخطاط الكبير علي رضا عباسي. بني المسجد عام (١٠١٢)هـ.ق وسمي بمسجد لطف الله نسبة الى العالم الرباني لطف الله ميسي (من فقهاء الإمامية في جبل عامل في لبنان حيث كان هناك) وأشتهر المسجد بأسمه.. إستمر العمل في هذا المسجد (١٧) عاماً، وأنشىء خلال الأعوام (١٠١١ ــ ١٠٢٨) هـ.ق.

وهناك مساجد أخرى كمسجد حكيم ومسجد لوتبان و مسجد سيد و مسجد ميرزا محمدهاشمي چهار سوقي و مسجد جعفر الطيار ومسجدمريسم بيگم، وغيرها من المساجد الأخرى.

وأمتازت أصفهان بمدارسها الكثيرة وجامعاتها المختلفة ومعاهدها العلمية المتنوعة، منها التأريخية الأثرية، ومنها الحديثة، فن أبرز المدارس:

مدرسة الإمام الصادق(ع) العلمية، وتسمى بمدرسة چهار باغ. بنيت في زمان الصفويين، وتتميز بالفن الرائع، وتقع على جانب شارع چهار باغ. وهي مؤلفة من غرف للطلبة والمدرسين، وفيها مسجد رائع تعلوه قبة كبيرة جداً، وصحن غاية في الجمال، مع مكتبة ضخمة.



تبدو في الصورة إحدى واجهات مدرسة الامام الصادق(ع)

و بصورة عامة توجد في هذه المدينة مئات المدارس والمعاهد مع ثلاث جامعات، هي: جامعة «أصفهان» التي تحتوي على مختلف الكليات والمعاهد العلمية والأدبية والانسانية، وجامعة «صنعتي شريف» وهي جامعة خاصة بالكليات العلمية والهندسية والفنية. وجامعة «العمل» التي تدعى بالفارسية «دانشگاه كار». وهناك كليات ومعاهد متعددة كمعهد التكنولوجيا وكلية الفارابي خاصة بالهندسة المعمارية.

ومن الآثار المهمة الأخرى الموجودة في أصفهان:

منارة جنبان:

يوجد على بعد ستة كيلومترات عن المدينة بناء تاريخي فيه منارتان.

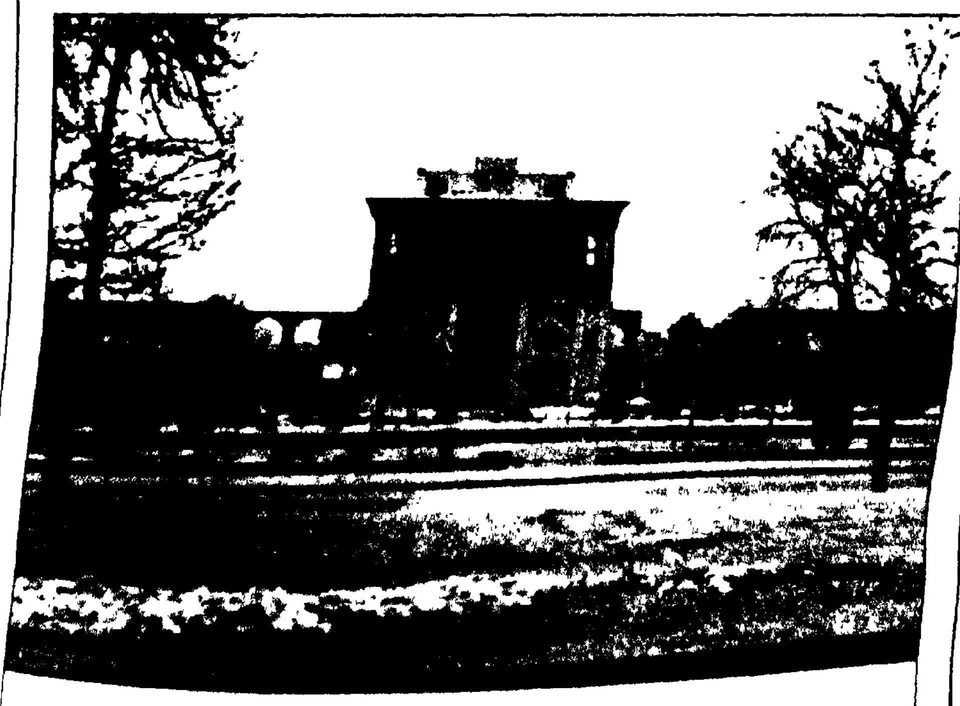
وحينما تدخل البناية التي تتكون على شكل قوس عال كمدخل يعلو ١٠م وعرض المدخل ٨/٢٥م، تقابلك فتحة حيث مثوى أحد الزهاد المعروفين. وعلى الجانب الأيمن باب يصعد منه سلم ضيق لايتجاوز المتر تصعد(١٥) درجة لتصل الى الطابق الأول الذي يحتوي على ٤ أواوين، ثم يلتف السلم لتصعد ١٦ درجة أخرى لتصل الى السقف الذي يكون بمساحة (١١م×٨م) تعلوه دكة ترتفع (٤) درجات. وتقع على حافتي هذه الدكة المنارتان الأثريتان والمزينتان بالطابوق الأزرق اللتان ترتفعان الى علو أكثر من (٧م) حيث تنتهيان بمخروط حديدي. والعجيب في هاتين المنارتين أنهما تهتزان، فحين تهز أو تحرك إحداهما تهتز الثانية لوحدها دون أن يحركها أحد، مما حيرت عقول مهندسي الغرب والشرق ولم يصلوا ـــ بعد ـــ الى كنهها وعلة صفتها هذه.



الواجهة الأمامية لـ (منارة جنبان)

قصر قابو المعروف بقصر الشاه عباس:

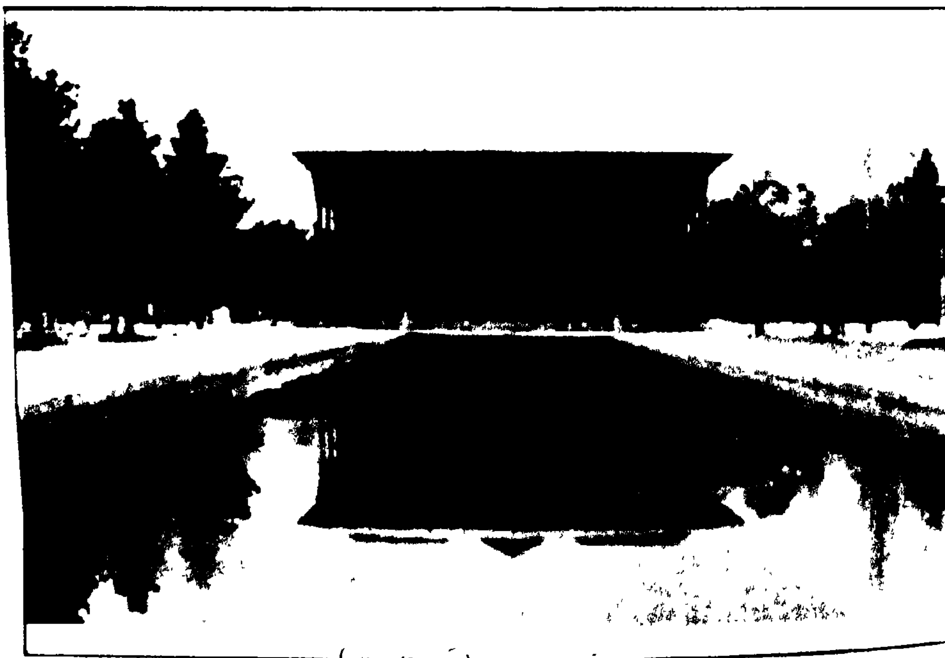
وهو قصر ضخم، مؤلف من ستة طوابق، و يتألف مدخله من ممر بعرض ٦ أمتار وأرتفاع ٤ أمتار بسقوف مقوسة لعبت فيها يد الفنان بما تمكن حيث تمشي لتقطع ممراً جعل فيما بعد سوقاً للأعمال اليدوية التي تشتهر بها المدينة، ثم تدخل باب القصر المصنوع من الخشب والحديد لتصل الى فسحة مثمنة الشكل يعلوها سقف مقعر ومزخرف، ثم تمشي قليلاً لترى نفسك في ممر يشابه الممر الأول، خال من السقف و يقع على جانبيه سلّمان ضيقان خصص الأول للصعود والثاني للنزول. وحين تصعد تصل الى محل استراحة بعد ١١ درجة، وكأنك لم تصل الى محل استراحة خفيفة بل الى متحف قديم ومعرض للفن والعمارة والهندسة مسقف بشكل هندسي رائع، وتصعد بعد ذلك (١١) درجة أخرى حيث الاستراحة الثانية، ثم بعدها الاستراحة الثالثة وتشاهد محلات التدفئة القديمة. وفي وسط القصر حيث قاعة مكشوفة من الامام، مؤلفة من ١٨ عموداً خشبياً تحتل مساحة (١٥م×٢٧م) و يتوسطها حوض مستطيل بمساحة (٨م×٥/٥م) مبني من المرمر، وأرضيته من الحديد وتخرج منه ثلاثة ثقوب تشرف على الساحة مقابل مسجد لطف الله.



صورة من [illegible] - (قصر قابو)

قصر الأربعين عموداً:

وهو أثر آخر تركه الأباطرة والملوك، ورحلوا الى دار لايتميرون فيها عن غيرهم. يتساوى فيها البشر جميعاً، شاخصة أبصارهم للحي القيوم الذي له الملك والحكم. يوم لاينفع فيه مال ولابنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم. يقع هذا البناء الشامخ في بستان كبير جداً بمساحة ٦٥ جريباً (الجريب هو مساحة من الأرض تعادل عشرة آلاف متر مربع)[٣] وفيه جنينة من مختلف الأشجار والورود. يتألف هذا القصر المسمى بـ (كاخ چهلستون) من أيوان كبير لقصر عال يتصدره حوض طوله (١١٠م) وعرضه (١٦م) تنعكس فيه الأعمدة العالية المكونة لدار الضيافة المؤلف من سقف مزخرف زخرفة جميلة يحمله (١٨) عموداً من الخشب الثقيل مع عمودين آخرين في الداخل لتؤلف (٢٠) عموداً تكوّن (٢٠) ظلاً معكساً في الماء ليكون المجموع (٤٠) عموداً. وتزيّن السقف منقوشة من المرايا الراقية، كما توجد قاعة كبيرة تنحدر من الرواق العالي الذي تقع على جانبيه قاعات خاصة بالتحميات. والقاعة هذه مزينة بصور ذهبية ومطعمة بالنقوش لمشاهد من الحروب ومناظر طبيعية للطيور ومنقوشة بكتابات قرآنية روعة في الجمال. وهناك لوحة رائعة تمثل صورة للحرب التي خاضها الشاه اسماعيل الصفوي الأول وهي نادرة. أنشىء القصر هذا عام ١٠٥٧ هـ.ق. وهناك قصور أخرى كقصر «نمكدان» وقصر (هفت دست) أي الأيدي السبعة، إلاّ أنها صارت اليوم آثاراً.



صورة من ... – (كاخ چهلستون)

السوق الكبير:

و يسمى بـ «البازار». وهو مركز تجاري يقع شمال ساحة الإمام الخميني، و يعتبر سوقاً عظيماً حاو ياً لمختلف السلع التجارية والصناعية، وفيه تباع الأواني النحاسية والفضية.. وهذا السوق الكبير له بنايات متشعبة ذات طابع أثري رائع، وتوجد في وسطه قبه كبيرة ذات نقوش جميلة.

وعلى بعد ١٤ كم من المدينة توجد كنيسة للمسيحيين في منطقة تسمى جلفا، وتعتبر من أقدم الكنائس في العالم ككنيسة «بيت لحم» وهي من أشهر كنائس الدنيا.. كما أن هناك متاحف تحوي على آثار الحضارات القديمة.



التأريخ العلمي لأصفهان:

إنّ من يلاحظ مئات العلماء والمفكرين والفلاسفة والحكماء والمهندسين والفلكيين الذين تخرجوا وعاشوا وولدوا في أصفهان، يعرف القيمة لهذه المدينة ومشاركتها في الحركة العلمية على مرّ التأريخ، فقد عاشت في أصفهان قوافل كثيرة من الفلاسفة والحكماء والمؤرخين، نذكر بعضاً منهم:

١ ــ «علي بن سهل» المتوفى عام ٢٨٠، وهو من الكتاب والمؤرخين الكبار.

٢ ــ «حمزة الأصفهاني» وهو أبو عبدالله حمزة بن حسن أديب كاتب ومؤرخ من علماء القرن الرابع الهجري، وقد ذكره ابن بطوطة في رحلته حينما نزل أصفهان حيث قال: نزلنا مضيف علي بن سهل (من كتابه «سني ملوك الأرض والأنبياء»).

٣ ــ «أبو الفرج الأصفهاني» المتولد عام ٢٨٤هـ.ق في أصفهان، وهو من الكتاب والمؤرخين الكبار كما يذكره معجم الأدباء.

٤ ــ «أبو علي مسكويه» وهو من الحكماء والعلماء المسلمين المشهورين وصاحب الكتب الكثيرة، مثل كتاب: «طهارة الأعراق في علم الأخلاق».

٥ ــ «الحافظ أبو نعيم» مصنف كبير، عاش في عام ٣٣٠ أو ٣٣٦. من كتبه: «حلية الأولياء»، «تاريخ أصفهان»، «حلية الأبرار» وغيرها.

٦ ــ «اسماعيل بن عباد»، وهو وزير مؤيد الدولة وفخر الدولة الديلمي.

٧ ــ «أبو عبدالله المعصومي»، وهو من أكبر المحققين المسلمين، تفنن في الحكمة والفلسفة.

٨ ــ «الراغب الأصفهاني»، فيلسوف وحكيم وكاتب وشاعر ومحدث لغوي.

٩ ــ «مافروخي الأصفهاني»، إشتهر بالفصاحة العربية. ولد عام (٤٣٤)، وقتل عام (٥٠٠هـ.ق).

١٠ ــ «عماد كاتب»، ولد عام (٥١٩هـ.ق) في أصفهان.

١١ ــ «بابا ركن الدين»، وهو مسعود بن عبدالله البيضاوي الأنصاري ومن مشايخ الصوفية.

١٢ ــ «صائن الدين تركه الأصفهاني».

١٣ ــ «پير جمال الدين أحمد»، عرف في الحكمة والعرفان.

١٤ ــ «الشيخ أبو مسعود».

١٥ ــ «ميرفندرسكي»، وهو من فلاسفة الإمامية. إشتهر في الحكمة الطبيعية

والفلسفة الالهية.

١٦ ــ «ميرزا رفيع الدين النائيني الأصفهاني».

وهناك الفقهاء، ونذكر منهم:

١ ــ «شاه علاء الدين محمد».

٢ ــ «ملامحمد تقي المجلسي» (١٠٠٣ ــ ١٠٤٠).

٣ ــ «آقاى حسين خونساري أصفهاني».

٤ ــ «فاضل الهندي».

٥ ــ «آمنة بيگم» بنت محمدتقي المجلسي وزوجة محمد صالح المازندراني.

٦ ــ «محمد باقر المجلسي «١٠٣٧ ــ ١١١٠ أو ١١١١) هجري قمري. ولد في أصفهان وتوفي فيها. له من المصنفات المختلفة منها «بحار الأنوار» في (١١٢) مجلداً.

٧ ــ «محمد باقر البهباني الأصفهاني».

٨ ــ «الحاج محمدابراهيم الكلباسي».

٩ ــ «الشيخ محمدحسن صاحب الجواهر» بن محمد باقر الأصفهاني النجفي. أصله من اصفهان، توفي ودفن في النجف الأشرف.

١٠ ــ «السيد أبوالحسن الأصفهاني» (١٢٨٤ ــ ١٣٧٥).

١١ ــ «العلامة ميرداماد».

١٢ ــ «الشيخ البهائي».

١٣ ــ «العلامة الشهيد السيد حسن المدرس».

١٤ ــ «آية الله الشهيد الدكتور بهشتي».

١٥ ــ «آية الله العظمى الشيخ المنتظري».

١٦ ــ «آية الله الشهيد الحاج شيخ عطاء الله أشرفي أصفهاني».

وغيرهم من العلماء والشعراء والفلاسفة حفلت بهم أصفهان.

وتزدهر هذه المدينة بالصناعة الحديثة حيث يوجد فيها (٣٠٠٠) معمل رسمي ونحو (١٢٠٠٠) معمل غير رسمي، أي غير مجاز يتراوح عدد العمال في كل معمل بين(٢ــ ٤٠٠٠)عامل، كمعامل صهر الحديد وصناعة السجاد وصناعة الفولاذ ومعامل الحياكة ومصنع طائرات الهليكوبتر وصناعة الصلب ومختلف الأمور الأخرى.

وتحفل أصفهان كذلك بمجموعة كبيرة من المكتبات العامة ومؤسسات ثقافية مثل المكتبة رقم (١) والمكتبة رقم (٢) ومكتبة صائب ومكتبة الشهيد مفتح ومكتبة الارشاد ومكتبة

الشهيد مطهري، ومكتبة مسجد الامام الخميني العامة ومكتبة مؤذني ومكتبات الجامعات والكليات ومكتبة كورتان وغيرها.

كما أن فيها مؤسسات صحية كثيرة وشبكة من الصيدليات.

موقع اصفهان في الثورة الاسلامية الكبرى:

تعتبر «أصفهان» أول مدينة نفذت فيها الأحكام العرفية في زمن الطاغوت، وذلك في ٥ رمضان (١٣٩٨هـ.ق) قبل الثورة المباركة بـ(٥ أشهر) لكثرة الاضرابات والمظاهرات التي نظمت فيها. إذ هبّت جماهيرها مستجيبة لنداء إمام الأمة وراحت تدك معاقل النظام الشاهنشاهي البائد... وحين اشتعلت الثورة كانت اصفهان السباقة، فقد كانت المظاهرات تطوف الشوارع والإضرابات قد عمت المعامل وكذلك أضرابات السوق الكبير وغلق المحال والدكاكين. واليوم تعتبر أصفهان أكثر تماساً من قبل في دعم الثورة وتوجهت أعداد كبيرة من أبنائها الى جبهات القتال حتى قال فيها سماحة القائد الامام الخميني بأنها «مدينة الشهداء».

ترتبط أصفهان بالعاصمة بثلاثة طرق: برية وجوية وسكك حديد.

وبهذا القدر من الكلام نكون قد عرفنا ولو بعض الشيء عن هذه المدينة التأريخية العريقة بمختلف النواحي والمجالات، راجين للقارىء الاسلامي الاستمتاع بما تقدم والتعرف أكثر على المدن والبلاد الاسلامية كي يتعرف الانسان المسلم على معالم عالمه الاسلامي الذي طمسه الأعداء وسرقوا حضاراته وعلومه وامكاناته وثرواته.. بل ووضعوا حاجزاً من الحدود والسدود بوجه الانسان المسلم كي لايعرف شيئاً و يبقى جاهلاً حتى وطنه الاسلامي، ولكن انطلاق الثورة الاسلامية في ايران ستضيء طريق الاسلام أمام الانسان المسلم ليرجع الى تأريخه التليد وحياته العزيزة الكريمة ●

الهوامش

١ ـ تعتبر أصفهان إحدى أهم خمس مدن في العالم وهي: فلورنسا، فينا، روما، أثينا، أصفهان.

٢ ـ ابن بطوطة: هو رحالة من أهالي طنجة، ساح في البلدان.

٣ ـ المعجم الذهبي ـ الدكتور محمد التونجي

الشيرازي في ذمة الله



في السابع عشر من شهر رمضان المبارك الموافق للسابع من حزيران (١٩٨٥م)، وفي القاطع الجنوبي من جبهة الحرب المفروضة على الجمهورية الاسلامية في ايران، استشهد حجة الاسلام الحاج الشيخ عباس الشيرازي رئيس منظمة الاعلام الاسلامي بالوكالة والمشرف العام على التبليغ الاسلامي في جبهتي الجنوب والغرب، وهو في طريقه لأداء مهامه ومسؤولياته.

وبهذه المناسبة تتقدم أسرة مجلة التوحيد بالتعازي والتبريكات للأمة الاسلامية والإمام الخميني القائد ـ حفظه الله ـ على هذا المصاب الأليم، وتسأل الله أن يغمر برحمته وعنايته هذا الشهيد، ويلهم أهله الصبر والسلوان.

الشهيد في سطور:

ولد الشهيد الشيرازي في مدينة «رفسنجان» عام ١٩٤٤م. سافر الى مدينة «قم» عام ١٩٦٤م لتحصيل العلوم والمعارف الاسلامية، حيث درس هناك على يد أبرز الفقهاء والعلماء مثل الفقيه المجاهد آية الله العظمى المنتظري.

بعد انتفاضة الخامس من حزيران عام (١٩٦٣م) والتي قادها الإمام الخميني، بدأ الشهيد يساهم وبشكل فعال في النشاطات التي كانت تبذل للإطاحة بنظام الشاه.

إعتقلته سلطات النظام الملكي البائد عام (١٩٧٧م) عندما كان يخطب في الجماهير المسلمة بمدينة كرج.

وبعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران كلّفه الإمام الخميني القائد ليؤم صلاة الجمعة في مدينة «تنكابن»، ثم مدينة «خمين».

وبعد فترة من ذلك عيّنه الإمام مدعياً عاماً متجولاً في القضاء، ثم أُنيطت له مسؤولية النظر في مخالفات قضاة المحاكم العادية ومحاكم الثورة في مختلف أنحاء البلاد.

وفي عام ١٩٨٣م عُيّن رئيساً لمنظمة الإعلام الاسلامي بالوكالة مع الاحتفاظ بعضويته في المجلس الأعلى للتبليغ الاسلامي.

وبتوصية من بعض مسؤولي البلاد، أخذ الشهيد على عاتقه مسؤولية التبليغ في جبهتي الجنوب والغرب، وواصل مهمته هذه الى أن استشهد في جبهة الجنوب في عصر يوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك.

الأخلاق الإسلامية في معاملة الأعداء

الشيخ محمد علي برو/ لبنان

من سر الحروب التي وقعت عبر التاريخ بين الشعوب والأمم وجد ان تلك الحروب هي المرآة الحقيقية للشعوب والأنظمة التي حكمت على سطح المعمورة.

وهذه الحروب هي اكبر محك لامتحان الأنظمة والحضارات وكشفها على حقيقتها وهذه سنة الله في اختبار الأمم والأنظمة «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ»[1].

فالامتحان لابُدَّ منه، وفي الحرب توجد الأرضية المناسبة للامتحان بالخوف والجوع والنقص في الأموال والأنفس، فكثير من الشعوب والأنظمة تتظاهر بالإخلاص وحب السلام والعدالة. فاذا ما اشتعلت الحرب بينها و بين الأنظمة الأخرى عرّتهم الحرب عن كل شعار وكشفتهم على حقيقتهم، ففي ساعات الشدة تزاح الأقنعة وتتضح الحقائق لانعدام الوازع والقانون. في الولايات المتحدة الامريكية مثلاً انقطع التيار الكهربائي نصف ساعات في الليل فتحولت مدينة نيو يورك الى مدينة رعب وتخريب. فقد تحول الناس فيها الى لصوص وقتلة حتى البوليس الذي جاء من الولايات الأخرى لمساعدة بوليس المدينة، وما ذلك إلّا لأن الانسان الامريكي والغربي يظهر نفسه من أرق أفراد البشر في العصر الحاضر مادام النور والقانون، واذا ما انقطع النور وشعر بعدم المراقب انكشف على حقيقته وتحول الى وحش كاسر. وهذه الحقيقة نشاهدها في كثير من الناس الذين يتظاهرون باللياقة والنزاهة والقداسة، فإذا شعروا ببعدهم عن القانون وعدم وجود المراقب تحولوا الى لصوص وقتلة.

ومن هنا كانت الحروب أعظم امتحان للشعوب والأمم والأنظمة والحضارات، فالأنظمة التي تدعي التقدم وحب السلام والدفاع عن حقوق الانسان وحماية الشعوب الفقيرة تنكشف على حقيقتها أثناء حربها مع الآخرين، والحرب التي شنّها الكفر

لعالمي على يد عميلهم صدام التكريتي ضد الثورة لاسلامية هي المرآة الحقيقية للحضارة الغربية الأنظمة الاستعمارية الشرقية منها والغربية لأذنابها من الدول الرجعية التي تدعي الاسلام هي تساند صداماً في حربه العدوانية، كما ان هذه لحرب هي المرآة للأخلاق الالهية والمثل العليا التي تتحلى بها جنود الرحمان الذين يحاربون من أجل تحرير المعذبين ودفع المعتدين واعلاء كلمة الحق العدل.

ومن خلال هذه الدراسة تظهر لنا حقيقة مهمة في [illegible]

بالدفاع عن الاسلام والمسلمين.

أخلاق الرسول الأعظم (ص) في حروبه:

ان الأخلاق التي كان الرسول يتحلى بها في السلم والحرب هي: المصداق الأكمل للأخلاق الالهية. وقد مدحه الله سبحانه وتعالى على هذه الأخلاق بقوله: «**وإنّكَ لَعَلى خُلُقٍ عظِيم**» كيف لايكون صاحب هذه الأخلاق العظيمة وقد مدحه عليها رب العزة، وقال هو (ص) أيضاً: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». ومن سير حروب النبي [illegible]

ن المثلة ـــ تشويه جسد القتيل ـــ ولو بالكلب
عقور، وعن قتل الأطفال والنساء، وقد مرّ على امرأة
مقتولة في غزوة حنين فقال: من قتلها؟ قالوا خالد
ن الوليد، فقال لبعض أصحابه أدرك خالداً فقل له
، رسول الله ينهاك أن تقتل امرأة أو وليداً أو
يراً.[3]

وكان يقول لأصحابه: تألفوا الناس وتأنوهم.
تغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل بيت
ر ولا وبر إلا تأتوني بهم مسلمين أحب إليّ من أن تأتوني
ائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم.

وكان (ص) [illegible]

[illegible]

وقريش في هذه الأسرى [illegible] رسول
[illegible]. ومن كان لا [illegible]
يعلمه أطفال المسلمين الكتابة.
[illegible]. وكان زيد بن ثابت ممن [illegible]

(ص) مكة وبعث عن
[illegible] حاربوه وآذوه وأخرجوه من

بالهجرة من مكة بعده لما فتحها عنوة وأصبح كل
شيء فيها تحت سلطته وفي قبضته وقف على باب
الكعبة وقال: يا معشر قريش، ماترون أني فاعل
بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال:
اذهبوا فأنتم الطلقاء وعفا عنهم، وكان الله قد أمكنه
منهم وكانوا له عبيداً مملوكين.

لم يكتف الرسول الأعظم بهذه الأخلاق مع
أعدائه بل أعطى عدو [illegible] صفوان بن أمية الذي
كان من أشد أعدائه ـــ وكان قد هرب خوفاً من
[illegible] فتح مكة [illegible]

[illegible]

و بعد انتصار النبي (ص) في حنين على القبائل
ي تجمعت تحت قيادة مالك بن عوف، بعد هذا
نتصار الساحق على المشركين، نجد صاحب
خُلق العظيم يسأل عن مالك بن عوف قائد
شركين فقيل له انه بالطائف. فقال: اخبروه ان
اني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة
ير. فأخبر مالك بذلك فجاءه وأسلم، فأعطاه النبي
ص) أهله وماله ومئة بعير وحسن اسلامه حتى
ستعمله النبي (ص) على من أسلم من تلك القبائل
ي حول الطائف.[10]

ولما قسّم الرسول (ص) غنائم حنين أعطى
ؤلفة قلوبهم وكانوا من أشراف الناس يتألفهم على
سلام، فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية، وحكيم
ن حزام، والعلاء بن حارية الثقفي، والحارث بن
شام، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو،
و يطب بن عبدالعزى، وعيينه بن حصن، والأقرع
ن حابس، ومالك بن عوف كل واحد منهم مئة
ير.

وهذا العطاء النبوي لهؤلاء كان من أجل تأليف
بهم وترغيبهم بالاسلام. فأحدث هذا العطاء وجداً
نفوس الأنصار حتى استغل المنافقون هذه الفرصة
شعال نار الفتنة بين القائد والأنصار! فجمع رسول
ه (ص) الأنصار وقال لهم: أوجدتم يا معشر الأنصار
أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا،
كلتكم الى اسلامكم أفلا ترضون أن يذهب الناس بالشاة
بعير وترجعون برسول الله الى رحالكم، والذي نفسي بيده؛
لا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شِعباً
سلكت الأنصار شِعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم إرحم
نصار، وأبناء الأنصار. فبكى القوم حتى خضلوا
اهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً.[11]

هكذا استطاع رسول الله (ص) بأخلاقه الالهية
، يملك القلوب، ويحوّل النار التي أشعلها المنافقون
الى برد وسلام.

وهذه الأخلاق الكريمة للرسول مع أعدائه في الحرب نسخة فريدة من نوعها في تاريخ الأنبياء والأمم. يحدثنا مسلم في صحيحه وغيره ان رسول الله (ص) أرسل رسولاً فرّ بثمامة بن اثال فأراد قتله فمنعه عمه عن ذلك فأهدر رسول الله دمه. وفي احدى الأيام خرج ثمامة معتمراً فأخذته رسل رسول الله لما قارب المدينة بغير عهد ولا عقد فأتوا به رسول الله. فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال عندي يا محمد خير، ان تقتل تقتل ذا دم، وان تنعم تنعم على شاكر، وان كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت. فتركه رسول الله وعاوده ثلاث مرات وكان جوابه واحداً فأطلقه، فانطلق الى نخل قريب واغتسل ثم دخل الى المسجد وأسلم وقال: يا محمد والله ماكان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، وقد أصبح وجهك أحب الوجوه فأسلم واذن له النبي بالخروج الى مكة للعمرة فخرج ثم انصرف. واخذ يضيق على قريش فلم يدع حبة تأتيهم من اليمامة، فلما ظهر مسيلمة وادعى النبوة قام ثمامة بن أثال في قومه فوعظهم وذكرهم وقال: انه لايجتمع نبيان بأمر واحد. وان محمداً رسول الله لانبي بعده ولانبي يشرك معه، وقرأ عليهم:

«حم * تنزيلُ الكِتابِ مِنَ اللهِ العَزيزِ العَليمِ * غافِرِ الذَّنبِ وقابِلِ التَّوْبِ شَديدِ العِقابِ ذي الطَّولِ لا إله إلّا هُوَ إليهِ المَصيرُ» هذا كلام الله أين هذا من يا ضفدع نقي لا الشراب تمنعين ولا الماء تكدرين.[12]

فهذه الأخلاق الالهية التي اتبعها الرسول الأعظم مع أعدائه ومع الأسرى لانجدها في الأنظمة التي حكمت العالم ولا الحاكمة اليوم مع ان الحكومات المعاصرة تدعي أنها وصلت الى أرقى المقامات الأخلاقية والقوانين الديمقراطية التي لم تصل اليها البشرية من قبل.

أين أخلاق الحضارات والأنظمة من هذه الأخلاق الاسلامية التي تتمثل بالرسول القائد والتي هي من أهم الفوارق التي تختص بها الحكومات الالهية عبر التاريخ. فهذا يوسف علي نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بعد ان تآمر عليه اخوته باعوه بثمن بخس دراهم معدودة، و بعد أن اتهموه بالسرقة واستخدموا كل وسيلة من أجل القضاء عليه بعد ذلك كله لما مكنه الله سبحانه وتعالى منهم جعله على خزائن مصر وعفى وصفح عنهم وقال: «... لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ».

وهذه الأخلاق الكريمة والشيم الحميدة التي تحلّى بها الرسول الأعظم نجدها كذلك متجلية في سيرة تلميذه الأكبر صوت العدالة الانسانية الامام علي عليه السّلام.

أخلاق الامام علي في حروبه:

لقد تجسدت في الامام علي أخلاق استاذه سيد البشر الذي تربى الامام في حجره وترعرع في كنفه، فكان مظهراً لأخلاقه ومجرياً لتعاليمه، فكان يوصي أصحابه وامراء جنده بما كان يوصي به الرسول الأعظم (ص) أصحابه وأمراء جنده. ففي وصية الامام علي لعسكره: «لا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ ٱللهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخرى لَكُمْ عَلَيْهِمْ. فَإِذَا كَانَتِ ٱلْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ ٱللهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلاَ تُصِيبُوا مُعْوِراً، ولا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلاَ تَهِيجُوا ٱلنِّسَاءَ بِأَذىً، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ...؛ إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِٱلْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ؛ وَإِنْ كَانَ ٱلرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ ٱلْمَرْأَةَ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ بِٱلْفِهْرِ أَو ٱلْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.[13]

وقد خاض الامام علي عدة حروب ضد الناكثين والقاسطين والمارقين. ولم يخرج عن أدب القرآن وتعاليم الرسول قيد شعرة، وكان المثل الأعلى للأخلاق الالهية مع أعدائه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الكلبي: لم يصنع علي عليه السّلام السيف في أهل البصرة يوم الجمل بعد ظفره بهم بل سار فيهم بالصفح والمنّ الذي سار به رسول الله في أهل مكة يوم الفتح فإنه أراد أن يستعرضهم بالسيف ثم منّ عليهم، وكان يحب أن يهديهم الله[14].

وهكذا: منّ أمير المؤمنين على الناكثين الذين نكثوا البيعة وقادوا جيشاً جراراً لحربه، وسفكوا الدماء ونهبوا الأموال. وهكذا منّ على أم المؤمنين عائشة التي قادت ذلك الجيش وأرجعها الى كرامتها الأولى. فأرجعها الى المدينة معززة مكرمة وجهزها باثني عشر ألف واخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلّا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات.

وقد قسم الامام ما حواه العسكر يوم الجمل بين أصحابه دون ما ضمته الدور، وقد طلب منه أصحابه أن يقسم عليهم أهل البصرة ويجعلهم رقيقاً فقال: لا. فقالوا: كيف تحل لنا دماؤهم وتحرم علينا سبيهم؟ فقال: كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة واسلام؟ اما ما جلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، واما ما وارت الدور واغلقت عليه الأبواب فهو لأهله ولانصيب لكم في شيء منه. فلما أكثروا عليه. قال: فاقرعوا على عائشة لأدفعها الى من تصيبه القرعة! فقالوا: نستغفر الله يا أمير المؤمنين ثم انصرفوا[15]. وقد تأثر عليه السّلام كثيراً عندما رأى الصرعى من الفريقين يوم الجمل، ثم انه صلى على القتلى من الطرفين و دفنهم.[16]

وفي صفين؛ حينما استولى معاوية وأصحابه على الماء ومنعوا أهل العراق منه وأخذوا يسبونهم أراد بعض أصحابه ان يقابلهم بالسب. فقال الامام عليه السلام لهم: «إنّي أَكْرَهُ لَكُمْ أنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، ولكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أعْمَالَهُمْ، وذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كان أَصْوَبَ فِي ٱلْقَوْلِ، وأَبْلَغَ فِي ٱلْعُذْرِ، وقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إيَّاهُمْ: ٱللَّهُمَّ ٱحْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَٱهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ ٱلْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ ٱلْغَيِّ وَٱلْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ».[17]

وفي النهروان؛ لما خرج عليه الخوارج كلمهم ووعظهم فدخل بعضهم الكوفة وكانوا ينالون من الامام، وكان الامام لايمنعهم من العطاء وكان يقول: انا لانمنعهم الفيء، ولا نحول بينهم وبين دخول مساجد الله، ولانهيجهم مالم يسفكوا دماً، ومالم ينالوا محرماً.[18]

بهذه الروح المقدسية والأخلاق المحمدية علّم الإمام أصحابه كيف يقابلون سب العدو بالدعاء لاصلاح ذات البين بينهم، لأن الهدف من الحرب عند أولياء الله إقامة الحق والعدل لا التشفي من العدو.

لقد كانت أخلاق الرسول الأعظم مجسدة في الامام علي وكيف لا تكون كذلك وهو القائل في حق استاذه الرسول القائد: وَضَعَني في حِجْرِهِ وأنا وَلَدٌ يَضُمُّني إلى صَدْرِهِ، ويَكْنُفُني في فِرَاشِه، ويُمِسُّني جَسَدَهُ، ويُشِمُّني عَرْفَهُ، وكان يَمْضَغُ الشيءَ ثمّ يُلْقِمُنِيهِ،... وما وَجَدَ لي كَذْبَةً [illegible]

[illegible]

أخلاق الأنبياء والأولياء هي النبراس، ومصباح الاشراق الذي يشع في طريق الأحرار عبر تاريخ البشرية المظلم، ومن هنا لا نجد أحداً من حكام الدنيا يتحلى بشيء من هذه الأخلاق حتى مع أرحامه وأهل بيته.

أخلاق حكام الدنيا:

هذا الأمين والمأمون ابنا هارون الرشيد الخليفة العباسي الذي كان يحكم العالم الاسلامي بأسره والبالغ نصف الكرة الأرضية بلامنازع.

فبعد أن هلك الرشيد وتولى الخلافة ولده الأمين خلع أخاه المأمون الذي جعله هارون ولياً للعهد بعد أخيه الأمين، ونصب ولده موسى وكان طفلاً صغيراً، فغضب المأمون وجهز جيشاً لحرب أخيه الأمين ووجهه الى بغداد.

وقد وقعت الحرب الغازية في هذه المدينة وحولتها الى مدينة أنقاض، بعد أن سفكت الدماء وهتكت الأعراض، ولم تبق حرمة لله وللرسول إلّا وانتهكت في هذه الحرب كل ذلك من أجل الملك والزعامة الدنيوية بين الأخوة، حتى قتل الأمين وحمل رأسه الى أخيه وكان في خراسان، فأمر المأمون بنصب الرأس في المساجد على خشبة، وأعطى الجند وأمر كل من قبض رزقه ان يلعنه، فكان الرجل يقبض ويلعن الرأس. حتى قبض بعض الجند رزقه [illegible] منه لعن الرأس فقال: لعن الله هذا ولعن [illegible] وأدخلهم في كذا وكذا من [illegible] أمير المؤمنين!! وكان [illegible]

[illegible]

ى الناس لعبد الله بن الزبير؟ فقيل: أخوه عمرو الزبير، فولاه شرطة المدينة فضرب أناساً كثيراً الأنصار بزعم أنهم من أنصار عبدالله أخيه، ثم ه سعيد بن العاص جيشاً بقيادة عمرو بن الزبير ربة عبدالله فخرج عمرو الى أخيه فوجه اليه دالله جيشاً فهزمه وجيء به أسيراً والدم يقطر من يه فأوقفه عبدالله وضربه مائة سوط واقتص منه ل من ضربه، ثم أمر به فسحب الى السجن بعد خرج منه فلم يبلغ السجن ومات، فأمر به عبدالله رح في شعب الجيف وهو الموضع الذي صلب فيه الله بن الزبير بعد ذلك.[٢١]

ملاق الالهية للثورة الاسلامية:

ليس من المبالغة في القول إذا قلنا ان صداماً اهلي أصبح رمزاً للاجرام في عالمنا المعاصر من لال قادسيته التي إبتدعها في هذا العصر لكي سبح من خلالها امبراطور المنطقة بلامنازع. فقد بتر هذا المجرم الجاهل بكل القيم والمبادئ سانية وأعطى صورة حقيقية عن الحضارة المادية ربية منها والشرقية، لأنه في الواقع مرآة لجميع طمة والحكومات التي تدعمه في العالم، فهو الوجه ميقي لريجن وميتران وتاتشر وغيرهم من زعماء رب وزعماء العرب الذين اتحدوا اليوم لمحاربة ورة الاسلامية ولم يتحدوا ساعة واحدة لمحاربة نيل مع انهم منذ (٣٦) عاماً يسرقون و يرعدون ان يرموا اليهود في البحر ومع ذلك [illegible] نل إلا [illegible] ى واحدة من بلاد المسلمين [illegible]

[illegible]

الصهاينة الغاصبين، مع ان هذه الدول تدعي الدفاع عن العرب وعن فلسطين، لقد اغدقت الدول العربية والشرقية السلاح على صدام حتى يقصف المدن الآمنة و يقتل الآلاف من الناس بصاروخ واحد وسط الليل البهيم والناس نيام، ولم يكتف أئمة الكفر بهذه الأسلحة حتى منحته بريطانيا وامريكا القنابل الكيماوية التي لم تستعمل في أي حرب قبل الآن، لم يكتف العفالقة بهذه الأسلحة حتى عبّروا عن حقدهم وحقارتهم بتدمير المدن كاملاً، كما فعلوا بالحويزة وقصر شيرين وغيرها من المدن، هذا بالاضافة الى إبادتهم الناس واعتدائهم على الأعراض، لم يترك هؤلاء الأوغاد سلاحاً ولا جريمة إلّا وارتكبوها ضد الأبرياء.

وفي مقابل هذه الأعمال الشنيعة والغدر والقساوة، نجد الأخلاق الرفيعة والمُثل العليا في جنود الاسلام الذين كانوا ولا يزالون يستقبلون الأسرى من هذا الجيش العفلقي بالقُبلات والترحيب وسعة الصدر والصفح الجميل، وهذا ما تعلموه من قائد الثورة وإمام الأمة الذي كان يأمرهم بالتخلق بأخلاق الاسلام وتعاليمه الرفيعة والإقتداء برسول الله (ص) والتخلق بأخلاقه في حربه مع أعدائه. وقد رأيت يوم فتح الخضر عن عبادان قائد [illegible] يتوسط جنود الاسلام و يأمرهم بواسطة مكبر الصوت ان يعاملوا الأسرى معاملة أخوية كم [illegible]

[illegible]

كان مثلاً آخر للأخلاق المحمدية عندما طارد طائرة عراقية وأراد إسقاطها فعبرت فوق قرية عراقية فتركها حتى اجتازت تلك القرية ثم أسقطها حتى لا تسقط على أهل القرية الآمنين.

وكل من راقب هذه الحرب يجد ان نظام الكفر في بغداد ما ترك حيلة ولا وسيلة ولا جريمة إلّا وارتكبها ضد المسلمين الايرانيين، فقد قصف المدن ودمرها على أهلها بالطائرات والصواريخ، وقتل عشرات الآلاف من الأبرياء ومع ذلك لم يقابله جنود الاسلام مع انهم قادرون على تدمير بغداد في أي وقت، حتى ان هذا النظام الجاهل اعتبر ان ذلك قصور من قبل جنود الاسلام لأنه لا يفهم هذه التعاليم وهذه الأخلاق الرفيعة، وعندما تمادى في غيّه واجرامه قابله جنود الاسلام بالمثل بعد أن أنذروا الناس وأمروهم بالخروج من أحيائهم، وبذلك لقّنوا العفالقة درساً ومنعوهم من قتل الأبرياء.

واما الأسرى العراقيون؛ فان عددهم الضخم وتهافتهم على التسليم أمام جند الاسلام لهو دليل لا يقبل الشك على الأخلاق والقيم الانسانية التي يتحلّى بها جنود الاسلام، ومعاملتهم للأسرى على أنهم ضيوف لا أسرى هو الذي دفع هؤلاء الجنود للفرار الى الجمهورية الاسلامية والتسليم أمام هؤلاء الأبطال، ومن هنا نجد أن المعسكرات للجنود العراقيين في الجمهورية الاسلامية تحولت الى جامعات ومدارس اسلامية لإلقاء المحاضرات والدروس الاسلامية عليهم وتعليمهم وظائفهم الدينية، وقد شعر هؤلاء الجنود بكرامتهم وعزهم وحريتهم بعد أن سلب نظام الكفر في العراق منهم كل شيء وقد انعكس ذلك في حياتهم اليومية فأخذوا يطالبون المسؤولين باعادتهم للجبهات لمحاربة العفالقة وللتبرع بالدم، وأخذوا يرددون ذلك في شعاراتهم و يندّدون بنظام البعث وبموت صدام، بينما

نجد الأسرى الايرانيين في زنزانات البعث ... يلاقون من اضطهاد وتعذيب على يد جلادي ال... يقولون لمراسلي الصحف الغربية بأنهم إذا خرجو... سجون البعث ورجعوا الى وطنهم فسوف يتو... للجبهات لمحاربة العفالقة وهذا ان دل على ... فإنما يدل على الوجه الحقيقي لكل من الـ... الاسلامي في ايران والنظام الجاهلي في العراق.

ان ضيوف الجمهورية الاسلامية ينعمون ... راحة اليوم و يشكرون الله على خلاصهم من الـ... الجهنمي الذي سعر لهم ناراً و رماهم فيها من ... أن يكون لهم أي اختيار في هذه الحرب المجرمة. أثبتت الجمهورية الاسلامية للعالم بأنها لا تعتبر ... أسرى بل هم ضيوف للجمهورية فهم يخرجون ... صلاة الجمعة، و يذهبون لزيارة المشاهد المشرفة، ... طلب من ذوي هؤلاء الجنود زيارة أبنائهم ضـ... الجمهورية الاسلامية وعلى حسابها الخاص إ... العفالقة في العراق راوغوا عدة أشهر وأخيراً منعو... أسرة عراقية من زيارة هؤلاء الجنود حتى لا ... الشعب العراقي على المعاملة الكريمة التي تعاملهـ... دولة الاسلام. وقد وصل الأمر بهؤلاء الجنود لا يشعرون بالغربة ولا يريدون الرجوع الى الـ... مادام النظام البعثي قائماً في العراق، فهم يعيشون بين أهلهم واخونهم وقد جسّدوا هذا الـ... باقامتهم للمواسم الشعرية والتمثيليات والمسرحـ... الاسلامية وهذا دليل واضح على أنهم ليسوا ضـ... فحسب بل هم أهل البلاد يتمتعون بكل - ويحظون بكل كرامة، ولو لم يكن للجمهـ... الاسلامية تلك الانتصارات العسكرية العظـ... لكانت هذه الأخلاق وهذه القيم التي أحيتـ... حربها ضد الكفر هي أكبر نصر للاسلام ولـ... الاسلامية لأن هذه الحرب عرّت العالم بأ... وكشفت الأقنعة عن جميع الأنظمة الحاكمة في

وكانت الفاضحة لكل شيء وخاصة الدول الكبرى التي لا تؤمن إلاّ بشريعة الغاب، وايمان هذه الدول بالقوانين العالمية وحقوق الشعوب المستضعفة ماهو إلا كايمان ناحت الوثن بذلك الوثن الذي نحته.

لقد كشفت هذه الحرب أيضاً عن الوجه الانساني والقيم الأخلاقية والمشاعر الانسانية التي تتحلّى بها الثورة الاسلامية التي أحيت العالم وأرجعت للانسان كرامته المهدورة، وهكذا سخّر الله سبحانه وتعالى صداماً التكريتي وأسياده من الدول الاستعمارية لتصدير الثورة الاسلامية وفتح الطريق أمام سيلها العارم، كما سخّر الله تعالى فرعون لرعاية موسى وحمايته، وقد جعل الله نهاية فرعون وغرقه على يد موسى، وصدق قائد الأمة ومفجر الثورة الاسلامية المعاصرة الامام الخميني حينما قال في أول يوم للحرب: **الخير فيما وقع، سوف نصفع حزب البعث صفعة لن تقوم له بعدها قائمة** ●

الهوامش

١ ــ البقرة، آية: ١٥٥.

٢ ــ الكامل ٢/ ٢٠٠ تاريخ الطبري ٢/٦٢٦ مسند أحمد ٤/٣٢٩.

٣ ــ الكامل لابن الاثير ٢/٢٦٥ صحيح مسلم ٥/١٤٤ مصنف عبدالرزاق ٥/٢٠١ سنن ابن داود ٣/٥٤ مجمع الزوائد ٥/٣١٦ الكافي ٥/٢٩.

٤ ــ كنز العمال ٤/٤٣٧.

٥ ــ سنن الدارقطني ٤/١١٦.

٦ ــ الكامل ٢/١٣١ مغازي الواقدي ١/١١٩ سيرة ابن هشام ٢/٣٠٠ تاريخ الطبري ٢/٤٦١.

٧ ــ سيرة ابن هشام ٢/٣٠٠ تاريخ الطبري ٢/٤٦١.

٨ ــ طبقات ابن سعد ٢/٢٢.

٩ ــ مغازي الواقدي ٢/٨٥٤ ــ ٨٥٥ السيرة الحلبية ٣/٩٤.

١٠ ــ الكامل ٢/٢٦٩.

١١ ــ السيرة الحلبية ٣/١٢٥ الكامل ٣/٢٧٠ ــ ٢٧١ طبقات ابن سعد ٢/١٥٤.

١٢ ــ طبقات ابن سعد ٥/٥٥٠ صحيح مسلم ٥/١٥٨ بخاري ٤/٥٥ ابو داود ٣/٥٧ سنن البيهقي ٩/٦٥.

١٣ ــ شرح النهج لابن ابي الحديد ج ١٥/١٠٤ نهج البلاغة باب الكتب رقم ١٤.

١٤ ــ شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٤٨ انساب الاشراف ترجمة الامام علي، تحقيق المحمودي ٢٧٣

١٥ ــ انساب الاشراف ص ٢٥٠، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٧، تاريخ الطبري ج ٤ ص ٥٤٤.

١٦ ــ نهج البلاغة باب الخطب رقم ٢٠٦.

١٧ ــ نفس المصدر السابق.

١٨ ــ انساب الاشراف ص ٣٥٩، الاموال لابي عبيد ص ٢٩٦.

١٩ ــ نهج البلاغة خطبة القاصعة ص ١٩٢.

٢٠ ــ مروج الذهب.

٢١ ــ طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٨٦.

العاشقون

إبراهيم رفاعة

يا هذا الليل..

يا أيّها الليلُ الذي يَنطوي علىٰ أسراره، حينَ يُخيِّمُ علىٰ البسيطة.

ياليلَ المستريحين الى عُذوبةِ المناجاة،

ياليلَ المكدودينَ في العملِ والمصابرةِ والجهاد،

ياليل الذين يَتَّكِئون علىٰ جدارِ الطمأنينةِ بعدَ ساعاتِ المعاناةِ والصبر الطويل، ياليلَ الذين يستعذبون أن يقطعوا ساعاتِ الاستراحةِ في مواقع المجاهدة العظيمة،

ياليلَ الذين ينامون واقفين.. كما تنام الأشجارُ المثمرة الخضراء،

ياليل الذين تكتحلُ عيونُهم بِكُحْلِ العشقِ السماويّ،

ياليلَ الذين يَتلمّسون الطرقاتِ والمُنعطفات، بحثاً عن بوابةٍ منْ بوّاباتِ الملكوت،

ياليلَ الذين لا يُريدون غير الله، لأنّهم لا يُحبّون غير الله.

ياليل الرجالِ الإلهيين.. الذين يَمُرّون في هذه الحياة العابرة شأنَ القدّيسين بأقدامٍ لا تكاد تُلامِسُ الأرض، ولكنّ عملهم في الناسِ راسخٌ رسوخَ الجِبال.

هؤلاءِ هُمْ، ياليل..

هؤلاءِ المفعمةُ قلوبُهم بالعِشق المتنوِّر،

هؤلاءِ الطافحةُ وجوهُهم بالمحبةِ الغامرة لكلِ مخلوقاتِ معشوقِهم المتفرّدِ بالجمالِ والجَلال.

هؤلاءِ هُمُ الرجالُ الذينَ يكتبون بأناملهم الطاهرة التاريخَ الجديدَ للانسان، في دنيا تُوحِشُها هَمهماتُ الشياطين.

هؤلاءِ هُمُ المتوحّدون بالعشقِ والهمِّ والغُرْبة عن دَنَسِ «إبليسَ» اللعين، وجنودِه التافهين.

هؤلاءِ هُمُ الذين يُريدون للأرض سعادةَ التوحيد، و يريدون للانسانِ عذوبةَ الطمأنينة الشاملة.

هؤلاءِ هُمْ، في مواقعهم، يُكافحون أحزانَ إبليسَ في شرقِ الأرضِ الخرابِ والغرب.

أولاءِ هم ــ يا ربِّ ــ عاشِقُوكَ ومُريدوك،

أولاءِ هم ــ يا ربِّ ــ الرجال الذينَ يحملون هِمماً عالية دونها شوامخُ الجبال، ويحملون قلوباً طاهرةً أنقى من قلوب الأطفال.

أولاءِ هم ــ يا ربِّ ــ يندفعون إليكَ في وَعْرِ الطريق، و يطلبون بشوقٍ لقاءَكَ في الأبدية.

إنّ نَظَرَكَ يا ربِّ ــ ولا أشكَّ ــ إليهم،

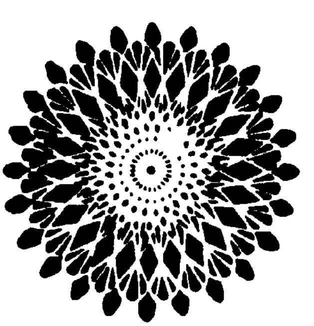
أنتَ ــ يا سيدي ــ تنظرُ إليهم كلَّ يوم، وتنوِّر قلوبَهم كل يوم. ولُطْفُكَ ــ يا إلهي ــ هو الذي يُمِدُّهم و يُغَذِّيهم و يَهْزِم أعداءَهم في كلِ جَولةٍ من جَولات الصراع.

أعداؤكَ مَهزومونَ ـ يا إلهي ـ ولاشكّ ،
بَيْدَ أنَّ كَرَمَكَ العجيبَ يُدخِلُ مُريديكَ والسالكينَ إليك، في المخاضات، لِيَخرُجوا أشدَّ نوراً وأكثر قوّة وإنَّ جودَكَ، الغامرَ يُنقّي عُشّاقَكَ بالتجربةِ الصعبة، ليخرجوا من المصْهَر ـ كما الذهبُ الإبْريز ـ أشدَّ نقاوةً وجَوْدَة...
أنتَ تنظرُ الى جنودكَ ـ يا ربّ ـ ولا أشُكّ ،
وأنتَ تُباركهم، وتشدّهم إليكَ بالعشق.

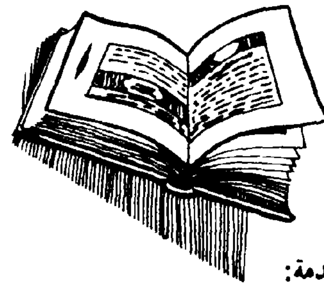
فهل يَمُنُّ كرمُكَ الذي لا يُحَدّ.. هل يَمُنُّ عليّ فينجذب إليكَ قلبي انجذاباً لا مَفَكَّ منه؟!

تلكَ أمينةُ القلوب التي تريدُ أن تجرِّبَ المسيرَ إليك في المسالكِ الوَعرة فهل تَفوزُ قُلوبُنا يوماً بأن لا تَذْكُرَ غيرك ولا تنطوي على محبّةِ سواك ، فتخرجَ من أرضِ الشرك الى سماءِ التوحيد؟!

هو ذا نورُكَ يا ربِّ يَتحدَّرُ كالشلال.. وظَنّي أنّي سأكون لركبِ قاصديكَ من اللاحقين ●



من أدب القرآن



الدكتورعلي حسن السمي

— القسم الأول —

المقدمة:

قبل أن أتناول بعض ماورد في القرآن الكريم من آداب عامة لابُدَّ من مقدمة قصيرة أشرح فيها معنى **«الأدب»** ومعنى **«القرآن»**.

فالأدب معناه لغوياً: الظرف (وهوالكياسة وحسن الهيئة والذكاء والبراعة) ومعناه أيضاً العلم والحلم وحسن الأخلاق. والمأدُبة (بضم الدال وفتحها) والأدْبة (من مادة أدب أيضاً) معناها الطعام الذي يصنع في وليمة او عرس أو دعوة. وكما يتناول الناس الأدْبة لتكون غذاءً للجسد يجب أن يتناولوا الأدب ليكون غذاءً للروح والقلب والنفس جميعاً، وليحيا الجسم والروح في كفتين متعادلتين — على الأقل — فيكون الانسان؛ معتدلاً، معمولاً حسن التصرف، نافعا لنفسه وللمجموع الذي يعيش فيه.

وقد أطلق الأدب في أي لغة على ماورد فيها من شعر ونثر وحكم ووصايا وتجارب مرت بها الانسانية في مراحلها الطويلة عبرالتاريخ، فإذا قرأتْ الأجيال اللاحقة ماكتبته الأجيال السابقة من هذا الأدب، ودرسته دراسة وافية، وفهمته، وعملت بما فيه، وزادت عليه من تجاربها الجديدة، كان زاداً نافعاً لها ولمن جاء بعدها، وأمدها بالقوة والحيوية والعلم والحلم والذكاء ومكارم الأخلاق.

والقرآن الكريم هوالكتاب المقدس الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليقرأه على الناس على مكث، وليقرؤوه من بعده كما قال الله تعالى: **«وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مُكْثٍ ونزّلناه تنزيلاً»** (آية ١٠٦ من سورة الاسراء)، و كما قال: **«فاقرءوا ماتيسر من القرآن»** (آية ٢٠ من سورة المزمل).

وليس القرآن بدعاً من الكتب، كما أن محمداً ليس بدعاً من الرسل، فقد أنزل الله قبل ذلك كتباً مقدسة كريمة على الرسل قبل محمد: فأنزل التوراة على

موسى، والزبور على داود، والصحف على ابراهيم وموسى، والانجيل على عيسى، وكان كل كتاب من هذه الكتب يحتوي مايناسب القوم من تعاليم لو اتبعوها سعدوا في الدنيا والآخرة.

وإنما كان الفرق بين القرآن ومحمد وبين الكتب السابقة والرسل السابقين أن الكتب السابقة والرسل السابقين كانوا لأقوام بعينهم، فكل رسول وما أنزل عليه من كتاب كان خاصاً لقوم فإذا مات الرسول ومن تبعه، انتهى ما كان لهم من تعاليم، وأما محمد والقرآن فمحمد آخر الرسل وهو للناس كافة، والقرآن جمع بين دفتيه جميع التعاليم السابقة وزاد عليها مايناسب البشرية من تعاليم الى أن تقوم الساعة ليكون دستوراً لجميع البشر فى كل زمان و مكان من وقت محمد الى آخر هذه الحياة، ولو اتبعه الناس سعدوا بخيري الدنيا والآخرة.

ولمعرفة أسلوب القرآن ومافيه من بلاغة أعجزت جميع العرب عن أن يأتوا بسورة مثله، ومعرفة ما فيه من تشريع و آداب و اجتماع و عادات و معاملات تنفع البشر و تطهر قلوبهم ونفوسهم من أدران الشرك والوثنية وعبادة المادة، أقول لمعرفة كل ذلك يجب على القارئ أن يكون ذاعلم واسع باللغة العربية وأساليبها المختلفة بحيث يعرف تصريف القول، كما يجب عليه أن ينزه نفسه عن الهوى وسوء القصد، و يكون هدفه الأسمى وغايته العليا هو معرفة الحقيقة والوصول الى لب المعرفة التي يمكن أن يخلطها بعقله ودمه ويخضع لها نفسه و يضحي بكل شيء فى سبيلها بعد الوصول اليها. وأنا زعيم بعد ذلك أنه حتماً سيصل الى الله وسيهتدي الى الحق وحقيقة الوجود والموجد والخلق والخالق «... وَٱتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ، وَٱللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (آية ٢٨٢ من سورة البقرة).

وهناك شيء آخر أظن أنه من المستحسن أن يذكر في هذه المقدمة وهو أن العرب قبل مجيء الاسلام ونزول القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتخبطون في عبادات وعادات و تقاليد ورثوها من أسلافهم كما انحدر بعضها اليهم من بعض الأديان السابقة التي حرفوها وأبعدوها عن قصدها وتعاليمها، وقد أملى عليهم طبيعتهم وظروف حياتهم كثيراً من هذه العادات والتقاليد بالاضافة الى كل ماسبق.

وكان بعض هذه العادات قبيحاً جداً يتنافى مع الانسانية و يؤدي الى فساد المرء وفساد المجتمع، فقضى عليه القرآن الكريم وذلك مثل (وأد البنات) أي قتلهن أحياءً خوفاً من الفقر والعار مما لا يتفق مع ما تقتضيه الانسانية من العطف والرحمة، فقال القرآن الكريم: «ولا تَقْتُلوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وإيَّاكُمْ، إنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبيراً» (آية ٣١ من سورة الاسراء).

خشية: خوف، إملاق: الفقر، يعني: يخطئ خطأً كبيراً هؤلاء الذين يقتلون أولادهم خوفاً من الفقر لأنهم لايستطيعون أن يرزقوهم أو يطعموهم وإنما الله هو الذي يرزق الوالد والمولود. ومثل لعب الميسر وشرب الخمر مما يذهب بالمال والعقل وهما من أهم الأشياء للانسان، فقال القرآن الكريم «يا أيُّها ٱلَّذينَ آمنوا إنَّما ٱلخَمْرُ وَٱلمَيْسِرُ والأنصَابُ والأزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطانِ فَاجْتَنِبوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحونَ * إنَّما يُريدُ ٱلشَّيْطانُ أنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلعَداوَةَ وَٱلبَغْضاءَ فى ٱلخَمْرِ وَٱلمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وعَنِ الصَّلاةِ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهونَ»(سورة المائدة آية ٩٠، ٩١). الميسر: كل أنواع القمار، الأنصاب: حجارة كانت منصوبة حول الكعبة فيهل عليها و يذبح لغيرالله، الأزلام: جمع زلم وهو السهم لاريش عليه، وكان العرب يستقسمون بالأزلام في الجاهلية،

رجس: عمل قبيح، اجتنبوه: ابتعدوا عنه ولا تعملوه، تفلحون: تفوزون وتنجحون، يوقع: يوجد، البغضاء: الكراهية، يصدكم: يبعدكم ويمنعكم، ذكرالله: تذكرالله وطاعته والعمل الطيب الصالح، منتهون: متوقفون عن عمله. والمعنى: ينادي الله المؤمنين الذين يؤمنون بالله ورسوله و يعلمون أن ما يأمرهم به الله. فيه الخير والفلاح لهم، وما ينهاهم عنه فيه الهلاك والخسار ناهياً لهم عن تعاطي الخمر والقمار لأنها من الأخلاق القبيحة، كما نهاهم عن الذبح عند هذه الأحجار المنصوبة وأن يهلوا بغير اسم الله، ونهاهم عن الاستقسام بالسهام: وكانوا يكتبون على سهم: أمرني ربي، وعلى سهم آخر: نهاني ربي، وعلى سهم ثالث: لايكتبون شيئاً، ثم يجيلونها عندما يريدون عمل شيء، فإذا خرج الأول مضوا في هذا العمل، وإذا خرج الثاني توقفوا عنه، وإذا خرج الثالث أعادوا اجالة السهام، وهكذا كانوا يطلبون الأمر من السهام. فبيّن لهم القرآن أن كل ذلك عمل قبيح من تزيين الشيطان، وأن الشيطان يريد أن يبث بينهم العداوة والكراهية ليقاتل بعضهم بعضاً و يفرق جمعهم، وعلاوة على ذلك فانهم سينسون الله والاعتماد عليه كما سينسون الصلاة المفروضة عليهم فيحق عليهم عذاب الله، فطلب منهم القرآن أن ينتهوا عن ذلك لعلهم يفلحون و يفوزون برضوان الله وحسن ارشاده. وغير ذلك كثير في ثنايا القرآن الكريم.

و كان بعض هذه العادات إنسانياً محضاً فأبقى عليه القرآن الكريم لما فيه من تعاطف و تآلف وتواد بين الناس مما يجمع كلمتهم و يوحد صفوفهم ويجعلهم جميعاً على طريق الخير، وذلك مثل حماية الجار، وكان العرب يرون ذلك من الشجاعة وكرم الأخلاق وحسن الآداب، حتى أن بعضهم كان يُعيِّر البعض الآخر إذا ذلّ جاره أو اعتدى عليه معتدٍ، وفي ذلك يقول شاعرهم:

وما ضرنا أنّا قليلٌ وجارُنا عزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذليلُ

أي لايضرنا قلة عددنا مادام جارنا عزيزاً وجار الآخرين الذين لايحصى عددهم ذليلاً مهاناً.

وقال القرآن الكريم: «**واعْبُدوا الله ولا تُشرِكوا به شَيْئاً، وبالوَالِدَيْنِ إحْسَاناً، وبِذِي القُربى واليَتامى والمَساكينِ والجارِ ذي القُربى والجارِ الجُنُبِ والصَّاحِبِ بالجَنْبِ وابنِ السَّبيلِ وماملَكَتْ أيمانُكُمْ...**» (آية ٣٦ من سورة النساء).

دووالقربى: الأقارب، الجار ذوالقربى: يعني الذي بينك و بينه قرابة أو الجار المسلم، الجارالجنب: الذي ليس بينك و بينه قرابة أوالجار اليهودي او النصراني أو الجار مطلقاً، الصاحب بالجنب: الزوجة أو الضيف، ابن السبيل: الذي يمر عليك مجتازاً في السفر، ما ملكت أيمانكم: الأرقاء.

والمعنى: يأمرنا الله أن نعبده وحده لاشريك له وأن نحسن الى الوالدين وذوي قربانا والفقراء والمساكين والجار مطلقاً والزوجة والضيف والمسافر المنقطع عن ماله والى الأرقاء لضعفهم وأسرهم في أيدي الناس.

وكان بعض هذه العادات انسانياً أيضاً ولكنهم أسرفوا فيها حتى تحولت الى ضدها كما يقول المثل العربي: (إذا زاد الشيء على حدّه انقلب الى ضِدّه)، وذلك مثل الكرم، فقد أسرفوا فيه حتى قضى على كثير من أموال بعضهم، بل أن بعضهم كان يجود بكل ماله مخافة أن يقال بخيل كما يحدثنا بذلك التاريخ، فجاء القرآن فحدد هذا الكرم بما لايذهب بمال الانسان أو يجعله فقيراً معدماً، فقال: «**ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلولَةً إلى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلوماً مَحْسُوراً**» (سورة الاسراء آية ٢٩). وسيأتي شرح هذه الآية في مكان آخر.

ثم زاد القرآن بعد ذلك كثيراً من الأحكام الخاصة بالعبادات والمعاملات والآداب التي تصلح لكل زمان و مكان، وهكذا دفع القرآن العرب الى كل ماهو حسن، وحال بينهم و بين كل ماهو قبيح فسعدوا وعزوا عندما اتبعوا سبيله.

ولست بصدد الكلام عن العبادات والتشريعات، وإنما سأتناول بعضاً من آداب القرآن التي تتفق مع كرامة الانسان وعقله وتحضره ومبلغه من العلم والثقافة.

آداب الزيارة والاستئذان:

من الخلق الكريم والأدب الجم وحسن المعاملة بين الناس واحترام الآخرين أن يستأذن بعضهم على بعض قبل الدخول في منازلهم أو زيارتهم في مساكنهم. ولئن كان الناس الآن ــ لوجود التليفون ــ يقومون بالاتصال تليفونياً قبل الزيارة وتحديد موعد اللقاء حتى يكون كل من الصديقين على علم بهذا الميعاد فيعد نفسه ويهيىء بيته لاستقبال صديقه ــ أقول ــ إذا كان الناس يقومون بهذا الآن فما أظنهم إلاّ متأثرين بآداب القرآن الكريم الذي وضع حدوداً لهذا، ووضع سبيل الزيارة منذ ألف وأربعمائة سنة تقريباً، فيقول:

«يا أيُّها الَّذينَ آمنوا لا تَدْخُلوا بُيوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتّى تَسْتَأْنِسوا وَتُسَلِّموا على أهْلِها، ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرون* فإنْ لم تَجِدوا فِيها أَحَداً فَلا تَدْخُلوها حَتّى يُؤْذَنَ لَكُمْ، وإنْ قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعوا فَارْجِعوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ، وَٱللّٰهُ بِما تَعْمَلونَ عَليمٌ* لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أنْ تَدْخُلوا بُيوتاً غَيْرَ مَسْكونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ، وَٱللّٰهُ يَعْلَمُ ماتُبْدون وما تَكْتُمونَ» (الآيات: ٢٧، ٢٨، ٢٩ من سورة النور).

تستأنسوا: تستأذنوا، **تسلموا:** تقولون «السلام عليكم»، **يؤذن لكم:** يسمح لكم بالدخول، **أزكى لكم:** خيرو أطهرلكم، **جناح:** إثم وعقاب، **غير مسكونة:** ليست للسكن كالأماكن العامة، **متاع لكم:** كل ماينتفع به من أمور الحياة، **تبدون:** تظهرون، **تكتمون:** تخفون في نفوسكم.

والمعنى ينادي الله المؤمنين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر والملائكة والرسل والكتب المنزلة على الرسل، والذين هم مستعدون ــ بناءً على ايمانهم ــ لتلقي أوامر الله والعمل بها لأنهم يعتقدون أن فيها سعادتهم فيأمرهم ألا يدخلوا بيوت الآخرين حتى يستأذنوا قبل الدخول ويحيوا من في داخل هذه البيوت بالسلام فيقولون: السلام عليكم.

و يقول ابن كثير ــ وهو من مفسري القرآن الكريم ــ: هذه آداب شرعية، و ينبغي أن يستأذن الزائر ثلاث مرات، فإن أذن له دخل وإلا انصرف، وقد كان الناس في زمن الرسول محمد(ص) ــ أي منذ ألف وأربعمائة سنة تقريباً ــ يستأذنون ثلاث مرات، كما ثبت أن أباموسى ــ واحدمن صحابة رسول الله ــ ذهب ليزور عمربن الخطاب في بيته فاستأذن ثلاثاً فلم يؤذن له فانصرف، فأرسل عمرخلفه من يناديه ــ وكان قد سمعه عند النداء ــ فلما رجع الى عمر سأله: لماذا رجعت ولم تدخل قال أبوموسى: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي، وإني سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **«إذا استأذنَ أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف»**. وقول الرسول يفسر معنى الاستئذان و يبين عدد مراته وهذا يحتم شيئين قبل دخول البيت: السلام والاستئذان وكيفيتها أن يقول أولا: السلام عليكم، و ثانياً يقول: أأدخل؟ فإذا أذن له دخل، وإلا انصرف.

هذا، بل أن من آداب الاستئذان ألا يقف المستأذن أمام باب البيت بوجهه، ولكن ليكن ء

يمين الباب أو يساره، كما كان يفعل الرسول، فلقد ورد عن عبدالله بن بشر (رض) أنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم، لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر.

هذه هي الحالة الأولى، والحالة الثانية: إذا لم يجد المستأذن أحداً في داخل البيت فحكمه حكم من لم يؤذن له فلا يدخل حتى يحصل له الإذن.

والحالة الثالثة: إذا كان في داخل البيت أصحابه، ثم قالوا للمستأذن: إرجع ولا تدخل، فعليه أن يرجع غير محزون ولا غاضب، فربما كان أصحاب البيت في حالة لايميلون أن يراهم عليها أحد، وربما كانوا غير مستعدين للقاء الضيوف وما يجب لهم من الحفاوة والاكرام.

والحالة الرابعة: الأماكن العامة التي يطرقها جميع الناس والتي ليست مخصصة للسكن مثل المحلات العامة للبيع والشراء والحدائق العامة والمكتبات العامة والفنادق والمقاهي وما الى ذلك فلا داعي للمرء أن يستأذن في دخولها.

هذه هي الحالات الموجودة في الآيات، ونحن نرى كيف يحترم القرآن البيوت ويجعل لها حرمتها، وكيف يحترم أصحابها ويحفظ لهم حقوقهم، كما أنه يضع الزائر موضع الاحترام والمحبة فلا يكون متبذلاً أو مكروهاً أو لايحل مكاناً وأهله له كارهون.

وبخصوص هذه الآيات والاستئذان ثلاثاً حتى يعطي أهل البيت الفرصة للاستقبال، وصح رسول الله في حديثه أن الرجل إذا كان في سفر ثم قدم الى أهله من هذا السفر فيجب عليه ألا يطرقهم ليلاً حتى يعطيهم خبراً قبل حضوره الى البيت فتصلح زوجته من شأنها وتستعد للقاء زوجها، وإذا كانت في حالة يكرهها الزوج تركتها حتى لايرى منها مايكره فتدب البغضاء بينهما وتحل الكراهية في قلوبهما، وربما أدى ذلك الى فراقهما.

وتعاليم الرسول تشرح ما في القرآن من أوامر مجملة وتوضح مافيه من أحكام مركزة، فإذا أمر الرسول بالاستئذان على الزوجات ليلاً بعد القدوم من سفر فلأن الاسلام يتعامل مع طبيعة البشر، فليس الانسان ملكاً لايخطىء، وإنما هو بشر تتألب عليه قوى الشر لتنحرف به عن طريق الصواب، وتلوي به الى طريق الخطأ والإثم، وتلك القوى هي النفس والهوى والشيطان. وقد تسول كل هذه القوى للمرأة أن تضل وتقع في الخطأ في غيبة الزوج لعلمها أنه سوف لايؤوب الا بعد المدة المعروفة بينهما. فالاسلام لايريد أن يرى الزوج من زوجته مايكره. هذا، وان الزوجة لتتحرج أن يراها زوجها على هيئة غير جميلة، ولقد قرأت في بعض الصحف يوماً أن سيداً انجليزيا دخل على زوجته حجرتها بغير استئذان فأطلقت عليه الرصاص، والاسلام يتحاشى مثل هذه المواقف. هذا، ولقد بالغ الاسلام فنهى عن النظر من الثقوب أو الفرج التي تكون في الأبواب أو في الجدران ليرى الناظر ماوراء هذه الأبواب أو الجدران، ولو فعل شخص مثل هذا العمل فانه يستحق من أهل البيت أن يفقأوا عينه عند النظر، وفي ذلك قال الرسول **«لو أنّ رجلاً اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح»** يعني: لاعقاب عليك من الله ولا من الناس.

ولقد أورد القرآن الكريم والحديث الشريف كل ذلك في آداب استئذان الأجانب بعضهم على بعض، كما أورد القرآن أيضاً أدب استئذان الأقارب والأطفال في آية أخرى فقال: **«يا أيّها ٱلّذينَ آمنوا لِيَسْتأذِنكُمُ ٱلّذينَ مَلَكَتْ أيْمانُكُمْ وٱلّذينَ لَمْ يَبْلُغوا ٱلحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرّاتٍ: مِنْ قَبْلِ صَلاةِ ٱلفَجْرِ، وحينَ تَضَعونَ**

بُيـاتِكُـمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ، ومن بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ...» (الآية ٥٨ من سورة النور). (وفي الآية ٥٩) يقول «وإذا بَلَغَ الأطفالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتأذِنوا كَمَا اسْتَأذَنَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...»

وقد حددت الآية الأولى أن يستأذن الخدم المملوكون والأطفال الذين لم يصلوا سن البلوغ ـ القدرة على مباشرة النساء ـ في ثلاثة أوقات: أي ثلاث مرات، (الأولى) قبل صلاة الفجر ـ الصباح الباكر ـ لأن الناس إذذاك يكونون نياماً في فراشهم. (الثانية) في وقت القيلولة ـ النوم ظهراً ـ لأن الانسان قد يضع ثيابه في تلك الحال و ينام مع أهله. (الثالثة) من بعد صلاة العشاء لأنه وقت النوم.

وأوجبت الآية الثانية على الأطفال عندما يبلغون السن الذين يستطيعون فيه مباشرة النساء أن يستأذنوا مثل الأجانب في كل الأحوال، ليس في الأوقات الثلاثة السابقة فقط حيث كان مسموحاً لهم ألا يستأذنوا في غيرها.

تلك آداب القرآن في الاستئذان والزيارة، وهي عين التحضر والمدنية وغاية الأدب والأخلاق الكريمة، أمر الله بها الناس في القرآن الكريم وعلى لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ الف وأربعمائة سنة أو يزيد. وقد كان الناس قبل ذلك ينطلق أحدهم الى بيت صاحبه فيدخله بغير إذن و يقتحم عليه مكانه فيصعب عليه ذلك ويحس بالضيق والحرج، ولعله يكون مع أهله فيرى ذلك منه زائره، فغير الله كل ذلك في ستر وعفة وجعله نقياً من الدنس والقذر والدرن.

احترام الآخرين وعدم الاستهزاء بهم:

والقرآن الكريم ـ وهو دستور المسلمين ـ يعلم الناس و يؤدبهم ويهديهم الى ما ينشر الصداقة بينهم، ويؤلف بين قلوبهم، ويجعلهم متحابين متعاونين، و يوحد بين صفوفهم حتى يكونوا كالرجل الواحد، فيذكر من الآداب والأخلاق الكريمة ما يساعد على كل ذلك فيأمر المؤمنين ألا يسخر بعضهم من بعض أو يحتقر واحد أخاه لعيب فيه أو قصور، والرجال والنساء في هذا الأمر سواء فيقول: « يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا لايَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أنْ يَكونوا خَيْراً مِنْهُمْ ولا نِساءٌ من نِساءٍ عَسَى أنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ، ولا تَلْمِزوا أنْفُسَكُمْ، ولا تَنابَزُوا بِالألْقابِ بِئْسَ الإسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فأولَئِكَ هُمُ الظَّالِمونَ» (آية ١١ من سورة الحجرات).

يسخر: يستهزئ، تلمزوا: تعيبوا، تنابزوا بالألقاب: يدعو بعضكم بعضاً بما يكره. فالقرآن يؤدب المؤمنين و يأمرهم أن يحترم كل منهم الآخر ولا يحتقره مهما كان حقيراً أو فقيراً أو به عيب من العيوب، ومن معنى ذلك أيضاً أن يحافظ على حقوقه فلا تمتد يده الى ماله أو الى متاعه أو الى عرضه، وأن يحس بوجوده إذا غاب، وأن يتغاضى عن ذنبه إذا هفا، و يغمض عينيه عن كل عيوبه.

«وَلاَ تَنابَزُوا بالألْقابِ» أي لا يدعو بعضكم بعضاً بالأسماء المكروهة حتى لايخجله أو يصغر قدره بين الناس. تلك من طرق الاحتقار والاستهزاء التي يمكن أن يتعامل بها الناس والتي نهى عنها القرآن وهدد من يفعل ذلك بأنه يخرج من ربقة الايمان الى ربقة الفسق، ومن طريق العدل الى طريق الظلم، وإذن فانه يستحق عقاب الله. وأكد الرسول هذه المعاني وزاد عليها من الأعمال ما يمكن أن يسبب احتقار المرء أخاه، فقال: «لاتحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولايبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله اخواناً، المسلم أخو المسلم: لايظلمه ولا يخذله ولا يحقره،

بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

ولقد نهى الرسول عن أمور من شأنها أن تفرق الجماعة وتنشر العداوة والبغضاء في النفوس فقال: (لاتحاسدوا) أي لا تنظروا الى ما في أيدي الغيرولا الى ماهم فيه من نعم بعيون الحسد وقلوب الغل، لأن الحسد كثيراً مايبعث الحاسد على ارتكاب أعمال تضر بالمحسود وربما تذهب بنعمته، وذلك مما يتنافى ومكارم الأخلاق ومحاسن الصفات.

وقال: «ولا تناجشوا» والتناجش معناه أن يزيد البائع في ثمن الأشياء التي يبيعها ليوهم الناس أنها جيدة النوع وماهي بذلك، وهذا يؤدي الى أخذ مال الغير بغير وجه حق مما يتنافى مع الأمانة والمروءة ومكارم الأخلاق.

وقال: «ولا تباغضوا» أي لايكره بعضكم بعضاً أو يعمل مايؤدي الى هذا البغض ونشر تلك الكراهية.

وقال: «ولا تدابروا» أي لايقطع بعضكم بعضاً أو يعمل مايسبب تلك القطيعة.

وقال «ولايبيع بعضكم على بيع بعض» ومعنى ذلك أنه نهى عن أن يبيع شخص شيئاً لمن اشترى مثله من تاجر آخر بثمن أقل ليوغر صدره ضد التاجر الآخر و ينفره منه فيضر بصالح البائع الأول— وهذا لايتفق مع حسن الأدب.

وقال: «وكونوا عباد الله اخواناً» يأمر الناس أن يكونوا جميعاً اخواناً متحابين متواصلين غير متدابرين.

وقال (المسلم أخو المسلم لايظلمه ...... إلخ) وهو بذلك يحرم أن يظلم المرء أخاه أو يتراجع عن نصرته في الحق أو يحتقره، وجعل ذلك أسوأ أنواع الشر، ثم حرم على كل مسلم دم أخيه وماله وعرضه فلا يقتله ظلماً ولا يأكل ماله ولا يتكلم في حقه بما يشينه.

وكل هذه الصفات التي نهى عنها القرآن ونهى عنها الرسول تتنافى مع حسن الأدب وحسن المعاشرة وحسن الأخلاق.

و يقول القرآن الكريم: «...ولا تَجَسَّسُوا، ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ...» (آية ١٢ من سورة الحجرات).

التجسس: البحث عن العيوب، الغيبة: ذكر الرجل بمايكره في غيبته.

والمعنى: ينهى القرآن المؤمنين عن أن يبحث بعضهم عن عيب البعض الآخر، أو يحاول معرفة الأمور التي يريد البعض اخفاءها عن الناس مادامت لا تضر بصالح أحدٍ أو بمصلحة المجموع أو الوطن، و ينهاهم عن أن يذكر بعضهم بعضاً بما يكرهه في غيبته، وشبّه من يفعل ذلك بالرجل الذي يأكل لحم أخيه وهو ميت، وما أشنع أن يفعل المرء ذلك.

أدب المساواة بين الناس:

و لأجل أن ينشر الاسلام التعاطف والاحترام والحلم والرحمة والانسانية بين أفراد البشر والمساواة التي تقضي على كل تفاخر و كبرياء، وليعرف كل انسان أنه عضو في هذا المجتمع، متساوٍ مع غيره فلايتعالى عليه ولا يستأثر بخير دونه، يقول القرآن الكريم: «يا أيُّها النَّاسُ إنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعوباً وقَبَائِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ...» (آية ١٣ من سورة الحجرات): بهذا الميزان الذي تتعادل فيه الكفف يعرف الناس أنهم متساوون في الخلق والأصل، فما خلق أحد من طين وخلق الثاني من الجوهر، وانما جعل الله الناس أمما وقبائل ليعرف بعضهم بعضاً «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين» (آية ١١٨ من سورة هود) ولا يمكن أن يتميز أحد منهم عن الآخر أمام الله

سا يقدمه من عمل صالح نافع لنفسه ولقومه
نسانية جيعاً.
وهذا يأمر القرآن الناس أن يحترم بعضهم
سا، و ينظر بعضهم الى بعض نظرة الأخوة
ساواة، ويخاطب الرجل أخاه بكل أدب، ويأخذ
ه في الملمات و يساعده في المهمات. وكذلك
م لا تتعالى أمة على أمة بما عندها من
انيات، ولا تستذلها بما لها من قدرات، ولا تنظر
كبيرة الى أمة صغيرة نظرة السخرية والاستهزاء،
يجب أن يتعاون الجميع على الخير والبر وإسعاد
شرية جميعاً حتى يكون موقفهم أمام الله موقفاً
أ.
أرأيت كيف يحمل القرآن الناس على محو
وارق بينهم، فلا أسود ولا أبيض، ولا فقير ولا
، ولا قوي ولا ضعيف، ولا أمير ولا خفير، ولا
ولا سوقة، ولا سادة، ولا عبيد، بل الكل في الميزان
اء. وهذا هو نهاية الأدب والخلق الكريم
واضع الجم، والرحمة الواسعة. وطابق الرسول
آن فقال: «لافضلَ لِعربيٍّ على أعجمي إلاّ بالتقوى»،
الله لاينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم
الكم».
ب الحديث مع العلماء وكبار السن:
و يؤدب القرآن المؤمنين حين يتحدثون الى
مائهم أو الى من هو أكبر سناً وعلماً، و يعلمهم
ف يتحدثون وذلك حين يقول: «يا أيّها الّذينَ آمنوا
قدّموا بَيْنَ يَدَي آللهِ ورسُولِهِ، وآتّقوا آللهَ إنّ اللهَ سَمِيعٌ
يمٌ * يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أصْواتَكُم فَوْقَ صَوْتِ
بيّ ولا تَجْهَرُوا لَهُ بِالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أنْ تَحْبَطَ
مالُكُمْ وأنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ * إنّ آلّذينَ يَغُضّونَ أصْواتَهُمْ عِنْدَ
لِ آللهِ أُوْلئِكَ آلّذينَ آمْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
رٌ عَظِيمٌ». (الآيات ١، ٢، ٣، من سورة
الحجرات).

لا تقدموا بين يدي الله ورسوله: لا تسرعوا في الأشياء بين يديها أي قبلهما، تجهروا له بالقول: أي تتحدثون اليه بصوت مرتفع كما يتحدث بعضكم الى بعض، تحبط أعمالكم: يذهب ثوابها من الله، امتحن الله قلوبهم للتقوى: أي اختارها وأخلصها وجعلها أهلا ومحلا، أجر عظيم: ثواب كبير.

والمعنى: يؤدب الله المؤمنين بما يجب أن يعاملوا به الرسول من التوقير والاحترام والتبجيل والاعظام، فلا يتقدموا برأي على الله ورسوله بل يجب عليهم أن يسمعوا و يتبعوا، لأن الرسول لاينطق عن الهوى ولا يتكلم إلاّ بوحي من الله، و يأمرهم ألا يرفعوا أصواتهم حين يتكلمون الى الرسول، ولا تكون أصواتهم فوق صوته، ولا يرفع بعضهم صوته حين يتكلم الى صاحبه أمام الرسول لأنّ هذا يتنافى مع الأدب والخلق الكريم. وهذا تعليم لجميع الناس كيف يتحدثون الى أساتذتهم وعلمائهم، فلا يليق بانسان يتصرف تصرفاً حسناً أن يتقدم على أستاذه أو يرفع صوته فوق صوت مدرسه، وكذلك إذا خاطب من هو أكبر منه سناً وعلماً يجب أن يخفض من صوته، وإذا تحدث الى أي شخص ألا يجعل صوته أعلى من صوت من يحدثه ولا يقاطعه في الحديث، بل ينتظر حتى يتم حديثه و يصغي اليه بأذن واعية، ثم يعقب بعد ذلك على حديثه بالمنطق السليم والحجة البالغة والأدب الجم. وفي هذا ماينشر الاحترام والمحبة بين الناس فيحترم صغيرهم كبيرهم و يعطف كبيرهم على صغيرهم. وقد قال الرسول ما يعزز ذلك:

«ليسَ منّا من لم يُوقِّر كبيرنا، و يرحم صغيرنا، و يعرف لعالمنا حقه» فالرسول يخرج من جماعة المسلمين من لم يحترم الكبير ومن لم يرحم الصغير ومن ينكر على

العلماء حقوقهم أو يتهاون في مايجب عليه نحوهم من التجلة والاحترام وليس في ذلكمايتنافى مع الحرية الفردية أو الشخصية ـ كما يظن البعض ـ بل فيه ما يؤدب الفرد بأدب الاجتماع و يفرض عليه أن يعمل مايتفق مع الانسانية من خلق كريم واعتراف بالفضل لأصحاب الفضل. وفي حديث آخر يقول الرسول: «إنَّ من اجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، و حامل القرآن غيرالغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط» ومعنى ذلك أن الرجل الذي يعظم الله و يطيع أوامره يجب عليه أن يكرم الشيخ الكبير و يوقره ويحترمه و يشفق عليه و يساعده في الأمور التي تصعب عليه، وكذلك يكرم من يحفظ القرآن كله ومن يستمر على تلاوته والعمل به، و يكرم الحاكم الذي يحكم بين الناس بالعدل والقسطاس المستقيم وبما أمرالله. فالله سبحانه وتعالى يحب هؤلاء ويحب من يكرمهم.

أدب المجادلة:ـ

والاسلام جاء في وقت انحراف الناس عن الأديان السابقة وتحريفهم لقواعدها وتعاليمها وهدفها، فأنزل الله القرآن ليصلح ما أفسده الناس من أمورالدين ومعرفة الله ومانشروه من خرافات وعادات سيئة وأعمال قبيحة توورثت عن الآباء والأجداد، فكان لابد أن يلقى معارضة شديدة من رجال الأديان الأخرى وممن لادين لهم ممن يكرهون أن يضعوا أنفسهم في دائرة الأوامر والنواهي الالهية، وكان لابد أن تكون هناك مجادلات ومناظرات بين المسلمين و بين غيرهم، فأمر القرآن المسلمين أن يجادلوا بالحسنى والأدب الجم ولين الجانب فقال: «**ولا تُجادِلُوا أهلَ الكِتابِ إلاّ بِالّتي هي أحْسَنُ...**» (آية ٤٦ من سورة العنكبوت)، لأن الجدال باللين والحجة والبرهان وحسن الأدب كثيراً ما يحمل على الاقتناع والرضى والاعتراف بالحق، وعلى العكس فان العنف في المجادلة كثيراً ما يحمل على العناد والاصرار ونكران الحق، وحينئذ يستمر الضال في ضلاله و يقصر الداعي عن بلوغ قصده والوصول الى ما يرجو من هداية زميله وأخيه في الانسانية الى خير سبيل. و يقول القرآن الكريم آمراً الرسول الأمين: «**ٱدْعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ وٱلمَوْعِظَةِ ٱلحَسَنَةِ، وجادِلْهُمْ بِالّتي هِيَ أحْسَنُ...**» (آية ١٢٥ من سورة النحل). والأمر للرسول أمر لجميع المؤمنين أن يحسنوا الجدال وليكن برفق ولين وحسن خطاب في أي موضوع كان ذلك الجدال.

و يقول الله تعالى في القرآن الكريم لرسوله موسى عليه السّلام وأخيه هارون حين بعثهما الى فرعون ليدعوا الى الله وليقلع عن ادعائه الألوهية: «**ٱذْهَبْ أنتَ وأخُوكَ بآياتي ولا تَنِيا في ذِكْري* ٱذْهَبا إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى* فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أو يَخْشَى**» (سورة طه الآيات: ٤٢، ٤٣، ٤٤).

آياتي: علاماتي وحججي و براهيني، تنيا: تبطئا، طغى: ظلم و تكبر حين ادعى أنّه إله، ليناً: سهلاً طيباً رفيقاً، يخشى: يخاف و يقلع عما يقول.

أي إدعوا بالحجة والبرهان والدليل والمعجزات ولا تبطئا أو تضعفا أو تفترا في ذكرالله وتذكير فرعون بذلك فانه قد تمرد وظلم وعتا وتجبر على الله وعصاه وادعى أنه إله، وكونا غاية في الملاطفة والملاينة والكلام الرقيق السهل اللين الذي يعطف القلوب و يصل الى العقول ويؤدي الى الاقتناع فلعله يهتدي و يعرف أن له رباً وأن له نهاية فاما الى الجنة واما الى النار.

وهكذا نرى القرآن يؤدب الناس بأدب الجدال الذي يقوم على الحجة والاقناع ولو كان المجادل جاهلاً وأقل من مرتبة الداعي.

ـ التحية:ـــ

و يعلمنا القرآن الكريم آداب التحية فيقول: «وإذا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا...» (آية من سورة النساء). فانه مما يقوي الروابط الانسانية والعلاقات الاجتماعية أن تحيي أخاك عند تلقاه، وأن ترد تحيته بأحسن منها إذا حيّاك، أو على الأقل ـــ تردها مثلها إذا لم تستطع أن تفضله في تحيته. و يعلمنا الرسول كيف يحيي بعضنا بعضاً عند اللقاء فيقول: «إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر لهما» فمن المستحب السلام عند اللقاء والمصافحة ثم حمد الله وطلب المغفرة من الله لكل .

و يعلمنا الرسول أننا اذا تصافحنا فلا ننزع أيدينا من الآخرين حتى ينزعوا، ولا نصرف وجوهنا عنهم حتى يصرفوا هم وجوههم أولاً.

ومن آداب التحية: القيام لأهل الفضل واجلاسهم في أماكننا التي نجلس فيها ومنها إنزال الانسان في المكان الذي يليق به، ومنها المصافحة، ومنها المعانقة، والقبلة بين العينين، ومنها مرحباً بك، ومنها لبيك وسعديك عند رد النداء، ومعناهما: إجابة بعد اجابة وسعادة لك بعد سعادة، والمراد بهما اظهار السرور على المخاطب وإظهار الطاعة له والاخلاص في اجابته.

ـ الطعام والشراب:ـــ

و يقول القرآن الكريم: «... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ...» (آية ٣١، ٣٢، من سورة الأعراف). فيرشدنا الى آداب الطعام والشراب كيف نأكل وماذا نأكل وكيف نشرب وماذا نشرب والى أي حد يكون الأكل والشرب والتمتع بما أحل الله من طيب الرزق. فالطيبات التي أحلها الله من الطعام والشراب هي: كل طعام وشراب صالح لجسمك وعقلك وصحتك، وما حرمه الله: كل طعام وشراب ضار لجسمك مذهب لعقلك محطم لصحتك. ثم أمرنا أن نأكل ونشرب ولكن الى الحد المعمول الذي لايصل الى حد الاسراف وهو الزيادة لأن كل مازاد على الحد يصير الى الضد. فلا نأكل ونشرب حتى تمتلىء المعدة فربما أدى ذلك الى التجشؤ في الطريق أو أمام الناس مما يعززهم و يذهب بكرامة الانسان، وربما أدى الى فساد المعدة، ثم الى اعتلال الصحة وعسر الهضم، ورب أكلة منعت أكلات كما يقولون، وهذه الزيادة التي يأكلها هذا الجشع ربما يحتاجها انسان آخر لايجد مايسد رمقه من الطعام، فلنتفضل بهذه الزيادة على الفقراء والجائعين. و يفسر هذه الآية رسول الله فيقول «ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، فان كان لابد فاعلاً فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس» يعني: ان شر الشرور أن تملأ بطنك بالطعام والشراب حتى لايكون فيها موضع لنفس، وإذا كان لابد ان يتمتع المرء بما يريد من الطعام فليأكل مايريد من هذه الطيبات ولكن ليكن ثلث البطن للطعام وثلث للماء وثلث للنفس. ثم يعلمنا أن نأكل باليد اليمنى، ولا نأخذ طعاماً من أمام إنسان آخر يأكل معنا، فكان يقول لغلامه يؤدبه و يعلمه كيف يأكل «يا غلام: قل: بسم الله، وكل من أمامك، وكل باليد اليمنى» يعني قبل أن يبدأ الطعام لابد أن يذكر اسم الله الذي أنعم بهذا الطعام وغيره و يسره للانسان، ويجب ألا ينسى الله في غمرة لذته وبهجته واقباله على ملء بطنه واستجابة شهوته، وكذلك يأكل باليد اليمنى لأن الله فضل اليد اليمنى على اليسرى، ولا يأكل من أمام غيره لأن ذلك مناف للأدب ودليل على الجشع والنهم وربما دلّ على الغل والحسد.

القلب
في الكتاب والسنة والأدب

أبو وديع / العراق

اهتم الناس قديماً وحديثاً بالقلب. فهو موضع اهتمام الأنبياء والأوصياء والحكماء والأدباء والأطباء وغيرهم.

قال كاتب هذه السطور:

القلب قد ملك الصداره
بين الجوارح عن جداره

ولكن، هل القلب الذي خصه الأنبياء والأوصياء والحكماء والأدباء بالعناية هو نفسه الذي خصه الأطباء بها؟

هل العضو الصغير المخروطي الشكل، والذي لايزيد حجمه عن حجم قبضة اليد والذي ينبض بمعدل سبعين نبضة في الدقيقة، هو نفسه المذكور في القرآن والسنة والأدب؟

هل المضغة الدموية هي موطن الآمال والآلام، والنعيم والشقاء، والإحسان والإساءة، والهدى والضلال، والحب والبغض، والأمن والخوف، والفرح والحزن، والرقة والقسوة، الى غير ذلك من الأحاسيس والمشاعر، والأفكار و الخواطر؟

اسمح لي ــ أيها القارىء الكريم ــ لذكر الأمثلة، لاستنتاج المعنى المراد من القلب فيها:

القلب في القرآن الكريم:

يطيب لنا أن نستفتح بالقرآن الكريم.

لقد ورد لفظ **(القلب)** في القرآن الكريم ست مرات، ومنها:

«... ولو كنتَ فظاً غليظَ القلبِ لانفضُّوا من حولكَ..» [1].

و بلفظ **(قلبك)** ثلاث مرات، منها:

«قُلْ مَنْ كانَ عدوّاً لجبريلَ فإنَّهُ نزّلَهُ على قلبكَ ....» [2]

و بلفظ **(قلبه)** ثماني مرات، منها:

«ومنَ النّاسِ مَنْ يُعجبُكَ قولُهُ في الحياةِ الدُّنيا و يُشهدُ اللّه على ما في قلبِهِ وهو ألدُّ الخصامِ» [3].

و بلفظ **(قلبها)** في آية واحدة، ورد فيها ذكر **(الفؤاد)** أيضاً:

«وأصبحَ فؤادُ أُمِّ موسى فارغاً، إنْ كادتْ لتُبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكونَ مِنَ المُؤمنينَ» [4]

و بلفظ **(قلبي)** مرة واحدة:

«وإذْ قالَ إبراهيمُ ربِّ أرني كيفَ تُحيي المَوتى قالَ أوَلَمْ تُؤمنْ قالَ بلى ولكن ليطمَئِنَّ قلبي...» [5].

و بلفظ **(قلبين)** مرة واحدة:

«ما جعَلَ اللّه لرَجُلٍ مِنْ قلبينِ في جوفه...» [6].

و بلفظ **(قلوب)** احدى وعشرين مرة، منها:

«سنُلقي في قلوبِ الّذينَ كفروا الرُّعبَ...» [7].

و بلفظ **(قلوبكم)** خمس عشرة مرة، منها:

«لايُؤاخِذُكُمُ اللّه باللّغوِ في أيمانِكُمْ ولكنْ يُؤاخِذُكُم بِما كَسَبَتْ قلوبُكُمْ واللّه غفورٌ حليمٌ» [8].

و بلفظ **(قلوبكما)** في آية واحدة:

«إنْ تتوبا إلى اللّه فقدْ صغَتْ قلوبُكُما...» [9].

و بلفظ **(قلوبنا)** ست مرات، منها:

«وقالوا قلوبُنا غُلْفٌ بَلْ لعَنَهُمُ اللّه بكُفرِهِمْ فقليلاً مايُؤمنونَ» [10].

و بلفظ **(قلوبهم)** ثماني وستين مرة، منها:

«خَتَمَ اللّه على قلوبِهِمْ وعلى سَمْعِهِمْ وعلى أبصارِهِمْ غِشاوَةٌ ولَهُمْ عذابٌ عظيمٌ» [11].

و بلفظ **(قلوبهن)** في هذه الآية فقط:

«... وإذا سألتُموهُنَّ مَتاعاً فاسألوهُنَّ مِنْ وراءِ حِجابٍ ذلِكُمْ أطهرُ لقلوبِكُمْ وقلوبِهِنَّ...» [12].

و بلفظ **(الفؤاد)** ثلاث مرات منها:

«ولا تَقفُ ماليسَ لكَ به عِلمٌ إنَّ السّمعَ والبَصرَ والفُؤادَ كُلُّ أولئكَ كانَ عنهُ مسْؤولاً» [13].

و بلفظ **(فؤادك)** في آيتين، وهذه احداهما:

«وكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ به فُؤادَكَ ...»[١٤].

و بلفظ (أفئدة) في ثماني آيات، وهذه احداها:

«واللّه أخرَجَكُمْ مِنْ بُطونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمونَ شَيئاً وجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ والأبصارَ والأفئِدةَ لعلَّكُمْ تَشكُرونَ»[١٥].

و بلفظ (أفئدتهم) في ثلاث آيات، وهذه احداها:

«مُهطِعينَ مُقنِعِي رُؤُسِهِمْ لايَرتَدُّ إليهِمْ طَرفُهُمْ وأفئِدَتُهُمْ هَواءٌ»[١٦].

يتضح لك — أيها القارىء الكريم — من هذه الآيات الشريفة وغيرها أن القلب موطن الايمان والكفر، والهدى والضلال، واليقين والشك، والأمن والخوف، والتآلف والتنافر، والوئام والخصام، والتعاون والتشاحن، واللين والغلظة، والرأفة والقسوة، والاطمئنان والقلق، والخشوع والكبرياء، والصبر والجزع، والسلامة والسقم، والرضا والسخط، والحلم والغضب، والسرور والحزن.

و انه منبع التفقه والتعلم، والادراك والاحساس، والاعتبار والا تعاظ، والتعقل و التفكر.

وتستطيع — ياعزيزي القارىء — أن تستنتج من هذه الوظائف والمهمات المناطة بالقلب، انه الملكة الموجهة العاقلة، والجهة المسؤولة العاملة، وانه القطب والكيان والعماد.

فهل مضخة الدم المسماة بالقلب هي التي تقوم بكل هذه الأعباء بالاضافة الى الجهد الدائب كعضو رئيس في جهاز الدورة الدموية؟

إن المفهوم من القرآن الكريم انه سمى العقل قلباً، سمى تلك الحاسة المسؤولة عن الادراك والارادة و النية قلباً.

القلب في الحديث النبوي:

واذا أردنا أن نقف على معنى القلب في الأحاديث المروية عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نرى أن المفهوم القرآني للقلب يتأكد و يتكرر في الحديث النبوي الشريف. وهذه أمثلة تدلل على هذا المعنى:

«لا تشبعوا فيطفأ نور المعرفة من قلوبكم»[١٧].

«أتحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك، وتدرك حاجتك»[١٨].

«إذا أراد الله بعبد خيراً جعل غناه في نفسه، وتُقاه في قلبه»[١٩].

«استووا ولاتختلفوا فتختلف قلوبكم»[٢٠].

«أقرأوا القرآن فإن الله — تعالى — لايعذب قلباً وعى القرآن»[٢١].

«ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد. قيل: فما جلاؤها؟ قال: ذكر الموت، وتلاوة القرآن»[٢٢].

«تصافحوا يذهب الغل عن قلوبكم»[٢٣].

«خاب عبد وخسر لم يجعل الله ـ تعالى ـ في قلبه رحمة للبشر»[٢٤].

«ذكر الله شفاء القلوب»[٢٥].

«الطمع يذهب الحكمة من قلوب العلماء»[٢٦].

«عمى القلب: الضلالة بعد الهدى»[٢٧].

«ليس الايمان بالتمني. لكن ما وقر في القلب وصدقه العمل»[٢٨].

«أحبوا الله من كل قلوبكم»[٢٩].

القلب في أقوال الإمام علي بن ابي طالب (ع):

و يفهم من معنى القلب فيها ما يفهم من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ومنها:

«ان الله ـ سبحانه ـ لم يعظ أحداً بمثل القرآن، فإنه حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره»[٣٠].

ومن وصيته (عليه السلام) لابنه الامام الحسن (عليه السلام):

«أحيِي قَلْبَكَ بالمَوْعِظَةِ، وأمِتْهُ بالزَّهادَةِ، وقَوِّهِ باليَقينِ، ونَوِّرْهُ بالحِكْمَةِ، وذَلِّلْهُ بذِكْرِ المَوْتِ، وقَرِّرْهُ بالفَناءِ، وبَصِّرْهُ فَجائِعَ الدُّنْيا، وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وفُحْشَ تَقلُّبِ اللَّيالي والأيَّامِ، وأعرِضْ عَلَيْهِ أخْبارَ الماضينَ، وذَكِّرْهُ بِما أصابَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ مِنَ الأوَّلينَ»[٣١].

وقال في الوصية نفسها:

«وإنَّما قَلْبُ الحدثِ كالأرضِ الخالِيَةِ ما أُلْقِيَ فيها مِنْ شيءٍ قَبِلَتْهُ. فبادرتُكَ بالأدبِ قَبْلَ أنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ»[٣٢].

وقال (عليه السلام)

«إنّ [illegible] وإقبالاً [illegible]

[illegible]»[٣٣]

القلب في الحكم والأمثال

[illegible]

[illegible]

قال الشريف الرضي:

ومن جعل القلب الجريء دليله
فكل ظلام عنده غير مظلم[٣٤]

وقال بشار بن برد:

إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر[٣٥]

وقال عمرو بن براقة الهمداني الثالي:

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم[٣٦]

وقال أبو بكر الآلوسي عندما سئل عن موضع رأس الامام الحسين (عليه السلام):

لا تطلبوا رأس الحسين بشرق أرض أو بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا نحوي، فمشهده بقلبي[٣٧]

وقال أبو الطيب المتنبي:

انما تنجح المقالة في المر ء، إذا وافقت هوى في الفؤاد[٣٨]

وقال أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني:

كن كيف شئت من البعا د، فأنت من قلبي قريب[٣٩]

وقال أبو العلاء المعري:

أبينا سوى غش الصدور وانما ينال ثواب الله أسلمنا قلبا[٤٠]

وقال كاتب هذه السطور

ان افترقنا بأبدان وبلدان فنحن بروح قلب واحد حاني

وقال:

رب سعيد هو في قلبي ومن سعيد مصدر الكرب

وقال:

طوبى لمن يأتي بقلب سليم يحكي بمعمور في نعيم مقيم

وقال:

و بذكر غفار الذنوب يسري الأمان الى القلوب

وقال:

ياساعة الروح في الجسد طهر قلوبنا من الحسد

وقال:

يارب هب قلب المحمود حباً يكون بلا حدود

القلب في الدعاء:

ولمكانة القلب بين الناس، خُصّ بالدعاء من بين بقية الحواس، فنراه مذكوراً في أدعية القرآن الكريم والنبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) وغيرهم:

قال ــ تعالى ــ: «رَبَّنا لا تُزِغْ قُلوبَنا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إنَّكَ أنْتَ الوَهَّابُ»[41].

وقال ــ عزوجل ــ: «... رَبَّنا اغْفِرْ لَنا وَلإخْوانِنا الَّذينَ سَبَقُونا بالإيمانِ ولا تَجْعَلْ في قُلوبِنا غِلاً لِلَّذينَ آمَنُوا...»[42].

ومما جاء مروياً عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله):

«ادعوا الله وأنتم مؤمنون بالإجابة. واعلموا؛ أن الله لايستجيب دعاء من قلب غافل لاه»[43].

«اللهم أصلح ذات بيننا، وألّف بين قلوبنا، واهدنا سُبلَ السلام، ونجّنا من الظلمات الى النور، وجنّبنا الفواحش ما ظهر منها وما بَطن. اللهم بارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأرواجنا وذرياتنا. وتُبْ علينا إنكَ أنتَ التواب الرحيم»[44].

«اللهم اني أعوذ بك من علم لاينفع، وقلب لايخشع، ودعاء لايسمع، ونفس لا تشبع»[45].

ولقد تميز الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) بالدعاء والعبادة حتى لقب بزين العابدين وبالسجاد. و (الصحيفة السجادية) آية في بلاغة الدعاء. وقد تردد فيها ذكر القلب، ومن ذلك:

«اللهم صلّ على محمد وآله وفرّغ قلبي لمحبتك، واشغله بذكركَ، وانعشه بخوفك وبالوجل منك، وقوّه بالرغبة إليكَ، وأمِلْه إلى طاعتك، واجر به في أحب السبل إليكَ، وذلّله بالرغبة فيما عندك أيام حياتي كلها»[46].

ومن دعائه في يوم عرفة:

«وخذ بقلبي الى ما استعملت به القانتين، واستعبدت به المتعبدين، واستنقذتَ به المتهاونين»[47].

«الحمدلله الذي تجلّى للقلوب بالعظمة»[48].

«إلهي ما ألذ خواطر الإلهام بذكركَ على القلوب»[49].

«إلهي بكَ هامت القلوب الوالهة»[50].

وللامام الصادق (عليه السلام) دعاء فيه نصيحة للغاصبين تتعلق بالقلب:

«اللهم أذهب عني غيظَ قلبي، واغفرلي ذنبي، وأجرني من مضلات الفِتن. أسألكَ برضاكَ، وأعوذُ بكَ من سخطك. أسألك جنتك، وأعوذ بكَ من نارك. أسألك الخير كله، وأعوذ بكَ من الشر كله. اللهم ثبّتني على الهدى والصواب، واجعلني راضياً مرضياً، غير ضال ولامُضل»[51].

القلب واللسان:

كثيراً مايذكر القلب مقروناً باللسان:

قال تعالى: «... يقولونَ بألسِنتِهِمْ ماليسَ في قلوبِهِمْ...»[٥٢].

وقال النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): «لايستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»[٥٣].

وقال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): «لسانُ العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه»[٥٤].

وقال عامر بن عبد قيس: «الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان»[٥٥].

وقال كاتب هذه السطور:

المـرء بـالـقـلـب و بـاللـسـان   طـوبى لمـن طـاب لـه الاثـنـان

القلب والبصر:

قد خصت العين من بين حواس الانسان بأن لها تأثيراً كبيراً على القلب و بأن له تأثيراً عليها:

قال الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام): «القلب مصحف البصر»[٥٦].

وقال الشريف الرضي:

هامت بكَ العين لم تتبع سواكَ هوى   من عـلَّمَ العين أن القلب يهواكِ[٥٧]

وقال ابن نباتة السعدي:

فليس ينام القلب والجفن ساهر   ولا تهمد العينان والقلب منتضى[٥٨]

وقال أيضاً:

ألا ان عين المـرء عـنـوان قـلـبـه   تخبر عـن أسـراره شـاء أم أبى[٥٩]

و يلاحظ على كثير من فاقدي البصر الشيوع والذكاء والفطنة كأنهم يعوضون عن هذا الفقدان بنور القلب، و بفطنة الفكر، ورهافة الحس. والى هذه المعاني يشير أصحاب هذه الأقوال:

قال بشار بن برد:

إذا ولـد المـولـود أعـمـى وجـدتـه   وجـدك ، أهـدى من بـصير وأجـولا

عـمـيـت جـنـيـنـا والـذكـاء من العمى   فـجـئـت عـجـيـب الظن للعلم معقلا

وغـاض ضـيـاء الـعـين للقلب فاغتدى   بـقـلـب اذا مـاضيَّع الـناس حصلا[٦٠]

وقال بشاره عبدالله الخوري:

عـثرات الـعـيـون نـصـف حياة المرء   مـهما يـكـن رصـيـنـاً رزيـنـا

ربّ شاكٍ فقد العيون ولا ينفك يهدي العيون للمبصرينا[٦١]

وقال كاتب هذه السطور:

وكم من فاقد العينين أضحى يرى بالقلب خيراً من بصير

تقلب القلوب:

اشتهر عن القلب بأنه سريع التقلب، وأنه سمي قلباً لأنه يتقلب. وإليك ــ أيها القارىء العزيز ــ مايدلل على هذا:

قال تعالى: «...**يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار**»[٦٢].

وجاء في (لسان العرب): وقال بعضهم: سمي القلب قلباً لتقلبه، وأنشد:

ما سُمّي القلب إلاّ من تقلبه والرأي يصرف بالانسان أطوارا

وروي عن النبي (ص) انه قال: «**سبحان مُقلب القلوب**» انتهى كلام (لسان العرب). وجاء عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال:

«**لقلب ابن آدم أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياناً**»[٦٣].

«**مثل القلب مثل ريشة بأرض تقلبها الرياح**»[٦٤].

وروي عن الامام علي بن الحسين (عليهما السلام):

«**إلهي إليكَ أشكو قلباً قاسياً مع الوسواس متقلبا**»[٦٥].

القلوب القاسية:

هل هناك قلوب قاسية، وأخرى رحيمة؟ هل هناك قلوب تشبه الحجارة والصخر والحديد؟ وهل القلوب النابضة بالحياة من قبل الولادة وحتى الوفاة، في الليل والنهار، في النوم واليقظة، هي المقصودة بالقسوة؟

قال تعالى: «**ثمّ قَسَتْ قُلوبُكُمْ مِنْ بَعدِ ذلِكَ فَهِيَ كالحِجارَةِ أو أشَدُّ قَسْوَةً...**»[٦٦].

وقال ــ عزوجل ــ: «**فَبِما نَقْضِهِمْ ميثاقَهُمْ لَعَنّاهُمْ وجَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيةً...**»[٦٧].

وروي عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

«**أربع خصال من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، وبُعد الأمل، وحب البقاء**»[٦٨].

«**اطلبوا الفضل عند الرحماء من أمتي تعيشوا في أكنافهم، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم**»[٦٩].

«**من تعوّد كثرة الطعام والشراب قسا قلبه**»[٧٠].

وقال الامام زين العابدين (عليه السلام) في دعاء عرفة:

«ولا تمدد لي مداً يقسو معه قلبي» [٧١].

وقال صفي الدين الحلي:

إنما هذه القلوب حديد   ولذيذ الألحاظ مغناطيس [٧٢]

وقال كاتب هذه السطور:

هناك قلب قد من صخر   وآخر أرق من زهر

لذا ترى هذا الى الخير   يسعى، وذا يمعن في الشر

القلوب الطائرة:

هل القلوب تطير كما تطير الطيور؟

الجواب نجده في الأبيات التالية:

قال المفضل بن سلمة:

إذا هبَّت الريح الشمال هفا لها   فؤادي حنيناً نحوهم فهو طائر [٧٣]

وقال علي الشرقي:

ليس قلبي من الطيور ولكن   راعه ما أرى فكاد يطير [٧٤]

وقال كاتب هذه السطور:

القلب طار وما هوى   لما تعلق بالهوى

قلوب لا تشيب:

يدّعي لفيف من الشعراء ان قلوبهم تبقى شابّة مهما تقدم بهم العمر، وفتية حتى وان اشتعل الرأس شيبا، و يافعة يانعة وان صاروا شيوخا، ومنهم:

ابن المعتز حيث قال:

سحرتني الدنيا وعادت لذا   ني، فجسمي كهل، وقلبي صبي [٧٥]

وعبد الله بن محمد الملقب بالكامل الخوارزمي في قوله:

وإن أك قد ناهزت ستين حجة   فقلبي في طبع الصبابة يافع

وأحمد الصافي النجفي القائل:

وإن اكتهل أو أشب فالفؤاد   صبي، وطفل الهوى ما اكتهل

قلوب تحترق:

وطالما احترقت قلوب شعراء لأغراض متعددة، وهذه أمثلة على ذلك:

قال عابد بن المنذر العسيري:

هـل الـوجـد إلّا أن قـلـبي لـودنـا ... من الجمر قيد الرمح، لاحترق الجمر[٧٨]

وقال عمر الخيام:

أولى بهـذا الـقـلـب أن يخـفـقـا ... وفي ضـرام الحـب أن يحـرقـا[٧٩]

وقال كشاجم:

لا تـلـم في الـبـكـاء فـالـدمع لو لم ... يجـرفي الخـد كـان في القـلـب جمرا[٨٠]

وقال أبو الحسن التهامي:

إني لأرحـم حـاسـدي لحـرّمـا ... ضـمـت صـدورهـم مـن الأوغـار

نـظـروا صـنـيـع الله بي فـعـيـونهـم ... في جـنـة، وقـلـوبهـم في نـار

قلوب معدة للرعي والسكنى والكتابة:

وهل تصدق ــ أيها القارىء الكريم ــ إذا قيل لك: إن القلوب قد تكون مراعي على لسان:

الشريف الرضي القائل:

يـاظـبـيـة الـبـان ترعـى في خمائـلـه ... ليهـنـك الـيـوم ان الـقـلـب مرعـاك[٨٢]

وابن نباتة السعدي الذي قال:

رشـأ قـد اتخـذ الـضـلـوع كـنـاسـه ... والـقـلـب مرعـى، والمدامع موردا[٨٣]

وماذا تقول إذا سمعت بان شعراء اتخذوا قلوبهم مساكن:

فهذا أبو الفتح محمد بن محمد بن عمر الكاتب يقول:

مـن كـان مـسـكـنـه الـقـلـو ... ب فـلـيـس يـبـعـدُ إن تـنـاءى[٨٤]

وأما أبو محمد غانم المالقي فيقول:

صـيّـر فـؤادكَ للـمـحـبـوب منـزلـة ... سم الخـيـاط مجـال للـمـحـبـينا[٨٥]

وأما الذي نقرأ في قلبه سطرين فهو الشافعي في قوله:

لـو شُـقّ قـلـبي لـبـدا وسـطـه ... سـطـران قـد خُـطّـا بـلاكـاتـب

الـشـرع والـتـوحـيـد في جـانـب ... وحـبُّ أهـل الـبـيـت في جـانـب

إنْ كـنـتُ فيما قُـلـتـه كـاذبـاً ... فـلـعـنـة الله على الـكـاذب[٨٦]

وهل بعد هذه الأمثلة ـــ وهي غيض من فيض ـــ كنا مغالين في قولنا: إن اهتمام الناس بالقلب قد فاق اهتمامهم ببقية الجوارح. ومن الاهتمام به شيوع العبارات. «حبات القلب» «سويداء القلب» «نياط القلب» «مجامع القلب» «من صميم القلب».

ومن صميم القلب نقول: اللهم نزّه قلوبنا من الشحناء، ورقّهْ عنها بالهناء، إنّكَ سَميعُ الدُّعاء●

الهوامش

١ ـــ آل عمران: ١٥٩.

٢ ـــ البقرة: ٩٧.

٣ ـــ البقرة: ٢٠٤.

٤ ـــ القصص: ١٠.

٥ ـــ البقرة: ٢٦٠.

٦ ـــ الأحزاب: ٤.

٧ ـــ آل عمران: ١٥١.

٨ ـــ البقرة: ٢٢٥.

٩ ـــ التحريم: ٤.

١٠ ـــ البقرة ٨٨.

١١ ـــ البقرة ٧.

١٢ ـــ الأحزاب. ٥٣

١٣ ـــ الإسراء. ٣٦.

١٤ ـــ هود. ١٢٠.

١٥ ـــ النحل: ٧٨.

١٦ ـــ ابراهيم: ٤٣.

١٧ ـــ مكارم الأخلاق للطبرسي، منشورات الأعلمي ـــ بيروت ط ٦ ص ١٥٠.

١٨ ـــ نهج الفصاحة دو الترجمة الفارسية، ط ١٥ (١٣٦٠هـ ش) ص ٦.

١٩ ـــ المصدر ذاته، ص ٣١.

٢٠ ـــ المصدر ذاته، ص ٥٦.

٢١ ـــ المصدر ذاته، ص ٨٠.

٢٢ ـــ المصدر ذاته، ص ١٨٩.

٢٣ ــ المصدر ذاته، ص ٢٣٠.

٢٤ ــ المصدر ذاته، ص ٣٠١.

٢٥ ــ المصدر ذاته، ص ٣٣٩.

٢٦ ــ المصدر ذاته، ص ٤٠٦.

٢٧ ــ المصدر ذاته، ص ٤٢١.

٢٨ ــ المصدر ذاته، ص ٥٠٢.

٢٩ ــ المصدر ذاته، ص ٦٦٤.

٣٠ ــ نهج البلاغة، فهرسة: د. صبحي الصالح، ط ١ الخطبة ١٧٦.

٣١ ــ المصدر ذاته باب الرسائل والوصايا ٣١.

٣٢ ــ المصدر ذاته باب الرسائل والوصايا ٣١.

٣٣ ــ المصدر ذاته باب الحكم والوصايا ٣١٢.

٣٤ ــ ديوانه.

٣٥ ــ ديوانه، شرح الطاهر محمد بن عاشور ج ٣ ص ١٤٥.

٣٦ ــ البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق: محمد عبد السلام هارون ط ٣ ج ٢ ص ١٣٩.

٣٧ ــ حياة الإمام الحسين (عليه السلام) لباقر شريف القرشي ج ٣ ص ٤٣٥.

٣٨ ــ يتيمة الدهر للثعالبي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ج ١ ص ٢٢٣.

٣٩ ــ المصدر ذاته، ص ٢٩٣.

٤٠ ــ اللزوميات، تحقيق: عمر أبو النصر، ص ٨٤

٤١ ــ آل عمران. ٨.

٤٢ ــ الحشر: ١٠.

٤٣ ــ نهج الفصاحة، ص ٢١.

٤٤ ــ المصدر ذاته، ص ٩٥.

٤٥ ــ المصدر ذاته، ص ١٠٢.

٤٦ ــ الصحيفة السجادية

٤٧ ــ المصدر نفسه.

٤٨ ــ المصدر نفسه.

٤٩ ــ المصدر نفسه.

٥٠ ــ المصدر نفسه.

٥١ ــ مكارم الأخلاق، ص ٣٥٠.

٥٢ ــ الفتح: ١١.

٥٣ ــ نهج الفصاحة، ص ٥٢٨.

٥٤ ــ نهج البلاغة، فهرسة: د. صبحي الصالح، ط ١ (١٩٦٧م) بيروت ص ٤٧٦.

٥٥ ــ البيان والتبيين، ج ٤ ص ٢٩

٥٦ ــ نهج البلاغة، ص ٥٤٨.

٥٧ ــ ديوانه.

٥٨ ــ يتيمة الدهر، ح ٢ ص ٣٨٩.
٥٩ ــ ديوانه، تحقيق: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، ح ١ ص ٢٤٢.
٦٠ ــ ديوانه، ح ٤ ص ١٥٨.
٦١ ــ ديوانه.
٦٢ ــ النور: ٣٧.
٦٣ ــ نهج الفصاحة، ص ٤٧٧
٦٤ ــ المصدر ذاته، ص ٥٦١.
٦٥ ــ الصحيفة السجادية.
٦٦ ــ البقرة: ٧٤.
٦٧ ــ المائدة: ١٣.
٦٨ ــ نهج الفصاحة، ص ٤٩.
٦٩ ــ المصدر نفسه، ص ٦٤.
٧٠ ــ المصدر نفسه، ص ٥٧٣.
٧١ ــ الصحيفة السجادية.
٧٢ ــ الكشكول للشيخ بهاء الدين العاملي، منشورات الأعلمي ــ بيروت، ج ١ ص ٢٢.
٧٣ ــ تاريخ الأدب العربي ــ عمر فروخ، ط ٢ ج ٢ ص ٣٧٤.
٧٤ ــ ديوانه، جمع و تحقيق: ابراهيم الوائلي وموسى الكرباسي، ص ٤٢٤.
٧٥ ــ شعراء المعتز، تحقيق: د. يونس أحمد السامرائي، ج ١ ص ١٩٧.
٧٦ ــ في التراث العربي ــ د. مصطفى جواد، ج ١ ص ١٦٦.
٧٧ ــ المجموعة الكاملة لأشعار أحمد الصافي النجفي، ص ٤١.
٧٨ ــ شرح شواهد المغني للسيوطي ــ منشورات لجنة التراث العربي، ج ١ ص ١٧٣.
٧٩ ــ رباعيات الخيام، ترجمة: أحمد رامي، نشر مكتبة عريب، ص ١٠٢.
٨٠ ــ ديوانه، تحقيق: خيرية محمد محفوظ، ص ١٩٤.
٨١ ــ تاريخ الأدب العربي ــ عمر فروخ، ج ٣ ص ٧٦.
٨٢ ــ ديوانه.
٨٣ ــ ديوانه، ج ٢ ص ٦١٢.
٨٤ ــ في التراث العربي ــ د. مصطفى جواد، ج ٢ ص ١٠٢.
٨٥ ــ يتيمة الدهر، ج ٢ ص ٥٨.
٨٦ ــ النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، ط ٤ ص ٢١٨.

المرأة وطموحات الرسالة



وقفات [illegible]

زينب الأسدي

خديجة بنت [illegible] الكبرى (رض) المسلمة [illegible]

[illegible] خويلد.. زوجة النبي (ص) [illegible] ج عليها في حياتها مع أنه [illegible] منه بخمسة عشر عاماً.. لقد [illegible] نفسها و[illegible] موسرة ذات الحسب والنسب الشريف [illegible] الواسع وهو اليتيم الفقير المعدم.. إنها تعطي لنا صورة جميلة عن كيفية اختيار الزوج، ليس المهم ماله وغناه وجماله بقدر ما المهم خُلقه و[illegible].. أولاد الرسول (ص) كلهم منها إلاّ ابراهيم.. أول من أسلم بالدعوة الاسلامية. و يدور الجدل هل [illegible] أسلمت قبل علي [illegible] هو أول [illegible]؟.. لحسم [illegible] إنها أول من [illegible] أسلمت من النساء [illegible] من أسلم من الرجال.. بقيت [illegible] الدعوة الاسلامية وترفدها بمالها [illegible] ثروته كله [illegible] توفيت بعد مقاطعة [illegible] المسلمين [illegible] شعب أبي طالب والذ[illegible] أكل تراب الأرض [illegible] شدة الجوع. إنها [illegible] الو[illegible].. وتوفيت بنت [illegible] أبي [illegible] نفسي [illegible] منها [illegible]

بي حين كذّبني الناس، وواسنني بمالها حين حرمني الناس، ورزقت منها الولد وحرمت من غيرها».

في الحقيقة اننا حينما نقول إنها أول من أسلمت فهذا الاسلام ليس من قبيل العاطفة كما يتصور البعض، وإلاّ لوكان كذلك لأصبح إسلامها إسلاماً لاوعي.. إسلاماً أعمى، ولارتدّت عنه عند أول عثرة تقف في طريقه.. أو انها تقف الموقف الأعوج.. الموقف غير المناسب عند العثرات والصعاب التي واجهت الدعوة المباركة.. إنها ليست مثل امرأة نوح وامرأة لوط.. إنّ ايمانها كان عظيماً واسلامها كان واعياً.. لقد وعت أن محمداً(ص) هو النبي الموعود على لسان النصارى واليهود، وكما قال لها ابن عمها ورقة بن نوفل انه آخر نبي من أنبياء الله..

إن دعوته إلهية مسددة من قبل الله تبارك وتعالى، وهذا هو الذي جعلها تبق ثابتة باسلامها لم تهزها أي رياح آثمة.. هذا الايمان الذي عمر قلبها الطاهر هو الذي جعلها تقدّم كل ما عندها من أموال من أجل نصرة الرسالة الجديدة. كل انسان له غريزة حب التملك، فهو يحب أن يملك وليس من السهولة أن يقدم كل الذي جمعه في سنين طوال من أجل دعوة جديدة اتُّهم صاحبها بالجنون.. إنّ خديجة صاحبة التجارة العظيمة التي كانت تنافس تجارة سادات قريش والتي كانت تتوجه صوب الشام كل عام لتجلب المال الوفير.. خديجة تقدّم كل ما تملك وتهبه لمحمد (ص) كي يعتق به الفقراء والعبيد الذين اضطهدتهم قريش واذتهم لأنهم آمنوا بالرسالة المحمدية، وكم من رقبة أعتقتها هذه المرأة بأموالها.. كانت ترسل المال الى النبي (ص) ليشتري به العبيد من سادة قريش ثم يعتقهم ليكونوا أحراراً..شيء صعب لمن كان ينمّي هذا المال ليزداد سعة ووفرة ثم يقدّمه في لحظات من أجل إرساء دعائم الرسالة الجديدة.. إنه نكران الذات.. وهو العطاء.. العطاء العظيم الذي قدّمته للرسالة. وهذا ما يبيّن كيف أن الاسلام تثبّت بمال خديجة وسيف علي (ع) وحماية أبي طالب (رض)..

إنّ هذا بالضبط على العكس من موقف نسائه (ص).. لقد أردن زينة الحياة الدنيا، وكُنّ لايكترثن إذا ما تطلّقن من رسول الله (ص).. كُنّ يقلن له: لعلك انك إنْ طلقتنا أن لاتجد الأكفاء من قومنا يتزوجوننا، مما حدا برسول الله (ص) أن يعتزلهنّ تسعة وعشرين يوماً، فأنزل الله آية التخيير: **«يا أيّها النّبيُّ قُلْ لأزْواجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنيا وزِينَتَهَا، فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَميلاً * وإنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ ورَسُولَهُ والدّارَ الآخرةَ فإنَّ اللهَ أعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أجْراً عظيماً»** فقامت أم سلمة (رض) قائلة: قد اخترت الله ورسوله، فقامت بقية نسائه فعانقنه وقلن مثل الذي قالت، إلاّ فاطمة بنت الضحاك فأنها اختارت الدنيا ففارقها (ص) فبقيت في

شقاء طول حياتها.. الموقف المعاكس لخديجة (رض).. انطلق أيضاً من نساء النبي (ص)؟! ونحن ألا نلمس مواقف خديجة من جديد في كل ثورة إسلامية ناشبة.. كم من الدعاوي المضللة والكلمات الكافرة التي يتفوّه بها أعداء الاسلام لمحاربة الاسلاميين ومن طبّقوا منهاج الرسالة فثاروا في وجه الحكومات الكافرة.. ونجد الصمود مقابل هذه الدعاوى والكلمات.. أولم تسمع خديجة الكثير من الكلام القبيح عن رسول الله (ص) فلم يزدها ذلك إلاّ إيماناً بالرسالة وآنشداداً إلى اللّه تبارك وتعالى؟.

وكم من امرأة أعادت دور خديجة من جديد حين ساهمت بمالها في نصرة الثورة الاسلامية.. نسمع كثيراً عن الأخوات اللائي يقدمن الحلي والمجوهرات من أجل دعم جبهات الحرب التي تخوضها ايران الاسلام ضد الكفر والاستكبار العالمي، مع أن المرأة تحب الزينة،وتبذل وسعاً لشرائها.. يقول أحدهم؛ إنَّ البائعات في اليمن (في القرى والأرياف) يصمن دهراً طويلاً من أجل شراء عقد خاص ترتديه هؤلاء البائعات. ولقد سمعنا عن تلك المرأة المسلمة التي قدّمت الحلي التي أهداها لها زوجها الشهيد في زواجها وهي تقول إن هذه الحلي هي لتذكار الزوج الراحل وهي تعتزبه اعتزازاً شديداً ولا تجد ما يُعبّر عن اعتزازها به إلاّ أن تقدّمه للدولة الإسلامية التي ضحّى زوجها الشهيد من أجلها.. وتلك المسلمة العراقية المهجّرة التي غصب منها فرعون بغداد (صدام) كل مالها تَمرُّ بجماعةٍ يحكون لها عن أوضاع المهجرين المأساوية وحاجتهم الى المعونة المادية فلا تجد ما تقدمه سوى خاتم زواجها الذي هو آخر ما بقي لها من المال.. إنها خديجة جديدة.. فهل نحن بنات خديجة؟.. لنقدّم إذن ما قدّمت خديجة رضوان الله تعالى عليها.

سُميّة (أم عمار) الشهيدة الأولى:

سُميّة، أم عمار.. من المسلمات الأوليات.. أسلمت بعدما أسلم ولدها عمّار.. كانت جارية عند أحد سادة قريش ثم تزوجها ياسر فأنجبت له ولده عماراً.. آمنت بالدعوة المُحمّدية في بداية ظهورها وكلّفها هذا الايمان نفسها وحياتها!.. لقد وجدت في رسالة الإسلام الكرامة والعزّة للمرأة بعد أن افتقدتها في مجتمع لايرحم الضعيف ولا يكرم المرأة.. وما أن أحسّت قريش بانتشار الدعوة الاسلامية بين عبيدها حتى انبرت لمحاربة كل معتنق لرسالة الله وبكل قوة ووحشية كي يجبروا هؤلاء على ترك دينهم الجديد.. وهم ماحاربوها إلاّ بعد أن استكبرت أنفسهم وعتت عتواً كبيراً فما كان يسيغ لسادة قريش بأن يكونوا بنفس مستوى عبيدهم الذين كانوا يعتبرونهم بهائم خُلقت لخدمتهم!. ومن الذين امتدت اليهم حراب

الكفر لتحاربهم.. سمية.. أم عمار.. إنَّ الكفرة والمشركين على مرِّ الأزمنة لا يساوون بين المرأة والرجل إلاّ في التعذيب والاضطهاد.. كان أبوجهل ـــ لعنه الله ـــ هو الذي يعذبها وفي كل مرة يَعِدها بأن يترك تعذيبها إذا ما عادت الى دين الآباء والأجداد.. الى هبل.. لتقول.. اعل هبل.. غير أنها كانت تجيبه بكلمات صامدة ولا تقول إلاّ كلمة واحدة... أحد.. أحد.. فما كان من اللئيم إلاّ أن ينزل حربته في قلبها ليقتلها.. فكانت سُمية هي الشهيدة الأولى.. وتختلف الروايات، فتارة يقولون إن ياسر زوجها استشهد قبلها، وتارة يقولون إنها استشهدت قبل غيرها.. ولحسم النزاع نقول إنها الشهيدة الأولى.. أول من استشهد من النساء..

نحتاج الى وقفات تأمل أمام هذه الشخصية العظيمة.. لقد آمنت سمية في بدء بزوغ فجر الدعوة المحمدية.. وسمية لم تعش عمراً طويلاً لترى كل الآيات التي نزلت، وربما انها حين استشهدت كانت قد نزلت بضع سور من كتاب الله المبين.. ولم تكن حتى قد نزلت أحكام الله لتنظم شؤون الحياة المختلفة.. لكن هذه المرأة التي لم يطل بها العمر لترى كتاباً كبيراً اسمه القرآن الكريم.. كان ايمانها صلداً قوياً، لم يتزعزع أمام التعذيب، ولم يتهاو أمام الحِراب.. ولم يتضعضع أمام تعذيب ابنها الشاب أو زوجها الكهل أمامها.. من أين جاءت سمية بكل هذه القوة العظيمة من الصبر والثبات؟. ربما أن نساءنا الآن يمتلكن من الفكر والثقافة الكثير الكثير مما يفقن به سمية مرات ومرات، ولكن قليلات هُنَّ اللائي يجسّدن صورة سمية.. لماذا؟.. إنه الحب العظيم.. حب الله الذي عمر قلب هذه المؤمنة لباريء الحياة وخالق البشر.. الحب العظيم الذي فرش رداءه في كل بقعة من نفسها للرسالة الاسلامية ولداعيها محمد (ص) لكنه ليس الحب الأعمى.. الحب الأجوف.. بل انه الحب الواعي.. الحب الهدف.. هدف المسيرة هو رضا الله ومن أجل رضاه لتتعذب.. المهم هو أن يرضى (فحبذا حتى ترضى).. لماذا لا نملك نحن مثل تلك الروحية التي كانت تملكها سمية؟.. نحن لا نملك استعداداً للتضحية وللتعب فقد نتهرّب من أبسط مسؤولية توكل الينا، لأن فيها بعض المشقة! هذا في الوقت الذي كان إيمان سُمية برسالتها.. مجرد قول الشهادتين.. يعني عناءً كثيراً وجهاداً مريراً، و يعني فراقاً أبدياً.. فراق الحياة الى الحياة الأخرى.. السبب هو وجود حب آخر يوازي حب الله فينا و هو حب الدنيا.. وحب النفس.. نريد أنفسنا قبل اسلامنا.. نريد الراحة قبل التعب في سبيل الله.. قد نندفع لخدمة الاسلام لكننا قبل أن نتقدم نفكر.. أين هي أنفسنا؟ وماذا سنجني من هذا

العمل؟.. نريد المكسب الدنيوي. لو كانت سمية تفكر مثل هذا التفكير.. ولو فكرت لحظة واحدة لعادت أدراجها حيث كانت.. لأنها حتماً ستؤثر الراحة على التعذيب الوحشي الذي تتذوق آلامه بصبر وثبات.. إنها كانت تفكر من زاوية واحدة هي الله، ونحن نفكر من زوايا عدّة: الله ـ النفس ـ الدنيا.. وفي كل انطلاقة ننطلقها نختار من بين هؤلاء الثلاثة، وكثيراً ما نقدم أنفسنا ودنيانا على الله، لكن باسم الله!!.. تُرى هل يبيح لنا الاسلام أن نغتاب بعضنا بعضاً لمجرد انهم اسلاميون اختاروا طرقاً جديدة للعمل؟.. وهل يبيح لنا الاسلام أن نفرق ونمزق صفوف الأمة باسم الإسلام؟.. لو أباح ذلك لأباح لسُميَّة الكثير كي تتخلص من العذاب الأليم. وأيها أفضل: تخليص إنسان من الموت، أم الحصول على كرسي وتاج؟!

وبهذا تبقى سُمية التي عرفت القلل من آيات الرحمن مثلاً ومناراً خالداً للصمود.. إنها ليست شيئاً عابراً نمر عليه مرَّ الكرام، بل أن هذه تذكرة.. لقد عادت سمية من جديد في البداية في ايران الاسلام حينما تحدّت الشاه المقبور وتحدّت قواته المدجّجة بالسلاح، وهي المرأة العزلاء.. في يوم واحد استشهدت (٦٠٠) إمرأة. ينقل أحدهم ذلك فيقول.. لقد أمر الجلاوزة النساء بأن يتفرقن فأبَيْنَ فما كان منهم إلاّ أن أطلقوا الرصاص فتساقطت النساء صفاً تلو آخر!.

وفي العراق ذكريات سُمية.. في السجون والزنزانات حيث بناتنا ونساؤنا يلاقين شتى أنواع التعذيب على يد الجلاوزة.. ولست أنسى تلك الواقعة التي حكاها لي أحدهم وقد خرج من السجن حينما وصف أختاً مؤمنة ذات الشعر الطويل.. لقد انتهكوا حرمة كل شيء.. قال لي: إنهم ذبحوا ابنها البالغ من العمر عاماً واحداً أمامها فسحبت الدم من رقبته بعد أن قبلته وهي تبارك له الشهادة فما كان منهم إلاّ أن قتلوها وهي حامل مقرب بعد أن اعتقلوها هي و زوجها وهي حامل من شهرين.. إنها سُميّة جديدة.. بصبر سمية.. و بأيمان سمية و بشهادة سمية..

فاطمة الزهراء... الثائرة الأولى:

بنت خديجة (رض)، و بضعة الرسول.. وأم أبيها.. وزوجة أمير المؤمنين.. وأم الحسنين سيدي شباب أهل الجنة وريحانتي رسول الله.. وأم الحوراء عقيلة بني هاشم وأم المصائب زينب (ع)..

كانت تحفظ كل آيات القرآن الكريم كما جاء في الروايات، وكان (ص) يمرُّ عليها حينما تنزل آيات الله فيخبرها بها قبل غيرها من المسلمين، ولم لا، أليست هي بضعته؟. وقد يتصور البعض بأنه كان يفعل ذلك لأنه

لم يكن لديه أولاد ذكور.. ترى لو كان له أولاد ذكور هل كان سيترك ابنته.. الرأي العظيم الذي يتفوه به الكثير.. ترى ألم تكن باستطاعته تعالى أن يهب لنبيه الكريم وهو حبيبه ذكوراً؟! وهو يهب لمن يشاء ذكوراً ولمن يشاء اناثاً ويجعل من يشاء عقيماً.. شاءت إرادة الله أن يكون نسله من ابنته فاطمة وليس من أولاده الذكور الذين ماتوا وهم صغار.. في مجتمع يتفاخر بالأولاد والبنين واذا بشّروا بالأنثى أسودت وجوههم:

«وإذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأُنثى ظَلَّ وجهُهُ مُسْوَدّاً وهُوَ كَظيمٌ * يَتَوارى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ، أَيُمْسِكُهُ على هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ في التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ» (النحل: ٥٨، ٥٩).

إنَّ الرسالة تريد أن تُعلّم أبناءها ان لافرق بين الذكر والأنثى إلا بالتقوى.. وان لاقيمة لتفاخرهم بالبنين بعدما وجد المقياس الحقيقي للتمييز وهو التقوى.. كم هو عظيم محمد (ص) حينما كان يجز ابنته بالآيات التي نزلت عليه قبل غيرها.. إنها ابنته.. وهو يمنحها الكرامة والاحترام والعزّة والتقدير وإنْ كانت أنثى كباقي النساء.. وهو بهذا يعلمنا كيف نحترم بناتنا ونقدرهم. وأعجب لكثيرين ممن ارتدوا رداء الاسلام يطفئون المبادئ الجاهلية.. يألمون إذا بُشّروا بالأنثى.. ولا يصدقون أن باستطاعة المرأة انْ تقوم بأي عمل يعلمون أنفسهم و يربونها و يزكونها.. و يتركون زوجاتهم و بناتهم مرتعاً للشياطين.. لماذا؟.. لأنه لايرى أنها شيء.. أو يرى أنها دون.. أدهشني قول أحدهم.. لايصدق ان في استطاعة المرأة أن تقوم بأي عمل مهما كان بسيطاً لخدمة الاسلام.. بينما يرى الصيّاد يد قادرين على ذلك.. ألم تمنح الله العصمة للزهراء؟.. الزهراء.. المرأة المعصومة .. كعلي الرجل المعصوم.. ولولا علي لم يكن لفاطمة كفوء من بين كل الرجال والصيّاد يد والسادة.. لماذا منح الله العصمة للمرأة.. هل قلَّ الرجال؟ كلاّ.. إنه تعالى يؤكد على عدم وجود فرق بين الرجل والمرأة وهو يجعل رسالته حيث شاء سبحانه.. و يقول إنها امرأة لكنها قد تكون أفضل من الرجال.. لماذا لانعيد النظر في تعاملنا مع نسائنا وروجاتنا وبناتنا.. فنعطيهم ما أعطتهم الرسالة كواجب علينا؟ ولا نبخس الناس أشياءهم؟. فالويل.. كل الويل.. للمطففين..

شاءت الإرادة الإلهية أن تكمل الزهراء مسيرة أمها بمعاناة أتمة رغم عمرها القصير الذي لم يصل الى العشرين عاماً..

فلقد عاشت الآلام والمصاعب التي عانتها الرسالة وواجهها الرسول العظيم وأصحابه وأهل بيته حتى استقر الاسلام بجرانه وانتشرت أضواؤه.

لقد خرجت المرأة المسلمة في ايران تنادي بسقوط الشاه وتطلب إقامة الدولة الاسلامية متخذة من الزهراء مثلاً يقتدى به

.. وتبعتها أختها في العراق ومصر ولبنان وتونس والمغرب وغيرها من الدول الإسلامية..

ولعلّ الموقف الزهراوي لاينتهي... اننا بحاجة الى إقامة بيوت الأحزان في كل مكان ودار، كي يتذكر الناس القضية.. قضية الاسلام وقضية المعاناة المريرة التي تعيشها الأمة الاسلامية.. قضية السجون والمعتقلات المليئة بالشباب الرسالي في كل دولة من الدول الاسلامية.. المحاربة للإسلام!. وأي أحزان سنتحدث عنها؟ هل هي أحزان الصدر الشهيد؟ أم أحزان بنت الهدى المظلومة.؟

* الى الراغبين في الاشتراك بالمجلة:

■ ترسل الحوالات والصكوك على العنوان التالي

الجمهورية الاسلامية في ايران ــ طهران ــ ص.ب (٣١٩٥ــ ١٥٨١٥) مجلة التوحيد (باللغة العربية).

كما يمكن ارسال قيمة الاشتراك مباشرة على العنوان المذكور أعلاه.

ملاحظة: سعر المجلة في داخل البلاد وخارجها مبيّن في الصفحة الأولى من المجلة.

وتصدر المجلة كل شهرين مرة. و يرجى تسديد قيمة الاشتراك على رقم الحساب التالي:

(٩٠٠٢٥) سازمان تبليغات اسلامي (مطبوعات خارجي) بانك ملي ــ شعبه ٥٤٤ حسابدار ــ خيابان طالقاني ــ تهران.

دراسة مقارنة في :

المصطلحات الاسلامية ومعادلاتها في مختلف اللغات

بقلم : الدكتور الحسيني

الحج

«وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً...»[١].

مقدمة فلسفية عرفانية

إن فريضة الحج كغيرها من سائر الفرائض والعبادات الاسلامية ترتبط بموقف فكري فلسفي عرفاني، إذْ أنّ عبادة الله تعالى وطاعته يجب أنْ تنبع من حرية إرادة الإنسان وكامل اختياره، حيث **«لا إكراه في الدين...»**[٢]. وعلى الرغم من أنّ عالم الوجود بكافة موجوداته، خاضع لله تعالى (تكوينياً) ومسلّم لمشيئته وارادته، إلاّ أنّ الإنسان ــ بطبيعة فطرته وخلقته ــ يختلف عن سائر المخلوقات وقد أُعطي (حرية الاختيار) قَدَراً أوقُلْ ــ بعبارة أخرى ــ أُجبر على (أن يختار). وهذه الحرية الفكرية قد عبّر عنها القرآن الكريم (بالأمانة)، وهي في واقعها مسؤولية عظيمة للغاية، إذ لم يستطع تحمّلها غير الإنسان ــ هذا المخلوق العجيب الغريب ــ **«إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أنْ يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً»**[٣].

ولعظم مقام هذه المسؤولية، أمر الله تعالى ملائكته أن يسجدوا لصاحبها «... **فسجدوا إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين**»[٤].

وقد حمل الشيطان للإنسان غيضاً دفيناً من ساعته تلك، وأصرّ على العصيان بعد إعطائه المُهلة، حيث قال: «... **فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين**»[٥] ــ بعكس موقف الإنسان (العارف) حين تعرّض للمعصية بعد إغواء الشيطان له «... **وعصى آدم ربّه فغوى**»[٦] لم يصرّ على معصيته، بل اعترف بخطيئته وتاب إلى الله تعالى توبة خالصة **«قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإنْ لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من**

يين»[7]، «فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب
إنه هو التواب الرحيم»[8]، واستحقّ بذلك درجة
ين) و (المستغفرين) و (العابدين) «وما خلقت
لإنسَ إلاّ ليعبدون»[9] — أي ليعرفون[10].

نزل الله تعالى على يديه (الشرائع السماوية)
ن له أسلوب الطاعة والعبادة وترسم له طريق
رة والتوبة، إذْ أنّ الإنسان معرَّض للخطأ
سيان، أي ترك الأوامر[11] وقيل من هذا سُمّي
ن إنساناً.

كانت (فريضة الحجّ) البرنامج الجامع لأمّ
ب والطاعات منذ أقدم العصور والعهود، حتى
الروايات — كما سنتبيّن — بأن أوّل من
ا هو (آدم) عليه السلام وبها قُبلت توبته،
حت سُنّة في وُلده من الأنبياء والأئمة وعباد الله
لحين، حتى جاء دور خليل الله (إبراهيم) عليه
لام فعمَّر البيت الحرام وبناه «وإذْ يرفع إبراهيم
عد من البيت وإسماعيل ربّنا تقبَّل منّا إنّك أنت
ع العليم»[12]، وأكّد الفريضة المباركة، وامتحنه
عالى — كدأبه في امتحان أوليائه وأصفيائه من
ومن بعد — بابنه إسماعيل «يا بُنيّ إنّي أرى في
م أنّي أذبحك...»[13] فأجاب الولد الصالح
يع لله ولرسوله «... يا أبتِ افعل ما تُؤمر ستجدني
اء الله من الصابرين»[14]، وذهب به إلى (مِنى)
بحه «فلمّا أسلما وتلّهُ للجبين»[15]، وبان صدق
اعة منها وخلوص العبودية، فهداه الله تعالى
ينـاه بذِبح عظيم»[16] ومضت السُنّة على الفداء
هَدْي) و (الطواف) و (الصلاة) «وإذْ جعلنا
، مثابةً للناس وأمْناً واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى
هدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أنْ طهّرا بيتي للطائفين
كفين والرُّكّع السجود»[17]. وهكذا مضت السنة
الإلهية: «... ولنْ تجد لسنّة الله تبديلاً»[18]، في جعلها
فريضةً واجبة على المستطيع من أُمّة محمّد (ص)
وخاتم أنبيائه: «... ولله على الناس حِجُّ البيت من
استطاع إليه سبيلاً...»[19] ونُصّ عليها بأنّها (ركن)
من أركان الاسلام الخمسة بل الركن الذي تتجلّى
فيه كلّ (أصول الدين) و (فروعه) — كما سنبيّن من
الكلام على (صورة الحجّ الجامعة) في الفصل الأخير
من هذا البحث.

والحج — باختصار — تتمثّل فيه كل الأبعاد
العقائدية والعبادية، إذْ بالطواف حول الكعبة المشرفة
(المركز الواحد) «قد نرى تقلُّب وجهك في السماء
فلنُولّينّك قِبلةً ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره...»[20] يتجلّى
(أصل التوحيد) وبالاستنان (بسنّة الأنبياء)
و (الأئمة الهادين)، والتنسّك إلى الله تعالى بمناسكهم
يتجلّى أصلا؛ (النبوّة) و (الإمامة)، وبلباس الإحرام
الموحد والإئتزار بأُزُر تشبه الأكفان يتجلّى أصلا؛
(العدل) و (المعاد)، ليقوم الناس لربّ العالمين
وليحكم الله بينهم بالعدل يوم الدين.

وفي هذا إلماع للأبعاد العقائدية ولأصول الدين،
وأما (فروعه) والأبعاد العبادية المتجلّية في الحجّ،
ففيه فرع (الصلاة) بعد الطواف، وفيه فرع:
(الصوم) «... فصيام ثلاثة أيّام في الحجّ وسبعةٍ إذا
رجعتم تلك عشرةٌ كاملةٌ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري
المسجد الحرام....»[21]، تعويضاً عن (الهَدْي)،
ويجب قبل أدائه إخراجُ الحقوق من الأموال بفرعي؛
(الزكاة) و (الخمس) وفيه فرع (الجهاد) الذي يصوّره
الله تعالى «لم تكونوا بالغيه إلاّ بشِقّ الأنفس...»[22]،
وفيه فرعا؛ (الأمر بالمعروف) و (النهي عن المنكر)
اللذين يتمثّلان باجتماع المسلمين في مؤتمرهم

العظيم هذا، واهتمامهم بالتناصح والتواصي، والإرشاد والتفقه «... **فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم...**»[٢٣] وفيه فرعان؛ (التولّي) و(التبري) حيث تتجلّى في مناسكه من الوقوف بعرفات والمبيت بمزدلفة والهَدْي بمنى، والطواف بالبيت والصلاة فيه، والسعي بين الصفا والمروة وما إلى ذلك. (روح التولّي) لله تعالى ورسوله والذين آمنوا، ورجم الشيطان في الجمار السبع (رمز للتبرّي) من أشياعه وأتباعه، فهل توجد في غير الحج روعة في الدنيا تضاهيه؟!

إذْ كان سبب إسلام كثير ممن شاهده من غير المسلمين... [٢٤]، ولاسيّما إذا كان الحاج واعياً للبعد (العرفاني) الذي ألمح إليه الإمامُ الصادقُ (ع): «**ثمّ اغتسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوةَ الصدق والصفاء، والخضوع والخشوع، وأحرِم عن كلّ شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته**».

ولبِّ ـ بمعنى ـ إجابة صادقة صافية، خالصة زاكية، لله تعالى في دعوتك له مستمسكاً بالعروة الوثقى.

وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت.

وهرول هرولةً من هواك، وتبرأ من حولك وقوتك.

وأخرج من غفلتك وزلاّتك بخروجك إلى منى، ولا تتمنَّ ما لا يحلّ لك ولا تستحقه.

واعترف بالخطأ بالعرفات، وجدّد عهدك عند الله تعالى بوحدانيته وتقرّب إليه.

«**واتّقه بمزدلفة...**»[٢٥]

وإذا لم يكن الحج كذلك فلم يدرك الحاج الهدف الأسمى منه، وكم هي طريفة رقيقة أبيات الشيخ البهائي الملمّعة في (مقام العارف وحج المعرفة):

«يا من بمحياه حلا الكون ورائه
العالم في الحيرة لا يدرك شأنه
أحبابك طهر ولك عنهم إبانه
أي تير غمت بر دل عشاق نشانه
عالم بتو مشغول وتو غايب زميانه
إيّاك بطلب ولقياك هويت
من كل حديث بأسانيد رويت
إن كان إلى الكعبة والبيت أتيت
مقصود تو اى كعبه وبتخانه توى تو
مقصود توى كعبه وبتخانه بهانه
إن في عرفات وبها حسدي دار
أو مشعرها مالسواك خلدي دار
من مثلي من حج إلى الكعبة أوزار
حاجي به ره كعبه ومن طالب ديدار
أو خانه همي جويد ومن صاحب خانه»[٢٦]

هوامش المقدمة:

١ ـ سورة الحج، الآية ٣٤.

٢ ـ سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

٣ ـ سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

٤ ـ سورة البقرة، الآية ٣٤.

٥ ـ سورة ص، الآية ٨٢.

٦ ـ سورة طه، الآية ١٢١.

٧ ـ سورة الأعراف، الآية ٢٣.

٨ ـ سورة البقرة، الآية ٣٧.

٩ ـ سورة الذاريات، الآية ٥٦.

١٠ ـ أنظر الحسيني، أمالي الهادي، المقدمة (ط، بيروت، ١٩٧٥ م).

١١ ــ أنظر الشيخ الصدوق، علل الشرائع. (ح ١، ٦٠، ط. طهران).
١٢ ــ سورة البقرة، الآية ١٢٧.
١٣ ــ سورة الصافات، الآية ١٠٢.
١٤ ــ سورة الصافات، الآية ١٠٢.
١٥ ــ سورة الصافات، الآية ١٠٣.
١٦ ــ سورة الصافات، الآية ١٠٧.
١٧ ــ سورة البقرة، الآية ١٢٥.
١٨ ــ سورة الأحزاب، الآية ٦٢.
١٩ ــ سورة آل عمران، الآية ٩٧.
٢٠ ــ سورة البقرة، الآية ١٤٤.
٢١ ــ سورة البقرة، الآية ١٩٦.
٢٢ ــ سورة النحل، الآية ٧.
٢٣ ــ سورة التوبة، الآية ١٢٢.
٢٤ ــ أنظر محمد أسد، «الاسلام على مفترق ...».
٢٥ ــ د. شريعتي، «حج»، ص ٣ (طهران).
٢٦ ــ رواية سيّدنا الوالد.

ــ الفصل الأول ــ
(مصطلح الحج ومناسكه)

ــ الحج لغة:

الحجّ ــ بفتح الحاء وكسرها وشدّ الجيم ــ هو ...صد مطلقاً، وبلوغ الفلاح[١]، وتحقق القدوم[٢] ...ل التردّد[٣] على الديار أو الأشخاص، إذ يقال: ...جّ الينا فلان أي قدم وحجّه يحجُّه حجّاً: ...دهُ... ورجل محجوج أي مقصود، وقد حَجَّ بنو ... فلاناً: إذا أطالوا الاختلاف إليه)[٤].

وقيل: الحِجّ ــ بالكسر ــ اسمُ الحجّ ــ ...مدر ــ والحِجّة ــ بالكسرة ــ المرّة الواحدة، وهو من الشواذّ، لأنّ القياس بالفتح[٥] (إلّا أنّه لم يسمع من العرب على ما حكاه ثعلب، يدلّ على ذلك ذو الحِجّة من أشهر الحجّ)[٦]، إذ أنّ مصدر المرّة ــ حسب القواعد النحوية ــ على صيغة فَعْلَة ــ بالفتح ــ ومصدر الهيأة على صيغة فِعْلة ــ بالكسر ــ.

٢ ــ الحج اصطلاحاً:

لقد استعملت مادة (الحج) متعددة واصطلاحات مختلفة، وفيما يأتي نذكر بعض دلالاتها وصيغها.

فالحجّ في الاصطلاح الشرعي: «**هو قصد الكعبة المعظمة وزيارة البيت الحرام، وأفعال وأعمال في الأزمنة المخصوصة تقرّباً إلى الله سبحانه وتعالى**»[٧].

وأشار المطرّزي إلى علاقة الاصطلاح بالدلالة اللغوية الأولية، إذْ قال: (**غلب الحجّ على (قصد الكعبة) للنسك المعروف**).

ومثل ذلك صرح ابن منظور بالعلاقة، إذْ قال: (**الحجّ قصد التوجّه إلى «البيت» بالأعمال المشروعة فرضاً وسُنّة. تقول حججت البيت أحجّه حجّاً إذا قصدته، وأصله من ذلك ثم تُعورف استعماله في القصد إلى (مكّة) للنُسُك والحجّ إلى (البيت) خاصّة**)[٨].

قال سيبويه: (**وقالوا «حَجّة» واحدة يريدون «عمل سَنَة واحدة»**)[٩].

وقال الأزهري (**الحَجّ: قضاء «نُسُك سَنَة واحدة»، وبعض يكسر الحاء، فيقول: الحِجّ والحِجّة، وقُرئ: «ولله علىٰ الناس حِجُّ البيت»**)[١٠] والفتح أكثر... وجاء في التفسير أن النبي (ص) خطب بالناس فأعلمهم أنّ الله قد فرض عليهم الحَجّ)[١١].

وقوله تعالى: «**الحجُّ أشهرٌ معلومات**»[١٢] هي:

واِل وذو القِعدة وعشر من ذي الحجة.

وقال الفراء: معناه (وقت الحجّ) هذه الأشهر[13].

وذو الحِجّة، شهر الحجّ، سُمّي بذلك للحجّ فيه.

و (الحِجّة) — بالكسر — (السَنَة) والجمع حِجَج[14]، ونذر خمس حِجَج[15] بهذا المعنى.

و (الحُجّة) بالضم — البرهان، وقيل مادوفع به الخصم.

وقال الأزهري: (الحُجّة): الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل (مِحجاج) أي جَدِل.

و (التحاجّ): (التخاصم)، وجمع الحُجّة حُجَج، وحِجاج. و (احتجّ) بالشيء اتخذ حُجّة.

قال الأزهري: إنّما سُمّيت حُجّة، لأنّها (تُحجّ) أي (تقصد) لأنّ القصد لها وإليها. وكذلك (محجّة) الطريق هي (القصد) والمسلك[16].

وفي حديث الدعاء: «اللهم ثبّت (حُجّتي) في الدنيا والآخرة، أي (قولي) وإيماني في الدنيا وعند جواب الملكين في القبر»[17].

وجاء بهذا المعنى في (الفارسية)، إذ يوضّحه النص الآتي: «حُجّت بمعناي علة است، (استدلال خاصي) است كه مثبت (مقصود) ست، وأزان رو كه موجب غلبه بر خصم ميشود حجّت گويند، از باب نامگذاری (سبب باسم مسبب) وآن يا استقرائي است، ويا تمثيلي اهيت، رجوع به قياس شود»[18].

— لماذا الحجّ إلى الكعبة (البيت الحرام): ؟

بعد أن عرفنا دلالة كلمة الحجّ (لغة) وهي القصد عموماً،

وبعد أن عرفنا دلالات المادة (حج) باشتقاقاتها المختلفة ومعانيها الاصطلاحية المتعددة، والتي ترتبط بشكل أو بآخر بأصل المادة اللغوية، لابُدّ لنا أن نعرف سبب (القصد) إلى الكعبة (البيت الحرام)، و(الحجّ) إلى مكّة المكرمة؟!

فقد جاء في علل الشرائع تعليل[19] ذلك:

«فإن قيل: فَلِمَ أمر بالحجّ؟ قيل لعلّة (الوفادة) إلى الله عزّوجلّ، وطلب الزيادة والخروج من كل مااقترف العبد، (تائباً) ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل، مع ما فيه من (إخراج الأموال) وتعب الأبدان، والإشتغال عن الأهل والولد، وحظر النفس عن اللذات، شاخصاً في الحرّ والبرد، ثابتاً عليه ذلك دائماً، مع الخضوع والإستكانة والتذلل، مع ما في ذلك لجميع الخلق من (المنافع) كلّ ذلك لطلب الرغبة إلى الله والرهبة منه، وترك قساوة القلب، وخساسة الأنفس، ونسيان الذكر، وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق، وحظر الأنفس عن الفساد، مع ما في ذلك من المنافع لجميع مَنْ [في] شرق الأرض وغربها ومن في البحر والبرّ، ممن يحجّ وممّن لم يحجّ، من بين تاجر وجالب، وبايع ومشترٍ، وكاسب، ومسكين. ومكارٍ، وفقير، وقضاء حوائج أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع (فيها) مع ما فيه من (التفقّه) ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلى كلّ صقع وناحية، كما قال الله عزّوجلّ «...فَلولا نَفَرَ من كل فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون»[20]، وليشهدوا منافع لهم».

وقد جاء في تعليل الرسول (ص) (للحجّ) ضمن تعليله لسائر الفرائض، بأنه معادل (لتمام الشريعة) إذ يقول (ص): «جاءني جبرئيل، فقال لي يا أحمد: الإسلام (عشرة أسهم) وقد خاب من لاسهم له فيها، أولها: شهادة أن لا إله إلاّ الله وهي (الكلمة)، والثانية الصلاة وهي (الطُّهر)، والثالثة الزكاة وهي (الفِطرة)، والرابعة الصوم وهي (الجُنّة)، والخامسة الحجّ وهي

(الشريعة)[٢١]...... الخ.

كما جاء عن أميرالمؤمنين علي (ع) (ضمن تعليله للفرائض بأن الحجّ: **منفاة للفقر، ومدحضة للذنب»[٢٢].**

وعن فاطمة الزهراء عليها السلام ضمن تعليلها للفرائض بأنّ الحجّ تسنية للدين[٢٣]. وإلى ماهنالك من تعليلات وفوائد، لايقوى على حصرها هذا البحث المتواضع.

بقي السؤال لماذا إلى الكعبة (البيت الحرام)، وفي مكّة المكرمة ـ بالذات ـ؟

الجواب عن أبي عبدالله (ع): **«إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أراد أن يتوب على آدم (ع) أرسل إليه جبرئيل، فقال له: السلام عليك ياآدم الصابر على بليته، التائب عن خطيئته. إنّ تبارك وتعالى بعثني إليك لأعلّمك (المناسك) التي يريد أن (يتوب) عليك بها، وأخذ جبرئيل بيده وانطلق به حتّى أتى (البيت) (الموضع الحالي) فنزلت عليه غمامة من السماء، فقال له جبرئيل خُطّ برجلك حيث أظلّك هذا الغمام، ثم انطلق به حتّى أتى به (مِنى) فأراه موضع (مسجد مِنى) فخَطّه وخَطّ (المسجد الحرام) بعدما خَطّ مكان البيت، ثم انطلق به إلى (عرفات) فأقامه على العَرَفة، وقال له: إذا غربت الشمس (فاعترف بذنبك) سبع مرات ففعل ذلك آدم: ولذلك (سُمّي العرفة)، لأنّ آدم (ع) اعترف عليه بذنبه فجعل ذلك سُنّة في ولده يعترفون بذنوبهم، كما أعترف أبوهم، ويسألون الله عزّوجلّ (التوبة) كما سألها أبوهم آدم، ثم أمره جبرئيل (ع) فأفاض عن عرفات»[٢٤]** إلى آخر مايشبه المناسك التي عند المسلمين اليوم.

ومن معنى قبول التوبة ومحوالخطيئة سُميت: (مكة؛ للبلد الحرام أو للحرم كلّه لأنها تنفص الذنوب أو تفنيها)[٢٥]

وقد جاء اسم مكّة في القرآن الكريم مرّةً واحدة (سورة (الفتح) من قوله تعالى: «وهو آلذي كفّ أيديَهُم عنكم وأيديكم عنهم (ببطن مكّة) من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً»[٢٦] مشيراً بذلك إلى صلح (الحديبية) كما أشارت إلى ذلك التفاسير[٢٧].

و من أسماء مكّة الكثيرة: (بكّة)... وقال ابن منظور، عن يعقوب: إن بكّة مابين (جبلي مكّة) لأنّ الناس يبكّ بعضهم بعضاً في الطريق أي يزحم... وقيل بل إن بكّة موضع (البيت) وسائر ما حوله «مكّة»، وورد اسم بكّة في القرآن الكريم في موضع واحد من قوله تعالى:[٢٨] **«إن أوّل بيت وُضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدىً للعالمين».**

وأما (الكعبة) ـ التي سميت لتربيعها أو تكعيبها ـ[٢٩] فهي (أول بيت) وضعه الله للناس مباركاً وهدىً، وأقدم معبد مقدّس في الشرق الأوسط (بل الدنيا) فلقد بناه (ابراهيم جدّ الأنبياء) وولده اسماعيل: **«وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربّنا تقبّل مِنّا إنّك أنت السميع العليم»**[٣٠] وكان اسماعيل يجيء بالأحجار وابراهيم يبنيها حتى إذا ارتفع البناء إلى قامة الرجل جيء بالحجرالأسود و وضع مكانه...

أما (**الحجر الأسود**) فقيل: إن جبرئيل أتى به من السماء، وقيل بل صحبه آدم معه من الجنّة حين هبط إلى الأرض، وأنه كان أبيضَ ناصعاً فاسودّ من خطايا الناس، و قيل غير ذلك[٣١]

و يذهب الدكتور نوفل الى استنباط لطيف من الآيات الكريمة حول (قِدَم الحجّ) ورجوعه إلى (عهد آدم) عليه السلام، إذ يقول:

(والحجّ عبادة قديمة واذا لم يمكن القطع بدايتها تحديداً، فإنّ كلّ الأدلة إنّما تؤكد أنّها قديمة قِدم الإنسان نفسه وأنّها ترجع إلى عهد آدم... (فالبيت الحرام) الذي يحجّ إليه الناس هو أول بيت وضع في الأرض وجعل متعبّداً للناس وذلك بنصّ الآية:

«إنّ أوّل بيتٍ وُضع للناس للذي ببكّةَ مُباركاً وهدًى للعالمين * فيه آياتٌ بيّناتٌ مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا...» [٣٢].

والكعبة الشريفة، وهي بيت الله الحرام وجدت قبل سيدنا إبراهيم جد الأنبياء، إذْ تقرر آيات القرآن الكريم أنّ سيدنا إبراهيم (ع) قد أقام قواعد الكعبة وذلك بالنصّ الشريف:

«وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السميع العليم» [٣٣].

وبذلك فقد كانت الكعبة موجودة من قبل سيّدنا ابراهيم، وأنّه رفع قواعدها عند ما أمره الله سبحانه وتعالى، ولهذا يترجح الرأي الذي يقول: **«إنّ طوفان سيدنا نوح قد أصاب أعالي بناء الكعبة الذي أقامه الناس من قبل دون قواعدها... أي أن الكعبة وُجدت قبل سيّدنا نوح كذلك...»** [٣٤].

إن هذه الأقوال وأمثالها كثير، تحكي فكرة تأريخية دينيّة حضارية نريد أن نتصيّدها من خلال بحثنا في دلالات (مصطلح الحجّ) ومناسكه عبر دراسة مقارنة لمعاني الحجّ في مختلف الأديان والمذاهب والمجتمعات واللغات حسبما تسعفنا المصادر المتيسّرة.

إن مصطلح pilgrimage بالانكليزية و pelerinage بالفرنسية و ...pilgrim بالألمانية، وماشابهه من اللغات الأوربية أو المتفرعة عن اللاتينية و (پيغام) بالفارسية واللغات الآرية ذات الصلة بها، معادل لمصطلح (الحجّ) إلى (البيت الحرام) أو (بلاغ) (البلد الحرام) أو زيارة (البيت المقدّس) عموماً، يبدو لنا أنّ العلاقات الدلالية والصوتية نابعة عن (جذر مشترك) نقترحه: (بلاغ) (البلد الحرام) أو (فلاحه): أي قصده وحجّه ... كما سيتبين في الجداول التقابلية الآتية.

ومن خلال مراجعة مادّة pilgrimage في الموسوعة البريطانية نلاحظ ما يأتي:

أولاً: دلالته على إنشاء سفر وقصد بدافع ديني لبلوغ مكان مقدّس و (بيت حرام) و (بلد حرام). كما يدلّ عليه مصطلح (الحجّ) في العربية وأخواتها من اللغات السامية.

ثانياً: دلالته على عمق تاريخي ديني حضاري ولاسيما في الشرق عموماً وفي الشرق الأوسط خصوصاً، إذ عرفته الديانات الهندية والمصرية والأفريقية، وقد مارست مناسكه الديانات السماوية الثلاثة الرئيسة حتى بلغ في الإسلام (زينته) وأوجه من الأهمية والخطورة[٣٥].

ثالثاً: دلالته على مفهوم الاغتسال الروحي والجسدي من الذنوب والأدران، إذْ تتجلى في أغلب الأديان (فكرة الاغتسال) بالماء وتطهير البدن للناس قبل أداء مناسكه حتى في الأديان الرئيسة الثلاثة، إذ جاء عن البراهمانية أنّهم يغتسلون في النهر الذي يمرّ من معبدهم في مدينتهم المقدّسة[٣٦].

إن فكرة الاغتسال من الآثام والخطايا وطلب المغفرة والإنابة (والاعتراف) بالخطيئة والمعصية هي الفكرة الرئيسية التي سيطرت على (دلائل الحجّ) المتعدّدة من خلال مناسكه وأعماله.

إنّ هذه الفكرة الرئيسة من أفكار الحجّ، يمك

ـها بفكرة المعصية القديمة و (الخطيئة الأولى) ـــ
ن بتفسير غير التفسير المسيحيّ الشائع ـــ إذْ كلّ
ان مسؤول عمّا جنت يداه لا ماجناه غيره «كلُّ
ى بما كسبت رهينةٌ» [37] . ولابُدّ له من التوبة
ستغفار و (الإعتراف) بما اقترف وارتكب من
و خطايا بين يدي الله عزّوجلّ ـــ لابين يدي
ه ـــ وإن باب التوبة والإنابة مفتوح و باب
اعة والعبادة مشروع، فليبادر إليها قبل الفوت
ل حلول الموت وذلك ماسنه إلينا أبونا آدم
يه السلام ـــ عند معصيته وإخراجه من الجنّة، إذْ
كن الصفاء فيها أو الرجوع إليها إلاّ بعد التوبة
طهير من العصيان، وأداء فرض الطاعة والعبادة
لصة، حسبما أمره الله تعالى، وهنا يمكن سرّ
ال الكبير ـــ كما عبّر عنه شكسبير [38]:
وهبط به إلى الأرض وهبط (بالحجر الأسود)
ما مرّت الرواية ـــ ليختطّ (البيت الحرام)
ـعبّد الله كما أمره ويحجّ إلى (بيته) لطلب المغفرة
ـبة، حيث جعله الله تعالى: «مثابةً للناس وأمْناً»
لدن زمانه إلى يوم يبعثون. وهذا كلّه يمكن أن
الأضواء على (مصطلح الحجّ) إلى (البلد الحرام)
pilgrimag و (پيغام) و (البلاغ) رسالة الأنبياء
رسلين ـــو يوضّح العلاقات الصوتية والدلالية
ار اليها كما يأتي تفصيل ذلك في الفصل القادم.

مش الفصل الأول:

١ ـــ ينظر الأعلمي، «دائرة المعارف» (ج ١٥ ـــ
)، (ط. طهران) عن الباقر(ع): حجَّ؛ بمعنى أفلح.
٢ ـــ ينظر ابن منظور،«لسان العرب»ج٢، ص
٢ ط. بيروت).
٣ ـــ ينظر ابن منظور، «لسان العرب» (ج ٢، ص
٢٢٦).
٤ ـــ ينظر ابن منظور، «لسان العرب» (ج ٢، ص
٢٢٦).
٥ ـــ ينظر ابن منظور، «لسان العرب» (ج ٢، ص
٢٢٦).
٦ ـــ المطرزي، «المعرّب في ترتيب المعرّب» (ص
١٠٣ ط. بيروت).
٧ ـــ الأعلمي، «دائرة المعارف» (ص ٢٦٤).
٨ ـــ ابن منظور، «لسان العرب» (ص ٢٢٦).
٩ ـــ ابن منظور، «لسان العرب» (ص ٢٢٦).
١٠ ـــ سورة آل عمران، الآية ٩٧.
١١ ـــ ابن منظور، «لسان العرب» (ص ٢٢٦).
١٢ ـــ سورة البقرة، الآية ١٩٧.
١٣ ـــ ينظر ابن منظور، «لسان العرب» ص ٢٢٧.
١٤ ـــ المصدر نفسه.
١٥ ـــ المطرزي، «المعرب» (ص ١٠٣).
١٦ ـــ ابن منظور، «لسان العرب» (ص ٢٢٨).
١٧ ـــ ابن منظور، «لسان العرب» (ص ٢٣٠).
١٨ ـــ د. سجادي. «فرهنگ علوم عقلي» (ص
٢١٢ ط. طهران ١٣٦١ هـ. ش).
١٩ ـــ الشيخ الصدوق، «علل الشرائع» (ج ١،
ص ٢٧٣ ط. النجف ١٩٦٦م).
٢٠ ـــ سورة التوبة، الآية ١٢٢ ـــ علل الشرائع،
ص ٢٧٣.
٢١ ـــ الشيخ الصدوق، «علل الشرائع» (ج ١،
ص ٢٧٣).
٢٢ ـــ الشيخ الصدوق، «علل الشرائع» (ج ١،
ص ٢٤٧).
٢٣ ـــ الشيخ الصدوق، «علل الشرائع» (ج ١،
ص ٢٤٨).
٢٤ ـــ الشيخ الصدوق، «علل الشرائع» (ج ١،
ص ٤٠٠).

٢٥ ــ الخليلي موسوعة العتبات المقدسة، (قسم مكة المكرمة) (ج ١ ص ٩ ــ ١٣) نقلاً عن القاموس فيروزآبادي مادة (مكة).

٢٦ ــ سورة الفتح، الآية ٢٤.

٢٧ ــ الخليلي «الموسوعة» (ص ٩ ــ ١٣) (قسم مكة).

٢٨ ــ الخليلي «الموسوعة» (ج ١، ص ٩ ــ ١٢، مكة).

٢٩ ــ ينظر الشيخ الصدوق، «علل الشرائع» (ج ١، ص ٣٩٨).

٣٠ ــ سورة آل عمران، الآية ٩٦.

٣١ ــ مغنية، الحج على المذاهب الخمسة، (ص ١٢١ ــ ١٢٤).

٣٢ ــ سورة آل عمران، الآية ٩٦ ــ ٩٧.

٣٣ ــ سورة البقرة، الآية ١٢٧. و يلاحظ تعريف البيت (بلام العهد) أي البيت المعهود.

٣٤ ــ سيدنوفل، «فريضة الحج»، (ص ٨ ط. الشعب) القاهرة.

٣٥ ــ أنظر الموسوعة البريطانية المادة.

٣٦ ــ أنظر المصدر السابق.

٣٧ ــ سورة المدثر، الآية ٣٨.

٣٨ ــ أنظر مقالتنا: لغة الشعر وعلم اللغة الحديث.

● (الحج: كلمة سامية ذات جذر مشترك في أغلب اللغات واللهجات المتفرعة عن العربية القديمة، أو اللغات السامية، وهو (حد) كما يلفظ في العبرانية واللهجة المصرية. والصوت الثاني المتقدم هو الجيم العراقيه المعطشة ، وغير الجيم اللبنانية المزيّات، والتي تقابل (J) الفرنسية.

ــ الفصل الثاني ــ

معادلات الحج وتقابلاته بمختلف اللغات

لما كانت مناسك الحج قديمة قدم الانسان، ومنذ عهد آدم عليه السلام، فقد وردت طقوسه ومراسيمه في مختلف الأديان والمذاهب واللغات. ونحن هنا نريد أن نلمح الى أنّ مصطلحات الحجّ من (الألفاظ الخالدة) التي تنقلّت على ألسنة الناس بشتى لغاتها ومجتمعاتها، في مختلف الزمان والمكان والإنسان.

وقد تطوَّرت عن جذر لغوي مشترك يصطلح عليه في الدراسات اللغوية بظاهرة الكوگنيت **cognate** التي تشير الى التقارب الصوتي والدلالي في اشتقاقاتها وأسمائها.

وحسبما مرّ من الروايات الدينية أنّ آدم ــ عليه السلام ــ هو أوّل من اختطّ (البيت الحرام) ومارس طقوس الحجّ ومناسكه بتوجيه من الله تعالى (لقصد) العبادة، (و بلوغ) المغفرة، ونيل (الفلاح) إذْ تقدّم ان (حج) بمعنى (أفلح) أو (بلغ) المقام من (البلد الحرام).

وأن هذه الكلمات والدلالات تؤكد النظرية التي نذهب اليها بأنَّ مصطلحاته وأسماءه في أغلب اللغات بقيت تحمل صدى (البيت الحرام)، أو (البلد الحرام)، أوالبيت المقدس أو البلد المقدس والذى هو مكان العبادة ووطن التعبد، الذي يحجّ الناس إليه حسب سنّة الأنبياء والمرسلين، كما احتفظت اللغات المختلفة بأسماء الأنبياء والمرسلين (كأعلام مقدسة) متقلّبة على شتى الألسنة بتغير ملحوظ فيها، قد يكون جزئياً و قد يكون كلياً حسب علاقات تلك اللغات ببعضها أو حسب قربها من اللغات السامية أو التي انتشرت بها الأديان والأعلام.

و يبدو لنا أيضاً أنّ مصطلح pilgrimage في الانكليزية وماشابهه من معادلاته واشتقاقاته في الألمانية ...pilgerm وفي الفرنسية pelerinage أو سائر اللغات التي اشتقت من اللاتينية أو اللغات الهندواوربية مايزال مشابهاً الى الحجّ أو (البلوغ) الى (البلد الحرام) صوتاً ودلالة ــ.

والذي يؤكد هذا أيضاً ان اسم فلسطين Palestine بلدالزيتون ــ كما يفسّره البعض ــ أو بلد العبادة Philistia =[1] ((priest=praise)) وان اسم (البيت المقدس) Jerusalem أو (دارالسلام) [2] وماتضاف إليه من كلمات تدل على الحرمة والأمان، وأنّ من أسماء (مكّة) الكثيرة: (البيت الحرام) و (البلد الحرام) و (البلدة الحرام) وما إلى ذلك [3].

ولما كان معنى الحجّ هو قصد (البلد الحرام) أو (بلوغ) المرام، ونيل (الفلاح) فيه، وطلب العفو (pardon) فيه، فلابُدَّ من ملاحظة العلاقات الصوتية والدلالية بين جميع هذه المفردات من (F) Pelerin و (E) pilgrim و (G) pilgerm و[4] pillar/pileha[4] من الألفاظ الكتابية القديمة ــ .... ــ بمعنى فلح أو بلغ ــ بكافة اشتقاقاتها. والذي يسترعي الإنتباه أكثر هو أن مادة (بلغ) بمشتقاتها العديدة تفيد هذه العلاقة المقصودة، كما استعمل القرآن الكريم كلمة (البلاغ) بدلالة دينية خاصّة **«هذا بلاغ للناس»**[5] **«ما على الرسول إلاّ البلاغ»**[6] **«فهل على الرسل إلاّ البلاغ المبين»**[7] حتّى ارتبطت كلمة (الرسول) بالعربية و بالفارسية وغيرها من اللغات التي اعتنق أهلها الاسلام بكلمة (مبلّغ) و يعادلها بالفارسية (پيغامبر) أو (پيامبر) تخفيفاً. وان كلمة (الرسول) بالانكليزية prophet يمكن أن تقابل بأصواتها ودلالاتها كلمة (بلاغة) مع ملاحظة نظام أصوات كل لغة ومقتضيات التغيير الأصواتي فيها.

و بذلك تكون أيضاً كلمة pilgrim مشابهة صوتاً و دلالةً لكلمة بليغ أو بالغ، بمعنى (حاجّ أوقاصد) إلى (البيت الحرام) حسب مقتضيات التقابل الأصواتي للكلمات المتشابهة دلالة.

وإذا توسّعنا في الإشتقاقات، فنلاحظ أن كلمة prayer بالانكليزية بدلالتها على الصلاة والعبادة والدعاء لطلب المغفرة pardon تساوي نفس المعاني، وكذلك كلمة prays المشابهة صوتاً ودلالةً لكلمة praise (پرستش) و (پرستيدن) بالفارسية، و يؤكد هذه الدلالة كلمة (priest) العابد أو العالم الديني و يقابلها من الألفاظ pilatia الكتابية القديمة:[8] ومن الألفاظ الهندية الصينية[9] pagode (بتكده) ●

هوامش الفصل الثاني:

١ ــ أنظر معجم و بستر حول الألفاظ الكتابية، المادة ٢ ــ المصدر السابق.

٣ ــ أنظر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، قسم مكة المكرّمة (ج ١ ــ ص ٩ ــ ١٣ ط. بغداد)

٣ ــ تلاحظ علامة (الدير) المكان الخاص للتعبّد، كما تلاحظ العلاقة بـ(دژهخت) الفارسية القديمة ولاسيما المقطع الأول، وهي بالعربية يروسليم (حيم ــ المحرم).

٤ ــ أنظر المصدر بهامش(١). ولاحظ علاقة pillars الأعمدة المرتبطة أساساً ببناء البيوت والأماكن المقدسة.

٥ ــ *سورة إبراهيم*، الآية ٥٢.

٦ ــ *سورة المائدة* الآية ٩٩.

٧ ــ *سورة النحل*، الآية ٣٥.

٨ ــ أنظر المصدر السابق في الهامش رقم(١)

٩ ــ أنظر المصدر نفسه. المادة١.

???

حول أسئلة القرّاء

من الأخ عبدالله محمود من فرنسا:

س: ما معنى قوله تعالى:

«... ولنْ يجعلَ اللهُ للكافرينَ على المؤمنينَ سَبيلاً».

كيف ومطابقة ذلك مع واقع المؤمنين اليوم؟

ج: هذه الآية الكريمة تعطي تصوراً عاماً كمفهوم يدعو المؤمنين لامتلاك كل الوسائل التي تعليهم على الأمم الأخرى.

فالاسلام يقسم الأرض الى دار الاسلام ودار الكفر، و يريد لدار الاسلام أن تكون محط الأنظار، وان تكون أعلى من الدار الأخرى، وان تكون الأمة الاسلامية أمة وسطاً، أمة في الطليعة.

كما تستفاد من هذه الآية الكريمة أحكام تنفي كل مايؤدي الى اذلال المؤمن وعلو الكافر، وهو -الكافر- في منطق القرآن لايتجاوز كونه من الدواب الصم البكم، الكافر انسان انحرف عن الخط الصحيح، انسان انحرف عن خطه الانساني، وبالتالي عُدّ في صنف الدواب و الصم والبكم، بينما

الانسان المؤمن انسان وعى الحقيقة وسار في طريق الكمال الحقيقي، فكيف يمكن تصور علو كافر على مؤمن؟ اللهم إلاّ أن لايكون المؤمن قد التزم بحدود الايمان.

وتعطي هذه الآية ــ أيضاً ــ قاعدة عامة من قواعد التعامل السياسي الخارجي، فأي تصرف أو معاهدة أو عقد يؤدي لتفوق الكافرين على المسلمين يعد ملغياً من الأساس. وهذه القاعدة ــ كما يقول الفقهاء ــ هي قاعدة ثانوية، ومعنى قاعدة ثانوية: انها عندما تأتي تحكم على الأحكام الأولية تماماً كقاعدة لاضرر لاحرج، كل شيء، كل حكم أولي يؤدي الى ضرر ــ مثلاً ــ، أو يؤدي الى حرج، أو يؤدي الى علو الكافرين على المؤمنين، هذا المعنى منفي، لاأثر له في الاطار التشريعي.

وقد طبقتها بعض الأحاديث على بعض مواردها، ففي حديث ورد في كتاب: (من لايحضره الفقيه) الجزء الرابع:

«الاسلام يَعلو ولايُعلى عليه» ــ هذا المفهوم ــ والكفار بمنزلة الموتى لايحجبون ولايورثون.

إذاً: يجب أن تهدينا هذه الآية في تعاملنا مع القوى الكبرى اليوم، وتعطي المسلمين جميعاً خطاً عاماً لأن يعملوا على أن يستقلّوا أولاً، وعلى أن يكونوا في الطليعة ثانياً. وعلينا جميعاً أن نقف أمام كل خطوة، وأمام كل معاهدة، وأمام كل مشروع يؤدي الى علو الكفار على المسلمين، والى تراجع الأمة الاسلامية عن مواقعها التي أراد الله أن تحتلها، وقلنا وأشرنا الى ان أحد هذه المواقع هو: «الوسطية» و «الطلائعية» و ان تكون الأمة في طليعة المسيرة الحضارية.

س: ماهي سمات وخصائص النظام السياسي في الاسلام باختصار؟

ج: إذا ركزنا على المعنى الدقيق للخصائص، أي عنينا مايمتاز به النظام السياسي، و يتميز به عن غيره، استطعنا أن نقول ــ باختصار ــ أيضاً يتناسب مع المقام:

ان النظام السياسي الاسلامي نظام إلهي، أي أنه يستند في تشريعه الى الله، وليس هناك نظام في الواقع إلهي غير النظام الاسلامي، بعد ان انحرفت المسيحية عن اصولها الأولى، و بعد أن انزوت عن الواقع الحياتي الى الكنائس وتركت الحياة الانسانية للنظم الوضعية، لم يعد هناك في الأرض نظام إلهي ينظّم الحياة كالنظام الاسلامي.

ولذلك نستطيع أن نقول:

أن النظام السياسي الاسلامي نظام إلهي، وان هذه الصفة تميزه عن باقي النظم.

ثانياً: هو نظام انساني بمعنى أنه يتعامل مع الفطرة الانسانية، و يستهدف رقي عناصرها الروحية والعقلية وميولها. نظام يعيش للانسانية، وفي الواقع لايوجد نظام على الأرض يحمل هذه السمة الانسانية رغم كل الإدعاءات.

الشيء الثالث: من خصائصه، أنه يجمع بين ولاية المعصوم أو الفقيه و بين مبدأ الشورى في اطار شرعي مشخص.

فهو — إذاً — نظام إلهي يعطي للشعب دوره في المشورة، وفي تنظيم الأمور وفي اطار معين خاص، وفي توجيه سماوي.

ثم ان هذا النظام يحمل قدسية خاصة في نفوس شعبه الأمر الذي لايحمله أي نظام آخر.

أعتقد أن هذه الخصائص التي بينت باختصار تحتاج الى شرح مفصل لاأرى المجال يسع هذا الشرح فعلاً، وربما عدنا الى هذا المعنى في وقت آخر.

من الأخ حسن شاكر من الكويت:

س: مامدى تأثير الصحوة الاسلامية في هذا العصر؟

ج: إذا أردنا أن نستعرض أهم التأثيرات قلنا:

ان الصحوة الاسلامية — اليوم — أدت الى نتائج كبرى: منها محو التصورات المنحرفة عن الاسلام، او على الأقل سد الطريق أمامها.

لنفرض التصورات الرجعية، والتصورات الفردية، وتصورات الابتعاد عن المجتمع، وتصورات ازدواجية القانون والدين، و بالتالي أدت الى عدم الرضوخ للواقع الذي فرضه الاستعمار بتشكيل دو يلات متنازعة ونصب دمىً حاكمة، والشوق نحو الغد الاسلامي الحاكم، والعمل على حمل الاسلام الى العالم، وطرحه على أنه البديل.

ومنها: انتشار التمسك بالاسلام في العادات والتقاليد واللباس، فأنت ترى الحجاب الاسلامي ينتشر في كل مكان مما يعبّر عن ظاهرة صحية وأثر من آثار هذه الصحوة، وأنت ترى أيضاً ان الأمة الاسلامية بدأت تنتبه الى بؤر الانحراف، بؤر الضعة، الى دور الخمر، ودور الخلاعة، ودور التحلل فتعمل على نفيها من هذه الأرض الطاهرة، وتعمل على تنقية الأجواء.

ومنها: خوف الأنظمة الحاكمة من إظهار مخالفتها للاسلام، بل وقد عمد البعض لادعاء تطبيق الاسلام، وان كان الانسان الواعي يشعر بعدم اخلاص مثل هذه الأنظمة لهذا الأمر.

ومنها: سريان روح الحماس والتضحية في نفوس المسلمين.

ومنها: استرجاع المسلمين للثقة بأنفسهم.

ومنها: رعب القوى الكافرة وتخطيطها الرهيب لمواجهة الزحف.

وهناك آثار كبيرة وملامح لهذه الصحوة، قد تكون ملامح وقد تكون أفكاراً لايمكن استيعابها هنا، ولكن نود أن نشير هنا الى سبب عظيم من أسباب هذه الصحوة وهو: الثورة الاسلامية المباركة التي نجحت على الأرض الايرانية المسلمة.

فان هذه الثورة بعد نجاحها أعطت كل هذه الأمور قوة وأصالة وعمّقتها في النفوس، الأمر الذي دفع الاستعمار والاستكبار العالمي للعمل على حجب أنوار هذه الثورة وهذه الشمس الاسلامية الساطعة، وأنّى لهم أن يستطيعوا إطفاء نور الله بأفواههم.

من الأخ أبوذر من مدينة أراك :

س: ما المقصود بالفطرة؟ وكيف تهدي الى الله؟ ولماذا يضل الناس إذن؟

ج: المقصود بالفطرة في التصور الاسلامي هو ذلك المخزون النفسي الأصيل من الطاقات والقدرات والرؤى والاستعدادات التي يتميز بها الانسان والنوع الانساني، سواء كان هذا التميز عن الجمادات أو الحيوانات أو النباتات.

فالشيء الذي يعطي الانسان معالمه العامة المشتركة هو الفطرة.

والاسلام يغرس في نفس الانسان المسلم هذا الاعتقاد ان الانسان صمم بحيث يستطيع ان يكتشف الحقيقة في الكون، و بالتالي يكتشف هدفه من مسيرته، كما يكتشف منطلقه. وصمم بحيث يلجأ بشكل طبيعي الى خالق الكون، الى منطلق الكون، الى علة الكون، يطلب منه المدى.

اما كيف تهدي الفطرة الى الله فهو بحث مفصل نُشير فيه الى أننا لو تأملنا أنفسنا، لو تأملنا وجداننا، لو تأملنا واقعنا الداخلي الذي يشمل الغرائز والميول والقناعات واستعدادات الانسان، لو تأملنا كل هذه الأمور لوجدناها تتناسق في تأثيراتها في مجال سوق الانسان نحو الله تعالى.

لنلحظ ــ مثلاً ــ قدرة الانسان على الايمان بالبديهيات العقلية التي تشكل أسس الاستدلال العقلي، وقدرة الانسان على ادراك الحسن والقبح في الأشياء وفي الأعمال، وفي طليعة ذلك حسن طاعة مولى الكون الحقيقي الخالق، وتأملنا هذا الدافع المنبعث من أعماق الانسان نحو استكناه المجهول، وهذا السوق نحو التدين، ثم هذا الشوق الانساني العمق نحو الكمال الذي يؤدي بالتالي للشوق نحو الكمال المطلق لو تأملنا كل هذه الأمور لوجدنا ان هناك مجموعات متناسقة و دوافع متناسقة في النفس الانسانية تقود الانسان نحو الله تعالى.

اما الإنحراف عن الفطرة أيضاً فله حديث طويل وعوامل كثيرة قد نشير اليها في أحاديث آتية ــ ان شاء الله ــ.

مشير هنا فقط الى وجود عوامل خارجية تبث الشبهات، ومن مصلحتها بث الشبهات، ووجود عوامل داخلية؛ كالجهل، والخلل، والغرور.

من الأخ خليل اسماعيل من سوريا:

1 س: نسمع أحياناً من بعض الاذاعات تعبير: «وحدة المسيرة المؤمنة عبر التاريخ» فما المقصود بذلك ؟

ج: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، وحدة المسيرة المؤمنة: هذا التعبير حقيقة يؤكد عليها الاسلام و يركزها في خلد الانسان المسلم ليذكره انه جزء من سلسلة تاريخية ممتدة الى عمق الزمن من جهة، وستمتد الى العمق الآخر الى الغد الممتد من جهة ثانية.

فالانسان المسلم ليس وحيداً، ولايعيش في إطار خاص وفي دائرة ضيقة، ولاحتى في دائرة مكانه أو قطره أو أرضه كلها، ولاحتى في دائرة زمانه الخاص، الانسان المؤمن ــ في الواقع ــ حلقة من سلسلة ممتدة كلها متراصة، كلها تضع خطواً على خطو، وتستهدف هدفاً واحداً منطلقة من منطلق واحد وفي اطار مسيرة واحدة.

هذا المفهوم يركزه الاسلام في ذهن الانسان المسلم، في خلده، في نفسه، في روحيته، من خلال مظاهر شتى:

أولاً ــ يركزه بشكل مباشر بعد أن يعدد أو يذكر مسيرة الأنبياء ــ مثلاً ــ يطرح هذه الحقيقة، قائلاً:

«إنّ هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاعبدون».

يعني بعد أن يركز الأنبياء، واحداً بعد الآخر، ورسولاً بعد رسول، ينظر للمسيرة الممتدة، للكل الانساني المؤمن، قائلاً:

«إنّ هذه امتكم امةً واحدة، وأنا ربكم فاعبدون».

أو في آية أخرى:

«يا أيها الرسل كلوا من الطيبات، واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم».

«وإنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون».

هذا اسلوب يشير فيه القرآن الى وحدة المسيرة المؤمنة بشكل مباشر. وأخرى يطرح هذه الوحدة من خلال وحدة المسير يقول للمؤمنين: «مسيرتكم واحدة، شريعتكم واحدة».

قد تتفاوت الشرايع ــ من حيث الاجمال والتفصيل، قد تتفاوت من حيث تحريم بعض الأشياء وتحليلها، ولكن اصول المسيرة ومعالم المسيرة العامة تبقى واحدة دائماً.

القرآن يقول:

«شرع لكم من الدين ماوصّى به نوحاً والذي أوحينا إليكَ وماوصّينا به ابراهيم وموسى وعيسى أنْ أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه، كبر على المشركين ماتدعوهم إليه، ألله يجتبي إليه من يشاء، ويهدي إليه من يُنيب».

الآية واضحة جداً في بيان وحدة المسير حتى أننا نجد أن بعض الآيات التي تذكر تشريع بعض العبادات في الاسلام تؤكد أن هذه العبادة ليست أمراً مبتكراً في هذه الشريعة وانما مثل هذه العبادة قد كتبت على أمم سابقة مؤمنة.

الآية القرآنية تقول:

«يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذينَ من قبلكم لعلكم تتقون». أو على لسان النبي عيسى (ع) حيث يقول:

«ولأحلّ لكم بعض الذي حُرّم عليكم».

فهناك شيء من التفاوت، ولكن الأصول والمعالم العامة واحدة في كل الشرايع.

إذاً: المسيرة المؤمنة ــ هنا ــ تركز من خلال وحدة المسير من خلال وحدة الشريعة.

نجد ان هذه المسيرة أيضاً تركز في خلد الانسان المسلم عبر نظرية تقسيم المراحل الانسانية في القرآن الكريم.

القرآن يقول:

«كانَ الناس أمّةً واحدة، فبعث الله النبيين مُبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلاّ الذينَ أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغياً بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء الى صراطٍ مُستقيم».

كما تركز «وحدة المسيرة المؤمنة» من خلال وحدة السنن الإلهية في التاريخ، السنن الإلهية التي تتحكم في المسيرة الانسانية عموماً، هذه الوحدة تنعكس أيضاً على المسيرة المؤمنة.

القرآن يقول:

«سنّة من قد أرسلنا قبلك من رُسلنا ولا تجد لسنّتنا تحويلاً».

أو

«سنّة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً».

و يركز ــ كذلك ــ من خلال التركيز على وحدة الأصل ووحدة الهدف، ووحدة المسؤولية، ووحدة المصير.

فمثلاً وحدة الأصل، نجد القرآن يركز أنه:

«خلقكم من نفس واحدة».

ووحدة أصل الهدف القرآن يقول:

«وماخلقتُ الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون».

ووحدة المسؤولية: القرآن يركز على ان المسؤولية الانسانية ملقاة على النوع الانساني:

«اني جاعل في الأرض خليفة».

الخليفة هنا هو الانسان بنوعه.

ووحدة المصير: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

أذكر لكي تتركز هذه الفكرة أن أحد أصحاب الامام أميرالمؤمنين علي (ع)، قد هزّه الفرح عندما انتصر الامام في احدى معاركه، وتألم أيضاً لأن أخاه لم يوفق لان يشهد المعركة و يرى هذا النصر العلوي الزاهر.

فهذا الانسان يأتي الى الامام و يظهر فرحه من جهة، و يبرز أيضاً تألمه لأن أخاه لم يشهد هذا المعنى، و يسأله الامام و يقول: «أهوى أخيك معنا.هل هو على خطنا؟ هل هو على نفس المسيرة»؟ فيجيبه ذلك الانسان: «نعم» يقول له الامام: «لقد شاركنا. مادام هو على نفس الهوى و يستهدف نفس الهدف فقد شاركنا، ولقد شاركنا ــ الامام يقول ــ «في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان، و يقوى بهم الايمان» بهذا المستوى: ان الايمان سوف يقوى بهؤلاء، حتى أنهم لم تلدهم أمهاتهم، كما ان هؤلاء شاركوا علياً في مسيرته وفي حربه.

نحن نعلم ان ابراهيم كان هو الذي سمى امة الرسول العظيم بالمسلمين.

«... ملّة أبيكم إبراهيم هوسمّاكم المُسلمين من قبل...».

إذاً هذا يعطي الانسان المسلم صورة متصلة من ذلك العصر وحتى هذا العصر، و بالتالي يمنح الانسان المسلم قوة وأملاً عظيماً واصراراً على ذلك الخط العظيم، الانسان الذي يطوف حول الكعبة أيضاً يقال له: أنت تضع قدمك في المكان الذي وضع المؤمنون عبر التاريخ أقدامهم، الانسان المسلم ــ حساً ــ يضع قدمه في مكان ــ وضع المؤمنون والأنبياء والصالحون اقدامهم، هذا المعنى يمنح الانسان المؤمن ــ حساً ــ هذا التصور، انه يعيش في مسيرة مسلمة واحدة، و يطوف حول بيت يمتد من عهد آدم رمزاً للتوحيد، الأنبياء كلهم يحجون، موسى يحرم و يطوف حول البيت و عليه قطيفتان قطوانيتان ــ كما في الرواية ــ يُلبي فتجيبه الرحال. ابراهيم واسماعيل يبنيان هذه الكعبة، وهكذا يتصور

الانسان المؤمن ـ المؤمن حقاً يطوف حول بيت الله يقف مواقف أنبيائه ـ كما يعبّر أمير المؤمنين سلام الله عليه ـ

هذا المعنى او هذا الشعور يترك آثاراً على النفس الانسانية.

من الآثار التي يتركها هذا المعنى: أصالة المسيرة المؤمنة، وعمق هذه المسيرة من أول التاريخ الى نهايته، فليست هناك غربة وليست هناك وحدة ـ انعزال ـ.

ومن الآثار: الاعتبار من المسيرة الأولى: يعني ان الانسان المسلم يجعل كل مراحل هذه المسيرة مدارس، وما مرت به هذه المسيرة عبر يستفيد منها. قتل قابيل لهابيل عبرة القرآن يستفيد من هذا المعنى، حتى حركة وتصرف المرأتين اللتين واجههما موسى عند البئر وحتى مشية هذه المرأة «تمشي على استحياء» يمكن ان تخلدها العقلية المعتبرة، ان المرأة ـ هنا ـ جاءت تمشي على استحياء لموسى. أو «لا نسقي حتى يصدر الرعاء» التاريخ يصبح عبرة للانسان من خلال وحدة هذه المسيرة التاريخية. امرأة فرعون وموقفها من فرعون يصبح مثالاً يضرب للذين آمنوا عبر التاريخ.

«وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربِّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله...»

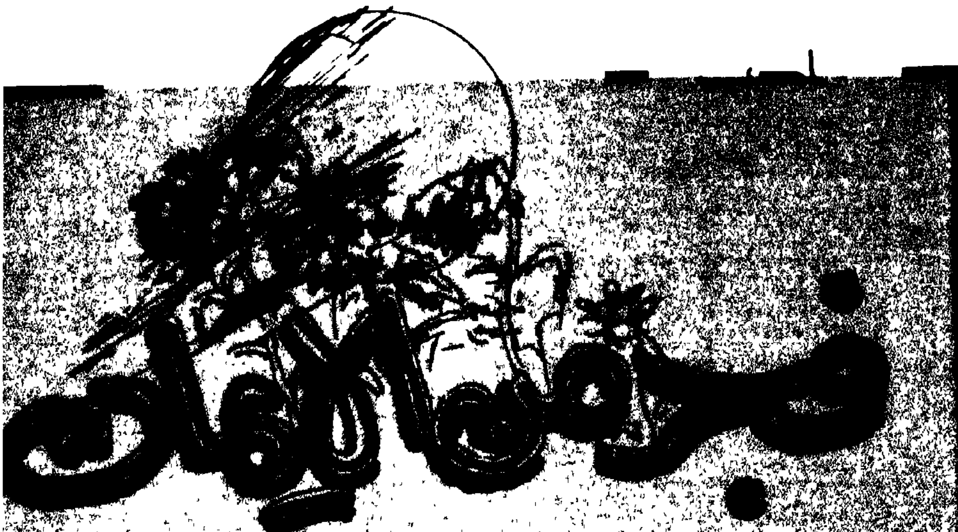
امرأة في مسيرة تاريخية بعيدة تضرب مثالاً لكل المؤمنين عبر التاريخ.

أليس هذا يقوم من فكرة وحدة المسيرة المؤمنة؟

والشيء الثالث: ضخامة المسؤولية الملقاة على عاتق المؤمن، وسعة افق هذا الانسان المؤمن.

الشيء الآخر: تلاحم خطى الأمة المسلمة ومسؤولية كل انسان عن المستقبل والعمل له.

ومن هنا أستطيع أن أقول ان رسالة الثورة الاسلامية العالمية رسالة ترتبط بهذا المفهوم بشكل وثيق لايمكن انفصاله.



الشيخ قاسم الخاقاني

ما شيّد المجد للأجيال والأمم … إلاّ رعايتها للحقّ والذمم
وما بنت أمة مجداً وما بلغت … يوماً علوّاً بغير السيف والقلم
فهل سوى العلم يبني للشعوب علىً … لو أحيي العلم بالإيمان والقيم
وهل سوى السيف يحمي للأباة حمىً … أو يمسح العار إلاّ غسله بدم
والحق يكفله دين الإله ففي … أحكامه لم يضع حق لمهتضم

• • •

فاستمسكي أمة الإسلام واعتصمي … بالله صدقاً وبالإسلام فالتزمي
واستمسكي بكلا الثقلين صادقة … ووحّدي الصف - كالبنيان - والتحمي
واحتكمي للدين لاترضي له بدلاً … فإنه خير منهاج ومعتصم
ولترتفع راية الإسلام خافقة … في كفِّ من هو للإسلام خير حمي
[illegible] الخمينيّ ربانٌ لأمتنا … في كلّ موجٍ من الأخطار ملتطم
[illegible] من بلوغ الحق عاصفة … من أين هبّت ففيها ثابت القدم
[illegible] لم [illegible] فاستجاب له … شعب أبيّ لغير الله لم يقم
[illegible] والإيمان يحفزه … طلوع فجرٍ من الإيمان مبتسم
[illegible] حكم الطغاة فلي … عروشهم بين مهزوزٍ ومنهدم
[illegible] راح يصدره … على رؤوس طغاة الأرض كالحمم

• • •

[illegible] … [illegible]

[illegible] … ومن يسطر [illegible]

[illegible] لم تلق إلا الأرجسا … [illegible]

[illegible] … [illegible] في الأشهر الحرم

واليوم يطلب [illegible] … [illegible] بين مقتول ومنهزم

هل يلتقي من بالنفر [illegible] … أو ينعقد الصلح زوراً حكم متهم

• • •

وأنتم حرب الإسلام لا تنفقوا … بالمفلقين في عهد ولا قسم

فإنهم مارقوا حقاً ولا حفظوا … ذمّ عهداً و لا شيئاً من النعم

باسم العروبة والإسلام لو هتفوا … فذاك زعم وزيف غير منكتم

فحزبهم نهجه كفرٌ وزندقة … قد حارب الدين جهراً حرب منتقم

ومذ نأوا عن نظام الدين و ابتدعوا … قومية بدّلوا النعماء بالنقم

عرقية هذه تدعو لتفرقة … والدين يجمع بين العرب و العجم

لم يلتق الكفر والإيمان في فئة … هذا لعمرك خلط غير منسجم

• • •

إن حلّقت في سماء المجد أمتنا … في أمسها وارتقت في الخير للقمم

فليس ذلك من عرق يميزها … أو بالتفاضل بالألقاب والشيم

أو بالثناء على الأجداد تذكرهم … عند التفاخر بالأمجاد في القدم

أو بالشعارات جوفاءً ترددها … وتملأ الجوّ بالواهي من الكلم

وإنما هي بالإسلام قد صنعت … أرقى الحضارات في عزم وفي همم

• • •

سل عنهم صفحة التاريخ إذ بلغوا … بين الأنام ذرى العلياء والعظم

هل كان للقوم من مجد يخلدهم … مع الزمان و ذكرٌ غير منعدم

كلا فليس لهم شأن ومنزلة … في الجاهلية أو حظ من القيم

وإنما في ظلال الوحي قد حملوا … رسالة الخير والتحرير للأمم

وأنقذوا عالماً عاث الفساد به   وراح يغرق في بحر من الظلم
فالفضل فيه لدين الله لو علموا   وانه لو وعوا من أفضل النعم
لكننا البعض عادوا اليوم وأنقلبوا   للجاهلية في الأفكار والنظم
وبدّلوا نعمة الإسلام إذْ مرقوا   والله نعمته بالكفر لم تدم
فهؤلاء عبيد الغرب قادتهم   قد أصبحوا جهرة عبّادة الصنم
لم يكتفوا بامتثال الأمر بل ركعوا   يقبّلون يد المستكبر الأثم
يباركون له إذْ جاء مقتحماً   عقر الديار يبيح الهتك للحرم
يوقّعون على التسليم ويلهمُ   وحقنا غير مضمون ومحترم
فهل نعاهد حكّام اليهود وهم   ماضون في غصبهم للأرض والحرم
وهل نسالم قوماً دارَنا غصبوا   وآستوطنوها وأهل الدار في الخيم
فصاحبُ الظلم والمظلوم سِلْمهما   مثل الصداقة بين الذئب والغنم
ولايعيد حقوق الشعب إنْ غصبت   يوماً الى الشعب غير الصارم الخذم

• • •

هذي فلسطين مازالت تناشدنا   وجرحها لم يزل يجري بفيض دم
ألاربعون من الأعوام قد ذهبت   وما حصدنا سوى الإغراء بالكلم
أين القضية هل ضاعت وهل دفنت   بحيث لم نذْكر منها سوى الحلم
هل ضيّعتها قرارات لتسويةٍ   مشؤومةٍ أبرمت في هيئة الأمم
أو طالما صادرتها قمة عُقدت   من كل محترفٍ أو خائنٍ قزم

• • •

إيهٍ فلسطين إنْ خان الجناة فذا   شعب على الضيم والإذلال لم ينم
صبراً أيا قدس رغم الجرح أن يداً   سمحاء جاءت لبرء الجرح والسقم
يد الخميني قد وافتك طاهرة   تشفي الجراح ومافيها من الألم
مابين طهران والأقصى جحافله   تأتي مؤيّدة من بارئ النسم
تُطهّر الأرض من رجس الطغاة غداً   ويحكم الدين فيها خافق العلم

• • •



الاستنطاق

(متى كان الموت نهاية؟... انّه بداية مشرقية يتوق اليها قلب المؤمن، انها تحقق اللقاء، تقصمُ المسافة الظالمة التي تفصلنا عن الحبيب. لماذا نخشى من الموت إذن؟... فليس هناك طريق غيره ينتهي الى اللقاء).

مصطفى زين العابدين / الهند

ليس غريباً ان يرفع من قاموسه كلمة العذاب ، لأنه ما عاد يفكر بشيء من هذا القبيل، لقد اعتملت في نفسه حقيقة مشرقة خبت لوجودها أشياء كثيرة، و هي ان مايأتي من الحبيب حسن جميل. و انّ وجود مثل هذا الأطمئنان الروحي لِمّا كان أو يكون جعله يسبح في فيض من السعادة، كالتي يستشعرها المسافر الى معشوقه، فهو لايعبأ بحرِّ الهجير و لاقرِّ الشتاء، أو بعد الشقة و صعوبة الطريق.

كان يتساءل دائماً،... نحن لانستطيع أن نلغيَ العذاب، لأنه ليس هناك من عذابٍ أصلاً في حياة المؤمن، بل هناك مقدمات للسعادة الخالدة، معاناة على طريق ارضاء الله، لأنّ العذاب الذي يطلق عليه خطأ هذا اللفظ هو لذة مقدسة في حقيقته لأنه السبيل لمرضاة الحبيب. و كذلك الموت؟... متى كان الموت نهاية،؟... انه بداية مشرقة يتوق اليها قلب المؤمن، انها تحقق اللقاء، تقصم المسافة الظالمة التي تفصلنا عن الحبيب، لماذا نخشى من الموت إذن؟... فليس هناك طريق غيره ينتهي الى اللقاء...

* * *

ارتمى على المقعد، لم تثره الضوضاء التي أحدثها الزحام في العربة، و شرعَ يعوم بما [illegible] الأمواج [illegible] من الأفكار، [illegible] ثم [illegible] الوقت مشتاقاً [illegible]

الماضي... قد يكون قريباً حتى كأن أسماعه تهزلوقعه... وقد يكون بعيداً، بُعْدَ نفسه المتعطشة لينابيع الراحة، فلايسمع وقتها غير صوتٍ خافتٍ كأنه صوت قلبه الذي بدأ يميل الى السكون،.

مرت لحظات أخرى..

لم يتحرك القطار بعد.. عيناه مفتوحتان.. الأشياء التي قباله كأنها حُجبَت بما يشبه الضباب.. حلّق الى السماء.. تذكر الحديث الذي أسهب فيه أحد الخطباء عن خلود الروح.

عيناه مغروزتان في السقف،

حركات شفاه الخطيب مافتأت معلقةً بأفكاره و واضحةً وهي تتحدث عن البرزخ، قطّبَ جبينه..

أحسَّ و كأنه أُدخل تواً الى اللحد..

أقشعر بدنه، و ارتجف أوصاله.. ثم.. ثم انتبه الى نفسه..

يتحرك القطار...

حاول ان يستجمع افكاره ليعرف المكان الذي بلغه..

انه خرج من المدينة...

الأشجار و المنازل الريفية، بدت مسرعة باتجاه معاكس.

أجال الطرفَ حوله.. ألِفَ عائلةً تجلس قريباً منه،.. طفلٌ جميلٌ أثار فضوله.. حاول أن يستدرجه، بكلمةٍ، بإيماءةٍ.. كان بوده لو يلتقفه بحرارة و يضمه الى صدره.. و يقبله.. عدل عن فكرته بعد أن أعلنَ الطفل عدم الرغبة و قد تراجع يدنو من أمه و عيناه شاخصتان في ارتباكٍ و كأنه قطة صغيرة فزعة..

تتابَعَتْ حركة القطار.. و تواترتْ ضربات العجلات على الأعمدة الحديدية الممتدة عبر المحطات و المدن...

أشاحَ بوجهه عن الطفل..

أسدل جفونه مرة أخرى و عاد من جديد يبحر عبر خضم الأفكار....، و تذكر الخطيب...

و تناهت اليه كلماته عبر الزمن المنقضي تتحدث عن حساب القبر..

وتراءت امام عينيه حفرة ضيقة يكتنفها الموت و يغمرها الرعب..

تجاوزَ حدود الزمن المقنن بحسابات التقويم البشري...

و استيقظ في أحشائه عذاب الاستنطاق المقيد برعة غير مسموعة...

حاول أن يرد بأيما كلمة كي يخرجَ من ألم الصمت...

وعاد السؤال خنجراً يتجول في أعضائه،...

لم تفلح محاولاته المقترنة بالجهد إلاّ الى تجمُّدٍ أكثر صلابة لعضلات اللسان،

أحسَّ بلهيب يأكل جسمه،

تجهَّمَ وجهه، حاول الصراخ،.. حتى الصراخ بدا له أبعد من المنال،

تعذب..،

حاول الأفلات..،

شخصان لم يستطع أن يميّز حتى أبعاد أجسادهما.. بيْدَ أنه كان متيقناً انهما يعقدان له محكمة تصورانها غير عادلة لما أحسه من قسوة، لكنه فقد الاستمرار في التحري العقلي للوصول الى نتيجة باقرار العدالة أو دونها.. انما عذابه شخص مع كل مايستشعره من آلامٍ مبهمةٍ بحيث أجبره على ان يبتعد مرغماً عن التركيز في طبيعة ما يحدث له..

صرخة في ذاته ارتجفت لها كل مفاصله..،

تيقن من خلالها انه ليس بوسعه أن يفكر في امتلاك الارادة، حتى بالنسبة الى اطباق جفن من أجفانه،... بل شعر وكأنه غير ملزم بالتأكد من طبيعة ماهيته...

عيناه بدتا جاحظتين مشففتين تبحثان عمَّن يزيل عنهما طابع الجمود،..

نظرتا شزراً... اصطدمتا بصرامةٍ يجللها التحدي،...

أوشك أن يفقد الأمل في الخلاص،...

تواترت الأسئلة كالمطارق تهد كل ركن فيه،.. استشاطت في روحه المضطربة رغبة الدفاع،.. الدفاع بأي شيء.. حتى ولو بتحريكةٍ صغيرةٍ يائسة من شفتيه المصفرتين...

ولما لم يجد سبيلاً لما يعتمل في داخله،.. فكر أنْ يستسلم،..

تساءل: كيف؟!!...

تعذب أكثر.. حتى الاستسلام بدا له شيئاً مبهماً، وليس بوسعه أن يبلغ كنهه..

انقطع سيل الاستنطاق،،.. لحظة واحدة،...

..استشعر فيها سعادة لا يستطيع أن يصف كمالها وجمالها، انها حالة فريدة لم يكن قد استشعرها من قبل،.. لحظة واحدة، تمكن خلالها أن يرسم لها في فكره أسمى مراحل اللذة والهدوء،

لحظة واحدة فقط، منحته سيلاً خاطفاً من التنعم، انثال عليه كأنه البرق،

تساءل باستغراب وهو يكابد ألسيل العارم من الاستنطاق الذي أعاده من جديد

لحالة التمزغ في العذاب المبهم:

ــ لحظة واحدة.. كيف استطاعت أن تجمع انحسار الزمن، و رحابة التلذذ مع ضيق القسوة والعذاب حتى التلاشي ؟!...

لكنه.. أدرك بعدها انه يستشعر جيداً ان المقاييس التي ألفها أصبحت شيئاً غير مألوف البتة،.. شيئاً فقد المقاييس الزمنية، و حتى الأبعاد التي كانت تحدده من قبل..

حتى ذلك المكان المسحى فيه حاول أن يضع له حداً فلم يستطع.. لقد رآه مرة ينحصر حتى ليكاد يهشم أضلاعه، بيد أنه يظهر مرة أخرى بامتداده اللا نهائي حتى يظن أن لاحدَّ له...

اللحظة السعيدة المحررة من عذاب الاستطاق جعلت أحساسه بالألم مرهفاً حتى بدا و كأنه أصبح أكثر قساوة،.. لقد أضفت بعض الوضوح على مساحة العذاب الذي يتقلب على صحنه الساخن...

انها لحظة مقصودة من أجل أن يستشعر ذلك القدر المبهم من الوضوح... هكذا تحدد المعنى في فكره.. ثم تلاشى.. و هو لما يزل يغتس في المجهول.

لم يتأكد بعد.. كل شيء يتحصن أمامه يتأرجح بين التيقن و الأرتياب،

جرب مرة أخرى أن يستنجد،..

حاول جاهداً أن يُخرج كلمةً تستدر العطف.. إلاّ أنه تأكد ان المسافة بين الرغبة والشفاه بدت بعيدة وشاقة...

تكلم قلبه همساً،... و طفت على روحه كلمةٌ كان يرددها في وقت الشدة،...

القلب.. بدأ يتكلم،.. لابأس.. ربما لغة القلب أشد وقعاً في مثل تلك اللحظات القاسية من وقع الكلمات التي تلوكها شفاه مصعرّة،..

ردد مرة أخرى تلك الكلمة، الأسم،...

انجر العذاب، شيئاً فشيئاً،... بيْدَ أنه مازال يبعث في نفسه عذاباً قاسياً يكاد أن يفتت الجسم الذي هو أيضاً كان يظن أنه أصبح متباعد الأعضاء.. إلاّ أنه استحسن الفداء والتوسل.. وردد مرة أخرى الكلمة، الأسم، المصباح..

لمح و ميضاً غريباً ملأ عينيه،.. كأنه و ميض البرق،.. كذلك الذي يراه دائماً في الليالي الممطرة المظلمة..

رافق ذلك الوميض شيء يسير من الشعور بالأمل..

إذن.. هناك بريقُ أمل..

وردد الكلمة، الأسم.. الأمل..

شعر أنه يبكي، و تناهى الى أسماعه صوتٌ خافتٌ استطاع بالكاد أن يميز بعض النبرات التي لم يتأكد أنها صوتٌ ندَّ عن صدره المثقل،.. إلاّ انه كان بوسعه أن يعتبر هذا الصوت صوتاً أطلقته شفتاه المصفرتان الذابلتان المتحررتان بعض الشيء من قيود الصمت..

و من خلال بقايا العذاب أمتدت كفٌ مسحت برفقٍ على جبهته المغطاة بقطرات العرق الساخنة.. تغير كلُّ شيء،...

العذاب استحال في أدنى حدٍّ من مقياس الزمن المتعارف الى هدوء يكلله شعور بالأمن و يكتنفه احساس بالسعادة كالتي يستشعرها أسير أُطلِقَ تَوأمن أبدية (السراديب) المظلمة...

ــ ربما لن تستمر هذه الفترة المحررة من العذاب؟!...

تساءل ولما يزل عذاب الأستنطاق يحفر بآثار جسمه الواهن و عقله المغلوب، و لكن ومع امتداد الفترة المحررة،.. شعر بقدر أكبر من الاستقرار والهدوء.. ثم..

سمع ضجيجاً آدمياً و صوتاً رتيباً.. كأنه صوت عربة القطار و هي تضرب بدواليبها الأعمدة الحديدية الجاثمة على مسافات شاسعة من الأرض...

ازداد وضوح الأصوات بصورة أكثر...

واقتحمت أسماعه صرخة طفل.. و.. حديث رجلين تساءل أحدهم بحماس:ــ

ــ لابُدَّ من اجبار سائق القطار على التوقف من أجل ارساله الى أقرب مركز صحي،.. انه يبدو في حالة سيئة لا تسمح الانتظار أكثر...

وللمرة الأولى استطاع أن يميز كلام الآخرين،

فتح أجفانه المتفلة المتعبة،..

وجد جمعاً يحيط به،..

العيون محرونة شاخصةً نحوه، تترقب حركاته و تتوقع شيئاً ما سيحدث،

تحركت شفتاه و لمع في عينيه بريق تكسره الدموع،

فرحت العيون المتطلعة نحوه باشفاق.. و همست الأفواه بكلمات تنبيء عن فرح مفاجيء،.. تقدم رجلٌ وقور منه وقال:

ــ نستطيع أن نرسلك الى المستشفى.. ليس ثمة وقت طويل قبل وصول المحطة اللاحقة.. هل تشعر بشيء يعذبك؟...

غطى وجهه بيده ثم قال بهدوء:

ـ كلا.. أنا بخير.. لأني لم اكن أتعذب كما تعتقد..

شعر الرجل الوقور بقدر من الاحراج و هو يتلقى رداً غير متوقع... ثم أدار عينيه باتجاهات شتى و كأنه يفكر في شيء يريد أن يدلي به.. و قبل أن يتكلم و هو يشير باصبعه سمع رداً:ـ

ـ عذراً أيها الرجل الطيب. لم أكن أقصد شيئاً آخر غير الحقيقة...

وصمت الأخير.. ثم رفع يداً ترتجف و مسح بها العرق الذي غطى جبهته و وجنتيه.. و طفت على وجهه سمات التهيوء لحديث آخر. لكن التردد بدا أكثر وضوحاً.. بيْد أن شفتيه تحركت في فتور ثم خرجت الكلمات مترنحة مبتورة:

ـ أنا لست مريضاً..

فتساءل رجل قصير القامة باستغراب:

ـ لست مريضاً؟!!.. أي كلام هذا؟ لقد رأيناك بل شبعنا من الرؤية وأنت تعالج نفساً تريد ان تخرج،.. زبد الاحتضار قد ملأ شدقيك.. اصفرار الموت غطى أديمَ وجهك.. حتى عينيك أقسم لك أيها الأخ المريض.. عيناك انقلبتا و بدتا وكأنهما عينا شخص فارق الحياة.. ولكن العجيب عندما استرجعت قواك وكأن معجزة حلت في هذه العربة،..

ثم أشاح الرجل القصير بوجهه نحو الجميع وقال:

ـ لابُدَّ وان هذا المسكين اصيب بخلل في عقله،...

ـ كلا أيها الأخ.. أنا الآن أكثر وعياً من أي وقتٍ آخر.. ربما أكون قد اصبت من قبل بنوع من البلادة وضعف التفكير.. إلاّ أنه في هذه الساعة أحس و كأني أمتلك أقوى عقل في العالم.. وصمت الجميعُ مع شيءٍ من همهمات النفوس..

ـ ولكنك بحاجة الى رعاية على الأقل.. ان شحوباً في وجهك يعكس شيئاً من قبيل المعاناة.. أو نوبات ألم حادة..

قال ذلك الرجل الوقور وهو يتطلع اليه بعينين مشفقتين،...

ـ صحيح ماتقول، لقد أصبت بنوبات ألم قاسية، وسحبت في بحر من العذاب الذي لم أكن قد ألفته في حياتي... انه ليس كالذي نستشعره في حياتنا كلّ يوم.. انه العذاب الذي لا تستطيع أن تحدد له طعماً حتى ترتشف منه.. اجلسوا جميعاً.. سأحدثكم بكل شيء..

....ثم طفق يسرد عليهم ما أحسه ورآه بدقة.. وكلٌّ قد فغر فاه لهول ما يسمع.. حتى ظن الجميعُ ان العربة لحدٌ،... وان ضربات دواليب القطار على السكة الحديدية.. مطارقُ تستدرجهم نحو المجهول...!..●

ـطر

حين كنا في العراق

أبوحسنين / العراق

أيام زمان حينما كنا في العراق قبل جرتنا كنا نسمع من أهلنا ومن بعض ناس يتحدثون ويؤرخون أعمارهم أو ضاياهم بوقائع الأحداث فمثلاً يسأل الرجل احبه كم هو عمرك فيقول له: بـ (سنة يجة) ولدت، أو يقول له قبل (معركة الرازنجية) م ولدت، كما يقول أبي..وهكذا.

واليوم في أيامنا هذه لامانع من جعل عض الأحداث علامات تاريخية شاخصة سجلها التأريخ.. وليس هناك ضير إذا قال شخص ولدلي وليد في اليوم الذي اءت طائرات صدام حسين التكريتي من غداد لتقصف صلاة الجمعة.. أي المصلين حقداً على قرة عين الرسول الأعظم محمد (ص) «الصلاة» حيث سجل التأريخ أغرب حالة في سجله لم يقدم عليها إلا الهمج المتوحشون الكافرون كما فعل يزيدبن معاوية حين قام جيشه يرشق بسهامه الامام الحسين بن علي (ع) وهو يصلي الظهر مع جماعته في عرصة كربلاء.. فقد أعاد صدام حسين الذي يحكم شعب العراق المسلم بقوة النار والحديد والقيود... أعاد ذلك التأريخ المظلم.

أنا لم أكن ايرانياً، ولكن مسلماً أشهد الشهادتين، أكتب هذه الخاطرة للتأريخ وللأجيال القادمة بل للعالم الذي يدّعي

الحضارة والمدنية في عصر المدنية والتقدم... وأي تقدم.. انه تأخر عن الفضيلة وانزلاق في هوة المادة.

انني لاأنقل لكم أسطورة أو أنقل لكم خيال شاعر أو تصور أديب، بل أنقل لكم الواقعة كما شاهدتها عيني، وسمعتها أذني، وأحسها جسمي، أنقل لكم ذلك من موقع الحاضر الناقل.. الفرح المستبشر حيث عشت تلك الجمعة بروح ملؤها السرور وتمنيت أن تبقى تلك الأجواء الايمانية الملتهبة، وتلك الحشود المؤمنة الثابتة المتحدية لا تفترق، وأن يبقى إمام الجمعة يخطب... لقد كانت رائعة بمعنى الكلمة...

في (٢٢) جمادى الآخرة وعند الظهر كانت ساعة الصفر التي ينفذ بها صدام حسين بطائراته الحربية باتفاق مع رتل المنافقين الذين يسمونهم في عموم ايران بـ (منافقي خلق) بوضع قنبلة في قلب الصلاة.. صلاة الجمعة المليونية وبنفس الوقت تنفجر القنبلة في داخل جموع المؤمنين وتأتي الطائرت المقاتلة العراقية لتقصف مكان الصلاة الواسع، ولكن صدق العلي الأعلى حين يقول: «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» فقد أنفجرت قنبلة موقوتة في الصلاة واستشهد بذلك ١٤ فرداً وهم في محراب الصلاة وجُرح أشخاص آخرون، وجاءت الطائرات يقودها صهاينة جبناء للغاية لم يستطيعوا حتى التقرب من مكان الصلاة بعد أن واجهتهم نيران المدافع المضادة، وفرت مهزمة. ولم تسفر النتيجة الا عن ثبات المؤمنين وا كمال الخطبتين وأداء الصلاة ويزداد الحماس.. وتهب الجماهير متحدية.. عاشقة الشهادة وهي لا تكترث بالموت.فلا تزال كلمة الإمام الحسين عليه السلام حينما يتقدم للصلاة في ساحة المعركة ويوم جماعته غير مكترث من جيش يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهو يقول: إنما نحاربهم من أجل هذه؛ وهو يشير الى الصلاة.

وما أن حلّت الجمعة القادمة في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة حتى تسابق المسلمون الى صلاة الجمعة التي أصبحت ميدان حرب جديد ذا حدين.. يحارب المصلي الشيطان وهوى نفسه في محرابه.. ويتحدى شيطان حزب البعث في العراق «صداماً» وطياراته.. زاد عدد الجماهير المؤمنة أضعاف ماكانوا يحضرون في السابق..

الوقت ظهراً وعند الزوال تماماً.

إمام الجمعة الشيخ الرفسنجاني يخطب خطبته، وهو يحدث الأمة عن كل شيء سياسي أو اقتصادي أو أمني أو أخلاقي أو غير ذلك ليوضح للأمة كل شيء بالصدق والصراحة وتكون الأمة على بيّنة.

الناس متفاعلة مع الخطبة..

وفجأة تصل طائرات مدعي السلام! والمتباكي عليه صدام!! وتدخل أجواء طهران وهي تستهدف صلاة الجمعة..أنها كارثة.. أين دول العالم الاسلامي.. أين منظمة المؤتمر الاسلامي.. أين دعاة السلام.. الهدف هو صلاة الجمعة.. حشود المؤمنين؟

كنا داخل حرم جامعة طهران التي تقام فيها الصلاة وجموع المصلين تمتد من داخل الجامعة والى مئات الأمتار وعرضاً في الشوارع المحيطة بها، وتلتهب السماء بنار المضادات الأرضية وهي تقصف جبناء صدام...

تلتهب الجموع المؤمنة حماساً. لتهتف:

الموت لصدام عدو الاسلام.

جئنا لصلاة الجمعة لنظفر بالشهادة.

إعدام المنافقين المسلحين واجب.

الشبان ظاهر على إمام الجماعة وعلى المأمومين.

مجموعة من المصلين جاءت وهي ترتدي الأكفان..

ساحة الصلاة أصبحت ساحة حرب تماماً..

الخطبة لن تقطع أبداً وهي مستمرة دون أي تغيير.. بل العكس كان..

وتنتهي الخطبة الاولى ويشرع في الخطبة الثانية.. ودخان المدافع علا في السماء.

لاأستطيع أن أقول أن هناك أحداً لم يتفاعل مع الجو القتالي.

التحمت الجماهير مع بعضها ومع الصلاة ومع توقع الشهادة ومع الجو الثوري... كانت الجماهير فرحة مستبشرة لم يقع في نفسها مثقال ذرة من الخوف..

وتنتهي الخطبتان مع الخطبة باللغة العربية ويؤذن المؤذن للصلاة.. وتقام الصلاة.. وتنتهي الصلاة.. وتبدأ الهتافات الاسلامية الثورية.. ويجر المنافقون وحليفهم صدام أرواحهم بالخيبة والخسران.. وتنهض الجماهير لتعود الى بيوتها وهم أشد قوة وأكثر تماسكاً مع الثورة وقائدها الامام الخميني حفظه الله تدعو له بطول العمر ودوام النصر، وينتهي هذا المشهد العظيم ويصبح حادثة تأريخية لايمكن محوها ●



جولة في الصحافة

الزاد الثقافي والقتلة المجرمون

ـول الممارسات السلبية لأجهزة الاعلام في الدول ـلامية، وسعيها الخبيث لافساد عقول الناس وحرفهم عن ـوط والانحطاط، نشرت مجلة «الأمة» القطرية في عددها ـادر في شهر شعبان الماضي مقالاً نورد مقتطفات منه:

عندما تهزم الأمم، وتسقط تحت أقدام الطغاة، ـج الى زاد ثقافي حاد وخاص، يوجه فيها نار الجهاد، ـشعل عاطفة الحماس والوطنية، و يدفعها دفعاً قوياً الثأر، و يزرع في نفوس أبنائها حب الدين والوطن، ـد البطولات و يقدس الجهاد، و يكون لها خير باعث الاستشهاد، متشجعاً على مواقف القتال والانتصار.

وأمتنا الاسلامية الآن تعاني من احتلال غاشم ـض أجزائها، فاليهود في فلسطين منذ سنين، وقد ـوا اليها أجزاء أخرى من جسد الأمة الاسلامية، ـوس منذ خمس سنوات في أفغانستان المسلمة، وهم ـمون على إلحاقها بأخواتها المسلمات المعذبات ـي سقطن من قبل مثل بخارى وسمرقند.

أما عن الاحتلال الاقتصادي والثقافي فلا يكاد ـ منه قطر من أقطار هذه الأمة.

من أجل هذا فإن أمتنا في حاجة الى زاد ثقافي ـير، في هذه المرحلة الخطيرة التي تمر بها، يستطيع أن ـم بدوره خير قيام في بعث هذه الأمة من جديد، ينهض بأبنائها، و يربيهم التربية السليمة، التي تدفعهم الى الأمام، ولا تعود بهم الى الخلف.

وعبء تقديم هذا الزاد الخاص والهام يقع ـ بلاشك ـ على عاتق الأجهزة الاعلامية في الدول الاسلامية، فهي القادرة على الأخذ بيد الجماهير، وتثقيفها، ونفخ الروح فيها، وتعبئتها عسكرياً وسياسياً وثقافياً وأخلاقياً ودينياً، حتى تستطيع أن تحرر أرضها، وتقهر غاصبيها.

ولكن الزاد الذي يقدم للجماهير المسلمة الآن ـ في معظمه ـ يقتل ولايحيي ويهدم ولايبني، و يؤخر ولايقدم ويجلب الهزيمة والعار، و يبعدنا قروناً عن النصر، بل ان الأمة الاسلامية ـ بهذا الغثاء الثقافي الذي يقدم اليها في أجهزة الاعلام ـ تقدم نفسها غنيمة باردة لعدوها وهي طائعة مختارة دون أن يخسر عدوها رصاصة واحدة!

إنّ هذا الغثاء الثقافي الذي يقدم للجمهور المسلم في بعض أجهزة الاعلام مسموعة ومرئية في كثير من الدول الاسلامية. هو طوفان قادر ـ إن لم يتدارك الأمر بسرعة ـ على تقويض أركان هذه الأمة، وهدم شبابها، وتفريغه تفريغاً كاملاً من كل خلق كريم، ودين قويم.

إننا أمام عدو متربص بنا، كنا ننتظر من أجهزة الاعلام هذا الزاد الثقافي، ولكن .. وا أسفاه! ... لقد راحت بعض هذه الأجهزة بكل ما أوتيت من قوة هادمة شريرة تزودنا بأغاني الخلاعة والخليعات! ... وتقدم لنا القدوة من الراقصين والراقصات!. وتعرض علينا المناظر

ـارية، والصور الفاضحة، وقيم الضياع لكي نتحدى عـقائد العدو ونظرياته!!.. هذا في الوقت الذي توأد ـ الدعوة الاسلامية، و يضطهد الشاب المسلم، ـد أمامه كل الأبواب...».

تحديات العصر ومسؤولية الدعاة

ـت هذا العنوان نشرت مجلة «المجتمع» الكويتية في ـدها (٧١٥) مقالاً جاء فيه:

«يواجه المسلمون في عصرهم الحاضر تحديات صعبة ـطلب منهم الوقوف بحزم تجاهها وإعداد العدة اللازمة ـجهتها آخذين بعين الاعتبار قوة أعدائهم وشراسة حربهم ـدة حقدهم على الاسلام ودعاته وسعيهم الحثيث للحيلولة ـ أن يستعيد المسلمون أمجادهم و يأخذوا مكانهم اللائق ـين الأمم.

ومن أجل هذه الأهداف يسعى خصوم الاسلام بكل ـسبل المشروعة وغير المشروعة لزرع الخلافات واضرام نار ـداوت بين جماعات المسلمين على مختلف مستو ياتها حتى لتنتم الصف الاسلامي وتتوحد المسيرة و ينشغل المسلمون ـسهم عن أعدائهم و يكون بأسهم بينهم شديداً.

ويمارس الكثير من حكام المسلمين دور الطغاة الأقزام ـن يتلقون الأوامر من أسيادهم في الشرق والغرب لإذلال ـوبهم الاسلامية والتضييق على الدعاة الى الله والعاملين ـسلام وكبت الحريات ومصادرة الأرزاق وملء السجون ـلوف من أبناء الشعوب الاسلامية ونشر الفساد في البلاد ـاعة الفاحشة ورعاية المدامين والمفسدين في الأرض، ـمليدهم أسمى المناصب واعطائهم مقاليد الأمور وتكريم ـساقطين والساقطات، وإهمال العلماء العاملين والأساتذة المبرزين والشباب الصالحين، وتشجيع تيارات الا والتحلل وفتح المجال أمامها في كل وسائل الاعلام المقر والمسموعة والمرئية، حتى تنفث سمومها في أجواء الـ والأسر والمدارس والمجتمعات فلا يبق صغير وكبير ولا ـ ولا إمرأة إلا وأصابه من رشاشها الشيء الكثير.

ومن هنا نحتاج الى وقفة متأملة لما يجري في الـ الاسلامية الواسعة، نعيد النظر في الكثير من المواقف، و من الأساليب المشروعة ما يحقق للدعوة أهدافها، مستفـ من تجارب السابقين، مضيفين اليها حصيلة ما آستـ مختارين لكل مجال رجاله، ولكل بيئة ظروفها، مستهدين الاسلام الأصيل المستمد من الكتاب والسنة وما أجمع سلف الأمة الذي يعتبر أول مراتب قوة العقيدة ثـ الوحدة ثم قوة الساعد، ولايصح بحال من الأحوال أن ـ في جانب من الجوانب على حساب الآخر، ولا أن نهتم الساعد قبل قوة الوحدة ولا بقوة الوحدة قبل قوة العقـ فالمسلم الحق هو الذي تكون عقيدة التوحيد قد تشربـ أعماق قلبه واستشعرها في كيانه وأحاسيسه وتمثلـ حركاته وسكناته وجوارحه، فصار يتحرك بالاسلام ويمثـ كل تصرفاته و يواجه الخصوم بكل صلابة لاطمئنانه الى الله معه....

إن الوقفة المتأملة المطلوبة من الدعاة اليوم أن يرا مدى التزامهم كأفراد وجماعات بهذا الاسلام، وأن يتأ من سلامة الطريق الذي هم فيه سائرون، وأن يضعوا نـ أعينهم أولو يات المسائل المطلوب تحقيقها وأفضل الـ المستطاعة المشروعة للوصول الى الأهداف والمراحل الـ لكل خطوة من الخطوات حتى تتضح الصورة ولا يلـ الطريق وليحرص من بيدهم الأمر الى الاختيار الحـ لبنات البناء، فالعبرة بالكيف لا بالكم و بالنوع بالعدد، فكم من رجال قلائل أجرى الله على أيديهم الكثير لما فيهم من مواصفات الرجال الصادقين المؤ وكم من أعداد هائلة كانت من أسباب الشتات وا والهزيمة والفشل...».

حرب المدن... استراتيجية فاشلة

ـت هذا العـنوان تحدثـت صحيفة كيهان «باللغة
ة» في افتتاحيتها للعدد (٥١٢) عن حرب المدن التي
ا النظام القائم في العراق مؤكدة على أن هذه
يجية فاشلة ولن تؤثر على إرادة الجمهورية الاسلامية.
نقدم نص ماكتبته الجريدة.

«أكـدنـا أكثر مـن مرة ان حرب المدن التي
ـدمها صدام حسين استراتيجية فاشلة، فتل هذا
ـوب لايمكن أن يؤثر على إرادة الجمهورية
مية، وليس باستطاعة صدام أن يرغم الشعب
في ايران على الانصياع لارادته عن هذا الطريق.
جملة أسباب موضوعية تؤكد هذه المقولة، فساحة
لكبيرة وكثافتها السكانية وتعاطف وتعامل
ـب مع الحكومة الاسلامية... كل هذه الحقائق
من حجم المؤثرات التي يمكن أن تتركها حرب
وأخيراً وليس آخراً ان ايران تملك القدرة على
ة هذا اللون من الاثار، فهي تتمتع بدرجة دفاع
ناجح وأكبر دليل على ذلك ان الطيران العراقي في
الأخيرة لم يستطع أن يصيب أي هدف عسكري
مادي، ورغم كل ذلك لم يرعو صدام عن غيه
ـر في تفكيره غير المنطقي فأصر على مواصلة حرب
ولم يضع في حسابه ان ايران تملك القوة القدرة
ـسم النتيجة في هذا المجال، ولذلك فوجىء
واريخ بعيدة المدى وهي تدك قلب بغداد الأمر
دى الى شلل الحياة الاقتصادية والسياسية في
ـمة وسبب خروج الخبراء والدبلوماسيين
ـ.. وقد قلبت هذه الصواريخ معادلات الحرب
تكن في حساب صدام وأسياد صدام...

إذن: فحرب المدن أعطت نتائج معاكسة تماماً، وأسقطت بيد رئيس النظام العراقي الأماني التي كان ينتظرها من استخدامه حرب المدن. وليعلم النظام الصدامي ان حرب المدن لم تجلب له سوى المزيد من الدمار والخراب ولن تؤثر بتاتاً على مسار الحرب.

وقد صرح بعض الدبلوماسيين في طهران من أن حرب المدن لم تغير شيئاً في مسار الحرب، فلقد أثبتت تجارب الحرب العالمية الأولى والثانية عقم هذا الأسلوب وفشله».

«الموساد» متورطة في مذابح المسلمين في سريلانكا

■ تحت هذا العنوان كتبت مجلة العالم التي تصدر في لندن في عددها (٦٨) تقول:

ه «تتزايد الدلائل على تورط جهاز المخابرات الاسرائيلي (الموساد) في مذابح المسلمين في سريلانكا التي نشبت في الثاني عشر من نيسان (ابريل) الماضي بين المسلمين وطائفة التاميل المطالبة بالانفصال، والتي تحولت بتدخل المخابرات الخارجية الى حرب أهلية رحت بالمسلمين في أتونها.

وذكرت تقارير رسمية ان نحو ٥٠ شخصاً قد قتلوا في اشتباكات نيسان (ابريل) ودمر مايزيد على ١٥٠٠ بيت ومتجر وشرد أكثر من ٤٠ ألف شخص يعيشون الآن في مخيمات في شرقي الجزيرة.

وكان وزير الداخلية (بيل ديوانا ياقان) أول من زار مسرح الاضطرابات وألقى باللائمة على الفرقة الخاصة في قوة الشرطة، فيما عارض ذلك وزير الأمن القومي (لاليت اتولا ثمودالي) الذي اتهم الانفصاليين بإثارة الاشتباكات..

ـ يعتقد المراقبون ان البلاد تعيش أسوأ فترات
منذ ان تعرضت لغزواتها الهنود والهولنديين
البيض والبريطانيين ابتداء من عام ١٥٠٥

ـ تقول وكالة أنباء سريلانكا إن الحكومة تعتقد
بأن التاميليين يهدفون الى تهجير (٣٢٠) ألف
المقاطعات الشرقية الثلاث التي تعتبر من أغنى
زراعية وتسمى (سلة الرز).

ـ تقول الحكومة إنه بعد أن نجح الانفصاليون في
الأشخاص من الطائفة السنهالية من
، فقد وجهوا جهودهم الآن الى شرق البلاد
إلا أنهم لم يأخذوا بعين الاعتبار حقيقة أن
ن يستسلموا بسهولة، حيث تدل الاحصائيات
تاميل المهجرين أكبر من عدد المسلمين.

ـ يبلغ عدد المسلمين مليون شخص مقابل
سمائة ألف شخص من التاميل.....
وتعتقد بعض المصادر ان الاسرائيليين كانوا
بلاء الذي حل بالبلاد، فقد اشتدت حدة
الطائفية منذ أن استدعت حكومة الرئيس
س جياواردين) خبراء من الموساد عام ١٩٨٤
ـ بفتح قسم للمصالح الاسرائيلية في السفارة
في كولومبو.
ـ الحكومة على احتجاجات عربية واسلامية
عدة للتعاون مع الشيطان لمعالجة الوضع. وتقول
در إن حكومة سريلانكا اقترفت خطأً قاتلاً في
الشيطان الاسرائيلي.

ول المراقبون العربيون هنا ان الوضع في
كما غيره في فلسطين المحتلة ومنطقة الشرق
فحركة التاميل الانفصالية موجودة على أرضها
كثافة سكانية كما ان الاسرائيليين لم يحققوا
خارقة في القضاء على (الارهاب). ورغم الآلة
الحربية الضخمة، فقد وجدوا أنفسهم مضطرين
للانسحاب من جنوب لبنان.

ورئيسة وزراء سريلانكا السابقة السيدة (سيريما
بندرانايكا) كانت أكثر صراحة من غيرها، إذ قالت إن
الموساد وراء ما يجري في الجزيرة. والسبب وراء ذلك كما
تقول «هو محاولة كسب التعاطف العربي لحكومة
كولومبو وإثارة عدائهم ضد التاميليين».

ويعتقد الكثير من المراقبين انه مهما اختلفت
التفسيرات، فقد اضافت الاضطرابات بين المسلمين
والتاميل بعداً جديداً الى الصراع الدائر في هذه الجزيرة
التي سمّاها بعض المؤرخين (جنة عدن) والتي قد تتحول
الى جحيم لايطاق».

من هنا تبدأ القصة

■ حول تركيز العلماء والمخلصين في لبنان على اسلامية المعركة ضد الصهاينة في فترة من فترات المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني، باعتبار ان الاسلام هو منهج العمل السياسي، ومصلحة الاسلام والمسلمين هي المقياس، كتبت جريدة «العهد» اللبنانية مقالاً تحت العنوان أعلاه في عددها (٤٩) جاء في جوانب منه:

● «الذين لاحظوا في فترة من فترات المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني، تركيز العلماء والمخلصين على اسلامية المعركة ضد العدو، وإصرارهم المستمر والعنيد على إظهار الحقيقة الموضوعية التي تؤكد ان المقاومة التي تصدت للغزو وقاتلت بأسلوب لم يعهده تاريخ العرب منذ قرون، وصمدت بوجه آلته الحديدية وجبروته الاسطوري، هي مقاومة إسلامية بكل مظاهرها وشعاراتها وشهدائها وممتليها وأساليبها ورموزها ودوافعها وأهدافها...

ن لاحظوا هذا التركيز والاصرار على اسلامية والذين كانوا يشعرون بحرقة أولئك الذين كانوا من وصف المقاومة بغير صفتها الاسلامية، ن منهم التحذيرات والتنبيهات الى خطورة ان تسرق ومة اسلاميتها.. باتوا اليوم يدركون بوضوح بعد نظر علماء والمخلصين، و باتوا اليوم يفهمون جيداً أبعاد التي بدأت قصتها منذ قليل في إعلام السلطة المو بوء لعرب المستعمر ان المقاومة «وطنية لبنانية»...

لطبع لم يكن هذا الوصف محبة زائدة للوطن ولا لكنه من وجهة نظرنا كان تعبيراً عن الروح الثقافية ة التي تسري في عروق ادعياء التحرير، وتعبيراً عن ب شخصية هؤلاء ازاء مشاريع الاستكبار العالمي من الاسلام الذي يكشف حقيقتهم ومصموبهم

بدا واضحاً ان صفة الوطنية ركبت تركيباً لقطع ، أمام التيار الاسلامي المجاهد ولإفساح المجال أمام لعربية اليسارية أو اليمينية المعدلة من أجل المشاركة لبنان «الجديد الديمقراطي الواحد الموحد».

الي من أجل فرض الحلول الجاهزة على الجميع بقوة «الوطني» و برعاية (أبطال المقاومة الوطنية

ب صفة «اللبنانية» لتؤكد الانتماء الى الجزء الذي اقتطع من العالم الاسلامي الكبير بفعل مؤامرة استعمارية رسمت في اتفاقية توزيع الحصص التي عرفت بسايكس — بيكو.

الذين قالوا ان المقاومة اسلامية ولايرالون.. هم أشد حباً للوطن وأكثر ولاءً للأمة التي هي أكبر من أن تحاصر في زاوية من زوايا العالم إسمها لبنان.

لكن مشكلتهم أنهم متشددون لايجيدون استعمال المرونة مع أمريكا وفرنسا و(اسرائيل) والكتائب..

مشكلتهم انهم يتجمدون في العمل السياسي عند حقائق ثابتة لايحيدون عنها.. فلايمكن أن يشتركوا في حكم كتائبي، ولايمكن أن يخففوا من عدائهم لأمريكا.. ولايمكن أن يتنازلوا عن شعار تحرير القدس... ولايمكن أن يقبلوا برعاية فرنسا، و يصرّون على تشكيكهم بالقوات الدولية وخصوصاً بالقوات الفرنسية والفيجية.. ولايمكن أن يحاوروا ايلي حبيقة ولاايلي كرامة. ولايقبلون بنصف الحلول، ولايداهنون في الحق اكراماً لفلان.. ولايجرون الى مواقف لايملكون رؤية متكاملة لأبعادها..

و بديهي ان الاسلام ليس كالوطنية. الاسلام على شموليته واتساع نظرته.. محدد بمفاهيم واضحة و بأحكام شرعية دقيقة لايمكن التلاعب بها أو تمييعها أو التحايل عليها»..

▪ مجلات وصلتنا:

• الشهيد (العدد ١٤٦)، نور علم (العدد ١٠)، الأمة (العدد ٥٧)، المنار الاسلامي (العدد ٩، س١٠)، الوعي الاسلامي (العدد ٢٤٨)، البديل (العدد ١١)، المجاهد (العدد ١٢٩٢)، الهداية (العدد ٩٠)، الفاروق (العدد الأول)، ١٥ــ٢١ (العدد ١١، س٣)، الاسرة المسلمة (العدد ٢)، فلسطين الثورة (العدد ١٥١).

كما وصلتنا خلال شهري رمضان و شوال أعداد من الصحف التالية: ١٤ اكتوبر، القرار، العهد، الشهادة، الجهاد، التيار الجديد، لواء الصدر، الغد الديمقراطي وكيهان باللغة العربية.

صدر حديثاً

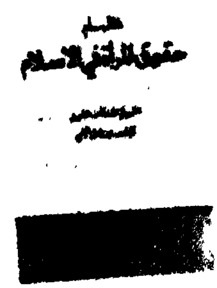


صدر موخراً كتاب تحت عنوان «لمحة عن جهاد البناء» أعده قسم العلاقات الدولية في جهاد البناء، فيما أشرفت منظمة الاعلام الاسلامي على طبعه.

يتحدث هذا الكتاب الذي يقع في (١٤٢) صفحة عن كيفية وتاريخ تأسيس مؤسسة «جهاد البناء» التي تبدلت فيما بعد الى وزارة، كما يتحدث عن: ساحة عملها ولجانها، وبصورة عامة عن النشاطات التي تقوم بها.

وفي الكتاب صور لنماذج من نشاطات جهاد البناء في مجال إنشاء المدارس وشق الطرق وبناء الدور السكنية وما الى ذلك من نشاطات أخرى.

يطلب هذا الكتاب من قسم العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي على العنوان المذكور في أسفل الصفحة.



«نظام حقوق المرأة في الاسلام» كتاب يتألف من سلسلة مقالات كان قد نشرها الأستاذ الشهيد آية الله مرتضى المطهري في مجلة «زن روز» أي «امرأة اليوم».

هذا الكتاب يتألف من (١١) فصلاً، و يتحدث الشهيد مطهري فيه عن الحقوق التي تتمتع فيها المرأة في الاسلام ومكانتها، مستشهداً ب ذلك ببعض الروايات والآيات والأحاديث. كما يعرض في هذا المجال نظرة المذاهب الأخرى ـ المرأة.

يقع الكتاب في (٣٣٢) صفحة، وللحصول عليه يرجى مراسلة قسم العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي.

للحصول على كتب منظمة الاعلام الاسلامي، يرجى المراسلة على العنوان التالي:
الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران
ص.ب ١٤١٥٥/١٣٧٣

باقات شعرية

علي بن الجهم في السجن:

قالوا حُبستَ، فقلتُ ليس بضائري   حبسي، وأيّ مهنّدٍ لا يغمد
أو ما رأيت الليث يألفُ غِيلَهُ   كبراً، وأوباش السباع تردّد
والنار في أحجارها مخبوءة   لا تُصطلى مالم تثار الأزند
والبدر يدركه السرار فتنجلي   أيامه، وكأنّه يتجدد
والزاغبية لا يقيم كعوبَها   إلاّ الثقاف، وجذوة تتوقد
لا يُؤيسنّك من تفرج كربة   خطب أتاكَ به الزمان الأنكد
فلكل حال معقب، ولربما   أجلى لك المكروه عما تحمد
والحبس مالم تغشه لدنية   شنعاء، نعم المنزل المتورد
بيت يجدد للكريم كرامة   ويُزار فيه ولايزور، ويُحمد

* * *

سجن أبوالطيب المتنبي في حمص، وكان سجانه يسمى أبادلف، فنظم فيه هذه الأبيات:

اهون بطول الثواء والتلف   والسجن والقيد يا أبادلف
غير اختيار قبلت برّك بي   والجوع يرضي الأسود بالجيف
كن أيها السجن كيف شئت فقد   وطنت للموت نفس معترف
لوكان سكناي فيكَ منقصة   لم يكن الدر ساكن الصدف

* * *

[illegible] | وسكت [illegible]
لقد عشت [illegible] | ولكن [illegible] في الحوادث [illegible]

* * *

[illegible] بعنوان (العزم والبأس) [illegible]:

إننا في سبيل العُلى مارغبنا | ملأ الكون رهبةً إن غضبنا
ماجزعنا للسجن يوم غُلبنا | ان من رام مثلها قد طلبنا
لانبالي ان سيق للسجن سوقا

* * *

نحنُ قومٌ من العلى ماقصرنا | حيثما دارَ كوكبُ العزّ درنا
وإذا جارَ حادثُ الدهرِ جرنا | رخُصت عندنا النفوس فثرنا
نطلب العزّ والعُلى لانبقى

* * *

قد خُلقنا دونَ الورى أحرارا | وامتلكنا التيجانَ والأمصارا
وجعلنا لنا المعالي شعارا | ولقد سامنا العدو احتقارا
فرآنا نستبق الموتَ سبقا

* * *

لا وحقي ومنزلي وحماتي | ما انحنيت للعدو يوماً قناتي
أنا فرعٌ من دوحة المكرماتِ | أنا من أسرةٍ كرام أباة
لايرون الحياة في الذل أبقى

* * *

[illegible] | لا ولم أرع من عدوي [illegible]
ولقد [illegible] والردى [illegible] | [illegible]
لم أزل [illegible]

* * *

أحمد الصافي النجفي قصيدة بعنوان: (رهين الحبسين):

رهينَ الـمَحْبَسينِ، ضنىً وفقرٍ ... وأُحبس: جلّ ذلك من نصيبِ
لئن أُسجن فـما الاقفاص إلاّ ... لِلَيث الغاب أو للعندليبِ
ألاَ يـا بُلبُلاً سَجنوكَ ظلماً ... فنُحتَ لفرقة الغُصن الرطيبِ
كِلانا مِن تـألُّمِهِ يُغنّي ... فننعش صاحب القلب الطروبِ
ويـا ليثَ الشرىٰ سَجنوكَ مِثلي ... لـدُن خـافوا وثـوبكَ أو وثوبي
لئن كشّرت للهيجاءِ نـابا ... فـأقلامي تكشر للحروبِ
كِلانا صاحبا صمتٍ مهيبٍ ... كِلانا صاحبا وجهٍ رَعوبِ
أدِبُّ على الثرىٰ ضعفاً، ولكن ... أرىٰ الجبناء يقلقهم دَبيبي
تُراع حلومهم لصدىٰ عظام ... ضئيلات تقضقض في جنوبي
أُعبِّسُ لِلضنىٰ فيخيف قوماً ... عبوسي ثم يُشحبهم شحوبي
فكيف بهم إذا سَمِعوا زئيري ... وكيفَ إذا أُكشِّرُ عن نيوبي[2]

★ ★ ★

لا حد الشعراء المؤمنين:

كبّلوني.. اسجنوني، لستُ ممّن يفتح الدربَ لأرباب المجونِ
كبلوني.. اسجنوني، ليست الروح من العزّةِ أن أنكر ديني
كبلوني.. قطعوني، لن تروا مِنّي انحرافاً قيدَ شِبرٍ عن يَقيني
أنا إيماني، فإن مت، فإيماني معي يهزأ دوماً بالمَنون
والذي يخشىٰ المنايا مَنْ تلوّىٰ مُستكيناً في مواخير الجنون
و أنا أنشدُ للربِ طريقاً، خالياً من كلّ أو حالِ الفتون[3]

---

(١) حصاد السجن ص ٩٧.

(٢) حصاد السجن ص ١٥٣.

(٣) مجلة رسالة الاسلام.

الاسلام في أوغنده

علي أبوبكر / أوغندة

محاضرة ألقيت في المؤتمر الثالث
لفكر الاسلامي الذي عقد بطهران
لال شهر جادى الثانية الماضي.

الحمدلله حمداً يوافي نعمته، و يكافىء
ريده، سبحانك اللهم لا أحصي ثناء
لميك، أنت كما أثنيت على نفسك، وصلّ
لهم أفضل صلواتك على خاتم رسلك
نبيائك، سيدنا محمد وعلى آله و صحبه
معين، واشرح اللهم صدري، و يسرلي
ري، وارزقني نعمة الاخلاص، وقني فتنة
فس والهوى، وجنبني مزالق الشيطان، انك
م المولى ونعم النصير.

و بعد: أيها الاخوة في الله انه لما يلزمني
ل أن أبدأ حديثي عن الحكومة الاسلامية
، أعرض مقدمة قصيرة موجزة عن أوغنده.
ي تقع على خط الاستواء في شرق أفريقيا،
سي منبع نهر النيل المعروف، ويحدها في
الشرق جمهورية كينيا، و زائير غرباً، و جمهورية السودان شمالاً، وجمهورية تانزانيا جنوباً. و يبلغ عدد سكانها حسب تعداد الحكومة لعام ١٩٨١، نحو ١٤ مليون نسمة، منهم نحو ٤ ملايين مسلم، و يتقاسم العدد الباقي المسيحية بطوائفها الثلاث: البروتسنتية، الكاثوليكية والاوثروكيسية، والمشركون الذين لايعتقدون بالأديان السماوية. وتبلغ مساحتها نحو ٩٣ ألف ميل مربع، وهي بلدة خصبة في معظم مناطقها، تغطيها الخضرة في كل مكان طول العام، ماعدا الشرق الشمالي الأقصى.

ان أوغنده هي قلب القارة الافريقية لصفاء جوها وخصوبة أرضها، ولعتدال مناخها في

كل فصول السنة، وقد كانت مستعمرة بريطانية لنحو ٧٥ سنة، وقد نالت حريتها واستقلالها في ٩ـ١٠ـ١٩٦٢م.

الاسلام في أوغنده

ان الدين الاسلامي هو أول دين عرفته أوغنده، إذْ دخل فيها في عام ١٨٥٢م، على أيدي التجار العرب من جنوب شبه الجزيرة العربية، الذين دخلوا في منطقة (بوشنده) في العام السابق الذكر لغرض التجارة، قادمين من ساحل المحيط الهندي، ولما كان الغرض الأسمى لهؤلاء في المجيء الى اوغندة هو التجارة، لم يهتموا بنشر الاسلام اهتماماً لائقاً مما أعطى المبشرين المسيحيين الذين أتوا بعدهم لغرض نشر المسيحية والاستعمار، فرصة السيطرة وفرض المسيحية في أوغنده كدين الأغلبية، واتهام العرب باسترقاق الشعب باسم الدين كما هو معلوم في تاريخ المستعمرين. وعلى رغم كل ذلك ناضل المسلمون الأولون في سبيل الحفاظ على دينهم ونشره رو يداً رو يدا بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقد قامت حروب طاحنة بين المسلمين والمسيحيين استشهد فيها كثير من المسلمين، فاضطر المستعمر البريطاني الى نفي بعضهم من مناطقهم الى مناطق أخرى في أوغنده، ولكن سماحة الاسلام وعناية الله، فرضت نتائج عكسية لرغبة المستعمر، فبينما [illegible] المستعمر اضعاف المسلمين بتشتيتهم [illegible] لأن كل مسلم نفي الى منطقة قام بالدعوة [illegible] الاسلام في هذه المنطقة، و بذلك انت[illegible] الاسلام في أوغنده تلقائياً.

المسلمون في أوغنده

لما رأى المستعمر البريطاني انتش[ار] الاسلام بهذه السرعة في جميع مناطق أوغند[ه] اتبع سياسة: ـفرق تسدـ فاختلق في جم[عية] للشؤون الاسلامية التي كان يرأس[ها] الأغاخان، فأتاحت لها فرصة فرض نفوذ[ها] ووجودها كمنظمة اسلامية لتحقق له [ما] عجز عنه علناً، وكانت خطة هذه الجمع[ية] تقصد القضاء على الاسلام في ظرف خمس[ين] سنة فقط، وذلك ببناء مدارس كثيرة [في] مختلف أنحاء أوغنده بأسماء خادعة مثل ـالمدرسة الاسلاميةـ وما شاكل ذلك، بي[نما] لايدرس فيها الدين الاسلامي البتة، ولكن بفضل الله تنبه المسلمون لهذه الخطة الهدامة فبدأوا ينشئون كتاتيب تحفيظ القرآ[ن] والمدارس لتعليم الدين الاسلامي واللغة العربية، ومع ذلك فقد أثرت هذ[ه] الجمعية في المسلمين تأثيراً بالغاً، إذْ مزقته[م] شرَّ ممزق، فأصبحوا شِيعاً وأحزاباً، كل حزب بما لديهم فرحون.

وقد استمرت الحالة كذلك الى عا[م]

١٩٧١م، بعد الانقلاب العسكري بقيادة عيدي أمين الذي سعى قلبه الاستطاعة في توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم، بأنشاء المجلس الاسلامي الأعلى الأوغندي الحالي، الذياشتركت فيه جميع الأحزاب الاسلامية، و اشتركت في انتخاب زعيم للمسلمين في أوغنده، والجدير بالاشارة اليه هنا هو ان المسلمين مازالوا متخلفين في ميدان التعليم الديني والدنيوي معاً، لأن الاستعمار بزعامة المبشرين لم يتيحوا فرص التعليم لأبناء المسلمين، إلاّ إذا وافق الوالد على تغيير اسم ابنه أو ابنته واعتناقه المسيحية، فكان الآباء يفضلون بقاء أبنائهم في منازلهم خوفاً من ارتدادهم بحجة العلم، وكذلك منع الاستعمار البريطاني أبناء المسلمين من السفر الى بلاد المسلمين، وان حاول الأب جاهداً اقناعهم ان ابنه يذهب هناك لغرض طلب العلم، وكل الطلبة الذين وجدوا في تلك البلاد كانوا يتسللون تسللاً، لأن التعليم الاسلامي كان يعتبر جريمة كبرى، وقتلاً لأبناء الأمة و دفنهم أحياء في نظر المستعمر البريطاني، ولذلك لم تكن هناك مدارس دينية اسلامية إلاّ في السنوات المتأخرة في ... و ١٩٤٩م.

ومن هنا نجد أن المسلمين في أوغنده في حاجة ماسة الى العلم الديني والدنيوي، حتى يلحقوا بركب اخوانهم الذين حظوا بهذا العلم منذ بعيد، ولنا أمل جسيم في الجمهورية الاسلامية الايرانية والدول العربية الاسلامية والعالم الاسلامي أجمع، أنها ستهب لنجدة اخوانهم المسلمين في أوغنده بجد ومثابرة، رغم العقبات والعوائق التي يثيرها الاستعمار والصهيونية العالمية، لايقاف المسيرة الاسلامية المباركة في هذاالبلد المسلم.

أيها الاخوة: انه ليوم سعيد ذلك اليوم الذى يلتقي فيه الاخوة بعد مرحلة طويلة، و يوم يجمع فيه الشمل المشتت، ولاسيما إذا كان لقاء الأحباب لهدف نبيل وغاية سامية، فوق أرض الاسلام وتحت ظلال شجرة الايمان الوارفة «أصلها ثابت وفرعها في السماء».

وهنا يأتي دور الحديث عن الحكم الاسلامي ــ بالشريعة الاسلامية، فأقول: ان أعظم مقومات الاسلام هو العمل بأحكامه، إذْ الاسلام لم يوجد الا لتعرف أحكامه، وتقام شرائعه وشعائره، وعلى هذا فن أهمل العمل بالشريعة الاسلامية أو عطلها فقد أهمل الاسلام وعطله. والشريعة الاسلامية هي: مجموعة المبادئ والنظريات التي شرعها الاسلام، في التوحيد، والايمان، والعبادات، والأحوال الشخصية، والجرائم، والمعاملات، والادارة، والسياسة، وفي غير ذلك من الأغراض والاتجاهات.

والأحكام التي جاء بها الاسلام على نوعين: أحكام يراد بها إقامة الدين، وأحكام

يراد بها تنظيم الدولة والجماعة وتنظيم علاقات الأفراد والجماعة بعضهم ببعض، فالاسلام يمزج بين الدين والدنيا، وبين المسجد والدولة، فهو دين و دولة و عبادة وقيادة، وكما أن الدين جزء من الاسلام فالحكومة جزؤه الثاني، بل هي الجزء الأهم، وصدق عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث يقول: «ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن». و يبين على كون الشريعة مقصوداً بها اسعاد الناس في الدنيا والآخرة أن تعتبر وحدة لا تقبل التجزئة، أو جملة لا تقبل الانفصام لأن أخذ بعضها دون بعض، لايؤدي الى تحقيق الغرض منها، ومن تتبع آيات الأحكام في القرآن يجد كل حكم منها يترتب على مخالفته جزاءان: جزاء دنيوي، وجزاء آخروي، ولم تشرع أحكام الشريعة الاسلامية للدنيا والآخرة عبثاً، وانما اقتضى ذلك منطق الشريعة، فهي أصلها تعتبر أن الدنيا دار ابتلاء وفناء، وأن الآخرة دار بقاء وجزاء، وأن الانسان مسؤول عن أعماله في الدنيا، مجزي عنها في الآخرة. فان فعل خيراً فلنفسه، وان أساء فعليها، والجزاء الدنيوي لايمنع من الجزاء الأخروي و يسقطه، إلاّ إذا تاب الانسان وأناب.

ويمتاز الحكم بالشريعة الاسلامية عن الحكم بالقانون الوضعي، بأنه يمزج بين الدين والدنيا، لأن الشريعة الاسلامية شرعت للدنيا والآخرة، وهذا هو السبب الوحيد الذي يحمل المسلمين على طاعتها في السر والعلن، والسراء والضراء لأنهم يؤمنون طبقاً لأحكام الشريعة ـ بأن الطاعة نوع من العبادة يقربهم الى الله، وانهم يثابون على هذه الطاعة، ومن استطاع منهم أن يرتكب جريمة، و يتفادى العقاب، فانه لايرتكبها مخافة العقاب الآخروي، وغضب الله عليه، وكل ذلك مما يدعو الى قلة الجرائم وحفظ الأمن، وصيانة نظام الجماعة، بعكس الحال في القوانين الوضعية فانها ليس لها في نفوس من تطبق عليهم ما يحملهم على طاعتها، وهم لايطيعونها إلاّ بقدر ما يخشون من الوقوع تحت طائلتها، ومن استطاع أن يرتكب جريمة ما ـ وهو آمن من سطوة القانون ـ فليس ثمة ما يمنعه من ارتكابها من خلق أو دين، ولذلك تزداد الجرائم زيادة مطردة في البلاد التي تطبق القوانين، وتضعف الأخلاق، و يكثر المجرمون في الطبقات المستنيرة تبعاً لزيادة الفساد الخلقي في هذه الطبقات، ولمقدرة أفرادها على التهرب من سلطان القانون. ونصوص الشريعة نفسها تمنع من العمل ببعضها، واهمال البعض الآخر، كما تمنع من الايمان ببعضها والكفر ببعض، وتوجب العمل بكل أحكامها والايمان ايماناً تاماً بكل ماجاء به، فمن لم يؤمن بهذا و يعمل به دخل تحت قوله تعالى: «... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ، فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ

بعضه...». والنصوص الواردة بتحريم العمل ببعض الشريعة دون بعضها كثيرة، و بناء على ذلك نرى أن أحكام الشريعة لا تتجزأ ولا تقبل الانفصال.

ويمتاز الحكم بالشريعة الاسلامية بأنه حكم بشريعة اسلامية عالمية، أنزلها الله جلّ شأنه على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ليبلغها الى الناس كافة من عرب وعجم، شرقيين وغربيين على اختلاف مشاربهم، وتباين عاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم. فهي شريعة كل أسرة، وشريعة كل قبيلة، وشريعة كل جماعة، وشريعة كل دولة: انها الشريعة العالمية التي استطاع علماء القانون ان يتخيلوها، ولكنهم لم يستطيعوا أن يوجدوها، اقرأوا ان شئتم قوله تعالى: « قُلْ يا أَيُّها النّاسُ إنّي رَسولُ اللهِ إلَيْكُمْ جميعاً...» وقوله تعالى: «هوَ الّذي أرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدى وَدينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّه...» وقد أنزلت الشريعة من عندالله شريعة كاملة، وتم نزولها في فترة قصيرة بدأت ببعثة الرسول، وانتهت بوفاته أو انتهت يوم نزل قوله تعالى: «...اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأتممتُ عليكُمْ نِعمَتي ورَضيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً...» وهذا النص قاطع في كمال الشريعة ودوامها، بعد أن قطعت نصوص الشريعة بأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء: «ما كانَ مُحَمَّدٌ أبا أحدٍ مِنْ رِجالِكُمْ ولكِنْ رَسولَ اللهِ وَخاتَمَ النَّبيينَ...».

ومن يراجع أحكام الشريعة يجد أنها جاءت كاملة لانقص فيها شاملة لأمور الأفراد والجماعة والدول، فهي تنظم الأحوال الشخصية، والمعاملات، وكلّ ما يتعلق بالأفراد، وتنظم شؤون الحكم والادارة والسياسة، وغير ذلك مما يتعلق بالجماعة كما تنظم علاقة الدول بعضها ببعض في الحرب والسلم، ولم تأت الشريعة الاسلامية لوقت دون وقت، أو لعصر دون عصر، أو لزمن دون زمن، وانما هي شريعة كل وقت أو شريعة كل عصر، وشريعة الزمن كله، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، أما القانون الوضعي فينشأ في الجماعة التي ينظمها ويحكمها ضئيلاً محدود القواعد ثم يتطور بتطور الجماعة، فتزداد قواعده، وتتسامى نظرياته كلما ازدادت حاجات الجماعة وتنوعت، وكلما تقدمت الجماعة في تفكيرها وعلومها، و يصنع قواعد القانون الأشخاص المسيطرون على الجماعة وهم الذين يقومون بتهذيب هذه القواعد وتغييرها، فالجماعة إذن هي التي تخلق القانون، وتصنعه على الوجه الذي يسد حاجاتها، وتقدمه مرتبط بتقدمها.

ويمتاز الحكم في الشريعة الاسلامية بأنه يرمي الى تنظيم الجماعة وتوجيهها، وخلق الأفراد الصالحين وايجاد الدولة المثالية، والعالم المثالي نظراً لغرض الشريعة الاسلامية، ومن أجل هذا جاءت نصوصها أرفع من مستوى العالم كله وقت نزولها، ولا تزال كذلك الى اليوم، أما الحكم بالقانون

الوضعي، فالأصل فيه أنه يرمي الى تنظيم الجماعة دون توجيهها نظراً لأصل وضع القانون، ومن ثم كان القانون متأخراً عن الجماعة، وتابعاً لتطورها.

ومن خلال هذا العرض الموجز يتبين لنا أن الجمهورية الاسلامية الايرانية، قد طبّقت على نفسها قوله تعالى: «وأنْزَلنا إليكَ ٱلكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لما بينَ يَدَيهِ منَ ٱلكِتابِ ومُهَيمِناً عَلَيهِ فاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بما أنزلَ اللّه، ولا تَتَّبِعْ أهواءَهُمْ عَمّا جاءَكَ مِنَ ٱلحَقِّ، لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً ومِنهاجاً، ولو شاءَ اللّه لَجَعَلَكُمْ امَّةً واحِدَةً ولكنْ لِيَبْلُوَكُمْ في ما آتاكُمْ فاسْتَبِقوا الخَيراتِ، إلى اللّه مَرْجِعُكُمْ جَميعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بما كُنتمْ فيهِ تَخْتَلِفونَ ه وأنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بما أنْزَلَ اللّه ولا تَتَّبِعْ أهواءَهُمْ وٱحْذَرْهُمْ أنْ يَفْتِنوكَ عَنْ بَعْضِ ما أنزَلَ ٱللّه ليكَ ، فَإنْ تَوَلَّوْا فاعْلَمْ أنَّما يُريدُ ٱللّه أنْ سيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنوبِهِمْ وإنَّ كثيراً مِنَ ٱلنّاسِ اسِقونَ ه أفَحُكْمَ ٱلجاهِلِيَّةِ يَبْغونَ ومَنْ حْسَنُ مِنَ ٱللّه حُكْماً لِقَومٍ يُوقِنونَ (صدق له العظيم). فسعدت واسعدت شعبا في ذه الحياة، وكتب الله سبحانه وتعالى لهم صمود في وجه المعتدين الطغاة بوجه طلق شر بالنصر المبين من الله تعالى، كما كتب التطور والازدهار في كل ميادين الحياة يعة، أرادوا أن يفتنوها عن بعض ما أنزل ستثنيت لهم، وباءت محاولاتهم بالفشل بع، فباؤا بغضب من الله وخزي مبين، لأن الله هو ولي المتقين. هذا بخلاف تلك الدول التي تدعي أنها تحكم بالشريعة الاسلامية في بلادها، بينما هي تتخذ هذه الاصطلاحات كغطاء لأهواء حكامها، والحكم بالشريعة الاسلامية منهم بريء، لايملكون إلاّ اسمها دون ماهيتها.

أيها الأخوة الكرام؛ قبل أن أترك هذه المنصة اسمحوا لي أن انتهز هذه الفرصة، لأتوجه الى المسؤولين على تنظيم هذا المؤتمر شكري القلبي على تكريمهم بتوجيه الدعوة الينا، وعلى اتاحة فرص اللقاء لنا لنتدارس ــ الأمور الاسلاميةــ مع الأخوة المسلمين من جميع البلاد، انها فرصة ذهبية غالية، يجب علينا الحاضرين هنا انتهازها واستغلالها استغلالاً كاملاً لنرسم الطرق والوسائل التي ستقود المسلمين نحو الهدف السامي ــ ألا وهو إحياء الدعوة في كل بلاد العالم المغمور، وآمل ان دعوتناهنا واجتماعنا في هذا المكان المبارك وكل ما سنتوصل اليه من قرارات لن تقف عند تفاخرنا أننا حضرنا المؤتمر واجتمعنا وتشاورنا فقط، دون تطبيق هذه القرارات ونشرها بين اخواننا الذين نمثلهم في هذا المؤتمر، وكذلك أرجو ألا تقف مشاكلنا التي قدمناها عند حد التعجب والاستغراب دون دراستها من المسؤولين وتأملها وايجاد الحلول الناجعة لها، لصالح الاسلام والمسلمين في كل البلاد المشتركة في هذا المؤتمر وغيرها ●

شؤون اسلامية

...م بالسجن على كاتبة مسلمة في تركيا

...ت محكمة اسطنبول مؤخراً حكماً بالسجن ...ة أعوام ونصف على سيدة تركية مسلمة ...يف كتاب يحمل عنوان «سرقوا ايمان ... تدعو فيه الى الاسلام وتغيير النظام القائم ... نظام اسلامي.

... الصحف التركية التي نشرت صورة هذه ...ي مثلت أمام المحكمة بالحجاب انها لم تتبن ...تي وردت في هذا الكتاب فحسب، بل ... دون وجل أو خوف.

مسلمو بورما يحرمون الجنسية

...ـة [illegible]

لدينهم، إذ عمدت السلطات البورمية على إصدار قانون خاص بالجنسية جعلت بموجبه طائفة «الروهنجا» المسلمة بدون جنسية، وطالبتهم بتقديم طلبات للتجنس لاعتبارهم مستقبلاً بأنهم أجانب، متجاهلة في ذلك التواجد التاريخي لطائفة الروهنجا المسلمة في بورما.

وجدير بالذكر ان عدد المسلمين في بورما يبلغ نحو ثلاثة ملايين مسلم.

الملك حسين يدخل في مباحثات مباشرة مع الصهاينة

ذكرت التقارير مؤخراً ان جورج شولتز وزير الخارجية الأميركي أطلع رئيس وزراء العدو الصهيوني شمعون بيريز عن استعداد ملك الأردن للدخول في مباحثات مباشرة مع العدو الصهيوني.

وتعليقاً على هذا الخبر صرح أحد مسؤولي الكيان الصهيوني قائلاً: إنني لا أرى في هذا الأمر تطوراً جديداً، وإنما هو فقط خطوة في الوجهة الصحيحة.

أحكام بالاعدام في المغرب

ذكر رئيس جمعية حقوق الانسان في المغرب ... أحكاماً صدرت خلال الشهرين ... على ١٦٠٠ شخص في المغرب منهم ١٣ شخصاً حكم عليهم بالاعدام لاشتراكهم في ... [illegible]

مصرع عشرات المسلمين في الهند

أشارت التقارير التي وردت من ولاية أحمدآباد
ـدية ان الهجمات التي شنها الهندوس المتطرفون على
مين في تلك الولاية أسفرت عن مقتل أكثر من ٣٠٠
ـص واصابة مايقارب ٢٥٠٠ شخص بجروح
ـهم من المسلمين.

وأضافت تلك التقارير ان الهندوس أضرموا النار
ل تلك الأحداث في (٧٠٠) محل ومركز تجاري وما
ـ على (٢٤٧٥) منزلاً للمسلمين. كما ألحقوا خسائر
ـرة مساجد، وشردوا ما يقرب من (٦٥٠٠) مسلم.
ـدا و يتعرض المسلمون في الهند منذ عدة سنوات
ـات المتطرفين من أتباع المذاهب الأخرى. على
المثال ان (٧٥) ألف هندوسي متطرف من أبناء
«آسام» شنوا في شهر شباط من عام (١٩٨٣م)
وحشية على المسلمين في إحدى مناطق تلك الولاية
يوماً كاملاً وأسفرت عن مقتل (٣٥٠٠) مسلم
ـ من الأطفال والنساء والشيوخ
ـل ذلك بعدت مجازر أخرى نحو المسلمين في
«مراد آباد» و «ميرات» و «بارود» وأماكن

الجمهورية الاسلامية في ايران تحرز الثانية في مسابقات قراءة القرآن الكريم

[illegible]

وجدير بالذكر ان الجمهورية الاسلامية شاركت منذ انتصار الثورة الاسلامية المباركة في معظم المسابقات الدولية لقراءة وحفظ القرآن الكريم، وأحرزت خلالها على المرتبات الأولى والثانية.

محاربة الحجاب في ماليزيا

إن مسألة الحجاب وإستفادة النساء الماليزيات المسلمات من «العباءة» تطورت مؤخراً الى مسألة سياسية واسعة الأبعاد، مما أثارت قلق حكومة هذه البلاد.

وكانت الحكومة الماليزية قد أصدرت في بداية العام الجاري قراراً يقضي بمنع الموظفات من ارتداء العباءة.

من جهة أخرى هاجمت وزيرة المؤسسات العامة في حكومة ماليزيا نظرة علماء الدين للاسلام فيما يخص مسألة الحجاب، كما حذرت النساء من ارتداء العباءة، مدعية ان تحجب المرأة يمنعها من اداء مسؤوليتها الادارية!!

وتزامناً مع هذه الموجة المعادية للحجاب الاسلامي، [illegible] أجهزة الاعلام الرسمية هناك بتوجيه [illegible] مكثفة [illegible] اللاتي يتمسكن بالحجاب الاسلامي

وجدير بالذكر [illegible] الصحف الماليزية كانت قد [illegible] من شهر [illegible] الماضي ان إحدى [illegible] قد صدرت قراراً بحرمان (١٦) فتاة [illegible] شهر وذلك لاصرارهن على [illegible]

[illegible]

انزال خسائر كبيرة بالقوات السوفيتية وقوات ببرك كارمل

منذ مطلع العام الجاري بدأ المجاهدون الأفغان يصعدون من كفاحهم و يسددون ضربات قوية الى القوات السوفيتية الغازية وقوات ببرك كارمل المأجورة، و يردون الهجمات المضادة بضربات أقوى وأعنف، على سبيل المثال تمكّن المجاهدون المسلمون قبل شهر ونصف من صد هجوم واسع قامت به القوات الروسية المعتدية والقوات الأفغانية العميلة في محافظة «فاريا» حيث تمكنوا من قتل وجرح (٥٥٠) شخصاً من أفراد العدو، و إسقاط طائرة ميغ روسية.

وكانت التقارير الواردة قد أفادت بأن (٦) كتائب من القوات الروسية والأفغانية العميلة شاركت في هذا الهجوم، حيث كانت مجهزة بـ (١٢٠٠) دبابة تساندها المدفعية الثقيلة و (١٧) طائرة حربية وهليكوبتر وقاذفة الصواريخ.

وقد أجبر المجاهدون المسلمون الأفغان القوات المعتدية على الانسحاب بعد معركة دامية استمرت ثلاثة أيام.

و [illegible] القوات الروسية والقوات [illegible] في هذه المعركة (٢١٠) قتيلاً و (٢٩٠) جريحاً.

من جهة أخرى [illegible] المجاهدون الأفغان في هذه [illegible] هجوماً على [illegible] و [illegible] (١٢٠) شخصاً من القوات السوفيتية والأفغانية [illegible] المجاهدون معسكراً [illegible] (سيد [illegible]) [illegible] ولاية ([illegible]) فقتلوا وجرحوا [illegible] من أفراد العدو ودمروا عدداً من أسلحته.

هذا واستمراراً لممارسات النظام الأفغاني العميل في ملاحقة الطلبة المسلمين، ذكرت التقارير الواردة من كابول مؤخراً أنه في الفترة ما بين ٥ تموز و ٢٧ [illegible] العام الجاري اعتقل ٣٢ طالباً و (٤٣) طالبة في جامعة كابول، وذلك لرفضهم قبول عضوية الحزب الحاكم هناك.

ومما يجدر ذكره ان مصادر المجاهدين المسلمين كانت قد أعلنت في شهر رمضان بأن القوات السوفيتية قصفت ضواحي مدينة أسمر بالقرب من الحدود الباكستانية بقنابل النابالم فتسبب القصف عن اندلاع النار في البيوت وتدمير مزارع القمح.

تخريب المراكز الأثرية في لبنان

استمراراً لاعتداءاته على الاسلام والمسلمين، قام العدو الصهيوني مؤخراً بهدم مقابر المسلمين وقسم من مسجد العباسية في لبنان وتحويل المسجد الى معبد.

وبهذه المناسبة أصدرت معاونية حماية وإحياء التراث الثقافي التابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي بالجمهورية الاسلامية في ايران بياناً أدانت فيه مثل هذه الممارسات [illegible] التي يقوم بها الكيان الصهيوني، وطالبت في نص [illegible] الهيئات الدولية ذات العلاقة بمنع مثل هذه [illegible] والحيلولة دون تكرارها.

تظاهرات ومسيرات بمناسبة اليوم العالمي للقدس

شهدت الجمهورية الاسلامية في ايران [illegible] من شهر رمضان المبارك، مظاهرات [illegible] اليوم العالمي للقدس، شاركت فيها مختلف قطاعات الشعب.

و رغم ان النظام العراقي الكافر كان قد أعلن انه سيضرب المتظاهرين و يكثف من هجماته الجوية على المدن الايرانية في ذلك اليوم، لكن الملايين من أبناء الشعب الايراني المسلم في مختلف المدن بما فيها العاصمة طهران، شاركوا في تلك المظاهرات، مرددين شعار «الموت لاسرائيل» و«الموت لأميركا»، ومنددين بالعملاء من حكام الدول الاسلامية الذين باعوا أنفسهم للشيطان والصهاينة.

و خلافاً لتوقعات الصهاينة وعملائهم هذه أقيمت المظاهرات بأفضل شكل مما أدخلت اليأس في قلوب هؤلاء.

وكان المتظاهرون يطالبون كذلك بمواصلة الحرب ضد النظام الكافر القائم في العراق، مرددين شعار «حرباً حرباً حتى النصر».

ومنذ الساعات الأولى من صباح ذلك اليوم، شن النظام العراقي هجوماً بالطائرات والصواريخ على (١٦) مدينة، فقتل وجرح المئات من الأبرياء، وهذه [illegible] [illegible] [illegible] الايراني من [illegible].

هذا وقد [illegible] [illegible] [illegible]

المغرب يستضيف المؤتمر الصهيوني الثاني

ذكرت التقارير الصحفية مؤخراً ان الأوساط الصهيونية في المغرب أبدت استعدادها لاستضافة المؤتمر الصهيوني الثاني في شهر تشرين الثاني المقبل.

وأضافت تلك التقارير بأن الصهاينة الذين هم من أصل مغربي والذين يعيشون في الأرض المحتلة سوف يشتركون في هذا المؤتمر.

و يذكر بأن المؤتمر الصهيوني الأول قد عقد في المغرب في شهر (أيار) من السنة الماضية وسط أجواء السخط الاسلامي في الوطن الاسلامي على إقامة هذا المؤتمر في المغرب.

ويهدف الصهاينة من مؤتمرهم هذا الدعاية [illegible] الصهيونية [illegible] دعوة المسلمين الى [illegible]

[illegible]

[illegible]

بريد التوحيد

ترحب مجلة التوحيد بأي انتقاد ورأي واقتراح من جانب القراء الأعزة وتبدي استعدادها للرد على الاسئلة المطروحة عليها.



■ وصلتنا رسالة من الاخوة الطلبة المسلمين في اسبانيا اخترنا لكم هذه الفقرة منها:

• يعاني أهلنا اليوم في «جبل عامل» من أشرس عدوان بغيض يواجه أطفالنا ونساؤنا وشيوخنا حملات ابادة جماعية بأسم «الانسانية» جهاره وعلى مرمى من بصرها. فمنذ مدة كانت «جشيت» بصولتها العارمة والبارحة كانت «معركة» بتضحيتها وصمودها واليوم تسير «الزرارية» في القافلة لتكمل الطريق الكربلائي بدماء شهدائها و بأنين أيتامها وثكلاها، وغداً قرى ومدن كثيرة على سفح ذلك البركان الحسيني «جبل عامل» حيث تتفتح كل ورود القهر و يتفجر الغضب أنهاراً صاخبة ولا تمطر السحب إلّا دماءً، فهو الآن كربلاء العصر والعصر بعده كربلاء.

الدماء التي تسقط كل يوم على أرضنا الطاهرة لاتجمدها الأزمنة بل تسير حمماً منزجرة في شرايين كل مجاهد أصيل. فالمقاومة الاسلامية بقلة عددها وعدتها لكن بأيمانها العظيم التي ستكون الرد الأول والأخير على من طغى واستكبر أثبتت بأنها فوق الحسابات ودون التوقعات. لن ننسى الشيخ الشهيد راغب حرب هذه الشمس التي غابت وعادت لتشرق في أنفس المجاهدين ولن ننسى «أنصار» بأنصارها الأسرى الذين علموا و يعلمون العالم دروساً في الصبر والصمود، لن ننسى المساجد وهي تحتضن اليتامى والثكالى والرصاص، ولن ننسى ذلك الرجل الذي وقف على أشلاء أهله ومنزله ليرفع صورة «الامام» و يصرخ بأعلى صوته: «هذا هو المنتقم»... مأساتهم دائماً عظيمة لكن جهادهم دائماً أعظم، سلاحهم دائماً «الله أكبر» يمزقون له كل الحجب وجسدهم دائماً الجرح والدم والغضب.

■ بعث لنا السيد عبداللطيف عويو من الجمهورية التونسية رسالة قال فيها:

• أود أن أشكركم على جهودكم المبذولة في سبيل الله واصداركم مجلة التوحيد. هذه المجلة التي تعكس جهودكم وأعمالكم الرسالية التي تسعى الى توحيد الكلمة ونشر كلمة التوحيد، راجياً من الله عزّوجلّ أن يتقبل منكم أعمالكم ولتبق راية الاسلام مرفوعة خفاقة لتكون نوراً يهتدي به المسلمون و يتمكنوا بواسطته من الوقوف في وجه الطواغيت والامبريالية العالمية.

■ ومن فرنسا بعث لنا السيد بن علي حسن رسالة يقول فيها:

• كم أنا سعيد وأنا أكتب لكم هذه السطور شعوراً مني بمسؤولية المسلم تجاه أخوة له في الايمان بأن يساهم في هذا البناء الضخم الذي بدأتم في بنيانه أنتم أخوتي في ايران.

أيها الأخوة: أحييكم وأحيي الشعب الايراني المسلم على روحه الشجاعة الصامدة أمام مؤامرات العدوان الاستكبارية ومن دار في فلكهم من طواغيت ورجعيين. كذلك لا أنسى أن أمد يدي من هذا المكان وأبايع الامام الخميني العظيم إماماً لي ولجميع المسلمين أطال الله عمره ونفعنا بعلمه وورعه.

■ ومن السيد ابراهيم سماحة من لبنان وصلتنا رسالة يقول فيها:

• أدامكم الله ذخراً لهذه الأمة الاسلامية التي تخرج رو يداً رو يداً تارة و بقوة واندفاع طوراً من كهف الجهل لأحكام الله ومن غار الاستعمار الأجنبي وقيوده المفروضة، على أبناء هذه الأمة.

وقد صدق الامام القائد حفظه الله حين أشار (بما معناه) الى ان الاستعمار لايخيفنا بقدر ما تخيفنا القابلية للاستعمار عند الناس، هذه القابلية التي يزرعها هو في عقول الناس.

■ ومن الجامعة الفاروقية ـ باكستان ـ وصلتنا رسالة جاء فيها:

• أجمل التحية، وأرق الامنيات لسعادتكم ولجميع العاملين بمجلتكم الموقرة

[redacted]

■ الجمعية ... الإرشاد ... الشلي ـ لبنان ـ ... الأهواز ـ

● وصلتنا ... الاشتراك وشكراً.

■ الى جميع القراء الأعزاء

● يرجى عند مراسلتكم ... أسماءكم وعناوينكم ... ذكرتم رقم الاشتراك ... الأخوة في تغيير عناوينهم ... العنوانين: القديم والجديد.

المراسلات على العنوان التالي:

الجمهورية الاسلامية في ايران ...

ص.ب (١٥٨١٥ـ٣١٩٥)

■ السيد ... مصطفى ابراهيم الصادق من دار المهجر للتوزيع ـ امريكا الشمالية ـ

● وصلتنا رسالتك الكريمة، ونشكر مشاعرك الودية تجاه المجلة والعاملين فيها. أحلنا رسالتك الى الجهات المسؤولة في المنظمة لدراستها. ونرجو لكم الموفقية.

■ السادة: حسين خميس جعفر وأبو بكر سالم ـ تنزانيا ـ ابراهيم مرتضى وأبو بكر يعقوب ويوسف الحسن وعلي سليمان وعبدالرزاق عبدالمناف ـ غانا ـ صاليفو ابوجو ـ جمهورية بنين ـ

● وصلتنا رسائلكم الكريمة وأحلناها الى قسم التوزيع في المنظمة الخاص بارسال الكتب نرجو إعلامنا بوصول الكتب المطلوبة وفقكم الله.

■ من السيد ... عبدالأمير ... وصلتنا رسالة جاء فيها:

الاخوة العاملون في مجلة (التوحيد) الغراء.

السلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وأبقاكم للاسلام والمسلمين ذخراً وسنداً.. طالعت مجلتكم الموقرة وكانت فرحتي لا توصف وأنا أتصفح صفحاتها التي تشع فكراً اسلامياً أصيلاً، وكانت فرحتي أكبر عندما وجدت صفحات مخصصة لأسئلة القراء، وجزاكم الله خير الجزاء وفي ختام هذه الرسالة المتواضعة أدعو الله أن يحفظ إمام الأمة ويديم دولة الاسلام، ويسدد خطى كل العاملين على حفظها وصيانة أمنها.

كلمة أخيرة

ابو احسان

بأبي تجر وباذك لاتجر...

الإستكبار العالمي اليوم في حيص بيص، مؤتمرات ضخمة تعقد وأخرى تنفض، وتصريحات وتهديدات، وعقول مخططة تتنادى من كل مكان.. والهدف المعلن هو تطويق الإرهاب الدولي، وهو حماية حقوق الانسان من أن تنالها يد الارهاب.

إلا أن المشكلة تبقى هي المشكلة لاحلّ لها، ولا نهاية...

ذلك أنهم يريدون الحل من جانب واحد، يريدون الحل لصالحهم هم لاغير.. وأنهم يتناسون كل أعمالهم، وأنهم هم الذين خلقوا الإرهاب سواء كان ذلك على الصعيد الرسمي أو في الأروقة المخفية.

أليس اقتسام العالم الى مناطق نفوذ، ودق المسامير السلطوية، وجرّ الأحرار الى الأقبية المظلمة، وخنق الآهات الحرّة، وامتصاص دماء الشعوب، واغتيال عقائدها، وسحق شخصيتها إرهاباً!!؟

ألا يعتبر زرع الأصابع الماسونية والصهيونية والعميلة ومنحها القدرة على التحكم بمصائر الشعوب أنى شاءت إرهاباً!!؟

ألا يسمى طرد شعب كامل من أرضه، وإسكانه الخيام المظلمة في الوديان والكهوف إرهاباً!

ألا نعد أنماط الحصار الاقتصادي والعسكري والاعلامي والسياسي وغيرها ضدالشعوب التي تتمرد على إرادة القوى الكبرى من أنماط الارهاب؟!

ألا نعد اغتيال إرادة الشعوب وتزييف انتخاباتها، وتأمير الأذناب عليها، ليشربوا من دمائها حتى الثمالة ارهاباً؟!

وأخيراً: ألا تعد أعمال وكالات التجسس العالمية وفي طليعتها الـ C.I.A في شتى أقطار العالم، من اغتيالات، ومؤامرات لقلب نظم الحكم، بل وحتى القيام بما يسمّى بالخصوص (بهذا الاسم) كتفجير مسجد بئر العبد ببيروت وقتل وجرح المئات وأمثاله إرهاباً؟!

ألا يسمح لنا أرباب القاموس الدولي أن نسمّي هذا السماح العالمي لصدام التكريتي ليدفع بطائراته المتطورة لتحلق على ارتفاع ٧٠ ألف قدم وتلقي بقنابلها على المدن والأهالي بشكل عشوائي، بالإرهاب؟!

نعم؛ لايعد هذا إرهاباً في منطقهم، أما أن توصد الأبواب أمام شعب مظلوم، يجد كل مايملك في مهب الارهاب فيلجأ الى عمل (إرهابي) فهنا الطامة الكبرى، وهنا الصراخ العالمي.

إننا لانريد أن نحبذ الارهاب بأي لون من ألوانه، إلا أن الذي نريد، هو إدانة الارهاب بشتى صوره أو تحمل التبعات وعدم التباكي باسم الانسانية المعذّبة، والمدللين المحتجزين.

فهذا هو مضمون «بأبي تجر وباؤك لاتجر» أيها الارهابيون ولكن بالطريقة الرسمية!! ●

التوحيد

مجلــة

اسلاميــة ــ فكريــة ــ جامعــة

العدد الثامن عشر ــ السنة الثالثة ــ محرم، صفر (١٤٠٥ هـ.ق)
١٧ أيلول ــ ١٣ تشرين الأول

تُعنى بالفكر الإسلامي المعمّق،
والكلمة الهادفة الصادقة،
وكل مايهمُّ الأمة من رؤىً وسلوك بنّا

وتفتح صدرها؛
لكل المفكرين الإسلاميين،
خدمةً لقضية التوحيد الكبرى،
وتـركـيـزاً لخـصـائـص الأمـة الاسـلا
الواحدة،
ونـشـراً لأضـواء الـثـورة الاسـلامية في
أرجاء الوجود.

بعيداً عن؛
كل تعصب ذميم،
وتفريق بين المسلمين لاتحمد عقباه،
ولغوٍ من القولِ لا طائل تحته.

الثمـــن

■ ايران ١٠٠ ريال ■ لبنان ٤٠٠ قرش ■ سوريا ٤٠٠ قرش ■ الاردن ٤٠٠ فلس ■ الكويت ٤٠٠ فلس ■ عمان ٥٠٠ فلس ■ البحرين ٥٠٠ فلس ■ الامارات ٧ دراهم ■ السعودية ٨ ريالات ■ قطر ٨ ريالات ■ مصر ٤٥٠ مليماً ■ ليبيا ٥٠٠ درهم ■ السودان ٤٠٠ مليم ■ الجزائر ٥ دنانير ■ المغرب ٦ دراهم.
● وفي باقي دول آسيا وأفريقيا وفي أميركا و

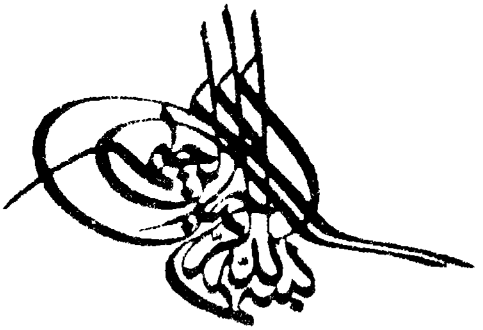
طريقة الاشتراك

■ تسدد قيمة الاشتراك في بانک ملی شعبه حشايار على رقم الحساب التالي (٦٠٠٢٥) سازمان تبليغات اسلامى ــ مطبوعات خارجي

المراسلات على العنوان التالي:

الجمهورية الاسلامية في ايران ــ طهران
ص.ب (٣١٩٥ ــ ١٥٨١٥)

محتويات العدد



لماذا نرفض السلام المخادع؟

في حديث سابق قلنا إن حربنا مع النظام الكافر في العراق لايمكن أن ينظر اليها في الاطار الذي ذكرته الآيات القرآنية لمسألة حل النزاع بين طائفتين مؤمنتين، كيف والنظام العراقي معلن بكفره صراحة من خلال النظر للاسلام كظاهرة عربية فقط؟

وإنما يدخل النزاع في اطار كيفية محو الفتنة وعقاب المفسد في الأرض، لأن الافساد يجد مصداقه الأكمل في نظام صدام بلاريب، ومن هنا فيجب أن تدرس المسألة من جانب آخر و بروح أخرى.

إننا نؤكد على أن وقف اطلاق النار يجب أن يلحظ في اطار مايتركه من آثار سلبية على المصلحة الاسلامية العليا، وأي انحراف عن مثل هذه الدراسة ومحاولة للاستدلال بالآيات الداعية للصلح يعني تزويراً واضحاً ومحاولة مفضوحة للتستر على الآثار السلبية.فإنّ هذه الآيات المباركة تتحدث في اطار نزاع بين المؤمنين، في حين ان صراعنا هو ضد الكفر العالمي وطليعته ورأس حربته النظام البعثي الحاكم في العراق.

إن القرآن العظيم يحمله المؤمنون الثائرون بالحق، وهو لايرضى لهم الذل والتخاذل والوقوع في مصائد الكفر.

إننا بكل اختصار قد تعلّمنا من تاريخ فلسطين أنه متى ماتمت المقابلة بالسلاح مع العدو الغادر كان هناك النصر، ومتى ما أذعن المقاتلون للسلم الكاذب و لنداءات السلام المخاتلة وتلويحات المحبة الخادعة من القوى العظمى المتسلطة فانهم

سيتقهقرون الى الوراء بأزاء تقدم العدو الغادر. وأصدق شاهد على ذلك استعراض تاريخ فلسطين وتآمر العدو عليها.

اننا نفهم ان وقف اطلاق النار مع العدو البعثي الغادر عملية غادرة تعني الكثير من السلبيات، و يتوضح ذلك اذا لاحظنا النقاط التالية:

١ــ إعطاء فرصة جديدة للنظام الكافر لكي يخزن السلاح، و ينظم الصفوف، ويحكم القبضة، و يضع الخطط التآمرية من جديد، و يتحين الفرصة لتكرار العدوان والهجوم بشكل أكثر تخطيطاً على الثورة الاسلامية. وطبيعي أن مخازن الأسلحة الغربية والشرقية على تنوعها مفتوحة لهذا النظام العميل، وهي مستعدة لتزو يده بالأشكال المتطورة من الطائرات والدبابات و وسائل الدفاع والهجوم، لأنها تعتبره الدرع الواقية بل نقطة الهجوم على الثورة المباركة.

٢ــ وستستمر الحرب الباردة بين القطرين بلاريب، و يتم سباق طو يل للتسلح وتوتر دائم، وتبذل الجهود الكبرى للاستعداد للقتال المجدد. ومن الواضح ان الحرب الباردة تتحول الى ساخنة بمجرد شعور أي من الطرفين بأنه متفوق على الطرف الاخر. وهذه الحالة بنفسها تدفع الطرفين الى أسواق السلاح بما يترتب على ذلك من تبعات اقتصادية وسياسية وعسكرية، وتتكرر المأساة الفلسطينية بعينها.

هذا وان النظام المجرم في العراق سوف لن يعدم المبررات حتى الوهمية منها للقيام بالاعتداء الغادر من جديد، وهو ما شاهدناه عندما تذرع بالهجوم على أمير الكو يت ليستأنف هجومه الجوي الغادر على المدن الآهلة بالسكان.

٣ــ إن النظام البعثي في العراق قد قدم الدليل الواضح على انه لايلتزم بأي تعهد أو ميثاق دولي، ولايعرف معنى للقيم والأخلاق الدولية، والقائمة الطو يلة لنقضه لهذه المعاهدات تثبت ذلك ؛ فقد قام بنقض معاهدة الجزائر رغم ما كانت تحمل من ضمانات التطبيق، وقام بنقض المعاهدات الدولية في عدم تلو يث البيئة عندما قصف آبار النفط في الخليج الفارسي، ونقض المعاهدات الدولية التي تحظر استخدام الاسلحة الكيمياو ية وذلك بشهادة المحافل الدولية بوقوع هذا النقض، ونقض أيضاً المعاهدات الدولية في عدم احتجاز الأسرى المدنيين وترحيلهم من مناطقهم، ونقض كذلك الاعراف الدولية التي تحظر ضرب المدن، وخصوصاً النقاط التي وافق عليها الطرفان

والمقدمة من قبل الأمين العام للأمم المتحدة. وقام أيضاً بانتهاك القوانين الدولية في معاملة الأسرى بشهادة الوثائق الثابتة والهيئة التحقيقية للامين العام للأمم المتحدة، وقام أيضاً بنقض المعاهدات الدولية التي تحظر الاعتداء على الطيران المدني. ومن أنماط نقضه للمعاهدات الدولية اعتداؤه وقصفه للمفاعل النووي المقام للأغراض السلمية في مدينة بوشهر، الى غير ذلك، مما يكشف عن طبيعته التي لا تلتزم بأي عرف شرعي أو دولي الأمر الذي يفقد الثقة تماماً بمثل هذا النظام الغادر.

٤ــ إن الذي يستعرض التآمر الدولي على الثورة الاسلامية ومسلسله المتصاعد، يدرك ان خطوة الهجوم الغادر كانت إحدى الاوراق التي طرحها الاستكبار العالمي في اللعبة الخبيثة، مما يؤكد عمالة النظام البعثي في العراق، وانه قبضة من قبضات الاستعمار، وهذا يعني انه لايملك إرادة ذاتية من عنده، وانما يتحرك بأول اشارة من أسياده في اللحظة التي يدرك فيها هؤلاء الأسياد أن مصالحهم تتعرض للخطر، وحينئذ فكيف يمكن الركون الى اتفاق مع مثل هذا النظام العميل.

٥ــ ان الاستكبار العالمي ليتوقع خمود هذه الحرارة الثورية لدى شعبنا الايراني المسلم بعد اذعانه لسلام مذل لامعنى له الا التعب والاستسلام لضغوط القوى الكبرى والركون للدعة والراحة رغم ان العدوان لم ترتفع آثاره، ورغم ان المعتدي لم يحاكم، ورغم ان الخسائر الكبرى لم تعوض، وحينئذ فان خيبة الأمل هذه على الاقل لن تسمح باعادة الروح الحرارية من جديد بمجرد الهجوم الغادر الجديد لتقوم الجماهير بواجبها الدفاعي المطلوب.

هذا وناهيك عن خيبة الأمل التي تصاب بها الحركة الاسلامية والجماهير الاسلامية، بل والجماهير المستضعفة فيما لو لم تتحقق الأهداف الكبرى التي بذلت في سبيلها كل التضحيات.

وكذلك ناهيك عن الجرأة التي سوف يمتلكها كل طاغوت أو أية قوة غادرة بعد أن تجد نظام العدوان البعثي قد ضرب ضربته ولم ينل أي عقاب، مما سيفتح أبواباً أخرى للاجرام الدولي.

٦ــ وقبل كل شيء فان الإمام القائد بمقتضى مسؤوليته الاسلامية الكبرى قد أشار الى الظلم الذي يعانيه أهلنا في العراق المسلم وهم يعيشون السجن الكبير والعذاب

المرير، والتشريد في الأقطار المختلفة، الأمر الذي يلقي مسؤولية ضخمة على عاتق كل المسلمين وفي طليعتهم الثورة الاسلامية في ايران لتعمل على الاستجابة لاستغاثة هذا الشعب المظلوم الذي يعاني ــ بالاضافة الى العذاب الجسدي ــ من العذاب المعنوي حين يجد هذا التآمر السافر على دينه ومقدساته وطقوسه الاسلامية.

نعم؛ كيف نسكت أمام صرخات الثكالى والمستضعفين ومشانق الاعدام للمؤمنين بعشرات الالوف، وعمليات التهجير لمئات الألوف من المؤمنين لا لشيء الا للتنفيس عن الحقد اللئيم؟

وهم غريب:

ربما يقول البعض ان هناك ضمانات دولية لمنع الاعتداء وتطبيق النهج السليم وحماية الحقوق.

إلا ان ضعف هذا المُدَّعى وعدم تأثيره واضح للعيان.

فمن الذي يقدم هذه الضمانات؟

هل الأمم المتحدة؟ وهي أعجز ما تكون عن القيام بذلك.

أم القوى العظمى؟ وهي المحركة لهذا الاعتداء الاثيم.

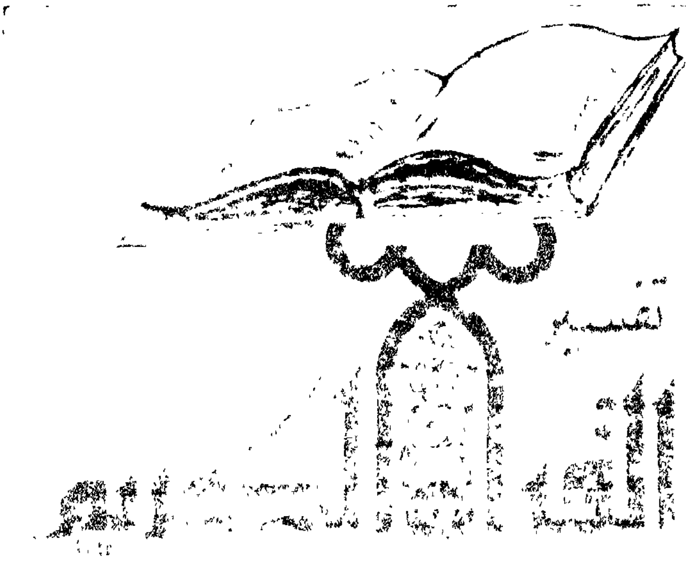
أم حكومات الاقطار الاسلامية؟ والكثير منها وقف يسند النظام المجرم بالمال والسلاح بل وحتى بالرجال.

أم منظمة عدم الانحياز؟ وهي من العجز بمكان حتى انها لا تملك أية قدرة تنفيذية.

فمن الذي يضمن أو من الذي ضمن من قبل عدم الاعتداء؟

وهل يريد منا هؤلاء (الناصحون) أن نجرب من جديد تجربة تكلفنا مدناً ضخمة تهدم، وعشرات الألوف من القتلى والجرحى، والمليارات التي تفنى، ونعيد الكرة من جديد؟

إن أي تأمل في الموقف، وملاحظة للشروط العادلة التي وضعتها الثورة الاسلامية يؤديان الى الاذعان الكامل بسلامة الموقف بل والوقوف الى جانبه لتحقيق الأهداف المرجوة، والنصر المؤزر للاسلام والحق ●



١٨

إحساساً بضرورة وحود تفسير للقرآن الكريم، بحمل عناصر الايجاز والعمق والوضوح، بالاضافة الى طرح البعد الاحتماعي للمفاهيم القرآنية، فقد قام كل من الشيخ محمدعلي التسخيري والشيخ محمد سعيد النعماني بهذه المهمة التي نسأل الله تعالىٰ التوفيق لاكمالها.

وينبغي للقراء الأعزة ان يلاحظوا انه روعيت في هذا التفسير العناصر التالية؛

١ ــ الايجاز الى الحد الممكن مما يجعل كل صفحة من القرآن الكريم تقابلها صفحتان من التفسير تقريباً.

٢ ــ طرح الأبعاد المختلفة للمدلول القرآني ومنها البعد الاجتماعي الاصيل.

٣ ــ طرح التفسير وفق مختلف الآراء مهما امكن مع التركيز على المروي عن اهل البيت(ع).

ــ القسم الثامن عشر ــ

من الآية (١٢٨) من سورة النساء الى الآية (١٧٠)

ۦ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ...: عالج القرآن من قبل حالة النشوز زوجة، وها هو يعالج هذه الحالة لدى الزوج بكل واقعية. فت المرأة من زوجها النشوز والإعراض الذي قد ينتهي الى ق فإنّ لها أن تصطلح معه بالتنازل عن شيء من حقوقها لى توفير جو المحبة بينها، فإنّ الصلح خير من النفور والفراق، لبعض البخل الذي يؤدي بالروح الى هذه الحالة، فسماح ة يؤدي بشكل طبيعي الى سماح الزوج و يسود الوئام. ثم عوة القرآن للاحسان والتقوى مؤطرة حياتها الزوجية بما روحها الايمانية.

ن تَسْتَطِيعُوا...: إنطلاقاً من واقعيته يذكر القرآن بأن لة التامة بما يشمل الميل القلبي أمر غير ممكن بالنظر لطبيعة ان، ولذا فلن يكلف المتزوج بأكثر من واحدة بهذا المستوى ادي وإنما عليه أن يعدل في أعماله الارادية: كالتعامل سمة والنفقة، ولايميل الى إحداها تاركاً الأخرى لا هي ولا هي حرة مطلقة.. وإنما يحقق التوازن المطلوب، كل ذلك ار من الاصلاح والتقوى.

ذكر هنا ان البعض حاول الأخذ بصدر هذه الآية صاماً قطع القرآني: «وإنْ خفتم ألا تعدلوا فواحدة» ليستنتج تحريم ام للتعدد! وهذا افتراء وتمحل يبدو بعد ملاحظة الآية لها، فالمنفي هو العدل الحقيقي الشامل، والمطلوب هو العدل ي الارادي. ولاندري كيف يستنتج هذا الحكم مع صراحة القرآنية: «فانكحوا ما طاب لكم...» في تشريع تعدد ت.

إنْ يَتَفَرَّقَا...: وعلى أساس نفس الواقعية المشار اليها يفسح ام المجال للطلاق، وذلك بعد أن يستنفد كل الأساليب التي . لعش الزوجية حرارته واستمراريته. أما حين يصعب فقد يكون الطلاق ــ رغم كونه أبغض الحلال الى الله ــ هو الأفضل، ولن يعدم أي من الزوجين بعده أن يعيش حياة وسعادة و يرزق من فضل الله حياة جديدة، والله هو الواسع

لله ما في ٱلسَّماواتِ...: فهو تعالى يشمل بلطفه الجميع ى لليأس.

وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ...: إنها الرحمة الالهية والعلم الالهي الذي شرع لهذه الأمة وللأمم السابقة هذه الأحكام الواقعية لطفاً بها وتوجيهاً لها نحو السعادة التي لا تنال إلاّ بالتقوى.

أما الانحراف والكفر فلا يعودان بالسوء إلاّ على الانسان نفسه، فالله تعالى له الغنى والحمد وله ملك السماوات والأرض.

إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ...: تهديد إلهي لأولئك الذين يخرجون عن اطار التقوى و يسلكون سبيل الطغيان والعتو بأنهم لا قيمة لهم وانه تعالى لو شاء أذهبهم وأسكن الأرض آخرين فليس ذلك عليه بعزيز.

وقد روى بعض المفسرين ان الآية لما نزلت، ضرب رسول الله(ص) يده على ظهر سلمان، وقال: «انهم قوم هذا».

مَنْ كانَ يُرِيدُ...: ان الدنيا السامية وان المصلحة الحقيقية تكمن في تقوى الله، فعنده تعالى ثواب الدنيا والآخرة، و يتلخص ذلك في اتباع دينه، فليتجه طالبو السعادة اليه لاغير.

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ
ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟
بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ
فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا
مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾
وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ
ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

يا أيّها ٱلّذينَ آمنُوا كُونُوا...: دعوة قرآنية للمؤمنين جميعاً أن يعدوا أنفسهم للقيام بالقسط دائماً واداء الشهادة لله تعالى كما هو الواقع حتى ولو كان ذلك مؤدياً لفقدان مصالح شخصية، أو مصالح للوالدين والأقربين، ودون أي ميل أو ادهان لتحريك عاطفي نتيجة الغنى والفقر، فالله تعالى هو أولى بالمشهود عليهم من الأغنياء والفقراء.

وتتأكد هذه الدعوة بالنهي عن اتباع الهوى ـ عند أداء الشهادة ـ مخافة العدول عن الحق والقسط، وكذلك النهي غير المصرح به عن "اللّيّ" في الشهادة وتحريفها أو الإعراض عنها، فإنّ الله تعالى يعلم الحقيقة ولابُدّ أن يجازي كل من حرفها أو أعرض عنها.

يا أيّها ٱلّذينَ آمنُوا...: تؤكد هذه الآية القرآنية على الربط القوي بين عناصر التصور الاسلامي بما فيها (قضايا التوحيد والصفات الالهية والايمان بالرسول والقرآن، والرسل الذين سبقوه وكتبهم والملائكة..) فكل منها يستلزم الآخر مما يشكل لدى المسلم وحدة تصورية لا تنفصم أجزاؤها، وأي قبول للبعض ورفض للآخرين يعني في الواقع رفضاً لكل التصور الاسلامي والدخول في معسكر الكفر والضلال البعيد.

إنّ ٱلّذينَ آمنُوا ثُمّ كَفَرُوا...: تتحدث هذه الآية عن اناس مذبذبين منافقين يترددون بين حالتي الايمان والكفر قبولاً ورفضاً على اختلاف مصالحهم، ثم تزداد حالة الكفر لديهم وتستحكم فلا يجدون في أنفسهم بعد هذا التذبذب الغريب قدرة على العودة الى الله والايمان الحقيقي والتمتع بمغفرة الله وهداه.

بَشّرِ ٱلْمُنَافِقِينَ ...: تهديد قرآني للمنافقين بالعذاب الأليم. ولقد كان لهذه التهديدات أثرها الكبير في تثبيط عزائمهم في المجتمع الاسلامي الأول، كما ان لها أثرها في تنبيه هؤلاء الذين يسلمون أنفسهم لأهوائهم ومصالحهم لتقودهم حيث تشاء، فهم هنا مؤمنون وهناك كافرون، فيشكلون مصدر خطر على حياة المجتمع الاسلامي دائماً.

ٱلّذينَ...: إنّ مصالح المنافقين قد تقودهم لموالاة الكا[فرين] بدلاً من المؤمنين، لجوءً اليهم وكسباً للعزة منهم!! وهو ـ [و]وهم، فإنّ العزة لله جميعاً.

وَقَدْ نَزّلَ عَلَيْكُمْ...: تحذير من مجالسة الكافرين والا[ستماع] الى كفرهم بآيات الله واستهزائهم بها، وتذكير بما أنزل من ق[بل في] سورة الأنعام من قوله تعالى:

«واذا رأيتَ ٱلّذينَ يخوضونَ في آياتنا فأعرض عنهم [حتى] يخوضوا في حديثٍ غيره...» أما المجالسة والاستماع [فهي] الانخراط في سلكهم، ويعني النفاق، والكافرون والمنافقو[ن] مآلهم من جهنم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ۝ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝﴾

«ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ...»: صفة وضيعة من صفات المنافقين، فهم يتحينون الفرص مهما كانت، فإن فتح الله على المؤمنين تقربوا اليهم مدّعين انهم كانوا يقاتلون الى جنبهم، وإنْ حانت للكافرين فرصة انتصار راحوا اليهم يتوددون مدّعين انهم حموا ظهورهم من المؤمنين وسهلوا لهم فرصة النصر، إلا أن القرآن يتوعدهم بعذاب الله مثبطاً عزائمهم.

«وَلَنْ يَجْعَلَ...»: وهذه الحقيقة تمتلك بعداً واقعياً، فتذكر أن المؤمنين إذا صدق ايمانهم انتصروا وعلوا، كما تمتلك بعداً تشريعياً بالمنع عن كل عمل يؤدي الى علو الكافرين وذل المؤمنين أمامهم، والدفع نحو تهيئة كل مايؤدي الى علاء المؤمنين.

وهذه الآية ــ من خلال بعدها التشريعي ــ تشكل قاعدة أساسية، سواء على الصعيد الداخلي للأمة، أو على صعيد العلاقات الدولية، فكل عمل أو معاهدة أو ميثاق جعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً يعد ملغى لاقيمة له، وقد استدلت بعض الروايات لهذه الآية على المنع التشريعي في مثل هذه الموارد.

وعلى أي حال؛ فالآية ببعدها الواقعي تبعث اليأس في نفوس المنافقين لئلا يستمروا في غيهم وتلونهم.

«إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ...»: ولكي تنبه المنافقين الى ضلالهم وتثبيط عزائمهم تذكر الآية بالعلم الالهي بكل ما يصنعون، ظانين انهم يخادعون الله! والله خادعهم وكاشف كل مايصنعون.

«وإذا قَامُوا إلَى...»: وهي علامة حسية على النفاق وعدم تركز الايمان في القلوب، وإلا فالصلاة تعني قمة الوعي والاتصال بالخالق العظيم والاستمداد من منبع الرحمة والنور وهي حالة لا تنسجم مع الكسل والضجر... إلا أن الايمان لم يستحكم في القلب، ولذا فالمنافقون يعيشون رياءً متواصلاً، ولا يلجأون الى ذكر الله إلاّ قليلاً، وذلك رياءً وحيطة لأنفسهم.

«مُذَبْذَبِينَ...»: تحقير للمنافقين وبيان لوضعهم القلق ونفوسهم المتأرجحة، وهو أمر ينعكس على مجمل الحياة، وما ذلك إلا الضلال والبعد عن هدى الله، ولن يجد الضالون عن هدى الله سبيلاً لحياة انسانية كريمة.

وهكذا نجد القرآن يتابع المنافقين، محطماً عزمهم، مضعفاً عقولهم، موقفاً اياهم على الضعة والقلق الذي يعيشون، وكل ذلك له أثره العظيم في تنبيههم من جهة وكشف الاعيبهم من جهة أخرى.

«يا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا...»: يدعو القرآن المؤمنين الى عدم القرب من حمى الكافرين وعدم مد علائق الولاء معهم، وذلك لئلا يتأثروا بأحابيلهم وليتميزوا عن خط المنافقين المذبذبين، وإلا فهم سيتعرضون لسخط الله، وبالتالي سيلاقون مصير المنافقين في الدرك الأسفل من النار دون أن يكون لهم نصير أو ولي.

«إِلَّا ٱلَّذِينَ...»: وهنا تفتح الآية للمجرمين والمنافقين باب التوبة والاصلاح والعودة الى الله والاعتصام بحبله والاخلاص له.

«مَا يَفْعَلُ ٱللَّهُ...»: تعبير قرآني رائع عن اللطف الالهي الشامل وتذكير به، وبالتالي فالانسان هو الذي يحرم على نفسه لطف الله الفياض المطلق.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ
نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾
إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى
ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ
أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ
فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

«لَا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِالسُّوءِ...»: إنّ الاسلام يعمل على اشاعة روح الثقة والمحبة والظن الخير بين أبناء الأمة الاسلامية، والجهر بالسوء يتنافى مع ذلك التوجه الاسلامي الأصيل، إلا أن يكون هذا الجهر بالسوء قبل مَنْ طالته يد ظالم فراح ينتصر لنفسه و يكشف موقع الظلم ليتخلص المجتمع منه.

ولكي لايمعن الظالم في ظلمه و يسرف المظلوم في الرد، فيجب تذكير الطرفين بالعلم الآلهي بالنيات ولزوم مراقبته تعالى فيما يفعلون مع ترغيب في العفو وستر العيوب.

«إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ...»: يؤكد القرآن في مواضع عديدة على ان التصور الالهي كل مترابط لايتجزأ ولا يمكن أن يقع مورداً لتلاعب الكافرين حسب ميولهم، فهم تارة يكفرون بالله ورسله، وتارة يفرقون بين الايمان بالله والايمان بالرسل، أو يفرقون بين الايمان برسول دون آخر، سالكين سبيلاً وسطاً!! إنّ مثل هؤلاء المتوسطين ــ كما يزعمون ــ أناس كافرون بالمجموع في الواقع، ولا مصير لهم نتيجة مسلكهم التحريفي إلا العذاب المهين.

أما المؤمنون حقاً والواعون والمنسجمون للتعاليم الاسلامية المنسجمة مع الفطرة والعقل السليم فهم يؤمنون بالله ورسله ولا يفرقون بين أحد منهم من حيث الصدق والتبليغ عنه تعالى، وهم الحائزون على أعظم الأجر يوم القيامة.

«يَسْأَلُكَ...»: تشير هذه الآية الى حالة العناد التي ابتلي بها أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وإنّ كان التأكيد الشديد على عناد اليهود وتاريخهم المليء بالجهل والاسئلة التافهة، فها هم هنا يسألون رسول الله(ص) أن ينزل عليهم كتاباً من السماء. ولاريب في أن ذلك مجرد عناد لاغير، إذ لو كانوا يرغبون في معرفة الحق لفكروا في القرآن العظيم الذي تحداهم أن يأتوا بمثله، وإذ عجز الجميع عن ذلك فانه دليل قاطع على صدقه واعجازه... ومن هنا فأن القرآن بدلاً من رفض طلبهم يذكّر بسؤال عنادي أعظم من ذلك لهم وهو طلبهم أن يروا الله جهرة وما هو إلا طلب المحال، وأنى تحيط به الأبصار وهو المطلق جل وعلا، فما كان جوابهم إلا الصاعقة تأخذهم بظلمهم. وزيادة في عرض عنادهم تعرض صورة قبيحة لهم، فبعد أن جاءتهم البينات الواضحات تم ينحازون الى عبادة العجل.

ثم يشملهم العفو الالهي مع كل ذلك.

«وَآتَيْنَا مُوسَىٰ...»: وأعطى الله موسى السلطان المبين، وهو القدرة والغلبة على السامري صاحب العجل. أو الآيات الالهية، إلاّ انهم مع كل هذا يستمرون في عنادهم، فيرفع فوقهم الجبل مهدداً لهم بالسقوط إنّ لم يؤمنوا و يستسلموا، وحينئذ يعودون بدءاً من الاستسلام والقبول بالميثاق والعهد، وقد تضمن عهدهم الالتزام بدخول بيت المقدس ساجدين وتعظيم يوم السبت باعتباره عيداً لهم، وكان الميثاق قوياً متيناً.

﴿لَا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن
سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ
أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ
حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ
يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟
مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾
وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا
وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

«فَبِمَا نَقْضِهِم...»: ورغم أن الميثاق المأخوذ على
رائيل كان غليظاً، إلا انهم نقضوه وراحوا يكفرون بآيات
. يقتلون الأنبياء ومنهم زكريا ويحيى، و يعلنون عدم امكان
بهم من خلال قولهم «قُلُوبُنَا غُلْفٌ» أي مغلقة لا تنفذ اليها
لا يتسرب اليها هدى بطبيعتها.

هنا يوضح القرآن ان القلب بطبيعته مؤهل لتلقي الهدى إلا
لم الانسان و يكفر فيجازيه الله تعالى بالختم على قلبه.

يستمر في استعراض مظاهر كفرهم وانحرافهم فيذكر قولتهم
امية في مريم الطاهرة واتهامها بالبهتان العظيم.

«وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا...»: نتيجة أخرى من نتائج انحراف
سرائيل وهي ادعاؤهم قتل عيسى بن مريم وهو رسول الله،
ك رغم عدم علمهم، بذلك، وضربهم في الوهم والظن، ولكن
آن يحسم الموقف معلناً ان هؤلاء لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه
اشتبه عليهم الأمر، فظنوا شخصاً غير عيسى انه هو فصلبوه،
عيسى فقد رفعه الله اليه وغيبه عنهم والله تعالى عزيز حكيم
على ذلك.

«وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...»: فعيسى عليه السلام لم يقتل
صلب و إنما تم رفعه وابقاؤه حياً، ولا بد أن يؤمن به أهل
ب ــ حال حياته. أما كيف يتم هذا الايمان فقد اختلف فيه
سرون والله عليم بذلك، إلا ان ذكر هذا المعنى إنما هو لتأكيد
قتله وصلبه وتشبيه لهم، وان هذه الحقيقة ستتجلى لجميع أهل
تاب، وسيكون عيسى يوم القيامة شهيداً على أهل الكتاب،
اً لكل ما انحرفوا به.

«فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا...»: وهكذا نكل بنو اسرائيل
حط الرسالة الالهية، ونقضوا الميثاق، وقتلوا الصالحين، وافتروا
سوا، وتسحجوا بالإثم، وظلموا، وأخذوا الربا رغم نهيهم عنه،

وأكلوا أموال الناس بالباطل، فكان جزاؤهم تحريم الطيبات عليهم
في الدنيا (ولولا الظلم لم تحرم فما يفعل الله بعذابهم ان شكروا
وآمنوا) وجزاهم الله يوم القيامة بالعذاب الأليم.

«لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ...»: ما ذكرته الآيات السابقة من
أوصاف منحطة لبني اسرائيل يمكن أن يمثل الطابع العام، إلا أن
ذلك لم يمنع من أن يوجد فيهم أناس تعمقوا في العلم فقادهم ذلك
الى الايمان بالاسلام والأديان التي سبقتهم، فذكرهم القرآن
ومدحهم وخص (المقيمين الصلاة) بذلك، وذكر انهم ملتزمون
بباقي الأحكام الاسلامية ومؤمنون بكل تفاصيل العقيدة الأمر
الذي يؤهلهم للأجر العظيم.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ
بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ
بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

«إنا أوحينا إليك...»: بعد أن تعرضت الآيات السابقة لأهل الكتاب الذين فرقوا في الايمان بين الانبياء، وذكرت ان الراسخين في العلم آمنوا بالأنبياء جميعاً، بعد هذا راحت الآية القرآنية تؤكد وحدة الوحي والشريعة والمسيرة المؤمنة والقيادة الالهية عبرالتاريخ كله.

فالكل يستقون من خالق الكون والمشرع للبشرية نظامها الأصلح لها، والكل يبلغون عنه تعالى، سواء ذكروا في هذه الآية أم ذكروا في آيات أخرى أم لم يذكروا في القرآن، يبشرون بالحياة الطيبة التي تنتظر المؤمنين و ينذرون بالعقاب الأليم في الدنيا والآخرة.

«لئلا يكون للناس...»: ورغم أن الله تعالى أودع في الفطرة استعداد الايمان بالله ودوافع الاتجاه اليه وقدرة التأمل في مجالات الكون، بل وأودع فيها عقلاً عملياً يدرك حسن العدل وقبح الظلم و بعض مصاديقهما، إلا أن العقل بعد أن يوصل الانسان الى الله و يعرض على صاحبه طاعة المولى الحقيقي يعلن عجزه عن إدراك كل حقيقة الكون وخباياه وروابطه، كما يعلن عجزه أيضاً عن إدراك معالم النظام الأصلح، وهو ما يسبب إرسال الرسل ليكونوا حجة من الله على خلقه، يوصلون اليه شرائعه و يقودونه نحو تطبيقها الافضل.

«لكن الله...»: إنها شهادة الله جلّ وعلا بصحة الرسالة التي انزلها بعلمه وشهادة الملائكة بذلك، وإنْ كانت شهادة الله العظيم كافية للاثبات. وما الاعجاز القرآني إلا شهادة الهية بالرسالة الموحاة الى الرسول(ص).

«إن الذين...»: بعد وضوح الآيات والبينات وقيام شهادة الله والملائكة بالرسول، يتوضح الضلال البعيد الذي أبتلي به الكافرون والصادون عن سبيل الله.

«إن الذين كفروا...»: وطبيعي أن ينتهي أمر الكافر والظالمين الى الضلال والضياع والحياة التعيسة، حياة البعد الله وعصيانه وهداه، و بالتالي حياة السير على طريق جهنم والخ في العذاب.

«يا أيها الناس...»: بعد أن أبطل القرآن مفتريات أ الكتاب وكشف عنادهم، دعا الناس جميعاً ومنهم أهل الكتا الى الايمان بالرسول بعد أن جاءهم بالحق من ربهم، واعداً ايا بالخير العميم، موضحاً أن هذا الطلب هو بمقتضى فضل الله ب والا فأن الكفر لن يضر الله جلّ وعلا شيئاً فهو ما السماوات والأرض.

إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده
وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب
والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان
وآتينا داوود زبورا (163) ورسلا قد قصصناهم عليك
من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى
تكليما (164) رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما
(165) لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه
والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا (166) إن الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا
(167) إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا
ليهديهم طريقا (168) إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا
وكان ذلك على الله يسيرا (169) يا أيها الناس قد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا
فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما (170)



المقام الثاني

وفيه عدة فصول:

الفصل الأول:

إعلم ان للنفس الانسانية مملكة (عالماً) ومقاماً آخر، وهي مملكتها الباطنية ونشأتها الملكوتية، وفيها تكون جنود النفس أكثر وأهم مما في مملكة الظاهر، والصراع والنزاع فيها بين الجنود الرحمانية والشيطانية أعظم والغلبة والانتصار فيها أشد وأهم، بل وان كل ما في مملكة الظاهر قد تنزّل من هناك وظهر في الملك.

وإذا تغلب أي من الجنود الرحمانية أو الشيطانية في تلك المملكة، يتغلب أيضاً في هذه المملكة. وجهاد النفس في هذا المقام مهم للغاية، عند المشايخ العظام من أهل السلوك والأخلاق، بل ويمكن اعتبار هذا المقام منبع جميع السعادات والتعاسات، والدرجات والدركات.

وينبغي للانسان الالتفات كثيراً الى نفسه في هذا الجهاد، فمن الممكن ـ لا سمح الله ـ أن تسفر هزيمة الجنود الرحمانية في تلك المملكة وتركها خالية للغاصبين وغير أهلها، من جنود

الشيطان، أن يسفر عن ذلك؛ الهلاك الدائم للانسان بالصورة التي يستحيل معها تلافي الخسارة، ولا تشمله شفاعة الشافعين، و ينظر اليه أرحم الراحمين أيضاً بعين الغضب والسخط ـ نعوذ بالله من ذلك ـ بل و يصبح شفعاؤه خصماءه، وو يل لمن كان شفيعه خصمه.

و يعلم الله أي عذاب وظلمات وشدائد وتعاسات تلي هذا الغضب الالهي. وان معاداة أولياء الحق تترتب عليها عقوبات تفوق جميع نيران جهنم والزقوم والأفاعي. والعياذ بالله من أن ينزل على رؤوسنا نحن الضعفاء والمساكين ذلك العذاب الذي يخبر عنه الحكماء والعرفاء وأهل الرياضة والسلوك، فجميع صور العذاب التي تتصورونها هي يسيرة وسهلة في مقابله، وجميع النيران التي سمعتم بها هي جنة ورحمة في قباله و بالنسبة لذلك العذاب.

وفي الأغلب فان وصف النار والجنة الوارد في كتاب الله وأحاديث الأنبياء والأولياء، يتعلق بنار وجنة الأعمال اللتين أعدتا للأعمال الصالحة والسيئة. وهناك إشارة خفية أيضاً الى جنة ونار الأخلاق، وأهميتها أكبر، وأحياناً يشار أيضاً الى جنة اللقاء ونار الفراق، وهذه أهم من الجميع، ولكنها إشارات محجوبة عنا وهي لأهلها، وأنا وأنت لسنا من أهلها، ولكن من الأجدر بنا أن لانكون منكرين، وليكن لدينا ايمان بكل ما قاله الله تعالى وأولياؤه، فقد يكون في هذا الايمان الاجمالي نفع لنا. ومن الممكن أن يكون للانكار في غير محله والرفض في غير موقعه والصادران عن غير علم وفهم، أن يكون لذلك أضرار كبيرة جداً علينا. وهذه الدنيا ليست هي عالم الالتفات لتلك الأضرار، فمثلاً عند سماعك للحكيم الفلاني أو العارف الفلاني أو المرتاض الفلاني، يقول شيئاً لايتلاءم وذوقك الخاص، فلاتحكم عليه فوراً بالبطلان والوهم، فقد يكون لذلك القول أصل في الكتاب والسنة والعقل ولكنك لم تطلع عليه بعد.

فما الفرق بين أن يفتي فقيه بفتوى في باب الديات وأنتم لم تروها، و بدون أن تراجعوا دليله تردونه، و بين أن يقول شخص سالك الى الله أو عارف بالله، قولاً يتعلق بالمعارف الالهية أو بأحوال الجنة والنار، وأنتم ـ ودون مراجعة لدليله ـ لا تردونه وحسب بل وتهينونه أوتتحرؤون عليه، فمن الممكن لذلك الشخص وهو من أهل ذلك الوادي وصاحب ذلك الفن أن يكون له دليل من كتاب الله، أو يكون له دليل من أحاديث الأئمة، ولكنكم لم تطلعوا بعد عليه، ففي هذه الحالة تكونون قد رددتم على الله ورسوله دون مبرر مقبول. ومعلوم ان الاحتجاج بأن ذلك لايتلاءم مع ذوقي، أو لم يصل اليه علمي، أو سمعت خلاف ذلك من أهل المنبر، فان هذا كله لايشكل عذراً مقبولاً. وعلى أي حال لنرجع الى صلب الموضوع:

فما قالوه بشأن جنة الأخلاق والملكات، وجهنم الأخلاق والملكات، ما قالوه مصيبة لا تطيق حتى سماعها. إذن فيا أيها العزيز؛ فكّر، وابحث عن العلاج، واعثر على سبيل نجاتك ووسيلة خلاصك، واستعن بالله أرحم الراحمين، واطلب من تلك الذات المقدسة، في الليالي

المظلمة، بتضرع وخضوع أن يعينك في هذا الجهاد المقدس مع النفس، لكي تتغلب إن شاء الله، وتخلّص مملكة القلب وتطرد منها جنود الشيطان، حتى تعطي الدار الى صاحبها وتصل الى السعادة والبهجة والرحمة التي وهبها الله لك، والتي يهون الى جانبها كلّ ماسمعت عن وصف الجنة والحور والقصور، وتلك هي السلطة الالهية العامة التي أخبرعنها أولياء الله من هذه الأمة البيضاء الحنيفة، مما لم يطرق سمع أحد ولم يخطر على قلب بشر.

• • •

الفصل الثاني: القوى الباطنية

إعلم ان الله تبارك وتعالى قد خلق بيد قدرته وحكمته في عالم الغيب و باطن النفس، قوىً لها منافع لاتحصى. ومورد بحثنا هنا هو مايتعلق بهذه القوى الثلاث، وهي: «الوهمية والغضبية والشهوانية»، ولكل واحدة من هذه القوى منافع كثيرة لأجل حفظ النوع والشخص وإعمار الدنيا والآخرة كما ذكر ذلك العلماء. والآن لاحاجة لنا بذلك، والذي يلزم أن أنبه عليه في هذا المقام هو أن هذه القوى الثلاث هي منبع جميع الملكات الحسنة والسيئة، وأصل جميع الصور الغيبية الملكوتية. وتفصيل هذا الاجمال هو أن الانسان كما أن له في هذه الدنيا صورة ملكية دنيوية، خلقها الله تبارك وتعالى على كمال الحسن والجمال والتركيب البديع، المتحيرة ازاءه عقول جميع الفلاسفة والعظماء، والذي لم يستطع علم معرفة الأعضاء والتشريح لحد الآن أن يتعرف على حاله بصورة صحيحة، وقد ميّزه الله تعالى عن جميع المخلوقات بحسن التقويم وجودة جمال المنظر، كذلك فان له ــ أي للانسان ــ صورة وهيئة وشكلاً ملكوتياً غيبياً، وهذه الصورة تابعة لملكات النفس والخلقة الباطنية.

وفي عالم مابعد الموت ــ سواء في البرزخ أو القيامة ــ اذا كانت خلقة الانسان في الباطن والمَلَكة والسريرة إنسانية،تكون الصورة الملكوتية له صورة إنسانية أيضاً. وأما إذا لم تكن ملكاته ملكات انسانية، فصورته ــ في عالم مابعد الموت ــ تكون غير إنسانية أيضاً، وهي تابعة لتلك السيرة والملكة، فمثلاً إذا غلبت على باطنه ملكة الشهوة والبهيمية، وأصبح حكم مملكة الباطن حكم البهيمة، كانت صورة الانسان الملكوتية على صورة إحدى البهائم التي تتلاءم وذلك الخلق. وإذا غلبت على باطنه وسريرته ملكة الغضب والسبعية، وكان حكم مملكة الباطن والسريرة حكماً سبعياً، كانت صورته الغيبية الملكوتية صورة أحد السباع والبهائم. وإذا أصبح الوهم والشيطنة هو المَلَكة، وأصبحت للباطن والسريرة ملَكات شيطانية كالخداع والتزوير والنميمة والغيبة، تكون صورته الغيبية الملكوتية على صورة أحد الشياطين بما يتناسب وتلك الصورة.

ومن الممكن أحياناً أن تتركب الصورة الملكوتية من ملكتين أو عدة ملكات، وفي هذه الحالة لا تكون على صورة أي من الحيوانات، بل تتشكل له صورة غريبة وهي بصورتها المرعبة المدهشة والسيئة التقويم لن يكون لها مثيل في

هذا العالم.

و ينقل عن رسول الله(ص) أن بعض الناس يحشرون يوم القيامة على صور تكون أسوأ من صور القرود، بل وقد تكون لشخص واحد عدة صور في ذلك العالم، لأن ذلك العالم ليس كهذا العالم، بحيث لايمكن لاي شيء أن يتقبل أكثر من صورة واحدة له، وهذا الأمر يطابق البرهان وثابت في محله أيضاً.

واعلم أن المعيار لهذه الصور المختلفة ــ والتي تعتبر صورة الانسان واحدة منها، والباقي صور أشياء أخرى ــ هو وقت خروج الروح من هذا الجسد، وظهور مملكة البرزخ، واستيلاء سلطان الآخرة، وأوله في البرزخ عند الخروج من الجسد، فبأية ملكة يخرج بها من الدنيا، بنفس هذه الملكة يأخذ صورته الأخروية وتراه العين الملكوتية في البرزخ، وهو نفسه أيضاً عندما يفتح عينه في برزخه، ينظر الى نفسه بالصورة التي هو عليها ــ في ذلك العالم ــ إذا كان لديه بصر. وليس من المحتم أن تكون صورة الانسان في ذلك العالم على نفس الصورة التي كان عليها في هذه الدنيا. يقول سبحانه تعالى على لسان البعض: «قال ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً»، فيأتيه الجواب ــ من الله ــ: «قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» (طه: ١٢٥ــ١٢٦).

فيا أيها المسكين؛ قد كانت لديك عين ملكية ظاهرة البصر، ولكنك في باطنك وملكوتك كنت أعمى، وقد أدركت الآن هذا الأمر، وإلّا فانك كنت أعمى منذ البداية، لم تكن لديك عين البصيرة الباطنية التي ترى بها آيات الله.

أيها المسكين؛ أنت ذو قامة متناسقة وصورة جميلة في التركيب الملكي، ومعيار الملكوت والباطن غير هذا، عليك أن توجد الاستقامة الباطنية كي تكون مستقيم القامة في يوم القيامة، يجب أن تكون روحك روحاً إنسانية كي تكون صورتك في عالم البرزخ صورة إنسانية... أنت تظن أن عالم الغيب والباطن ــ وهو عالم كشف السرائر وظهور الملكات ــ مثل عالم الظاهر والدنيا، حيث يمكن أن يقع الخلط والاشتباه... إنّ عينيك وأذنيك و يديك ورجليك وسائر أعضاء جسدك، جميعها، ستشهد عليك بما فعلت بألسنة ملكوتية، بل و بعضها بصور ملكوتية.

أيها العزيز؛ إفتح سمع قلبك، وشد حزام الهمة على ظهرك، وارحم بحال مسكنتك، لعلك تستطيع أن تجعل من نفسك إنساناً، وأن تخرج من هذا العالم بصورة آدمية، لتكون عندها من أهل الفلاح والسعادة، وحذار من أن تتصور أن كل ماتقدم هو موعظة وخطابة، فهذا كله هو نتيجة ودليل حكم توصل اليه الحكماء العظام، وكشف انكشف لأصحاب الرياضات، واخبار عن الصادقين والمعصومين.

وليس المقصود من هذه الأوراق أن تكون محلاً لإقامة الدليل ونقل الأخبار والآثار بصورة مفصلة.

• • •

الفصل الثالث: ضبط الغرائز

إعلم أن الوهم والغضب والشهوة من الممكن أن تكون من الجنود الرحانية وتؤدي الى

سعادة وتوفيق الانسان اذا سلّمتها للعقل السليم وللأنبياء العظام، ومن الممكن أن تكون من الجنود الشيطانية إذا تركتها وشأنها واطلقت العنان للوهم ليتحكم في القوتين الأخريين (الغضب والشهوة)

وأيضاً لم يعد خافياً أن أياً من الأنبياء العظام عليهم السلام لم يكبتوا الشهوة والغضب والوهم بصورة مطلقة، ولم يقل أي داع الى الله لحد الآن، بأن تقتل الشهوة بصورة عامة، وأن يخمد أوار الغضب بصورة كاملة، وأن يترك تدبير الوهم، بل قالوا: [يجب السيطرة عليها حتى تؤدي واجبها في ظل ميزان العقل والدستور الالهي] لأن هذه القوى كل واحدة منها تريد أن تنجز عملها وتنال غايتها ولو استلزم ذلك الفساد والفوضى. فمثلاً النفس البهيمية المنغمسة في الشهوة الجامحة التي مزقت عنانها، ــ هذه النفس ــ تريد أن تحقق هدفها ومقصودها ولو كان ذلك يتم بواسطة الزنى بالمحصنات وفي الكعبة (والعياذ بالله). والنفس الغضوب، تريد أن تنجز ماتريده حتى ولو استلزم ذلك قتل الأنبياء والأولياء. والنفس ذات الواهمة الشيطانية تريد أن تؤدي عملها حتى ولو استلزم ذلك الفساد في الأرض، وقلب العالم بعضه على بعض.

لقد جاء الأنبياء عليهم السلام، وأتوا بقوانين، وأُنزلت عليهم الكتب السماوية، من أجل الحيلولة دون الاطلاق والافراط في الطبائع، ومن أجل إخضاع النفس الانسانية لقانون العقل والشرع وترويضها وتأديبها حتى لايخرج تعاملها عن حدود العقل والشرع.

إذن؛ فكل نفس كيّفت ملكاتها وفق القوانين الالهية والمعايير العقلية، فهي سعيدة ومن أهل النجاة، وإلّا فليستعذ الانسان بالله من ذلك الشقاء وسوء التوفيق وتلك الظلمات والشدائد المقبلة، ومنها الصور المرعبة والمذهلة التي تصاحبه في البرزخ والقبر والقيامة وجهنم، والتي نتجت عن الملكات والأخلاق الفاسدة التي لازمته.

الفصل الرابع: السيطرة على الخيال

إعلم أن اول شرط للمجاهد في هذا المقام والمقامات الأخرى، والذي يستطيع أن يكون أساس الغلبة على الشيطان وجنوده، هو حفظ طائر الخيال، لأن هذا الخيال طائر محلق، ويحط في كل آن على غصن، وهذا يجلب الكثير من الشقاء. والخيال هو أحد وسائل الشيطان التي تجعل الانسان بواسطتها مسكيناً عاجزاً وتدعوه الى الشقاء.

وعلى الانسان المجاهد الذي نهض لاصلاح نفسه، و يريد أن يصفّي باطنه، و يفرغه من جنود ابليس، عليه أن يمسك بزمام خياله وأن لايسمح له بأن يطير حيثما شاء، وعليه أن يمنع الخيالات الفاسدة والباطنية أن تعترضه، كخيالات المعاصي والشيطنة، وأن يوجه خياله دائماً نحو الأمور الشريفة، وهذا الأمر ولو أنه قد يبدو في البداية صعباً بعض الشيء، و يصوره الشيطان وجنوده، وكأنه أمر عظيم، ولكنه يصبح يسيراً، بقدر من المراقبة والحذر.

إن من الممكن لك ــ من باب التجربة ــ أن تسيطر على جزء من خيالك، وتنتبه له جيداً،

فمتى ما أراد أن يتوجّه الى أمر وضيع، فاصرفه نحو أمور أخرى كالمباحات أو الأمور الراجحة الشريفة، فإذا رأيت أنك حصلت على نتيجة فاشكر الله تعالى على هذا التوفيق، وتابع سعيك، لعل ربك يفتح لك برحمته الطريق أمامك للملكوت وتهدى الى صراط الانسانية المستقيم، و يسهل عليك مهمة السلوك اليه سبحانه وتعالى.

وانتبه الى أن الخيالات الفاسدة القبيحة والتصورات الباطلة هي من القاءات الشيطان، الذي يريد أن يوطن جنوده في مملكتك الباطنة. فعليك أنت المجاهد ضد الشيطان وجنوده، وتريد أن تجعل صفحة نفسك، مملكة الهية رحمانية، عليك أن تحذر كيد هذا اللعين، وأن تبعد عنك هذه الأوهام المخالفة لرضا الله تعالى، حتى تنتزع ــ إن شاء الله ــ هذا الخندق المهم جداً من يد الشيطان وجنوده في هذه المعركة الداخلية، فهذا الخندق بمنزلة الحد الفاصل، فإذا تغلبت فتأمل خيراً.

وأيها العزيز... استعن بالله تبارك و في كل آن ولحظة، واستعذ بحضرة معبو واطلب منه بعجز والحاح...

اللهم... ان الشيطان عدو عظيم، كا ولايزال طمع بأنبيائك وأوليائك العظام،

اللهم... وأعن أنت هذا العبد الضع المبتلى بالأوهام الباطلة والخيالات والخراف الباطلة، كي يستطيع أن يجابه هذا ال القوي،

اللهم... وساعدني في ساحة المعركة هذا العدو القوي الذي يهدد سعادتي وانساني لكي أستطيع أن أطرد جنوده من المم العائدة لك، وأقطع يد هذا الغاصب من البيـ المختص بك.

للبحث ص

الروايات المشتركة

الشيخ محمود قانصوه / لبنان

باب: النهي عن صيام يوم الشك

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ـ وباسناده ـ محمدبن الحسن ـ عن علي بن الحسن بن فضال، عن الحسين بن نصر، عن أبيه، عن أبي خالد الواسطي، عن أبي جعفر(ع) (في حديث) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **من ألحق في رمضان يوماً من غيره فليس بمؤمن بالله ولابي**[١]. و ينفع في هذا الباب حديث الزهري، عن السجاد الذي ذكرناه بمواضع متفرقة.

٢ ـ وعنه ـ محمدبن الحسن ـ عن محمدبن عبدالحميد، عن محمدبن الفضل، قال: سألت أبا الحسن الرضا(ع) عن اليوم الذي يشك فيه ولايدرى أهو من شهر رمضان أو من شعبان؟ فقال(ع): **شهر رمضان شهر من الشهور، يصيبه ما يصيب الشهور من التمام والنقصان، فصوموا للرؤية، وأفطروا للرؤية، ولا يعجبني أن يتقدمه أحد بصيام يوم.** (الحديث)[٢]. أقول وهذا الحديث ينفع في الأبواب الأولى من الفصل الثالث.

٣ ـ وعنه ـ محمدبن الحسن ـ عن محمدبن أبي عمير، عن جعفر الأزدي، عن قتيبة الأعشى، قال أبوعبدالله(ع): **نهى رسول الله(ص) عن صوم ستة أيام: العيدين، وأيام التشريق، واليوم الذي يشك فيه من شهر رمضان.** ونحوه ما نقله في البحار، عن الامالي في مناهي النبي(ص)[٣]. أقول وهذا الحديث ينفع في ماسيأتي.

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، أنبأ أبوبكر محمدبن أحمدبن بالويه، حدثنا عبدالله بن أحمدبن حنبل، حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة، حدثنا أبوخالد الأحمر، عن عمرو بن قيس الملائي، عن أبي اسحاق، عن صلة، عن زفر، قال: **كنا عند عمار بن ياسر، فأتي بشاة مصلية. فقال: كلوا، فتنحى بعض القوم، فقال: إني صائم. فقال عمار: من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم**[٤]. ورواه الترمذي، عن أبي سعيد، عن أبي خالد مثله[٥]. وروى نحوه عبدالرزاق، عن معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، إلا أنه ذكر أن الرجل المتنحي (وماهو إلاّ صوم كنت أصومه) وأجابه عمار: (ما أنت تؤمن بالله واليوم الآخر)[٦]. وأخرج ابن ماجة نحوه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن حفص بن غياث، عن عبدالله بن سعيد، عن جده، عن أبي هريرة[٧]. وأخرجه النسائي، عن عبدالله بن سعيد الأشج، عن أبي خالد مثله[٨]، ولكن فيه (صلة عن عمار) وليس فيه (عن زفر). وأخرجه الحاكم، عن عبدالله مثله[٩]. ورواه أبوداود، عن محمدبن عبدالله بن نمير، عن أبي خالد الأحمر مثله[١٠]. ورواه الدار قطني، عن أحمدبن اسحاق بن بهلول، عن أبي سعيد الأشج، عن أبي خالد، عن عمرو، عن صلة، عن عمار[١١]. ونقله الدارمي كالنسائي[١٢].

٢ ــ وأخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أنبأ أبو عبدالله محمد بن يعقوب الشيباني، حدثنا محمد بن عبدالوهاب الفراء، أنبأ محاضر بن المورع، حدثنا هشام بن حسان، عن قيس بن طلق، عن أبيه طلق، قال: سمعت رجلاً سأل النبي(ص) عن اليوم الذي يشك فيه فيقول بعضهم هذا من شعبان و بعضهم هذا من رمضان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصوموا حتى تروا الهلال. الحديث[١٣].

٣ ــ أخبرنا أبو نصر محمد بن أحمد بن اسماعيل البزاز الطوسي، حدثنا عبدالله بن أحمد بن منصور الطوسي، حدثنا محمد بن اسماعيل الصائغ، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا الثوري، عن أبي عباد، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام قبل رمضان بيوم والأضحى والفطر وأيام التشريق ثلاثة أيام بعد يوم النحر[١٤]. ورواه عبدالرزاق، عن الثوري مثله[١٥]. وذكر الدارقطني نحوه، عن محمد بن عمرو، عن أحمد بن الخليل، عن الواقدي، عن داود بن خالد، عن محمد بن مسلم، عن المقبري، عن أبي هريرة[١٦]. وأخرجه البزار، عن محمد بن المثنى، عن صفوان بن عيسى، عن عبدالله بن سعيد، عن جده، عن أبي هريرة[١٧]. أقول وهذا الحديث ينفع في ما سيأتي من الصوم المحرم.

باب: جواز صيام يوم الشك من شعبان

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ــ علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن سليمان بن داود، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن علي بن الحسين(ع)، قال (في حديث): وأما الصوم الحرام، فصوم يوم الفطر، و يوم الأضحى، وثلاثة أيام من أيام التشريق. وصوم يوم الشك أمرنا به، ونهينا عنه، أمرنا به أن نصومه مع صيام شعبان، ونهينا عنه أن ينفرد الرجل بصيامه في اليوم الذي يشك فيه الناس فقلت له: جعلت فداك، فإنْ لم يكن صام من شعبان شيئاً كيف يصنع؟ قال: ينوي ليلة الشك. انه صائم من شعبان، فإنْ كان من شهر رمضان أجزأ عنه، وانْ كان من شعبان لم يضره. (الحديث)[١٨]. أقول: وهذا الحديث ينفع في الباب السابق. ورواه الاستبصار باختلاف يسير، عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد، عن أبيه، عن الصفار، عن علي بن محمد القاشاني، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود الشاذكوني، عن عبدالرزاق، عن معمر، عن محمد بن شهاب الزهري[١٩]. ونقله في البحار، عن تفسير القمي، عن أبي، عن الأصبهاني، عن المنقري، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن علي بن الحسين(ع). وساق الحديث بطوله[٢٠].

٢ ــ وفيه ــ المقنع ــ عن عبدالله بن سنان، أنه سأل أبا عبدالله(ع) عن رجل صام شعبان، فلما كان شهر رمضان، أضمر يوماً من شهر رمضان، فبان أنه من شعبان لأنه وقع فيه الشك، فقال(ع): يعيد ذلك اليوم، وإنْ أضمر من شعبان، فبان أنه من رمضان فلاشيء عليه[٢١]. أقول ولعل المراد

يعيده ان سان من رمضان، أو المراد أنه ليس محسوباً من جملة الثلاثين عند الشك في هلال شوا ورمضان. و بالجملة فالمراد أن صيامه كان كلا صيام.

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، حدثنا أبو بكر أحمد بن اسحاق بن ايوب الفقيه املاء، أنا بشر بن موسى، حدثنا يحيى بن بشر الحريري، حدثنا معاوية بن سلام، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة أن أبا هريرة حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: **لا تقدموا قبل رمضان بيوم أو بيومين إلاّ أن يكون رجلاً كان يصوم صياماً فيصومه**[٢٢]. ورواه الترمذي، عن هناد، عن وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، مثله[٢٣]. ورواه مسلم، عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب، عن وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير مثله. ورواه أيضاً، عن يحيى بن بشر، كما في البيهقي. وأيضاً، عن ابن المثنى، عن أبي عامر، عن هشام، عن يحيى بن أبي كثير، وعن زهير بن حرب، عن حسين بن محمد، عن شيبان، عن يحيى بن أبي كثير. وأيضاً عن ابن المثنى، وابن أبي عمر، عن عبدالوهاب، عن أيوب، عن يحيى بن أبي كثير[٢٤]. ورواه عبدالرزاق، عن معمر، عن يحيى بن أبي كثير غير أن لفظه مختلف[٢٥]. وأخرجه البخاري، عن مسلم بن ابراهيم، عن هشام، عن يحيى بن كثير مثله[٢٦]. وأخرجه ابن ماجة، عن هشام بن عمار، عن عبدالحميد بن حبيب والوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن يحيى مثله[٢٧]. وأخرجه النسائي، عن اسحاق بن ابراهيم، عن الوليد مثل ابن ماجة، وعن عمران بن يزيد، عن محمد بن شعيب الاوزاعي مثله أيضاً. وأخرجه بسنده عن ابن عباس. وأخرجه عن شعيب بن اسحاق، عن الأوزاعي وابن أبي عروبة، عن يحيى مثله[٢٨]. ورواه أبوداود، عن مسلم بن ابراهيم، عن هشام، عن يحيى بن أبي كثير[٢٩]. وأخرجه أبوداود الطيالسي، عن هشام، عن يحيى[٣٠]. وأخرجه الدارمي، عن وهب بن جرير، عن هشام[٣١].

٢ ــ أخبرنا أبوالحسن علي بن أحمد بن محمد بن داود الرزاز قراءة عليه من أصل كتابه ببغداد، حدثنا ابو عمرو عثمان بن أحمد الدقاق املاء، حدثنا يحيى بن أبي طالب، أنبأ عبدالوهاب بن عطاء، أنبأ محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: **لا تقدموا الشهر باليوم واليومين، الا أن يوافق ذلك صوماً كان يصومه أحدكم. صوموا لرؤيته، وافطروا لرؤيته، فإنْ غم عليكم فعدوا ثلاثين ثم افطروا**[٣٢]. ورواه الترمذي، عن أبي كريب، عن عبدة بن سليمان، عن محمد بن عمرو، مثله[٣٣]. ونحوه روى أبوداود، عن الحسن بن علي، عن حسين، عن زائدة، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس[٣٤]. ورواه الدارقطني، عن أبي محمد بن صاعد، عن محمد بن زنبور، عن اسماعيل بن جعفر، عن محمد بن عمرو، مثله. وأيضاً عن ابن صاعد وابن غيلان، عن أبي هشام، عن أبي بكر بن عياش، عن محمد بن عمرو. وأيضاً عن ابن صاعد وأبي بكر النيسابوري، عن الربيع، عن ابن وهب، عن أسامة بن زيد، عن محمد بن عمرو[٣٥].

* باب: حرمة صيام العيدين *

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ـ و باسناده ـ محمدبن علي بن الحسين الصدوق ـ عن حمادبن عمرو وأنس بن محمد، عن أبيه، جيعاً عن الصادق(ع)، عن آبائه(ع) (في وصية النبي(ص) لعلي (ع))، قال: **ياعلي؛ صوم الفطر حرام، وصوم يوم الأضحى حرام**[٣٦].

ب: ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ و أخبرنا أبوعلي الروذ باري، أنبأ ابو بكر بن داسة، حدثنا أبوداود، حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب، وهذا حديثه، قالا: حدثنا سفيان، عن الزهري، عن أبي عبيد، قال: شهدت العيد مع عمر ـ رضي الله عنه ـ فبدأ بالصلاة قبل الخطبة، ثم قال: **إنّ رسول الله(ص) نهى عن صيام هذين اليومين، أما يوم الأضحى فتأكلون من نسككم، وأمايوم الفطر ففطركم من صيامكم**[٣٧]. ورواه الترمذي باختلاف عن محمدبن عبدالملك، عن يزيد بن زريع، عن معمر، عن الزهري، عن أبي عبيد[٣٨]. ورواه مسلم باختلاف يسير، عن ابن يحيى، عن مالك، عن ابن شهاب، عن أبي عبيد مثله. ورواه بأسانيد متعددة، عن أبي هريرة وأبي سعيد وعائشة[٣٩]. وأخرجه البخاري عن عبدالله بن يوسف، عن مالك مثل مسلم[٤٠] وأخرجه ابن ماجة، عن سهل بن أبي سهل، عن سفيان مثله[٤١].

* باب: النهي عن صيام أيام منى *

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ـ عبدالله بن جعفر في (قرب الاسناد)، عن محمدبن عيسى والحسن بن ظريف وعلي بن اسماعيل، كلهم عن حمادبن عيسى، قال: سمعت أبا عبدالله(ع)، يقول: قال أبي قال علي بعث رسول الله(ص) بديل بن ورقاء الخزاعي على جمل أورق أيام منى، فقال: **نادي في الناس ألا لا تصوموا فانها أيام أكل وشرب**. ونقله في البحار، عن قرب الاسناد، عن حمادبن عيسى بدون واسطة[٤٢]. أقول وفي تحريم صيام أيام التشريق أحاديث كثيرة، وفي أحاديث الأبواب السابقة ما تضمن ذلك كحديث الزهري، عن السجاد(ع) الذي نقلناه في مواضع متفرقة.

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، حدثنا أبوالعباس محمدبن يعقوب، حدثنا محمدبن اسحاق الصغاني، (ح وأخبرنا) أبوالحسن محمدبن يعقوب الفقيه بالطابران، أنبأ أبوعلي محمدبن أحمد

الحسن الصواف، حدثنا اسحاق بن الحسن، قالا: حدثنا محمد بن سابق، حدثنا ابراهيم بن طهمان عن أبي الزبير، عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه، أنه حدثه أن رسول الله (ص) بعثه وأوس بن الحدثان أيام التشريق، فنادى: انه لن يدخل الجنة إلا مؤمن. وأيام منى أيام أكل وشرب. ونحوه ماروا البيهقي باسناده، عن بشر بن سحيم، انه بعثه النبي (ص) لينادي كذلك[43]. ورواه مسلم، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن محمد بن سابق مثله. وعن عبد بن حميد، عن أبي عامر، عن ابراهيم مثله[44]. وروى ابن ماجة، عن ابن أبي شيبة، عن عبدالرحمن بن سليمان، عن محمد بن عمر، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، نحوه. وكذا نحوه عن ابن أبي شيبة وعلي بن محمد معاً، عن وكيع، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن نافع بن جبير، عن بشر بن سحيم نحوه[45]. ورواه الدارمي، عن أبي النعمان، عن حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن نافع عن بشر[46].

باب النهي عن صوم الوصال

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ــ قال الصدوق (ره): ونهى رسول الله (ص) عن الوصال في الصيام، وكان يواصل، فقيل له في ذلك، فقال: **إني لست كأحدكم، إني أظل عند ربي، فيطعمني، و يسقيني**[47].

٢ ــ محمد بن يعقوب عنهم ــ عدة من أصحابنا ــ عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن حسان بن مختار، قال: **قلت لأبي عبدالله (ع): ماالوصال في صيام؟ قال: فقال: إن رسول الله (ص) قال: لاوصال في صيام.** (الحديث)[48]. ونقله في البحار في حديث عن الأمالي، عن ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير ومحمد بن اسماعيل، عن منصور بن يونس، عن منصور بن حازم وعلي بن اسماعيل الميثمي، عن منصور بن حازم، عن الصادق (ع). ونقله في البحار، عن نوادر الراوندي في حديثين، عن علي (ع) ورسول الله (ص)[49]. وروايات النهي عن الوصال كثيرة، فمنها رواية الزهري عن علي بن الحسين (ع) في وجوه الصوم، ومنها رواية الصدوق بإسناده، عن زرارة، عن الصادق (ع)، ومنها رواية الصدوق بإسناده، عن منصور بن حازم، عن الصادق (ع). وأيضاً بإسناده عن حماد بن عمرو وأنس بن محمد، عن أبيه، جميعاً عن الصادق (ع)[50].

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ حدثنا أبوالحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي رحمه الله املاء، حدثنا عبيدالله بن ابراهيم بن بالويه، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبدالرزاق، أنبأ معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثني أبو هريرة. قال: قال رسول الله (ص): **إياكم والوصال. قالوا فإنك تواصل يا رسول الله (ص). قال: إني لست في ذلكم مثلكم. اني أبيت يطعمني ربي و يسقيني، فاكلفوا من العمل مالكم به طاقة**[51].

وروى الترمذي نحوه، عن نصر بن علي، عن بشر بن المفضل وخالدبن الحارث، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس[٥٢]. ورواه مسلم باختلاف يسير في اللفظ، عن زهير بن حرب واسحاق، عن جرير، عن عمارة عن أبي زرعة، عن أبي هريرة. ورواه أيضاً عن قتيبة بن سعيد، عن المغيرة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة[٥٣]. وأخرج البخاري مثله عن يحيى، عن عبدالرزاق باختلاف في بيان المعنى. وأخرج نحوه بأسانيد عديدة، فراجع[٥٤]. وأخرج أبوداود نحوه، عن عبدالله القعنبي، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر[٥٥]. وأخرج مالك نحوه كأبي داود. وأخرج الحديث عن أبي الزناد كمسلم[٥٦]. ونقل الهيثمي نحوه، عن ابن عمر نقلاً عن الطبراني في الكبير[٥٧]. وروى الحميدي نحوه عن أبي الزناد كمسلم[٥٨]. وروى أبو داود الطيالسي نحوه، عن شعبة، عن عاصم مولى قريبة، عن قريبه، عن عائشة. وروى عن خارجة بن مصعب، عن حزام بن عثمان، عن أبي عتيق، عن جابر، عن النبي (ص) أنه قال: لاوصال في الصوم. ونقله بسند آخر أيضا[٥٩]. وأخرجه الدارمي، عن خالدبن مخلد، عن مالك، عن أبي الزناد كمسلم[٦٠].

* باب: استحباب صيام يوم عرفة *

أ ــ ماورد عن طريق أهل البيت (ع):

١ ــ محمدبن يعقوب، عن محمدبن يحيى، عن محمدبن الحسن، عن صفوان بن يحيى وعلي بن الحكم، جميعاً عن العلاءبن رزين، عن محمدبن مسلم، عن أحدهما (ع)، **انه سئل عن صوم يوم عرفة. فقال: أنا أصومه اليوم، فهويوم دعاء ومسألة**[٦١]. أقول وقد اختلف نسخ الحديث في الكافي، في بعضها (**ما أصومه اليوم**) كما هو المكتوب في الكافي (الطبعة الجديدة).

٢ ــ قال الصدوق محمدبن علي بن الحسين: قال الصادق (ع): **صوم يوم التروية كفارة سنة، و يوم عرفة كفارة سنتين**[٦٢]. ورواه في (ثواب الأعمال) عن محمدبن موسى بن المتوكل، عن علي بن الحسين السعدآبادي، عن أحمدبن أبي عبدالله، عن أبيه، عن محمدبن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله (ع)[٦٣].

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ أخبرنا أبوالحسين محمدبن الحسين بن محمد الفضل القطان ببغداد، حدثنا أبوعلي اسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا عبدالله بن ايوب المخرمي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن داودبن شابور، عن أبي قزعة، عن أبي الخليل، عن أبي حرملة، عن أبي قتادة يبلغ به النبي (ص) صوم يوم عرفة كفارة سنة والتي تليها وصوم يوم عاشوراء كفارة سنة. (ورواه مجاهد) عن حرملة بن اياس الشيباني، عن أبي قتادة، قال: **سئل رسول الله (ص) عن صيام يوم عاشوراء . فقال: يكفر السنة. وسئل عن**

صيام يوم عرفة فقال: يكفر سنتين؛ سنة ماضية، وسنة مستقبلة. وفي رواية أخرى أن عمر (رض) سأل النبي(ص) عن صيام يوم عرفة، فأجابه النبي(ص) بنحو ما مضى[٦٤]. وروى الترمذي نحوه، عن قتيبة وأحمد بن عبدة الضبي، جميعاً عن حماد بن زيد، عن غيلان بن جرير، عن عبدالله بن معبد الزماني، عن أبي قتادة[٦٥]. وأخرج نحوه دون ذيله عن الثوري، عن منصور، عن مجاهد، عن حرملة بن اياس الشيباني، عن أبي قتادة[٦٦]. وأخرج ابن ماجة نحوه، عن أحمد بن عبدة مثل الترمذي أولاً[٦٧]. وروى أبو داود نحوه، عن سليمان بن حرب ومسدد، عن حماد بن زيد، مثل الترمذي أولاً[٦٨].

❀باب: استحباب صيام شهر محرم❀

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ـ عن النبي(ص) قال: إن أفضل الصلاة بعد الصلاة الفريضة الصلاة في جوف الليل، وإن أفضل الصيام من بعد شهر رمضان صوم شهر الله الذي يدعونه المحرم[٦٩].

٢ ـ محمد بن محمد في (المقنعة)، عن النعمان بن سعد، عن علي (ع) انه قال: قال رسول الله(ص) لرجل: **إن كنت صائماً بعد شهر رمضان فصم المحرم، فإنه شهر تاب الله فيه على قوم، و يتوب الله تعالى فيه على آخرين**[٧٠].

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ وأخبرنا أبونصر العامي، حدثنا أبوعبدالله محمد بن يعقوب، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى، حدثنا الحجبي ومسدد، قالا: حدثنا أبوعوانة (ح وأخبرنا) أبوالحسن علي بن أحمد بن عبدان، أنبأ أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا زياد بن الخليل، حدثنا مسدد، حدثنا أبو عوانة، عن عبدالملك بن عمير، عن محمد بن المنتشر، عن حميد بن عبدالرحمن الحميري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله(ص): **أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرم، وأفضل الصلاة بعد المفروضة الصلاة في جوف الليل**[٧١]. وروى الترمذي نحوه، عن قتيبة، عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن حميد، عن أبي هريرة[٧٢]. ورواه مسلم، عن زهير، عن جرير، عن عبدالملك مثله. ورواه أيضاً، عن قتيبة، عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن محمد بن المنتشر مثله[٧٣]. وأخرج نحوه ابن ماجة، عن ابن أبي شيبة، عن الحسين بن علي (ع)، عن زائدة، عن عبدالملك[٧٤]. وروى أبو داود نحوه، عن مسدد وقتيبة مثل مسلم في الثاني[٧٥]. ورواه الدارمي، عن زيد بن عوف، عن أبي عوانة[٧٦].

٢ ـ حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا محمد بن فضيل، عن عبدالرحمن بن اسحاق، عن النعمان ابن سعد قال: **جاء رجل الى علي فسأله عن شهر بعد شهر رمضان يصومه، فقال له علي: ما سألني أحد عن هذا بعد،**

إذ سمعت رجلاً سأل النبي(ص): أي شهر يصومه من السنة بعد شهر رمضان؟ فأمر بصيام المحرم: وقال: إنّ فيه يوماً تاب الله على قوم و يتوب فيه على قوم[77].

باب: استحباب صيام شهر شعبان

أ ـ ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ـ محمد بن الحسن بإسناده، عن علي بن الحسن بن فضال، عن محسن بن أحمد ومحمد بن الوليد وعمرو بن عثمان وسندي بن محمد، جميعهم عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبدالله(ع)، قال: **سألته عن صوم شعبان، فقلت له جعلت فداك كان أحد من آبائك يصوم شعبان؟ فقال: كان خير آبائي رسول الله(ص) أكثر صيامه في شعبان.** ونحوه بأسانيد متعددة عن عائشة[78]. ونحوه مارواه الكافي، عن أبي علي الاشعري، عن محمد بن عبدالجبار ومحمد بن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن صفوان، عن ابن مسكان، عن الحلبي، قال: سألت أبا عبدالله. وساق نحوه، ولكن ليس فيه **(أكثر صيامه في شعبان)**[79].

٢ ـ محمد بن يعقوب عنه ـ علي بن ابراهيم ـ عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبدالله(ع)، قال: **كنّ نساء النبي(ص) اذا كان عليهن صيام أخّرن ذلك الى شعبان كراهة أن يمنعن رسول الله(ص) حاجته، فاذا كان شعبان صمن وصام (معهن) وكان رسول الله(ص) يقول: شعبان شهري.** ورواه الصدوق في (ثواب الأعمال)، عن محمد بن علي ماجيلويه، عن عمه محمد بن أبي القاسم، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير[80].

٣ ـ محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد وعن علي بن ابراهيم، عن أبيه، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن سلمة صاحب الصابري، عن أبي الصباح الكناني، قال: **سمعت أبا عبدالله يقول: صوم شعبان وشهر رمضان متتابعين توبة من الله والله.** ورواه في ثواب الأعمال عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، وعن علي بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن عمر بن أبان، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبدالله(ع) مثله[81]. وأرسل الصدوق نحوه[82].

ب ـ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ و أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، أخبرني ابوالوليد، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا سفيان، عن ابن أبي لبيد، عن أبي سلمة، قال: **سألت عائشة عن صيام رسول الله(ص)، فقالت: كان يصوم حتى نقول قد صام ويفطر حتى نقول قد أفطر ولم أره صائماً من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان. كان يصوم شعبان كله. كان يصوم شعبان إلاّ قليلاً.** ونحوه مارواه البيهقي بسند آخر عن

عائشة مع زيادة أنه لم يستكمل صيام شهر سوى شهر رمضان[٨٣]. و رواه الترمذي بنقيصة أوله عن هناد، عن عبدة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن عائشة مثله[٨٤]. ورواه مسلم، عن ابن أبي شيبة مثله وعن عمرو الناقد، عن سفيان مثله. وروى نحوه عن ابن يحيى، عن مالك، عن أبي النضر، عن أبي سلمة، عن عائشة[٨٥]. وروى عبدالرزاق نحوه، عن مالك بن أنس، عن أبي النضر، عن أبي سلمة[٨٦]. وأخرج البخاري نحوه، عن عبدالله بن يوسف، عن مالك مثل عبدالرزاق ومسلم[٨٧]. وأخرجه النسائي، عن اسحاق بن ابراهيم، عن النضر، عن شعبة، عن توبة العنبري، عن محمد بن ابراهيم (ح) وعن الربيع بن سليمان، عن ابن وهب، عن اسامة بن زيد، عن ابن ابراهيم (ح) وعن أحمد بن سعد، عن عمي، عن نافع بن يزيد، عن ابن الهاد، عن محمد بن ابراهيم، عن أبي سلمة مثله[٨٨]. وأخرج حديث البيهقي، عن محمد بن عبدالله، عن سفيان مثله. وأخرجه بلفظ آخر، عن اسحاق بن ابراهيم، عن معاذ، عن أبي، عن يحيى[٨٩].

٢ ــ حدثنا أبو محمد عبدالله بن يوسف املاء بنيسابور، وأبوالحسين بن بشران قراءة عليه ببغداد، قالا: أنبأ عبدالله بن محمد بن اسحاق الفاكهي بمكة، حدثنا أبويحيى بن أبي مسرة، حدثنا يحيى بن محمد الجاري، حدثنا عبدالعزيز بن محمد، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن ابراهيم، عن أبي سلمة، عن عائشة (رض) أنها قالت: **إنْ كانت إحدانا لتفطر في زمان رسول الله (ص) فما تقدر على أن تقضيه مع رسول الله (ص) حتى يأتي شعبان. ما كان رسول الله (ص) يصوم من شهر ما كان يصوم من شعبان كان يصومه كله إلاّ قليلاً، بل كان يصومه كله**. وروى مسلم نحوه بأسانيد متعددة[٩٠]. ورواه عبدالرزاق، عن ابن جريج، عن يحيى بن سعيد، عن أبي سلمة، عن عائشة مثله بنقيصة ذيله واختلاف في الألفاظ مع وحدة المعنى والذيل قرينة على ذلك مفقودة في حديثه[٩١]. وروى البخاري نحوه بنقيصة ذيله، عن أحمد بن يونس، عن زهير، عن يحيى، عن أبي سلمة[٩٢].

٣ ــ حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي سلمة، عن أم سلمة، قالت: **ما رأيت النبي (ص) يصوم شهرين متتابعين الا شعبان ورمضان**[٩٣]. وأخرجه النسائي، عن شعيب بن يوسف ومحمد بن بشار، عن عبدالرحمن مثله[٩٤].

باب: استحباب صيام ثلاثة أيام في الشهر

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ــ قال محمد بن يعقوب: قال أمير المؤمنين (ع): صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن ببلابل الصدر، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر. إنّ الله عزوجل يقول: «من جاء بالحسنة فله عشر امثالها». ورواه الصدوق مرسلاً، ورواه في ثواب الأعمال بالإسناد السابق (والظاهر أنه محمد بن الحسن، عن الحسين بن الحسن بن أبان)، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن

الحلبي، عن أبي عبدالله قال. ورواه في المجالس، عن جعفر بن محمدبن مسرور، عن الحسين بن محمدبن عامر، عن عمه عبدالله بن عامر، عن محمدبن أبي عمير مثله (أي عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله (ع))[95]. و نحوهما رواه الصدوق في الخصال بإسناده، عن علي (ع) (في حديث الأربع مئة) مع زيادات فيه ونحوه ماراوه في الوسائل، عن الدروع الواقية بسنده، عن ابن عباس وأنه صيام النبي (ص). ونحوه مانقله في الاستبصار ضمن حديث نقله عن محمدبن يعقوب، عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشا، عن حماد، عن الصادق (ع)[96]. ونقله في البحار عن كتاب «فضائل الأشهر الثلاثة»، عن محمدبن الحسن بن أحمدبن الوليد، عن محمدبن الحسن الصفار، عن أحمدبن محمدبن عيسى، عن محمدبن أبي عمير، عن حمادبن عثمان، عن الحلبي، عن أبي عبدالله (ع) قال: قال أميرالمؤمنين (ع) مثله. ورواه في البحار أيضاً، عن الأمالي، عن ابن مسرور، عن ابن عامر، عن عمه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي مثله[97].

٢ ــ وفي (معاني الأخبار والمجالس)، عن أحمدبن محمدبن يحيى، عن أبيه، عن أحمدبن محمدبن عيسى، عن نوح بن شعيب النيسابوري، عن عبيدالله بن عبدالله، عن عروة بن أخي شعيب العقرقوفي، عن شعيب، عن أبي بصير، عن الصادق (ع)، عن آبائه (ع) (في حديث). قال: قال رسول الله (ص) لأصحابه يوماً: **أيكم يصوم الدهر؟ فقال سلمان: أنا يا رسول الله. فقال رجل لسلمان: رأيتك في أكثر نهارك تأكل. فقال: ليس حيث تذهب، إني أصوم الثلاثة في الشهر. قال الله عزوجل: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» وأصل شعبان بشهر رمضان، فذلك صوم الدهر.** وفيه أن رسول الله (ص) قال للرجل: **أنى لك بمثل لقمان الحكيم سله فإنه ينبئك**[98]. ورواه في البحار، عن معاني الأخبار والأمالي، عن العطار، عن أبيه، عن ابن عيسى، مثله، وفيه بعض الزيادات[99].

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ أخبرنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء بن عبدالله ابن الشخير، قال: **جاءنا أعرابي ونحن بالمربد، فقال: هل فيكم قارىء يقرأ هذه الرقعة؟ قلنا كلنا نقرأ (الى أن قال) فقلنا إنَّ رسول الله (ص) كتب لكم هذا الكتاب؟ قال: نعم. أتروني أكذب على رسول الله (ص). وغضب، فضرب بيده على الكتاب، وأخذه قال: فاتبعناه فقلنا: حدثنا يا أبا عبدالله عن شيء سمعته من رسول الله (ص). قال: سمعته يقول: إنَّ مما يذهب كثيراً من وضر الصدر صوم شهر الصبر وصوم ثلاثة أيام من كل شهر**[100]. وأخرج البزار قول النبي (ص) عن يوسف بن موسى، عن حسين بن علي، عن زائدة، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس[101].

٢ ــ أخبرنا أبوالحسين بن الفضل القطان ببغداد، أنبأ أبوسهل بن زياد القطان، ثنا اسحاق بن الحسن الحربي، حدثنا عفان، أنبأ حمادبن سلمة، أنبأ ثابت، عن أبي عثمان النهدي، أن أبا هريرة كان في سفر له، **فلما نزلوا أرسلوا اليه وهو يصلي ليطعم، فقال للرسول: اني صائم. فلما وضع الطعام، وكادوا**

يفرغون، فجاء، فجعل يأكل، فنظر القوم الى رسولهم، فقال: ما تنظرون قد أخبرني أنه صائم. فقال أبوهريرة: صدق، إني سمعت رسول الله(ص) يقول: صوم شهر الصبر وصوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر، فقد صمت ثلاثة أيام من الشهر، فأنا مفطر في تخفيف الله، وصائم في تضعيف الله[١٠٢]. وأخرج النسائي قول النبي (ص)، عن زكريابن يحيى، عن عبد الأعلى، عن حماد مثله[١٠٣]. وأخرجه ابوداود الطيالسي، عن حماد مثله[١٠٤].

٣ ــ وأخبرنا أبومحمدالحسن بن علي بن المؤمل، حدثنا أبوعثمان عمرو بن عبدالله البصري، حدثنا أبوأحمد محمدبن عبدالوهاب، أنبأ يعلى بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن جعفر بن أياس، عن عبدالله بن شقيق العقيلي، قال: أتيت المدينة، فإذا رجل طويل أسود، فقلت: من هذا؟ قيل: أبوذر. فقلت: لأنظرن على أي حال هواليوم؟ قال: قلت: أصائم أنت؟ قال: نعم. وهم ينتظرون الاذن على عمر(رض) فدخلوا فأتينا بقصاع فأكل فحركته أذكره بيدي. فقال: إني لم أنس ماقلت لك. أخبرتك أني صائم، اني أصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فأنا أبداً صائم[١٠٥]. وأخرج أبوداود الطيالسي نحوه، وفيه اختلاف، عن حماد بن سلمة، عن الأزرق بن قيس، عن رجل من بني تميم[١٠٦].

باب: استحباب صوم الأيام البيض

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ــ علي بن موسى بن طاووس في «الدروع الواقية» نقلاً من كتاب «تحفة المؤمن» (تأليف عبدالرحمن بن محمدبن علي الحلواني) عن علي بن أبي طالب(ع)، قال: قال رسول الله(ص): أتاني جبرئيل، فقال لي: صم من كل شهرثلاثة أيام (الى أن قال) فقلت:ماهي يارسول الله؟ قال: الأيام البيض من كل شهر، وهي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر[١٠٧].

٢ ــ محمدبن علي بن الحسين في «العلل»، عن علي بن عبدالله الأسوادي الفقيه، عن مكي بن أحمدبن سعدويه، عن نوح بن الحسن، عن حميدبن سعد، عن أحمدبن عبدالواحد العسقلاني، عن القاسم بن حميد، عن حمادبن سلمة، عن عاصم، عن زرين بن حبيش [زربن حبيش]، عن ابن مسعود، عن النبي (ص) (في حديث): ان الله أهبط آدم الى الأرض مسوداً، فلما رأته الملائكة ضجت وبكت وانتحبت (الى أن قال) فنادى مناد من السماء أن صم لربك اليوم (الى أن قال) فسميت الأيام البيض للذي رد الله عزوجل على آدم من بياضه، ثم نادى مناد من السماء: يا آدم هذه الثلاثة أيام جعلتها لك ولولدك، من صامها في كل شهر، فكأنما صام الدهر. ونقله في البحار، عن العيون، عن علي بن عبدالله بن أحمد الأسواري، عن مكي بن أحمد، عن نوح بن الحسن، عن حميد بن سعد، عن أحمد بن عبدالواحد، عن القاسم بن جميل، عن حماد، عن عاصم، عن زر بن حبيش، قال: سألت ابن مسعود مثله[١٠٨].

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ وأخبرنا أبوالحسين بن بشران العدل ببغداد، أنبأ اسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا الحسن بن علي بن عفان، حدثنا ابن نمير، عن فطر بن خليفة، عن يحيى بن سام، عن موسى بن طلحة، عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: **أمرنا رسول الله (ص) بصيام ثلاثة أيام البيض: ثلاث عشرة واربع عشرة وخمس عشرة**[١٠٩]. وروى الترمذي نحوه، عن محمود بن غيلان، عن أبي داود، عن شعبة، عن الأعمش، عن يحيى بن بسام مثله[١١٠]. وأخرج النسائي، عن محمد بن عبدالعزيز، عن الفضل بن موسى، عن فطر مثله، وكذا عن عمرو بن يزيد، عن عبدالرحمن، عن شعبة، مثل الترمذي[١١١].

٢ ــ وأخبرنا أبو عبدالله الحافظ وأبو بكر محمد بن الحسن وأبوسعيد بن أبي عمرو، قالوا: حدثنا أبوالعباس الأصم، حدثنا العباس بن محمد، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا شعبة، قال: سمعت أنس بن سيرين، قال: سمعت عبدالملك بن المنهال، عن أبيه، قال: وكان من أصحاب النبي (ص)، قال: **كان رسول الله (ص) يأمرنا بصيام أيام البيض الثلاثة، ويقول: هنّ صيام الدهر**[١١٢]. وأخرجه النسائي، عن محمد بن عبد الأعلى، عن خالد، عن شعبة مثله. وعن محمد بن حاتم، عن حبان، عن عبدالله، عن شعبة مثله[١١٣]. وأخرجه أبوداود، عن محمد بن كثير، عن همام، عن أنس أخي محمد، عن ابن ملحان القيسي، عن أبيه.

باب: استحباب صيام داود

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ قال (والظاهر أنه علي بن موسى بن جعفر بن طاووس في الدروع الواقية) وروينا من كتاب الصيام عن ابن فضال، عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن عاصم بن حميد، عن ابراهيم بن أبي يحيى، عن أبي عبدالله (ع)، عن أبيه: **ان رجلاً سأل النبي (ص) عن الصوم، فقال: أين أنت من صيام البيض ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر؟ فقال: إنّ بي قوة. فقال: أين أنت عن صيام يومين في الجمعة؟ فقال: إنّ بي قوة. فقال: أين أنت عن صوم داود (ع) كان يصوم يوماً و يفطر يوماً**[١١٤].

٢ ــ قال (والظاهر أنه علي بن موسى بن جعفر بن طاووس في الدروع الواقية) ومن كتاب الصيام عن ابن فضال، عن محمد بن عبيد، عن جبارة، عن فرج بن فضالة، عن أبي وهب، عن أبي صدقة الدمشقي، عن ابن عباس، قال: **أتاه رجل يسأله عن الصيام. فقال إنْ كنت تريد صوم داود فانه كان من أعبد الناس** (الى أن قال) **وقال رسول الله (ص): إنّ أفضل الصيام صيام أخي داود (ع)، وكان يصوم يوماً و يفطر يوماً.** (الحديث)[١١٥].

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أنبأ محمدبن يعقوب، حدثنا ابراهيم بن عبدالله، أنبأ روح بن عبادة، عن شعبة (قال وأنبأ) محمدبن يعقوب، حدثنا الحسن بن محمد الصاني، حدثنا محمدبن مثنى، حدثنا محمدبن جعفر، حدثنا شعبة، عن زيادبن فياض، قال: سمعت أبا عياض، عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله (ص) قال: **صم يوماً ولك أجر مابقي. قال: إني أطيق أكثر من ذلك. قال: صم يومين ولك أجر مابقي. قال: إني أطيق أكثر من ذلك. قال: صم ثلاثة أيام ولك أجر مابقي. قال: إني أطيق أكثر من ذلك. قال: صم أربعة أيام ولك أجر مابقي. قال: إني أطيق أكثر من ذلك. قال: صم أفضل الصيام عندالله صوم داود، كان يصوم يوماً و يفطر يوماً**[١١٦]. وقريب منه ماروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص، **وأنه كان يصوم الدهر، فنهاه النبي(ص) عن ذلك، وأمره بصيام ثلاثة أيام. فقال له: أطيق أكثر، فأمره بصيام داود**[١١٧]. ونحوه مارواه مسلم، عن أبي الطاهر، عن عبدالله بن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب وأبي سلمة، عن عبدالله بن عمرو[١١٨]. ومثله مارواه مسلم، عن ابن المثنى مثله، وعن ابن أبي شيبة، عن غندر، عن شعبة مثله[١١٩]. وروى عبدالرزاق نحوه، عن معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب وأبي سلمة، عن عبدالله[١٢٠]. وروى البخاري نحوه بأسانيد عديدة... فراجع[١٢١]. وروى النسائي نحوه بأسانيد عديدة أيضاً[١٢٢]. وروى أبوداود نحوه عن الحسن بن علي، عن عبدالرزاق مثل عبدالرزاق[١٢٣].

٢ ــ أخبرنا ابوالحسن علي بن محمدبن عبدالله بن بشران، أنبأ أبوجعفر محمدبن عمرو الرزاز، حدثنا عبدالملك بن محمد، حدثنا روح، حدثنا ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله (ص): **أحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود، كان يرقد شطرالليل، ثم يقوم ثلثه بعد شطره، ثم يرقد آخره. وأحب الصيام الى الله تعالى صيام داود، كان يصوم يوماً و يفطر يوماً**[١٢٤]. وروى الترمذي نحوه عن هناد، عن وكيع، عن مسعر وسفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي العباس، عن عبدالله بن عمرو[١٢٥]. ورواه مسلم، عن ابن أبي شيبة وزهير بن حرب، عن سفيان، عن عمرو بن دينار مثله وعن محمدبن رافع، عن عبدالرزاق، عن ابن جريج مثله[١٢٦]. وأخرجه عبدالرزاق، عن ابن جريج وابن عيينة مثله[١٢٧]. وأخرجه ابن ماجة، عن ابي اسحاق الشافعي، عن سفيان، عن ابن دينار مثله[١٢٨]. وأخرجه النسائي، عن قتيبة، عن سفيان مثله[١٢٩]. وأخرجه أبوداود، عن ابن حنبل ومحمدبن عيسى ومسدد، عن سفيان[١٣٠]. وروى الحميدي نحوه عن سفيان، عن عمرو بن دينار[١٣١].

باب: استحباب الصيام عند عدم الباه

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ــ محمدبن يعقوب، عن محمدبن يحيى، عن محمدبن الحسين، عن يحيى بن عمرو بن

خليفة الزيات، عن عبدالله بن بكير، عن بعض أصحابنا، عن أحدهما(ع)، قال: قال رسول الله (ص): يا معشر الشباب؛ عليكم بالباه، فإنْ لم تستطيعوا فعليكم بالصيام فانه وجاءة[132].

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن المؤمل، حدثنا أبوعثمان عمرو بن عبدالله البصري، حدثنا أبوأحمد محمدبن عبدالوهاب، أنبأ يعلى بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبدالرحمن بن يزيد. قال: قال عبدالله: كنا مع رسول الله (ص) شاباً، ليس لنا شيء. فقال: يامعشر الشباب: من استطاع منكم الباه فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنَّ الصوم له وجاء[133] وأخرجه البخاري، عن عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن ابراهيم، عن علقمة، عن عبدالله مثله وليس فيه (يا معشر الشباب)[134]. وأخرجه النسائي، عن محمودبن غيلان، عن أبي أحمد، عن سفيان، عن الأعمش مثله. وكذا عن بشر، عن محمدبن جعفر، عن شعبة، عن سليمان، عن ابراهيم كالبخاري. وعن هارون بن اسحاق، عن المحاربي، عن الأعمش كالبخاري أيضاً. وزاد مع علقمة (الأسود) وعن هلال بن العلاء، عن أبي، عن علي بن هاشم، عن الأعمش مثل البيهقي. ونحوه، عن عمرو بن زرارة، عن اسماعيل، عن يونس، عن أبي معشر، عن ابراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود[135].

باب: استحباب الصيام في الشتاء

أ ــ ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ــ في معاني الأخبار، عن محمدبن الحسن بن أحمدبن الوليد، عن محمدبن يحيى، عن محمدبن أحمدبن يحيى، عن ابراهيم بن اسحاق النهاوندي، عن محمدبن سليمان الديلمي، عن أبيه، عن أبي عبدالله(ع)، قال: سمعته يقول: الشتاء ربيع المؤمن، يطول فيه ليله، فيستعين به على قيامه، و يقصر فيه نهاره، فيستعين به على صيامه. وفي (صفات الشيعة)، عن محمدبن علي ماجيلويه، عن عمه، عن محمدبن علي، عن محمدبن سليمان مثله. وفي (الامالي)، عن محمدبن الحسن، عن أحمدبن ادريس، عن أحمدبن يحيى مثله[136]. ونقله في البحار، عن الامالي، عن ابن الوليد، عن أحمدبن ادريس، عن الأشعري، عن النهاوندي مثله. ونقله عن معاني الأخبار بالسند المتقدم[137].

٢ ــ محمدبن علي بن الحسين الصدوق، قال: روي عن أبي‌عبدالله(ع) أنه قال: الصوم في الشتاء هو الغنيمة الباردة. و نحوه ما أرسله أيضاً عن رسول الله(ص)[138]. ونقله في البحار عن كتاب (الإمامة والتبصرة) عن الحسن بن حمزة العلوي، عن علي بن محمدبن أبي‌القاسم، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن الصادق(ع)، عن أبيه(ع)، عن آبائه(ع) قال: قال

رسول الله. وساق الحديث ونقله عنه أيضاً، عن أحمد بن علي، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفار، عن ابراهيم بن هاشم، عن النوفلي، عن السكوني، عن جعفر بن محمد(ع) مثله باختلاف يسير بالتقديم والتأخير[139].

ب ــ ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن اسحاق، حدثنا أبو الأسود، حدثنا ابن لهيعة، عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله (ص): **الشتاء ربيع المؤمن، قصر نهاره فصام، وطال ليله فقام**[140].

٢ ــ أخبرنا أبو عبدالله الحافظ وأبو بكر محمد بن محمد بن أحمد بن رجاء الأديب، قالا: حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن علي بن عفان العامري، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا سفيان الثوري، عن أبي اسحاق السبيعي، عن نمير بن عريب، عن عامر بن مسعود، قال: قال رسول الله (ص): **الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة**[141]. ورواه الترمذي، عن محمد بن بشار، عن يحيى بن سعيد، عن سفيان مثله[142].

الهوامش

١ ــ الوسائل (ج ٧ ص ١٧).

٢ ــ الوسائل (ج ٧، ص ١٩٠).

٣ ــ الوسائل (ج ٧، ص ١٨) وفي الاستبصار (ج ٢، ص ٧٩) ولكن رواه عن حسين بن سعيد، عن محمد بن أبي عمير مثله. والبحار (ج ٩٣، ص ٢٦٤)

٤ ــ البيهقي (ج ٤، ٢٠٨).

٥ ــ الترمذي (ج ٣، ص ٧٠).

٦ ــ مصنف عبدالرزاق (ج ٤، ص ١٥٩).

٧ ــ ابن ماجة (ج ١، ص ٥٢٧)

٨ ــ النسائي (ج ٤، ص ١٥٣).

٩ ــ المستدرك (ج ١، ص ٤٢٣) وفيه صلة بن زفر، عن عمار، مما يشهد بطلان ما في النسائي

١٠ ــ أبو داود (ج ٢، ص ٣٠٠).

١١ ــ الدارقطني (ج ٢، ص ١٥٧).

١٢ ــ الدارمي (ج ٢، ص ٢).

١٣ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٠٨).
١٤ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٠٨).
١٥ ــ مصنف عبدالرزاق (ج ٤، ص ١٦٠). وليس فيه ثلاثة أيام بعد يوم النحر.
١٦ ــ الدارقطني (ج ٢، ص١٥٧).
١٧ ــ كشف الأستار (ج ١، ص ٤٩٨). وفيه (اليوم الذي يشك فيه من رمضان).
١٨ ــ الكافي (ج ٤، ص ٨٥) والفقيه (ج ١، ص ٤٦).
١٩ ــ الإستبصار (ج ٢، ص ٨٠).
٢٠ ــ البحار (ج ٩٣، طج، ص ٢٥٩).
٢١ ــ الوسائل (ج ٧، ص ١٤).
٢٢ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٠٧).
٢٣ ــ الترمذي (ج ٣، ص ٦٩).
٢٤ ــ مسلم (ج ٣، ص ١٢٥).
٢٥ ــ مصنف عبدالرزاق (ج ٤، ص ١٥٨).
٢٦ ــ البخاري (ج ٣، ص ٣٤).
٢٧ ــ ابن ماجة (ج ١، ص ٥٢٨) واختلافه في اللفظ يسير.
٢٨ ــ النسائي (ج ٤، ص ١٤٩).
٢٩ ــ أبوداود (ج ٢، ص ٣٠٠).
٣٠ ــ منحة المعبود (ج ١، ص ١٨٢)
٣١ ــ الدارمي (ج ٢، ص ٤).
٣٢ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٠٧).
٣٣ ــ الترمذي (ج ٣، ص ٦٨).
٣٤ ــ أبوداود (ج ٢، ص ٢٩٨). وفيه زيادة الشهر تسع وعشرون.
٣٥ ــ الدارقطني (ج ٢، ص ١٥٩ و ١٦٠).
٣٦ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٣٨٢).
٣٧ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٦٠). ورواه البيهقي أيضاً بسند آخر عن ابن شهاب، عن أبي عبيد. ونحوه في البيهقي أيضاً (ج ٤، ص ٢٩٧) وأبوداود (ج ٢، ص ٣١٩).
٣٨ ــ الترمذي (ج ٣، ص ١٤١).
٣٩ ــ مسلم (ج ٣، ص ١٥٢ و ١٥٣).
٤٠ ــ البخاري (ج ٣، ص ٥٢).
٤١ ــ ابن ماجة (ج ١، ص ٥٤٩) وفيه اختلاف بالتقديم والتأخير.
٤٢ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٣٨٦). ونقله في البحار عن معاني الأخبار، عن الوراق، عن الأسدي، عن النخعي، عن النوفلي، عن عمرو بن جميع، عن جعفر بن محمد(ع). وفيه اختلاف يسير (ج ٩٣، طج، ص ٢٦٣). والبحار أيضاً (٢٦٤). وقرب الإسناد (ص ١١) وفيه (عنه)، لاعنهم، ولعل المراد به محمد بن عيسى فقط.
٤٣ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٦٠).
٤٤ ــ مسلم (ج ٣، ص ١٥٣).
٤٥ ــ ابن ماجة (ج ١، ص ٥٤٨) وفي الأول أن النبي(ص) قال: الشطر الأخير من الحديث أي (أيام منى... الخ)

وفي الثاني أن النبي (ص) خطب كذلك، وبدل (مؤمن) (نفس مسلمة) وبدل (أيام منى..) (أن هذه الأيام)

٤٦ ــ الدارمي (ج ٢، ص ٢٣).

٤٧ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٣٨٨).

٤٨ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٣٨٩ و ٣٨٨ و ٣٨٧) الكافي (ج ٤، ص ٩٥)

٤٩ ــ البحار (ج ٩٣، طبع، ص ٢٦٢) ونقل عن العصيري، عن الصدوق مثله وبحار بعض ص (٢٦١)

٥٠ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٣٨٩ و ٣٨٨ و ٣٨١). الكافي (ج ٤، ص ٩٥)

٥١ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٨٢) وقد روى البيهقي هذا الحديث بأسانيد متعددة عن ... بن عمر وأنس بن مالك وعائشة وأبي سعيد الخدري مع اختلاف في بعض ألفاظه وفي بعضها بعض زيادات وفي عبد الرزاق (ج ٤، ص ٢٦١) اختلاف يسير في اللفظ. وأخرج نحوه أيضاً عن أبي هريرة وعن أبي سعيد الخدري (ج ٤، ص ٢٦١).

٥٢ ــ الترمذي (ج ٣، ص ١٤٨)

٥٣ ــ مسلم (ج ٣، ص ١٣٣ و ١٣٤)

٥٤ ــ البخاري (ج ٣، ص ٤٦ و ٤٧)

٥٥ ــ أبوداود (ج ٢، ص ٣٠٦).

٥٦ ــ موطأ مالك بشرح تنوير الحوالك (ج ١، ص ٢٨٠).

٥٧ ــ مجمع الزوائد (ج ٣، ص ١٥٨)

٥٨ ــ الحميدي (ج ٢، ص ٤٤١)

٥٩ ــ منحة المعبود (ج ١، ص ١٨٩).

٦٠ ــ الدارمي (ج ١، ص ٧)

٦١ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٣٤٣) والكافي (ج ٤، ص ١٤٥).

٦٢ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٣٤٥).

٦٣ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٣٣٤)

٦٤ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٨٣، ٢٨٦).

٦٥ ــ الترمذي (ج ٣، ص ١٢٤). وروى مسلم نحوه (ج ٣، ص ١٦٨).

٦٦ ــ مصنف عبدالرزاق (ج ٤، ص ٢٨٤).

٦٧ ــ ابن ماجة (ج ١، ص ٥٥١).

٦٨ ــ أبوداود (ج ٢، ص ٣٢١).

٦٩ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٣٤٧). وفي حاشية الوسائل من نفس الصفحة أن الحديث في الإقبال (ص ٥٥٤) وقال في أول الحديث: ذكر يحيى بن الحسين بن هارون الحسيني في أماليه بإسناده الى النبي (ص) وقال بعد ذكر الحديث وروى المرزباني هذا الحديث عن النبي (ص) من طرق جماعة في المجلد السابع من كتاب الأزمنة ورواه محمد بن أبي بكر المدني (وفي نسخة المديني) الحافظ عن النبي (ص) أيضاً في كتاب دستور المذكورين

٧٠ ــ الوسائل (ج ٧، ص ٣٤٧).

٧١ ــ البيهقي (ج ٤، ص ٢٩١) ورواه بأسانيد أخرى عن أبي هريرة وجندب بن سفيان البجلي.

٧٢ ــ الترمذي (ج ٣، ص ١١٧).

٧٣ ــ مسلم (ص ١٦٩) ولكن ذكرها بصيغة الجواب عن السؤال في حديث زهير.

٧٤ ــ ابن ماجة (ج ١، ص ٥٥٤). فيه أن النبي (ص) سُئِلَ فأجاب.

٧٥ ــ أبوداود (ج ٢، ص ٣٢٣).

٧٦ ــ الدارمي (ح ٢، ص ٢١).
٧٧ ــ سنن الدارمي (ح ٢، ص ٢١).
٧٨ ــ الوسائل (ح ٧، ص ٣٦٤) والاستبصار (ح ٢، ص ١٣٨).
٧٩ ــ الكافي (ح ٤، ص ٩١).
٨٠ ــ الوسائل (ح ٧، ص ٣٦٠ و ٣٦١). والكافي (ح ٤، ص ٩٠).
٨١ ــ الوسائل (ح ٧، ص ٣٦٨) والكافي (ح ٤، ص ٩١).
٨٢ ــ الفقيه (ح ٢، ص ٥٧).
٨٣ ــ البيهقي (ح ٧، ص ٢٩٢)
٨٤ ــ الترمذي (ح ٣، ص ١١٤).
٨٥ ــ مسلم (ح ٣، ص ١٦٠ و ١٦١).
٨٦ ــ مصنف عبدالرزاق (ح ٤، ص ٢٩٣) والموطأ (ح ١، ص ٢٨٧).
٨٧ ــ البخاري (ح ٣، ص ٤٧).
٨٨ ــ النسائي (ح ٤، ص ١٥٠) وفي الثلاثة اختلافات لفظية، بل في الثالث نقيصة الشطر الأول من الحديث.
٨٩ ــ النسائي (ح ٤، ص ١٥١). وفي الثاني اختلاف... فراجع.
٩٠ ــ البيهقي (ح ٤، ص ٢٩٢) ومسلم (ح ٣، ص ١٥٤ و ١٥٥).
٩١ ــ مصنف عبدالرزاق (ح ٤، ص ٢٤٥).
٩٢ ــ البخاري (ح ٣، ص ٤٣).
٩٣ ــ الترمذي (ح ٣، ص ١١٣).
٩٤ ــ النسائي (ح ٤، ص ١٥٠) وفي آخره (الا أنه كان يصلي شعبان ورمضان).
٩٥ ــ الوسائل (ح ٧، ص ٣١٠) وفي حاشية الوسائل عن ثواب الأعمال (ص ٤٥) والمجالس (ص ٣٥٠) وفي الكافي (ح ٤، ص ٩٢). أقول: وظاهر الوسائل أن هذه الرواية مرسلة، وأن القائل هو ابن يعقوب، وذلك بسبب تقطيع هذه الرواية عما قبلها. وفي الكافي يظهر ان صاحب القول هو الصادق (ع) بالإسناد السابق، أي علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن ابي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن الصادق.
٩٦ ــ الوسائل (ح ٧، ص ٣٠٩) والوسائل (ح ٧، ص ٣٢٢) والإستبصار (ح ٢، ص ١٣٦).
٩٧ ــ البحار (ح ٩٣، ط. ج، ص ٣٤١). والبحار (ح ٩٧، ط. ق ٩٤).
٩٨ ــ الوسائل (ح ٧، ص ٣٠٧).
٩٩ ــ البحار (ح ٩٧، ط. ق، ص ٩٣).
١٠٠ ــ مصنف عبدالرزاق (ح ٤، ص ٣٠٠).
١٠١ ــ كشف الاستار (ح ١، ص ٤٩٤) وفيه اختلاف في اللفظ.
١٠٢ ــ البيهقي (ح ٤، ص ٢٩٣).
١٠٣ ــ النسائي (ح ٤، ص ٢١٨).
١٠٤ ــ منحة المعبود (ح ١، ص ١٩٦).
١٠٥ ــ البيهقي (ح ٤، ص ٢٩٣).
١٠٦ ــ منحة المعبود (ح ١، ص ١٩٥).
١٠٧ ــ الوسائل (ح ٧، ص ٣٢١).
١٠٨ ــ الوسائل (ح ٧، ص ٣١٩) والبحار (ح ٩٧، ط. ق، ص ٩٧). أقول: ولا يخفى أن السند واحد، الا أنه قد

وقع التصحيف والخطأ في النسخ في أحدهما.

١٠٩ ـ البيهقي (ج ٧، ص ٢٩٤).

١١٠ ـ الترمذي (ج ٣، ص ١٣٤).

١١١ ـ النسائي (ج ٤، ص ٢٢٣).

١١٢ ـ البيهقي (ج ٤، ص ٢٩٤).

١١٣ ـ النسائي (ج ٤، ص ٢٢٤). وليس فيهما انه كان من أصحاب النبي (ص).

١١٤ ـ الوسائل (ج ٧، ص ٣٢٢).

١١٥ ـ الوسائل (ج ٧، ص ٣٢٢).

١١٦ ـ البيهقي (ج ٤، ص ٣٩٦).

١١٧ ـ البيهقي (ج ٤، ص ٣٩٩).

١١٨ ـ مسلم (ج ٣، ص ١٦٢).

١١٩ ـ مسلم (ج ٣، ص ١٦٦).

١٢٠ ـ مصنف عبدالرزاق (ج ٤، ص ٢٩٤) و أبوداود (ج ٢، ص ٣٢٢).

١٢١ ـ البخاري (ج ٣، ٤٩ و٥٠).

١٢٢ ـ النسائي ج٤، ص ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧)

١٢٣ ـ مصنف عبدالرزاق (ج ٤، ص ٢٩٤) وأبوداود (ج ٢، ص ٣٢٢).

١٢٤ ـ البيهقي (ج ٤، ص ٣٩٥).

١٢٥ ـ الترمذي (ج ٣، ص ١٤٠).

١٢٦ ـ مسلم (ج ٣، ص ١٦٥) وفيها اختلاف في التقديم والتأخير.

١٢٧ ـ مصنف عبدالرزاق (ج ٤، ص ٢٩٥).

١٢٨ ـ ابن ماجة (ج ١، ص ٥٤٦) وفيه اختلاف في التقديم والتأخير.

١٢٩ ـ النسائي (ج ٤، ص ١٩٨) وفيه اختلاف في التقديم والتأخير.

١٣٠ ـ أبو داود (ج ٢، ص ٣٢٧).

١٣١ ـ الحميدي (ج ٢، ص ٢٦٨).

١٣٢ ـ الوسائل (ج ٧، ص ٢٩٩).

١٣٣ ـ البيهقي (ج ٤، ص ٢٩٦).

١٣٤ ـ البخاري (ج ٣، ص ٣٣).

١٣٥ ـ النسائي (ج ٤، ص ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١).

١٣٦ ـ الوسائل (ج ٧، ص ٣٠٣).

١٣٧ ـ البحار (ج ٩٣، ط. ج، ص ٢٤٩).

١٣٨ ـ الوسائل (ج ٧، ص ٣٠٢).

١٣٩ ـ البحار (ج ٩٣، ط. ج، ٢٥٧). والبحار أيضاً (ص ٢٥٧).

١٤٠ ـ البيهقي (ج ٤، ٢٩٧).

١٤١ ـ البيهقي (ج ٤، ص ٢٩٧).

١٤٢ ـ الترمذي (ج ٣، ص ١٦٢) وفي لفظ الترمذي اختلاف بالتقديم والتأخير.

التوحيد والتكامل

الشهيد آية الله المطهري

بـعـد دراستي لموضوعي: «أصالة الروح»[١] القرآن والحياة»[٢] رأيت من المستحسن البحث ي موضوع «التوحيد والتكامل» فانه مكمل لهما. جل أن يدرك القارئ الغاية من هذه المقالة، عليه يلم بالمسائل التي ذكرت في المقالتين السابقتين. ا نلقي نظرة موجزة عليهما:

في مقالة «أصالة الروح» أكدنا على هذه الفكرة ي أن الحياة حقيقة ترتبط بالروح، في ظل شروط ينة، ولكن لايعني ذلك التنائية بينهما، وان هناك سيمة تلتحم بأخرى، بل اننا نستهدف من ذلك، ل، بأن المادة والحياة درجتان لوجود واحد، وكل جة لها خواصها. فان المادة، في ظل شروط ينة، تتحول الى الحياة في مراحل تكاملها لورها، كما في تحول كل ناقص الى درجة أكمل، وجود الناقص للمادة الميتة، يتبدل الى وجود امل حي، والحياة ليست مخلوقة، وأثراً للمادة غير الحية، بل انها كمال وفعلية مضافة اليها، المادة في ذاتها فاقدة للحياة، فكيف تعطيها نفسها؟

وخاصة المادة للحياة، هي خاصة القبول، حيث تظهر فيها الحياة في ظل شروط معينة، لا انها تخلق الحياة من نفسها.

وبعبارة أوضح: لايمكن للمادة إفراز الحياة، وحلول هذا النظام المتناهد في الكائنات الحية، فإنّ كل ماتملكه المادة هو نظام القبول والأخذ، وكل ما في ذلك الوجود الأعلى هو نظام العطاء والخلق والايجاد والتكوين.

وذكرنا: ان العلم، أخذ يتبين هذه الحقيقة، أكثر مما سبق، وهي أن الحياة تحدث تغييرات في المادة، وتتصرف فيها، وتتحكم، وتخضعها لمقرراتها وقوانينها، واذا كانت الحياة أثراً ومخلوقاً للمادة،

١، ٢ ــ نشرا في العددين السادس عشر والسابع عشر على التوالي.

فلايمكنها أن تترك بدورها أثراً في علتها وخالقها، أو أن تكون لها قوانين حاكمة على مقررات المادة.

وذكرنا ان علماء النفس، وعلماء وظائف الأعضاء، وإن لم يستهدفوا من خلال بحوثهم وتجاربهم البحث في أصالة الحياة، ولكنهم توصلوا لا ثبات هذه الحقيقة بصورة طبيعية، وبدون استهداف منهم، وحتى لنظرية (تطور الأنواع) التي يعتقد الكثير أنها مادية، قد أثبتت أصالة الروح بصورة أكثر وضوحاً وعمقاً.

وفي المقالة الثانية «القرآن والحياة»، درسنا طبيعة العلاقة بين الحياة، وماوراء الطبيعة، وإرادة الله، وذكرنا المنطق القرآني في هذا المجال، وقد أكدنا في هذه المقالة على نقطتين:

الأولى: شيوع الفهم اليهودي المنحرف لطبيعة الخلق، حيث يربط الخلق بـ (الآن)، وقد سيطر هذا الفهم على الأذهان، فحين يفكرون حول خلق العالم أو الحياة، فإن هذا التصور الخاطئ سوف يخطر في أذهانهم، وانه في أي (آن) وجد من العدم، أو بدأ خلقه؟ وقلنا بأنه لم يذكر (الآن) أبداً في المنطق القرآني.

الثانية: وتعتبر الأساس للنقطة الأولى، وان المنهج الفكري للكثير من العلماء الباحثين في مسائل التوحيد ومعرفة الله هوسلوك الطريق السلبي المنفي لا الايجابي المثبت. انهم بحثوا عن الله بين مجهولاتهم، ولم يفحصوا عنه بين معلوماتهم، فكل ظاهرة، عجزوا عن كشف علتها وبقيت مجهولة غامضة، سرعان مايتجهون الى الله لتفسيرها، ولذلك يؤكدون كثيراً في موضوع خلق الحياة والعالم على (الآن الأول) في ظهورهما، لأنهم يعتقدون بأن بداية الحياة،والعالم، أكثر غموضاً وتعقيداً من أي ظاهرة أو حالة أخرى.

وقد ساهم ذلك التصور اليهودي، وهذا التفكير السلبي، كلاهما في ربط مسألة التوحيد بـ (الآن)، من جهة، وبـ (العلل المجهولة للحوادث) جهة أخرى. ومن الواضح انه لو انهارت أو تهـ فكرة (الآن) في خلق العالم والحياة، أو ان (ال المجهولة للحوادث) اخذت تتكشف يوماً بعد آ. فإنّ فكرة (التوحيد) بدورها، والتي تعتمد أساسها عليها، سوف تصاب بالشك والتر والتعثر.

وقد أثبتنا في المقالة الثانية، كدليل على اعـ القرآن الكريم، بأننا لانرى فيه أثراً لذلك التصـ اليهودي، أو التفكير المنفي، بالرغم من سيطرة هذيـ المنهجين المنحرفين، بقوة وشيوع، على تاريخ الفكـ البشري،ولم يتخلص من تأثيرهما إلّا القلة التي نشأ في مدرسة القرآن الكريم.

ان تصور بير روسو وسائر العلماء من السائرين على خطه لمفهوم الخلق، تصور مستحيل وممتنع.

ودراسة عميقة لتاريخ الفكر الفلسفي قبل الاسلام، وأكثر المتكلمين المسلمين ...

ـاصرين في الغرب، تدل على هذا التأثير . ـحرف للمنهجين السابقين. ويمكننا الجزم بهذه ـيقة، بأن القرآن الكريم هو الملهم التوحيدي ـيد الذي علم البشرية المنهج الصحيح لمعرفة وذلك عن طريق النظام المشهود الراهن في ـ، والسنن الحاكمة في الوجود، والعلل والمعاليل ـمنة، وليس عن طريق البداية، والآن الأول ـفها، وعن الطريق الايجابي المتبب المعلوم، لا يق المنفي والعلل المجهولة.

هذه خلاصة لما ذكرناه في المقالتين السابقتين، ـزم القارئ الاحتفاظ بهذه الآراء في ذهنه كرها، و بعد ذلك نتجه الى البحث في موضوع ـحيد والتكامل)».

ولانريد هنا البحث في موضوع «التوحيد» ورة مستقلة،أو استعراض أدلة التوحيد التي تذكر ـكتب الكلامية والفلسفية بحيث نبحث في ماقيل، أو يمكن أن يقال فيها، فإنَّ هذا ـوع و إن كان مثيراً، وكل منا يرغب رغبة ـدة في التعرف على منهج الكتب السماوية فيه، ـم الفلاسفة والمتكلمون، وكيف يفكر ـرقيون، أو الغربيون في هذا المجال، فإنَّ طريقة ـحث التي سلكناها من البداية، تلزمنا عدم ـض في أمثال هذه البحوث بصورة مستقلة، ولعلنا ـن لدراستها كفصل مستقل، بعد انتهائنا من هذه ـراسة، وكذلك لانريد البحث حول تكامل ـياء وتطورها، لنقع في نفس الخطأ الذي وقع . الآخرون، حيث حاولوا نقد قوانين التطور ـوله، والتهجم عليها، من أجل الدفاع عن قداسة وحيد، بينما اتخذت جماعة من الفلاسفة الماديين ، الفرضية ــ كما تزعم ــ حربة تسددها لنظرية ود الخالق، حيث أخذت تفرض، حتى الأصول غير المسلَّمة منها، على الإلهيين. فاننا، أولاً: سنوضح هذه الفكرة بأن أصل التوحيد لايعارض أصل تكامل الطبيعة في مختلف أشكاله، حتى في تطور الأحياء، بل أحدهما مكمل للآخر، وافتراض المعارضة بينهما صادر عن الجهل. وثانياً: ان البحث في هذه الفكرة، ليس من شأن هذه الجماعة أو تلك ، بل من شأن أهل الاختصاص بهذه البحوث، أولئك العلماء الذين قضوا عمراً في البحث في هذه المسائل، ومارسوها بأساليب علمية سليمة، فهم وحدهم، يتمكنون من تقييمها، على ضوء ما وصل اليه التطور العلمي في هذا المجال.

وقد اعتبرت مسألة تطور الأنواع في العصر الحديث، مسألة مسلَّمة، ومفروغاً منها، في المجال العلمي، وقد تضاءلت، بالتدريج، فكرة التطور التدريجي، التي ولدت على أيدي فلاسفة اليونان القدماء، وطورها **لامارك وداروين**،وحاولوا دعمها بالأدلة العلمية، حتى وصل الأمر الى ارجاع الانسان في أصله الى القرد، ولكن هذه الفرضية، قد قضي عليها تماماً، وحلت موقعها فكرة **(التطور الدفعي)**.

فالبحث في هذه الفكرة من اختصاص علماء وظائف الأعضاء، وأما أتباع الفلسفة المادية أو الالهية، فمهمتهم البحث في مدى توافق منجزات العلم مع أصولهم الفلسفية، أو عدم توافقها؟

فهذه المقالة لا تبحث في التوحيد والتكامل، بصورة مستقلة، بل ان دراستنا تكون مكملة للبحوث السابقة وتدور حول العلاقة بين التوحيد والتكامل، فنريد أن نرى، هل يدعم أحدهما الآخر أو ينفيه؟ فمثلاً: لو اعتقد أحد بأصل التوحيد، من خلال الأدلة العقلية، فهل يلزم هذا الاعتقاد أن ينكر أصل تطور الأحياء، وتحول الأنواع؟ أو اعتقد آخر بأصل التطور، فهل يصطدم اعتقاده هذا وايمانه بالتوحيد؟

أو اعتقد بتحول الأنواع بعضها للآخر، فهل يلازم ذلك الإعراض عن أصل التوحيد والاتجاه تماماً للمادية أم لا؟

هذا هو الهدف الأساس لهذه المقالة، وما نذكر هنا من أدلة التوحيد، أو أصول التطور، كلها لإثبات هذه الفكرة.

ان فكرة التضاد كانت مسيطرة على أذهان علماء الغرب جميعهم، أو الغالبية الساحقة منهم.

وفكرة **(التضاد بين التوحيد والتكامل)** كأختيها فكرة **(العلاقة بين الخلق والآن)**، وفكرة **(البحث عن الله بين المجهولات، والسلوك لمعرفته من خلال الطريق المنفي)**، قد انتشرت بصورة واسعة في العالم، وقد ظهرت آراء كثيرة وغريبة، تثير الدهشة والاستغراب، في تاريخ العلم والفلسفة الغربية في هذا المجال، بحيث تبعث الأسف للمفكر المسلم.

ومما يؤكد هذه الحقيقة، قراءة تاريخ علم الحياة، والتاريخ العام للعلوم، وان فكرة التضاد كانت مسيطرة على أذهان علماء الغرب جميعهم، أو الغالبية الساحقة منهم، ومن هنا أثرت في طريقة تفكيرهم، وكانت سبباً للكثير من انحرافاتهم المدهشة، ومما يؤسف له، الدور الذي لعبه الماديون في تكوين هذا الانحراف.

ولذلك نحن مضطرون، للبحث حول هذا التيار الفكري في الغرب، ولماذا اتحدت نظرية التطور مسحة المادية، في ظل هذا التيار الفكري؟ ولماذا اتفق كلا الطرفين المتخاصمين على هذه الصفة المادية لنظرية التطور؟ فهل يوجد ـ منطقياً ـ تضاد بين فكرة التوحيد، وفكرة التطور، أو أن هناك عوامل معينة لعبت دورها في تكوين هذا التضاد بينها في الأذهان؟

وقد كنت أسعى دائماً من خلال دراساتي وقراءاتي لمؤلفات وكتابات العلماء في هذا المجال، أن أضع يدي على جذور أفكارهم وآرائهم، والسبب الذي دفع العالم الفلاني الى استنباطه الفلسفي، وكيف تناول بحثه. فإنّ السبب الأساس لاختلاف الآراء الفلسفية دائماً، يكمن في مثل هذا التأثير فإنّ كل واحد يفترض التسليم بمجموعة من الأصول الموضوعية، ويعتقد بأنه يحتم عليه أن يعتبر أصلاً أو مجموعة من الأصول مسلمة مفروضة، ويعتقد بأن تلك الأصول لابد أن تكون مسلّمة أيضاً لدى الآخرين، بالرغم من أن ذلك الأصل أو تلك الأصول الموضوعية ليست إلّا انحرافاً ومغالطة لاغير.

وقد توصلت، من خلال كتابات العلماء وأحاديثهم في هذا المجال الى هذه النتيجة: إنّ العامل الأساس في ظهور هذا التضاد بين فكرة التوحيد، وفكرة التطور والتكامل هو التأثير الكبير للفكر اليهودي، والفكر المنفي، اللذين ذكرناهما في المقالة السابقة. وفي الواقع، هما الجذور لكل هذه الآراء، وإذا راجعنا بدقة وعمق كتب تاريخ العلوم، أو كتب علم الحياة، أو الكتب الفلسفية،

ـي كـتبت دفاعاً عن قداسة التوحيد في نقد نظريـة ـتطور، أو التي أُلفت دفاعاً عن المادية نرى بوضوح، ـشبح الرهيـب للفكر اليهودي جاثماً على كل ـكان، واعـتـقـد بأنَّ فكرة (معرفة الله عن الطريق ـني) هي الأسـاس لـفـكرة (علاقة الخلق بالآن)، ـكرة (علاقة الخلق بالآن) هي الأساس لفكرة لتضاد بين التوحيد والتكامل).

ويـصعب على الكثير ممن يحسن الظن كثيراً الفلسفة الغربية، أن يتحمل الجهر بهذا الانحراف لخطأ الفكري للفلسفة الغربية، وان يسمعه من ـذه المقالة أو من كاتبها قبل الجلال والعظمة التي ـمتـع بها تلك الفلسفة في ذهنه، حيث تسد عليه ـافذ تفكيره وسمعه، ولكن (الحق أحق أن يتبع)، إنَّ الحقيقة وعظمة الحقيقة أسمى وأعظم من كل ـلك.

ويجدر بنا أن نسير مع القارئ في خطوات متزنة ، هـذا البـحث، وننقل بعض الأقوال كشواهد على ـانقوله، حيـث نرى مدى تأثير الفكر اليهودي في ـاديثهم وأفكارهم؟

وفي البداية، أرى من الصواب أن أذكّر القارئ ـكريم بأنه منذ فترة طويلة يدرس العلماء الفكرة ـتالية: هل أن الشكل والأعضاء التي يملكها ـكائن الحي، كان يملكها تماماً وهو في بويضة ـلمرأة، أو في حيـمن الرحل، ولكن تلك الأعضاء ـكانت صغيرة وضئيلة جداً في حجمها وبعد ذلك ـأخذ بالنمو والتطور أو أن تلك المادة الأولية، التي ـنشأ منها أعضاء الكائن الحي، من اليوم الأول، كانت بسيطة واحدة وفاقدة لكل ذلك وبعد ذلك ـأخذ بالإنقسام وتظهر الأعضاء المتعددة نتيجة هذا الانقسام؟ *ومما يثير الدهشة ان أكثر العلماء في العصر الحديث، لا القرون الوسطى*، يعتقدون بالرأي

الأول، وقد بدأ هذا الاعتقاد من قرنين فما بعد.

ولابـد أن نـؤكد، ان هذا الاختلاف في الرأي، بين العلماء اليوم، يشابه الاختـلاف بين أرسطو وبقـراط وأتباعهما، في الزمن السابق، حول تحديد النطفة. فإن بقراط كان يعتقد بأن المادة المنوية تخرج من جميع أجزاء البدن، ومن هنا كان برأيه، كل جزء سبباً لعضو من الأعضاء. وأما أرسطو، فكان يعتـقد بأن النطفة ليست متشابهة الأجزاء (يراجع الأسفار ج٤، طبيعيات الشفاء). ولكن ليس في كلام بقراط مايدل على ان الانسان موجود وبصورة مصغرة في النطفة، بل ان المخالفين لبقراط قد اعترضوا عليه بأنَّ كلامه يوحي بذلك. ولكن

اعتقدت جماعة كبيرة من العلماء في القرن السابع عشر بفرضية (الوجود السابق للكائنات الحية) بدون إقامة تجربة علمية أو دليل علمي مقنع.

العلماء من القرن السابع عشر فما بعد، قد اعتقدوا بهذا الرأي، وبوجود الشكل والفعلية المسبقة للانسان.

ويـعلم القارئ الكريم بأن أهم معجزة في الخلق هو ظاهرة نشوء الموجود المتنوع الأجزاء، ذي

الأعضاء المتعددة المختلفة من المادة البسيطة الواحدة، ذات الشكل البسيط، و إن خير شاهد على وجود الهداية الربانية والتسخير الالهي، هذا التنوع، واتجاه الموجودمن الوحدة الى التنوع،ومن البساطة الى التركيب، يقول القرآن الكريم «هوالذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء».

وقد اعتمدت جماعة كبيرة من العلماء في القرن السابع عشر بفرضية (الوجود السابق للكائنات الحية) بدون إقامة تجربة علمية أو دليل علمي مقنع، و إن الأفراد كلهم ــ في بداية خلق النوع الانساني ــ قد خلقوا بنفس هذه الأعضاء والجوارح التي يملكونها الآن، ولكنها كانت ضئيلة وصغيرة جداً، وذرية، وكانت مودعة في نطفة الانسان الأول، ثم انتقلت من سلالة الى أخرى، وفي كل سلالة، كانت تظهر طبقة منها، ثم تأخذ بالنمو والتكامل.

يقول «بيير روسو» في كتابه (تاريخ العلوم) ص ٣٨٨:«ذكر وليام هارفي سنة ١٦٥١ ان كل موجود يولدمن بيضة،أو بويضة، ولأجل أن يقيم تجربة على رأيه، درس مادة الوعول التي كانت موجودة في حديقة «و يندرسور» عبرمراحل معينة، وأخضع للتجربة جنيناً منها عبرمراحل نموه المختلفة، وبعد عدة سنوات في عام ١٦٧٢ درس (دو جراف) بهذه الطريقة مجموعة من الأرانب، زاعماً انه اكتشف السر الكامن في بيضة لثدييات. وقد درس (مالبيي) سنة ١٦٨٩ بيضة، قبل ن تحتضنها الدجاجة، وذكر انه يمكن رؤية الفرخة بها. وهذه الأعمال والتجارب، كانت العامل الرئيس راء الاعلان عن الفرضية المدهشة الخارقة للمألوف الوجود السابق للكائنات الحية). ومن هنا توصلوا نتيجة التالية: بما أن البيضة تشتمل قبل اللقاح على رجود كامل، قابل للنمو، إذن فذلك الموجود الكامن في البيضة، لابد أن يشتمل بدوره على بيوض، وكل بيضة منها تشتمل على موجود كامل، وكل موجود لابد أن يشتمل على بيوض، كل منها يحوي موجوداً كاملاً، وهكذا دواليك. ومن هنا توصل (اسوا مردام) الى هذا الرأي الغريب: بأنه لابد أن توجد في جسم حواء بيوض السلالات اللاحقة، طبقة فوق طبقة. وقد عارض هذا

> ان منهج الفكر الفلسفي لعلماء الغرب، وتصورهم لمفهوم الخلق كان تصوراً يهودياً...

الرأي (ليوهوك) سنة ١٦٧٩ الذي وفق لاكتشاف (الاسبروماتوزوئيد)، أو (حيمن الذكر)، حيث أعلن ان ذلك الذي يشتمل على الموجود السابق ليس البيضة بل (الاسبروماتوزوئيد). وقد ذكر (فرانسو دو بلاناد)، عضو أكاديمية العلوم في «مون بليه» ان دليل هذا الرأي، إني فحصت (اسبروتوماروئيد) تحت الميكروسكوب، فرأيت انساناً صغيراً كاملاً يخرج من داخله».

ثم يستمر بيير روسو في حديثه: «هل يمكن الاعتراف بهذه الآراء؟ أجل ان علماء الحياة قد آمنوا بمثل هذه المهازل الحزينة الفارغة من المعنى، وقد بدأ

نتيجة لذلك، خلاف شديد، حول أساس البشرية، وهل كان موجوداً في داخل بيضة حواء أو داخل اسپروتوما زوئيدآدم». و بعد ذلك يتعرض لمخالفة بعض العلماء لهذه الفرضية و يعقب: «**وبالرغم من كل ذلك فان أكثر العلماء من أنصار نظرية الوجود السابق للكائنات الحية، هذه الفرضية التي وضع الحجر الأساسي لها علماء كبار أمثال «هالروشال»، وحتى «كوفيه» عالم الحياة الكبير، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، والنصف الأول من القرن التاسع عشر، قد اعتبر نفسه بعد ذلك من أنصار هذه الفرضية**».

والملاحظ أن (بيير روسو) لم يذكر السبب الذي دفع الكثير من العلماء لهذه الفرضية الفارغة من المعنى والدليل، بل كل ما ذكره، ان علماء الحياة قد آمنوا بهذه المهازل الفارغة، ولكن لم يذكر لماذا؟ وكان للخيال دوره الكبير في هذا المجال، فقد ادعى أحدهم: *إنني رأيت شكل الفرخة في بيضة دجاجة لم تحتضن بعد بيضتها، وآخر ادعى: إنني جربت حيمن رجل فرأيت انساناً صغيراً، متكاملاً يخرج منه.*

وفي عقيدتي؛ إن السبب لهذا الافتراض، هو تبرير عملية الخلق، حيث استهدفوا من خلال ذلك، أن يثبتوا ان كل كائن حي هو مخلوق الله.

حسناً: ولكن لماذا افترضوا لاثبات هذه الدعوى، وجود الحيوان متكاملاً من اليوم الأول، ولكنه بصورة مصغرة جداً؟

من هنا يبدو مدى تأثير الفكر اليهودي وتغلغله في الاذهان، دون أن يكونوا متنبهين لهذا التأثير وهو الذي وجههم لهذا الأسلوب من التفكير.

ومن هنا كذلك يظهر مدى الفرق بين هذا المنهج الفكري، والمنهج الفكري القرآني، فهو حين يريد التعبير عن خالقية الله، يصرح، بأنه تعالى هو الذي يودع في الارحام المادة البسيطة الواحدة التي لا تملك شكلاً ولوناً، و بعد ذلك يمنحها الصور والأشكال بالتدريج «**هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء**».

شاهد آخر: المتداول في كتب علم الحياة، أو الكتب الفلسفية ــ باصطلاحهم ــ وحتى في الكتب الكلاسيكية، انهم حين يبحثون عن أصل الحياة، وظهورها في الأرض، يذكرون فرضيات عديدة، والملاحظ أن أياً منها لم تدعم علمياً، ويصطلح على واحدة من هذه الفرضيات **(فرضية الخلق)**، ومؤداها، ان كل نوع من الموجودات قد خلق من اليوم الأول دفعياً، و بصورة مباشرة، متكاملاً، و بدون تمهيد وتطور. وهذا التعبير يعني، ان الفرضيات الأخرى لو كانت صحيحة، إذن؛ فليس هنا خلق، ونسأل ان هؤلاء يحصرون الخلق في الخلق الدفعي المباشر، وإذا لم يحدث ذلك، فلابد أن لا يوجد خلق وايجاد، فما هو الدافع لأن يكون مفهوم الخلق ضيقاً ومتحدداً بهذا الشكل المعين في أذهان هؤلاء الكتاب؟ وليس ذلك إلّا لتأثير ذلك الفكر اليهودي المحرف.

وفي كتاب **(فرضيات التطور)** ص ٩، فصل بعنوان (أصل الحياة) يقول فيه. «والآن نستعرض **الفرضيات التي كانت في زمان ما، مقبولة للناس...**»، و بعد ذلك يذكر بعض هذه الفرضيات، ... الكائن الحي الأول قد حط على الأرض صدفة من بعض السيارات، وفرضية التولد الذاتي أو ... وفرضية الموجودات الذرية، ولكن ... الفرضية الأولى يطلق عليها اسم (فرضية الخلق)، وهو يستهدف الايماء لهذه الفكرة ، وهي ان الكائن الحي ... خلق تلقائياً، أي انه ولد من المادة غير ... فلم يتحقق خلق، أو أن أصل الكائن الحي ... قد انتقل الى الأرض من إحدى ...

فالكائنات الحية الأرضية غير مخلوقة، وإنما يمكننا القول: بأن الكائنات الحية الأرضية مخلوقة لله، فيما لو لم تحدث سائر الفرضيات، وان الكائن الحي، وجد بدون تمهيد ومقدمة، ولايمكن لمفهوم الخلق في ذلك الدماغ الضيق للكاتب أن يكون له معنى غير ماذكرناه.

شاهد آخر: يذكر لنا تاريخ علم الحياة، بأن (كوفيه) العالم الكبير في علم الحياة، في أواخر القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر، وكان له نفوذ علمي كبير بين معاصريه، كان ينكر التغيير التدريجي لأشكال الموجودات الحية، ومن جهة أخرى فإنّ بحوث العلماء في حقل الفسائل، أثبتت أن الحيوانات في مراحلها المختلفة لم تكن على شكل واحد، وقد اقترح (كوفيه) فرضية في هذا المجال، حيث اعتقد وجود بعض الكوارث والنكبات الأرضية، والتغييرات الهائلة، التي تؤدي الى انقراض تلك الأنواع التي تعيش على الأرض في بعض الأدوار الحياتية، وعقب ذلك، يخلق الله في العالم... حدداً أكثر تطوراً من المجموعة السابقة.

وفي عدد آذر ماه ١٣٣٨ هـ. ش من مجلة سخن) طبع طهران، ... أحد ... هران، ... مجموعة معاصراته إذ كتب يقول

« ... «كوفيه» من خلال مقارنته ... كائنات الحية الى تطورها التدريجي عبر مراحلها رضية، وتوصل أيضاً الى أن الأحياء في كل مرحلة ... أحياء المراحل السابقة في أصول بنائها البدني، ... كما انه كان يعتقد بنظرية الخلق المتعاقب، ووجود ... واع وانقراضها المتعاقب المتكرر، لذلك تبنى فرضية ... لق الجديد) حيث ادعى أن هناك ظاهرة عامة ... لق الكائنات الحية، على أساسه يتم الخلق المجدد ... مر في كل مرحلة، وهذا هو السبب في التشابه الأساسي بين أحياء المراحل المختلفة».

وفي مواضع أخرى من هذه المقالة، كلما تعرض لرأي (كوفيه) في انفصال الموجودات في كل دور، عن دور آخر، فإنه يطلق عليها (تعاقب الخلق). وهنا يجدر بنا ان نسأل (كوفيه) وأتباعه: ما الذي بعثه على مثل هذا المنهج الفكري، فهل يعني ذلك انه لايمكن الحديث عن الخلق إلّا في ظل هذا التفكير، وإلّا فلايمكن تفسير عملية الخلق لو لم نفكر بهذا الاسلوب، أي لايمكن البحث عن الخلق الا في حالة تصور عدم العلاقة بين سلالات الأحياء، وحالة انفصال كل منها عن الأخرى.

شاهد آخر: يقول مؤلف كتاب «تاريخ العلوم» ص ٧٠١: «عندما اعتقد أتباع داروين، انهم قد عالجوا موضوع بداية الانسان والحيوان، تملكهم الغرور العلمي، فاعتقدوا انهم يعرفون كل شيء، ومن هنا اتجهوا للهجوم على مسألة أخرى اعتبرها العالم الطبيعي الألماني «امیل دو بوا ریمون» (١٨٠٨ ـ ١٨٩٨) خليفة «جان مولر»، في خطابه الشهير سنة ١٨٨٠ في أكاديمية العلوم في برلين، من مشكلات الطبيعة السبع في العالم، وهي مسألة (ظهور الحياة).

وفي موقع، ... غير ... كثيرة ... هذه مسألة، ... وصف ... رأى الكتاب المقدس في مسألة الخلق، ومعتقدات كوفيه حول خلق القدرة ... من العدم. ولابد أن نعرف بأن هذه ... قد وحدت ... وبعبارة أخرى: ... يكون مضطرين للاعتقاد في التولد التلقائي الذاتي في وجود الكائنات الحية، وهي الفرضية التي أصدر «باستور» حكمه بالموت عليها باسم العلم التجريبي».

ثم يذكر ... فرضية ... في موضوع ظهور الحياة، وقد ... ثم يستمر في حديثه ويقول: «لابد أن نعترف ان هذه المسألة لم

تتطور ــ كما ينبغي ــ من ذلك الوقت فما بعد. ودائماً كان هذا السؤال يطرح نفسه؛ كيف أمكن للمئات، بل للألوف من ذرات الكربون، والهيدروجين، والآزوت، والأوكسجين، أن تجتمع لتؤلف خلية واحدة من المادة الحية؟ وعلى أي تقدير، فان ظهور الخلية الواحدة من المسائل التي تدخل في مجال المصادفة المطلقة، وهذه المصادفة، لتعقيدها، وخرقها للعادة، لايمكن تسميتها الا بالمعجزة. إذن؛ فنحن مجبورون للاعتماد على خالقية الله، لتفسير هذه المعجزة، فإنّ العلم الصحيح لايعترف بالخالقية، ولا بالتولد الذاتي»».

هذا هو حديث العالم الكبير (البير روسو) حيث يدعي إحاطته بعلوم الأولين والمعاصرين. إقرأوه مرة أخرى، وتعرفوا على اسلوب تفكيره حول مفهوم خالقية الله، فإنه لايقبل الخلق، ولا التولد الذاتي! والحق معه، فإنّ تصوره عن مفهوم الخلق لم يدعمه العلم.

وهنا أضيف؛ ان تصور بير روسو، وسائر العلماء من السائرين على خطه، لمفهوم الخلق، تصور مستحيل وممتنع، وفق براهين الفلسفة المحكمة التي لايشك فيها أحد، ولم يتحقق مثل هذا الخلق أزلاً وأبداً، ولايمكن أن يقع، ان هذا التصور يعتمد في أساسه على المصادفة، بينما الخلق الالهي لايتحقق إلاّ من طريق سنن معينة مسلّمة، سواء كانت معلومة لنا أو مجهولة.

وهنا يبرز سؤالان: السؤال الأول: ربما يتصور القارئ الكريم، بأن «بيير روسو» وغيره، هم لسان العلم، وانهم لايذكرون إلاّ ماتوصل اليه العلم، فالاعتراض عليهم اعتراض على التقدم العلمي.

ولكن يلزم التأكيد بأن الشواهد التي ذكرناها، وان التجارب والمشاهدات، ليست هي التي صوّرت هذه الفرضيات، فإنّ التجارب العلمية لها شأن آخر، غير هذه الفرضيات التي تعبر عنها، إذ يمكن التعبير عن هذه التجارب والمشاهدات بصورة أخرى، فإنّ تصور العلماء لمفهوم الخلق، والمنهج الفلسفي الخاص المسيطر على أذهانهم، هو الذي دفعهم، عبر تاريخ العلم الطويل، لطرح هذه الفرضيات، وبعبارة أخرى؛ ان ماذكره «بيير روسو» مثلاً، على الرغم من ادعائه وكما يدل عليه اسم كتابه، لايبحث حول تاريخ العلم وتجاربه ومشاهداته فحسب، بل انه مزيج من تاريخ العلم، وتاريخ الفكر الفلسفي الغربي.

والملاحظ ان الجوانب المضحكة والمؤسفة من كتابه ترتبط بتاريخ الفكر الفلسفي الغربي، لا بتاريخ العلم الحديث. وبايجاز؛ فإنّ منهج الفكر الفلسفي لعلماء الغرب، وتصورهم لمفهوم الخلق كان تصوراً يهودياً، وتفكيرهم حول مسألة الله، كان تفكيراً منفياً كما وضحنا ذلك في مقالة (القرآن والحياة)، أي انهم يبحثون عن الله بين مجهولاتهم.

ومن هنا؛ يلزم على القارئ أن يتنبأ، لماذا شاعت المادية في الغرب ذاك التشيوع الساحق؟ لقد كان من الأفضل أن يسقط من اليوم الأول والى الأبد، ذلك المنطق المنحرف في المسائل الالهية المسيطر على أذهان العلماء جميعهم.

وحين أقرأ، تاريخ العلم في العصر الحديث، وألاحظ اللون الفلسفي المعين، الناشئ فحسب، من طريقة التفكير الفلسفي الخاص لدى العلماء، حيث لوثوا الوجه الناصع الصافي للعلم، يصيبني الأسف والألم، وأتمنى كثيراً، لو كان العلماء قد تعرفوا على أُسلوب الفكر الفلسفي الرفيع، الذي ترعرع ونشأ في

مدرسة القرآن الكريم، خلال أربعة عشر قرناً، ولم يكونوا قد لوثوا صفاء العلم باسلوب الفكر اليهودي.

ومما يضاعف الأسف، أن نرى شباباً، لازالوا في بداية دراساتهم العلمية، ولم يملكوا بعد قدرات التحليل والنقد والتقييم، وهم يدرسون العلم الملوث بهذا الاسلوب الفكري المنحرف، الشائع في الكتب الفلسفية الحديثة، أو في كتب تاريخ العلم، وحتى في الكتب الكلاسيكية، إن هؤلاء سرعان مايعتقدون، بأن فرضية الخلق، ووجود الله فرضية ثبت بطلانها منذ زمان بعيد، على اثر المشاهدات والتجارب العلمية، إنهم يفكرون بهذه الطريقة إنه لاوجود لافتراض الخلق والخالق إلاّ في وسط ظلام تقاليد الآباء، وأما في وسط نور العلم فلا عين ولا أثر لها.

السؤال الثاني: والذي يمكن للقارئ الكريم ان يطرحه، ان السبب وراء ظهور هذا الأسلوب الفكري الخاص عند العلماء هو تعددهم مما يتضمنه سفر التكوين، لا اسلوب التفكير الفلسفي المعين، حتى نسميه باسلوب الفكر اليهودي.

ولايشك أحد في التأثير الكبير لتعاليم سفر التكوين،وقد ذكرت صورة معينة لطريقة الخلق في سفر التكوين، ولكن لم يذكر فيه ان الموجودات لو وجدت بغير تلك الصورة، فلامجال للخلق فيها.

والواقع انه ليست لسفر التكوين القدرة على رسم التصور المعين لمفهوم الخلق، واسلوب التفكير حوله، ومنهج العلماء في هذا الموضوع وطريقتهم ساهد على ان العلماء سواء الالهيين منهم أو الماديين، يتمكنوا من التفكير في مفهوم الخلق إلاّ بهذه صورة.

إننا نرى حتى بعد رفض الطريقة التي ذكرها سفر التكوين لمفهوم الخلق،انه لم يتغير أسلوب العلماء وطريقتهم في تصورهم لمفهوم الخلق، ونعلم من ذلك انه ليس هناك سبب آخر غير ماذكرناه، وفي رأينا ان هذا السبب والعامل هو شيوع الأسلوب الفكري اليهودي، الناشئ في أساسه من علم الكلام اليهودي، وليس من سفر التكوين بالإضافة الى عدم وجود أسلوب فكري واضح محدد، ومنطق سليم، الذي هو من اختصاص الدارسين في مدرسة القرآن الكريم فحسب.

وفي مجلة (سحر) العدد آذر ماه ١٣٣٨، المذكور سابقاً، بعد أن يستعرض نظرية كوفيه، (نظرية الكوارث الأرضية)، يقول: «ولايخلو من طرافة أن نذكر بأن (لوي أماسيس) وهو من تلامذة كوفيه وأتباعه، هو بدوره من المعارضين لنظرية التطور، ولأجل تفسير التغييرات المتطورة المشهودة في المتحجرات وفق نظرية تنوع الأنواع، لذلك طرح نظرية غريبة، وفريدة من نوعها، واذا تأملناها جيداً، نراها كفراً. يرى أماسيس، بأن العامل في تطور الأحياء في مرحلة، بالقياس للمرحلة السابقة عليها، أي التطور التدريجي، هو التطور والتكامل الذي يحدث في فكر الخالق المتعالي، من المرحلة الأولى حتى المرحلة الأخيرة».

ومن هنا يتضح لنا، كيف تغلغل ذلك الفهم اليهودي، كأصل موضوعي، وكأصل ديني تعبدي في الأذهان، بحيث كان تصورهم لحدوث التطور في فكر الله، أيسر فهماً لوقوع الخلق التدريجي، وهل توجد فيه فكرة التكامل والتطور التدريجي في علم الله؟ ●

التحدي الثقافي

وآخر خطط للدفاع عن العرب والمسلمين

فضيلة الشيخ محمد الغزالي

الغزو الثقافي الذي يجتاح الأمة الاسلامية صنو للغزو العسكري الذي جاس خلال ديارها من بضعة قرون، وأثر لابد منه؛ الهزائم التي أصابتنا وألحقت بنا خسائر مادية ومعنوية فادحة.

والأعداء إذا شنوا غارة على بلد ما فهم لاينزلون به سائحين عابرين، ولا زائرين متفرجين، وإنما ينزلون به مستبيحين بيضته، وكاسرين شوكته، فإنْ كانوا طلاب مغانم استنزفوا خيره، ولم يدعوا لأهله الا الفتات، وإنْ كانت لهم أغراض دينية أو إجتماعية وضعوا الخطط القريبة والبعيدة لمحو شخصية الأمة تغيير ملامحها، وكما ينقل النهرمن مجرى الى مجرى تنقل الأمة رويداً رويداً من مجراها العقلي الأول الى مجرى آخر يرسمه خصومها ويدفعونها اليه دفعاً...

والاستعمار الغربي الذي هاجم العالم الاسلامي من بضعة قرون كان مزدوج الهدف، فهو طامع في خيرات الشرق الكثيرة، يراها ميراثاً لاصحاب له، وهو في الوقت نفسه مثقل بضغائن قديمة، يكره الاسلام كراهية شديدة، ويضيق بكل من ينتمي اليه، ويشتد ضيقه بالعرب خاصة، فهم قوم محمد وحملة رسالته، ولا تزال لغتهم مستودع كتابه وسنته...

فلما واتته الفرص، ووضع يده على أقطارهم، شرع يضرب الاسلام بقوة ومكر، ومضى دون هوادة يجهز على فلوله الثقافية الحائرة بعدما دمر جيوشه العسكرية..

وانطلقت طلائع الغزو الثقافي تطارد الدين المغلوب على أمره في ميادين التربية والتعليم والتشريع، وتطوي تقاليده الاجتماعية والأدبية والاقتصادية والسياسية، وأفلحت في تكوين أجيال تنظر الى ماضيها كله على أنه أنقاض أو مخلفات ينبغي أن تستخفي ليحل محلها البناء الجديد الذي وضع الغرب حقيقته وصورته...

ولم تكن المعركة سهلة على أية حال، فالمقاومة شديدة، ورجالها مستبسلون، وكلما ظنّ الغزاة أنهم انتصروا بدت لهم الغاية أبعد، والعقبات أشد. ولكي يعرف أبناؤنا أبعاد الموقف نذكر لهم هذه الحقائق:

١ ــ منذ بدء الاسلام واليهود والنصارى حاقدون عليه معترضون طريقه، تدبر قوله تعالى: **«ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق..»** وقوله تعالى: **«ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم...»**.

وعندما انشرحت به صدور، واستراحت اليه جماهير، سعى هؤلاء وأولئك لفض الاتباع عنه ولو بقوا على وثنيتهم القديمة، من أجل ذلك يقول القرآن الكريم:

«يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون».

وقد كانت هذه الضغائن وراء الحروب الصليبية في العصور الوسطى، وهي كذلك وراء الحروب الاستعمارية في العصر الحديث.

ولعل السيد جمال الدين من أوائل الذين كشفوا هذه النيات السوداء. يقول (لوثروب ستودارد): **«إن خلاصة تعليم جمال الدين تنحصر في أن الغرب مناهض للشرق وأن الروح الصليبية لم تبرح كامنة في الصدور كما كانت متأججة في قلب بطرس الناسك، ولم يزل التعصب كامناً في عناصرها، والغرب لايزال يحاول بكل الوسائل القضاء على أية حركة يحاول بها المسلمون إصلاح أمورهم»**.

ضمَّ العالم الاسلامي في أرجائه الرحبة أجهل أغبياء وأخبث ساسة...

نقول: وقد انضمت الشيوعية الى الصليبية في اعتراض الصحوة الاسلامية، ومؤازرة الغزو الثقافي وسد الطرق كلها في وجوه المؤمنين الأحرار، فالخصوم يكثرون ولايقلون، والساحة تتسع ولا تضيق.

٢ ــ ولعل الهدف الأول للغزو الثقافي إصابة العلوم الدينية في مقاتلها بعد إسقاطها عن مكانتها التقليدية، وترتبط بعلوم الدين؛ علوم اللغة وفنون الأدب، فيجب أن تتضعضع هي الاخرى. ولما كان الاسلام عقيدة وشريعة وتربية وتقاليد، وكانت الثقافة المصاحبة لهذا كله متشعبة متكاثرة، فإنَّ الاستعمار قدر لتدمير هذه الثقافة أمداً يتراوح بين نصف قرن، وقرن كامل، وهو يستطيع خلال هذا الأمد المتطاول خلق جيل زاهد في الانتماء لدينه غير متحمس له ولا حريص عليه، يهاب الأديان الأخرى ولايهاب عقيدته، ويفضل الألسنة الأخرى ويستهين بلغته، ويكرم زعماء العالم قديماً وحديثاً، أما رجالات الاسلام فليسوا أهلاً لاكتراثه، وربما نال

ـم وأزرى عليهم. ولنعترف بأن أعداداً من المرتدين ـقطت في هذه الفخاخ، فقد نسمع من يطلب ترك ـلاة أو الصيام حتى لايضعف الانتاج، وقد تسمع ـن يشغب علانية على شرائع الحدود والقصاص، ـد تسمع من يرفض الولاء للدين ويقدم عليه ـنتماء القومي أو الوطني، أو قد تسمع من يدعو الى ـلمانية أو من يرى المخادنة أحسن من الزواج وكان ـمتحيل أمس أن تقبل الجماهير معشار هذا الزيغ، ـد أن الغزاة الدهاة عرضوها للسنين العجاف ـأزمات العضوض، فجرت تلهث وراء لقمة الخبز، ـد يشغلونها بالملاهي والتسالي فيكون سماع أخبار ـكرة أهم من أنباء المجاهدين في أفغانستان أو ـلبين..

إن الغزو الثقافي نجح في جعل قيمة مكان ـمة، واهتمام بدل اهتمام..

ومع ضياع المعرفة الدينية وسقوط رتبتها، دخل ـدين كله في محنة هائلة، والحق يقال ان حماة ـسلام يقفون عند آخر خطوط الدفاع والمستقبل في ـن القضاء.

٣ ــ ذلك بالنسبة الى ثقافتنا التقليدية، أما ـلنسبة الى العلم العام الذي لا وطن له، فمعروف حصيلتنا منه كانت فوق الصفر بقليل، فلما احتل ـغرب ديارنا أخذ يعطينا منه بقدرما نعطي من ـفسنا. العلم مدون بلغاته وبحوثه مندهرة في ربوعه، ـمراحل التطبيق العلمي والانتاج الصناعي تتم في ـعامله وتحت اشرافه، وقد ملأ البروالبحر والجو ـفوقه، فإذا رغبنا فلنذهب اليه ولنتجاوب معه.. ـذا كان يضع فنا على الصنوبر فان المحبس بين ـصابعه إنْ شاء فتح وان شاء أغلق، ومن أبى فلا ـمنّ إلاّ نفسه.

وهكذا استطاع المنتصر أن يجر المسلمين وراءه، وأن يفرض عليهم صبغته.

وعندما أتعمق هذه المرحلة من التاريخ الاسلامي، وأتساءل عما أصابنا، أجد الجواب العدل: لقد كنا للهزيمة أهلاً، وما كان يمكن أن يقع الا كما وقع بعد الخيانات العقلية والخلقية التي لفّت حياتنا في الأعصار الأخيرة.

لقد تكاثرت أوزار التخلف المادي والأدبي على ظهر الأمة المسكينة حتى قصمته، ولم يكن ثم بصيص نور يومض بهداية أو نصفة أو مرحمة، كان الحاكم الجائر ينبت في منصبه فيقال في تسويغ وجوده **«قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء»** أما أن المناصب أمانات، وأن ملأها يتم بالاختيار النزيه، فذاك حديث لايخطر ببال.

وكان من يقدر على انتهاب ثروة ضخمة يأخذها في صمت أوتتطلع الأنظار اليه بوجل، فإذا تجرأ أمرؤ فذكر حدود الحلال والحرام قيل له صه.. **«إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم»**.

وصاح شاعر مؤمن يقول:

ملك الملوك إذا وهب
لا تسألنّ عن السبب
الله يعطي من يشا
فقف على حد الأدب

ونشأ عن استقرار هذا الفكر تسليم بالحظوظ العمياء والتفاوت الظالم، وعد ذلك هو الوضع الطبيعي، فما جاء على أصله لايسأل عن علته، أما التساؤل: من أين لك هذا؟ سواء كان هذا مالاً أو حكماً، فانه سؤال مردود على صاحبه وقد يكون سبباً في اخترام أجله.

إنّ المعرفة الدينية في ميداني الحكم والمال لم تكن تنبع من كتاب الله وسنة رسوله وتقاليد

الخلافة الراشدة، بل كانت تنبع من طبائع الأثرة والهوى التي استفحلت في الشرق الاسلامي وكانت لها ظلال كئيبة خلال قرون طويلة..

كانت هذه اللوثة موجودة كذلك في الغرب الصليبي، فقد حدث حوار بين قيصر روسيا والسيد جمال الدين، سأله أولاً عن آرائه في الشرق ثم سأله عن سبب خلافه مع الشاه، قال جمال الدين: إنها الحكومة الشورية أدعو اليها ولايراها.

قال القيصر: الحق مع الشاه، اذ كيف يرضى ملك أن يتحكم فيه فلاحو مملكته؟ قال جمال الدين: أعتقد يا جلالة القيصر أنه خير للملك أن تكون الألوف المؤلفة من رعاياه أصدقاء له بدل أن يكونوا أعداء يتربصون به الدوائر.

لكي نبني أجيالاً صالحة يجب أن نقدم من تراثنا الغني مايبني يقيناً ناضجاً، وسريرة ناضرة، ربانية تتعامل مع الدنيا بذكاء وترتفع، لانهم وضراعة.

فلم يعجب القيصر هذا الحديث، وغادر المجلس علامة الاذن لجمال الدين أن ينصرف. لكن أقطار الغرب لم يطل صبرها على هذا الغرور، فقامت في القرن السابع عشر ثورة في انجلترا أطاحت بملك من طراز القيصر، وتبعتها فرنسا في الثامن عشر، أما روسيا نفسها فان القيصرية أطيح بها أوائل القرن العشرين.

وجمال الدين، ومحمد عبده، ورشيد رضا، كانوا ينصرون الاسلام حين يذكرون بالشورى، وكانو يستمدون من تعاليمه لاصلاح ماساد عصرهم من اعوجاج، بل لقد كانوا يعالنون بسلفيتهم اذ أن السلفية فيما يعلم أولو الألباب شيء آخر فوق احفاء الشوارب.

ان الاسلام يصيره أشد الضير أن تختص أرضه وحدها بأجراء الناس على اغتيال المال العام والخاص، وأجراء الناس على تدويخ الشعوب وإذلال من أعز الله. و إعزاز من أذل الله...

وسيقال: طبيعة نظمه أوحت بذلك أو سكتت عليه، وهذه في نظري أقبح فريه بعد الشرك بالله...

وهناك سبب آخر أعان الغزو الثقافي على النجاح، هو مد خيمة الغيبيات لتمثل مساحات واسعة من عالم الشهادة، حتى كأن الدين حارس طبيعي للطلسمات والخرافات، أو كأنه خصم لدود لمنطق العلم، وقد شاع هذا المسلك في مقولات شتى.

كنت أقرأ كتاباً عن مطالع الأهلة وأوقات الصلوات لفقيه مالكي، فقررت بقضية أثارها المؤلف: رجل صلى الظهر في مكة وكان من أهل الخطوة، أي ينتقل بين الأجواء بسرعة البرق، قال المؤلف: فوثب بعد صلاته الى طرابلس ــ في ليبيا ــ والظهر لم يؤذن له بعد هناك ، هل يعيد الصلاة؟ أم تكفيه صلاته الأولى. وليس يعنيني أن يكون هذا الكلام حقاً أم باطلاً، إنما الذي يعنيني انك اذا أنكرت هذه القصة، يقول لك شخص هائج: ماذا؟ أتنكر القدرة الالهية؟ إن هذا كفر!!

ومنعاً من الوقوع في الكفر أثبت الأحناف النسب بين مشرقي تزوج مغربية، ولم تتيسر له وسيلة انتقال، معتادة، ومع ذلك أنجبت، ان الولد ينتسب اليه، فقد يكون من أهل الخطوة، طرقها وعاد قاطعاً ألوف الأميال في ساعة من النهار!!؟

وهذا الخيال أو الخبال يرجع الى مسألة كلامية،
ـل العلاقة بين السبب والمسبب عقلية أم عادية؟،
لمسائل علم الكلام انحرافات معقدة في مسالك
ـتنا ومعارفها.

و ينضم الى ذلك مايعتبر تلاعباً بالألفاظ و تبادلاً
ـتهم، فالمسلمون مجمعون على ان الانسان مسؤول عن
ـعاله، لكن هذا المعنى البديهي صيغ في عبادة نابية،
ـتدعها المعتزلة ابتداعاً هي: الانسان خالق أفعاله،
ـالفلاح المسؤول عن زرعه لايقال فيه خالق زرعه،
ـالبناء الذي شاد قصراً لايقال عنه خالق القصر
ـكان يمكن أن تهجر هذه الصيغة الى صيغة أكيس
ـألطف.

لكن سرعان ما احتدمت معركة رهيبة ظلت
ـدة قرون تمسك فيها أهل السنة بأن الله خالق
لأفعال الجبرية والاختيارية.

وخرج العوام من المعركة وهم يرون أن لاقدرة لهم
ـلا إرادة ولاحول ولاقوة.. وكان هذا التلاعب
ـالألفاظ من وراء تضليل أجيال غفيرة وتمويت أمة
كبيرة.

وقد بذلت مدرسة المنار جهوداًمتصلة لتصحيح
لمعرفة الدينية، فحاربت التقليد المذهبي الجامد، كما
حاربت الأحاديث الضعيفة وضبطت داخل الهداية
القرآنية الأحاديث الصحاح، وطاردت قضايا
كلامية وتضليلات سياسية.. واستطاع محمد رشيد
رضا أن يسوق توجيهات محمد عبده وسط حشد من
الآثار المحررة..

بيد أن قوى شريرة من الداخل والخارج
اعترضت هذا الخير الدافق، ومن هنا قدر الغزو
الثقافي على بلبلة الجماعة الاسلامية وتبديد طاقاتها
في غير طائل.. فإنّ كثيراً ممن أحب الاسلام، وحن
الى العودة اليه قدّم الاسلام أوقدّم اليه الاسلام جملة
معارف من عهود الاضمحلال ومن أيام المزائم
الفكرية والخلقية لأمتنا، خلال مسارها الطويل،
فلم يستطع معالجة الانحراف في دنيا المال والحكم،
الا بالعظات..

وضم العالم الاسلامي في أرجائه الرحبة أبخل
أغنياء وأخبث ساسة، وسكت رجال العلم الديني
التقليديون! ترى ما أسكتهم؟ ليس لديهم ما يقولون
ليسدوا الطريق أمام التحدي الثقافي القادم من
الخارج.

ودعك من ميادين الاقتصاد والسياسة، ومن
عالم الانتاج والادارة، وتحريك الحياة والأحياء،
ولنذهب الى المحاريب، وتزكية النفوس، وترقيق
القلوب و بناء الأخلاق، وتوفير الباقيات
الصالحات.. إنني بعد تأمل طويل وحدت ثروتنا من
المعاني الغالية قليلة، وزادنا غير كاف لمغالبة حضارة
ساحرة الاغراء كثيرة الأحابيل، فما العمل؟

العمل إعادة النظر في ثقافتنا كلها، أعني ثقافتنا
الذاتية لننبذ منها ما ليس له رصيد من هداية الله..،
وإعادة النظر في العلوم الكونية والانسانية التي تموج
بها الأرض لنقتبس منها ما نحتاج اليه على عجل،
ولذلك تفصيل ومنهاج.

في الانسان غرائز دنيا تشده الى تحت؟ وفيه
خصائص كريمة تدفعه الى فوق؟ فإذا كانت هذه
الخصائص أشد قوة ذهبت بالانسان صعداً الى
آفاق الحق والخير والجمال.. وإنْ كانت مساوية
لغريمتها ذهب السالب في الموجب وبقي المرء
موضعه.. وإنْ كانت أضعف منها أخلد الى الأرض
واتبع هواه، فلم تره الامبطلاً شريراً دميم الروح؟

والذى أقصده أن تحصيل الكمال يحتاج الى
معاناة علمية وخلقية.. فالكريم لن يكون كريماً إلّا
إذا قهر نوازع الشح، والشجاع لا يكون شجاعاً إلا

إذا هزم بواعث الخوف...

والاسلام الذي ننتمي اليه سمع وطاعة لله تباركت أسماؤه، ولابد أن يعتمد على معرفة شديدة الوضوح، وخضوع لا يختلف في موطن، واستجابة لكل نداء.. ولايتم شيء من هذا إلا إذا كانت المشاعر حيّاشة، والبواعث حيّة، والنفس مكتملة القوى في إرضاء الله.

وأي منصف يتدبر القرآن الكريم في طول السور وعرضها، يشعر بأنّ الايمان الذي يصنعه هو ايمان الرغبة والرهبة، والتبتل والتوكل، والصبر والشكر، والاستناد الى الله والاستمداد منه، والحب والبغض فيه، والسلام أو الحرب من أجله... ايمان يعمر المحاريب بالخشية والميادين بالجرأة، و يتحرك دون توقف لإحقاق الحق، و إبطال الباطل، وسوق الحياة وما فيها لإعلاء كلمة الله.

وكان المفروض في ثقافتنا الذاتية أن علمي الكلام والتصوف يشرفان على هذا الجانب ويقومان بتصوير العقائد، وتأسيس العناصر التي تجعل الايمان يخالط القلوب ويوجه النفوس.

بيد أن ملابسات شتى أحاطت بهذين العلمين، فاذا إثمهما أكبر من نفعهما فماذا صنعنا لنصلح مسارهما و وجهتهما؟

إن الايمان النظري قليل الجدوى، وإنْ صحت أدلته! والعاطفة الحارة قليلة القيمة إذا جانبها الفكر الراشد والرأي الصحيح!

ولكي نبني أجيالاً صالحة يجب أن نقدم من تراثنا الغني ما ينشئ يقيناً ناضجاً، وسريرة ناضرة، ربانية تتعامل مع الدنيا بذكاء وترتفع، لا بنهم وضراعة!

رأيت ناساً يرنون الى أحد الحكام الخونة، فقلت: أعوذ بالله من الخذلان، انهم يرنون الى حظوظ الدنيا عند هؤلاء، ولو كانوا يؤمنون بالآخرة ما عرفوا لهم باباً..

ورأيت ناساً أصدروا فتاوى سيئة، ودافعوا عنها بقوة! كان الدفاع عن المنصب وراء جدالهم الطويل عن هذه الفتاوى!

ألا فلنعلمهم خبايا هذه المواقف، يوم تكون صلة أمرئ بالمال والجاه كصلة الوثني القديم باللات والعزى لأن الله ليس في قلبه، إنّ في قلبه شيئاً آخر! أي إسلام هذا؟

إن المشاعر النابضة للحياة، المشاركة في معاركها، المتلاحمة مع أمواج المد أو المتراجعة مع أمواج الجزر، هذه المشاعر هي أجزاء الايمان عندنا. فليس الايمان أنفاساً باردة وخيالات طائرة.

إنّ الجانب الالهي في الاسلام والجانب العاطفي في الاسلام ينبغي أن تعاد دراستهما على ضوء من الكتاب والسنة، وأظن الذين حاربوا علمي الكلام والتصوف ذكروا بدائل حسنة لما عدوه خطأً في هذين العلمين، فهل درسنا هذه البدائل؟ إن جمهوراً كبيراً من المنتمين الى السلفية لا يعرف أين القيم في (مدارج السالكين بين اياك نعبد واياك نستعين) ولا ما كتبه في (طريق الهجرتين). ولعله يحسب هذه الكتابات من هناك ! وما هذا الحسبان إلا من فرط الجلافة وغلظ الحجاب..

والحق أن الايمان المقبول عند الله هو أيمان المحبة والتفويض، والركون الى الله لا الى الظالمين،

والانس بالله لا بالمكانة الشعبية والتفاف الجماهير.

وقد نرى ثروة معجبة من هذه المعاني في تركة المتصوفين يمكن انتقاؤها بعناية، وإطراح ما عداها من بدع.

ولنؤكد هنا أن التصوف المقبول ـ إنْ صحّ التعبير ـ تربية دقيقة قبل أن يكون سعة علم، وإنما أخذ على القوم أمران. أحدهما: الغلو والجهل بأحكام كثيرة دينية وانسانية، والثاني: اعتبارهم مراحل الطريق أو درجات الترقي، صفة لفرقة متميزة من المسلمين، تستعزل بها عن العامة، وتتفرد بأحوال خاصة، وهذا باطل.

فنحن المسلمين أساسنا الأول كتاب الله، وللايمان في كتاب الله خصائص تعد مثلاً عليا لكل من يقرؤه، هذه الخصائص من شهود ومراقبة وتهيبب تتكون في ساحات الحياة لا في أجواف الصوامع، وتدبر لهذه الآيات **«ولله المشرق والمغرب فأينما تولوافثم وجه الله»، «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله. والذين آمنوا أشد حباً لله»، «الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله»، «ان ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده»، «وما لنا ألّا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا...»، «ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور»، «ألا بذكر الله تطمئن القلوب»، «الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم..»**.

إنّ المشاعر النابضة للحياة، المشاركة في معاركها، الماجة مع أمواج المد أو المراجعة مع أمواج الجزر، هذه المشاعر هي أجزاء الايمان عندنا، فليس الايمان أوهاماً باردة وحدلاً ... طائرة.

وإذا لم نصنع ... التي ... هذا الايمان أو ...

قواعده، فنحن نخون الاسلام.. إننا نضع هذه ا لا لننطوقها بين ظهرانينا وحسب، بل لنصدره العالمين كي يعرفوا من نحن، وبماذا ندين، أي هذه وظيفتنا؟ إنها رسالة امتنا التي ينبغي أن تـ بها شرقاً وغرباً.

والصلوات وغيرها من فروض إنما تقدر و بقدر ما تحوي من هذه المعاني وبقدر ماينشأ عنها أخلاق زاكية، وبعد عن الدنايا.

والأمم لا تنجح في أداء رسالتها إلا إذا كا لها قدرات مادية مساندة، وحكم الوسائل هنا حكم الغايات نفسها، فما لايتم الواجب إلّا به واجب.

أإذا أعتمد المؤمنون في تحصيل الرغيف على ء الملاحدة أمكنهم هذا العجز من تبليغ رسالتهم؟ أ انتظر المسلمون امداد السلاح من غيرهم أمكنهم ذ من الجهاد في سبيل ربهم؟.

إن دولة (اسرائيل) برعت في صناعة الأسلح ولها في هذا الميدان تجارة عالمية! فماذا عند العرب وأشعر وأنا أكتب هذه السطور بالقهر والشتات لفراغ بلادنا من المصانع المخوفة، بل لأن الي يستعدون لانتخابات جديدة، وتوجد بلاد اسلا تستعد هي الأخرى لانتخابات مماثلة.

قلت في نفسي: منذ نشأت دولة اسرائيل زورت فيها انتخابات قط.. أما نحن وأبناء نخذ في صنع الفضائح التي يعرفها العالم.. فلأدع الاستطراد ولأعد الى الوسائل التي لابد منها لـ رسالتنا.

إنّ الاسلام أساساً ... أعلم ...

وشؤون الدنيا العلمية والعملية ...

... حدود ومرونة دولة، ...

... وتدعم وجوده ...

والوحي الالهي لاصلة له بالمعادلات الجبرية ولا بالكشوف الكونية، فهذا موكول الى جهود البشر، ومدى ذكائهم ونشاطهم، والسباق اليوم رهيب بين فرعي الحضارة الحديثة الشيوعي والصليبي للسيطرة على زمام الحياة الأرضية... كلاهما يريد دعم نفسه ومبادئه بما ملكت يداه من علم وتطبيق.

هل للمسلمين وجود في هذه الميادين؟ أين اختفوا مع أن آباءهم قادوا الحياة البشرية دهراً؟ وبماذا يشتغلون؟ الواقع أن هناك خطأً أساسياً في أسلوب تفكيرنا وعبادتنا لربنا، لأننا لم نعط القدرة المدنية والعسكرية وزنها الصحيح.

أغلب العابدين يرجحون نافلة في مجالات العبادات المحضة، على درس علمي أو ابتكار صناعي، وربما ظن تلاوة ورد أرضى لله من اختراع آلة، أو صون جهاز، أو احكام إدارة، أو تدبير سياسة؟

إنّ التحدي الثقافي يمتد في هذا الفراغ العقلي والديني عندنا، وربما أعانه هذا على استئصال شأفتنا والقضاء على رسالتنا.

وعندي أن مطاردة الفقهاء والدعاة الذين يصنعون هذا الفراغ أهم من مطاردة تجار المخدرات، وباعة الخمور، و إذا لم ننفض مستقبلنا الحضاري من هؤلاء الناس قضوا علينا يميناً..

ولا ينبغي أن نستحي من أن نكون تلامذة لمن سبقونا، وأن نتواضع لهم حتى نعرف ما لديهم، نحسن رتق فتوقنا..

لكن المأساة المثيرة للبكاء أننا نرسل طلاباً يكملوا نقصنا في هذه الناحية، وإذا الذاهب الى موسكو يعود بفكر ماركسي، والذاهب الى واشنطن يعود بفكر انحلالي تبشيري.. والعلم النافع نفسه الذي يحصل عليه سرعان ما يتبخر، ولا نجد له أثراً و أصرة [illegible]

والمرء إذا وهى دينه يقاد من بطنه وفرجه أكثر من عقله وضميره، وتلك حال مبعوثين كثيرين..

إنّ فقرنا العلمي والصناعي لشديد، ونحن أحوج أهل الأرض لجداب ستتقي حياتنا وايماننا، فهل يسعفنا شاسا في هذه الميادين؟.

ومع استيراد العلم الذي لا وطن له، نحتاج كذلك الى استيراد الوسائل التي لا وطن لها.. إنّ الارتقاء البشري في العالم جعل الارادة فناً رفيع الاداء! ومكّن الاخصائيين بحسن النظام أن يختصروا أوقاتاً وأعمالاً كثيرة، وأن ينجزوا في ساعات ما ننجزه نحن في أيام! وأن يضبطوا مفاهيم كانت رجراجة، ويبتوا في قضايا كانت معلقة. ولأزد هذا الموضوع جلاءً حتى لايكون نقل الوسائل ذريعة الى نقل الأهداف، انني أؤمن بالشورى، وأزدري الاستبداد السياسي من أعماق قلبي، وأرد اليه أغلب هزائم أمتنا خلال تاريخها، وأرمق الديمقراطية الغربية وأحسد أصحابها على مناقشة الآراء بحرية، وعلى استكانة الحكام في الحق، على اعتزاز الأفراد بكراماتهم.. وكنت أهمس الى نفسي.. أما يجيء يوم يظفر فيه المسلمون بمثل هذه النعمة؟..

بيد انني مسلم، لايتقدم شيء أبداً على ولائي لله، وقد تابعت مناقشات مجلس العموم البريطاني في مسألة إلغاء عقوبة الاعدام، ورأيت كيف حاولت رئيسة الوزراء الاقتصاص من القتلة، وكيف خذلها أغلب أعضاء المجلس، وأصروا على إلغاء عقوبة الاعدام..

فما هذا هو الفرق بين الشورى عندنا وبين الشورى عندهم حين نرى أنه لا اجتهاد مع النص ولا شورى مع كلام الله ورسوله. وهؤلاء [illegible]
[illegible]
[illegible]

م لانشرحها هنا.
وإنما أحذر من عصابة تجحد الشورى، وترفض الضمانات التي استحدثها العالم الحر ـ كما ى ـ وتجعل الاقتباس من الديمقراطيات الغربية راً أو دونه الكفر! وحجتها أنها تجعل السلطة ب ولا تقفها أحكام الله!.

وهذه المحاذير كلها تنتفي مع أي دستور ينص أن سلام دين الدولة، إذ يستحيل معه الخروج على ء من كتاب الله وسنة رسوله..

إنَّ المهم هو تقليم أظافر الفرد الطاغية، واختفاء سورة السمحة المأخوذة للحكم الديني، صورة ان يجيئه شاعر ملق فيقول: اعطه مائة ألف م! مائة ألف درهم من عرق الكادحين تمن ب مزخرف! فإذا تقدم أحد ينصح، أو ضبط لساً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قيل: بوا عنقه، فإذا هوقصة تروى!

سيد أن هذا ليس سيرة الخلفاء الراشدين، فأين ء الخلافة؟ ولماذا لا تحتاط الأمم لنفسها ضد واغيت في وثائق مفصلة مضبوطة؟ ومراقبة المال اص والعام في دورته الاجتماعية، أليست عملاً لحاً تفرضه أحكام الحلال والحرام؟ أيضيق سلام بهذه الرقابة؟ يقول مصطفى صادق فعي ـ وهو كاتب مسلم معروف ـ: **إنَّ الله ق الأرض وقدر فيها أوقاتها، ولكن غنياً واحداً ينفق ذة يوم قوت مدينة، وحمار واحد لا يأكل الأرض يع بقية الحمير، ولكن بعض الأغنياء يفعل ذلك!!!**

هل الاسلام يحمي تلك الفوضى؟ و يرى سائفين بها خارجين عليه؟ فاذا كانت مجتمعات رب قد وضعت قوانين وتقاليد تنظم مسيرة المال المجتمع، فلماذا لا نقتبسها؟ والاقتباس كما قلنا ـاً لا يقبل بتاتاً إذا خالف نصاً في كتاب

أوسنة... ومن التحديات الثقافية الحملة على موقف الإسلام من المرأة واتهامه باحتقار الأنوثة وانتقاص حقوقها... فلدينا علماء يختارون في معاملة النساء أعسر الفتاوى وأردأ الأقوال، وتتملكهم حمى اذا ذكرت للمرأة حقوق، أو محيت بعض التقاليد التي تحرجها..

ومعرفة هؤلاء بالاسلام ضحلة أو مشوهة أو مكذوبة.مع ذلك فقد أفتوا من قرون ألا تذهب المرأة الى مسجد أو مدرسة، وحكموا ألا ترى أحداً ولا يراها أحد،ورأوا أن تورث ولا تورث،وأن يختارها من يريد زوجة له ولا تختار هي أحداً.. و بعد الهزائم الشاملة التي أصابت العالم الاسلامي أجمع في كل ميدان، شرع أولو الالباب يعودون بأمتهم رويداً رويداً إلى تعاليم الاسلام في عهده الأول، وهي تعاليم عادلة وفاضلة، غير أن الجهل المستشري يضع أمامها عوائق كثيرة.

وكما وجد من يحارب الشورى ودساتيرها الدقيقة، وجد من يرى النقاب الركن السادس في الاسلام، ومع هذا النقاب المضروب تنكمش إنسانية المرأة وتذوي قدراتها الأدبية، ونشاطها الذي قرره الاسلام من قديم..

وكأني أسمع من يقول: تريد انحلال الغرب، وضياع شرفه..

وهذا افتراء، فإنَّ الغرب موغل في الآثام التي يأباها كل عاقل..

والإنحراف المأخوذ على الغرب ليس أسوأ من الانحراف الذي ينشدونه هم، إن الغرب يميل عن الصراط المستقيم ثلاثين درجة الى اليسار، وهم يميلون عنه ثلاثين درجة الى اليمين، والعوج الواقع لا يخففه أن يكون هنا أو هنا، انه بعد عن هدايات الله على أية حال.

ولكي ألقى أي تحدٍ ثقافي وأنا راسخ القدم، أحب أن أعرف ديني من مصادره السماوية لا من تقاليد الأجناس المختلفة، وأن أفرق بين البديهيات والظنيات، وأن أدرس التاريخ الفقهي والسيا دراسة اعتبار واستفادة تحميني من التورط فيما ت فيه قوم آخرون ●

لقد حاول أعداء الاسلام على مرّ التاريخ ولاسيما في القرون الأخيرة، تشتيت المسلمين وإيجاد الصراعات بينهم وذلك عن طريق تضعيف القيادة الالهية الصالحة وبث الفرقة وإحياء مظاهر القومية واللغة والنسب وغيرها.

ـ آية الله العظمى المنتظري ـ

؟؟؟

حول أسئلة القراء

س/ نرجو بيان معيار موقف الجمهورية الاسلامية من الحركات الاسلامية في العالم؟

(أبو الطيب / يوغسلافيا)

ج/ إن مانفهمه نحن يتلخص في أن موقف الجمهورية الاسلامية في ايران من الحركات الاسلامية في العالم يمكن تحديده بالمعايير التالية:

١ ـ مدى التزام الحركة بالاسلام ـ عقيدةً فاعلة ومنهج حياة ونظام تربية للأمة في كل شؤونها ـ فكلما كانت الحركة الاسلامية ملتزمة بالاسلام على هذا النحو العقائدي والعملي، كلما كانت أقرب للاستيعاب وأقرب للمحبة وأقرب للتأييد.

٢ ـ مدى انسجام هذه الحركة مع العمل التغييري الثوري الأصيل، فهناك الكثير من الحركات الاسلامية التي تعمل على اصلاحات جانبية ضئيلة وربما تناست الإصلاح التغييري الشامل، أو رأت أن التغيير الشامل أمر بعيد المنال، ولذلك علينا أن لا نفكر فيه، وما الى ذلك.

الموقف يتأثر بنظرة تلك الحركة الى العملية التغييرية الشاملة وموقفها منها، ففي الوقت الذي لا نقول فيه إن الاصلاحات الجانبية غير مطلوبة، وإنما نؤمن بها، في نفس الوقت نقول: إن الاصلاح الجانبي الجزئي يجب أن يتم في إطار عملية التغيير الكبرى، وفي إطار تغيير الأسس الاجتماعية من أسس لااسلامية الى أسس إسلامية محورها الاسلام.

٣ ــ مدى استقلالية هذه الحركة من التبعية والانشداد للدول المستعمرة المستكبرة الكافرة وأذنابها الذين هم يمثلون امتداداً لتلك الدول المستعمرة. فالارتباط بهم إرتباط بالدول المستعمرة نفسها.

٤ ــ مدى تفهم هذه الحركات للرسالة العالمية التاريخية.

وعلى أي حال؛ فالمعيار في هذا الموقف هو الاسلام والمصلحة الاسلامية لاغير، والثورة الاسلامية في ايران تنظر لكل قضية في أي أرض على أنها قضيتها الرئيسية التي لايمكن أن تحيد عنها.

س / ماهو رأي الامام الخميني حفظه الله في مسألة التأمين، وتأكيد التأمين؟

أ.م / طهران

ج/ التأمين: عقد بين طرفين يلتزم المؤمن بجبر خسارة معينة إذا وردت على المؤمن له وذلك في قبال أن يدفع هذا مبلغاً أو يتعهد بذلك.

فمن يؤمّن على بيته مثلاً وأبرم عقد التأمين مع شركة أو فرد، ودفع ما يترتب عليه مقابل ذلك من مال أو أعطى حوالة به، ثم حدث ضرر في البيت يوجب التعويض عنه من قبل المؤمّن، فللمؤمن له الحق في المطالبة بالتعويض وأخذه، وإن لم يتسلم المؤمن منه قيمة حوالة التأمين بعد.

ويحتاج عقد التأمين الى إيجاب وقبول ــ كبقية العقود ــ كما يجب توفر الشروط اللازمة في الطرفين المتعاقدين كالعقل والبلوغ وعدم الحجر والاختيار والقصد، كما يجب رفع أي إبهام في البين محتمل كتعيين أسماء وشخصيات المتعاقدين، والمؤمن عليه من شخص أو مال أو غير ذلك، والمبلغ الذي يدفع مقابل التأمين والأقساط والوقت وموارد دفع التعويض.

فاذا تم ذلك، كان العقد صحيحاً بشتى أنواعه، سواء كان التأمين على الحياة، أو وسائل النقل، أو المصانع، أو أهل بلد معين.

ويعتبر الامام الخميني القائد عقد التأمين عقداً مستقلاً مع احتمال أنه ضمان بعوض.

وعلى أي حال فهو لازم على الطرفين.

والسيد القائد يؤكد على أنه لابأس حتى باعادة التأمين وتأكيده كأن تطلب شركة

س/ ماهي الشروط الضرورية في نظركم لتحقيق الوحدة الاسلامية؟

نجم مراد / المغرب العربية

ج / الواقع أننا إذا عمّقنا الاسلام، ضمنّا كل النتائج الايجابية المترتبة على عمق الاسلام.

فالشرط الأول والأخير في هذا المعنى هو تعميق الاسلام في النفوس، وتعميق مفاهيم الاسلام في النفوس. إذا عشنا مفاهيم الاسلام رؤى نبصر بها. إذا كان القرآن ــ كما يعبر علي أمير المؤمنين سلام الله عليه كما جاء في نهج البلاغة ــ إذا كان القرآن ننطق به، نسمع به، نبصر به، إذا كنا نبصر من خلال هذه الرؤية القرآنية، فكل النتائج تترتب على هذا المعنى.

لكن كخطوات تطبيقية، فالذي نعتقده ان هناك أموراً يجب أن تتحقق حتى نستطيع أن نصل الى المستوى الطبيعي في مسيرتنا.

من الخطوات: ان على العلماء الذين هم أمناء الرسل والذين هم خلفاء الرسول، والذين هم حملة الأمانة ــ بكل مكان كانوا ــ أن يتحرروا من سيطرة الحكومات من جهة، والمصالح الضيقة من جهة أخرى، والأفكار الغريبة عن الاسلام من جهة ثالثة. إذا حرروا أنفسهم من كل مايشدهم الى الانحراف، ونذروا نفوسهم لله تعالى، وزكوا أنفسهم، فهم يشكلون عموداً لنعمة الوحدة، ودعاة رائعين من دعاة الوحدة.

كما يجب أن يعمل هؤلاء العلماء على نشر الوعي الاسلامي الأصيل، أو كما عبرت تعميق الاسلام في النفوس، فإذا تعمّق الاسلام، في النفوس، وإذا كانت الأهداف الاسلامية الضخمة هي التي يقصدها المسلم، فإن كل الأهداف القصيرة الضيقة الميتة التي ترتبط بجوانب وضيعة، كل هذه الأمور تذوب، باعتبار أن الهدف العظيم تسحق أمامه كل الأهداف وكل المصالح قصيرة المدى.

ويجب أيضاً أن يوجد العلماء حلقات وجلسات تفاهم فيما بينهم، ويطلع كل عالم على حقيقة توجهات الطرف الآخر، حقيقة مايقوله الآخر ودليله وروحه وروحيته. هذه الأمور يجب أن يطلع عليها. يجب أن لانسمع عن هذا المذهب من خلال خصومه ــ مثلاً ــ، ان لانسمع عن هذا العالم من خلال من ينافسونه في هذا المعنى. علينا أن نتوجه لنستقي من المنبع، ونعرف ماذا يقول هذا، وماذا يقول ذاك، وبالتالي سوف يجد الجميع انهم يركزون على حقيقة واحدة، وينظرون الى هدف واحد، وإنْ اختلفت التعابير.

ويجب على الجميع التحلي بالروح الموضوعية الهادفة. فالقرآن يركز هذه الروح لا في النقاش

بين المسلمين فقط، بل حتى في النقاش ودراسة القضايا بين المسلم وغير المسلم. والرسول يؤمر أن يقول للمشركين ــ وهو مطمئن بإيمانه و بدينه ــ أن يقول لهم:

«... وإنَّا أو إيَّاكُم لعلى هُدىً أو في ضلالٍ مُبين».

بهذه الروح الموضوعية يؤمر الرسول (ص) أن يقول هذا المعنى.

و يلزم التأكيد على نقاط الالتقاء والاشتراك إذا كان المسلمون مأمورين بأن يؤكدوا على نقاط الاشتراك مع أهل الكتاب:

«قُلْ يا أهلَ الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سَواءٍ...»

فكيف والحال فيما بينهم؟ نقاط الاشتراك ما أكثرها، ما أعظمها، سواء في المجال العقائدي أو في المجال العملي أو في المجال المفاهيمي، وقد تذوب أحياناً نقاط الاختلاف في كثير من المجالات فيجب التأكيد على هذا المعنى.

وعلى المسلمين أن يحققوا القضايا التي تعتبر أسس الوحدة. القرآن الكريم أساس الوحدة، ومقبول بين المسلمين جميعاً، فليكن هو الحكم، وليعتصم به المسلمون، «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا...».

سنة الرسول، قول الرسول، فعل الرسول، تقرير الرسول، أمر يجمع عليه المسلمون، وإذا أجمعوا عليه فليكن أساساً للوحدة.

والذي ندعو اليه ان علينا أن نستفيد من القضايا المشتركة اليوم لنعمق هذه الوحدة، قضية فلسطين هي قضية المسلمين جميعاً، من الاجرام أن نسحبها من القضية الاسلامية فنضعها في إطار حق عربي، أو في إطار شرق أوسطي، أو في إطار منطقة معينة، قضية فلسطين قضية المسلمين، فلتدعونا الى الوحدة، ولتتوحد الأيدي والسيوف والخطى والخنادق في سبيل تحرير القدس وطرد العدو الصهيوني.

مثلاً: قضية أفغانستان، هي قضية الوحدة، يجب أن تتوحد الأيدي في سبيل طرد العدو الأحمر من هذه الأرض الطاهرة، وقضية محاربة الطاغوت عموماً، محاربة الاستعمار، الاستكبار قضية عالمية اسلامية، يجب أن نضع يداً بيد في سبيل محاربتها.

هنالك قضايا يجمع عليها المسلمون، فلنعمقها في نفوس أبنائنا، وهناك خطوات كثيرة: [illegible] الأمور المفرقة للمسلمين، من قبيل التاريخ، من قبيل القومية، من قبيل [illegible] وأمثالها، من قبيل العمالة، من قبيل حكم العشائر، الطائفية، وحتى الروح [illegible] والمنشورات الممزقة للوحدة، ونقف أمام التصورات القشرية، و[illegible] أن ندعو الى الوحدة الاسلامية، كأصل عام، وندفع الجماهير [illegible]

التقرير العام

عن الملتقى التاسع عشر للفكر الاسلامي في الجزائر

بقلم: الشيخ محمد علي التسخيري

معاون العلاقات الدولية

لمنظمة الاعلام الاسلامي

وعضو مجمع الفقه الاسلامي ـــ جدة

أغرب ماسمعناه هوالتساؤل الذي طرح من قبل بعض الأساتذة الأجلاء حول مدى صحة استخدام لفظ الثورة الاسلامية، وحول ضرورة بعث الحماس الثوري واستعجال الشيء قبل أوانه...

لقد هزني كلمة قالها مفكر موريتاني حين ذكر ان المسلمين كانوا قبل نجاح الثورة الاسلامية في ايران لا يجرؤون على إظهار اسلامهم، وهاهم اليوم يسيرون مرفوعي الرأس بالاسلام.

حاول ياسر عرفات أن يرجع فكرة إنشاء الكيان الصهيوني الغاصب للقدس الى حملة نابليون لا الى وعد بلفور الأمر الذي دعى الأستاذ الشيخ الغزالي ليرد عليه في اليوم التالي بأن الأمر أبعد من ذلك كما توضحه الوثائق المنتشرة.

انعقد في الفترة مابين (١٩ــ٢٧) شوال ١٤٠٥ هـ الموافق (٨ــ١٦) تموز (يوليو) ١٩٨٥ م والمصادف أيضاً لـ(١٧ــ٢٥ شهرتير ١٣٦٤ هـ. ش) في مدينة «بجاية» الجزائرية، وهي مدينة عريقة في أصالتها وجهادها، الملتقى التاسع عشر للفكر الاسلامي، وقد وفقت أنا والدكتور جعفر شهيدي أستاذ الأدب الفارسي والتاريخ الاسلامي في جامعة طهران لحضوره من قبل الجمهورية الاسلامية في ايران.

ولهذا الملتقى مكانة خاصة في الفكر الاسلامي نظراً لما يتمتع به من خصائص وميزات، أذكر منها:

أولاً: تاريخه الممتد نسبياً الى أوائل سنيّ نجاح الثورة الجزائرية، حيث انعقد على التوالي تسعة عشر عاماً ليرفد الفكر الاسلامي في كل عام بالجديد من الأفكار.

والحقيقة هي أن المؤتمر يمثل جزءاً من حملة التخلص من النفوذ الثقافي الغربي بلاريب.. فإنه بعد أن رحل الاستعمار الفرنسي الكاسر كانت مظاهره ماتزال قائمة ومنها الكنائس الكثيرة التي حاول بها تنصير الشعب الجزائري، كما أن منها تعميم اللغة الفرنسية بين الجزائريين ومنعهم من تداول العربية، ثم ان من أبرز مظاهره هذا التحلل الأخلاقي، وأخيراً هذا النقص في فهم الاسلام والالتقاء بمفاهيمه.

إلا أن الشعب الجزائري بمقتضى طبيعته الاسلامية وثورته الاسلامية وروحه الثورية التي لاتهدأ شعلةً في سبيل الحق عمل على نفي مظاهر الغرب، فتحولت الكثير من الكنائس الى مساجد، ونجحت سياسة التعريب بشكل مقبول والحمد لله. وكان هذا الملتقى عملاً على مدّ جسور اللقاء الفكري مع المفكرين من شتى أنحاء العالم. أما مظاهر الفساد الأخلاقي فرغم أنها اليوم لا تملك حدتها على عهد الاستعمار، إلا أن هناك منها بقية واضحة نرجو أن يتخلص منها المؤمنون الجزائريون لتكتمل التجربة.

ثانياً: حضور جمع كبير من مفكري العالم الاسلامي في دورات هذا الملتقى واسهامهم في إثرائه ومنحه تلك المكانة المتميزة. ومن الجدير بالذكر أنه روعي في انتخابهم تنوع مناطقهم وتخصصاتهم بما يمنح العملية الفكرية شمولاً أكثر.

فقد سجل الملتقى حاضرت الشخصيات التالية في المواضيع المقابلة لاسمائها:

الشيخ محمد الغزالي (مصر): [illegible] الثقافي [illegible] الغزو الثقافي من العرب والمسلمين.
الدكتور رجاء غارودي (فرنسا): أثر الاتجاهات الفكرية السائدة في العالم المعاصر والثقافة الإسلامية.
الأستاذ مولود قاسم (الجزائر): ماذا أخذت أوروبا علوم الاسلام بلغة المروءة.
الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (سورية): تأملات في معنى الثقافة الاسلامية.
الدكتور عبدالحليم الجندي (مصر): القرآن الكريم وطريقة التفكير المعاصر.
الدكتور عمار الطالبي (الجزائر): الصراع الفكري والمستشرقون.
الدكتور عبدالله التركي (السعودية): حول الغزو الثقافي.
الاستاذ ممركان (السنغال): الآثار الثقافية للاستقلال والتنمية في البلدان.
الدكتور أحمد بن نعمان (الجزائر): الغزو اللغوي: أسبابه ونتائجه ومواجهته.
الدكتور عبدالله كامل كتاني (المغرب): الغزو اللغوي بين الممارسة والرفض والتحدي.
الدكتور الطيب. أ. محمد (نيجيريا): آثار الغزو الثقافي على مناهج التربية والتراث.
الدكتور عبدالرزاق قسوم (الجزائر): الغزو الثقافي في المهجر بواسطة الكتب المدرسية الفرنسية.
الأستاذ محمد المصطفى سي (السنغال): الغزو الثقافي وأثره في التكوين والتربية.
الدكتور عبدالحليم عويس (مصر): الغزو الثقافي في المجال الاعلامي.
الدكتور عبدالهادي التازي (المغرب): الغزو الثقافي من خلال العلوم الاجتماعية.
الشيخ محمد علي التسخيري (ايران): النهوض الفكري في المجال الاعلامي.
الدكتور محمد سيد محمد (مصر): الغزو الثقافي في المجال الاعلامي.
الدكتور أحمد سيد محمد (مصر): الغزو الثقافي في المجال الأدبي.
الأستاذ فهمي هويدي (مصر): الغزو الثقافي في المجال الاعلامي.
الدكتور محمد أركون (فرنسا): مفهوم الغزو الثقافي، ومهمات الفكر الاسلامي.
الدكتور عبدالمجيد مزيان (الجزائر): أمانة التوحيد وأمانة الانسانية في الفكر الاسلامي المعاصر.
الدكتور أحمد عروة (الجزائر): الثقافة الغربية بمعيار الاسلام.
الدكتور عبدالله الاوصيف (تونس): الجهود المبذولة للنهوض الثقافي في مجال الفكر.
الدكتور طه جابر العلواني (أمريكا): وضع منهجية علمية لتقديم المعرفة في اطار اسلامي.

الدكتور جعفر شهيدي (ايران): الجهود المبذولة للنهوض الثقافي في مجال الفكر.
الشيخ حسن عبدالساتر (لبنان): حول الغزو الثقافي.
الدكتور علي مراد (فرنسا): نحو ديناميه إسلامية شاملة.
السيد عبدالرحمن شيبان (الجزائر): كلمتا الافتتاح والاختتام في الموضوع.

ومن الملاحظ هنا حضور جمع غفير من علماء الجزائر، وكذلك حضور عدد كبير من المفكرين المسلمين الأفريقيين، وخصوصاً أساتذة السنغال، الأمر الذي وفّر جواً خاصاً لمؤتمر هذا العام.

ثالثاً: موضوعه المهم. فقد كان هذا العام يركز على (الغزو الثقافي الغربي وموقف المجتمع المعاصر منه) وهو من أهم المواضيع التي يجب أن يكتشف المسلمون جميعاً أبعادها ومساربها، وبالتالي عليهم العمل لنفي كل آثارها من حياتهم اذا أرادوا لأنفسهم نهضة عملاقة غير مثقلة بقيود الكفر والانحراف في الرؤية والعواطف والسلوك.

رابعاً: حضور عدد كبير من الشباب الجزائري المؤمن المنتخب من شتى أنحاء الجزائر، مما يعطي الملتقى كل عام طابعاً خاصاً وحيوية وسعة. والشباب الجزائري يتمتع بخصائص: الطهر الفطري والايمان الواعي والثورية المستمرة والتطلع نحو المعرفة، وهي صفات تؤهله لصنع مستقبله الاسلامي دائماً.

خامساً: التغطية الاعلامية الجيدة من قبل وسائل الاعلام المسموعة والمقروءة. وقد أخبرني البعض بأن التلفزة الجزائرية بثت طول العام مقاطع من الملتقى مما يترك أكبر الأثر في عملية التوعية.

سادساً: طول الملتقى النسبي. فقد طال حوالي ثمانية أيام مما زاد في اثرائه، وكشف عن صبر جيد لتلقي العلم وحل المشكلات.

• • •

نشاطات الوفد الايراني:

هذا وقد كان الوفد الاسلامي الايراني نشطاً ــ كعادته في الملتقيات السابقة ــ الأمر الذي لاحظه جميع الحاضرين. ويمكننا أن نلخص أهم هذه النشاطات بمايلي:

أولاً: إلقاء محاضرتين:

إحداهما بعنوان (النهوض الثقافي في المجال الاعلامي)،

والأخرى تحت عنوان (الجهود المبذولة للنهوض الثقافي في مجال الفكر).

وقد تناولت في محاضرتي (النهوض الثقافي في المجال الاعلامي):

بيان المساحة الثقافية من خلال المنظور الاسلامي، وانها تشمل الجوانب الثلاثة (العقائدية،العاطفية، العملية) وان العدو أدرك الترابط بينها، فراح يقوم بحملة منظمة يهاجم بها المساحات الثلاث. وقد عرضت في المحاضرة مختلف الأساليب الاعلامية التي استخدمها لضرب هذه المساحات الثقافية. وفي الفصل التالي تحدثت عن خطين رئيسين من خطوط المواجهة الاعلامية للغزو الثقافي: (الخط الثوري البناء، والخط الاعلامي السطحي) وبيّنت مزايا كل منها، مبيناً فشل الخط الثاني ورفض الجماهير المسلمة له، بعد ذلك دعوت لتحلي اعلامنا الاسلامي بخصائص الاعلام القرآني - لما للقرآن من اعجاز اعلامي - وذكرت ان الهدف الرئيس لاعلامنا الاسلامي يجب أن يتلخص في تعبيد الأرض لله تعالى وايجاد المجتمع المؤمن، ولكي يتحقق هذا الهدف الرئيس يجب أن تستهدف أهداف مرحلية هي:

أ- العمل على ترشيد إنسانية الانسان.

ب- التوعية بالاسلام عقيدة ومفاهيم وتشريعات.

جـ- التوعية بكل ما يحيط بالأمة من ملابسات.

د- إيجاد الأرضية الصالحة لتطبيق الاسلام.

هـ- تحقيق معالم الفرد والمجتمع المسلم.

ولما كانت هذه الأهداف عظيمة، فإنَّ من اللازم تهيئة العدة الضرورية، وهي:

أولاً- القدرة العلمية والثقافية الى حد استيعاب الاسلام ونظراته.

ثانياً- الاستيعاب اللازم للفهم الاجتماعي العام.

ثالثاً- معرفة أساليب العرض الأمثل.

رابعاً- الايمان العميق الواعي بالاسلام.

خامساً- التخلص من كل تبعية أو ذيلية أو ضيق أفق أو مصلحة شخصية.

سادساً- ملاحظة مدى الأرضية الايمانية المتوفرة في أوساط الأمة المسلمة.

سابعاً- التمتع بالخصائص القرآنية الاعلامية، وقد ذكرت بعضاً منها، وهي:

١- استحضار النظرة الغيبية عند التحليل والتنبؤ.

٢- الموضوعية.

٣- الهدفية في كل خطوة.

٤- التنسيق بين الخطوات.

٥- الواقعية والتفاعل المستمر مع الأحداث الاجتماعية.

٦- المنطقية والبرهنة والابتعاد عن السطحية في العرض.

٧ـ التفاعل الوجداني مع المتلقي.
٨ـ الأخلاقية الاعلامية.
٩ـ تنويع الأساليب الاعلامية.
١٠ـ العالمية في الاهتمام.
١١ـ رصد التحركات التآمرية.
١٢ـ التأكيد على النقاط المشتركة الجامعة.

هذا وقد عرضت محاضرة الأستاذ الدكتور جعفر شهيدي الخطوات الكبرى التي قامت بها الثورة في مجال مواجهة الغزو الثقافي، فقدمت بذلك أروع نموذج للعودة الى الاسلام.

ثانياً: كما قام الوفد باعطاء كثير من التوضيحات ــ من خلال التعقيبات والأجوبة على التعقيبات ــ حول القضايا الكثيرة التي تهم عالمنا الاسلامي اليوم، وها أنا أذكر فيما يلي أهم هذه التوضيحات باختصار.

التوضيح الأول: لاحظنا من خلال أحاديثنا أو من خلال بعض المحاولات التي قام بها بعض المحاضرين، أو التعقيبات ان هناك عملاً حثيثاً من قبل الاستكبار العالمي وأذنابه من خلال استغلال جهل البعض، وتعصب البعض الآخر، وعمالة الآخرين لزرع الفرقة بين المسلمين، وبث الشبهات حول التشيع لأهل البيت عليهم السلام وهم حصن الاسلام الحصين وكهفه المتين؛ ونسبة التهم الكثيرة الى مذهبهم لكي ينفر المسلمون منه، وبالتالي لكي يحققوا ــ كما يتوهمون ــ الفجوة بين جماهير الأمة الاسلامية والثورة الاسلامية المباركة التي هزت قلاع الاستكبار وزلزلت عروش عملائه. هذا بالإضافة لتمزيق الصفوف واحياء النعرات والعصبيات وشل الأمة عن القيام بمسؤوليتها التاريخية التي تعاظمت بنجاح الثورة الاسلامية المباركة بقيادة امام المسلمين الخميني الكبير حفظه الله.

إلا أن كلمة الوفد الاسلامي، وأجوبته التوضيحية حول مسائل من قبيل: (الموقف من الصحابة الاجلاء) و (خرافة تحريف القرآن) و (العصمة) و (بعض الأحكام الفقهية المختلف فيها) قد قلبت الأمر الى العكس، وأوضحت للجميع أن سبيل التفاهم والتقارب والوحدة الاسلامية هو السبيل الأمثل. ولا ننسى هنا الدور الايجابي الذي لعبه حضور شخصيات لامعة عملت من قبل في التقريب من أمثال: الشيخ محمد الغزالي والشيخ عبدالعزيز محمد عيسى والدكتور عبدالحليم الجندي ــ في مجال إفشال خطة التمزيق الآنفة. كما كانت جهود المشرفين على الملتقى وعلى رأسهم السيد الهاشمي مثمرة جداً في البين.

وأخيراً، فمن الجدير بالذكر ان الأستاذ الدكتور معمر كان (أستاذ الدراسات القانونية والتاريخية في السنغال) راح يُنوه بدور مدرسة أهل البيت في عملية صنع الثورة الاسلامية المباركة في ايران.

التوضيح الثاني: وربما كانت الشبهات التي يثيرها الاستكبار حول الثورة الاسلامية وقضاياها وحوادثها وبالخصوص في مسألة الحرب الظالمة التي شنها صدام المجرم ضد نظامها الاسلامي هي الأمور التي واجهتنا في المرحلة التالية، الا أن الموقف هنا كان كسابقه، فبعد قليل من التوضيح واعطاء الخبر والموقف الصحيح كانت الأسارير تتهلل والقلوب تنفرج، وأذكر هنا ان الحرب كانت تأخذ الكثير من وقت المناقشات، وكنا نوضح للأخوة المفكرين والشباب. طبيعة النظام الصدامي الحاكم في العراق المتكونة من قاعدة كافرة تنكر النسب السماوي للاسلام وتعتبره ظاهرة عربية فقط، وتعمل على جعل حزبها الوريث الوحيد لهذه الظاهرة بشتى الأساليب التحريفية، وكذلك وضحنا ما نتج عن هذه القاعدة من عدوانية بغيضة سواء على الشعب العراقي نفسه بتنفيذ خطة ارهابية شاملة لاقتلاع معالم الاسلام من وجوده (ولو كان الاسلام يقتلع بالارهاب لاقتلع من روسيا مثلاً!) وذلك بضرب العلماء والمؤمنين، وحشد المنهج التربوي بالأفكار المنحرفة، وتغيير أسماء المدن، وبث الخلاعة، ومحاربة الطقوس الدينية، وغير ذلك.

وكان مما وضحناه من طبيعة نظام البعث الحاكم في العراق عدم التزامه بأي معاهدة دولية مهما كانت، سواء كانت في مجال عدم استخدام الأسلحة الكيمياوية، أو عدم ضرب المفاعلات النووية، أو عدم الاعتداء على الطيران المدني، أو غير ذلك.

كما أوضحنا المحاولات الفاشلة التي قامت بها الرجعية للاستدلال بآية الاصلاح في القرآن لايقاف الانتصار الرائع ومحوه، مؤكدين أنها من أول الأمر لا تشمل هذا المورد، وانما الذي يشمله حكم الافساد في الأرض، ولا جزاء له الا المحو والقضاء على الفتنة أينما كانت.

إلا أن أغرب ما سمعناه هو التساؤل الذي طرح من قبل بعض الأساتذة الأجلاء حول مدى صحة استخدام لفظ الثورة الاسلامية وحول ضرورة بعث الحماس الثوري واستعجال الشيء قبل أوانه، معتبراً الثورة منحصرة في مفهوم السعي لتغيير نظام ما طفرة وقسراً كالثورة البريطانية، والفرنسية، في حين ان الاسلام يؤكد على التغيير بالموعظة الحسنة. وأخيراً قبل الأستاذ الكريم أن نسمّي العمل على نفي الاستكبار في داخل النفس الانسانية ثورة.

وقد ذكرت في جواب الأستاذ اننا نعني بالثورة، عملية التغيير الثوري الشامل دونما اهمال للتغييرات الاصلاحية، وذلك كله على طريق التكامل الانساني، فكل عمل في هذا

الانتظار هو عمل ثوري أصيل، ولا يعني هذا أنها من السلبيات التي ذكرها الاستاذ، كالاعتبار الآخر بالتغيير الآلي، وعدم الوعي في التحرك، ومحاولة فرض النظام على الأمة فرضاً، فكل هذا لم يحدث لا في الثورة الاسلامية الكبرى بقيادة الثائر الانساني الأول رسول الله(ص) ولا في الثورة الاسلامية المباركة في ايران والتي ترسمت خطى الثورة الأولى وعملت على احياء ايران بناءً من جديد.

نعم ؛ ربما وجدنا استخداماً لهذه اللفظة في تطبيقات منحرفة كاطلاقها على الانقلابات العسكرية، أو حتى التحولات الكبرى كما في ثورة اكتوبر، فلك اننا لا نستطيع تسميتها بالتغيير الثوري باعتبار انها انتقلت بالمجتمعات من وهدة مادية الى وهدة مادية أخرى لا غير.

وقد ذكرتُ في سياق هذا المعنى ان الاسلام كله ثورة على طريق التكامل: تغيير المحور كما تتناول الجوانب الانسانية كلها، ونحن لا ندري كيف يصح تسمية العمل ضد الاستكبار النفسي ثورة ولا يمكن تسمية العمل ضد الاستكبار الاجتماعي ثورة؟!

إن الثورة لا تعني عدم الاعداد، كيف وان التغيير الشامل يحتاج الى خطوات مقدمية كثيرة. كما لا تعني عدم الحكمة، بل ان الحكمة تتخذ لها مصداقها الأقوى في عملية الاعداد الثوري. كما لا تعني استعجال الموقف، وانما تعني رصد الفرص التي تحصل، واستثمارها خير استثمار.

وإذا كنا نخشى من انبعاث الحماس الزائد في نفوس الشباب مما يؤدي لنسيان الحكمة أحياناً، فإنّ أخشى ما نخشاه أن يموت الحماس في هذه الأمة وفي جماهيرها الشابة، وحينئذ تصبح كأهل الكوفة الذين كانوا يعلمون ان الامام الحسين ــ عليه السلام ــ كان يقف في قمة الحق وان يزيد كان يمثل الباطل المجسد، إلا أنهم كانوا يفقدون الحماس المطلوب، فكانوا كما عبّر الفرزدق حين سأله الامام الحسين(ع) عن وضعهم، فأجاب (قلوبهم معك وسيوفهم عليك) وهي تجزيئية فظيعة ان تتجه الأيدي بسيوفها ضد القلوب بكل ما لها من خصائص.

وأخيراً؛ أشرت الى التغييرات الكبرى التي أحدثتها الثورة الاسلامية المباركة على الأصعدة الثقافية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها.

وبهذا الجواب المختصر رددت على مانشر في إحدى المجلات الباريسية للأستاذ البروفيسور محمد أركون أستاذ الدراسات الاسلامية! في جامعة السوربون بباريس، حيث حصر مفهوم الثورة الاسلامية بانطلاقة الاسلام الأولى، وبخل بهذا الاسم أن يطلقه على الثورة المباركة في ايران. وقد ناقشته شخصياً، وسألته عن معاييره في هذا الادعاء، وأثبت له انطباقها تمام الانطباق على

الخطوات الكبرى التي خطتها في ايران فأعلن أنه بعد هذا يتراجع كل التراجع عن رأيه السابق.

ومن الجدير بالذكر بعد هذا أن أنقل للقراء الأعزة هذا الشوق العظيم الذي لاحظته لدى الشباب الجزائري المسلم تجاه الثورة الاسلامية وقائدها العظيم، وهذا التقدير الكبير الذي كان المفكرون يبدونه للخطوات الكبرى التي خطتها الثورة على مختلف الأصعدة.

وأذكر في هذا الصدد أن أستاذاً كريماً من السنغال كان يستشهد بحديثه ضد (اسرائيل) بعبارة مشهورة للإمام القائد إذ قال ما مضمونه: لو أن كل فرد من المسلمين حمل سطلاً من الماء وألقاه على (اسرائيل) لجرفها السيل العارم.

وان الأستاذ الدكتور الطيب .أ. محمد (أستاذ قسم البحوث الاسلامية في نيجيريا) استعرض في كلمته مفاهيم الثورة الاسلامية المباركة في مجال العبادات والحج، داعياً لوعي هذه المفاهيم وإنزالها الى واقع التطبيق:

وان أستاذاً جزائرياً معروفاً تحدث عن دورالثورة الاسلامية في النهوض بالمستوى الثقافي والحماسي لدى المسلمين في أوروبا.

وأخيراً، فقد تعرض أساتذة آخرون لجوانب أخرى من الثورة الاسلامية، مما أوجد القناعة التامة بأن كل المحاولات الاستكبارية والعميلة لتشويه صورة الثورة المباركة قد باءت وتبوء بالفشل الذريع بفضل الله ورحمته.

وان نذر الثورة الاسلامية العالمية تبدو في كل مكان ضد الاستكبار العالمي وضد كل عملائه الذين كبلوا الأمة الاسلامية في كل مكان لإعاقتها عن النهوض بأجنحتها القوية وصنع الغدالأفضل... وقد كان بعض المفكرين يذكرون هذابكل شوق، و يدورالحديث حول بوادر النهوض الاسلامي في مصر والسودان التي أطاحت بالنميري، و باكستان وتركية وجنوب شرق آسيا ولبنان وفي كل مكان من أنحاء العالم رغم كل العقبات والتشوهات.

ولقد هزتني كلمة قالها مفكر موريتاني حين ذكر ان المسلمين كانوا قبل نجاح الثورة قد لايجرؤون على اظهار اسلامهم، وها هم اليوم يسيرون مرفوعي الرأس بالاسلام.

التوضيح الثالث: من المعلوم ان الانحراف والفساد الأخلاقي شكّل أحد أهم المنافذ التي تسرب الينا منها النفوذ الثقافي الغربي، فراح يقتل شخصية الفرد والمجتمع المسلم ويحللها و يسلبها وعيها ويهدد طاقاتها.

وقد تحدثت باختصار عن هذا المعنى في محاضرتي، كما أعطيت بعض التوضيحات عن

النماذج اللاخلقية التي كان الشاه يزرعها في الشعب الايراني نيابة عن الاستكبار العالمي، وركزت بالخصوص على ملتقيات الشباب التي كانت تحمل شعارات براقة في حين لم تكن تهدف إلا الى تمييعهم وتدريبهم على خيانة أمتهم والغرق في متاهات الجنس والتحلل، وكذلك ذكرت الخطوات الرائعة التي اعتمدتها الثورة الاسلامية لمحو آثار التحلل الأخلاقي وخصوصاً استمدادها من الشعب وتعاونه معها في هذا العمل، وذكرت بأن على كل الأقطار الاسلامية أينما كانت أن تشن حملة ضد المفاسد الأخلاقية (الخمر، القمار، الميوعة والتبرج، الغناء الخليع وما الى ذلك) وان تستثمر الأرضية الايمانية لدى الأمة فتستفيد من طاقاتها وطبيعتها الاسلامية لمحو المفاسد، وذكرت بأن الشعب مستعد للتخلي عن مسكنه ليوفر نظام التعليم غير المختلط وعن مكاسبه المادية ليمنع البلاجات الخليعة، وعن شيء من مصادره المالية ليمنع الخمر و بيعها. وقد رأينا ذلك ينعكس على بعض التوصيات من قبيل:

أ ـ ما جاء في مقدمة توصيات اللجنة الأولى من نجاح أعداء الاسلام في احكام سيطرتهم على مرافق حياتنا وفي تقديم الأغذية الفاسدة لعقولنا في التلفاز والاذاعة والصحافة ومناهج التعليم ومجالات الأدب والفن والتربية.

ب ـ جاء في توصيات اللجنة الأولى لزوم التخطيط لتفادي آثار البث التلفازي القادم بالأقمار الصناعية والعمل على منع أخطاره على المسلمين، ومراعاة استغلال القمر الصناعي العربي الاستغلال الأمثل الذي يعمّق قيم الاسلام في النفوس و يوحد الخط الفكري والحضاري للأمة الاسلامية والعربية.

جـ ـ جاء في توصيات اللجنة الثانية: يوصي الملتقى أبناء الأمة الاسلامية علماء ومسؤولين، أفراداً وجماعات، بالعمل الجاد على مكافحة المنكر وتطهير البيئة الاجتماعية مما يتنافى ومبادئ الدين الاسلامي الحنيف.

إلاّ أن الذي آلمنا كثيراً أن نجد بعض المظاهر التي تتنافى وهذا التوجه، فقد صدرت اعلانات في مدينة بجاية عن إقامة عروض فنية ساهرة! بمناسبة الملتقى التاسع عشر، كما اختتم الملتقى بنشيد أداه بعض الطلبة والطالبات بشكل يتنافى والحشمة الاسلامية، كما رأينا نظير ذلك بل وأشد منه في بعض الاحتفالات الرسمية، إلا ان الذي آلمنا بشدة أن يواجه أحد المسؤولين عن الثقافة اشكالات الطلبة الجزائريين عليه بوجود أفلام خليعة في وسائل الاعلام بأجوبة تتنافى والذوق الاسلامي السليم، معللاً ذلك بعلل اقتصادية مثلاً!! أو بوجود أمثال ذلك في شوارع بيروت والقاهرة؟!

إننا نقول هذا من باب حب الخير للأقطار الاسلامية ومسؤوليها، داعين اياهم للعمل

[illegible] العالم الاسلامي من هذه الآفات.

هذا وقد اقترح [illegible] بعض المسؤولين [illegible] عملية الأسلمة بالتدريج ما ترجوه [illegible]

[illegible]

التوضيحات الأخرى:

وقد قدم الوفد بعد هذا توضيحات مفصلة حول مسألة نظرية الفطرة وضرورة معرفتها وموقف الاسلام منها، وكذلك حول لزوم الوقوف بوجه المحاولات القومية لنزع الصفة الاسلامية عن المفكرين ونسبتهم الى العروبة أو الى أية قومية أخرى.

كما كان هناك تعقيب على محاضرة الأستاذ الكبير الدكتور عبد الحليم الجندي، أكدت فيه على لزوم الدراسات الفلسفية الاسلامية ــ بعد أن ذكر عدم ضرورتها ــ ووضحت الدور الذي تلعبه في تأصيل العقيدة والدفاع عنها.

* * *

ثالثاً: أما النشاط الثالث للوفد الاسلامي فقد تمثل في اللقاءات المستمرة بالمفكرين من شتى أنحاء العالم، وعقد ندوات وجلسات مطولة معهم، ومناقشة القضايا الفكرية والسياسية، وخصوصاً ما ينطرح أحياناً في أجهزة الاعلام من شبهات. ولقد كانت هذه الجلسات مثمرة حقاً.

وكذلك اللقاءات التي تمت مع الشباب الجزائري المسلم رغم أنها كانت محدودة للانشغالات والموانع التي منعت من ذلك.

رابعاً: تمت لقاءات اذاعية وتلفزيونية وصحفية لابأس بها، فقد كانت هناك مقابلة مع اذاعة الجزائر، وأخرى مع صحيفة الشعب الجزائرية وثالثة مع صحيفة العصر، كما سجلت مقابلة مطولة مع التلفزيون الموريتاني دامت ساعة وربع الساعة. وكانت هناك مقابلات صحفية أيضاً مع مندوب مجلة العالم ومندوب مجلة الطليعة الاسلامية اللتين تصدران في لندن. وكذلك تمت لقاءات مع بعض الناشرين في باريس.

خامساً: اشترك الوفد اشتراكاً فعالاً في لجنتين من لجان التوصيات الثلاث، وقدّم مقترحات جيدة أخذت بمجموعها بعين الاعتبار، ونستطيع أن نذكر منها اقتراحات حول: اعلان الحرب ضد المنكرات في العالم الاسلامي، ضرورة تقديم الأطروحات التي ينظم الاسلام بها الحياة الانسانية، لزوم التقليل من الأخطار الثقافية للقمر الصناعي العربي، ضرورة اعطاء الحرية الكافية لمبادلة المطبوعات بين الأقطار الاسلامية.

لقطات عابرة من المؤتمر

١ـ اتسم الملتقى هذا العام بطابع الاستضافة السياسية أكثر من ذي قبل، ولسنا نمانع في ذلك شريطة أن لا يخرج عن الحد المطلوب، ولذلك فاني اعتبر حضور ياسر عرفات خصيصاً لهذا الملتقى وما رافق ذلك من تشريفات وما قام به هو من حركات استعراضية والقاء كلام فيه الكثير من الوهن ولمدة ساعة تقريباً أمام المفكرين والعلماء، اعتبر ذلك على الأقل مخرجاً للمؤتمر عن اطاره العلمي الصحيح.

وقد حاول عرفات أن يظهر نفسه هنا بمظهر الثوري المثابر الذي لا يلين، معرضاً عن كل المحاولات الاستسلامية اليائسة، وأساليب الارتماء في أحضان صدام والملك حسين ومبارك وغيرهم من قادة الاستسلام للعدو ومن فرسان المشاريع الأمريكية وفي طليعتها (كامب ديفيد).

كما حاول القول بأنه لا يرضى للثورة الفلسطينية أن تفقد صفتها الاسلامية الخالصة، متناسياً كل أحاديثه عن الدولة العلمانية وكل ارتمائه في أحضان الفلسفات الملحدة وكل ابتعاده عن منطق الاسلام الأصيل في الوقوف التضحوي الكامل أمام الغزو الكافر.

كما حاول أن يرجع فكرة انشاء الكيان الصهيوني الغاصب للقدس الى حملة نابليون لا الى وعد بلفور، الأمر الذي دعى الأستاذ الشيخ الغزالي ليرد عليه في اليوم التالي بأن الأمر أبعد من ذلك كما توضحه الوثائق المعتبرة.

٢ـ استمعنا في الملتقى وبشيء من الشوق الى أحاديث جيدة عن الدور الذي لعبه التصوف في انتشار الاسلام في أفريقيا. ورغم انه قد اقترنت بالتصوف أحياناً بعض المظاهر غير الاسلامية الا أن الصحيح هو العمل على التوجيه دون الانتقاد المر الذي وجهه أحد الأساتذة من خلال طبيعته الوهابية الجافة والمركزة على القضايا الجزئية معتبرة اياها كل المشكلة في حياتنا الاسلامية العامة.

٣ـ تحدث الى المؤتمر الدكتور ابراهيم خليل أحمد وهو استاذ في الأزهر الشريف، وكان قسيساً نصرانياً هداه الله الى الاسلام، وكان مما قاله التأكيد على النصارى باعتبارهم أقرب الناس للذين آمنوا والبدء بهم، إلا ان هذه الفكرة واجهت اعتراضاً من المفكرين وخصوصاً الشيخ الغزالي بعد ملاحظة الدور الماكر الذي لعبته وتلعبه النصرانية في ضرب الاسلام والتآمر على وجوده، أما الآية الكريمة فهي تتحدث عن نصارى أسلموا وهو ما يبدو بوضوح عند ملاحظة السياق:

«لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴿﴾ وإذا سمعوا ما أنزل الى

الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين».
(المائدة: ٨٢ــ٨٣)

والذي يبدو أن الآية تنظر للمذاهب التي واجهت الرسول(ص) فتذم اليهود والمشركين وتجعل النصارى أقرب الى المسلمين، ملاحظة فيهم وجود الزهاد والرهبان أي وجود نفحات روحية مما يمنعهم بطبيعته عن الاستكبار، وميلهم العاطفي للقرب من الاسلام الأمر الذي يؤدي بهم الى الهداية.

أما النصارى الذين تلوهم، وأما ما قام به الغرب فهم في الواقع قد ابتعدوا عن أصل دينهم كل البعد، بل وهم يستغلون هذا الدين لمآرب شخصية استكبارية خبيثة وهذا مالا يمكن تحميله على النصارى الزاهدين في عصره(ص).

٤ــ استمتعنا في الملتقى بمقالات جيدة، أذكر منها تحقيق الاستاذ قسوم عن التحريف الغريب للاسلام في الكتب المدرسية الفرنسية، والتخريب اللغوي للدكتور نعمان، وغيرها مما أعطى المؤتمر ثراءً جيداً.

٥ــ نقل الشيخ البوطي عن (لورانس العرب) القائد الانكليزي العميل الذي عمل هو ومجموعة من جواسيس الانكليز من قبيل (جون فيلبي) الذي أشهر اسلامه كذباً وتسمى بـ عبدالله فيلبي وشارك في تغييرات سياسية كبرى في المنطقة، وكذلك السيد(كوكس)،عملوا جميعاً على تنفيذ السياسة البريطانية الاستعمارية، نقل عنه قوله في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة): «إنني لفخور الآن بهذه الحرب التي وضعت أوزارها دون أن تراق فيها قطرة دم انكليزية» و هو يشير الى الاستغلال الانكليزي للقومية العربية وللعملاء الفكريين لتمزيق الخلافة العثمانية وتشتيت الأمة وتحقيق المآرب الكافرة.

٦ــ ألقى الأخ مولود قاسم كلمة جامعة جيدة حدثتنا عن (بجاية) وتاريخها الجهادي الاسلامي الرائع، ودورها في تصدير الوعي والحضارة الى أوروبا، وجهد علمائها في خضم الثورة الاسلامية في الجزائر، ومؤتمرات الصومال وغيرذلك، أثلج الصدور وعرفنا بتاريخ لم نكن نعرف تفصيلاته.

٧ــ انتقد الاستاذ عبدالهادي التازي ــوهو باحث قدير من المغربــ استعمال المسلمين لمصطلحات غربية وذلك من قبيل تسمية العصور المظلمة لأوروبا بالعصر الوسيط مع انه كان بالنسبة لنا عصر التقدم العلمي الاسلامي والتوسع في المجالات السياسية.

٨ــ انتقد بعض المتحدثين في المؤتمر ما نشرته الصحف عن البرامج اللاإسلامية لملتقى الشباب ورأى في ذلك انحرافاً صريحاً عن الاسلام. وقد أكدتُ ذلك عذراً من مثل هذه البرامج

يشكل مصدراً من مصادر الغزو الثقافي الغربي.

٩ـ ذكر لي الملحق ان الاستعمار الفرنسي كان يصرح بأنه (اذا أردنا أن نهزم الجزائر ــالجزائريات ــ فعلينا أن ننفذ الى النساء من وراء الملاءات) ولابد أنهم يريدون العمل على شل جهاد المرأة المجاهدة، وتمييعها ليتسنى لهم تنفيذ مآربهم.

١٠ـ قمنا بزيارة قصة حي القصبة، وهو الحي الفريد في طراز بنائه، ويوجد أمثاله في مختلف المدن الجزائرية، ولهذا الحي تاريخ رائع في جهاده ضد المستعمرين الغاصبين، وأبناؤه يحملون في قلوبهم حب الإمام الخميني القائد، وقد لاحظنا البعض منهم يعلق صورته علامة على ذلك.

١١ـ حدثني أحد المفكرين الجزائريين عن حادثة رائعة أثرت في نفسه كثيراً حينما كان يزور طهران مشاركاً في أحد الاحتفالات الثورية، فقال: (بعد منتصف إحدى الليالي احتجت للذهاب الى غرفة زميلي من الوفد الجزائري، ففتحت باب غرفتي في الفندق وسرت في البهو واذا بي أشاهد الحارس الثوري وقد فرش سجادته وراح يؤدي صلاة الليل بكل خشوع).

١٢ـ تحدث لي مفتي إحدى دول شمال أفريقيا عن الخصائص الرائعة التي تتمتع بها الجامعات العلمية الدينية في ايران حيث انها تعتمد الاستقلال السياسي والمالي نظراً لمواردها من الخمس والزكاة، وقد أكملت حديثه بعرض مسألة الاجتهاد والتقليد التي تربط الناس بشكل مباشر بالمرجع بعلاقة إلهية لا تنفصم.

١٣ـ حذر أحد المفكرين السعوديين من تعظيم الهجوم الثقافي الغربي وتضخيمه وادعى انه لايملك هذا الحجم الذي يتحدث به عنه إلا أن هذا الأمر وقع موقع الرفض من مفكرين جزائريين وغيرهم حيث أثبتوا بالأرقام سعة الهجوم الثقافي وقوة مراكز الرصد الاستعماري واعتبروا هذا التهوين أمراً يجب الحذر منه.

١٤ـ لاحظنا ان هناك ضغطاً وهابياً واسعاً على مختلف الأقطار الاسلامية ومن جملتها الجزائر، إلا ان كل المحاولات تبوء بالفشل نتيجة الجمود الوهابي ومعرفة الشعوب الاسلامية بحقيقة اتجاهاته المركزة على المسائل الجزئية غافلة عن القضايا الكبرى وكذلك حقيقة اتجاهاته السياسية الاستسلامية للهجوم الغربي في مختلف المجالات.

التوصيات:

وفي ختام جلسات المؤتمر تليت التوصيات التي أعدتها لجان ثلاث شكلت لهذا الغرض. ونظراً لأهمية تلك التوصيات فقد نشرناها كاملة ●

توصيات

الملتقى التاسع عشر للفكر الاسلامي

الذي انعقد في الفترة ما بين (١٩ــ٢٧) شوال ١٤٠٥ هـ

شكّل الملتقى ثلاث لجان للتوصيات، وقد أصدرت هذه اللجان التوصيات التالية:

* توصيات اللجنة الأولى *

أ ــ الديباجة:

ــ لقد اجتمعت اللجنة الأولى المنبثقة عن ملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر ببجاية الجزائر، والذي يدرس موضوع «الغزو الثقافي والمجتمع الإسلامي المعاصر».

ــ وفي ضوء النقطة المحددة للجنة، وهي النقطة التي تدور حول تحليل وضعية الغزو الثقافي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، سواء ما يتعلق بأساليب الغزو الثقافي وآثاره، أم ما يتعلق بعوامل الغزو الثقافي الداخلية والخارجية،

في ضوء هذه النقطة الأساسية،

انتهت اللجنة الى أن موضوع «الغزو الثقافي» من أخطر الموضوعات المصيرية، وأنه إنما كان نتيجة لتلك الكبوة التي أصابت المسلمين في تاريخهم الأخير. لقد كانت الكبوة شديدة، وقد ألحقت بالمسلمين هزائم سياسية وعسكرية، بعيدة المدى.. ومع ذلك فإنّ القوى المعادية للإسلام كانت تعلم

من [illegible] أن المسلمين قد فقدوا [illegible]
[illegible] وأهملوا [illegible] الأول... ومن أجل ذلك [illegible] الماكرون أن يحولوا الهزائم العسكرية الى هزائم ثقافية، تلبس شخصيتهم، وتسحق تراثهم، وتسلخهم من معالمهم، وتأتي على معاقلهم. واتجه هذا الغزو المرسوم بأناة الى كل شيء ذي بال في الحياة الخاصة والعامة فنال منه أو سخره لغرضه، وصادف ذلك الغزو أو مهّد له التفوق العلمي الذي وصله أعداء الإسلام والتقدم الصناعي الذي أحرزوا منه قدراً كبيراً. وكان حاضر المسلمين المادي والأدبي من الهوان بحيث مضى الغزو الثقافي في طريقه يكسب مواقع مهمة، ويكاد يطوي أمجاد المسلمين كلها، ويجعلها أثراً بعد عين.

ب ــ الظروف والأساليب التي مكّنت الغزو الثقافي:

وترى اللجنة أنه بصدد الظروف التي هيأت لهذه الوضعية الممكنة للغزو الثقافي والوسائل والذرائع التي اتكأ عليها هذا الوضع ــ يمكن تقديم العناصر التوضيحية التالية:

أولاً: ان الغزو الثقافي (نتيجة) لعوامل متعددة داخلية وليس سبباً بالدرجة الأولى، وإنما امتد هذا الغزو ولاسيما بعد قرون الاحتلال العسكري الأوروبي ليصبح (سبباً ونتيجة) لكثير من مظاهر تخلفنا العلمي... وعليه فانه يجب الاعتماد في تحليل واقعنا وعلاجه على مقاومة الأسباب الداخلية الرئيسية التي أعطت للغزو فرصة اختراق الكيان الاسلامي واضعافه وأخضعت المسلمين لنزعة (ضعف الثقة) التي تؤدي الى تقليد الغالب .

ثانياً: انّ من أبرز العوامل الداخلية الرئيسية التي مكنت للغزو وخضوع العالم الإسلامي بفعل رواسب مختلفة لنوع من الاستبداد، لم يقف عند حدود الحكم، وانما رشح الى كل المرافق العلمية والاجتماعية، وظاهره نوع من القهر الثقافي.. فأديا معاً الى انحسار ملكات الفكر والابداع، ومن شل حياتنا الثقافية والاجتماعية.. فتمكن الغزو الثقافي من الامتداد في فراغ.

ثالثاً: ومن الأسباب الرئيسية: انحسار مفهوم الاسلام في نفوس المسلمين، فأصبح الاسلام وكأنه مجرد فكر وتراث حضاري عند بعضهم، أودين لا دولة عند آخرين، أو مجرد عبادات عند طرف ثالث.. وانحسر المفهوم الإسلامي للكون والحياة، وتعطل عقل المسلم ووقف عند بعض الشروح والهوامش أو عند بعض الدراسات النظرية والكلامية على حساب العلوم الكونية، وضعف التنظير العلمي من طرف العلماء المسلمين، واشتغل الكثيرون بالقشور وندر البحث العلمي الميداني، وكانت لنتيجة سيطرة النظريات الغربية في مجال العلوم الانسانية، مما أفسد عقل المسلم، وأحدث فيه صوراً ن الخلل لاعلاج لها الا بوجود بديل إسلامي تنظيري أصيل.

[illegible]

خامساً: [illegible] على [illegible] تشجيع الأنشطة الثقافية [illegible] والصحافة وبرامج العلم ومجلات الأدب والفن والترفيه والتكنولوجيا والثقافة، ولم يكن لدى أصحاب الاتجاه الإسلامي القدرة على تقديم البديل الإسلامي في هذه المجالات [illegible] بديلة هنا أو برنامج هناك [illegible] بعض المحاولات التي [illegible] ما زالت عاجزة عن تقديم البديل الكافي.

سادساً: ومن العوامل أيضاً: إهمال المسلمين للطفولة المسلمة، بنين وبنات، وتركوها للغزو الثقافي الذي قدّم لها القصص المجلة المصورة ووسائل الترفيه الحديثة والأغنية والتمثيليات وأفلام الأطفال، واكتسح الغزو بهذه الوسائل العقول الغضة، وفقد التعليم القرآني دوره، كما فقدت التربية الإسلامية مكانتها في هذه المرحلة الخطيرة من العمر، مما يوجب العناية ــ في مجال تربية الناشئة ــ بالمنهج الاسلامي، والرد علمياً على برامج اكتساح العقول منذ مرحلة الطفولة.

سابعاً: ولقد ساعد الغزو الثقافي على انجاح تلك البعثات العلمية التي ذهبت الى الكتلة الغربية أو الشرقية دون حصانة أو تربية إسلامية لأكثر أفرادها، وللأسف تخصص معظمها في علوم إسلامية عربية والثانية تمثل جزءاً من كياننا لا يمكن استيرادها، وفي المقابل أهمل المسلمون توجيه الشريحة الوجهة المعينة تعريفاً من هذه البعثات، فلم يخرجوا في الأغلب إلا القليل مما يوجب إعادة النظر في قضية البعثات والتربية حتى يتحول عطاء الرافدين العامل بناء لأمتهم.

جـ ــ طرق المواجهة:

في ضوء هذا التحليل للغزو وعناصره التي [illegible] الغزو الثقافي في [illegible] ما يلي:

أولاً: [illegible]

[illegible]

والاجتماعية، ومقاومة سيطرة اليهود والنصارى والالحاد على هذه العلوم الانسانية الأساسية.

ثانياً: ايجاد البديل الصالح في مجالات الفنون والآداب عن طريق انشاء مؤسسات إعلامية فنية تحت إشراف متخصصين مسلمين ثقات، وذلك بالمواكبة مع خطة إعلامية لبناء الفرد المسلم ومقاومة الغزو الثقافي تعتمد على تكوين إطارات إسلامية تجمع بين التخصص الدقيق والثقافة الإسلامية، وحبذا القيام بدورات إسلامية للقائمين حالياً على المجالات الاعلامية والفنية.

ثالثاً: مقاومة نزعة الاستيراد الصناعي والزراعي على أساس إشاعة المفهوم الإسلامي الذي يقضي بفرضية علوم الكون والحياة على مجموع المسلمين، وتحريم الاستيراد إلا في الضرورات.

رابعاً: ضرورة تأصيل البحوث التاريخية الدينية والأدبية، وتفنيد ما يمكن أن يرد في مصادرها مخالفاً للاسلام، والعمل على إنشاء مؤسسة إسلامية مستقلة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي، وتبني وجهة النظر الإسلامية في تفسير التاريخ.

خامساً: التحري في اختيار الأساتذة الأجانب عند الحاجة الملحة لهم، وتنقية الجامعات من غير المسلمين الذين يقومون بتدريس العلوم الانسانية، والالتزام في اختيار الأساتذة بالانتماء للدين الأمة وحضارتها، وترى من الغزو الثقافي أن يقوم بعض النصارى بتدريس العلوم الإسلامية والتاريخ الاسلامي في بعض الجامعات الإسلامية، وهي تدعو الى تصحيح هذا الوضع.

سادساً: إنشاء مراكز ومكاتب لمتابعة ما ينشر عن الإسلام باللغات الأوروبية لتبني الجيد منها، ومقاومة الفاسد، وإنشاء بنوك معلومات عن المسلمين، وإرسال بعثات ميدانية لمعرفة ما ينشر وتقديم ما يصوبه.

سابعاً: إنشاء منظمة إسلامية للحضارة الإسلامية تتولى برمجة النشاطات في الدول الاسلامية والتنسيق بينها، وتنقيتها من التعارض والتضارب.

ثامناً: العمل على إعداد دعاة يجمعون بين الثقافة الاسلامية وغيرها، مع الالتزام بالسلوك الاسلامي، واتقان لغة أجنبية، والعمل أيضاً على وضع خطة للترجمة يكون هدفها التركيز على ترجمة العلوم العملية والتدقيق في اختيار الصالح من غيره مع ضرورة حصر البعثات في الجوانب العملية.

تاسعاً: إستنقاذ المرأة المسلمة من الغزو التبشيري، وقبل ذلك من التقاليد الدخيلة التي تقوم على تجهيل المرأة ونسيان دورها في تكوين المجتمع وترشيد الناشئة.

عاشراً: جعل الفقه الإسلامي مصدراً للتشريع في جميع مجالاته الجنائية والادارية والدستورية، إذ لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها.

حادي عشر: التخطيط لتفادي آثار البث التلفازي القادم بالأقمار الصناعية والعمل على منع أخطاره على المسلمين، ومراعاة استغلال القمر الصناعي العربي الاستغلال الأمثل الذي يحقق قيم

• توصيات اللجنة الثانية •

إجتمعت اللجنة الثانية المنبثقة عن الملتقى التاسع عشر للفكر الاسلامي بتاريخ ٢٦ شوال ١٤٠٥ هـ الموافق لـ(١٥ تموز ١٩٨٥ م)، وبعد استعراض اللجنة المحاضرات والدراسات المقدمة في نطاق المحور الثاني من محاور الملتقى، الخاصة بالبوطن الثقافي، واستماعها الى مناقشات الأساتذة وتعقيباتهم وآرائهم في الفقرات التفصيلية لهذا المحور لاحظت اللجنة أن ما تعرضت له أمتنا الاسلامية من خلال الغزو الثقافي كان أمراً شرساً في الجوانب التي تناولها. فلقد تسرب الغزو الاستعماري الى فكر أمتنا وحارب لغة القرآن في محاولة لتحرير قيمنا التربوية، وأنكر علينا قيم فنوننا وآدابنا، وسعى لتحريف تاريخنا مستغلاً وسائل الاعلام ومنتجات العصر لتحقيق أهدافه، و بث في حياتنا اليومية ضروباً من القيم المنافية لعقيدتنا وأحكام ديننا،وأوجد فصاماً نكداً بيننا و بين القيم التي قام عليها كيان أمتنا الاسلامية.

و بعد أن حصلت أجزاء كثيرة من عالمنا الاسلامي على استقلالها السياسي وتحررها من الاحتلال، عملت جاهدة على التخلص من تلك الآثار التي خلفها الاستعمار في سائر جوانب حياة الأمة، فحالفها النجاح حيناً وخالفها حيناً آخر.

كما لوحظ وجود فراغ فكري وثقافي تغلغل من خلاله الغزو الفكري والثقافي الى مجتمعاتنا الاسلامية مما أدى الى فتور في الحمية الدينية لدى الكثير من أبناء الأمة الاسلامية.

ففي مجال الفكر، لوحظ أن الأمة الاسلامية قد ابتليت منذ أمد طويل بمعالم أزمة حادة أدت الى ضعف الرؤية السليمة والنقص في العطاء الفكري ووسائل توصيله والعجز عن حسن التعاون مع مصادر الاسلام الأصلية، وخلو مناهج التربية والتكوين في كثير من عناصر تكوين الشخصية الاسلامية، كما عجزت الآداب والفنون المفروضة على أمتنا عن عكس القيم الجمالية للأمة وإبراز شخصيتها الحضارية، وفي الوقت نفسه فقد قدم تاريخ هذه الأمة للأجيال الصاعدة بأقلام معادية حاولت تحريف وقائعه وتشويه أحداثه وتزوير الكثير من حقائقه.

وأما في مجال الترجمة، فقد ظهر نقص واضح في الترجمة من لغة القرآن الى اللغات الأخرى لابراز حضارة الأمة و إطلاع الشعوب عليها، مما جعل طائفة واسعة من الأمم الأخرى تجهل الكثير عن الاسلام وعقيدته وأمجاده، وتتلقى ذلك كله بشكل غير أمين.

وفي مجال التعريب، لايسعنا الا أن نتوجه بكثير من التقدير الى الجزائر حكومةً وشعباً على جهودها المتواصلة في هذا المضمار منوهين بتلك الجهود التي أثمرت بحمد الله هذه الثمار اليانعة فأعادت لشعب الجزائر لغة القرآن ومعالم شخصيته الأصيلة في فترة قياسية من الزمن.

ومن جهة أخرى، لاحظت اللجنة شيئاً من التقصير الرسمي في كثير من البلاد الاسلامية في خدمة لغة القرآن عند الشعوب الاسلامية غير العربية والأقليات المسلمة في أماكن الاغتراب مما أدى الى انحسار اللغة العربية وانكماشها، فشاعت في فترة من الزمن الدعوة الى العامية وإهمال الفصحى، ثم توقفت حركة الحياة والاشتقاق في هذه اللغة حين أهملت كلفة نقل للحضارة وأشيعت بدلاً منها المصطلحات الأجنبية المترجمة التي أدت الى تغيير كثير من المفاهيم الاسلامية في عقول المثقفين وإبعادهم عن معرفة حقائق الاسلام من مصادره الأصلية والتعامل معها بشكل سليم.

كما لاحظت اللجنة أن أجهزة الاعلام في البلاد الاسلامية مااستطاعت أن تؤدي الدور الايجابي المأمول منها في حياة هذه الأمة، بل أصبحت في الكثير الغالب من أهم وسائل الغزو الثقافي والتدمير الفكري والأخلاقي،في وقت تشرف البشرية فيه على مرحلة شديدة الخطورة على تربية الأجيال الصاعدة وهي مرحلة نقل المواد الاعلامية عبر الأقمار الصناعية.

وبناءً على هذا، وعملاً على استعادة خصائص الأمة الاسلامية، وتحقيقاً لوحدة التحرك الاسلامي العام، فإنَّ اللجنة توصي بما يلي:

١ ــ العمل على جعل الفكر الاسلامي الفكر السائد في بلاد المسلمين، وتحويله الى منبع ثر للفكر الانساني في العالم.

٢ ــ العمل على جعل الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة مصدرين أساسيين للمعرفة بكل جوانبها، وبناء المنهج الحياتي عليهما.

٣ ــ توصي اللجنة المفكرين بتقديم الصيغ والبدائل الاسلامية لتنظيم الحياة الاجتماعية،والقيام بدراسات مقارنة لإبراز قوة الفكر الاسلامي وظهوره على الأفكار الأخرى، كما توصي بالعمل على كشف المخططات الفكرية الهادفة الى إفساد تنظيم الحياة الاجتماعية للأمة.

٤ ــ تدعو المسلمين الى التسامي الفكري والروحي، وتكثيف الجهود وتوحيدها حول القضايا الكلية لنصرة مبادئ الدين الحنيف وأهدافه النبيلة.

٥ ــ توفير الرؤية الفكرية الاسلامية في سائر مجالات الحياة، تحريراً للشخصية الاسلامية من عقد النقص والهزيمة، وتحقيقاً لانطلاق الأمة نحو التحرر المنشود.

٦ ــ دعم وإثراء المناهج التربوية والتعليمية والثقافية الاسلامية التي تكفل غرس الفضيلة

في نفوس الناشئة من الأطفال والشباب وخريجي الجامعات، وتكون صالحة لتكوين أجيال متماسكة واعية قادرة على تحمل الخلافة عن الله في الأرض.

٧ ــ يوصي الملتقى بتوثيق صلة الناشئة الاسلامية من الأطفال والشباب وخريجي الجامعات بالقرآن الكريم والسنة النبوية حفظاً ومنهجاً، إبعاداً لهم من خطر الأمية بكل أشكالها، وحماية لهم من سلطان الجهل والانحلال الخلقي، وإنقاذاً لهم من الجمود والتزمت، وتخليصاً من عقدة تقليد الأجنبي، وارتفاعاً بمستواهم الفكري والعلمي والثقافي العام، وإعداداً لهم للمشاركة في اتخاذ القرارات والقيام بدورهم في بناء مستقبل الاسلام بكفاءة وإيمان.

٨ ــ العمل على مساعدة حفظة القرآن الكريم ومتعلمي اللغة العربية، مادياً ومعنوياً.

٩ ــ مراقبة ما يكتب عن الاسلام باللغات الأجنبية.

١٠ ــ يوصي الملتقى بالعناية بالشبيبة الاسلامية وتمكينها من ادراك المهارات العلمية والتقنية والعمل على تيسير سبل الاتصال فيما بينها للاطلاع على أحوال المسلمين، وتشجيع السياحة بين الدول الاسلامية، وتبادل الزيارات بين شباب الأمة، وإقامة معسكرات لهم تؤمن التعارف والتعاون بينهم وتستظل بالروح الاسلامية وتساعد على تقوية الإحساس الوجداني بالأهداف الاسلامية العليا.

١١ ــ تهيئة المناخ الملائم لتنشئة جيل من الأدباء، يمارسون الابداع الأدبي تاريخاً ونقداً من منظور اسلامي، وتشجيعهم بالحوافز والجوائز.

١٢ ــ العناية بأدب الأطفال شعراً ونثراً مع تضمين كل ما يشيع الفضيلة والوعي والحب والقيم الكريمة بين الأجيال، وتوفير وسائل نشر هذا النوع من الأدب بين أطفال المسلمين في العالم.

١٣ ــ يوصي الملتقى بتهيئة جميع الوسائل والإمكانات العلمية والعملية لتيسير الاطلاع على التراث الفكري والعلمي والثقافي والفني لأمتنا الاسلامية، تمكيناً للمثقفين من تمثله والاستفادة منه في الحياة المعاصرة.

١٤ ــ يوصي الملتقى بتعميم تعليم اللغة العربية في سائر البلدان الاسلامية باعتبارها لغة القرآن ولسان رسول الله عليه الصلاة والسلام، كما يوصي بإشاعة استعمال الفصحى في التدريس والتعليم بكافة مراحله، وفي سائر مرافق الحياة اليومية.

١٥ ــ يوصي الملتقى بتعريب المصطلحات الضرورية وتوحيدها، وتطويع الاستعمالات العلمية والتقنية للغة العربية باكتشاف جوانب المرونة فيها.

١٦ ــ يوصي الملتقى بمزيد من الاهتمام بتعليم الاسلام واللغة العربية ونشرها بين الاقليات الاسلامية، وتوفير الوسائل السمعية والبصرية الكفيلة بتيسير تعلمها وتعليمها وإشاعتها بين الناس.

[illegible]

[illegible] لا تعرف وحدة الفكر [illegible]

[illegible] يوصي الملتقى [illegible] بتعلم لغات الشعوب المسلمة وتعليمها [illegible] المسلمين [illegible]

١٩ ـ يوصي الملتقى بتعلم اللغات الأجنبية واتقانها، مبدأ للبحث وتوصيلاً لثقافتنا الى الآخرين، والاستفادة مما لديهم من علوم وتقنيات، وتبليغاً لرسالة الاسلام.

٢٠ ـ يوصي الملتقى بالعناية بترجمات معاني القرآن الكريم الى اللغات الأجنبية، وترجمة بعض التفاسير المختارة على أن تتولى ذلك لجان علمية متخصصة على أعلى المستويات.

٢١ ـ تشجيع نقل كتب التراث العلمي والحضاري العالمي الى اللغة العربية والى لغات الشعوب المسلمة، وتيسير الاطلاع عليها.

٢٢ ـ العناية بإقامة معاهد ومراكز للدراسات المتخصصة الكفيلة بايجاد أعداد كافية من القادرين على تقدير المواد الاسلامية الجيدة وخاصة في سائر الفنون والآداب التي تتسم بالأصالة و إبراز ثقافة الأمة وقيمها. الى أن يتم ذلك، فإنَّ اللجنة توصي الأمة بدعم وتشجيع الموجود من هذه المؤسسات والعناصر، سداً للفراغ الكبير الملحوظ في هذا المجال.

٢٣ ـ يوصي الملتقى بتيسير جميع سبل الاتصال والتبادل الفكري والثقافي عبر وسائل الاتصال المرئية والمسموعة بين الأقطار الاسلامية.

٢٤ ـ يوصي الملتقى بتوجيه مزيد من العناية للرفع من مستوى المرأة المسلمة تربوياً وثقافياً وفكرياً لتتمكن من أداء دورها في تحصين الأسرة والمجتمع الاسلامي ضد الغزو الثقافي.

٢٥ ـ يوصي الملتقى الدول الاسلامية بالعمل على إحياء القيم الحضارية والفنية والمعمارية لأمتنا والارتفاع بمستواها العام.

٢٦ ـ يوصي الملتقى أبناء الأمة الاسلامية، علماء ومسؤولين، أفراداً وجماعات، بالعمل الجاد على مكافحة المنكر، وتطهير البيئة الاجتماعية مما يتنافى ومبادئ الدين الاسلامي الحنيف. والله ولي التوفيق.

● توصيات اللجنة الثالثة ●

إجتمعت اللجنة الثالثة، المنبثقة عن الملتقى التاسع عشر للفكر الإسلامي المنعقد في (بجاية) بتاريخ ٢٥ شوال سنة ١٤٠٥ هـ (الموافق ١٤ يوليو سنة ١٩٨٥م).

واستعرضت محاضرات ومناقشات وتعقيبات السادة الأساتذة بشأن موضوع [illegible]

[illegible] وطمس.

لما تتعرض له الجاليات الاسلامية والأقليات في بلاد الاغتراب من أخطار الغزو الفكري.

ونظراً لعدم وجود منظمة إسلامية تحمي حقوقهم وتعنى بشؤونهم بتوفير متطلباتهم في الجانب المادي والعقائدي بالذات، ونظراً لاختلاف نظم وتقاليد وعادات البلاد التي يعيشون فيها، وانطلاقاً من مبدأ واجب الأخوة الإسلامي، وواجب الوطن الإسلامي والأمة الإسلامية الواحدة، فإن اللجنة توصي بمايلي:

١ ــ إنشاء منظمة إسلامية مستقلة في كل شيء تعنى بشؤون الجاليات الإسلامية في الخارج وحقوق الأقليات.

٢ ــ التوسع في إنشاء المراكز الإسلامية في الخارج، لرعاية المسلمين في الجالات الإسلامية، وحمايتهم من الإنعزال والذوبان في المجتمعات الأخرى.

٣ ــ التنسيق بين الهيئات الاسلامية، وحثها على توحيد برامجها بشأن حماية المسلمين في الخارج وبخاصة أبناؤهم في المجال التربوي والاجتماعي، للاحتفاظ بهويتهم الإسلامية، وحمايتهم من الضغوط والاضطهادات العنصرية والطائفية والعقائدية، بكل الطرق الممكنة.

٤ ــ العمل على إعداد الداعية الكفء، والإمام النشيط الواعي، متعدد الكفايات والقدرات ليكون القائد للجاليات الإسلامية في الخارج، ليقودهم في برنامج مدروس شامل كرائد، وقائد، ومرشد، ومرب ماهر، يحل مشاكلهم، ويقدم النصح والمشورة في ذكاء بلغة البلد الذاهب اليه.

٥ ــ الإعانة على فتح مدارس إسلامية وعربية الى جانب البرامج الأخرى في بلاد الاغتراب في أماكن التجمع... وإعداد المدرس الجيد، والكتاب الجيد، وتكون هذه المدارس في المساء مراكز لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي للراغبين، وكبارالسن، ولأولياء الأمورلإعانة أولادهم على التنشئة الاسلامية والعربية.

٦ ــ العناية بتوفير الكتاب الإسلامي والعربي الصالح والمتدرج لهم، وكذلك المجلات والنشرات التي تحفظ صلتهم بالإسلام والعربية والتاريخ في كل صورة ووسيلة إعلامية.

٧ ــ إرسال مشاهير الدعاة والعلماء إليهم في زيارات وجولات، وذلك لشرح شعائر الإسلام وتعليماته وبيان ما يحلّ لهم وما لا يحلّ، ضماناً لحسن الاستجابة والاقتداء.

وكذلك دعوة العلماء النابهين من أبنائنا في البلاد المتقدمة للزيارة، والمحاضرة في الجامعات، لإطلاعنا على مدى ومجالات التقدم في العالم من حولنا.

٨ ــ التوسع في تخصيص منح في الجامعات والمدارس في البلاد الاسلامية لهم في مختلف

[illegible] إذا ما رجعوا الى مجتمعهم بعد ذلك.

[illegible] وتنظيم زيارات البلاد الإسلامية والعربية في صيغ سياحية [illegible] هذه الصلات لربطهم بالوطن الأم.

- إسهام الدول الشقيقة في الاشراف على الدراسات الإسلامية في الخارج [illegible] الملحقيات والمعاهد العليا [illegible] التوجيه في هذا السبيل على يد أساتذة غير مسلمين.

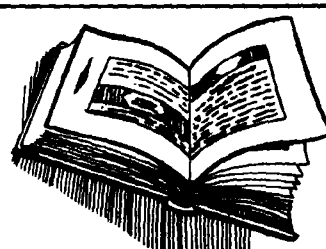
[illegible] كل وسائل الاعلام والإسلام والعربية والتاريخ لهم كباراً وصغاراً [illegible] أو إعلام خلقي قاصر.

[illegible] إسلامية لهم، على غرار الدول [illegible] الى [illegible] وتوجيه وتوظيف مدخراتهم الى البلاد الإسلامية ●

إنّ الاسلام إنقلابي ثوري في فكرته ومرن في طريقته التي يجب أن تحدد على ضوء الملابسات والظروف ومقتضيات الأحكام الشرعية العامة في باب الجهاد وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وباب التبليغ والتعليم وباب التقية وغيرها من الأبواب.

ـ آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر ـ

من أدب القرآن



بقلم: الدكتور علي حسن السمني

ـ القسم الثاني والأخير ـ

مقابلة السيئة بالحسنة والعفو عن المسيء:

ولينشر القرآن العفو والصفح والتسامح بين الناس، أمر أن يقابل الانسان سيئة أخيه الانسان بالحسنة، وأن يقابل غلطته باللين، وسوء معاملته بحسن المعاملة، فقال: «**وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ، ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وما يُلَقَّاها إلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا، وما يُلَقَّاها إلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**» (آية ٣٤ و ٣٥ من سورة فصلت).

فالقرآن الكريم يجعل الفرق عظيماً بين السيئة والحسنة، وكيف تستوي السيئة والحسنة وهذه مشتقة من السوء ورديء الأقوال والأعمال وتلك مشتقة من الحسن والجمال وطيب القول وجميل العمل؟ فاذا ماعاملك شخص بالسوء و بذيء القول وخشونة اللفظ والعمل فقابلته بالحسنى وجميل القول ولين اللفظ والعمل، كان معنى ذلك سوء أدبه وحسن خلقك، و وحشيته وانسانيتك، ومعصية الله فيك وطاعتك الله فيه، وكان معنى ذلك أنك تلهبه بسوط أليم من تأنيب الضمير ووخز الشعور.

ولكن هذه المعاملة تحتاج الى ضبط النفس وقوة الأعصاب وقدرتها على الصبر والتغاضي، وتلك الأخلاق تضع صاحبها بين ذوى المراتب العلية وأصحاب الحظ العظيم في الدنيا والآخرة. ويقول القرآن كثيراً من الآيات في هذا المعنى كقوله: «**ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ...**» (آية ٩٦ من سورة المؤمنون)، وقوله «**خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ**» (سورة الأعراف آية ١٩٩).

وكل هذه الآيات في معنى العفو والصفح والتسامح ومقابلة السيئة بالحسنة وهذا نهاية

الأخلاق الكريمة الفاضلة والأدب الرفيع.

فانظر كيف يلقي القرآن الكريم على الناس دروساً هادئة في حسن السلوك، وكيف يربيهم على حسن الذوق وجميل الأدب بلا عصا، ولا سوط، ولا ضرب ولا ألم مادي.

أدب المجالس:

يقول القرآن الكريم: **«يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم، وإذا قيل انشزوا فانشزوا...»** (آية ١١ من سورة المجادلة). **تفسحوا: وسعوا، انشزوا: قوموا.**

ومعنى الآية أن الله يأمر المؤمنين أن يوسعوا في مجالسهم إذا أتى آت ليجلس بينهم، ولا يتركوه واقفاً محتاراً خجلاً لا يدري أين يجلس، وبخاصة وأن للقادم على القوم دهشة، فهو في حاجة الى من يذهب دهشته ليحس الأنس والألفة.

ويأمر الله المؤمنين إذا طلب منهم القيام أن يقوموا فربما يكون القادم متعباً أو مريضاً أو شيخاً كبيراً لا يستطيع الوقوف وهو في حاجة الى الراحة. وهذا غاية الذوق وحسن الأدب وإيثار الآخرين على النفس حينما يرحم المرء أخاه فيريحه إذا كان متعباً ويقدمه على نفسه. فاذا كنت في مجلس أو كنت في القطار أو كنت تجلس في أي مكان يقبل الناس اليه فيجب عليك أن توسع للقادم ما كان هناك متسع أو طلب منك ذلك ولا تجلس فاتحاً رجليك لتحتل محل رجلين، بينما يقف أخوك أو تقف أختك لا يجد أحدهما مكاناً أو يستحي أن يطلب منك التوسعة، كما لا يصح أن تنام على الكرسي المخصص للجلوس فتعطل حقوق الآخرين في الجلوس ويستمرون واقفين وقد يكون بعضهم في غاية الارهاق. وإذا كان هناك شيخ لا يستطيع الوقوف أو سيدة حبلى أو إمرأة تحمل طفلاً أو شيئاً ثقيلاً وطلب منك أن تنهض فعليك أن تنهض غير كاره ليجلس الآخر، فاذا قدمته على نفسك من تلقاء نفسك فنهضت وأجلسته كنت انساناً مؤدباً رحيماً شفوقاً واستحققت من الله أن يرفع مقامك ويجازيك أحسن الجزاء، وكنت مشكوراً من الناس وقدوة حسنة لغيرك.

أدب التعلم:

ومما اهتم به القرآن الكريم تهذيب النفس، وتثقيف العقل، فحث على العلم والنظر في الكون والبحث والتنقيب حتى يكون الانسان عارفاً سر الوجود، عالماً بسر خلق الكائنات، وليهديه علمه الى الايمان بوجود الله فيتأدب مع الله ويعترف بوجوده ولا يكون خصيماً مبيناً لمن أنعم عليه بنعمة الايجاد من العدم وسخّر له كل ما في الكون ليجعل حياته سهلة مريحة ميسرة. قال القرآن الكريم: **«قل انظروا ماذا في السماوات والأرض، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون»** (آية ١٠١ من سورة يونس). **ومعنى الآية:** أمر من الله سبحانه وتعالى للناس وتوجيه لهم الى التفكير في نعمه وما خلق في السماوات وفي الأرض من الأشياء العجيبة التي تبهر ذوي الألباب: من كواكب سيارات وأخرى ثوابت نيرات، والشمس والقمر والليل والنهار وتعاقبهما، ودخول أحدهما في الآخر حتى يطول هذا ويقصر ذاك، ثم بعد ذلك على العكس يقصر هذا ويطول ذاك. وارتفاع السماء بغير عمد واتساعها وحسنها وزينتها. وما ينزل الله من السماء من مطر يحيي به الأرض بعد أن كانت جرداء ميتة فتخرج من أفانين الثمار والزروع والأزاهير وأنواع النباتات والفواكه المختلفة

وما بث فيها من حيوانات مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما في الأرض من جبال وأنهار وبحار ومحيطات وسهول وقفار وعُمران وخراب، وما في البحار من عجائب وأسماك مختلفة وأمواج عالية وهو مع كل ذلك مسخر مذلل للسالكين يحمل سفنهم ويجري بها برفق بتسخير من الله العلي القدير، لا إله إلا هو، ولا ربَّ سواه.

فالذي يفكر ويتدبر لابد أن يقوده التفكير الى الايمان بالله والاعتراف به ومن ثم يجب عليه أن يتأدب مع الله فيشكره على كل هذا.

ولهذا يجعل الله منزلة المفكرين المتدبرين العلماء منزلة رفيعة لايمكن أن تتساوى مع من عمي قلبه وزاغ بصره وجهل أمره. يقول القرآن الكريم: «... **هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ...**» (آية ٩ من سورة الزمر)، ويقول: «... **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ...**» (آية ٢٨ من سورة فاطر). فالذين يعرفون الله حق معرفته ويخشونه ويخافون عذابه ويتأدبون معه في السر والعلن وفي الظاهر والباطن وفي الوحدة وبين الناس، إنما هم العلماء الذين آمنوا بفضل الله ونعمته، ومن ثم يستحقون أن يكونوا خلفاء الله في الأرض، يعمرونها وينشرون في أرجائها الأمن والسلام.

وهذه آيات من سورة الإسراء متتابعة ٢٣ ــ ٣٩ تناول القرآن الكريم فيها كثيراً من الآداب الخاصة والأخلاق العامة التي يجب أن يراعيها كل فرد ليسلم المجتمع من عوامل الضعف وأسباب الفساد.

قد تكون في هذه الآيات بعض الآداب التي وردت في الأديان الاخرى، ولكن كما قلت أولاً ان القرآن الكريم قد اشتمل على ماورد في الأديان السابقة من مكارم أخلاق، وعدل ما أفسده الناس منها، ثم زاد عليها ما تحتاجه الانسانية الى أن تقوم الساعة حتى يكون صالحاً لكل زمان ومكان. و[illegible] كانت الأديان السابقة كلها مبادئ ومقدمات تت[illegible] مع تطور البشرية وتكبر كلما كبرت، وتزيد ك[illegible] زادت حضارتها وقدرتها على الفهم والتفك[illegible] والاستيعاب، حتى كانت الانسانية في آخر مراح[illegible] النمو والقدرة العقلية على البحث والتدبير فجا[illegible] الاسلام، وكتابه القرآن، محتوياً كل مافيه صلا[illegible] الناس جميعاً في دنياهم وآخرتهم.

وإنما مثل الأديان السابقة ومثل الاسلام كمثل المراحل التعليمية التي تسبق المرحلة الجامعية. فالمرحلة الجامعية تحتوي على جميع المراحل السابقة ولا تنكرها، وما فيها من برامج تعليمية وتكاليف عملية مما يتناسب مع قدرة الانسان ونموه العقلي وقوته الفكرية ومتطلباته الحيوية بعد أن مر بمراحل بسيطة وتكاليف سهلة كونت قواه وقدراته ومنحته الطاقة اللازمة للدراسة والتفكير، ولذلك اعتمد الاسلام على العقل في اثبات وجود الله، فقال القرآن الكريم: «**قُلِ ٱنظُرُوا مَاذَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ، وَمَا تُغْنِي ٱلآيَاتُ وَٱلنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**» (آية ١٠١ سورة يونس)، وقال: «**إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي ٱلأَلْبَابِ ٭ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ**» (آية ١٩٠، ١٩١ من سورة آل عمران).

ولنعد الى ما في الآيات من آداب وأحكام وأخلاق:

(الآية ٢٣ سورة الإسراء): «**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**». **أف**: اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر، تنهرهما:

تزجرهما، كريماً: سهلاً، ليناً. الآية ٢٤: «وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً» اخفض لهما جناح الذل: تواضع لهما بفعلك، إرحمها: عاملهما بالرحمة.

وفي هاتين الآيتين يأمر الله سبحانه وتعالى الناس أن يعبدوه وحده لاشريك له ولايتخذوا من دونه أرباباً، وفي هذا أدب عظيم مع الخالق جل وعلا اذ أنه واجب الشكر على ما تفضل به وأنعم علينا من نعم كثيرة في أنفسنا، وفي الأرض وفي السماء لتسهيل حياتنا، فلا أقل من أن نشكره على ذلك بطاعته وتوحيده. وفي ذلك مايعلم الناس شكر المنعم وحمد المتفضل والاعتراف بالجميل، ثم ان شكر النعمة يزيدها كما قال القرآن: «... لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» (سورة ابراهيم آية ٧). أي إذا شكرتم نعمائي واعترفتم بفضلي وقوتي وقدرتي وعبدتموني وحدي لاشريك لي فسوف أزيدكم خيراً وفضلاً ونعمة ورخاء وسعادة وأمناً في الأرض وأستخلفكم فيها، ولكن إذا جحدتم فضلي ولم تشكروا نعمتي وأنكرتم وجودي واتخذتم آلهة دوني فسوف أذيقكم العذاب الشديد في الدنيا بما أسلط عليكم من الأمراض والمهلكات والحروب والخوف وعدم الأمن والإستقرار، وأذيقكم العذاب الأليم في نار جهنم التي سترونها عين اليقين بعد ذلك وان أنكرتموها الآن.

ثم أمر الله بمراعاة الأدب والخلق الكريم مع الوالدين ومعاملتهما باللين والحسنى والطاعة والصبر على هذه الطاعة وبخاصة عندما يكبران، لأن الانسان عندما يكبر ويصل سن الشيخوخة يرجع مرة أخرى الى حالة الضعف كما لوكان طفلاً من حيث التصرف والاصرار على الرأي حتى مع الخطأ وحب النفس والتعلق بالحياة مما يجعل طاعتهما من أصعب الأمور. ولذلك يقول القرآن: «... إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ ٱلْكِبَرَ...» أي أنه إذا بلغ أحد الوالدين أو كلاهما سن الكبر والشيخوخة وهوسن الضعف جسمياً وعقلياً فلا تخاطبهما بأي لفظ يؤلمهما حتى هذه الكلمة (أف) وهي أدنى علامات التضجر من أمر أو حالة تضايق الانسان أو تزعجه، ولا تزجرهما بالكلام المؤلم، ولا تؤنبهما على أمر فعلاه، وخاطبهما بالخطاب الكريم والقول الرحيم، وتواضع لهما مهما كانت منزلتك ومنزلتهما في الحياة. ولقد صور القرآن أطوار الانسان في حياته فقال: «اللهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً...» (آية ٥٤ سورة الروم). (الآية التالية ٢٥ سورة الإسراء) «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ، إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً» الأوابين: التوابين الذين يندمون على فعل المعصية. والمعنى: ان الله يعلم ماتكون في نفوسكم وما تضمرون في قلوبكم، خيراً كان أوشراً، ويعلم كل ماتعملون فيجازيكم بالخير ويتوب عليكم من الشر وعمل السوء إنْ رجعتم اليه وندمتم على ما فعلتم وعزمتم على ألا تعودوا الى الشر بعد ذلك، وذلك يفتح أمام الانسان أبواب الأمل ويدفع اليأس عن قلبه، ويشجعه على أن يصلح من أمره ويحسن من خلقه ويرجع الى حسن الأدب ومكارم الأخلاق اذا فرط منه ما يخالف الآداب العامة أو الخاصة مع الناس أو مع الله. وقد ذكر القرآن كثيراً من الآيات في هذا المعنى ليدفع الناس الى تجديد أنفسهم وخلعهم ثياب المعصية والسوء والعمل القبيح، وليحاولوا أن يجعلوا من أنفسهم خلقاً جديداً نافعاً للناس متأدباً بأحسن الآداب متخلقاً بأفضل الصفات حتى يكون الجميع على طريق الخير والحسن

والجمال. من هذه الآيات: «... إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ» (سورة البقرة آية ٢٢٢)، و يقول: «إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ، وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» (سورة الفرقان — ٧٠) (الآيات: ٢٦، ٢٧، ٢٨ سورة الإسراء) «وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ، وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۞ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا».

ذا القربى: الأقارب، المسكين: الفقير الذي لا يجد شيئاً يغنيه ولا يسأل الناس ولا يفطنون اليه، ابن السبيل: المسافر المنقطع عن ماله وليس معه شيء من مال يستعين به على سفره، تبذر: تنفق مالك فيما لايفيد أو تسرف في انفاقه، تعرضن عنهم: تترك هؤلاء ولا تجيب سؤلهم انتظاراً لفضل من الله يأتيك ثم يمكن أن تعطيهم بعد ذلك، قولاً ميسوراً: كلاماً لطيفاً سهلاً ليناً ووعداً كريماً.

ومعاني هذه الآيات: ان الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نعامل الأقارب وذوي الرحم معاملة كريمة فنساعدهم من مالنا، ونعطف عليهم في ملماتهم، وندفع عنهم الفقر ما استطعنا الى ذلك سبيلاً، وأن نلين لهم جانبنا ولا نشعرهم بفقرهم وغنانا، ولقد قال الرسول مصداقاً لذلك: «من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ لهُ في أجله فليصل رحمه» يعني: أن الذي يريد أن يوسع الله له في رزقه وأن يجعله سعيداً غنياً، وأن يطيل عمره أو يبارك له في أجله فعليه أن يصل أقاربه ويعطف عليهم حتى لو قطعوه وحرموه. ومن نرى أن القرآن والحديث يتآزران في الأمر بالعطف على الأقارب والحث على معاملتهم معاملة كريمة والتأدب معهم بأدب الدين من حيث العفو عن سيآتهم والتناسي لأخطائهم وعدم معاملة إذا هم قطعوه وحرموه.

تلك آداب إذا راعاها الناس واتبعوها أن تكون الأسر في تراحم وتعاطف وتواد، وا لبنات المجتمع إذا صلحت صلح المجتمع كل حال الأمة وانتشر الرخاء والوئام والسلام.

ثم تأمرنا الآيات ألا نبذر في أموالنا ولا نن الطرق غير المشروعة التي قد تضر بـ وتذهب بثرائنا وتحولنا إلى ف معدمين. والمال هو عصب الحياة الذي لا الحياة إلا به، ولا تخرج الى حيز الوجود مشرو صغيرة أو ضخمة إلا به، ولا تتقدم الأمة ولا ا إلا به، ولذلك يحرص القرآن الكريم على أن الانسان على ماله، وأن يتأدب مع نفسه فلا يو موارد الفقر. والتبذير في كل شيء مكروه، حـ الطعام والشراب والصحة والوقت، فلابد أن يـ الانسان معتدلاً، وإلَّا كان من إخوان الشيا بمعنى أن الشيطان سيدفعه الى عمل كل ق ويساعده على ذلك ما في يده من المال فيشرب ا ويلعب الميسر ويأكل مايتخم معدته فتعتل ص ويصير أمره الى شر حال، وحينئذ تفقد الأ شخصه لبنة من اللبنات التي تعتزها وتحتاج ا وسيفقد هو أيضاً كل مقوماته في الحياة حتى ا نفسه، فربما يصير أمره الى السجون اذا ما ا وامتدت يده الى ما يملك غيره.

وجاءت (الآية ٢٩ سورة الإسراء) «ولا تجـ مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتـ محسوراً» لتوضح الطريق الوسط ... حالة الاعتدال، وتبين الـ ... بتصرف تصرفاً معقولاً في ...

عيشته ومعيشة أسرته ومن حيث العطف على أقاربه من حيث التصدق على الفقراء والمساكين ومن حيث التبرع للمشروعات العامة التي تنفع الناس، بكل هذا يجب أن يكون بالطريق الوسط فلا ينفق لانسان كل ماله فيقعد بعد ذلك محسوراً كالدابة لتي عجزت عن السير فوقفت ضعفاً وعجزاً فانها سمى — الحسير— وذلك مأخوذ من الكلال، لايمسك كل ماله فيبخل على نفسه وعياله وأقاربه على الفقراء والمساكين فيقعد ملوماً يذمه جميع لناس ويستغنون عنه كما قال الشاعر زهير بن أبي سلمى:

ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخل بفضلِهِ
على قومِهِ يستغنَ عنه ويذمم

وفي (الآية ٣٠ سورة الإسراء): «إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خبيراً بصيراً» يبسط: يوسع ويكثر، يقدر: يقلل ويضيق، خبيراً بصيراً: عالماً وناظراً.

والمعنى: ان الله سبحانه وتعالى بيده الأرزاق، فيوسع على من يشاء فيصير في بحبوحة من العيش ورغد، ويجعل رزق من يشاء قليلاً فلا يكون في سعة من العيش، وليس الله في ذلك ظالماً، وإنما يعطي لكل امرئ على قدرما يصلح حاله، ومايستقيم به أمره، والله عالم وخبير بما يصلح العباد. وليس من هو في سعة من العيش ولا من هو في ضيق منه يرجع ذلك [إلى] كسب يده ومجهوده وقدرته وعلمه ومركزه، فرب [ج]اهل واسع الرزق ورب مجتهد عالم ضيق الرِّزْقِ، [و]ذلك يقول الله تعالى في القرآن الكريم: «والله فَضَّلَكُمْ على بَعْضٍ في ٱلرِّزْقِ، فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي [رزقهم] على ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فيهِ سَوَاءٌ، أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ» (سورة النحل آية ٧١)، و يقول: «وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي ٱلْأَرْضِ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ» (سورة الشورى آية ٢٧).

وكثير من آيات القرآن الكريم وردت في هذا المعنى ليتأدب الناس مع الله، ويعلموا أنه القادر القاهر الرازق، وأنهم لايملكون لأنفسهم نفعاً ولاضراً، فلا يفرحوا بما يصيبون ولا يحزنوا على مالايدركون، ولا تثور ثائرتهم على أنفسهم إذا مافاتهم شيء من أمور الحياة، أو يتسرب اليأس الى قلوبهم، فان اليأس قاتل، وكثيراً مايدفع الناس الى ارتكاب الجرائم في حق أنفسهم وفي حقوق الآخرين، بل أنه ليدفع كثيراً من ضعاف النفوس الى الانتحار وايراد أنفسهم مورد الهلكة في الدنيا واحلالها في الدرك الأسفل من النار في الآخرة.

وتقول (الآية ٣١ سورة الإسراء): «ولا تَقْتُلُوا أولادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وإِيَّاكُمْ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كبيراً» خشية: خوفاً من، إملاق: فقر، خِطأً: خطأً.

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يأمر الناس ألا يقتلوا أولادهم خوفاً من الفقر والجوع وضيق المعيشة، لأن الله لم يخلق خلقاً ثم يتركه بلا رزق، وإنما قدر الأرزاق والآجال، وهو الذي يرزق الولد والوالد والوالدة وما ولدت. ألا ترى المولود عندما يولد ويخرج من بطن أمه يمتلئ ثدياها باللبن لترضع وليدها؟ فتلك ذلك: الله يرزق الأهل والأولاد كلاً على حسب مايحتاج من الرزق، وما يصلحه من المعاش.

ولقد كان بعض العرب في الجاهلية يقتلون البنات خوفاً من الفقر والعار فنهاهم الله عن ذلك ونهى كل من يحاول أن يفعل مثل ذلك في مستقبل الحياة، وعدّ ذلك ذنباً عظيماً وإثماً كبيراً، ولقد

عادت الحياة سيرتها الأولى فنرى الآن بعض الناس ممن لايؤمنون بالله ولا بحكمته في الوجود تضيق عليهم أمور الحياة وتقل فيها أرزاقهم ولايجدون من رحب العيش ما يشتهون فلا يصبرون ثم يقتلون أولادهم ونساءهم و يلحقون أنفسهم بهم بعد ذلك، مما يدل على الجبن والضعف والفرار من الحياة ومسؤولياتها. ولهذا نهانا القرآن عن ذلك وأمرنا أن نتأدب مع أنفسنا فلا نجعلها مع المعتدين القاتلين، ونتأدب مع أولادنا وأهلينا ونحافظ على حياتهم ونجهزهم ما استطعنا من الحياة الكريمة معتمدين على الله، وأن نعلم أن الله سيساعدنا مادمنا مخلصين فانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وتقول (الآية ٣٢ سورة الإسراء): «وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً» الزنى: مقارفة العملية الجنسية مع امرأة أجنبية، فاحشة: فجوراً وفسقاً، ساء سبيلاً: قبح عملاً وطريقاً.

والقرآن الكريم في هذه الآية وماشابهها من آيات، ينهانا عن مقارفة هذه العملية مع أي امرأة أجنبية والاقتراب منها وتجنب أسبابها ودواعيها والبعد عن كل مايوصل اليها كالنظر والملامسة والقبلة وغير ذلك لأنه عمل قبيح يسقط من كرامة المرأة والمرء ويذهب بهيبة الناس ويضيع الأنساب ويحمل بعض الناس مسؤوليات ليست من التزاماتهم، واذا ضاعت الأنساب ضاعت الأسر واذا ضاعت الأسر ضاعت الدولة كلها. والحق ان هذا العمل لايرضاه أحد لأمه ولا لأخته ولا لابنته ولا لأي واحدة من الأقربين اليه، فكيف يقبل هو — إن كان ذامروءة — أن يقوم به مع امرأة أخرى من بنات الناس وحرمهم؟

جاء فتى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يارسول الله أئذن لي في الزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، فقال لهم الرسول: أدنوه، فدنا منه قريباً، فقال له: اجلس، فجلس. فقال له الرسول: أتحبه لأمك ؟ قال لا والله جعلني الله فداك ، قال الرسول ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: افتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك . قال الرسول: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لأختك ؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك ، قال الرسول: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. ثم قال: أفتحبه لعمتك ؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك ، قال الرسول: ولا الناس يحبونه لعماتهم. ثم قال: أفتحبه لخالتك ؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك ، قال الرسول: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، ثم وضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وأحصن فرجه» فلم يكن يلتفت ذلك الفتى الى شيءٍ بعد. رواه أبو امامة.

والأمر باجتناب الزنى للرجال والنساء على السواء، وليس في ذلك ماينافي الحرية بل مايحافظ عليها ويمنع الناس من التعدي على شرف بعضهم أو انتهاك أعراض بعضهم، فليس كل ماتريده النفس حقاً، يقول القرآن الكريم: «وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ» (سورة المؤمنون آية ٧١). وتقول (الآية ٣٣ سورة الإسراء): «ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَمَنْ قُتِلَ مظلوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَايُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً».

الولي: أقرب الناس الى المرء، السلطان: القوة والنفوذ والحق، لايسرف في القتل: لايبالغ في القصاص بأن يمثل بالقاتل أويقتص من غيره،

منصوراً: أي منتصراً شرعاً وقدراً.

والقرآن الكريم يحرم قتل النفس التي لم تقترف مايوجب قتلها. والأمور التي توجب القتل ثلاثة كما يحدد الرسول ذلك بقوله: «**النفس بالنفس، والزاني المحصن، والتارك لدينه، المفارق للجماعة**» فهذه الحالات التي توجب أن تقتل النفس الأخرى: اما أن تكون قد قتلت نفساً أخرى بغير حق فتقتل بها، واما أن تكون قد زنت وهي متزوجة، واما أن ترتد عن الدين بعد أن اعتنقته وتفارق الجماعة. وفي غير ذلك لايحل أبداً قتل أي نفس، وفي ذلك من أدب الجماعة مافيه حيث يحافظ كل على الآخر فتستمر الحياة في سلام وأمن وحفاظ على الأرواح. وقد قال القرآن الكريم «**وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ يا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**» (سورة البقرة ١٧٩). بمعنى أن القصاص والعقاب يردعان المجرمين ويوقفانهم عند حدودهم فيستمر الأمن والطمأنينة وينصرف الناس الى أعمالهم مطمئنين وتستمر الحياة ويعيش الناس في استقرار. وفي حالة قتل أي انسان شخصاً آخر ظلماً وعدواناً فانه يحق لوليه أن يقتص بقتل القاتل، وله السلطان والغلبة والقدرة على ذلك، فإنْ عفا فبحقه وان اقتص فبحقه، وقد ترك أمر هذا القصاص للحاكم الذي يطلب إقامة الدليل بالشهود والظروف والملابسات ثم يخول لصاحب الحق هذا القصاص أو ينفذه الحاكم.

ومن أدب القصاص يطلب القرآن من الولي ألا يسرف أو يبالغ في القتل بأن يمثل بالقاتل فيقطع بعض أجزاء جسمه أو يشوه وجهه أو يقتل أكثر من القاتل، حيث يكون في حالة غضب وهياج واغتياظ. ولقد كان العرب يعيشون قبل ذلك في قتل وقتال وحروب تستمر السنين الطوال يقتل بعضهم بعضاً، ويقتلون في النفس الواحدة نفوساً كثيرة مما كان سبباً في عدم الاستقرار والأمن وانتشار الرعب والفزع، فحدد الاسلام أمور الحرب والقتل.

وكما أنه لايجوز للانسان أن يقتل نفساً أخرى لايجوز له أن يقتل نفسه أو يعرضها للهلاك، بل يجب عليه أن يحافظ على حياته ويتجنب كل ما من شأنه أن يضر بصحته أو يتسبب في اضعاف قوته ويذهب بمنته. يقول القرآن الكريم: «**... وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**» (آية ٢٩ من سورة النساء). والذين يفعلون ذلك عندما يتسرب اليأس الى قلوبهم أو يقل صبرهم لحادثة وقعت أو كارثة ألمت بهم إنما يبوئون أنفسهم الدرك الأسفل من النار يوم القيامة. ولقد قال الرسول مصداقاً لقول القرآن «**من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو في نارجهنم، يتردّى فيه خالداً مُخلداً فيها أبداً، ومن تحسّى سماً فقتل نفسه، فسمّه في يده يتحسّاه في نارجهنم خالداً مُخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأبها في بطنه في نارجهنم خالداً مُخلداً فيها أبداً**» بمعنى أن الانسان الذي ييأس من رحمة الله ويريد أن يفر من بلاء الله، وأن يقتل نفساً أحياها الله ثم يصعد الى قمة جبل مرتفع أو مكان عال فيلقي بنفسه فيقتل نفسه، فجزاؤه أن يكون في الحياة الأخرى في نار جهنم على نفس المكان المرتفع ويلقي بنفسه الى النار و يظل هكذا إلى الأبد يتعذب بالقاء نفسه في عذاب جهنم. لايموت ولايخفف عنه من عذاب جهنم. وهكذا من شرب سماً ليقتل نفسه فهو يشرب سمه في نارجهنم، ومن قتل نفسه بحديدة أو سكين أوأي آلة قاتلة فانه يظل يطعن في بطنه بالآلة التي استعملها في الدنيا في نارجهنم، فكل شخص قتل نفسه بشيء عذب بذلك الشيء في نارجهنم خالداً

أبداً جزاء وفاقا كلما أمات نفسه بذلك الشيء أحيي مرة أخرى ثم أمر بإماتة نفسه وهكذا، ذلك لأنه إنسان ضعيف النفس جبان لم يستطع أن يواجه مصاعب الحياة ويصبر عليها ويطلب من الله الفرج، فهو كمن لا يؤمن بوجود الله ولا يثق في رحمته.

هذه من الآداب العامة التي يجب أن يراعيها الناس ليحيوا حياة مطمئنة وليدعوا غيرهم يحيون كما أراد الله وليستمر بقاء النوع الانساني. وقد ورد في النهي عن القتل آيات كثيرة في القرآن الكريم منها: «وَمَنْ يَقتُلْ مُؤمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وغَضِبَ اللهُ عَلَيهِ وَلَعَنَهُ وأعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً» (آية ٩٣ من سورة النساء)، «مِنْ أجْلِ ذلكَ كَتَبْنا على بَني إسرائيلَ أنّهُ مَنْ قَتَلَ نَفساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أوْفَسادٍ في الأرضِ فَكأنَّما قَتَلَ النّاسَ جَميعاً، وَمَنْ أحْياها فَكأنَّما أحْيا النّاسَ جَميعاً...» (آية ٣٢ من سورة المائدة).

وتقول (الآية ٣٤ سورة الإسراء): «ولاَ تَقْرَبوا مَالَ اليَتيمِ إلاّ بالّتي هِيَ أحْسَنُ حتّى يَبْلُغَ أشُدَّهُ، وأوْفوا بالعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كانَ مَسْئُولاً» تقربوا: تأخذوا، اليتيم: الذي مات أبوه وهو صغير، يبلغ أشده: يصير قوياً، أوفوا بالعهد: حافظوا على العهد والعقد، مسئولاً أي مسئولاً عنه.

في هذه الآية آداب انسانية عامة يجب أن يراعيها الانسان نحو اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير فهو ضعيف لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ضراً وليس له أحد يحافظ عليه ويدفع عنه اعتداء الآخرين، هذا اليتيم يجب أن نحافظ على ماله ولا ننتهز فرصة ضعفه ويتمه فنأكل ماله بغير حق، وعلينا أن نعطف عليه ونرحمه ونكفله ونمسح على رأسه ليحس الشفقة نحوه من كل القلوب فيتسلى عن يتمه. يقول القرآن الكريم: «فأمَّا اليَتيمَ فَلا تَقْهَرْ» (آية ٩ من سورة الضحى).

أي لا تحزنه ولا تجعله كاسف البال بل اجعله دائماً فرحاً مسروراً، ولذلك يقول الرسول: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، ويشير بأصبعيه السبابة والوسطى» يعني أن من يعول اليتيم وينفق عليه ويقوم بأمره ويحافظ عليه ويؤدي واجب العطف والشفقة نحوه فانه سيكون في جوار الرسول في الجنة، وهذه منزلة رفيعة لا ينالها الا المخلصون.

وتأمرنا الآية أن نحافظ على العهود ونفي بالعقود لأن الله سيسأل عنها ويعاقب من يتهاون فيها ولا يحافظ عليها، وهذا لتنتشر الثقة بين الناس ويعم الأمان والإطمئنان في المعاملات والمعاهدات والاتفاقات، وحتى لا تضيع على الناس فرص من ضياع الوقت وطول الانتظار. وتلك غاية الانسانية ونهاية الخلق الكريم.

انك لتعرف مقدار تفاهة الرجل من مقدار محافظته على مواعيده، فاذا أخل بوعده فهو جاهل لا يقدر قيمة الوقت ولا يعرف أقدار الرجال ولا يدري قلق التشوف وطول الانتظار، بل انه ليستهين بكل القيم الانسانية.

وتقول (الآية: ٣٥ سورة الإسراء): «وأوْفُوا الكَيْلَ إذا كِلْتُمْ وزِنُوا بِالقِسْطاسِ المُسْتَقِيمِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وأحْسَنُ تَأوِيلاً» القسطاس: العدل، المستقيم: الذي لا عوج فيه، أحسن تأويلاً: خير ثواباً واحسن عاقبة.

والآية تأمرنا أن نحافظ على الكيل والميزان عند البيع والشراء فنعطي كل ذي حق حقه، ونؤدي للناس ما يستحقون ولا نبخسهم أشياءهم. وفي هذا من الأدب ما يحول بين الانسان وبين الطمع والجشع، وما يقف حائلاً بينه وبين حقوق الناس، وما ينشر الثقة في معاملات الناس فيطمئن كل الى الآخر ولا يحس أحد في نفسه قلقاً أوشكاً نحو

الآخرين. وقد ورد في ذلك كثير من الآيات كقوله تعالى: «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ* أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» (الآيات ١ ـ ٦ من سورة المطففين)، وقوله: «وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ» (آية ٩ من سورة الرحمن).

وتقول (الآية ٣٦ سورة الإسراء): «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً». لا تقف: لا تتبع ولا تقل، البصر: النظر، الفؤاد: العقل.

ومعنى الآية: لا تقل ماليس لك به علم، ولا تقل رأيت وأنت لم تر، ولا تقل سمعت وأنت لم تسمع، وعلمت وأنت لم تعلم، فإنَّ الله سيسألك عن ذلك كله.

ومعنى ذلك ألّا نفتري الكذب ونقول ما لا نعلم ونرمي الناس بالصفات السيئة ونقذفهم بالفجور والعيب من غير أن نكون على بينة بذلك، فإن ذلك يمزق وحدة الصف ويباعد بين القلوب و يفرق بين الناس ويدفع الناس الى أن يتربص بعضهم الدوائر ببعض، فيتحطم المجتمع ويصبح مجتمعاً ملوثاً مشيناً لاوجود للكرامة والشرف فيه. وانه ليستشف من الآية أن الانسان مسؤول عن سمعه و بصره وقلبه، فيجب عليه أن يحافظ على كل هذه الجوارح فلا يتتبع عورات الناس ولا يبحث عن عيوبهم ولقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ تتبع عورات الناس تتبع الله عورته حتى يفضحه في عقر بيته» يعني أن من يحاول أن يعرف عيوب الناس المستورة ويبحث عنها و يتجسس عليهم ليصل الى ذلك فان الله سيسلط عليه من يتتبع عوراته ويبحث عن عيوبه حتى تظهر للناس كل الأمور التي يريد سترها عنهم والتي تخزيه بينهم. وان ذلك ليذكرني بهذه القرود الثلاثة: أحدهم يضع يده على عينيه فلايرى من عيوب الناس شيئاً، والثاني يضع يده على فه فلا يذكر من أمور الناس شيئاً، والثالث يضع يديه على أذنيه فلا يسمع في حقوق الناس شيئاً، وفي ذلك دليل على أن القرآن احتوى أصول الأديان السابقة وفروعها ثم زاد عليها ما يتفق وتقدم البشرية وما تحتاج اليه الانسانية في مستقبل حياتها من قواعد وقوانين وآداب ومعاملات وغيرها، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولقد تأثر بهذه المبادئ والآداب العلماء والأدباء واتبعوها في حياتهم وأوصوا بها أبناءهم وغيرهم، فقال شاعرهم:

إذا شِئْتَ أنْ تَحْيا سَلِيماً مِنَ الأذى
وَحَظُّكَ مَوفُورٌ وعِرْضُكَ صَيِّنُ
لِسانُكَ لاتَذْكُرْ بِهِ عَورَةَ امرئٍ
فَكُلُّكَ عَوراتٌ ولِلنّاسِ ألسُنُ
وعَيْنُكَ إنْ أبْدَتْ إليكَ مَعايِباً
فَصُنْها وقُلْ يا عَيْنُ للنّاسِ أعيُنُ
وعاشِرْ بِمَعروفٍ وسامِحْ مَنِ اعْتَدى
وفارِقْ ولكِنْ بالّتي هِيَ أحسَنُ

ومعنى هذا الشعر: إذا كنت تريد أن تعيش سليماً من أذى الناس، آمناً من شرورهم، مطمئناً على نفسك ومالك، موفور الحظ، مصون العرض، فيجب عليك أن تحفظ لسانك فلا تتكلم في حقوق الناس ولا تلغ في أعراضهم ولا تذكر عيوبهم في غيبتهم أو في حضرتهم، ولتعلم أنك كالناس لك عيوب ولهم ألسن، فكما تتكلم في حقوقهم يتكلمون في حقك

ـلمغون في عرضك بالحق و بالباطل، وكذلك عينك
ـب أن تكفها عن النظر الى عيوب الناس، و إذا
ـت من ذلك شيئاً فاستره في نفسك واحفظه في
ـرك وقل: ياعين لا تنظري فان للناس عيوناً تنظر،
ـجب عليك أن تعاشر الناس بالحسنى وتعمو عن
ـسيئهم، واذا فارقتهم فليكن فراقك على خير حال
ـ غير عراك ولا شجار ولا غضب.

هـذه معان أخذها الشاعر من هذه الآية: «ولا
ـف ماليس لك به علم...» وتقول (الآية ٣٧ سورة
ـسراء): «ولا تَمْشِ في الأرْضِ مَرَحاً، إنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ
ـرضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجبالَ طُولاً» مرحاً: متبختراً متمايلاً
ـشي الجبارين، تخرق الأرض: تقطعها وتهدها،
ـولاً: ارتفاعاً وعلواً.

وتنهى الآية الانسان عن أن يمشي مختالاً متبختراً
ـتمايلاً من العجب والكبرياء، ينظر الى الناس نظرة
ـسخرية والاستهزاء، ويتكلم اليهم متعالياً عليهم،
ـإنَّ الانسان مهما بلغ من القوة لن يستطيع أن يخرق
ـلأرض بقدميه أو يهدها بمشيته، ومهما شمخ بأنفه
ـلن يكون كالجبال في طولها وارتفاعها، وهو وإنْ
ـكان يظن في نفسه أنه عظيم وكبير وقوي فانه عندالله
ـقير.

فمثل هذا الانسان لابد أن يقطع الله ظهره
ـيقلل قدره ويجعله محتقراً مهاناً، وأن يسكنه
الجحيم، فقد قال الرسول (ص): «لايدخل الجنةَ من
كانَ في قَلْبِهِ مِثقالُ ذرّةٍ من كِبر» يعني: لايمكن أن يدخل
الجنة من كان في قلبه مقدار صغير جداً من التكبّر
والتعالي.

وهذا من الأدب العالي أن يكلم المرء الناس
ـتواضع، وينظر اليهم على أنهم اخوان له، متساوون
معه في الخلق والحق، فالناس كلهم لآدم وآدم من
تراب.

وتقول (الآية ٣٨ سورة الإسراء): «كُلُّ ذٰلِكَ كانَ سَيِّئُهُ
عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً».

أي كل ماذكر من هذه العادات القبيحة
والأخلاق المرذولة يكرهه الله سبحانه وتعالى
ولايرضاه و يعاقب عليه أشد العقاب.

وتقول (الآية ٣٩ سورة الإسراء): «ذٰلِكَ مِمّا أوْحى إلَيْكَ
رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ فَتُلْقَى في
جَهَنَّمَ مَلوماً مَدْحُوراً».

يقول الله تعالى: هذا الذي أوحينا إليك وأمرناك
به من الأخلاق الحميدة وما نهيناك عنه من
الصفات الذميمة المرذولة أوحيناه اليك لتأمر الناس
به وتحضهم عليه فهو غاية الأدب ومكارم الأخلاق.

(وبعد): فهذا قليلٌ من كثير من الآداب التي
تناولها القرآن ليؤدب الناس بها وليعلمهم حسن
السلوك ويعوّدهم على مكارم الأخلاق، ولا يمكن أن
يتسع مقال أو تتسع مجلة محدودة الصفحات لكل ما
يحويه القرآن من آداب ●

المراجع لهذا البحث:

١) القرآن الكريم.
٢) تفسير ابن كثير.
٣) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول.
٤) معاجم اللغة العربية
ا ـ القاموس المحيط.
ب ـ مختار الصحاح.
ح ـ المنجد.

جامعة
العلوم الاسلامية الرضوية

الأستاذ زهير سليمان

المدخل الى التحقيق:

«مشهد» هي عاصمة اقليم «خراسان» البلد الاسلامي المشهور الذي يقع في الشمال الشرقي من الجمهورية الاسلامية في ايران...

كانت عاصمة للدولة القاجارية «الإمبراطورية الايرانية المشهورة» قبل انتقالها الى طهران.

تبعد عن العاصمة «طهران» نحو (١٠٠٠) كيلومتر، وهي مدينة قديمة جداً، كانت تسمى بـ«طوس»، وكذلك بـ«سناباد». وهذا الاسم مشهور في كتب التاريخ والسير والجغرافية وحتى في علم الرجال.

اشتهرت باسم «مشهد» بعد أن ضمت جثمان السيد الزكي الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، حيث كان اسم مشهد الإمام هو الذي طغى على بقية الأسماء، فصارت تعرف الآن بمدينة «مشهد»...

يقع الحرم الرضوي الشريف في وسط المدينة تقريباً، ومساحته على شكل دائرة قطرها نحو (٦٠٠)م. و يتألف من شارع محيط على جانبيه جدار بزخرفة إسلامية وفتحات تنفذ من خلاله الى الأسواق أو غير ذلك، وتتفرع من هذه المساحة الدائرية أربعة شوارع رئيسية تنحدر في جهات المدينة المختلفة، ثم بناية المرقد الشريف وتوابعه وهي كثيرة حيث المساجد القديمة والحديثة والمدارس الدينية والمكتبة الكبرى مكتبة الحرم الشريف والمستشفى ومضيف الإمام الذي يعد الطعام بوجبتين ظهراً وليلاً للفقراء ولزوار الإمام عدا في شهر رمضان فيبذل الطعام لوجبة الإفطار فقط... كذلك بناية الجامعة



التوحيد ١٠٢

[illegible] التي تألفت من اندماج مدرستين عريقتين هما: مدرسة (خيرات خان) التي أنشأها الأديب النيشابوري الذي كان يدرس في نفس المدرسة ومدرسة (ميرزا جعفر) التاريخية حيث يقع بينهما فاصل، وهما مبنيتان وفق الطراز الاسلامي والعمارة الاسلامية الرائعة، وقد أضيفت لها أبنية جديدة متعددة بشكل يجمع المدرستين والبناء الجديد ليؤلف بناية ضخمة جداً كبيرة تتألف من(٤) طوابق مضافاً لها المدرستان وأبنية ملحقة أخرى. وقد خصص الطابق الذي يكون تحت الأرض للخدمات كالاطعام والضيافة وغيرهما كما سنرى في الوصف العام الآتي حيث ان هذه البنايات المصممة تصميماً إسلامياً هي غاية في الابداع ومفخرة إسلامية كبيرة تحمل الاستقلالية المنبثقة عن الحاجة المطلوبة إذ لايشوبها تصميم موضوع وفق مقتضيات الغرب وثقافته وحضارته... وهذه الملاحظة واضحة جداً وملفتة للنظر، حيث تقتضي المصلحة والحاجة الاسلامية من محاضرات الدروس وقاعات الدراسة والمساجد ومحلات الوضوء والأقسام الداخلية ومحلات الراحة والنوم وقاعات المطالعة الى غير ذلك.

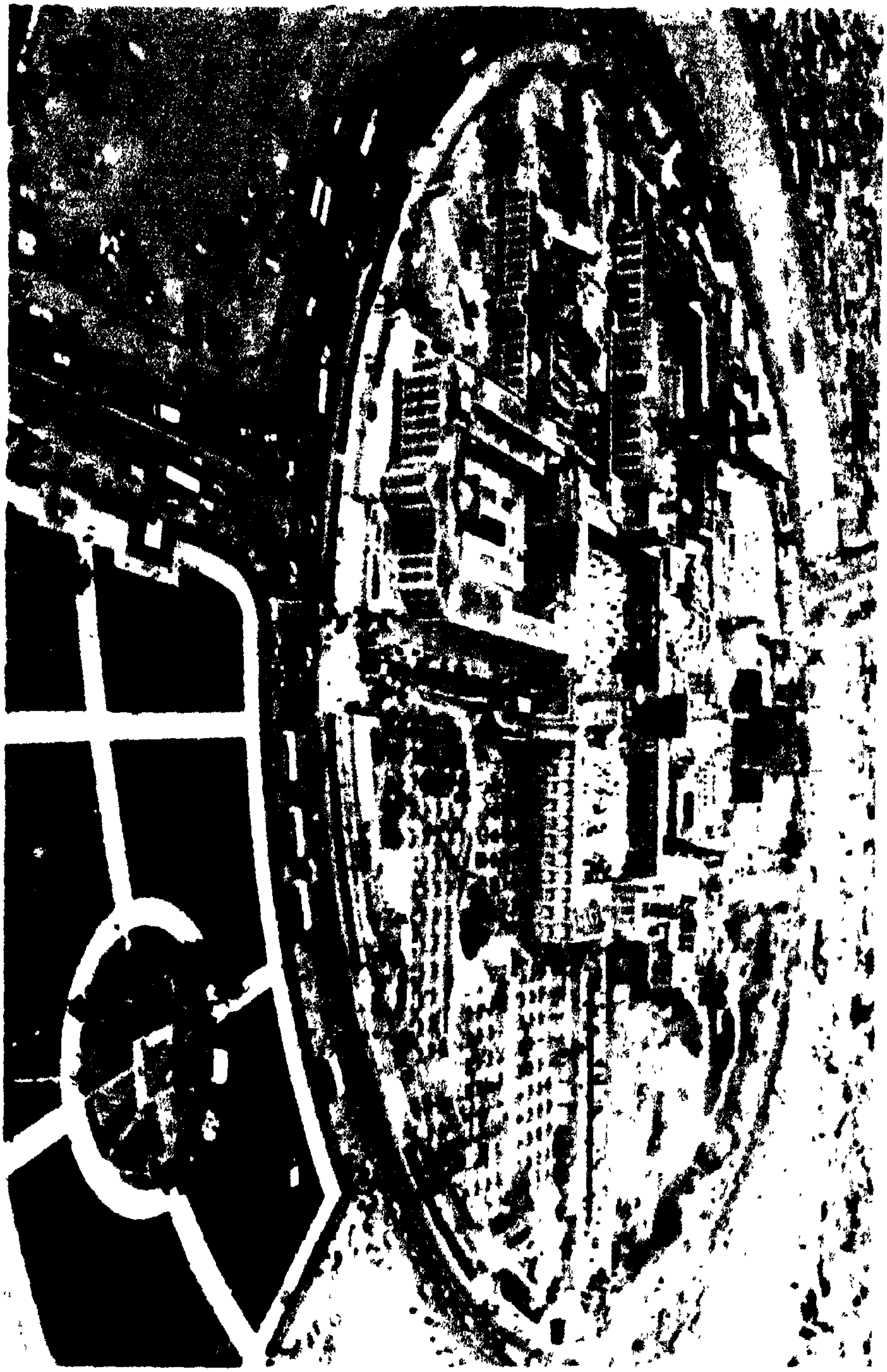
فلو فرضنا جدلاً أن ننقل هذه الجامعة -وأقصد بنايتها بكاملها وتصميمها- الى أي بلد أوروبي لما اختلف مشاهدان لها في أنها جامعة إسلامية في عمارتها وشكلها وحالها.

الوصف العام:

على أرض واسعة تبلغ مساحتها نحو (٢٢٠) ألف متر مربع، [illegible] الجامعة الاسلامية الجديدة وواجهاتها [illegible] الهندسة والعمارة والزينة بالكاشي الكربلائي والآيات القرآنية الشريفة والأحاديث النبوية المعتبرة والزخرفة الاسلامية المتنوعة المكسوة بالقاشان البديع... حدائقها الأمامية التي تقع بعد السياج الحديدي العالي المقابل للشارع المحيط تتوسطها الأحواض الجميلة... وأنت تدخل من الباب الرئيسي الكبير تواجهك قطعة منقوشة في الكاشي المطعم تبيّن حديثاً للرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: «رحم الله خلفائي. قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال: الذين يحيون سنتي ويعلمونها أمتي».

لم ندخل من هذا الباب، بل ذهبنا نحو الباب الواقع على جهة الشمال من المدخل العام، حيث نصل باباً رئيساً آخر، يحمل عبارة بخط رائع، هذا هو نصها: (قال الامام الصادق(ع): تفقهوا في الدين فإنّ من لم يتفقه منكم في الدين فهو أعرابي. وان الله عزّوجلّ يقول في كتابه «ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون»).

وهذا الباب يوصلنا مباشرة الى مكتب الرئاسة في الطابق الثاني، خاص برئيس الجامعة الأستاذ الدكتور السيد مصطفوي وهو يرتدي العمامة وزيه الاسلامي، وكذا قسم الشؤون المالية والادارية... وقد دار الحديث مع السيد مصطفوي عن الكثير من مسائل الجامعة المختلفة... وقبل أن نتكلم عن الغاية من إنشاء جامعة العلوم الاسلامية الرضوية ونظامها



صورة من الجو لساحة الإمام الرضا (ع)

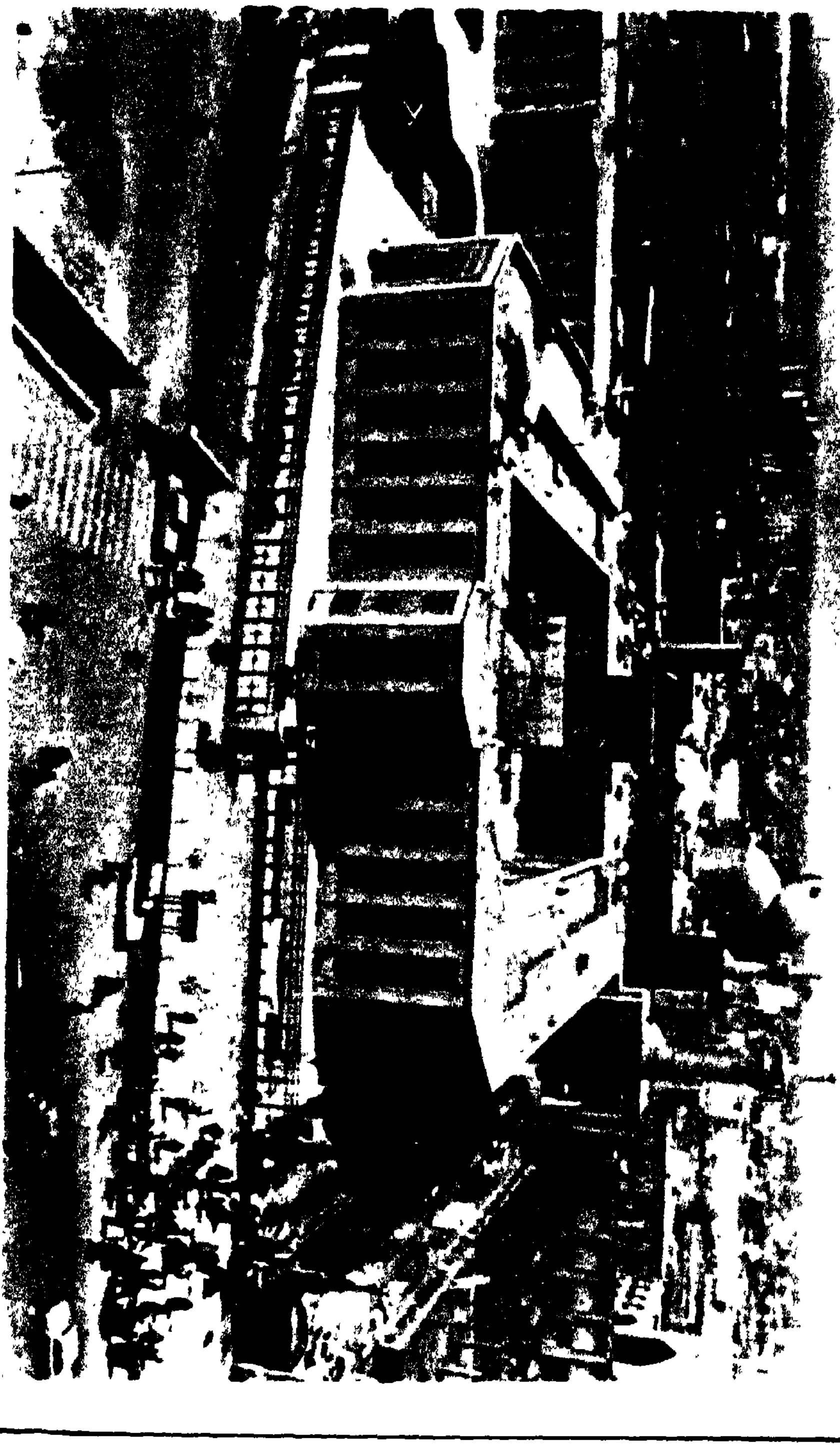
الداخلي وادارتها وارتباطها وكادرها التدريسي وكذلك طموح الجامعة وماليتها ولغاتها و. و. ذهبنا برفقة الأخ المدير الداخلي وهو أيضاً يحاضر بالجماعة.. فتجولنا في جميع أقسام الجامعة وطوابقها الأربعة، وكيف هدمت بعض أقسام مدرسة خيرت خان ورممت وأسست من جديد بموجب التصميم والتخطيط العام للجامعة.

يتألف الطابق التحتاني من مجموعة أقسام وغرف أعدت الى شعبة المخازن وشعبة الاطعام حيث فيها مطبخ واسع مجهز بالوسائل الحديثة والأدوات الجيدة ويمتاز بالجو الصحي وتصميم رائع و ينحدر الى إدارة المطعم وقسم التبريد للأطعمة الجاهزة مع حانوت كبير. وتقع في القسم المقابل قاعة المطعم، وهي قاعة كبيرة، فيها كراسي تسع (٢٠٠٠) شخص، مناضد، ويمتاز المطعم بنظام دقيق بحيث لايمكن أن يحدث ازدحام أو تأخير بالاطعام، ويمكن اطعام (٢٠٠٠) شخص خلال ساعة واحدة.

أما الطابق الذي يليه فتقع فيه بعض أقسام الادارة ومديرية الأقسام الداخلية و بعض الأقسام الأخرى، كذلك فيها قاعة الاجتماعات الكبرى وهي مزودة بالوسائل الحديثة والكراسي الدراسية العريضة التي يستفاد منها في الكتابة،و يقع ترتيب الكراسي فيها بشكل لايحدث إزعاجاً للآخرين و يكون أبعد الجالسين في القاعة قريباً من مكان المتحدث حيث رتبت بشكل خاص تتخلله مجازات ترتبط كلها لتفضي الى المنصة واللوحة وفيها بابان من الشمال والجنوب. كذلك في نفس الطابق يقع المسجد الكبير الخاص بالجامعة مع الغرف الصغيرة الخاصة بالاسكان للطلبة مع المرافق الكبيرة التي يحتاجها الطلبة وهي تفضي جميعها الى مدرسة ميرزا جعفر أي القسم الشمالي من الجامعة التي تتألف من مستطيل طويل يتوسطه حوض تقع حوله الغرف الدراسية على شكل طابقين.

ثم تجتاز الممر العرضي الموازي للمدرسة المذكورة لتصل الى باحة مثمنة مسقوفة تتدلى منها الشريات الرائعة وتعلوها الزخرفة والنحت الذي يصور للناظر فناً جميلاً يمثل قمة في العمارة والهندسة الاسلامية حيث البوابة التي تفضي الى حدائق الجامعة من ناحية الشرق. أما القسم الثالث من الباحة فيذهب بمدخل تقع فيه بعض الغرف الخاصة بمجموعة من الموظفين وقسم الحراسة، لينتهي بانتهاء الجدار الخارجي لمدرسة ميرزا جعفر السابقة.

أما الطابق الثالث ففيه قاعات الدرس مع المكتبة الحديثة الحافلة بمختلف الكتب والمصنفات. تقع عندها قاعة المؤتمرات وهي قاعة تتألف من طابقين مجهزة بالوسائل الحديثة، يمكن أن تستضيف المؤتمرات الكبيرة، ومصممة بشكل رائع يجمع الفن الاسلامي والهندسة الحديثة و يلتحق بها قسم خاص للترجمة الفورية المذاعة ليتمكن المؤتمرون من متابعة فقرات المؤتمر وبحوثه بأي لغة من اللغات الأصلية المعروفة. وهناك لاحت لوحة رائعة في الجمال تعلو واجهة القاعة الرائعة بخط رائع كتب عليها مايلي: (قال الرضا عليه السلام نقلاً عن الائمة من آبائه عن الرسول الأعظم(ص) يقول عن الله عزّوجلّ وهو يقول: «لا إله الا الله



منظر عام للعاصمة

حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي».

وعلى مقربة من المسجد يوجد قبر العالم الفاضل والمحدث الكبير الحر العاملي رحمه الله تعالى،مؤلف كتاب «وسائل الشيعة».

ويحوي الطابق الرابع قاعات للدراسة، وهي مرفقة ومرتبة ترتيباً جيداً.

أما المكتبة فهي كما أشرنا تقع في الطابق الثاني ومجهزة بالوسائل المساعدة على الدراسة والبحث، حيث زودت بمناضد وتنقسم المنضدة الى أربعة أقسام، يفصل كل قسم عن الآخر بحاجز خشبي بحيث لايستطيع المطالعون أن يرى أحدهم الآخر أي أن كل مطالع يستقل لنفسه في مقعده ودرسه. وتتصل بقاعة المطالعة قاعة الكتب والمخازن حيث هناك مكتبة الجامعة الحافلة بمختلف الكتب الفقهية وكتب الحديث والتفسير والأدب العربي والفارسي وكتب اللغة والقواميس وكتب التأريخ والجغرافية وعلوم الأصول والمنطق والفلسفة والاقتصاد والادارة وعلم النفس وغيرها من العلوم المختلفة والفنون المتنوعة، كما أن المكتبة لها نظام خاص بها.

لماذا الجامعة:

حينما التقينا بالدكتور مصطفوي رئيس الجامعة ومعاونه الشيخ السيد آبادي كلاًعلى انفراد، كان من جملة الأسئلة التي طرحناها هو: لماذا الجامعة الاسلامية هذه في مدينة مشهد بالرغم من وجود المدارس الدينية الكثيرة؟ فكان الجواب هو لتربية وإعداد أساتذة إسلاميين ومبلغين رساليين ومتخصصين في التحقيق العلمي الموضوعي و بالصورة المثلى التي يمكن أن تجمع بين طريقة التدريس في الجامعة الحديثة وطريقة التدريس التأريخية في الحوزة العلمية الاسلامية، ولذا فإنّ نظام الجامعة (جامعة العلوم الاسلامية الرضوية) هو نظام تلفيقي من نوعين من النظام..

إذن، فوجود لغات أجنبية يدرسها الطالب و يستعين بها في التبليغ مستقبلاً هو من جملة الأمور التي لاحظها النظام... وعلى أية حال؛ فإنّ هذا وذاك كان داعياً لإنشاء جامعة إسلامية حديثة في مشهد.. الجامعة تهدف الى تخريج العالم الديني والفقيه المتمكن والمبلغ الاسلامي والمحقق القدير والمتخصص في العلوم الفلسفية.

ارتباط الجامعة وتابعيتها:

إن أساس إنشاء الجامعة وإعداد نظامها وإدارتها، خاضع الى هيئة عليا تسمى «هيئة الأمناء». وتتشكل هذه الهيئة التي تشرف على الجامعة وتعتبر أعلى جهة في الجامعة، تتشكل من مجموعة من أساتذة الجامعات ومن أساتذة الحوزة العلمية من العلماء الأفاضل مع أعضاء دائميين بحكم وظائفهم.

وهيئة الأمناء هذه تتألف من أحد عشر عضواً، أربعة أعضاء منهم لهم العضوية الدائمة بحكم وظيفتهم، وهم:

١ــ رئيس الهيئة، وهو ممثل الإمام الخميني ــ حفظه الله تعالى ــ في سدانة الحرم الرضوي الشريف.

٢ــ رئيس الجامعة الاسلامية نفسها بحكم وظيفته كرئيس للجامعة.

٣ـ إمام الجمعة في مدينة مشهد.
٤ـ رئيس الحزب الجمهوري الاسلامي.
وثلاثة أعضاء من أساتذة الجامعة ذوي الخبرة واللياقة. والأربعة الأعضاء الآخرون هم من أساتذة الحوزة العلمية الاسلامية في مشهد.
وقد بيّن النظام الداخلي للجامعة ذلك.
ولهذا، فإنّ جامعة العلوم الاسلامية الرضوية في الوقت الحاضر مستقلة تماماً، وارتباطها الاداري هو بالهيئة السالفة الذكر، وتدار من قبل رئيس الجامعة ومجموعة من المعاونين في المجالات المالية والادارة والمناهج والأقسام الداخلية وغيرها. ولها أيضاً إرتباطات علمية وثقافية وتعليمية بالجامعات وجمعية أساتذة الجامعة والحوزات العلمية ووزارة التعليم العالي.

ميزانية الجامعة وماليتها:

إن جميع النفقات والمصاريف المالية تعتمد على ايرادات المدينة الرضوية الخاصة التي تهيأ مواردها من الموقوفات والنذور والهبات والتبرعات والهدايا الخاصة بالإمام الرضا عليه السلام، ولا تدخل في الميزانية العامة للدولة. ولذا فإنّ الصرف وتعاليمه يمتاز بحرية الانفاق وبموجب نظام مالي خاص بالجامعة وهو معد بموجب احتياجات الجامعة وأهدافها وأغراضها.

ملاك الجامعة وأقسامها:

حينما تكون الجامعة إسلامية ومتخصصة بالعلوم الاسلامية، فيحنئذ لابد أن يكون ملاكها التدريسي من المتخصصين في مختلف علوم الشريعة إضافة الى العلوم الأخرى، ولذا فإنّ ملاك الجامعة يتألف من أساتذة الجامعات من أصحاب الشهادات العالية والكفاءات اللائقة من ذوي الدكتوراه والماجستير في مجالات اختصاصهم، وكذلك من أساتذة الحوزة العلمية من ذوي الخبرة والقدرة العالية في التدريس والبحث.
أما أقسام الجامعة فإنّ الجامعة لازالت في بداياتها، وحيث أنها تتميز بنظام دراسي يتم بثلاث مراحل: المرحلة الأولى تنتهي بعد(٥) سنوات دراسية يحصل المتخرج فيها على الشهادة الأولية «الليسانس» أو حسب نظام الجامعة شهادة معادلة «لليسانس» أو البكالوريوس وهي شهادة اجازة، والمرحلة الثانية وهي أيضاً(٥) سنوات، ثم المرحلة الثالثة والأخيرة. وحيث أن المرحلة الأولى لم تنته بعد بالنسبة للدورة الأولى فان المرحلة الثانية لم تبدأ بعد، وبالتالي فإنّ مسألة التخصص والأقسام لا تزال غير معمول بها.
أما أقسام الجامعة وكلياتها المخطط لها والتي ستفتح فيها، فهي مجموعة كليات تعنى بالدراسات والتخصصات الاسلامية، مثل: كلية الفقه، كلية الأصول، كلية التفسير، كلية التبليغ... الخ.
والدروس التي تثبت للدراسة، تشمل:
ــ العلوم الفقهية بمختلف المراحل.
ــ العلوم الأصولية.
ــ العلوم الشرعية والقضائية والقانونية.
ــ العلوم الاقتصادية والمالية.

ـ العلوم الفلسفية والتأريخية والأخلاقية.
ـ علوم اللغة العربية وآدابها.
ـ علوم التفسير والحديث وعلوم القرآن.
ـ دراسات البحث الخارج المنهجية.
ـ علوم و آداب اللغة الفارسية.
ـ قاعات البحث وعلوم التحقيق.
ـ دراسات اللغات الأجنبية.

وهناك كذلك قسم المحادثة والتكلم باللغة العربية والانكليزية، يشرف عليه أساتذة أخصائيون.

القبول في الجامعة والشهادة التي تمنحها:

كبقية الجامعات، تشترط الجامعة كما في نظامها الداخلي في مواصفات وقابليات ولياقة المتقدمين للجامعة، وأهم شروط القبول فيها:

١ـ أن يكون الشخص حائزاً على الشهادة الثانوية المصدّقة والمعترف بها رسمياً بالنسبة للطلبة المنتمين الى المدارس العادية، أو من طلاب الحوزات العلمية.

٢ـ أن يجتاز كلا الطرفين أعلاه امتحاناً خاصاً تجريه الجامعة ، يسمى بامتحان القبول في الجامعة.

٣ـ على أن لايزيد عمر المتقدم للمرحلة الأولى عن (٢١) سنة، أما بالنسبة لطلاب الحوزة العلمية المتقدمين للقبول فيجب ألا يزيد عمرهم عن (٢٨) سنة.

٤ـ أن يكون ممن يتمتع بأخلاق اسلامية جيدة وموثق عن شخصيته.

اما الشهادة التي ستمنحها الجامعة لخريجي دراستها فهي لا تزال تخضع لمناقشات (شوراى عالى انقلاب فرهنگى) أي (المجلس الأعلى للثورة الثقافية)

ولقد اقتصر العام الحالي على الطلبة الايرانيين إلاّ بضع طلاب باكستانيين قبلوا في العام الحالي المشرف على النهائية، ولكن في نظام الجامعة انها ستستقبل طلاباً مسلمين غير ايرانيين مستقبلاً.. و يشترط بالمتقدم أن يكون ممن يجتاز الامتحان التحضيري أو امتحان القبول.

ويحق لخريجي جامعة العلوم الاسلامية الرضوية أن يمارسوا وظائف التبليغ والتدريس والخطابة والقضاء وأعمال التحقيق والفقاهة وغيرها ما يشابه حسب الفرع الذي سيتخرجون فيه.

ملاحظة أخيرة:

الشيء الملفت للنظر أن طلاب الصف الأول في المرحلة الأولى و بعد مضي أشهر قليلة تراهم يتكلمون اللغة العربية الفصحى بجدارة وشوق. فالمسلم الايراني يتلهف هنا بل و يفتخر أن يتكلم العربية لأنه يعتبرها لغة عقيدته ولغة قرآنه ولغة دينه. وقد تكلمنا مع بعض الطلبة باللغة العربية.

وأخيراً، نسأل المولى جلّ شأنه أن يمكّن عباده المؤمنين من إعمار أرضه بدينه القويم، وأن تتسع رقعة السيادة الاسلامية لتشمل الكون وتعلو راية «لا إله الا الله» عالية خفاقة فوق ربوع الكرة الأرضية، إنه سميع مجيب ●

حديث الثقلين

الشيخ قوام الدين الوشنوي القمي

يسر مجلة التوحيد أن تعيد نشر هذا البحث القيم حول حديث الثقلين، وهو من الأحاديث التي تلقي بضوئها على المسيرة الاسلامية الخالدة، والتي اتفق عليها المسلمون جميعاً.

الحمدلله مظهر الحق وناصره، وخاذل الباطل ومبطله، والصلاة والسلام على خير من اصطفاهُ من خلقه، محمد خاتم رسله، وعلى آله سفن النجاة في أمته، وعلى أصحابه الذين تمسكوا وأخذوا واعتصموا بثقليه، وهما: «الكتاب» الذي فيه الهدى والنور، وهو الثّقَل الأكبر وحبله الممدود من السماء إلى الأرض، «والعترة» وهي الثقل الأصغر، أهل البيت، الذين أذهب الله عنهم الرجس.

أما بعد؛ فهذا بحث يسرني أن يطلع عليه أهل العلم من إخواننا المسلمين في كل طائفة، فما قصدت به إلاّ جلاء حقيقة قد تغيب عن بعض الأذهان، في شأن حديث وردت به الأسانيد الصحيحة والروايات المتعددة في مختلف الكتب والمسانيد، وهو الحديث المعروف: «بحديث الثقلين»، وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه ومبلغه، إنه سميع مجيب الدعاء.

• • •

هذا الحديث أخرجه أكابر علماء المذاهب قديماً وحديثاً في كتبهم من الصحاح، والسنن والمسانيد، والتفاسير والسير والتواريخ، واللغة، وغيرها.

فهذا صحيح مسلم في الجزء السابع ص ١٢٢، وسنن الترمذي في الجزء الثاني ص ٣٠٧، وسنن الدارمي في الجزء الثاني ص ٤٣٢، ومسند أحمد بن حنبل في الجزء الثالث ص ١٤ و١٧، و ص ٢٦ و ٥٩، وفي الجزء الرابع ص ٣٦٦ و ص ٣٧١، وأيضاً في الجزء الخامس ص ١٨٢ و ١٨٩، وخصائص النسائي ص ٣٠، ومستدرك الحاكم في الجزء الثالث ص ١٠٩ و ١٤٨ و ٥٣٣، والحافظ الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) في الباب الأول ص ١١ في بيان صحة خطبته بماء يدعى خُمّاً، قال بعد نقل الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه، ورواه أبوداود وابن ماجة القزويني في كتابيهما، وأيضاً في الباب الحادي والستين ص ١٣٠، والطبقات لمحمدبن سعد الزهري البصري في الجزء الرابع ص ٨، والحلية لأبي نعيم الأصبهاني في الجزء الأول ص ٣٥٥، وأسد الغابة لابن الأثير الجزري في الجزء الثاني ص ١٢ وفي الجزء الثالث ص ١٤٧، والعقد الفريد لابن عبد ربه القرطبي في الجزء الثاني في خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع ص ٣٤٦ و ص ١٥٨، وتذكرة الخواص في الباب الثاني عشر ص ٣٣٢ لابن الجوزي، قال بعد نقل قول جده: وقد أخرجه أبوداود في سننه، والترمذي أيضاً، وذكره رزين في الجمع بين الصحاح، والعجب كيف خفي عن جدي ما روى مسلم في صحيحه من حديث زيدبن أرقم.. إلخ. وإنسان العيون لنور الدين الحلبي الشافعي في الجزء الثالث ص ٣٠٨، وذخائر العقبى لأحمدبن عبدالله الطبري ص ١٦ والسراج المنير للعزيزي الشافعي في شرح الجامع الصغير للسيوطي في الجزء الأول ص ٣٢١، وفي هامشه أيضاً للشيخ محمد الحفني، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٤، ونسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجي في الجزء الثالث ص ٤١٠، وفي هامشه أيضاً شرح الشفاء لعلي القاري، ومنتخب كنز العمال لعلي المتقي في هامش المسند للإمام أحمدبن حنبل في الجزء الأول ص ٩٦ و ١٠١، وفي الجزء الثاني ص ٣٩٠، وفي الجزء الخامس ص ٩٥، والكشف والبيان للثعلبي في تفسير آية الاعتصام، وفي تفسير آية «أيها الثقلان» وتفسير الإمام فخرالدين الرازي في تفسير آية الاعتصام في الجزء الثالث ص ١٨، و تفسير النظام النيسابوري في تفسير آية الاعتصام في الجزء الأول ص ٣٤٩، وتفسير الخازن في تفسير آية الاعتصام في الجزء الأول في ص ٢٥٧، وفي الجزء الرابع، في تفسير آية المودة ص ٩٤، وأيضاً في تفسير آية «سنفرغ لكم أيُّها الثقلان» ص ٢١٢، وابن كثير الدمشقي في تفسير آية المودة في الجزء الرابع ص ١١٣، وفي تفسير آية التطهير في الجزء الثالث ص ٤٨٥، وأيضاً في تاريخه في الجزء الخامس أو السادس في ضمن حديث الغدير، والمواهب العلية لحسين الكاشفي في تفسير آية «سنفرغ لكم أيها الثقلان»، والنهاية لابن الأثير الجزري في الجزء الأول، وأيضاً في الدر النثير للسيوطي ص ١٥٥، ولسان العرب لجمال الدين الأفريقي المصري في الجزء السادس في لغة العترة.وفي الجزء الثالث عشر

في لغة الثقل والثقيل. والقاموس لمجد الدين الشيرازي في لغة الثقل، وتاج العروس لمرتضى الزبيدي في الجزء السابع في لغة الثقل، ومنتهى الأرب لعبد الرحيم الصفي پوري في لغة الثقل وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي في الجزء السادس في معنى العترة ص ١٣٠، ومدارج النبوة لعبدالحق الدهلوي[٢] ص ٥٢٠، والمناقب المرتضوية لمحمد صالح الترمذي الكشفي ص ٩٦ و ٩٧ و ١٠٠ و ٤٧٢، ومفتاح كنوز السنة ص ٢ و ٤٤٨ ومصابيح السنة للإمام البغوي الشافعي في الجزء الثاني ص ٢٠٥ و ٢٠٦، وابن حجر في الصواعق ص ٧٥ و ٨٧ و ٩٩ و ٩٠ و ١٣٦، وإسعاف الراغبين في هامش نور الأبصار للشبلنجي ص ١١٠، وينابيع المودة لسليمان بن إبراهيم البلخي الحنفي ص ١٨ و ٢٥ و ٣٠ و ٣٢ و ٣٤ و ٩٥ و ١١٥ و١٢٦ و ١٩٩ و ٢٣٠ و ٢٣٨ و ٣٠١، والعلامة الكبير شمس سماء العلم والجلالة ومجدد مذهب الإمامية، السيد ميرحامد حسين الهندي، أعلا الله مقامه، قد رواه عن جماعة تقرب من المائتين من أكابر علماء المذاهب، من المائة الثانية إلى المائة الثالثة عشرة، وعن الصحابة والصحابيات، أكثر من ثلاثين رجلاً وامرأة، كلهم رووا هذا الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا هو الحديث برواياته المتعددة:

نص الحديث

«أيها الناس إنما أنا بشرٌ أوشكُ، أويُوشِكُ، أوإني لأظن، أنْ أدْعَى فأجيبَ، أوْ أنْ يأتِيني، أوْ يأتيَ رَسُولُ رَبّي، فأجيبَ، أوْ فأجيبَهُ، أو كأنّي قَدْ دُعيتُ فَأجبْتُ، وَإني، أوْ أنا تاركٌ، أو تركْتُ، أوْ قدْ تركْتُ، أو خَلَّفْتُ، أومُخلفٌ فيكم؛ الثَّقلين، أوثَقَلَيْن، أو أمْرَيْنِ، أو الثَّقَلَيْنِ خَليفَتَيْنِ، أوْ اثْنَيْنِ، أومَا إنْ تمسّكْتُمْ بِه، أوْما إنْ أخَذْتُمْ بِهِ، أوْمَا إنْ اعْتَصَمْتُمْ بهِ، لنْ تَضِلوا بَعْدي، أوْلنْ تَضلوا أبداً، أولنْ تَضِلوا، إن اتّبعتموهُما، أووإنكم لنْ تَضِلوا بَعْدهُما، وهُما كِتابُ اللّهِ، وأهلُ بَيْتِي عِتْرَتي، أحدُهما أثْقَلُ مِنَ الآخَرِ، أو كتابُ اللّه، حبْلٌ ممدود، أو كتابُ اللّهِ فيه الهُدَى والنّورُ، أو الصّدقُ، أو كِتابُ رَبّي وعِتْرَتي أهْلُ بَيْتِي، أوْ وَعِتْرَتي وهُم أهلُ بَيْتِي، أووَعِتْرَتِي أهلُ بَيتِي وقَرابَتِي، أوْأهلُ بَيتِي، أونَسَبِي؛ وإنّهُما لنْ يَتفرّقا، أولنْ يَفْترقا، أوْ أن لا يَفْتَرقا، أو إنّهُما لَقَرينانِ لنْ يَفْترِقا، حَتّى يَرِدَا عليّ الحوضَ، فَانْظروا، أوْ فَاتّقُوا اللّهَ، وانْظُروا كيفَ تخلفُوني، أو تحفَظوني فيهمَا، أو فانْظروا كيفَ تلحقُوابي فيهمَا، أوْبِمَ، أوْبِما، أوْمَاذا، أوْمَا تخلفُوني فيهمَا، أوْ إنّ اللطيفَ الخبيرَ أخبرني، أوْنبّأني، أوْأنبأني، أنهُما لنْ يَفْترقا حتّى يَلقياني، سَألْتُ ذلكَ رَبّي فَأعْطاني، فَلا تَسْبقوهُم فَتهلكوا، وَلا تُعَلّموهُم فإنّهُمْ أعْلمُ مِنكُمْ، أوفاسْتمسِكوا بِهما وَلا تَضِلوا؛ أوْإنّهما لنْ ينقضِيا حتى يَرِدَا عليّ الحوضَ، أوْ سألْتُهُما ربي فَوعَدَني أنْ يُورِدَهُما عليّ الحوضَ، أوْ سألتُه ذلكَ لهُمَا والحوض عرضه مابين بُصرى إلى صنعاء، فيه من الآنية عدد الكواكب»، أوْإنّ اللطيفَ الخبيرَ عَهِد إليّ أنّها لنْ يَفْترقا حتى يَرِدَا عليّ الحوضَ كهاتَين، وأشار بالسبابتين، أوإني فَرَطكم، وإنكم تبعي، وتوشكونَ أنْ تَرِدُوا عليّ الحوضَ،

واسألكم، أو سائلكم، حين تلقوني عن ثقليّ، أو إني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين: كيف خلفتموني فيهما؛ أو وانّ الله سائلي وسائلكم فاذا أنتم قائلون، أو إني لكم فرط، وانكم واردون عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين، قيل، أوقلنا، أو قالوا، وما الثقلان؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: كتابُ الله طرَفُهُ بيدِالله، وطرَفُهُ بأيديكم، أو قال؛ الأكبرُ، أو الثقلُ الأكبرُ، أو الأكبرُ منهُمَا. أو أوّلهما، أو أحدُهما، كتابُ الله، والأصغرُ، أو الثقل الأصغرُ، أو والآخرُ عِترتي، فن استقبل قِبلتي، وأجابَ دَعْوتي. فليستوصِ بهِمَا خيراً، أو أوصيكمْ بكتابِ الله، وعترَتي، أو حسْبُكم كتابُ الله وعترتي، أحدُهما أعظمُ منَ الآخرِ، أو قال: إنّي سائلكم عنِ اثنين: عنِ القرآنِ وعن عِترتي، أو إنّ الله سائلكمْ كيف خلفتموني في كتابه وأهلِ بيتي، أو إني تاركٌ فيكمْ ما إنْ تمسكتُم بهِ لنْ تضِلّوا، أو مَا إنْ أخذتم بهِ لنْ تضِلوا بَعْدي: أمرَيْنِ أحدُهُما أكبرُ منَ الآخرِ، سَبَبٌ موصولٌ من السّماءِ إلى الأرضِ، أو إني تاركٌ فيكم الثقلينِ خلفي: كتابَ الله وعترتي، أو قدْ تركتُ فيكم مَالم تضِلوا بَعده، أو إني تركتُ فيكم الثقلين: الثقلَ الأكبرَ والثقلَ الأصغر، وأما الثقلُ الأكبرُ فبيد الله طَرَفُهُ والطرفُ الآخرُ بأيديكم، وهو كتابُ الله، إنْ تمسكتم بهِ لنْ تضِلوا ولنْ تذِلوا أبداً، أو فاستمسكوا بهِ فلا تضلوا، ولا تبدلوا، أوفتمسكوا بهِ لنْ تزالوا ولنْ تضِلوا، وأمّا الثقلُ الأصغرُ فعترتي أهلُ بيتي، أو ألاَ وعترتي، أو أذكرُكم اللّهَ في أهل بيتي، قالها مَرةً، أو مرّتين، أو ثلاثَ مرات، أو إنّ الله عزّوجلّ، أوحى إليّ أني مَقبوض، أقولُ لكم قولاً إنْ عملتُمْ بهِ نَجوتُمْ، وان تركتُموهُ هلكتُمْ، إنّ أهلَ بيْتي وعترتي هُم خاصّتي وحامّتي، وانكم مَسؤولون عن الثقلين: كتابِ الله وعترتي، إنْ تمَسّكتمْ بِهما لنْ تضِلوا، أو إنكم لنْ تضِلوا إنْ اتبعتمْ واستمسكتمْ بِها، أو إني تاركٌ فيكمْ كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي، فهُما خليفتان بَعْدِي، أحَدُهما أكبرُ منَ الآخرِ، أو إني تاركٌ فيكم الثقلين: كلامَ اللهِ وعترتي، الأفتمسكوا بِهما، فإنهُمَا حبْلانِ لاينقطِعان إلى يوم القيامة». وقال: [٣].

«أيها الناس، يُوشكُ أنْ أُقبَضَ قَبضاً سريعاً فينطلقَ بي وقد قدّمتُ إليكم القولَ مَعْذِرَةً إليكم، ألاَ إنّي مُخلفٌ فيكمْ كتابَ رَبي عزّوجلّ وعترتي أهلَ بيتي، ثم أخذ بيدعلي فقال: هذا عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ لايفترقان حتى يردا على الحوض، فأسألوهما ماخلفتُ فيهما».

والطرق المروية لهذا الحديث لعلها تبلغ ستين طريقاً أو أكثر، وكلها متفقة على نقل لفظي الكتاب والعترة، أو أهل بيتي، أو هما معاً، وهو الأكثر، وإن اختلفت في نقل سائر الألفاظ صدراً وذيلاً كما أومأنا إليها قبلاً.

وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة:

«ثم اعلم أن لحديث التمسّك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً، وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بمعرفة، وفي آخر أنه قال بغدير خم، وفي آخر أنه قال بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي آخر أنه قال: لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف، ولا تنافي إذ لا مانع أنه كرر عليهم في تلك المواطن وغيرها، اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة».

وقال أيضاً في ص ١٣٦:

«ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضعة وعشرين صحابياً لاحاجة لنا بسطها».

وقال سليمان بن إبراهيم البلخي الحنفي في ينابيع المودة نقلاً عن الشريف السمهودي المصري في جواهر العقدين، قال بعد إيراد طرق عدة لهذا الحديث:

«وفي الباب زيادة على عشرين من الصحابة، ورواه شمس الدين السخاوي في الاستجلاب عن أبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم». ثم قال:

«وفي الباب عن جابر وحذيفة بن أسيد، وخزيمة بن ثابت، وسهل بن سعد، وضُميرة، وعامر بن ليلى، و عبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعدي بن حاتم، وعقبة بن عامر، وعلي بن أبي طالب، وأبي ذر، وأبي رافع، وأبي شريح الخزاعي، وأبي قدامة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي الهيثم بن التيهان، ورجال من قريش، وأم سلمة، وأم هاني بنت أبي طالب رضوان الله عليهم، انتهى كلام شمس الدين السخاوي[4] على ماحكاه عنه السيد مير حامد حسين الهندي صاحب العبقات، في الجزء الثاني من حديث الثقلين».

وقال صاحب العبقات:

«ورواه علي بن أبي طالب عليه السلام، والحسن بن علي المجتبى عليه السلام، وسلمان الفارسي، وأبوذر الغفاري، وابن عباس، وأبوسعيد، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأبوالهيثم بن التيهان، وحذيفة بن اليمان، وأبورافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحذيفة بن أسيد الغفاري، وخزيمة بن ثابت، ذوالشهادتين، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة، وعبدالله بن حنطب، وجبير ابن مطعم، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك، وطلحة بن عبيدالله التيمي، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، وسهل بن سعد، وعدي بن حاتم، وعقبة بن عامر، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو شريح الخزاعي، وأبوقدامة الأنصاري، وأبوليلى الأنصاري، وضُميرة الأسلمي، وعامر بن ليلى بن ضمرة، والمعصومة الكبرى فاطمة الزهراء، وأم سلمة، وأم هاني.

ومدرك رواية هؤلاء الصحابة والصحابيات، مضافاً إلى ما تقدم: ماوراه صاحب العبقات في الجزء الأول من حديث الثقلين، عن جماعة كثيرة من أكابر علماء المذاهب في كل عصر ومائة.

فالمائة الأولى: وهي المائة الثانية من الهجرة، رواه عن جماعة، منهم: سعيد بن مسروق سنة ١٢٦، وسليمان بن مهران المعروف بالاعمش سنة ١٤٦–١٤٧، ومحمد بن إسحاق بن يسار المدني سنة ١٥١، وعتبة بن مسعود الكوفي المسعودي، وعبدالله بن نمير الهمداني سنة ١٩٩، إلى أن عدّ سبعة عشر عالماً منهم في تلك المائة.

المائة الثالثة منهم: أبو عامر عبدالمالك بن عمرو العقدي ٢٠٤، وأبو بكر عبدالله بن محمد

المعروف بابن أبي شيبة ٢٣٥، وأحمدبن محمدبن حنبل الشيباني ٢٤١، وأبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ٢٥٥، ومسلم بن الحجاج النيسابوري ٢٦١، وأبوعيسى محمدبن عيسى بن سورة الترمذي ٢٧٩، إلى أن عدّ خمسة وثلاثين من أكابر العلماء في تلك المائة.

المائة الرابعة؛ منهم: أبو جعفر محمدبن جرير الطبري ٣١٠، وأبوعمر أحمدبن عبدالله القرطبي ٣٢٨، وأبوالعباس أحمدبن محمدبن سعيد المعروف بابن عقدة ٣٣٢، وأبو منصور محمدبن أحمدبن طلحة الأزهري اللغوي ٣٧٠؛ وأبوالحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني ٣٨٩؛ إلى أن عدّ واحداً وعشرين من أكابر تلك المائة.

المائة الخامسة؛ منهم: أبو عبدالله محمدبن عبدالله الحاكم النيسابوري ٤٠٥ وأبو إسحاق أحمدبن محمدبن إبراهيم الثعلبي ٤٢٧، وأبونعيم أحمدبن عبدالله الأصبهاني ٤٣٠، وأبوبكر أحمدبن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ٤٨٨، وأبوالحسن علي بن محمدبن الطيب الجلالي المعروف بابن المغازلي ٤٨٣، إلى أن عدّ ثلاثة عشر من أكابرهم في تلك المائة.

. المائة السادسة؛ منهم: أبو محمد الحسين مسعود الفراء البغوي المعروف بمحيي السنة ٥١٦؛ وأبو البركات عبدالوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي البغدادي ٥٦٧، وأبو المؤيد موفق بن أحمد المكي المعروف بأخطب خوارزم ٥٧١، وأبوالقاسم علي بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر ٥٧١، وسراج الدين أبو محمد علي بن عثمان بن محمد الأوشي الفرغاني الحنفي ٥٦٩، إلى أن عدّ ثلاثة عشر من أكابر تلك المائة.

المائة السابعة؛ منهم: مبارك بن محمدبن محمدبن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الجزري ٦٠٦، وأبوالحسن علي بن محمدبن محمدبن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الجزري ٦٣٠، وضياء الدين محمدبن عبدالواحد المقدسي الحنبلي ٦٤٣، وشمس الدين أبوالمظفر يوسف بن سبط بن الجوزي ٦٥٤؛ ونظام الدين حسن بن محمدبن الحسين القمي النيسابوري المعروف بالنظام الأعرج؛ إلى أن عدّ ستة عشر من أكابرهم في تلك المائة.

المائة الثامنة؛ منهم: صدرالدين أبو الجامع إبراهيم بن محمدبن المؤيد الحموي ٧٢٢، وعلاءالدين علي بن محمدبن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن ٧٤١، وشمس الدين أبو عبدالله محمدبن أحمد الذهبي ٧٤٨، وإسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٦؛ وسعدالدين مسعودبن عمر التفتازاني ٧٩١؛ إلى أن عدّ ستة عشر من أكابرهم في تلك المائة.

المائة التاسعة؛ منهم: مجدالدين محمدبن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي ٨١٧، ومحمدبن محمود الحافظي البخاري المعروف بخواجه بارسا ٨٢٢، وملك العلماء شهاب الدين الدولتابادي ٨٤٩، إلى أن عدّ خمسة من أكابرهم في تلك المائة.

المائة العاشرة؛ منهم: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١، ونورالدين علي بن

عبدالله السمهودي ٩١١ وشمس الدين محمد العلقمي ٩٢٩، وشهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي المكي ٩٧٤، ومحمد الطاهر الفتني الكجراتي ٩٨٦، إلى أن عدّ سبعة عشر من أكابرهم في تلك المائة.

المائة الحادية عشرة؛ منهم: علي بن سلطان محمد المعروف بعلي القاري سنة ١٠١٤ وعبدالرؤوف ابن تاج العارفين المناوي ١٠٣١، ونورالدين علي بن إبراهيم بن أحمد بن علي الحلبي الشافعي ١٠٤٤، وأحمد بن الفضل بن محمد باكثير المكي ١٠٤٧، وشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي ١٠٤٧، إلى أن عدّ أحد عشر من أكابرهم في تلك المائة.

المائة الثانية عشرة؛ منهم: أحمد أفندي الشهير بالمنجم باشي ١١١٣، ومحمد بن عبدالباقي بن يوسف الأزهري الزرقاني المالكي [5] ١١٢٢، وولي الدين عبدالرحمن الدهلوي ١١٧٤، ومحمد بن إسماعيل الأمير اليماني الصنعاني ١١٨٢ ومحمد بن علي الصبان. إلى أن عدّ ثلاثة عشر من أكابرهم في تلك المائة.

المائة الثالثة عشرة؛ منهم: محمد مبين بن محب الله اللكهنوي ١٢٠٢، وولي الله بن حبيب الله اللكهنوي، ورشيدالدين خان دهلوي، وسليمان بن إبراهيم المعروف بخواجه كلان الحسيني البلخي الحنفي المعاصر، والمولوي صديق حسن خان المعاصر، إلى أن عدّ عشرة من أكابرهم في تلك المائة، ورواه في الجزء الثاني من حديث الثقلين عن أكثر من مائة من علماء المذاهب، من المائة الثانية إلى المائة الثانية عشرة عن زيد بن أرقم بطرق متعددة وعبارات شتى.

وأما ما رواه بعض الأعلام في تفسير آية الاعتصام [6] فإن كان المراد منه ما روي عن الإمام مالك في الموطأ [7] بلاغاً، وعن الطبراني في الكبير، وابن هشام في السيرة، وابن حجر في الصواعق مرسلاً؛ فقد ظهر مما قدمناه أنه غير حديث الثقلين قطعاً، وكذا يظهر مما ذكره ابن حجر وكمال الدين الجهرمي، وصاحب المرقاة في الصواعق والمنح المكية، والبراهين القاطعة والمرقاة.

قال ابن حجر في مواضع من الصواعق، منها بعد قوله: «وفي رواية كتاب الله وسنتي» قال: وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب، لأن السنة مبينة له. فأغنى ذكره عن ذكرها، ومنها قوله:

«إذ لا مانع من أنه صلى الله عليه وآله وسلم كرر عليهم ذلك في تلك المواطن اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة».

ومنها قوله: تنبيه ـــ سَمّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وعترته ـــ وهي بالمثناة الفوقية الأهل والنسل والرهط الأدنون ـــ ثقلين، لأن الثقل كل نفيس خطير مصون، وهذان كذلك إذ كل منهما معدن للعلوم الدينية والأسرار والأحكام الشرعية، ولذا حثّ صلى الله عليه وآله وسلم على الاقتداء بهم والتعلم منهم، وقال: الحمد لله الذي جعل الحكمة فينا أهل البيت، إلى أن قال:

و يؤيده الخبر السابق «ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم» وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، وشرفهم بالكرامات الباهرة. والمزايا المتكاثرة، وقد مرَّ بعضها وسيأتي الخبر الذي في قريش؛ وتعلموا منهم فإنهم أعلم منكم، فإذا ثبت هذا العموم لقريش، فأهل البيت أولى منهم لأنهم امتازوا عنهم لخصوصيات لايشاركهم فيها بقية قريش، وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب، العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كمايأتي، و يشهدلذلك الخبر السابق «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي» إلى آخره. ثم أحق مَن يُتَمسك به منهم: إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لماقدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته، ومن ثم قال أبو بكر: «علي عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» أي الذين حثَّ على التمسك بهم؛ فخصه لما قلناه، كذلك خصه صلى الله عليه وآله وسلم بما مرَّيوم غدير خُم، ومنها بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تَقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنها فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم». قال: وقوله دليلٌ على أن من تأهل منهم للمراتب العليّة والوظائف الدينية كان مقدماً على غيره، ومنها قوله في المنح المكية في شرح القصيدة الهمزية:

آل بيت النبي إن فؤادي
ليس يسليه عنكم التأساءُ[8]

قال وفي الحديث أيضاً: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي: كتاب الله وعترتي، فليُتأمل أنه صلى الله عليه وآله وسلم قرنهم بالقرآن في أن التمسك بهما يمنع الضلال و يوجب الكمال.

وقال صاحب كتاب المرقاة ــ علي القاري ــ في شرح المشكاة في مواضع منه، منها بعد ذكر الكتاب.

ومن جملة كتاب الله العمل بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقوله سبحانه «وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا».

ومنها قوله:

وقال الطيبي: وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم» إشارة إلى أنها بمنزلة التوأمين الخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه يوصي الأمة بحسن المعاشرة معهما، وإيثار حقهما على أنفسهم، كما يوصي الأب المشفق لأولاده، و يعضده الحديث السابق في الفصل الأول «أذكركم الله في أهل بيتي» كما يقول الأب المشفق «الله الله في حق أولادي».

ثم قال: أقول الأظهر هو أن أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد

بهم أهل العلم منهم، المطلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه و حكمته، وبهذا يصلح أن يكونوا مقابلاً لكتاب الله سبحانه كما قال: «ويعلّمهم الكتاب والحكمة» و يؤيده ما أخرجه أحمد في المناقب عن حميدبن عبدالله بن زيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر عنده قضاء علي بن أبي طالب عليه السلام، فأعجبه وقال: «الحمدلله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت» إنتهى. وقال المناوي في فيض القدير: «إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله، حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ـ أي الكوثر ـ يوم القيامة» وزاد في رواية «كهاتين» وأشار بأصبعيه، وفي هذا مع قوله أولاً: «إني تارك فيكم» تلويح بل تصريح بأنهما كتوأمين خلفهما ووصّى أمته بحسن معاملتهما وايثار حقهما على أنفسهم، والاستمساك بهما في الدين.

أما الكتاب فلأنه معدن للعلوم الدينية، والحكم الشرعية، وكنوز الحقائق، وخفايا الدقائق، وأما العترة فلأن العنصر إذا طاب أعان على فهم الدين فطيب العنصر يؤدي إلى حسن الأخلاق، وحسنها يؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته وطهارته.

قال الحكيم: «والمراد بعترته هنا العلماء العاملون منهم إذهم الذين لا يفارقون القرآن» ثم قال: تنبيه ـ قال الشريف السمهودي: وهذا الخبر يفهم منه وجود من يكون أهلاً للتمسك من أهل البيت والعترة الطاهرة في كل زمان إلى قيام الساعة، حتى يتوجه الحث المذكور إلى التمسك به كما أن الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض. إنتهى ماحكاه عنهم صاحب العبقات في الجزء الأول من حديث الثقلين.

ورواه صاحب العبقات في الجزء الثاني من حديث الثقلين عن جماعة أخرجوه بلفظ الأخذ، منهم: محمدبن سعدالبصري في كتاب الطبقات، وابن راهويه الحنظلي في المسند، وأحمدبن حنبل الشيباني في المسند، وأبوعيسى الترمذي في الصحيح، وأبوعلي التميمي في المسند، ومحمدبن جرير الطبري في كتاب تهذيب الآثار، وأبوعبدالله المحاملي في كتاب الأمالي، وسليمان بن أحمد الطبراني في المعجم الكبير، وأبو إسحاق الثعلبي في التفسير، ومحيي السنة البغوي في المصابيح، والقاضي عياض في كتاب الشفاء، ومجدالدين بن الأثير الجزري في جامع الأصول، وولي الدين الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح، وأبوالحجاج المزي في تحفة الأشراف في معرفة الأطراف، وشمس الدين الخلخالي في المفاتيح في شرح المصابيح، وجمال الدين الزرندي في نظم درر السمطين، وابن كثير الدمشقي في التفسير، وسعدالدين التفتازاني في شرح المقاصد، والخواجه پارسا في فصل الخطاب، وشهاب الدين الدولتابادي في هداية السعداء، وشمس الدين السخاوي في الاستجلاب، وجلال الدين السيوطي في إحياء الميت بفضائل أهل البيت، وأيضاً في الأساس في مناقب بني العباس، وأيضاً في الدر المنثور، وأيضاً في جمع الجوامع، ونورالدين السمهودي في جواهر العقدين، وعبدالوهاب بن محمد البخاري في

تفسير الأنوري، وملاعلي المتقي في كنزالعمال، وملاعلي القاري في شرح الشفاء للقاضي عياض، وفي المرقاة في شرح المشكاة، وأحمدبن فضل بن محمد باكثير المكي في وسيلة المآل، والسيدمحمود القادري الشيخاني في الصراط السوي، وشهاب الدين أحمد الخفاجي في نسيم الرياض، وحسام الدين السهادينوري في المرافض، وميرزا محمد البدخشاني في مفتاح النجا، ومولوي اللكهنوي في وسيلة النجاة، وميرزا حسن علي المحدث اللكهنوي في تفريح الأحباب، ومولوي رشيدالدين خان الدهلوي في رسالة الحق المبين، وسليمان بن إبراهيم البلخي في ينابيع المودة، والمولوي صديق حسن خان المعاصر في السراج الوهاج، و رواه في الجزء الأول من حديث الثقلين بلفظ الثقلين عن جماعة من أعاظم العلماء في كل عصر و مائة منهم سعيدبن المسروق، روى عنه مسلم، والركين الفرازي روى عنه أحمد في المسند، وأبوحيان التيمي الكوفي روى عنه مسلم، وأحمد وعبدالملك العرزمي روى عنه أحمد، ومحمدبن إسحاق اليسار المدني، روى عنه أبن منصور الإفريقي، وإسرائيل السبيعي روى عنه أحمد، وابن علية البصري روى عنه مسلم، ومحمدبن الفضل الضبي روى عنه الترمذي ومسلم، ويحيى بن حماد الشيباني روى عنه النسائي والحاكم، وزهير بن الحرب، روى عنه مسلم، ونصر بن عبدالرحمن الناجي روى عنه الترمذي، ونصر بن علي الجهرضي روى عنه حكيم الترمذي في نوادر الأصول، ومحمدبن المثنى العنزي روى عنه النسائي في خصائصه، وابن ماجة القزويني روى عنه محمدبن يوسف الكنجي في كفاية الطالب، وأبو داود السجستاني روى عنه الكنجي، وسبط ابن الجوزي في الكفاية وتذكرة الخواص، وأسعدبن عامر الشاذان الشامي روى عنه أحمد، وشجاع بن مخلا الفلاس روى عنه مسلم، ومحمدبن البكار الهاشمي روى عنه مسلم، والدارمي في السنن، وحكم الترمذي في نوادر الأصول، والبزار في المسند، وعبدالله بن أحمد في زيادات المسند، وأبو عوانه في المسند الصحيح، وعبدبن حميد في المسند، والحاكم في المستدرك ، وأبو يعلى أحمدبن علي بن المثنى روى عنه السيوطي في إحياء الميت، وأبو عبدالرحمن النسائي في الخصائص، والطبراني في الكبير والأوسط والصغير، و محمد باكثير في وسيلة المآل، والباغندي روى عنه ابن المغازلي، وأحمد بن يحيى المعروف بثعلب في تهذيب اللغة، وابن أبي الدنيا في فضائل القرآن، ومحمدبن المظفر البغدادي روى عنه ابن المغازلي، وأبو إسحاق الثعلبي في التفسير، وعبدالملك بن محمد الواعظ النيسابوري في كتاب شرف النبوة، وأبو نعيم الأصبهاني في منقبة المطّهّرين والحلية، وابن المغازلي في المناقب، وابن خزيمة في الصحيح، وأبوالمظفر السمعاني في رسالة القوامية، وابن أبي عاصم النبيل في كتاب السنة، والغندجاني روى عنه ابن المغازلي وأبونصر في تاريخ اليمني[٩]، والحميدي في كتاب الجمع بين الصحيحين، وأحمدبن الحسين بن علي البيهقي روى عنه الخوارزمي في المناقب، وأبوسهل النحوي البشران روى عنه ابن المغازلي، وابن عبدالبر القرطبي روى عنه شاه ولي الله في ازالة الخفاء، ومحمدبن طاهر المقدسي في كتاب طرق حديث الثقلين، وشيرو يه الديلمي في كتاب فردوس

الأخبار، ومحيي السنة البغوي في المصابيح، ورزين العبدري في كتاب الجمع بين الصحاح، والقاضي عياض في الشفاء، والعاصي في زين الفتى في تفسير سورة هل أتى، وأخطب خوارزم في كتاب المناقب، وابن عساكر روى عنه ابن كثير في تاريخه، وأبوموسى المديني في التتمة بمعرفة الصحابة في ذيل الحلية لأبي نعيم، وأبوالفتوح العجلي في كتاب فضائل الخلفاء، ومجدالدين بن الأثير الجزري في جامع الأصول، والامام فخرالدين الرازي في التفسير، وضياءالمقدسي في كتاب المختارة، والصنعاني في مشارق الأنوار النبوية، وابن طلحة الشافعي في مطالب السئول، ومحمدبن يوسف الكنجي الشافعي في كفاية الطالب، والأبيوردي الشافعي روى عنه السيوطي في إحياء الميت، ومحي الدين النووي في كتاب تهذيب الأسماء واللغات، ومحب الطبري في ذخائر العقبى، والنظام الأعرج النيسابوري في التفسير، وسعدالدين الفرغاني في شرح القصيدة، وجمال الدين الافريقي في لسان العرب في لغة الثقل والحبل، وصدر الدين الحموي في فرائد السمطين، ونجم الدين القمولي في التكملة في تفسير مفاتيح الغيب، وفخرالدين الهانسوي في دستور الحقائق، وعلاءالدين الخازن في لباب التنزيل، وولي الدين الخطيب في مشكاة المصابيح، وأبوالحجاج المزي في تحفة الأشراف، والطيبي في الكاشف في شرح المشكاة، والخلخالي في المفاتيح في شرح المصابيح، والذهبي روى عنه الشيخاني في الصراط السوي[10]، وجمال الدين الزرندي في نظم درر السمطين، وابن كثير الدمشقي في التفسير، والسيدعلي الهمداني في كتاب المودة، والسيدمحمد الطالقاني في رسالة «قيافة نامه»، والتفتازاني في شرح المقاصد، والحميدبن أحمد المحلي في كتاب محاسن الأزهار، ومجدالدين الشيرازى في القاموس، والخواجه بارسا في فصل الخطاب، وشهاب الدين الدولتا بادي في هداية السعداء، وشمس الدين السخاوي في الاستجلاب، والسيوطي في إحياء الميت، وفي الأساس وفي البدور السافرة، وفي الدرّ المنثور وفي الجامع الصغير، وفي الدر النثير، وفي الخصائص الكبرى، والسمهودي في جواهر العقدين، والروزبهان في الرسالة الاعتقادية، وشهاب الدين القسطلاني في المواهب اللدنية، وشمس الدين العلقمي في الكوكب المنير، وابن حجر المكي في الصواعق، وعليّ المتقي في كنز العمال، ومحمد طاهر الفتني في مجمع البحار، والميرزا مخدوم الشريفي في النواقض، وكمال الدين الجهرمي في البراهين القاطعة، وبدر الدين الرومي في تاج الدرة، وجمال الدين المحدث في فضائل الأربعين، وعلي القاري في شرح الشفاء، وعبدالرؤوف المناوي في «فيض القدير»، والملا يعقوب اللاهوري في رسالة العقائد، ونورالدين الحلبي الشافعي في إنسان العيون، وأحمدبن الفضل بن باكثير المكي في وسيلة المآل، ومحمود الشيخاني القادري في الصراط السوي، والسيد محمد البخاري في كتاب تذكره الأبرار، وعبدالحق الدهلوي في مدارج النبوة، وشهاب الدين الخفاجي في نسيم الرياض، والعزيزي البولاقي في السراج المنير، والمقبلي[11] الصنعاني في ملحقات الأبحاث المسددة، قال بعد نقل الحديث: ورواياته مع شواهده متواترة معنىً، والزرقاني المالكي في شرح المواهب اللدنية،

وحسام الدين الشهاشيهي في المرافض، وميرزا محمد البدخشاني في مفتاح النجا، ومفتي الدين الشافعي في تعضيد النقود، ومحمد صدر عالم في معارج العلا، وولي الدين الدهلوي في إزالة الخفاء، ومحمد اسماعيل الأميرالياني في الروضة في شرح التحفة، ومحمد معين السندي في كتاب دراسة اللبيب؛ ومحمد بن علي الصبان في إسعاف الراغبين، ومحمد مرتضى الزبيدي الواسطي في تاج العروس، وأحمد[12] العجيلي الشافعي في ذخيرة المآل، ومحمد مبين اللكهنوي في وسيلة النجاة، وجمال الدين المحدث اللكهنوي في تفريح الأحباب، وعبدالرحيم الصفي بوري في منتهى الأرب، وولي الله اللكهنوي في مرآة المؤمنين، ورشيدالدين خان الدهلوي في رسالة الحق المبين، وعدوي الحمزاوي في مشارق الأنوار وسليمان بن ابراهيم البلخي الحنفي المعاصر في ينابيع المودة، ومولوي صديق حسن خان المعاصر في السراج الوهاج في شرح الصحيح لمسلم.

تنبيهات:

و ينبغي التنبيه على أمور:

الأول: إنّا لاننكر ورود النص في التمسك بالسنة السنية المحمدية.

[في مثل: كتاب الله وسنتي] بل المراد أن تلك النصوص غير حديث الثقلين المتفق عليه بين فرق الإسلام.

الثاني: ما أوردته في طي هذه الأوراق يعلم الله جلّ جلاله أني لم أرِدْ به الجدال والشحناء بل ذكرته إيقاظاً للبصائر والأبصار، فإن المؤمن مرآة المؤمن، والمسلمون يد واحدة على من سواهم، عصمنا الله من الزلل في القول والعمل.

الثالث: ما أودعته في هذه الرسالة من كلمات فطاحل اخواننا أهل السنة نقلته عن كتبهم، وأسانيدي إلى أرباب تلك الكتب معنعنة متصلة موصولة، بواسطة أحد مشايخي الأعاظم وهو آية الله العظمى السيد شهاب الدين النجفي المرعشي أدام الله تعالى ظله. الراوي عن علماء الإسلام بفرقهم المتشعبة من الإمامية والحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة والزيدية.

الهوامش

(١) قال جمال الدين الأفريقي المصري في لسان العرب: وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] كتاب الله وعترتي أحدهما أعظم من الآخر وهو حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وفي بعضها: إني تارك فيكم [illegible] ومتمسك [illegible] نسل [illegible] الأقربون أهل البيت، وقال علي بن أحمد [illegible] الشافعي [illegible]

أي أعني ، أوهم، والمراد العلماء منهم، أي أحثكم على اتباعهما لا تخالفوهما وإنهما أي الكتاب والعترة لن يفترقا حتى يردا على الحوض. يحتمل أن المراد العلماء منهم يستمرون آمرين بما في الكتاب إلى قيام الساعة والله أعلم بمراد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم (العبقات).

(٢) قال الشيخ عبدالحق الدهلوي في اللمعات في شرح المشكاة: سمى صلى الله عليه وآله وسلم الكتاب والعترة الثقلين، لأنه يستصلح الدين بهما و يعمر كما عمرت الدنيا بالثقلين، الى أن قال: والظاهر أن المراد بأهل البيت ههنا أخص من أولاد الجد القريب وهم بنوهاشم، بل أولاده وذريته، والعترة أعم من ذلك فافهم (العبقات).

وقال شيرو يه الديلمي في كتاب فردوس الأخبار: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيكم حبل من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة وأهل بيتي أذكركم في أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يعني الأخذ بها ثقيل.
وقال مجدالدين بن الأثير الجزري في جامع الأصول: سمى النبي(ص) القرآن العزيز وأهل بيته ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بما يجب لهما ثقيل. وقال مسعودبن عمر التفتازاني في (شرح المقاصد) ألا ترى أنه (ص) قد قرنهم بكتاب الله تعالى في كون التمسك بهما منقذاً من الضلالة ولا معنى للتمسك بالكتاب إلا الأخذ بما فيه من العلم والهداية فكذا في العترة. وقال السيوطي في الدر النثير في لغة الثقل: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي سماهما ثقلين لعظم قدرهما و يقال لكل نفيس خطير: ثقل، أولأن الأخذ بهما والعمل ثقيل (العبقات).

(٣) رواه الدارقطني ومحمدبن جعفر الرزاز، وابن عقدة، والشريف السمهودي، وأحمدبن الفضل باكثير المكي ومحمود الشيخاني و شيخ بن عبدالله العيدروسي اليمني، حكاه عنهم صاحب العبقات. و رواه أيضاً ابن حجر في الصواعق ص ٧٥، وسليمان بن ابراهيم الحنفي في (ينابيع المودة) ص ٣٣.

(٤) وقال السخاوي بعد نقل الحديث عن الترمذي وأحمد والطبراني وأبو يعلى الموصلي: أخرجه مسلم أيضاً، وكذا النسائي باللفظ الأول وأحمد والدارمي في مسنديهما وابن خزيمة في صحيحه، وآخرون كلهم من حديث أبي حيان التيمي يحيى بن سعيدبن حيان عن يزيدبن حيان، وأخرجه الحاكم من حديث الأعمش.(العبقات).

(٥) قال محمدبن عبدالباقي الأزهري الزرقاني المالكي في السراج المنير في شرح الجامع الصغير: أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً. قال الحكيم الترمذي: حضَّ على التمسك بهم لأن الأمر هم معاينة فهم أبعد عن المحنة، وهذا عام أريد به الخاص وهم العلماء العاملون منهم.فخرج الجاهل والفاسق.. إلى أن قال: قال فخرالدين الرازي جعل الله أهل بيته مشاركين له (ص) في خمسة أشياء: في المحبة وتحريم الصدقة والطهارة والسلام والصلاة لم يقع ذلك لغيرهم. وقال أيضاً في الكتاب المذكور: زاد في رواية كهاتين وأشار بأصبعيه. وفي هذا مع قوله أولاً: إني تارك فيكم تلويح بل تصريح بأنهما كتوأمين خلفهما ووصى أمته بحسن معاملتهما.. الخ.

وقد مرَّ نظير هذا الكلام قبلاً رو يناه عن المناوي في فيض القدير، فراجع. وقال محمدبن اسماعيل الأمير اليماني في الروضة في شرح التحفة وحديث الثقلين قد أخرجه أئمة المسانيد عن أكثر من عشرة أو عشرين من الصحابة.

(٦) السنة الثالثة، في العدد الأول من رسالة الاسلام.

(٧) الموطأ في هامش مصابيح السنة، في الجزء الثاني، ص ١٩٧، حدثني عن مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه».

(٨) وقال بدر الدين الروي في تاج الدرة في شرح قصيدة «البردة» عند قول البوصيري:

دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غيرمنفصم

قال: فالمعتصمون بدينه والمجيبون لدعوته اعتصام حق وإجابة صدق معتصمون بسبب من الله متصل إلى رضوانه الأكبر من غير أن يطرأ عليه انفصام أصلاً وذلك السبب ليس إلاّ كتاب الله تعالى وعترة نبيه صلى الله عليه وسلم من أهل العفة والطهارة الواجب على غيرهم مودتهم بعد معرفتهم إيماناً لقوله تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجرا».. إلخ، وتصديقاً لقوله صلى

الله عليه وسلم: «تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي». وفي رواية: «تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي وإن يفترقا حتى يردا علي الحوض». وهذا نص في المقصود فمن تمسك بكتاب الله تمسك بهم ومن عدل عنهم عدل عن كتاب الله من حيث لا يدري، وهو يقول: آمنت بكل ما ثبت مجيء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به من عند الله «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» إلخ. وهذا هو الإيمان الكامل.

(٩) وقال أبونصر العتبي في تاريخه المعروف بتاريخ اليمني: فاستخلف في امته الثقلين اللذين بصيانة الأقدام أن تزل والأحلام أن تضل والقلوب أن تمرض والشكوك أن تعرض، فمن تمسك بهما فقد سلك الخيار وأمن العثار وربح اليسار ومن صدف عنهما فقد أساء الاختيار وركب الخسار وارتدف الأدبار «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين» فصلى الله عليه وعلى آله... إلخ (العبقات).

(١٠) قال الشيخاني القادري في الصراط السوي وفي الحديث المرفوع: الحمدلله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت. أخرجه أحمد في المناقب، إلى أن قال: ولا خفاء في أن أهل البيت النبوي عليهم السلام من خلاصة قريش.... الخ وقال السيد محمد البخاري المعروف باه عالم في تذكرة الأبرار والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم الأمي الذي ذكر أولاده لعلوهم في الشأن مساويا إياهم بالقرآن حيث قال: اني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي فان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي (العبقات).

(١١) وقال المقبلي الصنعاني: إنما أراد أن يجيبوه صلى الله عليه وسلم حين قال: «اني تارك فيكم الثقلين، إن ما تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً ان اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» ورواياته مع شواهده متواترة معنىً، فأجاب هؤلاء: نخلفك فيهما شر خلافة، من قدر على السيف فبسيفه، ومن لم يقدر فبلسانه وقلبه ومن تأخر زمانه كتاريخنا تناول بعداوته الأولين والآخرين فكان أعمهم جناية والله المستعان.

(١٢) قال أحمد بن عبدالقادر العجيلي الشافعي في ذخيرة المآل: تعلموا منهم وقدموهم، تجاوزوا عنهم وعظموهم، أما التعلم منهم فقد صح أنهم معادن الحكمة وصح في حديث الثقلين فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تعلموهما فانهما أعلم منكم. وأما التقديم فهم أولى بذلك وأحق في مواضع كثيرة منها: الإمامة الكبرى وتقديمهم في الدخول والخروج والمشي والكلام وغير ذلك من أمور العادات. وقال أيضاً: وإن حلت مصحفاً فلا تقم لأحد من الورى إلا لهم ومن الآداب المستحسنة الشرعية أن من كان المصحف الكريم بين يديه وفي حجره لا يقوم لأحد ولو كان والداً أو عالماً لشرف المصحف، أما أولاد النبي صلى الله عليه وسلم فانه يقوم لهم والمصحف بين يديه حالة القيام أدباً للثقلين معاً لأنهما لا يفترقان إلى ورود الحوض فمن فرق بينهما بجهله وغفلته فرق الله شمله في الدنيا والآخرة.

وقال الحمزاوي في مشارق الأنوار وفي رواية صححها الحاكم على شرط الشيخين: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف، فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس. (العبقات).

التقديرات الطبية بين الطب الحديث والقضاء الإسلامي

الدكتور علي التميمي/ العراق

شهدت المناهج العلمية في القرون الأخيرة تطوراً كبيراً ولاسيما في حقل العلوم الطبيعية، وساهمت مختلف الأمم والشعوب بنسب متفاوتة في عملية التطوير تلك، وظلت الأمة الاسلامية متخلفة عن عملية المشاركة في وضع أسس التطوير العلمي، ممايبدو للمتابع لحركة المعرفة والنشاط العلمي وكأنَّ هناك إجماعاً عالمياً على تنحية طاقات الأمة الاسلامية عن ذلك المسار العلمي. وهكذا حرمت البشرية من مشاركة الأمة الاسلامية ذات التاريخ المشرق وذات المجهود العلمي الذي أغدق على المجتمع البشري بألوان المعرفة وفتح أمامها سبيل التحول من مرحلة الى مرحلة جديدة ومن آفاق أقليمية ومحلية ضيقة الى آفاق عالمية وإنسانية تتجمع فيها الجهود الانسانية لخدمة العلم وإنارة قناديل المعرفة أمام الانسانية أجمع. فجاءت توجيهات الإمام الصادق(ع) لتلميذه «جابر بن حيان» في مجال الكيمياء والعلوم الطبيعية وإملاؤه لتلميذه «المفضل بن عمر» حول فسلجة الإنسان وتفسير الظواهر الطبيعية واختلاف الأقاليم، مما يعد دراسة مبكرة لما يسمى اليوم بعلم الأجناس والانطولوجي ورسالة الامام الرضا(ع) الذهبية فيما يخص صحة الانسان وأهمية الغذاء..

ودراسة ابن القيم الجوزية حول الطب النبوي إضافة الى تواجد عشرات الأطباء المسيحيين في بلاط الدولة الاسلامية مع بعض الكتاب المترجمين الذين هيأت لهم الدولة الاسلامية

إمكانية البحث والمتابعة العلمية. ولقد أدى المسجد في الدولة الاسلامية والمجتمع الاسلامي باعتباره المدرسة المفتوحة لحلقات الدرس والمناقشة، أدى دوراً لايمكن تجاهله في هذا المجال، وسيظل المسجد الاسلامي أحد أبرز الشواخص الثابتة في تاريخ تطور المعرفة وانتشارها على الصعيدين الاسلامي والعالمي، وما الشيخ الرئيس ابن سينا والمتأله الكبير الفيلسوف العرفاني صدر المتألهين الشيرازي وقبله الشيخ البهائي صاحب الأبحاث العلمية الرائعة التي لا تزال آثارها ماثلة الى الآن إلا نماذج لمدرسة المسجد...

أقول: إنَّ الاجماع المقصود لتنحية الأمة الاسلامية عن الميادين العلمية في القرون الثلاثة الأخيرة إنما حرم البشرية من تراث وطاقات لايستهان بها.

ومن هنا وجدنا أنفسنا نحن أبناء الجيل المعاصر نعيش غربة النظريات العلمية وغربة الأساليب العلمية المتبعة لأنها كانت تنقل الينا بطريقة تعسفية وتعطي لنا بطريقة فيها الشيء الكثير من الإرباك والإستلاب مما فوت علينا الكثير من فرص الاستثمار والبناء..

وأصبحنا نعيش في شرنقة من المناهج والقوالب التي تبعدنا عن المنبع الاسلامي الهائل في باب البرمجة العلمية والمعرفية، ولعل من الأمثلة الصارخة في هذا المجال هذا الذي نحاول الكتابة عنه في مجال التقديرات الطبية، باعتبارها أحد الفروع الاختصاصية الطبية في الميدان الصحي اليوم وذات العلاقة المباشرة بحياة الكثير من الأفراد بل مصير الالوف من الناس الذين تضطرهم الظروف لأن يتجهوا الى الطبيب الشرعي نتيجة مداخلات يطول شرحها...

والممارسة الطبية في هذا المجال، ونتيجة غياب النظرية الاسلامية بفعل السياسات الحاكمة في الأقاليم الاسلامية وبفعل التعليم الطبي وطبيعة مناهجه التي نقلت الينا عن المدارس الأوروبية الطبية دون مراعاة الخصوصية الاسلامية ودون مراعاة حرمة الانسان المسلم ولاسيما أن الممارسة الطبية الشرعية ذات علاقة مباشرة بعادات الناس وأعرافهم ومعتقداتهم... فعندما تطلب المحاكم الرسمية من الطبيب الشرعي فحص امرأة مجني عليها أو كانت طبيعة الجناية ونوعها فانها لا تستحضر كرامة المرأة المسلمة وتحترم معتقداتها في طريقة الفحص والمعاينة الطبية وانها تتصرف معها مثلما تتصرف مع نساء أوروبا الغربية أو الشرقية، وهذا مما يترك أثره الاجتماعي والأخلاقي والنفسي على جميع الأطراف، وهكذا نرى من حادثة واحدة ربما تتكرر عشرات المرات في اليوم الواحد وفي كل الدول الاسلامية. وليس من معترض على ذلك ولا من متسائل، وتظل المرأة المسلمة تجر أذيال الخجل وتتملكها الحيرة عندما تدفع الى الطبيب الشرعي أو الى طبيب الولادة، وتظل المشيخات الاسلامية ودور الافتاء وعلماء السلطة يشاركون الحكام عند رؤية هلال رمضان وفي العيدين وعند كل مناسبة إسلامية!!؟

وليست طريقة التعامل في أمور الفحص والمعاينة والاستدعاء هي المشكل في هذا المجال العلمي بل حتى القوانين والاجتهادات التي وضعت هي بعيدة كل البعد عن القانون الاسلامي إنْ لم تتعارض معه في كل شيء مما يكشف لنا عن كارثة أخرى من كوارث التحولات العلمية التي غابت عنها الأيادي الاسلامية المخلصة.. فهناك في الطب الشرعي اليوم لايواجه الطبيب المسلم الاصطلاحات المنقولة من الغرب فقط و انما يواجه القوانين اللاإسلامية والتي لايجد بداً من العمل بها مما يجعل السلطات الصحية في الدول الاسلامية تمارس وتشرع قوانين ليست إسلامية و بالتالي تضع على واجهات دوائرها وداخل مكاتبها الآية الكريمة «وإذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين»!!؟..

والذين تتلمذوا على يد الجامعات الأجنبية أو الذين مارسوا مهنة الطب تحت رعاية الأساتذة الأجانب تعلموا كل شيء من فنون المهنة ولكنهم لم يتعلموا عقائد المهنة كما طرحها الاسلام، ومن أولى من الاسلام في توجيه النشاط الطبي؟

وقد اعترف أحد الأطباء النصارى أيام هارون الرشيد بعد محاججته مع أحد المسلمين حول ماجاء به الاسلام في ميادين الطب، وعندما ذكر له ذلك المسلم آية قرآنية هي: «...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا...» وحديث الرسول(ص) «المعدة بيت الداء» ، قال ذلك الطبيب النصراني معقباً ومتعجباً بأنّ دينكم لم يترك «لجالينوس» من شيء في الطب!؟

وقانون تقدير العجز الطبي المتبع اليوم في المؤسسات الطبية والذي يحتفظ به الأطباء الشرعيون في كل البلاد الاسلامية ولاسيما ذلك الذي وضعه الطبيب المصري الدكتور «محمود ماهر» لتقدير العاهات المستديمة في القانون الجنائي هو نقل مباشر عن مدارس الطب الغربي.

وقبل أن أدخل في تفاصيل القانونين أود أن أوجز للقارئ العزيز جملة ملاحظات:

١ــ إن التقديرات وقانون الشجاج الاسلامي يذهب مذهباً إنسانياً، ناظراً للانسان ككل متكامل، وناظراً له كعضو في مجتمع يراد له أداء رسالة، وناظراً له كصاحب وظيفة مهنية واجتماعية وانسانية، وناظراً لك كشكل يكمل بعضه بعضاً من الناحية التشريحية والنسيجية، وناظراً له كذواقة يريد أن يحترم الذوق لديه و يريد أن يعزز الأمانة في نفسه وفي المجتمع... بينما لانجد ذلك في قانون التقديرات الطبي الوضعي.. حيث لانجد تلك الشمولية الباهرة التي جاءت في مضامين التقديرات الاسلامية الفقهية والتي تعتبر هي القانون الاسلامي في المجال القضائي.. والممارسون لمهنة الطب الشرعي لو يطلعون على مافي التقديرات الاسلامية الطبية لأخذتهم الدهشة من الإحاطة التامة بكل أنواع العلل والمداخلات الجراحية التي تترك عاهات مستديمة أو تلك التي تنجم عن فعل جنائي قصداً او تلك التي تنجم عن خطأ غير متعمد أو شبه خطأ..

٢ــ في التقديرات الاسلامية، نجد الدقة

العلمية الباهرة مع ملاحظة الإنعكاس الاجتماعي وأبعاده من حيث تأثير الفعل المحدث جنائياً.. بينما لانجد ذلك في التقديرات الوضعية.

وسأبين جانباً من ألوان التقديرات الوضعية في الطب الشرعي:

العجز الشخصي	
١ــ فقد بصر العينين.	١٠٠٪
٢ــ فقد: ساقين، ذراعين، ساق وذراع	١٠٠٪
٣ــ فقد الذراع الأيمن	٧٠-٨٠٪
٤ــ فقد العضد الأيمن	٧٠-٨٠٪
٥ــ فقد اليد اليمنى	٦٠-٧٥٪
٦ــ فقد الإبهام الأيمن	٢٠-٣٥٪
٧ــ فقد الفخذ الأيمن	٥٠-٧٥٪
٨ــ فقد بصر إحدى العينين	٤٠-٦٠٪
٩ــ التصاق تام في الكتف الأيمن	٤٠-٥٥٪
١٠ــ التصاق تام في الركبة اليمنى	٢٠-٣٠٪

هذه نماذج لأهم مايطرح وما هو مقرر في قانون التقديرات الطبية حسب ماجاء في جدول الدكتور «ماهر محمود»[١]، وأغلب التقديرات الأخرى تدور هذا المدار وتكاد تكون مقتصرة على الجهاز العظمي الحركي، وكأنّ الجسم البشري ليس فيه الا هذا الجهاز، ولذلك نجد الطبيب الشرعي الممارس طالما يظل في حيرة تجاه الحالات الأخرى والكثيرة التي يواجهها أثناء عمله.

بينما نجد أن التقديرات الاسلامية في الفقه تسير سيراً شمولياً مع تنوع الحدث تجاه المجنى عليه آخذة بنظر الاعتبار كرامة النفس الانسانية، فهي تبدأ أولاً بالنفس:

١ــ النفس: وتضع ستة أمور، يتخير الجاني أن يدفع أحدها:

أــ ١٠٠ بعير من مسان الابل.

بــ ٢٠٠ بقرة.

جــ ٢٠٠ حلة (كل حلة ثوبان من برود اليمن).

دــ ١٠٠٠ شاة.

هــ ١٠٠٠ دينار شرعي.

وــ ١٠٠٠٠ (عشرة آلاف) درهم.[٢]

وهناك تفصيلات فقهية رائعة تصاحب كل هذه المسائل تجدها في متون الفقه.

٢ــ شعر الرأس: هناك استعراض لمجمل الحالات المسلحية للشعر لدى الرجل والمرأة، ويوجب القانون الاسلامي في مجمل شعر الرأس أجمع الدية كاملة.

٣ــ شعر الحاجبين: نصف الدية، أي ٥٠٠ دينار شرعي، وفي الحاجب الواحد ٢٥٠ ديناراً.

٤ــ في العينين: الدية، أي ١٠٠٠ دينار، وفي الواحدة ٥٠٠ دينار.

٥ــ الأجفان الأربعة: الدية كاملة، أي ١٠٠٠ دينار، وفي كل واحد ٢٥٠ ديناراً. وهناك تفاصيل فقهية ممتعة في هذا الموضوع تدل على حرص القانون الاسلامي واحترامه للبدن الانساني ومراعاة جميع وظائفه.

٦ــ في الأذنين: الدية ١٠٠٠ دينار، وفي الواحدة ٥٠٠ دينار.

٧ــ في الأنف: في تلفه أجمع الدية ١٠٠٠ دينار. ولو كسر وجبر على صحة ١٠٠ دينار، وإنْ

جبر على غير صحة فيعطى ١٠٠ دينار زائداً الحكومة وهي تقدير الحاكم الشرعي.[٣]

٨ــ في الشفتين: الدية ١٠٠٠ دينار، وفي الواحدة ٥٠٠ دينار.

٩ــ في اللسان: إذا قطع كاملاً ١٠٠٠ دينار، وهناك مراعاة لطريقة اللفظ واخراج الحروف، وتقدر النسبة بحسب الذاهب من الحروف (٢٨) حرفاً. و يقسم القانون الاسلامي الحروف الى اللسنية، وهي: التاء والثاء والدال والذال والجيم والراء والزاء والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والقاف والكاف واللام والنون. والخفيفة وهي: الكاف، اللام، الميم، النون، الواو، الهاء، الياء. والثقيلة وهي: القاف، الصاد، الضاد، العين، الغين. وفي لسان الأخرس ثلث الدية، أي ٣/١٠٠٠.

١٠ــ في الاسنان وهي ثمان وعشرون سناً: الدية كاملة ١٠٠٠ دينار، وتوزع الدية عليها في المقاديم كل واحدة (٥٠) ديناراً وفي المآخير (٢٥) ديناراً.

١١ــ في الذقن (اللحيين): إذا قطعا كاملاً؛ الدية، ومع الأسنان ديتان.

١٢ــ في العنق: اذا كسر فصار أصور، أي مائلاً، الدية ١٠٠٠ دينار.

١٣ــ في كل من اليدين نصف الدية وحدها المعصم وهو المفصل بين الكف والذراع، وتدخل دية الأصابع معها. وفي الأصابع وحدها دية اليد. وفي الابهام ثلث دية العضو، و باقي الثلثين يقسم على باقي الأصابع. وفي الاصبع الزائدة ثلث دية الأصلية (وهنا نلاحظ دقة وشمولية القانون الاسلامي، فحتى الحالات الاستثنائية منظورة في التقدير، وهذا مما يسهل مهمة الطبيب والقاضي في آن واحد) وفي شلل الأصبع ثلث ديتها..

١٤ــ في الظهر: إذا كسر، الدية ١٠٠٠ دينار. ولو صلح، ٣/١ الدية.

١٥ــ في النخاع أي الحبل الشوكي: إذا قطع، الدية ١٠٠٠ دينار.

١٦ــ الثديان: في كل واحد منهما، نصف الدية، أي ٥٠٠ دينار. وفي انقطاع اللبن عنهما بسبب الجناية، فالحكومة، وهي تقدير الحاكم. وفي الحلمتين لو قطعتا، فالدية. وفي حلمتي الرجل ربع الدية، وفي كل واحد ثمن الدية ٨/١٠٠٠.

١٧ــ في الذكر وهو عضو الرجل: إذا قطع الدية كاملة ١٠٠٠ دينار. أو الحشفة فما زاد. وفي ذكر العنين ٣/١ الدية.

١٨ــ في الخصيتين معاً: الدية كاملة، وفي كل واحدة نصف الدية، وفي انتفاخهما (والإنتفاخ هنا أما بسبب الفلية المائية أو بسبب التهابهما من جراء الجناية) ٤٠٠ دينار. واذا أصبح الانسان بسببها أفحج فـ (٨٠٠) دينار.

١٩ــ في الشفرين للمرأة: إذا قطعا الدية كاملة، وفي كل واحد النصف.

٢٠ــ في الافضاء (وهو تصيير مجرى البول والحيض واحداً): الدية كاملة، أي ١٠٠٠ دينار.

٢١ــ في الاليين: الدية كاملة إذا قطعا، وفي

كل واحدة نصف الدية.

٢٢ــ الرجلان: إذا قطعا،فيهما الدية كاملة، وفي كل واحدة نصف الدية. وفي الأصابع مفردة الدية كاملة، وفي كل واحدة عشر الدية.

٢٣ــ في الترقوة: إذا كسرت فجبرت على عثرعيب (٤٠) ديناراً. وترقوة المرأة كالرجل.

٢٤ــ في كسر عظم من عضو ٥/١ دية ذلك العضو، فإن صلح على صحة ٥/٤ دية كسره، وفي رضه ٣/١ دية ذلك العضو.

٢٥ــ في كل ضلع اذا كسر ممايلي جانب القلب ٢٥ ديناراً، والضلع الذي يلي العضد (١٠) عشرة دنانير.

٢٦ــ إذا كسر عظم العصعص ولم يملك غائطه ففيه الدية، ولو ضرب عجانه مابين الخصية والفقحة فلم يملك غائطه ولابوله فالدية كاملة أي ١٠٠٠ دينار.

ومن افتض بكراً باصبعه فخرق مثانتها فلم تملك بولها فديتها لخرق المثانة ومهر مثل نسائها.. وهنا نلاحظ مرة أخرى شمول الحالات الاجتماعية الصحية في القانون الاسلامي.

ومن داس في بطن انسان حتى أحدث ٣/١ الدية. وهناك فصل كامل في تقدير دية المنافع، وهي:

١ــ العقل: ذهاب العقل كاملاً،الدية.
٢ــ السمع: ذهابه مطلقاً،الدية.
٣ــ البصر
٤ــ الشم
٥ــ الذوق
٦ــ تعذر إنزال المني
٧ــ سلس البول
٨ــ إذهاب الصوت

وهناك التفاتات وقواعد رائعة في باب تقدير عاهات هذه المنافع، لايريد المطلع عليها إلا قناعة تامة بدقة وشمول قانون التقديرات الاسلامي ولاسيا في باب تقدير السمع لمن فقد السمع في إحدى الاذنين.

ويلاحظ القارئ الكريم معنا كيف أن قانون التقديرات الوضعي يقتصر على حالات تنحصر فقط في باب حوادث الدهس، علماً بأن حوادث الطرق تنجم عنها عاهات بدنية مختلفة، ولكن القانون الوضعي لم يذهب الى أكثر من إحصاء حالات العظام، ولذلك رأيناه يحصر معظم الحالات في باب إصابات العظام ولم يتطرق إلاّ الى العينين خارج إطار الجهاز العظمي، ولذلك يجد الطبيب الشرعي صعوبة بالغة في تقدير مختلف الحالات التي ترد اليه ثم هناك تفاوت ملحوظ في تقدير نسبة العجز الواحد مما يجعل المجال مفتوحاً لتلاعب المحسوبيات والمنسوبيات في هذا المجال مما أدى الى فساد الممارسة الطبية العدلية في كثير من الأحيان وعدم أمانتها، ناهيك عن التلاعب بالتقارير الطبية فيما يخص حالات اللواط، والتي وضعت لها في بعض الدول الاسلامية عقوبة تقدر بالسجن لمدة (١٥) سنة، وهذا تجاوز آخر للقانون الاسلامي.

وبعد أن استعرضنا بشكل سريع أهم الخصائص لقانون التقديرات الوضعي والقانون الاسلامي، ننتقل الى فصل آخر ممتع في المجال

الطبي الشرعي وهو فصل السحاح، فالطب الحديث وضع اصطلاحات كثيرة في باب الجنايات وآثار الشدة الخارجية التي يتعرض لها البدن من جراء حوادث الطرق أو الأعمال الجنائية.

فبينما نجد أن الطب الحديث وضع الاصطلاحات التالية لأنواع الجروح التي يتعرض لها البدن، نجد أن الفضاء الاسلامي هو الآخر ــ ومنذ فترة مبكرة وسابقة للاصطلاحات الطبية العدلية ــ قد وضع اصطلاحاته الخاصة في هذا المجال. ولو أن الطبيب المسلم اليوم والمؤسسات الصحية العدلية في البلاد الاسلامية تستثبت هذه الاصطلاحات لوجدت تسهيلاً لمهمتها الطبية وتحديداً لأصالتها العلمية في هذا الباب، على أننا لانريد أن نعلق على العالم ولا نستفيد مما يطرحه العلم والبحث العلمي من انجازات لا تتعارض مع عقائدنا. وأعود الى تعدد الاصطلاحات التي وضعها الطب الحديث:

١ــ السحجات: وهي احتكاك الجلد بسطح خشن يؤدي الى تلف طبقاته السرية.[١] و يذهب الطب الحديث الى أن السحجة كثيراً ماتدل على طبيعة العامل المسبب لها. وموقع السحجة له أهمية في تعيين طبيعة العنف.

٢ــ الكدمات: تنتج من تمزق الأوعية الدموية وارتشاح الدم في النسج المجاورة لها وتخثره فيها.

ومن حسنات تحديد هذه الأنواع من الجروح هو معرفة تاريخ حدوث العنف وتحديد نوع العنف، وهي مسائل تفيد القاضي في إصدار حكمه على الجاني. ومن الأشياء المفيدة في وضع وتمييز هذه الأنواع من الجروح هو تحديد مدة ظهورها ومراحلها.. ففي اليوم الأول اللون يكون أحمر، ثم بعد ساعات يتحول الى لون بنفسجي، ثم الى أزرق، ثم مائل الى السواد، وبعد ٤ــ٥ أيام يظهر اللون الأخضر، وبعد ٧ــ١٠ أيام يصبح أصفر، الى أن يزول بعد اسبوعين. ونرى تلميحاً الى هذه الألوان في الفضاء الاسلامي بشكل واضح كما سنرى.

٣ــ الجروح الرضية: وهو هرس النسيج الناجم عن اصطدامها بجسم صلب و يكون شكله غير منظم، حافته مشرشرة، وتحيط بالجرح منطقة كدمية.

٤ــ الجروح القاطعة: وهي الجروح الحادثة عن الحافة الحادة للسلاح على سطح الجسم، مثل السكاكين والأمواس وقطع الزجاج.

٥ــ الجروح الطعنية: وهي الناجمة عن الطعن بآلة ذات رأس مدبب وحافة حادة.

٦ــ الكسور: وتعتبر هذه من الناحية المصائبية مماثلة للجروح ولها نفس النتائج الجزائية، على أن الفضاء الاسلامي يرى ذلك وله فيه تفاصيل خاصة بطريقة التقسيم.

وفي التقديرات الوضعية، تقسم الكسور من ناحية جراحية الى:

أــ كسر بسيط.
بــ كسر مركب.
حــ كسر مفتت.
دــ كسر حسي.

بينما يذهب الفضاء الى اعتبار «النحاج»

(بكسر السين) «جمع سحة»[٥] وهى الجرح المختص بالرأس والوجه و يسمى غيرها جرحا بقول مطلق. وهى كالتالى:

١ــ الحارصة: وهى الجرح القاشر للجلد وهى تماثل هنا الكدمة والسحجة فى التقدير الطبى الحديث، وفيها بعير.

٢ــ الدامية: وهو الجرح الذى يقطع الجلد وتأخذ فى اللحم يسيرا، وفيها بعيران.

٣ــ الباضعة: وهو الجرح الآخذ فى اللحم كثيراً ولكنه لايبلغ سمحاق العظم، وفيها ثلاثة أبعرة. وتسمى بالمتلاحمة أيضاً.

٤ــ السمحاق: وهو الجرح الذى يبلغ السمحاقة (وهى الجلدة الرقيقة المغشية للعظم ولا تقشرها) وفيها أربعة أبعرة.

٥ــ الموضحة: وهو الجرح الذى يكشف عن وضح العظم وهو بياضه وتقشر السمحاقة، وفيها خمسة أبعرة.

٦ــ الهاشمة: وهى الجرح الذي يهشم فيه العظم بنتيجة الشدة الخارجية الكبيرة، وهى تكسرة أى العظم ولم يسبق بجرح، وفيها عشرة أبعرة أرباعاً، أى تقسم هذه العشرة أربعة أقسام فتؤخذ الدية من أربعة أصناف البعير وهى على نسبة مايورع في الدية الكاملة. فالعشرة هنا: ستا مخاض، واثنا لبون، وثلاث بنات لبون، وثلاث حقق.[٦]

٧ــ المنقَّلة: وهي التي تحوج الى نقل العظم، اما بأن ينتقل من محله الى محل آخر أو يسقط، وهي هنا تشبه تقسيم الطب الحديث فى باب الكسر المتفتت. وفيها (١٥) بعيراً.

٨ــ المأمومة: وهى الجرح الذى يبلغ أم الرأس أى الجزء الداخلى الذى يجمع الدماغ ولكنه لايفتقه. وفيه (٣٣) بعيرا.

ونلاحظ هنا الدقة فى اصطلاح الفقهاء الاسلامى، فقد ثبت فى الطب الحديث أن هناك الكثير من أنواع الشدة الخارجية التى تؤدي الى الجروح وكسر عظام الجمجمة ولكنها لا تؤدى الى خرق الغشاء المبطن للجمجمة والحاوى للدماغ.

٩ــ الدامغة: وهى الجرح أو الشدة الخارجية التى تسلط على الجمجمة وتؤدى الى خرق الغشاء الحاوى للدماغ. وقد يسبب الموت، والدية.

فهذه هى جملة الجراحات فى صنفها الفقه الاسلامى فى باب التقديرات. وهى تسعة أسماء توابع:

١ــ الجائفة: وهى الجرح الواصلة الى الجوف من أى الجهات كانت، وفيها ثلث الدية.

٢ــ الناقذة فى الأنف بحيث تنفذ المنخرين معاً وفيها ثلث الدية. وإن انسدت فـ ١/٥ الدية.

٣ــ فى النافذة فى أحد المنخرين ١/١٠ الدية إنْ صلحت، وإلاّ ١/٤ الدية.

٤ــ فى شق الشفتين حتى تبدو الأسنان ١/٣ ديتهما، ولو برأت الجراح فـ ١/٥ الدية. وفى شق إحداهما ١/٣ الدية، إنْ لم تبرأ، ولو برأت ١/٥ الدية.

٥ــ في احمرار الوجه من لطمة وشبهها ١/٢ ١

دينار، وفي اخضراره (٣) دنانير. وهنا تلاحظ مطابقة الوصف أو التقدير الاسلامي لاصطلاح الكدمة في الطب الحديث وفي اسوداده(٦) دنانير.

وأما تقديرات الجراحات في البدن فهي على النصف من دية الرأس وذلك تقديراً لخطورة الرأس وما فيه من جوارح وهو نفس المذهب الذي يذهب اليه الطب الحديث من الناحية العلمية ولكنه لايرتب عليه أثراً واضحاً في التقديرات الطبية العدلية، ففي حارصة اليد مثلاً وهو الجرح القاشر للجلد في اليد ١/٢ بعير مثلاً، وفي أنملة ابهامها ١/١٠ ، أما النافذة في شيء من أطراف الرجل ١٠٠ دينار.

الجناية على الجنين:

وفي هذا الباب نرى إبداع الفقه الاسلامي من الناحية القانونية الطبية كما وجدناه مبدعاً في شؤون الانسان الأخرى. والقواعد العلمية المتبعة في ذلك على أولويتها وسمها التاريخي، فإنها تتمتع بتبريرات علمية رصينة لابد أن نجعل منها ملتقى آراء العلماء والباحثين في هذا المجال، ففي الطب الشرعي كثيراً ماتأتي حالات الاسقاط، ولاتجد الحل المناسب أو التقدير الواقعي المنصف لها...

١ــ في النطفة اذا استقرت في الرحم، (٢٠) ديناراً.

٢ــ في العلقة: وهي القطعة من الدم تتحول اليها النطفة، (٤٠) ديناراً.

٣ــ المضغة: وهي القطعة من اللحم، (٦٠) ديناراً.

٤ــ في العظم: أي ابتداء تخلقه من المضغ (٨٠) ديناراً.

٥ــ وفي التام الخلقة قبل ولوج الروح في (١٠٠) دينار. وهو قبل الشهر الرابع من أش الحمل.

٦ــ ولو ولجته الروح، فالدية كاملة للذ ونصف للأنثى في حالة تسبيب الإسقاط الولادة الميتة.

وهناك تفصيلات أخرى تخص مط البحوث الفقهية وليس للطب شأن فيها.

الخاتمة:

وبعد هذا الاستعراض المبسط والسر لمجمل الخطوط العامة للتقديرات بين الط الحديث والقانون الاسلامي، ألا يجدر بنا نتوقف قليلاً لنتساءل أين نحن من الابداعات التي وضعها الأئمة الأطهار(ع) و حماة الشريعة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم؟ وأين نحن من تلك العمليات المد من رجالات الفقه الذين استوعبوا شؤون النا في مختلف نواحي الحياة وراحوا يسطرون الفوا ويحلون الاشكالات؟

ان يصيبنا يعترينا جميعاً ونحن نطالع الاسهامات الرائعة أن هذه العقول وجد لتحتل مساحة في النشاط الانساني لايقل مستوى التوجيه والقيادة، وان شريعة مار فيها هذه الاهتمامات لابد لأبناء البشرية جم

أن يكتشفوا آفاقها وابداعاتها، وهذا لن يتحقق مالم يتحرك أبناء الاسلام وعلماء الاسلام من أجل عرض هذه البضاعة العلمية الرائعة بالأسلوب العصري الملائم و بالطرق والوسائل التي عرفت في المجال العلمي والثقافي حتى يجد علماء العالم و باحثوه طريقهم الى استنباطاتنا العلمية والى حقول معارفنا المثمرة.. وانه ليس بعيداً ذلك اليوم الذي سيجد فيه العالم أجمع أن زاد المعرفة الذي يقدمه الاسلام هو الزاد المطلوب..

وكلمة أخيرة الى المؤسسات الصحية في العالم الاسلامي والى دوائر الطب الشرعي فيها أن ترتفع الى مستوى المسؤولية العلمية وتناقش هذه الابداعات الاسلامية في باب التقديرات لتجد فيها هويتها وأصالتها، و بعد ذلك ستجد نفسها لاتحتاج الى منة العالم الغربي والشرقي، وستجد نفسها تقف في مصاف المؤسسات العلمية ذات المكانة المرموقة. والله نسأل ان يأخذ بأيدي المخلصين من أبناء الأمة نحو العطاء انه سميع مجيب الدعاء●

الهوامش

١ ــ الطب الشرعي ــ ص ١٥٩ ــ الدكتور رياد درويش.

٢ ــ اللمعة الدمشقية للشهيد الأول محمد بن جمال الدين العاملي المتوفى ٧٨٦ (ج ١٠، ص ١٧٦).

٣ ــ اللمعة الدمشقية (ج ١٠، ص ٢٠٨)

٤ ــ الطب الشرعي ــ ص ١٦٠ ــ الدكتور رياد درويش.

٥ ــ اللمعة الدمشقية (ج ١٠، ص ٢٦٧).

٦ ــ الوسائل (طبعة عام ١٣٨٨هـ) ــ ج ١٩، ص ١٤٦، الحديث الأول.

الحرب المفروضة

آثارها ونتائجها

كاظم شيرواني

متى بدأت الحرب؟

عبر التسلح بالاسلام وتقديم آلاف الشهداء والمعوقين، وتحمل أنواع الصعاب والمشاق، تمكّن شعبنا المسلم من إسقاط النظام البهلوي الذي عبث بالبلاد مدة تزيد على نصف قرن، وإنهاء الوجود الأميركي والصهيوني على أرض ايران.

وراحت الثورة الاسلامية منذ انتصارها تجسّد ــ عملياً ــ الشعارات التي كانت ترفعها والتي تتمثل بإعادة الاسلام الى الحياة من جديد، والوقوف الى جانب المستضعفين، وتحقيق الوحدة الاسلامية بغية إعادة المجد والعظمة والكرامة للأمة الاسلامية التي تلاعبت ومازالت تتلاعب القوى الاستكبارية بمقدراتها.

ولذا فمن الطبيعي لمثل هذه الثورة التي تهدف الى تحقيق الشعارات الآنفة أن تواجه تحديات ومؤامرات من أعداء الاسلام، وأن تتحداها أميركا وبقية القوى الاستكبارية ومن يدور في فلكها من حكام الدول الاسلامية، ذلك ان بقاء الثورة إنما يعني تعريض كياناتهم هؤلاء الى الخطر، وبالتالي إثارة المستضعفين وتعبئتهم للإنتفاض والمطالبة بحقوقهم المسلوبة.

ومن هنا بدأت المؤامرات والدسائس. فبعد أن فشلت القوى المعادية للثورة في الداخل في تحقيق أغراضها الدنيئة في القضاء على النظام الاسلامي، لجأت القوى الاستكبارية الى النظام العراقي، ليشن حرباً على الجمهورية الاسلامية في ايران.

واليوم تمر خمسة أعوام على الحرب التي فرضها علينا أسوأ نظام عرفه التاريخ المعاصر.

فلقد هدّم جيشه خلال تلك المدة العديد من مدننا، وشرد أبناءها، وقتل الآلاف من الأبرياء، وانتهك حتى حرمة النساء.

وفي الحقيقة؛ ان العدوان السافر للنظام العراقي لم يبدأ في ٢٢ أيلول من عام ١٩٨٠، إذ ان ذلك النظام بدأ عدوانه على الجمهورية الاسلامية قبل ذلك التاريخ، ولكن بصورة استفزازات حدودية، وتفجير أنابيب النفط، ومد القوى المعادية للثورة

... في ... من نيسان عام ١٩٧٩،
ي بعد **أقل من شهرين على انتصار الثورة الاسلامية**،
رضت مدينة (مهران) في القسم الغربي من البلاد
ارة جوية. فيما تعرضت مدينة (قصر شيرين) في
يوم التالي الى هجوم مجموعة من وحدات الجيش
عراقي. واستمرت هذه الاستفزازات الحدودية
عسكرية حتى شنّ العراق هجومه الواسع في ٢٢
ول ١٩٨٠ بعد نقضه من جانب واحد لاتفاقية
زائر التي أبرمت عام ١٩٧٥.

وقد سجل على العراق خلال تلك الفترة (٦٣٦)
اكاً، شمل الهجوم من البر والبحر والجو، وعن
يق القصف وسرقة مواشي أهالي المدن الحدودية
جير الأنابيب النفطية.

وعند احتلاله للمدن الايرانية كان الجيش
راقي يحرق و يدمر كل شيء يجده في طريقه،
جة سوّى معها مدن: موسيان، قصر شيرين،
يره، سومار و أزگله بالتراب، وأزال من على
رطة الكثير من القرى الايرانية بما فيها (٣٥٦)
كان يقطنها الأخوة العرب في محافظة خوزستان.
أخذ معه (٣) آلاف مواطن ايراني من المدنيين
ائن لديه، مضافاً الى انه وعند احتلاله للمدن
إيسة نهب ما تمكّن منه، فعلى سبيل المثال لا
ر، عندما دخل (خرمشهر) أغار على ميناء هذه
نة فسرق منها بضائع تقدر بمليارات من
لا ت.

لقد تركزت الاعتداءات العراقية في الأشهر
من الحرب على مدن محافظة خوزستان والتي
ن الأخوة العرب معظمها، حيث احتلوا
شهر) وجزءاً من (آبادان) و (سوسنگرد) و
زه) ومدناً أخرى في هذه المحافظة، بالإضافة
دن الواقعة في القسم الغربي من البلاد والتي
محافظات: كردستان و باختران و ايلام حيث
يشكل الأكراد غالبية السكان فيها.

ولو اردنا أن نعدد الجرائم التي ارتكبها الجيش العراقي في محافظة خوزستان والمدن الأخرى من الجمهورية الاسلامية لاستلزم ذلك المئات من الكتب. **في** الوقت الذي كان النظام العراقي يطبّل و يزمّر في إذاعته بأنه يقف الى جانب العرب الايرانيين، ومستعد لتقديم أنواع المساعدات اليهم للوقوف بوجه الثورة الاسلامية وتحررهم من مايسمى بـ (العداء الفارسي)، وفي الوقت الذي كان يطالب حكومة الجمهورية الاسلامية بمنح الحكم الذاتي للأكراد و بقية القوميات التي تعيش على أرض الجمهورية الاسلامية!! كان جيشه يواصل احتلاله للمدن التي يقطنها الأخوة العرب والأكراد، و يقتل من يعترضه، ناهيك عن انتهاكه لحرمة النساء. في مدينة (سوسنگرد) أكتشف مقابر جماعية لنساء أعتدي عليهن وقُتِلْنَ بوحشية.

نعم: رغم كل المجازر التي كان يرتكبها النظام العراقي نحو العرب والأكراد، نراه يعلن وفي كل يوم انه يدافع عنهم! في مؤتمر صحفي عقد في بغداد بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٨٠ قال صدام: **«توجد في ايران خمس قوميات لابد من منحها نوعاً من الحكم الذاتي. إننا ندافع بقوة عن إخواننا العرب في خوزستان»**.

فكرة تقسيم ايران

إن النظام العراقي، ومنذ الأيام الأولى لانتصار الثورة الاسلامية، كانت تساوره فكرة تقسيم ايران و يعمل بجد على تحقيقها. **في** تاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٨٠، قال صدام في لقاء صحفي أجري معه ونشر في الصحف العراقية: **«إننا لانتزعج من تقسيم وتدمير ايران، ونعلن بصراحة اننا نقف في مثل هذه الظروف مع أي شخص عراقي أوأي عربي يعمل من**

دخل مدعيا الدفاع عن اهالي خوزستان ؟!



سيم ايران أو تدميرها».
ا طارق عزيز، فقال بعد مرور ثمانية أشهر
رب:
ن وجود خمسة أقطار صغيرة باسم ايران أفضل
، وجود ايران كبيرة...».
ساف في نفس التصريح قائلاً:
وف نساعد وندعم أي تمرد تقوم به الشعوب
ية، وسوف نوجه جميع جهودنا من أجل تقسيم
.

، ١٤ آذار من عام ١٩٨١، قال صدام في
نشرته وكالة الأنباء الفرنسية:
لعراق مستعد لتزويد الفئات الايرانية المعارضة
نواع المساعدات بما فيها الأسلحة. إن العراق
أن يرى ايران محتفظة بوحدتها».
، الثاني والعشرين من شهر آب من نفس
نقلت وكالة أنباء رويتر عن طارق عزيز
«إذا لم يتم التوصل الى طريق لإنهاء الحرب فإنّ
، سيوافق على تجزئة ايران لعدة دويلات
».

العدو والدعوة الى السلام

كذا واصل النظام العراقي اعتداءاته على
ورية الاسلامية، وساعده في ذلك «بني صدر»
- بافتعاله للمشاكل في الداخل بغية السيطرة
سلطة - ترك الجيش العراقي يفعل مايحلو له على
نا. لكن و بعد عزل «بني صدر» و بعد إعادة
القوات المسلحة، بدأ مقاتلونا البواسل يحققون
ارات تلو الأخرى، فحرروا (خرمشهر) و فكوا
ار عن (آبادان) ومدن أخرى. لذلك أحسّ
ام العراقي انه في خطر، ولا يستطيع كما كان
ر أن يبقى مهيمناً على الأراضي الايرانية، فبدأ
دث عن السلام بعدما كان يصرّ على الحرب،
و يدعو الى عدم إراقة الدماء بعدما أراق الكثير منها!

ورغم ان الجمهورية الاسلامية في ايران أعلنت منذ اليوم الأول للحرب انها أحرب على الحرب، وانّ السلام هو من مبادئها الأساسية التي تدعو اليها، إلا أنها أعلنت صراحة لكل العالم، بأنها لا تستطيع أن تغض النظر عما ارتكبه النظام العراقي من جرائم، فتقدمت بشروط لإنهاء الحرب.

والشروط التي وضعتها الجمهورية الاسلامية لإنهاء الحرب والتي يأتي في مقدمتها إسقاط صدام ومحاكمته باعتباره هو المعتدي، لهي شروط معقولة ومقبولة، وإنّ رضوخ العالم لهذه المطاليب واستجابته لها سوف يجنّب المنطقة أخطاراً كبيرة و يدفعها نحو الاستقرار والأمان، ويمكّن الثورة الاسلامية من أن تسنّ عرفاً إسلامياً في مجال العلاقات الدولية وهو تحديد المعتدي ومعاقبته على عدوانه. ولكننا نرى العالم المستكبر يقف بإصرار بوجه إقرار هذا العرف وتثبيته بسبب طبيعته العدوانية والاستغلالية.

ترى كيف يمكن غض النظر عن المجازر الوحشية التي ارتكبها النظام العراقي بحق أبناء الشعب الايراني المسلم، والدمار الكبير الذي أحدثه في مدن الجمهورية الاسلامية؟

إنّ زيارة واحدة لمدينة «خرمشهر» الواقعة في محافظة خوزستان تكفي لمعرفة مدى وحشية النظام العراقي، وكذا بالنسبة لمدينة «قصرشيرين» في القسم الغربي من البلاد والتي تبدلت الى خرائب. أما مدينة دزفول الصامدة فقد تعرضت الى اكثر من مئة وسبعين (١٧٠) صاروخاً بعيد المدى بطول ٩، ١٢ متراً، ناهيك عن الغارات الجوية المتواصلة. وان مدينة «مريوان» في محافظة كردستان مازالت تتعرض لهجمات الجيش العراقي، تارة بصواريخ أرض ـ أرض، وأخرى بالمدفعية البعيدة المدى، وتارة بالطائرات. ومنذ بداية الحرب ولليوم استشهد

من مشردي الحرب العراقية المفروضة



يقارب الألفي شخص من أبناء هذه المدينة، فيما ح المئات، بل الألوف،و هدمت دور سكنية يرة. وإنَّ مدن: سنندج، بانه، سردشت، في افظة المذكورة، ومدن: كرمنشاه، اسلام آباد، لام، مهران، دهلران، خرم آباد، في القسم الغربي الجمهورية الاسلامية، لم تسلم هي الأخرى من تداءات النظام العراقي و مازالت لليوم تتعرض عتداءات .

هذا وقبل اندلاع الحرب بثلاثة أشهر أبعد نظام العراقي الآلاف من أبناء الشعب العراقي الى جمهورية الاسلامية بحجة انحدارهم من أصل اني!

ومازال لليوم يواصل ترحيله للمواطنين العراقيين بصورة غير انسانية، ومن دون أن يحترم أي بندٍ من د لائحة حقوق الانسان!

جوء الى الأسلحة الكيمياوية

بعد الانتصارات الرائعة التي حققتها القوات سلامية، و بعد ان تأكد للنظام العراقي ان جمهورية الاسلامية لن ترضخ للسلام المعروض، بعد أن فشلت كل الأساليب التي استخدمت عرقلة الزحف المقدس للقوات الاسلامية، بدأ عراق يكثّف من استخدامه للأسلحة الكيمياوية، صوراً منه ان الجمهورية الاسلامية ستضطر لقبول روطه أمام هذا السلاح الفتاك .

وجدير بالذكر ان النظام العراقي استخدم أسلحة الكيمياوية في بداية الحرب ولأول مرة بشكل محدودفي منطقة «شلمچة»الواقعة في قصى المناطق الجنوبية من البلاد. وقد تعرض مصابون الذين لم يعرف عددهم بالضغط الى حالة ار شديد اثر استنشاقهم نوعاً من الغازات.

وتكررت هذه العملية للمرة الثانية في منطقة «ميمك». ولم يمض زمن طويل على هذا الهجوم الكيمياوي،حتى وقع بتاريخ ١٣ كانون الثاني ١٩٨٠ هجوم كيمياوي للمرة الثالثة في منطقة تقع بين «هلالة» و «بي حرر» مما أدى ذلك الى استشهاد عدد من المقاتلين من أفراد قواتنا الاسلامية الباسلة.

ولقد بدأت هجمات القوات العراقية بالأسلحة الكيمياوية عام ١٩٨٠، إذ سجل خلال هذا العام أحد عشر هجوماً عراقياً بالأسلحة الكيمياوية. ومنذ بداية ربيع ١٩٨٣ حتى قبل عمليات «خيبر» في ٢٢ شباط ١٩٨٤ شنَّ النظام العراقي ٣١ هجوماً كيمياوياً آخر في مختلف المناطق الحدودية بين البلدين.

وتعرضت مدينتا «بيرانشهر» و «تمرجين» الواقعتان شمال غرب البلاد الى الهجوم الكيمياوي العراقي بتاريخ ٩ آب ١٩٨٣، وأسفر ذلك عن استشهاد وإصابة ١٧٠ شخصاً.

كما قام النظام العراقي بتاريخ ٢٢ تشرين الأول ١٩٨٣ بقصف «قوچ سلطان» في منطقة «سردوس» بالقنابل الكيمياوية، حيث أسفر ذلك عن إصابة عدد من أبطال الاسلام.

ولم تسلم الأحياء السكنية أيضاً من الهجوم الكيمياوي للنظام العراقي، حيث تعرضت القرى المحيطة بمدينة «بانه» بمحافظة كردستان، ومنها: قرى، سيدلو و بادمجان و بايسجان الى قصف كيمياوي من قبل النظام العراقي في (٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨) تشرين الأول ١٩٨٣، والذي أسفر عن إصابة عدد كبير من النساء والأطفال والأهالي المدنيين في هذه المنطقة الكردية، وفقد بعضهم بصره.

ورغم ان مجلس الأمن ماطل في النظر بمسألة استخدام العراق للأسلحة الكيمياوية، وان أجهزة





ـعاية الاستكبارية جنّدت كل طاقاتها لصرف ـار الرأي العام العالمي عن هذه المسألة، إلا أن ـرة استخدام تلك الأسلحة الفتاكة، وتقارير ـباء الأجانب الذين بدأوا بمعالجة المصابين من ـاء الاسلام بالأسلحة الكيمياوية، دعت مجلس ـن للنظر في المسألة، بل واستنكار استخدام ـلحة الكيمياوية، وإنْ لم يُذكر للعراق اسم في المجال!

والذي يثير الدهشة ان استخدام العراق سلحة الكيمياوية يتم في وقت يكون فيه هذا لد أحد البلدان المئة والعشرين الموقعة على توكول جنيف (١٩٢٥) حول منع استخدام لحة السامة والخانقة والمركبات الجرثومية.

ورغم استخدامه للأسلحة الكيمياوية، لم كّن النظام العراقي من أن يمنع القوات الاسلامية مواصلة انتصاراتها.

ولذا لجأ هذه المرة الى ضرب السفن التجارية سف المدن الآهلة بالسكان، مرة بالصواريخ ـرى بالقنابل . وقد اشتدت هجمات النظام ـراقي بالطائرات على مدن الجمهورية الاسلامية ذ مطلع عام ١٩٨٥م. وأسفرت عن استشهاد ـات وجرح الآلاف من الأبرياء في مختلف مدن لاد، حتى انه وفي شهر آذار من العام الجاري هدد ـرب الطائرات المدنية التي تمر عبر أجواء مهورية الاسلامية، دون أن يواجه قراره هذا أي إض من قبل أي جهة دولية؟!

شاف الأوراق

ـعد انقضاء خمس سنوات على الحرب المفروضة الجمهورية الاسلامية في ايران، لم يعجز النظام ـراقي عن تحقيق أهدافه فحسب، بل ان الحالة بلغت حداً يتوقع معه سقوطه في كل لحظة.

فعلى الصعيد الاقتصادي و بعد انقضاء (٢٥) شهراً من الحرب إنخفض إحتياطي العراق من ٢٥ مليار دولار الى ملياري دولار. أما صادراته النفطية فقد انخفضت بدرجة كبيرة، كما هبطت قيمة الدينار العراقي كثيراً، و بلغ مستوى التضخم في داخل العراق أكثر من ٥٠٪.

وقد أدت الحرب الى تضخم ديون العراق الخارجية بشكل سريع طوال السنوات الماضية، فبعد أن بلغت الديون الخارجية (١٥) مليار دولار في نهاية عام ١٩٨١، إرتفعت في نهاية عام ١٩٨٢ الى (٢٢) ملياراً، ثم الى (٣٠) ملياراً في أواخر عام ١٩٨٣. كما فاقت الديون الخارجية الدخل الوطني العراقي بكامله، فضلاً عن تجاوز تلك الديون لقيمة صادرات البلد السنوية بحدود (٥ــ٧) مرات.

رغم ظروف الحرب القاسية والمشاكل التي أوجدت في طريق الثورة، فقد جرت عدة انتخابات في البلاد بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ البلدان.

وكان مكتب (دورتين أكونومتريكس) الأميركي وهو أحد المكاتب الدولية المتخصص بالشؤون الاقتصادية قد قدّر المبالغ التي يجب على العراق تسديدها خلال هذا العام (١٩٨٥م) لثلاثة من البلدان الدائنة بحدود ملياري دولار تقريباً، وهي: فرنسا (١٠٨٠ مليون دولار)، اليابان



٥٠ مليون دولار)، والمانيا الغربيه (٣٧٢ مليون
لار).

أما ديون العراق تجاه الاتحاد السوفياتي فيقدرها
اقون بحدود (٣ـ٤) مليارات دولار، وهي ناجمة
درجة الأولى عن مشتريات البلد من المعدات
سكرية المختلفة، إذ يعتبر الاتحاد السوفياتي المورِّد
ول للسلاح الى النظام العراقي. مع العلم ان
سكو قدّمت هذه الاعتمادات الواسعة للعراق
روط سهلة تنطوي على معدلات فائدة منخفضة
د تسديد طويلة.

وتقدر المدفوعات الإجمالية لقاء الديون، سواء
انت أقساطاً تسديدية أم فوائد على الديون، بنحو
ستة مليارات دولار خلال العام الميلادي الجاري
١٩٨). كما ينتظر أن يصل العجز في ميزان
دفوعات خلال هذا العام الى نحو (٣/٩٠٠)
ار دولار ــ وهو رقم قياسي في تاريخ العراق.

ولذا؛ فان المدفوعات الخارجية الصافية المطلوبة
العراق ستبلغ (٦٩٠٠) مليون دولار، علماً بان
أرصدة المالية التي يمتلكها النظام العراقي حالياً في
نوك الاجنبية تعد منخفضة جداً أو شبه معدومة.

ووصل التدهور الاقتصادي بالنظام العراقي الى
حة بدأ معها يطالب العراقيين بالتبرع بالمال
لذهب.

أما على الصعيد السياسي: فان الحرب دعت
نظام العراقي ليكشف عن ماهيته وأوراقه الخفية،
يث وبمرور الأيام، ثبت أن النظام العراقي كان
اصل علاقاته مع النظام المصري، رغم ان صدام
سين كان قد أعلن في (المؤتمر الشعبي) الذي عقد
بغداد بعد زيارة السادات لـ (اسرائيل): **«إنني
من يطلق الرصاص على النظام الذي لايلتزم
اطعة النظام الذي وقع على كامب ديفيد»!!**

فقد قام هذا النظام ومن موقع المزايدة ليس إلاّ،
بإقامة الدنيا على الرئيس المصري السابق
أنور السادات لأنه وقع اتفاقيات كامب ديفيد مع
العدو الصهيوني وذلك عن طريق وسائل إعلامه
المضللة، وإنْ بقيت القنوات مفتوحة لإدارة
الاتصالات بين النظامين على الرغم من القطيعة
العلنية الشكلية.

فبعد قيام النظام الصدامي بشن الحرب على
الجمهورية الاسلامية في ايران، أعلن السادات وقوفه
الى جانب النظام الصدامي لموكدا وبشكل قاطع
ضلوع نظام صدام بشكل أو بآخر في اتفاقيات
كامب ديفيد.

ولقد استمر الموقف المصري بعد اغتيال
السادات، بل ربما نستطيع القول انه تطور أكثر وذلك
من خلال زيارات المسؤولين على أعلى المستويات و
إرسال الخبراء بالإضافة الى القوات العسكرية
وزيادة تصدير الأيدي العاملة المصرية الى العراق
لكي تشغل المصانع التي أصبحت فارغة من جراء
أخذ اليد العاملة الى جبهات الحرب المفروضة على
الجمهورية الاسلامية.

وقد أعلن النظام الصدامي وقوفه وبشدة لصالح
إعادة مصر الى منظمة المؤتمر الاسلامي وكذلك
الجامعة العربية وذلك في المؤتمر الاسلامي الذي عقد
في المغرب مطلع عام ١٩٨٤م. ولم يكن ذلك الموقف
يعبّر عن حالة الحرص على وحدة الصف العربي، بل
انه جرى وفق مخطط استراتيجي وضعته سود
الاتفاقية بين بغداد والقاهرة، فقد كان ذلك الإصرار
من قبل النظام الصدامي على العودة المصرية بمثابة
إشعار للأنظمة العربية ان سياسة الأمر الواقع هي
الحل الوحيد الممكن للقضية الفلسطينية، وبتعبير
آخر؛ ان مسألة التعايش مع الكيان الصهيوني مسألة
طبيعية من وجهة نظر النظام، وان الخطر على «الأمة
العربية» لايأتي من وجود هذا الكيان، بل ان الخطر

الحقيقي هوالاسلام القادم من ايران.

بعدها بدأ النظام العراقي بتوثيق صلاته مع الأنظمة الرجعية، وفي السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني/نوفمبر من عام ١٩٨٤ أعاد علاقاته مع أميركا.

وجدير بالذكر ان صحيفة (التايمز) اللندنية كانت قد ذكرت في عددها الصادر في ١٩ تشرين الثاني من عام ١٩٨٤ «ان صدام حسين كان قد اتخذ قرار إعادة العلاقات مع أميركا عام ١٩٨٠، ولكن اندلاع الحرب مع ايران جعله يؤجل ذلك حتى لايترك الانطباع بأنه يقوم على خدمة المصالح الأميركية في المنطقة».

وكانت الولايات المتحدة قد منحت العراق خلال عام ١٩٨٣ قرضاً بمبلغ (٤٠٠) مليون دولار، بالإضافة الى كميات هائلة من المواد الغذائية والطبية.

وقبيل ذلك تحدث صدام عن مايسمى بـ (الحدود الآمنة) لـ (اسرائيل)!، وعقب ذلك بدأ دبلوماسيوه في الخارج يعلنون تأييدهم لجهود الأردن لعقد اتفاق مع (اسرائيل) حول الضفة الغربية لنهر الأردن.

و بذلك تبين للعالم كله زيف الشعارات التي كان يرفعها النظام العراقي بخصوص الدفاع عن القضية الفلسطينية والعداء لأميركا والكيان الصهيوني.

وهكذا كشف النظام العراقي عن أوراقه، وعلاقاته المشبوهة، وتحالفاته مع أميركا والكيان الصهيوني والأنظمة الرجعية العميلة في المنطقة.

صمود وإنجازات:

واليوم ورغم مرور خمس سنوات على الحرب، ومواصلة الاستكبار بمعسكريه الشرقي والغربي مؤامراته ودسائسه ضد الجمهورية الاسلامية في ايران، وأيضاً رغم عمليات الإرهاب التي نفذها أعداء الاسلام في الداخل من تنظيمات وأحزاب شيوعية واشتراكية وقومية وليبرالية، فإنّ الثورة الاسلامية استطاعت بقيادة الإمام الخميني الحكيمة وصمود الشعب المسلم وتضحياته وإيثاره ومساعيه الدؤوبة، أن تزيح من أمامها أكبر العراقيل، وتؤكد للعالم بأنها مصممة على البناء والتقدم مهما بلغ الثمن.

ان قاتل فرد واحد يحكم عليه بالقصاص، فكيف بقاتل الآلاف ومن أهلك الحرث والنسل؟

فالثورة الاسلامية وهي تخوض غمار الحرب، إستطاعت أن تحقق انجازات مهمة في مختلف الحقول. ففي الحقل الزراعي تشير الاحصاءات الى أن ميزان الانتاج من المحاصيل الزراعية خلال الأعوام الماضية ارتفع بنسبة كبيرة قياساً بالسنين التي سبقت انتصار الثورة الاسلامية. وقد تحقق نوع من الاكتفاء الذاتي في هذا الحقل.

أما في الحقل الصناعي، فان الحرب والحصار الاقتصادي، دفعا بالشعب ليفجّر طاقاته، إذ شهدت الأعوام الماضية اختراعات واكتشافات تدعو الى التقدير والإعجاب.

و بذلك ازدهرت الصناعات الوطنية، ورافق ذلك ازدياد في حجم المنتوجات الصناعية بنسبة كبيرة.

هذا؛ و ان حركة البناء والعمران لم تتوقف طيلة



فترة الحرب، وقد أعطت حكومة الجمهورية الاسلامية الأولوية الى القرى والأرياف، وذلك لما عانته هذه المناطق من حرمان في ظل النظام الملكي البائد، حيث أوصلت الكهرباء الى آلاف القرى والأرياف، ووفّرت لها المياه الصالحة للشرب، وأنشأت العديد من المدارس والمستشفيات فيها.

والى جانب ذلك بدأت تزود المزارعين بما يحتاجونه من وسائل ومكائن زراعية حديثة، وتقدم لهم مساعدات مالية وقروضاً بلا فائدة لشراء البذور والأسمدة بغية تحسن نوعية محاصيلهم وزيادتها.

أما في الحقل التجاري فقد ارتكزت سياسة الحكومة على عدة مبادئ أساسية، منها: إعطاء الأولوية للعلاقات التجارية مع بلدان العالم الاسلامي والعالم الثالث، والحد من استيراد السلع الكمالية وغير الضرورية، والاكتفاء باستيراد السلع الضرورية التي تحتاجها البلاد، وذلك حفاظاً على أرصدة البلاد من العملات الصعبة.

كما قامت بأسلمة البنوك وتخليصها من الربا بشكل كامل.

وبالنسبة للمجال السياسي؛ فعلى الصعيد الداخلي، وكما أشرنا مسبقاً، فان الثورة الاسلامية تمكّنت من التصدي لجميع المؤامرات التي دُبرت ضدها في الداخل.

ولقد أدت الحرب ــ خلافاً لتوقعات الاستكبار وعملائه ــ الى تلاحم فئات الشعب أكثر فأكثر.

وطيلة فترة الحرب حددت جماهير شعبنا المسلم بيعتها للقيادة، مؤيدة سياستها في مواصلة الحرب حتى إسقاط النظام الصدامي وإنهاء الفتنة في المنطقة.

ورغم ظروف الحرب القاسية والمشاكل التي أوجدت في طريق الثورة، فقد جرت عدة انتخابات عامة في البلاد بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ البلدان.

أما على صعيد السياسة الخارجية؛ فإنّ حكومة الجمهورية الاسلامية واصلت سياستها الرامية الى توثيق الصلات مع بلدان العالم، آخذة بنظر الاعتبار مبدأ (لاشرقية ولا غربية) في سياستها الخارجية. ولقد استطاعت أن تحقق نجاحات مهمة على هذا الصعيد رغم ماواجهته من عراقيل، كما استطاعت أن تأخذ مكانها الحقيقي بين دول العالم، في وقت كانت فيه الأوساط الاستكبارية والرجعية تتوقع نوعاً من العزلة السياسية لحكومة الجمهورية الاسلامية.

هذا وظلت حكومة الجمهورية الاسلامية تواصل تأييدها ودفاعها عن القضية الفلسطينية والقضية الأفغانية والثورة الاسلامية في لبنان، زارعة بذلك الأمل والثقة في نفوس مسلمي العالم، ومؤكدة للاستكبار ان الفلسطينيين أو الأفغانيين أو المسلمين اللبنانيين لايقاتلون وحدهم، بل هناك الملايين التي تقف معهم.

ولايتسع مقالنا هذا لذكر الانجازات المهمة التي تحققت في المجالات الأخرى، لكن وبصورة عامة فان الحرب المفروضة وإنْ أثرت بعض الشيء على ميزانية البلاد، وأسفرت عن تشريد الملايين من أبناء الشعب الايراني المسلم، وهدم مئات الآلاف من الدور السكنية، إلاّ أنها لم تتمكن من إيقاف عجلة البناء والعمران والتطور في المجالات المختلفة.

خاتمة

إنّ الجرائم والمجازر التي نفذها النظام العراقي بحق الشعب الايراني المسلم طيلة سنوات الحرب، والدمار الذي أحدثه في الجمهورية الاسلامية، والفتنة التي أوجدها في المنطقة عبر ممارساته التخريبية ودسائسه ومخططاته الشيطانية، كل هذه

ائم يجب أن ينال مرتكبوها قصاص عادل.

فطالما يكون هذا النظام موجوداً، فلن تستقر طقة، وإنْ لم يعاقب هذا النظام فانه سيعود لبيعته العدوانية والانتقام لكبريائه المهشم بمجرد ري في نفسه قوة على معاودة الكرة، وبمجرد أن عه القوى الكبرى مرة أخرى للاعتداء، وكذلك ، أمثاله من الأنظمة الأخرى ستتشجع في عمل لتقوم بما يحلو لها.

واليوم؛ فان الجمهورية الاسلامية في ايران ممة على مواصلة الحرب حتى اسقاط النظام اقي. فسقوط صدام، تكون الجمهورية الاسلامية عاقبت المعتدي، و يعود الأمن والثبات ستمرار الى المنطقة، و يتخلص الشعب العراقي تضعف من أكبر طاغية.

والذي يثير السخرية ان النظام العراقي بعد كل ، الجرائم والمجازر بدأ يطلب السلام و يتحدث عن يم الانسانية، و يبدي (حرصه) على دماء الشعبين راني والعراقي!

الذي يثير السخرية ان النظام العراقي د كل هذه الجرائم والمجازر بدأ يطلب السلام حدث عن القيم الانسانية، و يبدي (حرصه) ، دماء الشعبين الايراني والعراقي!

ولكن دعوته هذه تأتي من موقع ضعف، وإلا ن كانت هذه الادعاءات في الأشهر الاولى من رب؟ وهل كانت القيم الانسانية لامعنى ولا بوم لها عندما كان الجيش العراقي يواصل احتلاله لأراضينا؟ وإذا كان هذا النظام يرغب ـ حقاً ـ في حقن الدماء إنطلاقاً كما يدّعي من (مواقفه الانسانية!) فلماذا ارتكب كل هذه الجرائم وقتل وشرّد الملايين من أبناء الشعبين الايراني والعراقي؟ ولماذا الإصرار على الاستمرار في حرب المدن وقصف المدنيين بواسطة الطائرات آناء الليل وأطراف النهار.

وتأكيداً على عدم التزامه بالعهود وتحلله من القيم والمواثيق الدولية والانسانية، فقد خرق في الآونة الأخيرة و بصورة فاضحة الاتفاق المبرم برعاية الامم المتحدة في حزيران ١٩٨٤ بامتناع الجانبين عن قصف المدن. والعالم كله يعلم بأن المقصود بذلك هو النظام العراقي اذ ان الجمهورية الاسلامية في ايران صبرت ثلاث سنوات ونصف دون أن ترد بالمثل على قصف مدنها بالصواريخ والقذائف، مراعاة منها للأخلاق الاسلامية والدوافع الانسانية.

فأية ضمانة دولية أو غيرها يمكن أن توقف هذا النظام الدموي اللاأخلاقي عند حده وتمنعه من إعادة جرائمه؟ اللهم الا ما تطالب به الجمهورية الاسلامية وتصر عليه من معاقبة المجرم ومحاكمته، كما فعل العالم الغربي مع هتلر وغيره من مجرمي النازية.

ان قاتل فرد واحد يحكم عليه بالقصاص، وكيف بقاتل الآلاف ومن أهلك الحرث والنسل؟

وقد صدق الشاعر حين قال:

قتل امرئ في غابة   جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن   مسألة فيها نظر

والمسألة إذن؛ ليست مسألة (مواقف إنسانية) ولا (رغبة في حقن الدماء) ولا (الايمان بالسلام). بل كل ما في الأمر ان هذا النظام ورّط نفسه، و يريد أن يتخلص بأي شكل من الأشكال من المأزق الذي هو فيه!

فبعد أن كان يتحدث عن الحقوق الاضافية

الاسلامية ودعمه لأي جهة تسعى للقضاء على الثورة الاسلامية، راح يتحدث عن السلام؟!

هو أشعل فتيل الحرب، وهو الذي ينادي اليوم بالسلام! وهو الذي أراق دماء الآلاف من الناس، لكنه اليوم يدعو (لحقن الدماء)؟

هذه هي أساليب الطغاة. فطالما يكونون مسيطرين على الأوضاع، فهم يعملون ما يحلو لهم دون أن

خطر يهددهم، فانهم يتذرعون بالحجج الواهية أنفسهم. وهكذا فعل و يفعل النظام العراقي.

لكن ليعلم النظام العراقي وأسياده ومن الى جانبه و يدعمه ان الحرب ستستمر حتى الكامل، أي حتى إسقاط هذا النظام الذي هو الفتنة في المنطقة، وقد قال تعالى في كتابه «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله

ومن الله التوفيق●

في ذكرى

جعفر الصادق

شعر: محمد رضا آل صادق

أي ماض مازالَ طلق المفاخرْ　　شامخَ المجدِ خالدَ الذكرِ عاطرْ
تتغنّى به الحياة وتشدو　　وهي نشوى لسامقات المآثر
في ضميرِ المدى يرنُّ صداه　　فيناجيه كل قلبٍ وخاطر
ويشقُّ الدجى بفجرٍ جناحا　　هُ بريق القنا ولمعُ البواتر
فإذا كل مهمهٍ[1] يرقصُ النور عليها فَتستفيقُ الأزاهر
وترفُّ الأنسام جَذلى وتختال ابتهاجاً في مهرجانِ البيادر

* * *

أمسِ مرَّ الكرى عليّ وطافت   صورٌ عَذبةٌ تهزُّ المَشاعر
وتهادتْ ظمأى الملاحم حولي   وهي تُسقى من الدم المتماطر
وأضاءتْ (بدر) وأعظم ببدرٍ   يومَ دارت بالمسلمينَ الدوائر
فتنادوا لها فَخفَّتْ جموعٌ   تفتدي الدينَ بالنفوسِ الطواهر
وجيوش الضلال تزحفُ والموتُ مُطلٌّ مقطب الوجه كاشر
فانبرى المسلمون في حومة الحرب ثبات[2] والأفُق جهم عاكر
وأذاقوا الطغاة سُمّاً ذُعافاً   بجريدٍ من دونه كل باتر
فأذلّ الكماة حتى ترامى   كل شلو على الرمال السواعر
ولوى أنفَ مشمخر لئيم   وعدوٍّ عاتٍ وأوغدَ كافر
وعلي يذبُّ عن سيد الرسل بسيفٍ يُبدِّدُ الشركَ ظافر
فتلاشى الجهام وانهزم الكفر ورفَّتْ على النبيِّ البشائر

* * *

يا ظلالَ الفتوح ما انفكَّ قلبُ الأرض ولهان للدماء السواجر
أتُرانا نَغيا ويُقعدنا اليأسُ وفينا روحٌ من البذلِ صابر
نحن أسمى مما يهوّله الخطب وأقوى من الفناء الدامر
لم نعدْ أمةً تنامُ على الضيم لتضرى فينا رياح الدياجر
قد شددنا الجراح في وحدة الصف بإيماننا القوي الثابر
ومضينا يرفُّ فينا لِواء   لم يَرعْ ظله العتل الجائر
«خندق الحق» حسبنا وكفانا   اننا منه قد صنعنا المفاخر
كان طه من قبل بالنفر البيض له حافراً ونعم الحافر
ويرصّ الصفوف للزحفِ في كلِّ كميٍّ من «ناصر» ومهاجر
ويذود الأعداءَ عن يثرب الخير ويابؤس للعدو الخاسر
وجنود المهدي من كلِّ ندبٍ ثابتٍ رابطِ الجنان مُصابر
لم يحيدوا عن خطه ما ادلهمت   سُحُبٌ واستبدّ ليلٌ عاكر

أيقنوا ان دينهم خير دينٍ　　وهو زاه يَهدي المُضلّينَ زاهر
فحموه بأنفسٍ زاكياتٍ　　ودماءٍ منهم غوال طواهر
من فتى يافعٍ كريمٍ وشيخٍ　　إثرَ روح الله المؤزّر سائر

* * *

سل ديار الاسلام ما حلّ فيها　　من مآسٍ تفاقمتْ ومجازر
منطق البعث منطق الغاب فتكاً　　وانتهاشاً فيا لموتى الضمائر
كم بيوتٍ أصابها القصف حتى　　آل[3] عمارُها لدار المقابر
افهزواً يدعون للسلم أم لَمْ يعلموا ماجرى وما هو دائر
أفصلح مع العلج يحكمُ بغداد　　فيا ويل للأثيم الغادر
ان يوم القدس العظيم يدوّي　　صارخاً لاسلام والصوتُ هادر
أسلام ويُذبحُ الشعبُ جهراً　　دونَ ردع لكلِ عاتٍ وفاجر
حاش لله وعده الحق آتٍ　　وهو للمؤمنينَ نِعمَ المؤازر
غدنا الحرّ بالفتوح مشعٌ　　ودحا ليل كل طاغٍ بائر
اننا نعشق الشهادة ورداً　　سائغاً فاز من بريَ صادر

* * *

يا جنود الفداء بُورِكَ دربٌ　　ضمخته جراح فادٍ وثائر
كان لابُدَّ أن تخطوا فتملوا　　صفحات قد أشرقتْ بالمآثر
وتجوبوا مفاوز الليل حتى　　يتوارى بالعزم وجه المخاطر
فالثرى لن يعيده الاهل الآ　　بخطى الفتك لابدمع المحاجر
وليطل شوطنا فان شذا النصر ذكيٌّ وان للشوط آخر.

---

١ ــ المهمه: الصحراء.
٢ ــ الثبات: جمع ثبة وهي؛ الجماعات.
٣ ــ آل: تحول.

ـ إعـداد ـ
مصطفى أنور عا
وهيب داود عا
شير روش ع

الحسين (ع) في سيرة الرسول(ص)

قال الله تعالى: «**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**». لاشك أن البعد العائلي يشكل أحد أهم أبعاد شخصية الانسان، والأسرة التي عمل النبي (ص) على إيجادها وتقديمها الى العالم لتكون النموذجية التي يريدها الاسلام، هي أسرة النبي (ص) وتتألف من: الرسول (ص)، الإمام علي (ع)، السيدة فاطمة، الحسن، الحسين (ع). وفي السنة النبوية كوكبة ضخمة من الأحاديث التي نطق بها الرسول (ص)، أبررت ملامح شخصية الحسين (ع)، وحددت أبعاد مكانته في الإسلام، وتضافرت تلك النصوص وتواترت وهي على أقسام؛ فقسم منها ورد في أهل البيت (ع) وبعضها ورد فيه وفي أخيه الحسن وقسم ثالث يخص الحسين (ع).

ومن ناحية أخرى قام الرسول (ص) بدوره بتربية سبطه وريحانته، فأفاض عليه من مكرماته وأخلاقه، وغذاه بفيمه ومثله ليكون صورة طبق الأصل، ويقو الرواة: إنه كان كثير الاهتمام والاعتناء بشأنه فكان يصحبه في أكثر أوقاته فيشمه عرفه وطيب و يرسم له محاسن الأفعال ومكارم الأخلاق.

روى أبو أيوب قال: **دخلت على رسول الله والحـ والحسين (ع) يلعبان بين يديه، فقلت يا رسول الله اتحبه فقال: وكيف لاأحبها وهما ريحانتاي من الدنيا أشمهما.**

كان الرسول عندما يسجد فيجيء الحـ والحسين فيركبا ظهر النبي (ص) فيطيل السجو

وعن عمربن الخطاب، قال: **رأيت الحسن والحسين : عاتقي النبي، فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال النبي: ن الفارسان هما** .

والسؤال المطروح هو: لماذا قال النبي هـ الكلمات وما هو الهدف؟

إن رسول الله شخص لا كالأشخاص، ورجل كباقي الرجال، فلا تأخذه العاطفة الشخصية ا

ـد، ولايمدح ولايذم شخصاً بدافع شخصي أو
دافع من الهوى «لاينطق عن الهوى إنْ هو إلّا وحي
حى».

إمام الحسين (ع) ولادة جديدة للأمة

ثلاث معارك كبرى خاضها الاسلام في
اريخه، وكان لكل معركة بطلها، كما كانت لكل
مركة ظروفها السياسية وآثارها الاجتماعية.

فالمعركة الأولى؛ كانت مع الكفر، وكان بطلها
لنبي محمد(ص)، اذ واجه النبي (ص) الكافرين
الملحدين الذين كانوا بعيدين عن رسالة الله فكراً
إيماناً وعقيدةً وسلوكاً، وكانت جبهتا الكفر
الايمان واضحة وصريحة، ووقعت بين الجبهتين
معارك وحروب كان الاسلام فيها كله يواجه الكفر
كله حسب تعبير الرسول (ص).

أما المعركة الثانية؛ فهي معركة الاسلام مع
لتحريف ومع الذين حملوا شعارات الاسلام نفسه،
لكن بعد تحريفها، وكان بطل هذه المعركة الإمام
علي (ع)، وقد قاتل الامام علي (ع) ضد المارقين
المنافقين والناكثين.

أما المعركة الثالثة؛ فهي معركة الاسلام مع
لتزييف، وكان بطلها الامام الحسين (ع)، وكانت
معركة الحسين مع الزيف معركة كبرى في تاريخ
الاسلام. وبهذه المعركة تحدد مصير الاسلام كله،
خرج من أيدي الحاكمين.

إنَّ الإمام الحسين (ع) تجرد لله وفي سبيله،
تنازل عن كل شيء في سبيل هذه الرسالة التي
حملها على كتفه الكريم وقاتل وقتل من أجلها في
النهاية أيضاً، ولذلك قيل: (ان الاسلام محمدي الوجود
حسيني البقاء).

إنَّ الحسين(ع) كمحمد قتل قبل أكثر من ألف
وثلاثمائة عام، ولكنه كمبدأ وكقضية وكرسالة
موجود في كل عصر وفي كل زمان، يؤثر في نفوس
الناس، ويحركهم للعمل والثورة. ويتساءل المرء
كيف كانت أقصر معركة في التاريخ هي أوسعها
تأثيراً في الناس. لأنَّ الامام الحسين(ع) كان
مقروناً بالرسالة، والرسالة مقرونة بالإمام، وهكذا
الذين يذوبون في رسالتهم ومبادئهم ستكون لهم
أهمية المبادئ وستكون لهم قيمة الرسالة ذاتها،
وثورته هي لاشك ثورة الانسان كما أرادها الله وثورة
الاسلام كما أنزلها الله. فترى في كل مكان وعلى
كل أرض هنالك ذكرى الحسين (ع)، فالحسين (ع)
في قلوب الصادقين حبي يبرق، وهو في قلوب
الثائرين راية تخفق، وفي نفوس المؤمنين علم لايمكن
أن يهوي على الأرض.

والدروس التي نستخلصها من حياة الإمام
الحسين (ع) هي كالتالي:

١ ــ لايجوز أن ننخدع بالمظاهر، بل لابد من
تقييم أي شيء بجوانبه لا مظاهره.

٢ ــ وجوب مقاومة الظلم حتى مع العلم بأنْ لا
أمل في النصر من هذه المقاومة. أن تخوض المعركة
وأنت لست واثقاً من النصر أو أنك واثق من الهزيمة.
هذه هي المقاومة المدنية، يعلمنا إياها تاريخ الثورة
الحسينية، لأن مجرد المقاومة نصر، فزرع القلق في
نفوس الظالمين واجب رسالي «فقد أخذ الله من العلماء
أن لايقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم» كما يقول
الامام علي (ع).

٣ ــ إن الانتصار لايعني الحصول على الكرسي
والمشاركة في الحكم، فالانتصار قد يكون بالموت
و بالشهادة... أليس الإمام الحسين منتصراً، وأليس

كل واحد منا يريد التقرب اليه والتمسك به؟

٤ ــ إنَّ الإمام الحسين علمنا ان المبادئ فوق كل الاعتبارات... كان عمره (٥٧) عاماً، وكان حوله شباب في عمر الزهور، وآخرون شيوخ من خيرة المؤمنين على وجه الأرض، كالعباس وحبيب وعلي الأكبر والقاسم وزهير.... ولم يقل الإمام الحسين(ع) نحن نريد الحفاظ على هؤلاء و بالتالي لاداعي للتضحية والفداء، بل وصفهم بقوله «ألا وإني لا أرى أصحاباً خيراً ولاأبر ولا أوفى من أصحابي»... هؤلاء ضحى بهم الإمام الحسين في معركة استغرقت نصف نهار. نعم... ان تفقد كل شيء لكي تربح المبادئ ولكي تبقى القيم، ذلك هو الربح الأكبر عند الله تعالى.

الامام الحسين (ع) منهج ثوري متكامل

«ألا وان الدعي ابن الدعي قد ركزني اثنتين بين السِلّةِ والذلة، وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله.. وحجور طابت وطهرت وأنوف أبية ونفوس زكية».

«والله لاأعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد».

الامام الحسين(ع)

بيننا وبين معركة عاشوراء.. عشرات المعارك ومئات الحروب. إلّا أن معركة الإمام مع أعدائه تميزت بأنها بقيت خالدة في آثارها، تعطي الناس رغم مرور الأزمان روح الايمان والمقاومة، وتعبئ المؤمنين في مواجهة قوى الكفر والظلام.

فاذا كنا في أيام محرم نترك بيوتنا ونجتمع في المسجد [illegible] وهم يتحدثون عن أحداث [illegible] [illegible]

وكأننا نعيش في يومها.. ترى ماذا تثير فينا الحسين (ع)، وكيف تستدر دموعنا غزاراً م قصص المآسي التي تعرض لها أهل البيت السلام في كربلاء؟ ما الذي يدفع بالمؤمنين سهري محرم و صفر الى أن يتركوا الأفراح والأ ويلبسوا السواد مشاركة منهم بأحز محمد (ص)؟ وما الذي يجعل الأرض حلاا الذكرى تتحرك باسم الحسين (ع) فإنّ كل فيها يقول مع القائلين (يا حسين.. يا حسين).

إنَّ الحسين (ع) قتل مع أصحابه وذويه ؛ (٦١) هـ ، ولم يمض قرن من الزمن حتى وق العلاء المعري، وهو شاعر مكفوف، وتطلع الى قائلاً:

وعلى الأفق من دماء الشهيدين
علي ونجله شاهد
فهما في أوائل الصبح فجران
وفي أخرياته شفق

إنَّ الأعمى يبصر دم الحسين، وكذ المسلمين حينما ينظرون الى الأفق يتذكرون ق من الدم التي أريقت في كربلاء قبل أ ١٣٠٠ عام.

الإمام الحسين، قضيتان... قضية حين وقضية جسد مقطع... أما قضية [illegible] فانتهت ودخل الحسين في [illegible] الحق المضيع هي القضية [illegible] محروم يبحث عن [illegible] [illegible] وكل مظلوم [illegible] [illegible]

روس، ولايجد أفضل من الإمام الحسين معلماً
دياً ومرسداً.

وهنا يكمن السر في حب الناس له، فهم يرون
لإمام مبادئهم وسخصيتهم وكرامتهم وعزهم،
هنا وإنَّ من لايملك حسيناً في قلبه لايملك كرامة
حياته، ويصنع نفسه ويبيعها بسهولة، كما أن
ي لايكتسف البطولات المجسدة في أبطال
بلاء لايتذوق طعم البطولة حيث لم يعرف
طال.

وهنالك ثلاث حقائق يجب ذكرها، وهي:

١ ــ إنَّ علينا أن نفهم الحسين نموذجاً يتكرر في
باعه ومريديه، ولانفهمه معجزة حدثت مرة
دة، ولن يرى الانسان مثيلاً لها في هذه الأرض.
كذا أراد لنا النبي (ص) أن نفهمه في أحاديث
واترة مختلفة: «حسين مني وأنا من حسين أحب الله من
حسيناً، حسين سبط من الأسباط»، «كلنا سفينة
جاة، وسفينة الحسين أوسع، وكلنا سفينة النجاة وسفينة
سين أسرع»، «الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا»،
لحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». وبذلك أعطى
الرسول (ص) القدوة التي لابد من محاولة
قتداء بها.

٢ ــ إن أولئك الذين أحبوا الإمام الحسين
كنهم لم يخرجوا لنصرته خوفاً من القتل أو السجن
.. لم ينجوا من ذلك، ومن هنا فقد حدث بعد أن
مام... حدثت مجزرة في الكوفة واستباحة
المدينة المنورة لمدة ٣ أيام، وهتكت أعراض ألف
، بنات المسلمين، وقتل جمع كبير من
ي (ص).
ذا يكشف عن حقيقة مهمة جداً وهي أن
ب الموت لايعني انه يستطيع الهروب منه.

وحينما تحجم جماعات من الناس عن نصرة الحق في
الصراع مع الباطل، فإنها ستضطر لدفع الثمن على ذلك
إنْ آجلاً أو عاجلاً.

إنَّ الإمام الحسين لم يكن متورطاً في قضية، بل
كان مخيراً فيها، فإنَّ الامام بدأ هجوماً على النظام
الأموي، حيث أعلن الخروج ضد يزيد بن معاوية.
فقام خطيباً في مكة عشية مغادرتها نحو الكوفة،
وقال: «الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلّا بالله وصلى الله على
رسوله... خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد
الفتاة، وما أولهني في أسلافي إشتياق يعقوب الى يوسف. وخير
لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات
بين النواويس وكربلاء. فيملأن مني أكراشاً جوفاً
وأجربة سغباً. لامحيص عن يوم خط بالقلم. رضى الله رضانا
أهل البيت، نصبر على بلائه. ويوفينا أجور الصابرين. لم تشذ
عن رسول الله لحمته. بل هي مجموعة في حضيرة القدس.
تقر به عينه وينجز بهم وعده. ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته،
موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا. فاني راحل مصبحاً
إن شاء الله تعالى».

وهكذا هو خرج الإمام من مكة نحو الكوفة،
ليس خوفاً من الموت بل بحثاً عنه. وليس تحاشياً
للمجابهة بل اختياراً لموقعها. وهذا أيضاً اختار الإمام
تلك الطريقة المأساوية لمقتله، حتى يهز كل من يسمع
عنه وعن استشهاده، وأعطى في ثورته دروساً من
التضحية والصمود تكفي لألوف الأجيال من بعده.
وهكذا أصبحت الثورة تواجه خطراً حقيقياً، إلّا أن
الإمام لم يتراجع... لماذا؟ لا لأنَّ الثائر ليس هو
الذي يصمم على الثورة بدون أن يضع في حسابه انه
سيواجه الخطر.. فالثورة تعني اقتحام الأخطار،
ولا توجد بلا مصاعب، كما لايوجد انتصار بلا
تضحيات.. إلّا أن الثائر الحقيقي هو الذي يقتحم

على الموت معاقله... ويتحاوز حاجز الرهبة منه..
والموت كالجبان، وكل من يحاول الهرب منه يتعقبه،
بينما من يهجم عليه، يخاف منه.
ترى أليس الامام الحسن(ع) اذن منهجاً ثورياً
متكاملاً؟

الإمام الحسين عليه السلام وارث الحق

«جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً».
صدق الله العلي العظيم

الحق والباطل شيئان متضادان ومتصارعان، ولم يكن هذا الصراع أمده قريب بل ان تاريخه يعود منذ نشوء البشرية على كوكبنا، وتمثل هذا الصراع بادئ ذي بدء بين هابيل وقابيل وأدى الى قتل قابيل أخاه هابيل. بيد أن الله سبحانه وتعالى أعطانا الدرس المستفاد من هذه الجريمة، حين قال تعقيباً على النبأ الفاجع الأليم: **«من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً»....**

أجل.. فمن أحياها كأنما أحيا الناس جميعاً... فالحياة إذن كما أرادها الله هي عقد وثيق بين الأحياء جميعاً، يحمل كل إنسان مسؤوليته الجادة تجاهه، ثم لا تزر وازرة وزر أخرى.

ترى هل أُسدلت الستارة بعد قابيل على جحود حق الحياة و إهدار قيمتها الثمينة الغالية؟.. كلا فقد امتلأت الأرض على سعتها بالقابيليين في كل عصر وجيل، أولئك الذين جعل الله على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقراً ووضع على أفئدتهم حجاباً مستوراً فلم يروا جمال الحق والصدق والعدل ولا رعوا حرمة الحياة ولا اعترفوا بحق أوليائها فيها.

وعلى سبيل المثال لا الحصر تعالوا نتذكر بعض الهابيليين والقابيليين؛فهاهوذا خليل الله النبي ابراهيم (ع) يقف كالصخرة أمام جبروت نمرود معلناً ان كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

وذاك كليم الله النبي موسى (ع) يواجه فرعون الجبار على امتداد سلطانه وغطرسته على الناس، و أبى فرعون مواجهاً موسى بسحرته، فأظهر موسى (ع) آيات الله ومعجزاته فتبينوا الحق و... بوحدانية الله الخالق مخلصين له الدين واستغفروا لذنوبهم غير عابئين بما سوف يجري لهم وللذويهم من سخط فرعون.

أمثلة كثيرة نشاهدها هنا وهناك، لا يمكن حصرها، ولكن تعالوا نرَ هذه الصراعات بين الظالم والمظلوم و بين الحق والباطل والتي وصلت النبي (ص) وكفار قريش ثم بين الإمام علي (ع) ومعاوية، ولكن بلغت هذه ذروتها في ميدان كربلاء الذي وصف بأنه مهرجان الحق.... هيهات أن يكون له نظير، حيث وقف الإمام الحسين (ع) مدافعاً عن دين جده الرسول (ص) معطياً لشجرة الاسلام وقوداً ثميناً من دماء وأرواح أعز الناس اليه... أهل بيته وأصحابه.

لقد كرس الحسين حياته من أجل الاسلام، لا طمعاً في خلافة، ولا مفتوناً بدنيا، بل ذائداً عن الاسلام رجس يزيد و بغي الأمويين. لقد كان للحسين طبيعة نقية جياشة وثائرة يربطها بالحق ... عجيب، وتستمد من فضائل الاسلام العالية و... تراث حسبه العريق زاداً لايفنى من الصبر والمثابرة... و إذا كانت دقات الطبول أعلنت قيام خلافة كاذبة لحفيد أبي سفيان الذي كان ...

يصلح للخلافة بل آخر من لايصلح لها.... في ف الظروف كان لابد أن يجد الاسلام من يدفع ه الكارثة ولابد أن يجد المسلمون من يدرأ عنهم لطوفان، كان الأمر نضالاً شريفاً تتطلبه قداسة سلام.. ولم يكن أمر مغنم أو سلطان، ولم يكن وحاً شخصياً يحتاج الى موازنة بين فرص النجاح حتمالات الإخفاق، بل هي قضية الحق وحده، حق في قلب حفيد النبي مكان لايناله رعب ولا ب... وإذن؛ فالعقل يعتبر الإمام الحسين (ع) ث الحق... وارث الحق من هابيل ومن ابراهيم وسى عليهما السلام و.... ومن جده رسول الله د (ص).

وليس هناك مايصور استئثار معاوية ويزيد لخلافة بغير حق سوى شهادة (معاوية الثاني يزيد). فبعد موت يزيد خلفه معاوية الثاني، ولم ث في الخلافة سوى بضعة اشهر، ثم جمع المسلمين مؤتمر مشهود، ووقف فيهم يقول: (أيها الناس: حدى معاوية نازع الأمر أهله، ومن هو أحق منه رابته من رسول الله (ص) وسابقته في الاسلام وهو ي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) ولقد ركب بكم تعلمون حتى اتته منيته فصار في قبره رهين أعماله. ا تقلّد أبي يزيد الأمر من بعده فكان غير أهل له، كب هواه وأخلفه الأمل وقصر به الأجل ثم صار في بره رهين ذنبه وأسير جرمه. وإن من أعظم الأمور لينا علمنا بسوء منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله، باح الحرم، وضرب الكعبة... وما أنا بالمتقلد مركم ولا بالمتحمل تبعاتكم، فاختاروا لأنفسكم، لله لئن كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظاً، ولئن انت شراً فكفى ذرية ابي سفيان ما أصابوا... ألا يصلِّ بالناس حسان بن مالك وشاوروا في خلافتكم يرحمكم الله).

وبعد هذه الكلمات المفعمة بالحق والورع عاد الى داره، وظل معتكفاً بها حتى لقي ربه راضياً مرضياً.

ولن يقف هذا الصراع بين العدل والظلم وبين الصدق والكذب وبين الحق والباطل. بل سيبقى هذا الصراع ويمتد بقاء وامتداد هذه الحياة حتى يصل الى معركته الأخيرة الفاصلة. وسوف يكون النصر بلاشك حليف الحق والحق يقول والله على ذلك شهيد.

المواقف البطولية في ثورة الإمام الحسين (ع)

عندما مات معاوية معيناً إبنه يزيد خليفة للمسلمين، طلب هذا الأخير المبايعة من المسلمين، قائلاً لولاته أما البيعة أو الموت، فبايعه أكثر الناس بعضهم راضياً والبعض خوفاً، ولم يبق سوى الإمام الحسين (ع) وقلة من المسلمين تخلفوا عن مبايعته

وكيف يبايع الإمام الحسين (ع) وهو حفيد الرسول الأكرم (ص) وابن سيد الوصيين (ع) وابن سيدة نساء العالمين (ع) وأخو الحسن المجتبى (ع)، وهو الأحق بالخلافة؟ كيف يبايع الإمام إنساناً كان قد تربى على الفواحش حيث كان يعاقر الخمر وكان زانياً ولاعب الميسر... الخ من الفواحش المنكرة التي يحكم الاسلام والدين والشريعة على من يأتي فقط ببعض من تلك الفواحش بالموت؟ كيف يبايع الإمام، إبن معاوية المنافق الذي اتخذ الدين وسيلة لتحقيق أغراضه البغيضة؟ لا والله؛ لن يبايع الإمام يزيد حتى ولو كان الثمن هو رأسه ورؤوس أبنائه وأقربائه وأصحابه وأنصاره، حتى ولو كان الثمن هو أسر أهل بيته وتعذيبهم وترحيلهم من بلاد

الى سلاد. كل ذلك يهون على نفس الإمام، ولن يهون عليه أبداً تقديم الاسلام والدين والشريعة التي قضى الرسول (ص) ومن قبله الأنبياء والرسل جميعهم، حياتهم في نشره وقدموا التضحيات الكبيرة والكثيرة من أحله، صابرين على أذى الكفار. فكيف يضحي الإمام بكل ذلك ويقدمه الى يزيد الذى كان يبغى قلب كل نظم الشريعة والدين؟

لذا كان يزيد يتوق الى أخذ البيعة من الإمام الحسين (ع) فقط، ولم يكن يهمه أحد سواه، لأن أباه معاوية كان قد وصاه بذلك، وطبعا إذا تم أخذ البيعة من الإمام (حاشا لله) حفيد الرسول (ص)، كان يعني ان الامام موافق على كل ما قام ويقوم وسيقوم به يزيد، وهكذا ينساق باقي المؤمنين وراءه، مطمئنين اليه، وكيف لا وقد بايعه الامام الحسين (ع)؟

ومن هنا، ومن هذا المنطلق، كان لابد من المواجهة بين الطرفين، مواجهة بين الحق المتمثل بالإمام الحسين (ع) والباطل المتمثل بيزيد، بين النور والظلام (نور الاسلام وظلام الكفر والجاهلية التى كانت لا تزال عالقة في نفس يزيد التي ورثها من أبيه)، المجابهة بين المظلوم والظالم، فكانت واقعة كربلاء والتي قدم فيها الامام رأسه قرباناً، وكان في سجدته الأخيرة التي لم يقم منها (التي ذبح فيها) حياة جديدة للاسلام والشريعة.

لقد أبلى أنصار الحسين (ع) من أصحابه وأقربائه وأبنائه بلاءً حسناً في معركة استمرت نصف نهار فقط، فلقد واجه جيش الحسين (ع) الذي لم يكن يزيد على نحو ١٠٠ شخص، جيشا لم يكن تعداده يقل عن ٣٠ ألف شخص تحت زعامة عمربن سعد. و بالفعل قدم أنصار الحسين (ع) التضحيات الجسام، وظهروا بمظهر مشرف، فإذا أحدهم يأ[...] ساحة القتال، كان يلقي في قلوبهم الرعب ويد[...] يميناً وشمالاً بروح معنوية عالية يبغي الشهاد[ة] عابئ على حياته من الموت، بعكس المقاتل[ين] جيش عمربن سعد الذين كان بعضهم أكرهو[ا على] القتال تحت التهديد والبعض الذين لهم م[...] دنيوية، فهل أولئك سيحاربون بنفس الروح الم[...] العالية؟ لا؛ لن يفعلوا ذلك، لأنهم يهابون الم[وت] فإذا ماتوا فكيف سيحصلون على جوائزهم ويتـ[...] بها وهم أموات؟ واتفق ان جهنم ستكون مص[يرهم] إذا ما ماتوا عكس أنصار الحسين (ع) الذين يتوقون للشهادة وملاقاة رسول الله (ص) و[...] بالفردوس التي وعدهم الله بها.

فالحربن يزيد الرياحي، كان هو السـ[...] نزول الإمام الحسين (ع) في أرض كربلاء. و[...] الحر يعد من شجعان العرب ومن أكـ[...] الجيش ورئيساً لعشيرة ذات نفوذ وقوة، [...] الخصمة التي لابُدَّ من الاعتراف بها انه مخط[ئ] فكيف يتدارك خطأه والاعتراف بالخطأ فـ[...] حيث قال أخيراً بعد أن حاسب نفسه طويلاً: أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على شيئاً)، ثم مضى نحو خيام الحسين (ع) تاركاً كل شيء من أمور الدنيا وزينتها ومركزه [...] وغيره، طالباً الإذن للشهادة من الإمام الحسـ[ين] وسرعان ماقدم روحه النبيلة بين يدي الحسـ[ين] فائزاً بالجنة.

وهناك حبيب بن مظاهر، صاحب [...] الحسين (ع) منذ الطفولة حين جاءه كـ[...] الحسين (ع) يدعوه لنصرته، ترك كل شيء [...] وحضر عند الامام الحسين (ع) واستشهد وهو

اتس الفسوق، ولقد ظهر بمظهر مشرف وأبلى بلاءً
سناً.

وهـناك صور أخرى للبطولات، فأثناء
اشتباكات، ونظراً لحراجة الموقف وأهمية القتال
كثرة الرماة كان بعض أصحاب الحسين (ع) قد
تزموا الوقاية بأنفسهم دونه، وشكلوا في ذلك اليوم
لقة دفاع ودرع وقاية من أجسادهم، ووقفوا يتقون
سهام والسيوف ومن هؤلاء: حنظلة بن سعد
سابي وعمرو بن قرضة الأنصاري، وغيرهم، فكان
يأتي سيف للحسين (ع) إلا اتقوه دونه، ولا سهم
تلقوه عنه، فإذا أثخن أحدهم بالجراح وأثرت فيه
مرها أثراً عظيماً أدى الى ضعفه عن الوقاية يلتفت
حسين (ع) ويقول: أوفيت يابن رسول الله؟
جيبه الحسين (ع) بقول: نعم؛ أنت أمامي في
لجنة، واقرأ جدي السلام واعلمه اني في الأثر.

ولما أراد الإمام الحسين (ع) في يوم عاشوراء
يقاف الحرب وذلك لتأدية صلاة الظهر، لم يرض
عمر بن سعد، بل كان جيشه يرمي الحسين (ع)
بالسهام والسيوف وغيرها من أدوات الحرب، وهو
يعول بالصلاة، وهنا نرى موقفاً بطولياً من سعيد بن
عبدالله الحنفي، حيث وقف أمام الحسين (ع) يتلقى
السهام والسيوف دونه، فلما نزف دمه من كثرة
لنبال خرّ صريعاً، وهو يقول: اللهم أبلغ نبيك عني
السلام وبلغه ما لقيته من الجراح.

كانت هذه بعض الأمثلة عن المواقف البطولية
ن أصحاب الحسين (ع)، وهناك الكثير غيرهم من
لقتال: بريربن خضير الهمداني وعابس بن شبيب
الشاكري وزهيربن القين وعمرو بن خالد الأسدي
ومجمع بن عبدالله العائذي وجنادة بن حرث
المذحجي المرادي وغيرهم من أصحاب الحسين (ع)
الذين قاتلوا معه في يوم عاشوراء.

أما أقرباء الحسين (ع) وأبناؤه كانوا أيضاً رمزاً
للبطولة في مسيرة الحسين (ع)، فنرى مسلم بن عقيل
الذي بعثه الحسين (ع) الى الكوفة كرسول لتقصي
الأوضاع هناك، فحين انقلبت الكوفة عليه، قاتل
وحده جيش عبيد الله بن زياد بقيادة محمد بن
الأشعث في شوارع الكوفة (وهي محلة من محلات
الكوفة) وقد سميت هذه الحرب حرب الشوارع،
حيث كان مسلم بن عقيل يصول كالأسد، وقد
اشترك في حربه الرجال والنساء والأطفال،
فالرجال بالسيوف والرماح والنبال، والنساء بالنار
في أطنان القصب، تلتهب ناراً فيرمينه بها من فوق
سطوح البيوت، والأطفال يرمونه بالحجارة، وهو يقابل
ذلك بشجاعة وبسالة ويحمل عليهم ويقول:

أقسمت لا أقتل إلا حرا
وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
كل امرئ يوماً ملاق شرا
ويخلط البارد سخناً مرا
رد شعاع الشمس فاستقرا
أخاف أن أكذب أو أغرا

حتى وقع أسيراً في أيديهم، وصدر عليه الحكم بالموت
رمياً من فوق قصر ابن زياد، وبعدها اتبعوه بالرأس.

وحين سمع الحسين (ع) بمقتل مسلم التفت الى
بني عقيل (أبناء عمه ــ فمسلم بن عقيل بن ابي
طالب كان ابن عمه) وقال: «حسبكم من القتل
بمسلم اذهبوا فقد أذنت لكم»، فقالوا بأجمعهم:
«إذن ما نقول للناس وما نقول لهم؟» إنا تركنا

شيخنا و بني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن برمح، ولم نضرب بسيف ولا ندري ما صنعوا، لا والله لانفعل ذلك، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا، نقاتل معكَ حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك ».

وهناك عون ومحمد (أبناء عبدالله بن جعفر بن ابي طالب) اللذان اشتركا في موقعة كربلاء، فحين نزلا في ساحة الحرب أخذا باختراق صفوف جيش الأعداء، حاملين سيفيهما في أيديهما يضربان يميناً وشمالاً حتى أوشكا على الوصول الى خيمة عمر بن سعد، ولكنه هرب وأمر جيشه بمحاصرتهما فانكبوا عليهما من كل جانب حتى قتلا بعد أن سجلا أعظم الأثر في البطولة والتضحية.

والقاسم بن الحسن (ع)، وهو أكبر أخويه الشهيدين أبوبكر وعبدالله، وكان الحسين (ع) يحبه حباً شديداً. ولقد حاز فخر البطولة والاقدام، وأصبح مضرب المثل في الشجاعة، وتقدم الحرب في ذلك اليوم (يوم عاشوراء) وقاتل بشدة ورجولة حتى استشهد.

وها هو علي بن الحسين الأكبر(ع) الذي كان يشبه رسول الله (ص) حتى ظنه جيش عمر بن سعد انه الرسول نفسه حين نزل الى ساحة الحرب معتماً بعمامة رسول الله (ص) متقلداً بسيفه. تقدّم علي الأكبر(ع) وهو في نضرة شبابه وحسن طلعته، يمتطي الفرس ذا الجناح، وهو يقول:

أنـا علي بـن الحسين بـن علي
نحـن ورب البيت أولى بالنبي
والله لايحكم فينا ابن الدعي

وقاتل وقُتِلَ بعد أن قضى على الكثير من رجالهم.

وكان العباس (أبو الفضل) أخو الحسين(ع)، وحامل لواء جيش الحسين (ع)، ويرعى المقاتلين، فإذا تجمعت الرجال على واحد منهم وجالت الخيل حوله، حمل أبو الفضل عليهم وفرقهم عنه، فهو دائماً الى جانب المقاتلين، يشد عضدهم ويشجعهم لمواصلة الكفاح، وإذا اشتدت هجمات الأعداء على معسكر الحسين (ع)، عاد ليكشفهم عن المخيم. فحين اشتد العطش بأطفال الحسين(ع) قرر أن يأتي لهم بالماء، ولكن الجيش باكمله كان يسد عليه الطريق الى نهر الفرات، ولكن من هذا الذي يستطيع أن يقف أمام هذا الأسد الغضنفر، فلقد اخترق الجيش بأكمله ووصل الى النهر وأخذ قليلاً من الماء البارد بيده ينظر اليه ويقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني
وبعده لا كنت أن تكوني
هذا حسين شارب المنون
وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني
ولا فعال صادق اليقين

ثم يرمي الماء من يده ويملأ القربة ويتجه بها نحو خيام الحسين (ع)، فكانت معركة حامية بينه وبين تلك الجموع التي خافت أن يصل الماء الى خيام الإمام الحسين (ع) فهجمت على العباس بكل شراسة وانجلت المعركة وإذا به يتشحط بدم الشهادة مقطوعة يداه بعيداً عن مخيمه قرب نهر العلقمي حيث قبره الآن، فسلام الله عليه ورحمته، حيث

كان رمزاً كبيراً وعالياً للوفاء والبطولة والتضحية.

وهنا نأتي الى بيان شجاعة الإمام الحسين (ع)، حين بقي وحده بعد استشهاد جميع أصحابه وأقربائه وأبنائه، فبالرغم من أنه قد تحمل أعباء الحرب منذ بدايتها حيث كان يقوم بحمل جثث الشهداء من ميدان المعركة ويأتي بها الى الخيام، و بالرغم من أنه لم يذق طعم الأكل والشرب مدة ثلاثة أيام، إلا أنه حين نزل الى ساحة القتال وحيداً لمواجهة هذا الجيش الضاري وهو يقول:

أنا الحسين بن علي
آليت أنْ لا أنثني
أحمي عيالات أبي
أمضي على دين النبي

وكان يكر عليهم كرة واحدة، فكانت مئات الرؤوس تتطاير هنا وهناك وترتفع الأصوات الأمان الأمان فارين من مجابهته، وحين يحاولون الهجوم مرة أخرى، يكر عليهم كرة أخرى ليفروا من جديد، بعد حصدهم العديد منهم، وهنا تتجلى شجاعة الإمام الحسين (ع) في أبرز معانيها، حيث كانت عروقه تحمل دم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع).

لقد كان الحسين (ع) وأنصاره من أصحابه وأقربائه وأبنائه رمزاً كبيراً وعالياً للبطولة والتضحية والشهادة، لأجل جعل كلمة الله هي العليا.

الأهداف التي تحققت من ثورة الإمام الحسين (ع):

لقد استهدفت ثورة الحسين (ع) أولاً وأخيراً خلق مناخ ملائم لصنع تيار عملي مضاد للتيار الأموي المنحرف، يكون بمقدوره أن يطيح بالوجود الأموي، ويعيد الهدى للأمة.

ولقد جاءت النتيجة كما خطط لها ابتداءً، فلم يلبث الحسين (ع) وأصحابه أن يتخذهم الله شهداء أبراراً حتى أصبح الحكم الأموي يفقد مبررات وجوده، فقد تمت تعريته تماماً، وافتضح للأمة تياراً معادياً للرسالة الاسلامية، والمصالح الحيوية للأمة، وحتى الذين اشتركوا في مأساة كربلاء لصالح البيت الأموي تعرضوا لتحول داخلي عنيف تحت مطارق تكبيت الضمير واليقظة الوجدانية.

وبناء على ذلك: تعرض الحكم الأموي الى زلزال عنيف، تمثل بسلسلة من الانتفاضات الشعبية الغاضبة، كثورة التوابين في العراق، وثورة المختار الثقفي، التي استأصلت الفئة الباغية التي دبرت قتل الإمام الحسين (ع)، وأصحابه وثورة المدينة وسواها.

ولئن كانت الثورات المذكورة لم تنه الوجود الأموي جذرياً، فقد عبرت عملياً عن تصاعد تيار الرفض للانحراف وتعاظمه بالإضافة الى تعبيرها الحي عن انعطاف مسيرة الأمة عملياً لغير صالح السياسة الأموية العدوانية، حيث استغلت الدعوة العباسية كثيراً، تنامي ذلك التيار، وامتصت قواه تحت شعارات النصرة لأهل البيت (ع)، مما وفّر لها فرص التصفية العملية للوجود الأموي.

وكانت إحدى النتائج الأخرى لهذه الثورة هي عدم جرأة الحكام الأمويين بعد يزيد وبعد ذلك الحكام العباسيين لمجرد طلب أخذ البيعة لهم من أهل البيت (ع) لأنهم كانوا يدركون ان الخلافة هي من حق أهل البيت (ع) وحدهم.

دور المرأة في ثورة الإمام (ع):

لقد كان الإمام الحسين (ع) يدرك تماماً أن مقاومته للسياسة الأموية ووقوفه الحازم في وجهها ستكون نتيجته الشهادة في سبيل الله، سواء بقي الإمام الحسين (ع) في المدينة أو في مكة المكرمة أم في أي اقليم آخر، ولكنه كان يريد أن يكون لاستشهاده دوي عـال على المستوى العام للأمة بامتدادها التاريخي حيث كان الأمويون يحاولون جاهدين لاغتياله لأن ذلك النوع من الموت ليس له دوي، أو أن دويه محدود، فلا تتبعه هزة أو ضجة على المستوى العام للأمة، بالمستوى المراد.

لذلك كان لابد من التحضير لمعركة حقيقية بين معسكر الايمان الذي يقوده الإمام الحسين (ع)، وقوى الانحراف التي يقودها البيت الأموي بقيادة يزيد بن معاوية، ومن أجل ذلك دعا الإمام (ع) الرجال للانخراط في صفوف الثورة، فكان لايمر بقوم، أو بحي من أحياء العرب وهو في طريقه الى العراق، حتى يدعوهم الى نصرته والإنضواء تحت لوائه ليتسع مدار الضجة أفقياً وتاريخياً، ولعلنا هنا ندرك السر الذي جعل الحسين (ع) يحمل معه نساءه وأطفاله مع قناعته بالنتيجة المحتومة لتصديه للحكم الأموي.

فالإمام الحسين (ع) كان مقتنعاً تماماً الى حد القطع أن نساءه ونساء أنصاره سيتعرضن للأسر والإهانة من لدن عملاء السلطة الأموية، وسفرهن من بلاد الى بلاد، وهنا يأتي دورهن في كشف وفضح السياسة الأموية وتعريتها أمام الأمة وذلك بالتحدث الى الناس ومواجهتهم بالحقائق وفضح ألاعيب السياسة الأموية في كل من الكوفة والشام من خلال الخطب والمناقشات ومهاجمة الحكام. تصبح الغاية التي حمل الحسين (ع) من أجلها نساءه الى قلب المعركة جلية لاتخفى عن ذي عقل، ولقد قالها الإمام (ع) كلمة حين حدثه أخوه (محمد الحنفية) بشأن النساء وعند عزمه على مغادرة مكة الى العراق قال عليه السلام: «قد شاء الله ان يراهن سبايا».

وهنا نذكر بعضاً من البيانات المثيرة التي أذاعتها السيدة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين علي (ع) والتي تجلّت في كلماتها الفصاحة الحيدرية «الحمد لله والصلاة على أبي محمد (ص) وآله الطاهرين. أما بعد... يا أهل الكوفة... أتبكون فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً، تتخذون ايمانكم دخلاً بينكم... ألا وهل فيكم إلا الصلف والنطف والعجب والكذب والشنف وملق الآماء وغمز الأعداء أو كمرعى على دمنه أو كفضة على ملحودة... ويلكم أتدرون أي كبد لرسول الله (ص) فريتم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم...). وغيرها من الخطب والكلمات المثيرة والتي تضع زينب الكبرى عليها السلام أهل الكوفة أمام مسؤوليتهم وتعكس لهم جسامة الخطر وحراجة الموقف الذي هم فيه بعد قتلهم الحسين (ع) مما أثار موجة عارمة من السخط الجماهيري على السياسة الأموية والضالعين في ركابها.

وهكذا تتبعها السيدة فاطمة بنت الحسين (ع) وتليها أم كلثوم بحديث مكثف يضرب على نفس الوتر ويرمي الى ذات الغاية. غير أن دور النسوة تبلور بشكل صارم في دمشق بالذات، حيث جرت مناقشات حادة وخطب وتحديات، ويبدو أن الد

السمائي في الحركة الحسينية قد اتخذ مواقع الهجوم على الطغاة هناك، بدءاً بيزيد بن معاوية فما دون.

ولقد كانت لتلك البيانات العاصفة التي أدلت بها زينب وأخواتها على درب الجهاد، دور إعلامي فعال لإيضاح أهداف الثورة، وكشف مظلومية أهل البيت (ع) وأحقيتهم في سياسة أمور الناس، بالإضافة الى تعرية الخط المنحرف الذي ينتهجه البيت الأموي في توجيه دفة الحياة الاسلامية، وتضليل سواد الأمة، واغراء ذوي النفوس الضعيفة منها.

ولقد كانت إحدى نتائج هذا الدور الإعلامي للنساء في الشام هو اضطرار يزيد تحت ضغط أهل الشام الى تخلية سبيل الأسرى والسماح لهم بالعودة الى المدينة المنورة.

الخاتمة:

وهكذا هو الحسين (ع)، راية تخفق الى أبد الدهر. إنّ حياة الإمام (ع) كانت تجسيداً لرسالات الله التي أنزلت على الأنبياء والمرسلين. لقد كلل الإمام الحسين (ع) أعماله بالشهادة، فالإقتداء بالحسين (ع) لا يكون فقط باللحظة الأخيرة من حياته، بل بكل جوانب حياته، فقد عاش الإمام الحسين (ع) ٥٧ عاماً، وخلال هذه الفترة كان عليه السلام يقوم بمجموعة متكاملة من الأعمال الرسالية.. من تربية الكوادر الجهادية، الى قيادة وإدارة التجمعات الرسالية الى هداية الناس.. الى إقامة الصلاة جماعة في الحرم المكي... الى توجيه الخطب.. الى قيادة الناس... الى قيادة الحروب.. الى غيرها من الأعمال.

أجل؛ إذا مات ضمير الناس، وسيطر الارهاب، ولم ينفع الكلام، واحتاجت الأمة الى صاعقة، وقلّ الناصر، وكثر العدو، وحيف على الاسلام من انحراف الناس عنه وما أشبه في مثل هذا الظلام الدامس، وفي هذا الليل الحالك البهيم، في مثل هذا السكوت القاتل والجمود البارد نحن بحاجة الى دم يسيل، وبطولة تتحدى. ومأساة تهز الضمير. نحن بحاجة الى ضمير ينهض الفئة القليلة من المؤمنين. ولئن انتصرت قوى الشر في معركة كربلاء، فانما هو انتصار موقت وظفر محدود.

في تلك الجولة الحاسمة ظهرت العناصر المندسة، وأزيلت البراقع التي كان يتستر بها أعداء الاسلام، وبقي يوم الحسين (ع) تهتز له عروش الظالمين، وتهوي بصرخته المدوية تيجان المستبدين. وبقي الحسين (ع) وسيرته الخالدة، سيرة البطولة والفداء، سيرة التضحية والعقيدة، سيرة العزة والكرامة.

ولقد كتب الحسين (ع) بدمه المسفوح أسمى معاني التضحية في سبيل نصرة الحق وإقامة العدل، والنصر حليفه على مرّ الزمان وتعاقب الأجيال.

وكلّما مرّ على الشهيد الزمان أضاء أكثر، ونقول في الأخير بأن أمة تمتلك كربلاء لا تموت●

المرأة وطموحات الرسالة

ـ القسم الرابع والأخير ـ

ـ وقفات مع نسائنا ـ

زينب الأسدي / العراق

زينب الحوراء... السبية الأولى[1] الصامدة الأولى:

وحديثنا عن الحوراء حديث ذو شجون ،ولم لا وهو الحديث عن بطلة كربلاء التي كان لها كل ذلك الدور العظيم في كربلاء الطف.. كأمها الزهراء (ع) عاشت يتيمة من جهة أُمها فتكفلها أبوها يغدق عليها من حنانه وعطفه ليعوضها حنان أُمها الغائبة. ولم لا وهو علي خليفة رسول الله وحامل لواء الرسالة.. وعاشت الحوراء كل مصائب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.. وأية مصائب تلك.. إنها مصائب أبكت السماء دماً!!

والحوراء لا تملك العصمة التي تملكها أُمها عقيلة بني هاشم وهي نتاج تربية حيدر الكرار عليه السلام.

وما نلق من بذور نحصد: نكن رساليين يكن أبناؤنا رساليين، نكن دنيويين يكن أبناؤنا كذلك، ونكن مجاهدين يكونوا كذلك.. إذا ماوجدت التربة التي تتقبل البذور للنمو فيها.. لم تكن الحوراء بعيدة عن الساحة السياسية وما يجرى فيها بل طلت قريبة من الحرب ترى بعين بصيرة ما يجري في الأمة من انحرافات باسم الاسلام وهو منها براء. وكيف تعتزل الحياة وتعيش بعيدة عن ساحة المسلمة الرسالية المجاهدة؟ إنها [illegible] على الاسلام كحرقته على أسرتها بل وأكثر

ذلك.. ترى هل نملك نحن قلوباً مثل قلب زينب؟ هل تحترق قلوبنا على الاسلام؟ أم أن لنا قلوباً لاتحترق إلا على مال و بنين؟

لنأخذ من الحوراء عطاءً ثراً عظيماً.. العقيلة ليست معصومة كما قلت إنما هي رسالية.. إمرأة ذات موقف.. ولعلّنا لو أردنا أن نفسر موقفها في واقعة الطف لوقفنا لها بكل إجلال واكبار ولأحنيْنا رؤوسنا لها.. رجالاً ونساءً.. بلافرق. لقد أشار عبدالله بن عباس على الإمام الحسين أن يترك النساء ويذهب هو للقتال.. إلّا أن الإمام أجابه بكلمات عِظام.. شاء الله أنْ يراهن سبايا.. إنها مشيئة الله من أجل رسالة الله.. هُنَّ بنات رسول الله (ص)، والإسلام أعظم من كل شيء، ولولا الاسلام لما كان هناك رسول الله، ولولا رسول الله لما كان هناك إسلام.. وتسمع زينب (ع) حوارهما من خلف الخباء، فتجيب ابن عباس قائلة مامعناه:

يا هذا؛ أتشير على سيدنا بأن يذهب ويتركنا ههنا، لا والله بل نذهب معه، وهل أبقى لنا الزمان غيره.

إنها مصرة على الذهاب.. لم يجبرها الحسين على اتخاذ موقفها، بل انها هي التي اختارت الذهاب معه.. ترى ألم تكن زينب تعلم الى أين هي ذاهبة؟أليست هي ذاهبة مع الحسين (ع).. وأليس هو ذاهب للقتال والثورة.. للموت فداءً.. على يد أعداء أشرار قتلوا علياً (ع) وهو قائم يصلي في شهر رمضان.. شهر الله.. وسمّوا الحسن (ع) بعد أن خدعوا زوجته لتدسّ اليه السم؟.. وماذا تتوقع زينب أن تجد في رحلتها تلك.. هل تتوقع أن الأعداء سيحنون رؤوسهم لها احتراماً.. أم تتوقع انهم سيذكرون رسول الله عندما يرونهن وهم الذين لم يرعوا لرسول الله حرمة أبداً!.

إنهم أوغاد أشرار.. وزينب كانت تعرف كل ذلك، تعرف انها ذاهبة الى السبي وهتك الخدور لكنها لا تنظر بالعين التي ننظر بها.. عين السلامة والراحة والخلود الى الدعة.. إننا نضع دائماً وأبداً في كل عمل نقدم عليه تحت ثلاثة مؤثرات: الله.. الشيطان.. النفس، ونختار راحتنا وسلامتنا وإنْ كان ذلك خدمة للشيطان ونؤثرها على العطاء والتضحية في سبيل الله.. لنتعلم من زينب اننا يجب أن نفكر أولاً بالاسلام و بالرسالة وإنْ كلفنا هذا الاختيار ثمناً باهضاً.. قد يكون حياتنا..

هذا الموقف ينطوي باحترام موقفها من زوجها عبدالله بن جعفر بن ابي طالب الذي كان مكفوفاً.. انه أعمى.. وهي تستأذنه للذهاب مع أخيها.. تتركه وحده.. لماذا؟ لأن الإسلام يحتاج الى زينب المجاهدة أخت الحسين (ع).. بطلة الثورة.. كثيرٌ من نسائنا مجرد أن يطلب منهن أدنى عمل يتذرعن بأزواجهنّ ويصورن الاسلام كله في أزواجهن، فخير لها أن تبقى في البيت لتكوي قميص زوجها ولاداعي لأن تتململ أفكارها ومزاجها بشيء اسمه رسالة الله ولاداعي أبداً لإحساسها ببناتنا اللائي اسبيحت أعراضهن في السجون وكأن هؤلاء رسالة ولأولئك رسالة.. إنهمارسالتان.. رسالة الرحمن ورسالة الشيطان.. زينب (ع) تترك زوجها الأعمى الذي هو بحاجة الى رعايتها وعنايتها، تتركه لتكمل مسارها في

المنطلق الجديد الذي تنطلق اليه.. مسار الثورة الى كربلاء.. والزوج المؤمن.. الأعمى.. المحتاج الى زوجته يأذن لها بالذهاب مع الحسين الى السبي!!.. ما أحرى برجّالنا أن يأخذوا من هذا درساً عظيماً في التفكير بالرسالة قبل التفكير بالنفس.. أو لا يعلم عبدالله أين تذهب زينب؟ إنه يعلم انها ذاهبة الى السبي والاسر، لكنه يعلم ان ماتذهب اليه هو واجب مقدس أفضل كثيراً من بقائها لرعايته،ولوكان هوابن جعفر الطيار يفكر بأن تبقى زوجته، إذن فمن للاسلام..ومن لله؟!إنها الذات المؤلمة..المحزنة، لأنه كان يعلم ان زوجته ستجر من كربلاء الى الشام بلاغطاء ولا وطاء مع الرؤوس، حاسرة، تسبى، لاتجد من به تعتصم!!

ما أعظمك يا عبدالله وما أحوجنا الى موقفك هذا.. رجالنا المسلمون.. الملتزمون.. يمنعون زوجاتهم من أبسط عمل قد لايكلفهن أدنى عناء.. بعضهم يقول لزوجته ان عليها أن تكمل عمل البيت .

ما أعظم الهوة بين من يعيش الاسلام كرسالة حياة يجب أن تنشر وتبذل كل الجهود والقدرات من أجل المحافظة عليها، و بين من يعيش الاسلام كشيء هامشي، كفاه منه انه علمه معنى الصوم والصلاة فقط!!

وزينب (ع) بعد هذا تسير مع الركب الى كربلاء بعيداً عن مدينة الرسول (ص).. وهي تعلم ان القوم يسيرون والمنايا تسيرمعهم.. إنها اللحظات الأخيرة لرؤية شباب آل البيت وسيد شباب أهل الجنة.. تدمع عيناها، لا لأنها ستبقى وحدها بعد شهادة جميع آل البيت، بل لأنها ستفارقهم..سيكونون هم في جنان الآخرة وهي في وادي الدنيا بقلب كسير متعلق بالآخرة التي فيها كل الأحبة..

وتحدث المأساة، يقتل كل آل البيت واحداً تلوالآخرحتى يبقى الحسين(ع)وحده وهو ينادي.. ألا هل من ناصر ينصرنا؟ ألا هل من مغيث يغيثنا؟ فلا يستجيب له أحد، فيجرح لقتالهم ويسقط صريعاً مضرجاً بدمه، ثم يجز رأسه الشريف ونساء آل البيت في الخباء.. هذه اللحظات الحاسمة يصفها الحجة (عج) في زيارة الناحية بقوله:

واسرع فرسك شارداً الى خيامك، قاصداً محمحماً باكياً،فلما رأين النساء جوادك مخزياً ونظرن سرجك عليه ملوياً، برزن من الخدور، ناشرات الشعور على الخدود، لاطمات الوجوه سافرات، و بالعويل داعيات، و بعد العز مذللات، والى مصرعك مبادرات.

وهنا خرجت زينب لتنظر الى آخر من بقي من آل البيت شهيداً يخضب بدمه الطاهر رمضاء كربلاء فيرمقها الأعداء.. عمربن سعد يلتفت الى شبث بن ربعي يسأله عن هذه المرأة، فيقول له انها زينب بنت علي، فيأمر الجيش لينفرج لها بسماطين.

وتجد الحوراء (ع) صعوبة وهي تشق طريقها وسط الضحايا كي تصل الى الجسد الصريع، والتاريخ يحدثنا عن مواقف زينب حينما استشهد الإمام الحسين(ع) وأخوها أبو الفضل العباس، ولا يحدثنا عن مواقفها حين استشهد أولادها!!

حينما تصل زينب الى الجسد الصريع

لا تمول أكثر من كلماتها.. أللهم تقبل منّا هذا المقتيل قرباناً لوجهك.. نعم كل ما نعطي لله وعسى الله أن يتقبل وهل لايتقبل الله تضحية سيد شباب أهل الجنة الإمام المعصوم.. رغم الألم الكبير والمعاناة التي كانت تعيشها زينب من ذهاب جميع أهل البيت حيث لم يبق إلّا الإمام زين العابدين (ع) وهو عليل؟ إنها تعلم انه لو لم يكن هناك إسلام لما كان هناك حسين وكربلاء!

بعد هذا تكمل زينب مع الرؤوس والسبايا موكب السير الى الشام الى حيث يزيد قد تربع على كرسي الحكم فرحاً مبتهجاً بسفك دماء أهل البيت، وفي رحلتها هذه يتحد عملها مسلكين:

المسلك الأول: المسلك الفكري الذي أخذ جانبين:

الجانب الأول: شرح أبعاد القضية.. قضية ثورة الإمام الحسين (ع) وتوضيح أهداف الثورة بعد ان استطاعت الأبواق الاعلامية تضليل الناس بعيداً عن الحقيقة وبعد أن نجحت في ترويج فكرة أن يزيد قتل الخارجي بن الخارجي وليس الحسين سبط الرسول وابن علي أمير المؤمنين، كانت (ع) توضح مكانة آل البيت ومنزلتهم وما قال الله فيهم ورسوله، ثم تتجه الى الجانب الثاني وهو:

تأنيب الجماهير بإثارة عواطف الندم والشعور بالإثم لسكوتهم عن نصرة الامام الحسين (ع) وعدم تلبيتهم لندائه واستغاثته في الوقت الذي كان الامام الحسين قد قدم الى كربلاء بناءً على العهود والمواثيق التي أرسلوها له بنصرته لو جاء الى كربلاء.. وهذا العامل هو السبب في نشوب الثورات المستمرة، ومنها: ثورة التوابين وثورة المختار الثقفي وابن الأشعث وغيرها، وكلها انطلقت تحمل شعار «يا لثارات الحسين» رغم الإرهاب الأموي، وهذا واضح في خطبتها لأهل الكوفة:

أما بعد، يا أهل الكوفة؛ يا أهل الختل والغدر والخذل.. أتبكون فلا رقأت العبرة، ولاهدأت الزفرة.. ألاسُئ ماقدمت لكم أنفسكم، أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون أخي، أجل والله فابكوا فانكم أحرى بالبكاء، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فقد ذهبتم بعارها، ومنيتم بشنارها، ولن ترحضوها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ حربكم، ومعاذ حزبكم، ومقر سلمكم، وآسي كلمكم، ومفزع نازلتكم، والمرجع اليه عند مقاتلتكم، ومدار حجتكم، ومنار محجتكم. أَلاَساءَ ماقدَّمَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ وَسَاءَ ماتَزِرُونَ لِيَوْمِ بَعْثِكُمْ، فتعساً تعساً ونكساً نكساً، لقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة، أتدرون ويلكم أي كبد لمحمد صلى الله عليه وآله فريتم؟ وأي عهد نكثتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي حرمة له هتكتم؟ وأي دم له سفكتم؟ لقد جئتم شيئاً إدّاً، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض، وتخرالجبال هدّاً.

أما المسلك الثاني:

الذي سلكته العقيلة زينب، فهو في حماية آل البيت من النساء والأطفال من جهة

والمحاماة عن الإمام السجاد (ع) من جهة أخرى.. ما ان استشهد الإمام الحسين (ع) حتى استبيح الخباء، ويروي المؤرخون ان أكثر من ٥٠ صبياً وصبية قد داستهم الخيل.. فالأمهات لايصدقن هول المصيبة التي أصابت آل البيت، وزينب سلام الله عليها وحدها كانت تركض وراء تلك المرأة وذلك الطفل لتجلبهم الى المعسكر كي تحافظ على من بقي من آل البيت.. وموقفها الجريء من ذلك الشامي الذي أراد فاطمة بنت الحسين (ع) أن تكون جارية عنده.. كان موقفاً عظيماً.. فبنات الأنبياء لسن جواري.. إنهم اهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.. ثم كان لها الدور الكبير في الحفاظ على الإمام زين العابدين (ع)، وكل ذلك إنما بمشيئة الله تبارك وتعالى.. ما أن سمع الإمام السجاد صوت أبيه الحسين (ع) وهو يستغيث حتى خرج يجر سيفه جراً من شدة المرض، فناداها الإمام الحسين (ع) بأن تحبسه، فهو البقية الباقية من آل البيت.. وهذا بالضبط يفسّر لنا موقفها من ابن زياد حين همَّ بقتل الإمام السجاد (ع).

لقد تعلقت به قائلة: ياأبن زياد حسبك دماءنا وأعتنقته، وقالت: والله لاأفارقه، فإنْ قتلته فاقتلني معه، فنظر ابن زياد اليها، ثم قال: عجباً للرحم، والله إني لأظنها ودت اني قتلتها معه، دعوه فإني أراه كأبيه.

والحق فلزينب الدور العظيم في التعريف بثورة الحسين (ع) و بشخوصها، فلها إذن الدور العظيم في خلود هذه الثورة واستمرار فاعليتها مدى الدهر.

وحينما تقرأ التاريخ تجد ان المنطلق في كل ثورة كان من ثورة الحسين (ع).. أليست انتفاضة العراق الأولى كانت في يوم العشرين من صفر.. ذكرى أربعينية الإمام الحسين (ع)؟

واليوم نساؤنا يرسمن من جديد صورة زينب المجاهدة المتحملة لكل المصائب والمحن التي صبَّت عليها.. وجدنا زينب في العراق وايران وغيرها من البلاد الاسلامية تفتخر بشهادة أخيها ولا تكف عن الحديث عن تضحيات شهدائنا وديمومة دمائهم.. إن هناك ثورة اسلامية مشتعلة الأوار في كل مكان من بلادنا الاسلامية، وهذه الثورة تحتاج الى الزينبيات كما تحتاج الى الحسينيين، فليكن كل منا حسيناً، ولتكن كل منا زينب بطلة كربلاء.. السبية الأولى..

بنت الهدى.. العودة الجديدة.. الشهيدة الأولى:

بعد الدمار الذي لحق بالأمة الاسلامية بعد انتهاء فترة الخلافة الراشدة، بغيب الأمة في سبات مؤلم، يتولاها طاغ منحرف، ويتركها آخر، فانصهرت الشخصية الاسلامية ضمن شخصية السلاطين المتميعة وشخصية الغازين للبلاد الاسلامية من الصليبيين واليهود وغيرهم حتى وقتنا الحالي، وأصبح من العسير جداً إيجاد الشخصية الفاعلة الاسلامية التي لم تنتشل لنفسها شيئاً من هذا أو ذاك . والمرأة مع المجتمع ومع حركته تموت بموته وتنحرف بانحرافه.. يروي أحدهم، فيقول: إنَّ المستعمرين أرادوا أن يحتلوا البلاد الاسلامية بسهولة، وكان أسهل طريق هو إلهاء

النساء بأشياء جديدة ابتكروها اسمها الأزياء واسمها الموضة، ليبقى هذا هو الشغل الشاغل للمرأة لكي تنسى دورها الذي أنيطت به.. وكان ما كان حتى انمسخت نساؤنا. وقد نجد في أوروبا الغربية من ترتدي ثوباً أطول من الثوب الذي ترتديه الفتاة المسلمة.. في هذا السبات ومع هذا الانحراف ظهرت الشهيده بنت الهدى تتصدى لمسؤولية التغيير في داخل المجتمع وتحمل همّ البنات اللائي يهددهن الخطر الزاحف.. خطر المبادئ الضالة التي دخلت البلاد الاسلامية من أوسع أبوابها.. وهي رحمها الله قدانطلقت الى عملهاهذابكل اخلاص وتضحية، كانت تتولى الاشراف على مدارس الزهراء الاسلامية بكل معنى الكلمة، وبذلك عملت على توعية عدد كبيرمن الطالبات والمعلمات اللائي كن في المدرسة عبر خطة مدروسة للتوعية، كما كانت تشكل الجلسات الخاصة بالنساء.. كانت تأتي كل أسبوع من النجف الى بغداد كي تفتح دارابن أخيها لاستقبال الفتيات المسلمات لتوضح لهن ما التبس عليهن من أمور دينهن وترشدهن الى الصراط المستقيم.. وعبركتبها التي كانت باسلوب جديد.. اسلوب ايصال الفكرة الاسلامية عبرالقصة والحكاية وهو ما تحبه النساء بصفة خاصة والجميع بصورة عامة.. نشرت الكثيرمن المفاهيم الاسلامية التي غيرت من المفاهيم الخاطئة..

وحركة بنت الهدى في مجتمع لايعترف بأهمية توعية المرأة وتغييرها كانت بتسديد وتأييد وتوجيه من شقيقها الشهيد الصدر، وهذا ما يعبّر عن وعيه وادراكه رحمه الله في أهمية تغيير المرأة على يد المرأة المغيرة..

وموقفها في انتفاضة رجب كموقف زينب عليها السلام التي ألبت الجماهير على حكامها وأشعرت الحكومة بالخطر الجديد الذي يهددها.. خطر الثورة الاسلامية المشتعلة في أرض علي والحسين – عليهما السلام – لقد خرجت رضوان الله عليها الى الشارع تنادي الظليمة.. الظليمة.. اعتقل مرجعكم الصدر.. وهذا ما كان له أكبر الأثر في تأجيج نار الانتفاضة في عدد من أماكن العراق، في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها من المدن العراقية، مما حدا بالسلطات البعثية الى الافراج السريع عن المرجع الشهيد.. ولما أحست الحكومة بالخطر الجديد.. خطر المرأة وصوتها الهادر، بادرت الى اسلوب آخر تحارب به المرجعية الرشيدة عن طريق تصفية الشيبة الرسالية عبر قرارات إعدام لم يشهد لها التاريخ مثيلاً أبداً.. تم قبض على السيد الشهيد، لكن هذه المرة مع أخته كي لا تتأجج نار الانتفاضة من جديد.. إنّ بنت الهدى كانت تعذّب أمام شقيقها المرجع الصدر.. أحرقوا شعرها وعذبوها ثم قتلوها.. كما قتل بالأمس أبو جهل سمية ظناً منه انه سيقضي على السميات.. وليت الموتى يتكلمون ويسطرون كم من سمية الآن في بلادنا.. وكم من زهراء في أمتنا وكم من حوراء في جيل رسالتنا.. لقد أعادت بنت الهدى صورة المرأة الرسالية الجديدة.. بتواضعها.. وزهدها.. وجهادها الشاق المرير.. كم غيّرت بنت الهدى وكم من واحدة تنسب لها الفضل في هدايتها الى الصراط المستقيم.. لقد

قدّمت الصورة المثلى للشخصية الاسلامية للمرأة الجديدة في القرن العشرين، فلنحذ حذوها ولنسر في دربها.. وهل هناك مشعل أحلّ وأعظم من مشعل الشهداء نسير معه.مشعل الشهيدة الأولى.. نشر الهدى ــ ١٩٨٠.

*** الثورة الاسلامية في ايران والمرأة ***

تمثل الثورة الاسلامية في ايران العودة الجديدة الى الاسلام بعد أن أفل نجمه مايقارب الأربعة عشر قرناً من الزمان.. وهذه العودة عودة اسلامية أصيلة لا تتداخل مع أي من التيارات الموجودة في وقتنا الحاضر، وهذا مايتضح عبر الشعار الذي رفعته هذه الثورة المباركة (لا شرقية ولاغربية جمهورية اسلامية).. والانتصار الذي تحقق في ايران بطرد أكبر وأقوى عميل أمريكي في المنطقة بعد جهاد طويل دام ما يقارب الخمسة عشر عاماً.. لم يشارك الرجال فيه وحدهم، بل كان للمرأة الدور الكبير في انتصار الثورة.. أو ليس الامام الخميني المفدى حفظه الله يقول «**إننا مدينون للمرأة بانتصارنا**».

كانت تخرج الى الشارع وهي تعلم ان هناك ازلام السلطة يتربصون بها هم ورشاشاتهم ولايعيقها عن تحركها طفل صغير أو حشود من الدبابات أو برد قارس أو مطر غزير.

عندما كان الرجل يراها تخرج تغلي فيه الحمية فيبادر هو أيضا الى الخروج الى الشوارع.. لقد أعادت المرأة المسلمة في ايران الروح الزينبية التي كادت أن تغيب عن الساحة، وقدمت في هذه المسيرة تضحيات وتضحيات.. في ١٧ شهريور (الجمعة السوداء) استشهدت (٦٠٠) امرأة.. عدا من كنّ في السجون، ومن انتهكت أعراضهن، واستبيحت حرماتهن.. والمتأمل في انطلاقة المرأة المسلمة في ايران يجد أن هناك عوامل ساعدت على هذا الاشتراك المبارك، منها:

١ ــ الإستفادة من مواكب العزاء الحسيني:

الحكومة الشاهنشاهية السابقة لم تمنع المواكب الحسينية ومراسم العزاء في عاشوراء، بل اننا كثيراً ما نسمع أن الملك والملكة يقيمان مراسيم خاصة بهذه المناسبة في أماكن متعددة من البلاد وإنْ اتخذت الشكل الذي يخدم السلطات الحاكمة، إلّا ان الإبقاء على صحة صورة المأساة في نفوس المسلمين وتصوير الفاجعة بما هي عليه من ألم كبير كان له أكبر الأثر في إيقاد الروح الزينبية لدى النساء، هذه الروح التي لم تكن ظاهرة في بادئ الأمر، إلّا أنها برزت حين الحاجة اليها عن طريق التظاهرات وعن طريق الشهداء الذين كانت تعتبرهم المرأة المسلمة وتقدمهم قرابين لله.. إنهم يسمّون زوجة الشهيد بعروس الحسين «اي كنّه إذ الشهداء في كل العصور يعتبرون ابناءً للحسين فهو أبو الشهداء وسيدهم»!!.. هذا بالإضافة الى أن الشعب الايراني عموماً يمتاز بعاطفة جياشة وحب عظيم لآل البيت، وقد استفاد علماء المنبر من تواجد المواكب الحسينية في زرع الروح الثورية وتعريف المسلمين بقضية الحسين وهدف ثورته..

ألم يثر في وجه يزيد لأنه كان فاسقاً فاجرا

شارباً للخمر؟ وايران كيف كانت قبل الاسلام الجديد.. ألم تكن مثل باريس بفسادها وانحلالها؟

لقد أعيد تصوير قضية كربلاء من جديد في إطار شخصيات القرن العشرين.. والروح الزينبية التي ملأت قلوب النساء المسلمات، انطلقت عند أول تحد للسلطات الكافرة.. عند فرض السفور ومنع الحجاب لتقلب القرار الى يوم أسود.. يوم غادر الشاه ايران الى الأبد.

٢ ـ نمط التربية:

للتربية دور فعَّال ومهم في بناء الجيل الجديد، ونحن بما اتبعنا من أسلوب في التربية نجني الثمار.

والملاحظ ان المجتمع الايراني يحترم المرأة احتراماً واضحاً سواء كان هذا الاحترام في البيت أو الاسرة أو الشارع، وهذا الاحترام له دور أساسي في خلق الشخصية الناضجة البعيدة عن العقد النفسية التي تصاب بها عادة الشخصيات التي لا تحترم من قبل الآخرين.. إنهم يحترمون مشاعرها وهم يعلمون انها مرهفة الحس والمشاعر، وهم يحترمون آراءها، فلها رأي ولها دور، وقد تكون في أوقات كثيرة هي سيدة الموقف.. ولا يختلف في هذا الاحترام الغني عن الفقير، فكلهم يحترمون نساءهم، وهذا يأتي متزامناً مع الأعصاب الباردة التي يمتلكها المسلمون الايرانيون ومع الهدوء التام الذي يواجهون به المواقف الحرجة والصعبة.. و بديهي ان البيت البعيد عن المشاكل وعن التأنيب والتوبيخ المستمرين حساباً على الخطأ يخلق دوراً جديداً في انطلاقة المرأة، ويوجهها توجيهاً حسناً، ومن هذه الحقائق كانت المرأة تشاركه في مواكب العزاء وفي الذهاب الى دعاء كميل ليالي الجمعة أو الى جنة الزهراء يداً بيد حتى استطاعت إقامة صرح الدولة الجديدة.

ونحن رغم ما نرى اليوم من مواكب الشهداء العظيمة التي تستشهد على جبهات القتال وعلى أيدي المنافقين وعملاء الاستكبار العالمي، إلَّا اننا نجد أن الشهادة تدفعها الى العطاء والتقديم أكثر فأكثر لهذه الدولة المباركة.. دولة الله.

ونحن نلمس كثيراً من مواقف التكريم للمرأة المسلمة في تعامل قادة الثورة الاسلامية معهن.. في مرة التقى قائد الأمة الاسلامية الإمام الخميني بجمع كبير من النساء والذي أثار انتباهي هو عدم وجود أي حارس في الحسينية من حراس الثورة (سپاه پاسداران) كانت النسوة في جانب والإمام في جانب، وعلى الاطراف تجمَّعت الأخوات المسؤولات عن حفظ النظام (انتظامات) أوليس هذا إحتراماً وتقديراً.

ومرة أخرى كان سماحته يخطب في جمع من النساء والصحيح أخذ مأخذه وأطفال صغار لا يكفون عن البكاء، سماحته لم يقل كلمة واحدة تطالب باسكات هذا الطفل الباكي أو إخراجه من الحسينية.. إنها أخلاق الاسلام العظيمة قائد الأمة ذو المسؤوليات الجسام مع هذا يعطي بعضاً من وقته للمرأة التي ساهمت في بناء هذه الدولة ليقول لها بكل إجلال وإكرام.. نحن مدينون لك ..

ومن انطلاقة المرأة المسلمة في ايران، إنطلقت النساء المسلمات في أماكن أخرى من العالم.. لقد كانت الثورة الاسلامية في ايران تنبيهاً للجميع بدور المرأة وأهميتها في وقت تكاد تكون الحركات التغييرية الاسلامية نفسها قد أهملت المرأة ولم تعرها أية أهمية..

يقول الإمام الخميني:

«لقد رأيتَ أيها الشعب الشريف كيف أن نساء ايران الملتزمات حطّمنَ السدَّ الشاهنشاهي، وعليه فنحن مدينون لنهضتهن وقيامهن..

اليوم: تسعى النساء وفي عهد الجمهورية الاسلامية وبجانب الرجال في بناء بلدهم العزيز، وهذا هو معنى حرية المرأة والرجل●

الهوامش

١ ـ يذكر التاريخ ان أول نساء سبين في الاسلام، هنَّ نساء همدان. والسبية الأولى إشارة الى أنها من أهل البيت، فمن غير المتوقع أن يكون الأمر هكذا، ولكنهم انتهكوا الحرمات وحتى حرمة آل البيت الذين باسمهم جاؤوا الى الحكم

٢ ـ الشعار: العار، ترحضوها: تغسلوها، وآسى كلمكم دواء جرحكم، المدار: زعيم القوم ولسانهم.

حول

المسلمين في الصين

تمهيد:

يبلغ عدد المسلمين في الصين — اليوم — نحو (٣٠) مليون نسمة، وترى احصائيات أخرى انهم يصلون الى (٥٠) مليون نسمة. و يعيشون في الشمال الغربي من البلاد، و بصفة رئيسية في المناطق التي تقع على (طريق الحرير) الممتد من الصين شرقاً حتى ايران والعراق وتركيا غرباً، و ينتمون الى عشر قوميات، هي: هوى، و يغور، قازاق، غرغز، تاجك، تاتار، أوزبك، دونغشيانغ، سالا و باو آن.

و بين يديك عزيزي القارئ دراسة موجزة عن المسلمين في الصين، آملين أن نوفق في المستقبل لإجراء دراسات مشابهة عن بقية المسلمين في العالم.

متى دخل الاسلام في الصين؟

لقد أجمعت أكثر الدراسات التي جرت حول المسلمين الصينيين، انه مضى على دخول الدين الاسلامي في هذه البلاد نحو (١٣٠٠)عام. و يقال انه في عام (٦٥١م) جاءت أول بعثة إسلامية الى الصين، ومنذ ذلك التاريخ بدأ الاسلام ينتشر هناك.

وتعتبر مدينة (شيان) أول مدينة دخلها الاسلام في الصين. وهي تقع الى الجنوب الغربي من بكين، و يرجع تاريخها الى ثلاثة آلاف سنة، وكانت عاصمة للصين في بعض فترات التاريخ القديم، ولايزال فيها أكبر تجمع للمسلمين في هذه البلاد.



التوحيد ١٧٤

وقد [illegible] الى الصين [illegible] من العرب والفرس تجاراً وحاملين معهم الدين الاسلامي عن طريق البر و البحر، واستوطن بعضهم حين طاب لهم المقام، وأخذوا في بناء المساجد الاسلامية، ثم أخذ بعض الصينيين يدخلون في دين الاسلام، بعدها تطور الاسلام في الصين تدريجياً وعلى مرّ الزمن.

وخلال ثلاثة عشر قرناً من انتشار الاسلام في الصين، ظهر عدد كبير من الأئمة الصينيين، عكفوا على دراسة الدين، وزاروا الحجاز ومصر والعراق، لأداء الحج أو للدراسة بالأزهر، ومن بينهم «دون هوان» الذي عاش في أواسط القرن الثامن الميلادي، وزار بلاد العرب، وألف كتاباً عنوانه «رحلة الى بلد الكتاب» سجّل فيه أحوال العرب والمسلمين.

دراسة القرآن الكريم:

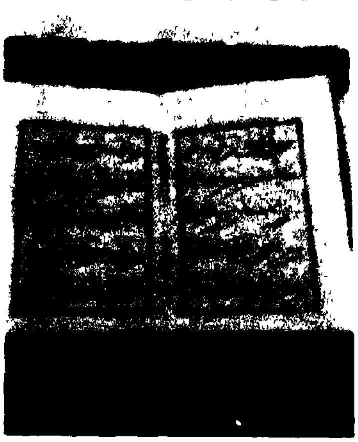
تعلّم المسلمون الصينيون القرآن على يد الأئمة في المساجد. وقد جمع بعض الأئمة سوراً من القرآن الكريم تحت اسم «خاتمة القرآن»، يضم السور التالية: الفاتحة، يس، الملك، الطارق، الأعلى، الضحى، الانشراح، القدر، الزلزلة، التكاثر، العصر، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، النصر، المسد، الاخلاص، الفلق والناس. وكان ذلك يتم مع انتشار الاسلام في أنحاء البلاد، حتى انتشرت خاتمة القرآن فيما بين المسلمين الصينيين.

ثم ظهرت مجموعة أخرى من «خاتمة القرآن» تضم بعض الآيات من سور: البقرة وآل عمران والفتح و يس والملك والجزء الثلاثين من القرآن الكريم.

وكان الإمام «[illegible]» (١٥٢٢ ـ ١٥٩٧م) أول من دعا الى تأسيس الكتاتيب في المساجد بعد عودته من الحج الى بيت الله.

ولقد اختار بعض الأئمة والعلماء أجزاءً من القرآن الكريم لترجمتها الى اللغة الصينية في النصف الأخير من القرن الثامن عشر و أوائل القرن العشرين. وكانت كراسات «خاتمة القرآن» رائجة فيما بين المسلمين كما ذكرنا آنفاً، ثم بدأ بعض الأئمة والعلماء يترجمون القرآن الى اللغة الصينية حسب الصوت، فأخرجوا «خاتمة القرآن» الصوتية، حتى أصبح بمقدور بعض المسلمين أن يتلوا الآيات القرآنية دون حاجة الى المعلمين.

بعد ذلك راح بعض الأئمة والعلماء يشرحون «خاتمة القرآن» أو يختارون بعض السور القرآنية لترجمتها وشرحها باللغة الصينية، حتى ظهرت بعض المختارات القرآنية، مثل: «الخاتمة المفسرة باللغتين الصينية والعربية» و «الخاتمة المفسرة» و «كتاب الله المفسر المترجم» وغيرها في أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين.



مخطوطة للقرآن الكريم

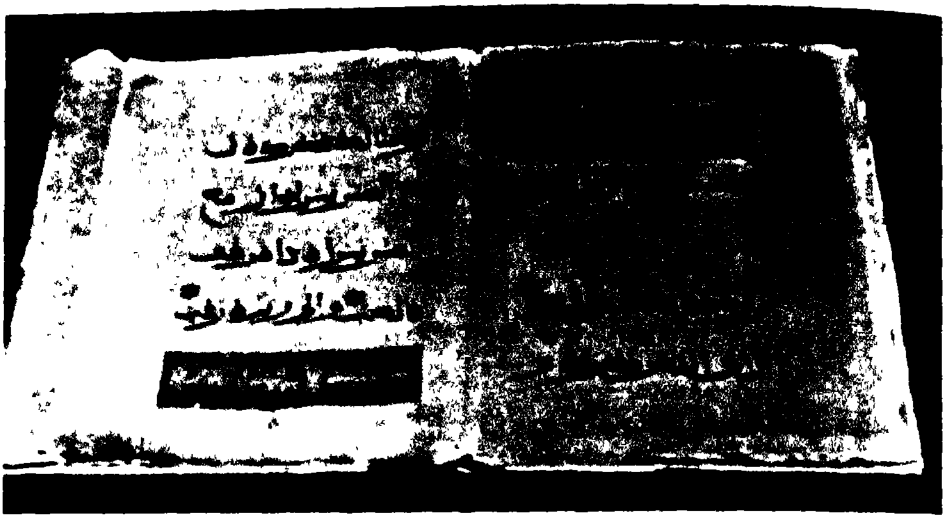
تظهر إلا في منتصف القرن الحالي، وقد عكف على ترجمتها الأستاذ «محمد مكين ماجياني» الذي درس بالأزهر الشريف ثماني سنوات. وظهرت هذه الترجمة عام ١٩٥٢م، ولاتزال هي المرجع الأساسي لمسلمي الصين الذين لايتحدثون العربية، وإن كان الأئمة يجيدون العربية، خاصة كبار السن منهم.

التورة التقافية والمسلمون:

الصين دولة متعددة الأديان، و ينص دستورها الذي دوّن عام (١٩٤٩م) على مايلي «للمواطنين حرية الاعتقاد الديني وحرية عدم الاعتقاد بالأديان...». ومع ذلك عانى المسلمون الصينيون كثيراً، كغيرهم من أبناء الأديان والديانات في الفترة مابين (١٩٦٦ — ١٩٧٦م) أي خلال الثورة الثقافية التي دامت عشر سنوات، فقد أُغلقت المساجد، واضطهد المسلمون وأهملت الدولة حقوقهم، و كان كل من يُعرف بتدينه أو إسلامه يعد رجعياً، لكن ومنذ عام ١٩٧٨م تغيَّرت الأوضاع بعض الشيء، إذ قررت الدولة موقفاً مساحاً تجاه وجود الإسلام فأعادت بذلك فتح المساجد و بدأت بترميمها وإعطاء الإذن لعشرين مسلماً في السنة بالحج



عدد من مسلمي شانغهاي وهم يقرأون القرآن الكريم



المخطوطات من القرآن الكريم

مكة (وإنْ كان هذا الرقم لايتناسب و نفوس المسلمين)، والسماح بالصلاة.

وفي عام ١٩٨٠ عُقِدَ المؤتمر الاسلامي الرابع بحضور (٢٥١) ممثلاً قادماً من ٢٩ مقاطعة و بلدية ومنطقة ذاتية الحكم، وكان هذا المؤتمر مهرجاناً رائعاً بعد غياب طويل بعد المؤتمر الثالث الذي عقد في عام ١٩٦٣.

وبخلاف الأنظمة المطبقة بحق سكان الصين عامة، يحق لأفراد الأقلية المسلمة الإنجاب كما يحلو لهم.

وبصورة عامة فان غالبية المسلمين الصينيين ونتيجة لبعض السياسات التي كانت قائمة الى عام ١٩٧٨، ليست لديهم معلومات كافية عن بقية المسلمين في العالم، وهم في الوقت ذاته يفتقرون الى الامكانات في مجال تحصيل العلوم الاسلامية.

المساجد:

لقد بنيت مساجد إسلامية منذ قديم الزمان في المناطق التسع التي استوطنها المسلمون، وأشهرها: مسجد «عيدكاه» بمدينة كاشغر بمنطقة شينجيانغ الويغورية، «الجامع الكبير» بمحافظة تونغشين، منطقة نينغشيا، مسجد «هواتشويه» بمدينة شيآن عاصمة مقاطعة شنشي، مسجد «قوانغتا هوايشنغ» (الشوق الى النبي) بمدينة قوانغتشو، مسجد «العنقاء» بمدينة هانغتشو، مسجد «تشيلين» بمدينة تشيوانتشو، مسجد «الكركي» بمدينة يانغتشو، مسجد «دونغيه» و «نيوجيه» ببكين، مسجد «شياو تاو يوان» (حديقة الخوخ) في شانغهاي، «المسجد الجنوبي» بمدينة شنيانغ، مسجد «نانتشنغ» في شارع العدل بمدينة كونمينغ.

و يعتبر مسجد (نيوجيه) الذي يقع في شارع (البقر) أقدم وأفخم: المساجد الاسلامية في بكين، وعمره ٩٨٤ سنة. وقد أُغلق خلال الفترة بين (١٩٦٦ ــ ١٩٧٦) وليس ذلك إلا بسبب الفوضى والضوضاء التي أشاعتها «عصابة الأربعة» برئاسة (لين بياو).

أما شارع (البقر) نفسه، فكان أقدم منطقة سكن فيها عدد من المسلمين البكينيين.

بني المسجد عام (٩٦٦م)، ثم أُضيفت اليه بنايات، و بعد ذلك مدت اليه يد الترميم والتصليح مرتين خلال عامي (١٩٥٥) و (١٩٨٠) حتى بدا المسجد فخماً وعظيماً الى يومنا هذا.

تبلغ المساحة الكلية لهذا المسجد (٥٧٠٠) متر مربع، فيا تبلغ المساحة المخصصة للصلاة (٦٠٠) مترمربع تقريباً.

وتوجد في هذا المسجد صفوف دراسية، يبلغ عدد طلابها نحو ٢٠٠ طالب، حيث يدرسون بعض العلوم الاسلامية. والذي يلفت الانتباه ان اكثر طلبة العلوم الدينية في الصين ــ يجيدون اللغة العربية.



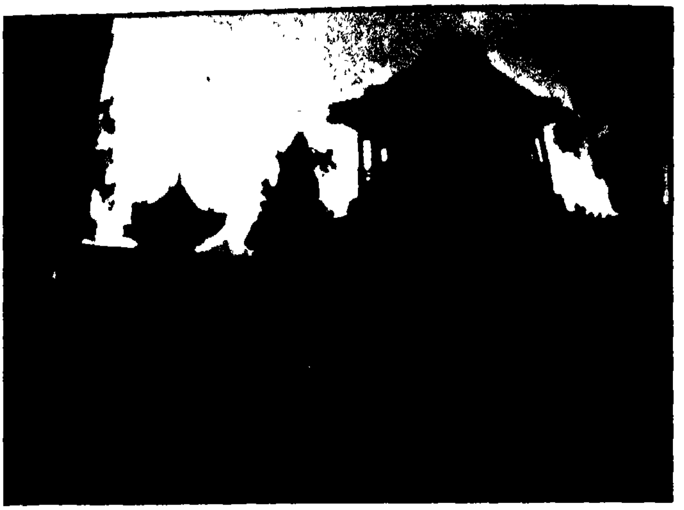
أحد المساجد في شيحياتشوانغ عاصمة مقاطعة حي.

وهناك في بكين أيضاً مسجد باسم (دونغسيه) المعروف بـ (مسجد الديبلوماسيين) ذلك ان هذا المسجد هو الوحيد الذي سلم من التخريب والمصادرة خلال عهد عصابة الأربعة، والسبب في ذلك يعود لكونه المسجد الوحيد الذي يصلي فيه بعض الديبلوماسيين المسلمين والطلبة الأجانب والتجار، ورجال الأعمال الأجانب صلاة الجمعة، مما جعل رسل التخريب من شبان الحرس الأحمر يتحاشونه ليظل واجهة إعلامية

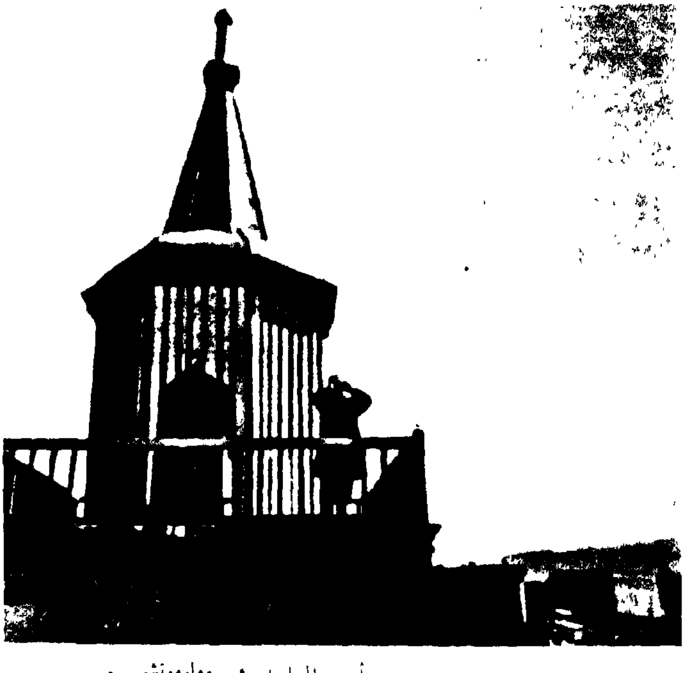
توهم المسلمين الأجانب بأن حرية الأ[...] مكفولة في الصين.

تبلغ مساحة هذا المسجد (٦٠٠٠) مترمر[...] و يشبه نظامه المعماري نظام عمارة الق[...] والمعابد القديمة في الصين.

ومن يدخل المسجد يجد الآيات القر[...] وأسماء الله الحسنى تزين الأعمدة والجدران و[...] المحراب، وقد كتبت بخط عربي جميل، زاده ا[...] الذهبي المحاط بالألوان الحمراء والزرقاء والخ[...] جمالاً وبهاءً.



ـ أحد ابراج بنايات مسجد (نيوجيه) اقدم مساجد بكين ، الذي شيد على نمط القصور الامبراطورية القديمة



أحد المساجد في وولوموتشي ·
عاصمة منطقة شينجيانغ الويغورية

الجمعية الاسلامية:

تأسست الجمعية الاسلامية الصينية التي مقرها في بكين عام ١٩٥٣، بناءً على اقتراح بعض المسلمين، وقد عقد المؤتمر الاسلامي الأول لمسلمي الصين في عام ١٩٥٣م.

وتعتبر هذه الجمعية المؤسسة الاسلامية المركزية الوحيدة في جميع أنحاء الصين التي تقوم بطبع القرآن الكريم وتوزيعه، وطبع الكتب الاسلامية والإشراف على تدريب الأئمة من خلال دورات تدريبية تأهيلية لهم، أصدرت مجلة باسم «المسلم الصيني»، كما أنشأت (المعهد الاسلامي) في بكين وإدارة خاصة لنشر وتوزيع المطبوعات الاسلامية.

ومقر هذه الجمعية هو بناء شرقي شامخ يضم عدة ادارات تقوم على خدمة المسلمين في الصين، وتبدو فوق البناء قبة بصلية كبيرة تتوسط أربع قباب صغيرة.

و يوجد بمقر الجمعية معرض يضم بعض المقتنيات الأثرية والتاريخية، ففيها على سبيل المثال بعض النماذج المنحوتة التي تصور بيت الله الحرام، وأحد هذه النماذج صنع من عاج سن الفيل و وضع داخل اطار خشبي مزين بالنقوش الفنية الجميلة، بالإضافة الى لوحات قرآنية وأوان فخارية من (البورسلين) الصيني الجيد التي يعود تاريخها الى عدة قرون مضت. وتوجد في إحدى الواجهات الزجاجية بعض المخطوطات القرآنية المذهّبة التي كتبت بأقلام المسلمين الصينيين القدامى.

وهناك مكتبة متواضعة تضم عدداً من أمهات الكتب الاسلامية، إلا أنها لا تضم مؤلفات إسلامية حديثة.

الحج:

إن الحكومة الصينية في ظل سياسة الانفتاح الجديدة التي بدأت منذ عام ١٩٧٨، بدأت تحرص على إبراز الحرية الدينية للمسلمين، ويجهر المسلمون بإسلامهم، و يصلون في مساجدهم خاصة صلاة الجمعة، ويحتفلون بالعيدين في المساجد.

و بالنسبة لفريضة الحج فانها كانت ممنوعة حتى ست سنوات مضت، ثم بدأت الدولة توافق على سفر بعثة حج رسمية، لكن عددها لايتجاوز عشرة أو عشرين عضواً من كبار الائمة كي اسلمنا.

صفحات مشرقة:

إنتشر الاسلام في الصين بالتدريج خلال أكثر من (١٣٠٠) سنة. وقد قدّم المسلمون الصينيون مساهماتهم في مختلف المجالات.

فعلى الصعيد العلمي قام المسلمون الصينيون بدراسة العلوم التي تخصص فيها المسلمون في أرجاء العالم وإدخالها الى الصين، وخاصة علم الطب والصيدلة والرياضيات والفلك والتقويم. أما الأدوية والوصفات الطبية التي نقلوها الى الصين فقد ذكرت في أجزاء كثيرة من كتاب «أصناف العقاقير الصينية» الذي طبع في القرن الثاني عشر، وكتاب «الموسوعة الطبية الصينية» الذي طبع في القرن السادس عشر.

وكان المسلمون الصينيون يقومون برصد أحوال الجو بمساعدة علم الفلك العربي والفارسي. وفي القرن الثالث عشر أنشئت إدارة إسلامية خاصة بمراقبة الأرصاد الجوية ووضع التقويم الصيني. وفي سنة (١٢٦٧) اخترع الفلكي المسلم جمال الدين سبعة أنواع من الأجهزة الفلكية مثل «المسواة المتعددة الحلقات» و«المنواة الموجهة». وكان التقويم الهجري مرجعاً مهماً لوضع التقويم الصيني على مدار (٤٠٠) سنة ابتداءً من أواسط القرن الثالث عشر. وقد انبثق أعداد كبيرة من الأكفاء في علم الفلك والرياضيات من بين المسلمين الصينيين في عهد أُسرتي (يوان) و(مينغ) الملكيتين.

كما عُرِفَ المسلمون الصينيون بمهارتهم الفائقة في البناء المعماري. فخلال الأيام الأولى لدخول الاسلام في الصين، بنوا مساجد في «تسانغآن» و«قوانغتشو» و«تشيوانتشو» و«هانغتشو» لأداء شعائرهم الدينية. ومسجد «هانغتشو» الذي بني في أوائل القرن الرابع عشر كان قد نال ثناء الرحالة المشهور «ابن بطوطة» في زيارته للصين.

وفي الوقت الذي قام فيه المسلمون الصينيون بتطوير ثقافاتهم الخاصة بهم، أولوا اهتماماتهم باستيعاب ثقافات القوميات الأخرى، وبعد القرن الخامس عشر برز عدد غير قليل من الشعراء والأدباء والرسامين من بين المسلمين الصينيين.

وكان استيعاب المسلمين الصينيين للفكر الاسلامي يجري عن طريق التلقين الشفوي. وقد بدئ في أواخر القرن السادس عشر، بالتعليم الديني في مساجد مقاطعة «شنشي». ومن هنا صار في كل مسجد عدة طلاب يتعلمون القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه والتوحيد وفلسفة الاسلام وكذلك اللغتين العربية والفارسية. ثم انتشر هذا النظام التعليمي الى مناطق المسلمين الأخرى مع مرور الأيام. وقد أعار العلماء المسلمون الصينيون، في القرن السابع عشر، الاهتمام بوضع المؤلفات الدينية باللغة الصينية الكلاسيكية من جهة، ومن جهة أخرى لجأوا الى ترجمة الكتب الدينية المكتوبة بالعربية والفارسية الى الصينية. وبذلك قدموا مساهمات بارزة.

ولقد قدم المسلمون الصينيون مساهمات تاريخية في مجالات أخرى، حيث قاموا باستصلاح الأراضي البور في شمال جبال «تيانشان» وجنوبها ومنطقة ممر غرب النهر الأصفر وبعض الأجزاء في مقاطعات «نينغشيا» و«قانسو» و«تشنغهاي».

أما المسلمون القازاقيون الذين ظلوا يمتهنون تربية المواشي جيلاً بعد جيل فقد ساهموا في تطوير تربية المواشي وصناعة الغزل والنسيج الصوفي ودباغة الجلد في الصين.

كانت هذه دراسة موجزة عن المسلمين في الصين، ونأمل أن نكون قد عرفنا بعض الأمور عن إخواننا هناك. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين●

لغة الشعر

وعلم اللغة الحديث

بقلم: الدكتور الحسيني

المقدمة

ان البحث في لغة الشعر وبنيته الموسيقية بحث ملذ وممتع من ناحية، وخطير جاذ من ناحية أخرى. ملذ لأنّه يتصل بجماليات الفنون عامة[1] Aesthetics و بجماليات الفنون الأدبية خاصة؛ ومن الشعر من أجلها. وخطير لأنّه بحث يتصل بالتراث وتقويمه، وبالنسبة للعرب بالذات، الشعر ــ كما قيل عنه ــ ديوان العرب، وإذا وصفت الأمة العربية بشيء فهي أمّة شاعرة.

والباحث أمام مسيرة تراثية فنية ضخمة، وأمام كشف علمي بنيويّ موسيقي وحد على يدي الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد اكتملت أو تكاملت نظرياته واصطلاحاته أو كادت عندهم. وأمام دراسات ونظريات جديدة تتصل بعلم الصوتيات العام Phonetics تفسر إيقاع الشعر وموسيقاه تفسيراً بنيوياً يتصل بوجود الانسان الفردي والجماعي وتركيبه العقلي والنفسي والفلسفي والوظيفي.

والبحث خطير أيضاً لأنّه يتصل باللغة وبنيتها بشكل عام، ونحن أمام دراسات ونظريات حديثة مازالت تنمو وتتفرع، وتتصل بكل العلوم والفنون ولاسيما الحديثة منها، وقد أطلق عليها اسم اللغويات Linguistics أو اللسانيات أو علم اللغة الحديث وخطير كذلك لأنّه يتصل بالبنيوية Structuralism كمنهج ونظر، وبمفهومها الأوسع كتركيب وتحليل فلسفي يتعدى الحقل اللغوي الى سائر حقول العلم والمعرفة، بحثاً عن الأساسيات والمكونات الأولية، أو المؤلّفات المباشرة بطريقة تحليلية معينة تدعى: I.C. Analyses في مضمار الأنسقة والأنظمة والقوانين الكلية التي تحكم تلك العناصر والموضوعات المتشابكة، ومن هنا جاء تحذير شيخ البنيويين المعاصرين «ليفي اشتراوس» من خطر الالتباس «فاشترط ــ كمقدمة ضرورية بكل خطوة بنيوية يتخذها الباحث ــ أن يقوم أولاً وقبل كل شيء بعملية تحديد دقيق للموضوع الذي يريد إحصاءه لمل

ا التحليل. وأما «ألتوسير» فقد كان أكثر صرامة: ه أوجب بادئ ذي بدء إدخال الموضوع في إطار له الاشكالي؛ أعني داخل ذلك «النسق» الفكري ي يسمح بسائر مفهومه»[٢].

لذا قام هذا البحث على هذه المقدمة الوجيزة أولاً، لى محاور ثلاثة ثانياً. تناول المحور الأول الجانب روضي من وجهة تراثية، وتناول المحور الثاني بنية سعر الموسيقية من وجهة علم الصوتيات العام، أما ر الثالث فقد تناول لغة الشعر من وجهة النقد الأدبي طريات اللغوية الحديثة.

* * *

ـ المحور الأول :

عروضية تراثية :

لكل أمة من الأمم موسيقى لغوية متوارثة، نشأت ـ طبيعة ظروفها وعاداتها وتقاليدها الاجتماعية، ومن سعة صراعاتها ومحاولة احتكاكها ومحاكاتها للطبيعة، ي تعبر عن الصفات العقلية والنفسية[٣] لكل شعب الشعوب.

وقد اعتادت هذه الأمة أو تلك جرساً من الألفاظ اصاً، وانسجاماً في مقاطع مفرداتها وتراكيبها متميزاً. ـارت على قواعد وأصول في لغتها حقباً متطاولة طورة، حسب ما يستجد لها من حاجات ويحصل لها ـ احتكاك بلغات الأمم الأخرى، غير مبتعدة عن صميم والجوهر.

ولكل أمة أيضاً، أشعار متميزة، وأوزان من الشعر صة، متقومة بتلك الموسيقى، وقائمة على إحساسها الفني غتها وتعابيرها، تلذ سماعها وتطرب لإنشادها، وعلى ا النمط من الحياة يجري الخلف تابعاً السلف. «وحين ستعرض ما درجت عليه الشعوب من أوزان وقواف سعارها، وما ألفوه من نظام لتلك الأوزان والقوافي حظ أنّ التجديد فيها نادر، وأن تطوّرها بطيء راً»[٤].

ومن الصعب جداً أن تطور بسرعة آذان الشعوب وتعتاد موسيقى جديدة ـ هي كالطفرة ـ تراد لها دون أن تريدها هي طواعية واستجابة لظروفها المتطورة وصراعاتها المستجدة.

ودليلنا على ذلك كله موسيقى الشعر العربي منذ نشأته الموغلة في القدم وحتى عصرنا الحديث فلم تمس بالجوهر، ولم تفقد الأصالة الايقاعية المتوارثة.

وقد حدث أن درس الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) أوزان الشعر العربي وقوافيه، واستقراها استقراء، خرج هو وتلاميذه بنتائج علمية ثابتة في عصر بدأ العرب فيه تسجيل علومهم وتدوين آثارهم ووضع الكتب العلمية بشكلها الصحيح في لغتهم.

واتجه الخليل الى وضع قواعد في أوزان الشعر وقوافيه، كما اتجه الى وضع قواعد في مفردات العربية وأصواتها، وبنية اللغة وتراكيبها، فكان كتاب العين وكتاب العروض، وكتاب الإيقاع، وكتاب النغم، وهي أعمال أدبية لغوية بكر، كان الخليل فيها رائد الموسيقى وعلم العروض والقوافي، ورائد الحركة المعجمية في ميدان اللغة والأصوات[٥]

وقد احصى الخليل الأوزان الشعرية فكانت خمسة عشر بحراً[٦] وأسمى كل وزن بالبحر لتشابهه له في سعته، واستيعابه لكل ما ينظم عليه من معان وأخيلة دون نفاد، كما أسمى هذه القواعد في أوزان الشعر بعلم العروض لأنه يعرض عليه الشعر فيعرف صحيح الوزن من سقيمه، أو أنه ألهمه في مكة المكرمة التي من أسمائها العروض؛ لاعتراضها في وسط البلاد، أو أنه اسم لعُمَان التي كان يقيم فيها الخليل[٧]. أو أنه اسم للجمل الذي هو سفينة الصحراء وحاملها، أو أنه الخشبة العارضة في الخيمة.

وعلى بيت الشَّعر ـ بفتح الشين ـ قام بيت الشِّعر ـ بكسر الشين ـ في كثير من معانيه ومصطلحاته ورموزه، وبقي عروض الخليل يدرس عبر الأزمنة

والأمكنة المختلفة دون أن يزيد عليه الدارسون شيئاً يذكر، اللهم إلّا في مسائل جزئية، تكاد تكون استنباطاً من هذا العلم الذي وضعه الخليل متكاملاً تقريباً أو استدراكاً عليه في وزن مستخرج أو قافية متصيّدة.

ولصعوبة هذا العلم، وحاجته الى مؤهلات الذكاء والفطنة، والأذن الموسيقية ولكثرة مصطلحاته ورموزه، كاد يعافه حتى الشعراء والمتأدبون، والنقّاد الذين لايمكنهم الحكم على الشعر العربي إلّا بعد الوقوف على مسائله، والإلمام بأصوله وقواعده، ولا يكادون يلجأون اليه إلّا في مناسبة حوار أو جدال، ليكون فيصلاً وحكماً.

والحركات الشعرية المتجددة في الأوزان والقوافي؛ سواء منها ما تبنته العامة كالمواليا، والكان وكان، والقوما، والسلسلة، والرجل، وما اليها، أو ما كان معرّباً كالدوبيت، أو ما أبدع فيه أهل القريض كالمزدوجات والمثلّثات والمرّبعات الاعتيادية، والمخمّسات والمسدّسات والمسمّطات والموشّحات بأنواعها القديمة والحديثة، وحركة السد، وحركة الشعر الحر، حديثاً، لم تكد تمس جوهره ولم تخرج عن أصوله وقواعده إلّا توهماً من الواهمين أو جهلاً من الجاهلين[٨].

ونحن لا نوافق الرأي القائل بأن حركة الشعر الحرّ بدعة، بل هي إبداع رائع ما دامت خاضعة لهذه الوحدة الايقاعية، وسائر مقومات الشعر الأصيلة.

إنَّ الوحدة القياسية التي أفادها الخليل من الميزان الصرفي تتصرف هي التفعيلة وهي الوحدة النّغمية الأساس الذي يقوم عليه ميزان الشعر العربي عموماً، وهذه التفعيلة متكوّنة من جزئين رئيسين هما: السبب والوتد، وهما أساس في كل تفعيلة من التفعيلات الثماني التي يقوم على إيقاعها بناء الشعر العربي، والتي تدخلها الزحافات والعلل المعروفة في علم العروض.

وقد أصبح علم العروض من علوم العربية التي لا يمكن لدارسها الاستغناء عنه من نواحي شتى:

فمن الناحية التأريخية: هو فرع من فروع اللغة العربية وداخل في جلة علومها وفنونها.

ومن الناحية النقدية: يحتاج اليه كل ناقد ودارس للشعر العربي وأوزانه قديماً وحديثاً، ليستطيع ــ كما ألمحنا ــ الحكم له أو عليه، أو النظر في إدخال نتاج فيه أو إخراجه منه في ميدان المعارك الشعرية.

ومن الناحية الأدبية: يحتاج إليه كل شاعر يريد أن يتمكن من صنعته ويسلم من الهفات الموسيقية التي تعرض له او يتعرّض هو لها.

ومن الناحية التحقيقية: يحتاج إليه كل محقق ومشتغل بالتراث وأدواته، إذ لا يمكن لناشر ــ يريد أن يتّبع أصول النشر العلمي والتحقيقي ــ أن يجرؤ على نشر ديوان أو كتاب مخطوط ترد فيه أشعار دون الوقوف على أصول هذا العلم ودقائقه. وكم يساعد اتقانه في تصحيح خطأ أو تحقيق تصحيف.

وهنا لا يتسع المجال لتعداد النواحي التي يحتاج فيها الى هذا العلم الذي بدأ علم اللغة الحديث يوليه اهتماماً وعناية فائقين إضافة الى كونه زينة وكمالاً.

والذي أُريد أن أعرض له في هذه اللمحة التراثية هو دقّة المصطلحات العروضية التي وضعها الخليل، وظلال دلالاتها اللغوية والايقاعية في أصل الوضع، فقد كان مرهف الحس لغة وإيقاعاً، وإبداعاً في هذا الفن خاصّة، إذْ استطاع أن يستقري الشعر العربي حتى عصره ويخرج بملاحظات ذكية دقيقة من حيث القوافي وعدد الأوزان.

وحصر كل مجموعة منها في دائرة موسيقية تدور تلكم البحور في فلكها وتنساب في محيطها، كما وضع لكل دائرة وبحر مصطلحاً دقيقاً يدل ــ غالباً ــ دلالة لغوية وإيقاعية على مبناه ومعناه تسهيلاً للحفظ والتعلّم.[٩]

فقد أسمى الدائرة الأولى من دوائره الخمس المستنبطة بالمختلف لاختلاف تفعيلاتها، وتتشكل كا

ن منها ــ سباعية وخماسية ــ وحدة نَغَمية متكررة
د معين ينتهي بقافية (مقفوّة) في نهايات الأبيات،
ـسحب هذه الدائرة على ثلاثة بحور هي الطويل:
مُ على فعولن مفاعيلن، والمديد: القائم على فاعلاتن
، والبسيط: القائم على مستفعلن فاعلن.
والملاحظ في مصطلحات هذه البحور أنها على
واحد هو فعيل، وفي هذه البنية الصرفية تلعب الياء
معبّراً غاية التعبير عن (طول) هذه البحور
ـساطها) و(ملئها)، من حيث عدد الحروف
لاقة الأسباب بالأوتاد كماً وكيفاً، اضافة الى ان
حر منها يتكون من ثماني تفعيلات في أصل الدائرة
العدد التام الذي تنقص عنه كثير من البحور في
الدوائر.

وأسمى الدائرة الثانية بالمؤتلف (لائتلاف)
لاف بحريها شكلاً، وايقاعاً بتكرار متفاعلن ستاً في
امل) ومفاعلتن ستاً في (الوافر) كما يلاحظ وحدة
يغة (فاعل) في التسمية، إضافة الى الدلالة اللغوية
فرة هذا وكمال ذلك من حيث الحركات في
راء، إذْهما الوحيدان اللذان يمتلكان السبب الثقيل
: لَكَ وبكَ بحركتين متتاليتين ــ مع وجود السبب
ف والوتد المجموع: وهوما هومن الجرس والإيقاع!

وأسمى الدائرة الثالثة بالمجتلب؛ وهي التي تحدث
سة) وايقاعاً راقصاً يدل على الحركة والاضطراب
افة بحورها، كما تلاحظ تسمية بحورها بصيغة واحدة
(فَعَلَ) بثلاث حركات لتدل على (الهَزَج)
زَجَر) و(الرَمَل) لغة وجرساً، مع انسجام في
يلاتها السباعية مستفعلن ومفاعيلن وفاعلاتن كماً
يفاً في أصل الدائرة، إذْ هي ستّ في كل بحر أصلاً،
كوّنة من سببين خفيفين ووتد مجموع واحد. وكذلك
ل عن الدائرة الرابعة، وهي أكثر الدوائر بحوراً، إذْ
ها بالمشتبه إمّا (لتشابه) بحورها وزناً وإيقاعاً
الاشتباه بعضها مع بعض. وكثيراً ما يؤدي التشابه بين الأشياء الى الإشتباه، حتى يعسر على المتعلّم ضبطها وحدُّها، إلاّ على من أُوتي أذُناً موسيقية وحساً مرهفاً، فيستطيع عند ذاك أن يميز بينها ويتمتع بحلاوة جرسها، ولاسيا المجزوءات منها، وهي الثلاثة الأخيرة: المضارع، والمقتضب والمجتث، المتفرعة من الخفيف والمنسرح مضافاً اليها السريع وهو أولّها. وهي وإنْ تحامل كثير من الباحثين والدارسين عليها، وأنكر بعض العروضيين وجود قسم منها، واقترح بعضهم دمج بعضها، فلا تكاد تفقد الشحنة الايقاعية الراكضة الراقصة، ولعل مرجع هذا كله هو وجود التشابه بين موسيقاها الذي قد يؤدي ــ كما ذكرنا ــ الى الإشتباه بينها.

ونحن حين ندرك سر تسمية الخليل لهذه الدائرة بالمشتبه ندرك أيضاً سر تسمية المضارع وهو في اللغة المشابه والمماثل فلابدّ أنه (ضارع) بعض بحور هذه الدائرة. ولدى التحقيق نجد أنه ضارع المجتث، والمجتث مجزوء الرجز مقلوباً أي اجتثت تفعيلته الأولى من الخفيف، وعند إصابة مستفعلن بالخبن تصبح متفعلن وهي على وزن مفاعلن التي تنتهي اليها تفعيلة المضارع مفاعيلن بعد القبض، وبذلك يكون إيقاعهما واحداً:

مفاعلن فاعلات

مفاعلن فاعلات

وأسمى المقتضب مقتضباً، لأنّه (اقتضب) من المنسرح بحذف تفعيلته الأولى وإذا رجعنا الى تسمية البحور الأصلية الثلاثة الأولى في هذه الدائرة وهي السريع والمنسرح والخفيف، لرأيناها تتفق في الدلالة على السرعة والانسراح والخفّة لغة، إضافة الى اتفاقها في عدد التفعيلات الستّ أصلاً واشتراك بعضها في الصيغة ايقاعاً.

وهذه الملاحظات الدقيقة حول أسماء الدوائر والبحور السابقة تقودنا الى القول عن الدائرة الخامسة (المتفق) مما قاله استاذنا الدكتور المخزومي من أنها

... ... إذ انهما متفقان في عدد التفعيلات الثماني في أصل الدائرة ومتفقان بأن تفعيلاتها خماسيتان، إضافة الى وحدة الصيغة متفاعلن في أشهر التسميات، فلابُدَّ أن يكونا من واضع واحد، وان الذي اكتشف تلك الدوائر واستنبط منها تلكم البحور عن طريق (الفكّ) هو مكتشفهما، لاتفاق الوحدات النغمية عدداً وإيقاعاً، فكلا فعولن وفاعلن متكونان من سبب خفيف ووتد مجموع، وبتقديم أو تأخير أيّ سبب أو وتد في كلّ منهما نصل الى الايقاع نفسه في التفعيلة الأخرى: (علن فا) أو (لن فعو) = فعولن أو فاعلن.

والغريب في المقام انَّ هذه المصطلحات ودقّتها المتناهية تتعدى هذا الجانب الى الزحافات والعلل، بل الى القافية أيضاً. فمثلاً نجد إيقاع (تشعيث) هو: (فالا تن): وهو قطع رأس الوتد المجموع الموسط، وهو علة جارية مجرى الزحاف، وبه تصبح فاعلاتن فالاتن ويوجد في الخفيف والرمل.

وإيقاعُ الضرب (المقطوع) هو (مستفعل) والقطع هو حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين ما قبله، وبه تصبح مستفعلن مستفعل ويوجد في البسيط والرجز وغيرهما.

وإيقاع عروض (المنسرح) وضربه (مستعلن)، والعجيب ان عروض المنسرح وضربه يجب فيهما الطي وهو حذف الرابع الساكن وبه تصبح مستفعلن مستعلن، ويوجد في الرجز والبسيط والسريع، لكنه في عروض المنسرح وضربه واجب. (وعلى هذه فقس ما سواها).

وان هذه النظرة الى هذه المصطلحات والرموز تذكرنا بالنظرية اللغوية المعروفة التي تربط المعاني بالألفاظ أو الأحداث بالأصوات أو المدلول ربطاً طبيعياً والتي تدعى: Onomatopoeic وهي متمثلة باللغة العربية وعلمائها أكثر من غيرها، ولاسيما عند ابن جني في خصائصه، وابن فارس في مقاييسه ومن حذا حذو هذه المدرسة اللغوية.

• • •

٢ ــ المحور الثاني:

بنية الشعر الموسيقية وعلم الصوتيات العام [١٠]

من الحقائق التي يقررها علم الصوتيات العام Phonetics ــ وربما نغفل عنها لبداهتها ــ انّ الأجهزة الصوتية في الانسان لا تقوم بوظيفة التصويت وحدها، بل هي أجهزة تقوم بأكثر من وظيفة، ويمكن لهذه الوظائف أن تكون متداخلة متخللة، لكنها ليست متزامنة بالمعنى الدقيق ــ أي ليست موجودة في لحظة واحدة ــ كوظيفة الأكل والشرب والتنفُّس وما اليها.

ويستطيع الانسان أن يتكلم في أثناء عملية الأكل، لكنه لايستطيع أن ينطق وفي فمه ماء. ولابُدَّ له من التنفس في أثناء عملية النطق إذ لا يستطيع أنْ يتكلم إلّا في حالة إخراج الهواء من الرئتين حسب. حيث لا يمكن أن تحدث أصوات من دون هواء أوحيّز يتخلل فيه التذبذب والموجات الصوتية، كما هو ثابت علمياً في الأجهزة الصوتية المفرّغة من الهواء.

ومن هذه الحقائق أيضاً ان جميع لغات البشر تتكون من أصوات ومقاطع صوتية أثناء عملية الزفير ــ كما نعلم ــ وليست أثناء عملية الشهيق، ونادرة جداً تلك اللغات التي تستخدم بعض الأصوات التشهيقية لتؤدي وظيفة لغوية.

وبما ان عملية التنفس عملية ميكانيكية، أي قهرية وليست اختيارية، وانها متناوبة منتظمة ومتساوية عند جميع الناس، كانت الأصوات اللغوية وأنظمتها ... ومتقاربة ــ وإن كانت متميّزة بعضها من بعض ــ في جميع اللغات.

ولما كان الانسان لا يستطيع أن يخرج أصواتاً مستمرة دون انقطاع ودون توقف ولو لحظات ثم

ية التنفّس المتناوبة في الصدر شهيقاً وزفيراً، كان
اصل الزمني الذي يعتمد النبر النضي
Stress - P أو الذي يعتمد تقلص عضلات
در وانبساطها المنظم
System of Chest Pulses
، ما يكون بالفاصل الموسيقي. والمدد المتعينة بين
رات هي التي تقوم بدورها الوظيفي في عملية
يقى وهي جزء منها، وإنّ نغم الكلام وإيقاعه هو
هذين النظامين وإيقاعها المتحد في الذهن. و إنّ
الإيقاع اللغوي محسوس في عضلات الانسان
سانه المختصّة في جهاز النطق حتى في أثناء القراءة
متة أو النوم عندما يتكلّم في حُلم، أو الاستماع للغة
ا.

ومن هنا جاءت البنية اللغوية بشكلها الطبيعي
موسقة قهرية في جميع اللغات، وذات اختيار نسبي
يّز، هو الذي يميز أصوات بعضها من بعض تبعاً
تلاف المحيط والمجموعات البشرية ذات التقاليد
واعد اللغوية الخاصة، وينقسم نظام أصوات هذه
ات الى قسمين رئيسين؛ أحدهما يعتمد نظام النبر
ت: Stress - timed System
وثانيها يعتمد النظام المقطعي الموقوت: Syllable
Sys — timed وهذه الموسيقى اللغوية تشمل كل
ع الفنون الكلامية التي تتفرع من القسمين
يسين. الشعر والنثر، أي ان للشعر موسيقاه اللغوية
صة وللنثر موسيقاه النثرية المفردة، وكلاهما يخضع
وسيقى اللغوية العامة، ولنظام الأصوات العام الذي
ل عند الانسان بشكل متقطّع متناوب، أثناء عملية
هيق المحدودة الزمن المتبوعة بعملية الزفير المحدودة
ـ أيضاً، وعلى هذا النظام الميكانيكي الطبيعي تقوم
ة الموسيقى اللغوية التي تشمل كل فنون الكلام
ري والنثري.

ان الذي يميّز بنية الموسيقى الشعرية هو كونها موسيقى
م على نظام أبيات: Lines متكونة من وحدات
سية: Feet قائمة على نظام مقاطع: Syllables مؤلفة -مجموعها المتناغم- القصيدة: Poem في الشعر الكلاسيكي وفي أغلب اللغات، ونمثل هنا لبعض اللغات الشرقية بالعربية والعبرية والفارسية، ولبعض اللغات الغربية القديمة بالاغريقية واللاتينية، وأشعارها جميعاً قائمة على هذه الموسيقى ذات المقاطع القصيرة والطويلة عالياً ومنها الى التفاعيل، فالأبيات، فالقصائد، فالدواوين.

والذي يميز بنية الشعر الحديث: Free Verse موسيقياً عن تلك الكلاسيكية هو محاولة التحلل والتحرر من نظام الأبيات والقوافي الصارم أي من نظام التفعيلات المحدودة و من نظام القوافي المتوقعة، وبعبارة أخرى انها تقوم لدى التحليل على أساسيات إيقاعية متكررة، ذات وحدات موسيقية متكونة من مقاطع غير متوقعة العدد في الأبيات، وذات قواف غير متوقعة المجيء في المكان.

وبكلام قد يكون مستمراً: إنَ البنية الموسيقية في الشعر الحديث هي: (موزونة مقفاة) أيضاً، غير أنّ هذا الوزن غير محدود التفعيلات والمقاطع، والأبيات المقفاة موجودة لكنها لا تأتي كما كانت متوقّعة المكان في الشعر القديم، بل تبعاً لنوعية التجربة والإيقاع النفسي الجديد.

وفي ضوء ما تقدم من تقسيم للموسيقى الكلامية في جميع اللغات الى قسمين أساسيين، لابُدّ من ضرب بعض الأمثلة لها. فالموسيقى اللغوية التي تعتمد المقاطع: Syllabic Language دون نبر توجد في العربية والفارسية والعبرية وما اليها، والموسيقى اللغوية التي تعتمد المقاطع المنبورة: Language of Stress توجد في الانكليزية ولا يعني هذا ان اللغة المنبورة لا تعتمد النظام المقطعي نهائياً، بل هي تعتمد نبر مقاطع تراها مهمة في أداء الوظيفة الكلامية وتوصيل الرسالة المنطوقة، كما نلاحظها في كيفية قراءة شعر شكسبير الآتي، التي تعطي حق الموقف نبرة ذات وظيفة في بحر الأيامبيك Iambic ويرمزها (٨):

(To be or not to be/that is the question

of man's first dis o'bedience and the fruit)
وكذلك الأمر في اللغة التي تعتمد المقاطع أو النظام المقطعي، انها ليست عديمة النبر نهائياً، بل هي لا تعطيه هذا الوزن والأهمية في أداء الرسالة، فالفرنسية ليست منبورة مثلاً، إلّا أنها إذا نبرت فتوقع النبر على آخر المقاطع غالباً، بعكس الانكليزية التي تنبر دائماً وتوقعه على أوائل المقاطع غالباً.

ومن هنا يرى اللغويون والأصواتيون المعاصرون علاقة الشعر بعلم الأصوات العام ولابُدَّ من ربط علم العروض: Prosody بعلم الصوتيات الحديث، إذْ أنَّ من وظيفة الأصواتي أن يدرس الأصوات اللغوية المتميزة في كل لغة، والتي منها نظام الأصوات في لغة الشعر، ونظام الأصوات في لغة النثر.

وهكذا أكد آبركرومبي في مقدمة دراسته للتراكيب الشعرية، هذه العلاقة، وقال ما مؤداه: **إني حين أربط الدراسات العروضية: Prosodic بالدراسات الصوتية Phonetic لا أربطها على أساس من الهواية والولع، وإنّما على أساس علمي موضوعي، وأرى أنها من واجب علم الأصوات. إذْ أنّ بنية الشعر الايقاعية، خاص من عام، وهي اللغة عموماً. وبما أنّ لكل لغة نظام أصوات متميزاً بها، تألفه آذان تلك المجموعة البشرية، وتطرب لسماعه وتلذ بحديثه وترتاح له نفسيّتها، فكذلك إيقاع شعر كل لغة، ونغمه مستوحى من ذلك النغم اللغوي العام، والموسيقى اللغوية التي تميّز هذه عن تلك، على الرغم من وجود الروابط الموسيقية واللغوية التي تربط لغات البشر جميعاً ــ كما ألمعنا سابقاً ــ من نغميّ مشترك وإيقاع دلالي عام، وبنية لغوية شاملة، تبنتها النظرية الحديثة، التي تعرف بالعالمية والكونية: Universality**

كما أكد آبروكرومبي هذه العلاقة أيضاً بأسلوب آخر في كتابه (مبادئ علم الأصوات العام) وقال ما مضمونه: **إنّ نغم الكلام اليومي المسموع هو الأساس الذي يقوم عليه إيقاع الشعر المنظوم في جُلّ اللغات.**

وهكذا نلاحظ تقصير بعض العروضيين المحدثين الذين لم يهتموا بعلم أصوات اللغة العام، الذي هو شامل لموضوعهم، وتقصير بعض الأصواتيين الذين أولوا عنايتهم بعلم الأصوات غافلين عن دراسة علم العروض وموسيقى الشعر التي هي جزء من موضوعهم.

وإنّما نعول بعض المحدثين، لأنّنا نلاحظ في تاريخ اللغوي أعلاماً وعلماء لغويين قد اهتموا بالدراسات العروضية، إضافة الى دراسات اللغة ومفرداتها وتراكيبها الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، وعلى رأسهم أصحاب المدارس المعجمية الرئيسة الثلاثة، ومنهم **الخليل بن أحمد** (ت ١٧٥ هـ) واضع علم العروض ومعجم العين القائم على نظام الأصوات. **والجوهري** (ت ٣٩٨ هـ) صاحب كتاب في العروض ومعجم الصحاح القائم على نظام القافية، **والزمخشري** (ت ٥٣٨ هـ) صاحب القسطاس المستقيم في العروض ومعجمه الهجائية الاعتيادية في أساس البلاغة.

ولابُدّ لنا ونحن نأتي على نهاية الحديث عن هذا المحور من أن نلاحظ ما يأتي: هو أنّنا لم نتطرق الى معاني اللغة ودلالاتها اللغوية والبلاغية الأساسية التي تخص علم المعاني والدلالات العام: Semantics ذلك لأننا نرى ان المعاني والدلالات يمكن أن تصب بأيّ قالب سواء كان أمْ شعرياً، تبعاً للتجربة الشعورية المستوحاة من الواقع المعاش أو الخيال المجنح، وقد نجد موسيقى شعر فيها معنى النثر ودلالته، كما نجد موسيقى نثرية، فيها معنى الشعر ودلالته، غير غافلين عن حقيقة الشكل والمضمون المتمثلة في كل منهما بل إنّنا ــ إذا صحَّ التعبير ــ نؤمن بشكلية المضمون ومضمونية الشكل التي تقوم عليها الأسس البنيوية.

° ° °

٣ ــ المحور الثالث:

لغة الشعر في ضوء النقد الأدبي والنظريات اللغوية

إذا كانت الطبيعة لغة الله، فالشعر لغة الطبيعة وتمتاز لغة كل شعر عن غيرها بمدى ما تستوحيه من الطبيعة، أو بمدى ما تخلعه هي على الطبيعة من أحاسيس وأخيلة وحياة.

ي ضوء هذه النظرية الفلسفية - وفي النظرة الى
يعة - اختلف أرسطو «أول مفكر عظيم يشغل نفسه
مد الأدبي» عن استاذه افلاطون صاحب نظرية
ثُل» التي تعتبر كل ما في الطبيعة انعكاساً وصوراً
ـب عن مُثل عُليا سامية، ومحاكاة الشعراء لها
عن المثل والحقائق المجردة المطلقة، لأن ذلك أشبه
، عن ترجمة وليس عن أصل. «ولم يكن الشعر عند
نون فناً أو صنعة يمكن تعلمها، بل ضرباً من
ي الإلهي... ولكن العقل العلمي لدى أرسطو لم
مقنعاً بأوصاف تعتمد الأسطورة... فالمحاكاة أو
ل غريزة عند الانسان، فهي الصغر كان أول تعلّمنا
لريق المحاكاة، ونحن نجد متعة في تلك العملية.
كما قال في كتاب الشعر مصدر الفن وتفسير سبب
ـنا في حلو الأعمال الفنية وتأملها» وبهذا كما
أنزل أرسطو الفلسفة من السماء الى الأرض.

إذا أردنا أن نعرض للغة الشعر أو بنيته التعبيرية
ـكون فيها شكلاً ومضموناً في ضوء النقد الأدبي
فنحن أمام مسيرة أدبية طويلة أوقُلْ سيرة أدبية
ـة، كتب جزءاً منها (كلولردج) الناقد والشاعر
ـزي المعروف الذي عرض فيها أفكاره حول الشعر
ظريات النقدية عند صديقه (وودوورث)، والتي
ـت المرجع النقدي المهم حول لغة الشعر واسلوبه
ـرن الثامن عشر، وكان على رأس شعراء الطبيعة
ماس. وإنّ هذه المسيرة الأدبية تمتد أبعادها نحو
القديم، وما تزال تتطور عبر جديد الجديد. فقد
الانسان الشعر منذ عصوره الأولى، وربما كان
ر أول ما نطق به، ليعبّر عن حبّه وعاطفته وانبهاره
ده في هذا الكون الفسيح الرهيب المكتنف بالرموز
ـرار، منادياً بذلك ربات الشعر، ليتلقّى منها
م، وقوة التعبير. كما كان يعتقد (هوميروس)
لاطون) وبعض قدماء الإغريق، أو متوسلاً
ليه وجنّياته، كما كان يعتقد بعض شعراء العرب
ـم:

إنّـي وكـل شـاعـر مـن الـبشر
شـيطانـه أنثى وشيطاني ذكر

تتدحرج على لسانه ما لايستطيع حبسه من كلمات وعبارات تتشكل بأوزان وقواف، أو ممن وسجع، يجعله شارداً عن وجوده ومحيطه، ثم يمسك على نفسه، وإذا به الشاعر أو العاشق، أو المجنون، وما أشبه هؤلاء الثلاثة عند افلاطون. ولا يختلف إلّا قليلاً عن افلاطون وصف الخيال الشهير عند شكسبير في مسرحية (حلم ليلة صيف)، إذ يضع الشاعر في مصاف المجنون والعاشق (أليس العشق نوعاً من الجنون؟).

المجنون والعاشق، والشاعر، يمتلئون جميعاً بالخيال... فعين الشاعر، إذْ تدور في هياج جميل، تنقل الطرف من السماء الى الأرض، ومن الأرض الى السماء، وإذْ يجسد الخيال أطياف الأشياء المجهولة، يحيلها قلم الشاعر مسكناً في الجوار واسماً. كما عرف الانسان نقد الشعر منذ تلك العصور الاولى «وطبيعي ان ينشأ النقد أول ما ينشأ بين الشعراء أنفسهم قبل غيرهم، وهي ظاهرة تكاد تمثل نشأته عند مختلف الامم».

ويتحدث شوقي ضيف عن نشأة النقد عندنا فيقول:
«نشأت نشأة النقد عند العرب نشأته عند اليونان، فقد نشأ في الأعمّ الأكثربين الشعراء، وظلّ على ذلك حقباً متطاولة حتى وضعت علوم العربية، فوضعت معها قواعده وأصوله».

وقد سيطرت وجهة نظر أرسطو المنطقية وقواعده الكلاسيكية حول الفنون الأدبية عامة وفن الشعر خاصة، على نظريات القرون الوسطى سيطرة تامة، في حين سيطرت وجهة نظر افلاطون على الافلاطونيين المحدثين وعلى نظريات عصر ما يسمى قبيل الانبعاث: Pre - Renaissance وحتى نشوء المدارس الأدبية الحديثة وظهور المصطلحات النقدية المتبلورة كالكلاسيكية، والرومانتيكية، والطبيعية، والواقعية

والرمزية، والسريالية، وما إليها، والتي تطوّرت من خلال وجودها في أوروبا عامة وفرنسا خاصة.

وهناك سؤال كبيرقائم باستمرار ومتفرع باستمرار، وفي ضوء الاجابة عنه تتفرع الآراء والنظريات عبر حدود الزمان والمكان والانسان. إحدى صوره: أيهما أسبق النقد أم الشعر؟ أوّل النقد أمْ النتاج الأدبي؟ وهو قابل الانسحاب على الفكر والسلوك العام فرداً وجماعة. وما إلى ذلك من مسائل تتعلّق بالانسان كمواقف واختيارات ودلالات.

والاختيار — أي اختيار — موقف نقدي كامل، وإن عملية الإختيار — كما هو معروف — عملية نقدية متكاملة، إذْ تنطوي على الرفض والقبول في آن واحد. ففي كل عبارة ننطقها نكون قد رفضنا غيرها وقلنا نطقها. وكل قصيدة نكتبها نكون قد اخترنا أسلوبها ولغتها، أي اخترنا أن نقول هكذا، وكذلك الأمر في السلوك والثقافة والعقيدة وهكذا. إذن المسألة ليست بهذه البساطة، فهناك عمليات معقّدة قد تكون في الوعي أو اللاوعي، ليس هنا مقام الخوض فيها. فهي قد تبدو على السطح بسيطة لكن النظر الى الأعماق قد يكشف أشياء وأشياء، وهي أشبه بجبل من الثلج غاطس في البحر لايُرى منه إلّا الجزء الظاهر اليسير.

ومسألة السطح والعمق هذه سنعرض لها في مكانه من البحث عند الكلام عن نظرية (جومسكي) اللغوية النقدية التي تعالج الحالة الجدلية القائمة بين ما يدور وينمو في خلد الانسان وعقله وحدسه في البنى العميقة: Deep Structures وبين ما يظهر ويطفو على السطح: Surface Structures، أو على الوجه أو العيون أواللسان من تعابير ودلالات تنمُّ عن تلكم الأحاسيس والمدلولات الكامنة النامية، سواء ماكان منها على صعيد اللغة بكل نتاجاتها الفكرية والأدبية، أو ما كان على صعيد النغم والموسيقى بكل طبقاتها وأبعادها، أوما شاكل ذلك من عوالم بدأت غزوها نظرية جومسكي التوليدية التحويلية — التي يرمز اليها

ـــــ T.G. grammar اختصاراً لـ
ransformational Generative Grammar:

والسؤال الكبير المتفرّع هذا على الدوام قد يكون ونحن نبحث في لغة الشعر — أيّهما أسبق القواعد اللغة؟ أي القواعد الفكرية النقدية العامة المجردة ذهن الانسان، والتي جعلت اللغات تتخذ أنظمة الأصوات والحروف معيّنة، وأنظمة من المـ والدلالات خاصّة، لتتحد في نظام بنيويّ قائـ الفونيمات: phonemes والمونيمات monemes أط عليه اسم اللغة، أو الكلام، وهو ما يعبّر عنه (مارتـ Double Articulation وأستاذنا (مولدر) بـ الأنظمة System of Systems وكلاهما صا نظرية تتصل بسيوية اللغة من الوجهة الوظيـ Functionalism، وهذا ما يدعونا للتذكير بـ (آبركرومبي): وإن نغم الكلام اليومي المسمـ **الأساس الذي يقوم عليه ايقاع الشعر المنظوم وأنه نغم منح نظامين قائمين في الانسان، أحدهما؛ يعتمد النبر الـ** Stress Pluse **وثانيهما؛ يعتمد تقلّص العضلا الصدر وانبساطها النظم:** ems of Chest Pluses ، وذلك كله يقتضينا أن نعرض ولو بـ الى النظريات حول اللغة والقواعد الصوتية والدلا ولاسيّما ونحن نتكلم عن لغة الشعر، اللغة المـ المختارة، ذات الوجه المشرق من وجوه اللغة، تميـ من لغة القصة ولغة المسرح ولغة الرواية وما الى دلا فنون الأداء والتعبير المختلفة.

وقبل الالماع الى النظريات اللغوية الحديثة التـ أود من باب المقدمة أنْ أذكر بنقد (كلولردج الشعر عند (شكسبير) من خلال منظور نقدي عا الخيال «فمنذ أيّام دكتور جونسن أصبح السؤال ا في النقد الجاد ليس ما قاله أرسطو بل مافعله شكـ وبذلك نستطيع بعد الاستئناس بالنظريات ا واللغوية أن نعتمد المعيار النقدي هذا في لغة ا وهو ما فعله الشعراء وما عبّروا من أساليب. ا

، هو ما قاله امرؤ القيس وليس ما قاله ابن سلام
ـه، وماقاله أبو تمام والبحتري وليس ماقاله الآمدي
ي، وما قاله المتنبي وليس ماقاله الجرجاني فيه وفي
ـومه. ولانريد بهذا أن نبخس دور النقد والنقّاد
ـ فهم من تأثير بنّاء في الشعر والأدب والفكر، غير أنّ
ـاقد ــ كما قيل عنه صدقاً أوكذباً ــ أديب فاشل،
ا وضع من قواعد وشروط وملاحظات حول الشعر أو
دب أو الفكر، يبقى الشاعر أو الأديب أو المفكّر هو
ي يبدع والناقد هو الذي يدرس ويصف ويعلّل
ستنتج من ذلك العمل البكر المبدع.

وكذلك القول في عالم اللغة والمتكلّم. فمهما وضع
ـوي من قواعد وأصول وضوابط وملاحظات حول
ـة، يبقى المتكلّم هو الذي يخترعها ويبدعها، والمتكلّم
ـثالي: Ideal Speaker ــ كما يقول عنه
ومسكي) ــ يستخدم ما أوتي من قوّة وكفاءة، قواعد
ـواتاً محدودة للتكلّم بعبارات غير محدودة، متجدّدة
ـوّعة على الدوام، عبر توليدات وتحويلات جومسكية
يهمها السامع المثالي: Ideal Hearer وبذلك تكون
ـكل انسان تعابيره ولغته، وتركيباته وجمله، واساليبه
ختياراته. وإن كانت كلّها تسير في نحو عام يسير عليه
ـراد قبيلته ومجتمعه اللغوي ــ أو يجب أن يسير على ذلك
نحو ــ ليكون مصداقاً لقواعد لغته النحوية والتي
ـوها: Grammaticality وأولئك جميعاً وإن امتازوا
قبائل ومجتمعات شتى فهم يسيرون في نحو عام شامل
كـد عليه النظرية العالمية الكونية: Universality
ـ أشرنا إليها سابقاً.

وأصبح لزاماً على دارس اللغة أيّة لغة ـ وأيّة جوانب
ـا أن يلمّ إلماماً بجوانب من النظريات اللغوية الحديثة
، أخذت تنظر الى اللغة بشكلها العام بمنظار علمي
ـي نقدي بنيوي قائم على أسس وقواعد محكمة رصينة
ـها علم اللغة الحديث: Linguistics.

وقد ارتبط علم اللغة الحديث باسم عالم لغوي
مـنظّرهو Saussure (١٨٥٧ ــ ١٩١٢) والذي يعتبر
أباً لهذا العلم الجديد وأباً للسوسة أيضاً اذأنه من أوائل
من دعا الى دراسة اللغة وفق منظور وصفي اجتماعي
بنيوي بعد أن كانت الدراسات في القرنين الثامن عشر
والتاسع عشر في أوروبا قائمة على منظور تاريخي
فيلولوجي: Philology وقد تبلورت على يديه أسس
ومصطلحات علمية لغوية مازالت موضع دراسة وبحث
في نظر النقاد واللغويين، من أهمها تمييزه
بين مصطلحي. Laparole و:
La Langue وبين مصطلحي: Diachronic و.
Synchronic واعتباره للغة حقائق اجتماعية Facts
Social تقوم على علاقات اصطلاحية تواضعية:
Conventional وليست عن علاقات طبيعية
Natural Relations وأنّ اللغة نظام من أنظمة
العلاقات Lingusis - tic Sign ويجب أن تدرس
تحت علم السيميولوجي أو السيميوطيقا Semiotic
Systems

وقد ترعرعت أفكاره هذه في مدارس جنيف ولايبزك
وباريس درساً وتدريساً وهي أشبه بمدارس البصرة
والكوفة وبغداد ومنها تفرّعت أغلب المدارس
والدراسات اللغوية الحديثة في الشرق والغرب. وقد
جمعت محاضراته بعد وفاته ونشرت من قبل تلامذته
بالفرنسية أوّلاً ثم ترجمت الى الانكليزية بعنوان:
Course in General Linguistics وبهذا يشبه
الخليل بن أحمد في انتشار أفكاره وعلومه على يد تلامذته
وأصحابه في ميادين اللغة والأصوات. ويعتبر (سوسير)
ثالث ثلاثة من روادالعلوم الحديثة المولودين في القرن
التاسع عشر، سنة بعد أخرى. فقد ولد قبله بسنة عالم
النفس الحديث (فرويد)، وولد بعده بسنة عالم
الاجتماع الحديث (دوركايم) والذي تأثر به كثيراً في
نظرته الى اللغة، وهؤلاء الثلاثة قد أثروا الدراسات
الانسانية ثراءً منقطع النظير، وخاصّة فيما يعنينا منها
الأدبية واللغوية رغم موقفنا النقدي منها.

ويأتي بعده Sapir بحوالي خمس وثلاثين سنة ليكون من رواد المدرسة الأمريكية الذين وضعوا خطوة أخرى على طريق البنيوية: Structuralism والتي تعتمد أساساً التركيبات الشكلية في اللغة: Linguistic Forms وقد ركّز سابير على الدراسات الحقلية والجانب الانثر و پولوجي متأثراً (بفرانز بوعز) المولود بنفس السنة التي ولد بها (دوركايم) ١٨٥٨ كما ركّز على الجانب الثقافي في الانسان أكثر من تركيزه على الجانب البيئي وبهذا يلتقي معه البنيوي المعاصر (ليف اشتراوس) ووصف منهجه هذا في كتابه الشهير: Language.

ويأتي بعد ذلك Bloomfield ليبلور البنيوية، ويكون ثالث ثلاثة ممن اهتموا بالجانب الوصفي للغة كصاحبيه المتقدمين (سوسير) و(سابير) غير أنه ركّز على الجانب السلوكي فيها: Behaviorsim متأثراً بـ Weston الذي يشرح هذا الإتجاه بأنه اكتشاف ما سوف يفعله الفرد في موقف معين أو حين يرى شخصاً ما يفعل شيئاً ما، وهذه الطريقة تمكننا من التنبؤ بالإستجابة: Response حين نعرف المنبّه أو المثير: Stimulus وبذلك أخذ ينظر الى اللغة كبديل سلوكي بين الحافز والاستجابة، والذي يتمثل عنده بقصة Jack و Jill في طريقة تناولها التفاحة المصورة في العلاقة الآنية، والنقاط هي التي تمثل دور الكلام في المعادلة:

S r. ... S R

وقد رسم خطة خاصة به في كيفية دراسة اللغة وضعها في كتابه الذي يحمل نفس عنوان كتاب سابير: Language طبعه سنة ١٩٣٣ بعد أن غير عنوانه السابق وأجرى بعض التغييرات عليه.

وفي أحضان هذه المدرسة الأمريكية وعلى أيدي تلامذتها الكبار أمثال Hariss نشأ العالم اللغوي المعاصر (حومسكي) Chomesky الذي أحدث ثورة في علم اللغة الحديث منذ صدور كتابه: البُنى النحوية Syntactic Structures سنة ١٩٥٧ ووقف موقفاً مناهضاً للوصفيين والسلوكيين عبر كتاباته وتصريحاته ومقابلاته ومايزال كذلك، كما حدث له بأخَرَةٍ مع الـ B.B.C في لندن مركّزاً على الجانب المعياري والقواعدي في اللغة، والذي يستند به الى العقل والمنطق والرياضيات متأثراً الى حد كبير (بديكارت) حتى وضع دراسة في علم اللغة الديكارتي: Cartesian Linguistics بحيث يذكرنا بالدراسات اللغوية والنحوية التي نشأت عند العرب والمسلمين، ولكن بمنظور جديد ونظرية علمية تكنيكية يمكن الافادة منها في الكومبيوتر وما الى ذلك من أجهزة تقنية متطوّرة، وأهم ما يميز نظريته هو امتلاك الانسان الكفاءة Competence التي تميّزه عن الآلة والحيوان، وهي كامنة ونامية في الأعماق بيولوجياً، وتظهر على السطح عبر سلسلة من التوليدات والتحويلات بشكل الأداء والتعبير Performance كما ألمعنا سابقاً الى نظريته T G. Grammr.

وخلاصة القول؛ نستطيع بعد هذا العرض السريع لموقف علم الصوتيات والنقد الأدبي والنظريات اللغوية الحديثة التي تتمثل بالمنهج البنيوي، والبنيوية، أن نقرر ما يأتي من نقاط قبل الحكم على لغة الشعر وشاعرية الشاعر، وذلك ما يقتضينا النظر والتأمّل الى مدى تأثر وتأثّر البنية الشعرية بالموسيقى كما يرى الأصواتيون، والى مدى قابلية الشاعر على استلهام الأخيلة الشعرية من رئة الشعر كما يرى الهوميريون والافلاطونيون، ومدى توفّر معيار النقد فيه كما يرى الارسطاليون، ومدى نجاحه في توصيل الرسائل والمشاعر كما يرى السوسيريون والوظيفيون، ومدى ما يقدّمه من ثقافة وفكر كما يرى السابيريون والشتراوسيون، ومدى ما يؤثّر في السلوك والنفس كما يرى اللومفيلديون والفرويديون، ومدى ما يكشف عن الأعماق والقواعد العملية كما يرى الجومسكيون، والى ما هنالك من مَدَيات مفتوحة حتى يبقى السؤال الكبير مستمراً ومتفرّعاً، وتبقى المشكلة تبحث عن حلّ، والحلّ عن مشكلة جديدة وهكذا الشعر واللغة والانسان ●

الهوامش

١ ــ ينظر د. كمال عيد، جماليات الفنون، ص ٣ ــ ٢٧ موسوعة الصغيرة، ط بغداد ١٩٨٠.

٢ ــ د. زكريا ابراهيم، مشكلة البنية، ص ٢٠، التصدير، مكتبة مصر، ١٩٧٦.

٣ ــ سليم الاحتيان معالم الموسيقى العربية، ص ٣، مكتبة المصرية، بيروت ١٩٥٣.

٤ ــ د. ابراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص ١٨، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٢.

٥ ــ ينظر محمد علي الحسيني، نظرة في موسيقى الشعر العربي وعروضه حول مصادر هذه الفقرات ص ٣٤٢، آداب الرافدين العدد السادس، جامعة الموصل، ١٩٧٥.

٦ ــ ينظر د. مهدي المخزومي، عبقري من البصرة، ص ١٠٥ نشر وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٢ حول البحر السادس عشر.

٧ ــ ينظر: د. صفاء خلوصي، فن التقطيع الشعري والقافية ص ٢٦، ط ٣ بيروت ١٩٦٦.

٨ ــ ينظر محمد علي الحسيني المصدر السابق ص ٣٤٤.

٩ ــ مايتعلق بدلالة المصطلحات اللغوية والإيقاعية، خلاصة لمحاضرة ألقيناها في مايس ١٩٧٥ (ما تزال مخطوطة).

١٠ ــ ينظر حول مصادر هذا المحور ما جاء في مقالتنا لغة الشعر وعلم الأصوات اللغوية في مجلة الثقافة (١٩٨١).

١١ ــ ينظر حول مصادر هذا المحور ما جاء في مقالتنا لغة الشعر في ضوء النقد الادبي والنظريات في مجلة فنون (١٩٨١).

Mulder, The Strategy of linguistics (Scottish Academic) 1980 De Sussure, F, Course in General Linguistics, (Fontana /Collins) -1974 (Glasgow)

Martinet, Elemetns of General Linguistiscs (London -Faber- 1964)

Aber Crombie, General Elements of Phonetics (Edinburgh)

* الرسول الأكرم(ص):

«ثلاثة يحبها الله: قلة الكلام، وقلة المنام، وقلة الطعام. وثلاثة يبغضها الله: كثرة الكلام، وكثرة المنام، وكثرة الطعام. وثلاثة يحبها الله: القيام بحقه، والتواضع لخلقه، والاحسان الى عباده.

وثلاثة يبغضها الله: المنّان بصدقته، والمقتر مع سعته، والفقير المسرف».

عذاب المحاديف

غداتُ المحاديف..
«سريف من القلب في يديك
ياسيدي.. يا أميرَ الفؤاد»

ابراهيم رفاعة

أنا حسن.. يا وتر الرثاء
ويا ذروة في أعالي الشقاء

تموت نطفتك عاري النجوم
ويمحو البنات سقوط الفضاء

ويغفو على ساعديك الغروب
وأنت تهدهدها.. للمساء

* * *

أنا حسنٍ.. مرّ عهدُ السباب
وأقبلَ منّي زمانُ الرّواءِ

وما بلغتْ وجْهي فصدّها
ولم يعرفِ العلاتُ طعم [illegible]

أبا حسن.. [illegible]
[illegible]
[illegible]

٭ ٭ ٭

أبا حسن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

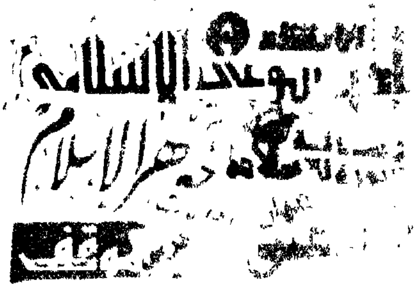
[illegible]!
[illegible]!

٭ ٭ ٭

أبا حسن.. عذري عذرة
قد أحصرتْ محبتي [illegible]

أبا حسنٍ.. لا تدعْ عزْتي صوت
وبداي تحدي الشحاء

جولة في الصحافة



ذكرت صحيفة «ستكارام» التي تصدر في دكا انه تم طرد ٢١ عاملاً مسلماً يعملون في المنظمة الدولية لشؤون الأطفال (دور لدويجن) في بنغلادش لعدم اعتناقهم الديانة المسيحية!!

وأضافت الصحيفة المذكورة ان المنظمة الدولية طلبت من العمال البنغاليين أن يعتنقوا الديانة المسيحية، إلا انهم رفضوا التخلي عن دينهم الاسلامي، ونتيجة لذلك تم طردهم من هذه المنظمة.

وقد قدم هؤلاء العمال شكوى الى إحدى محاكم دكا، إتهموا فيها منظمة (دورلديجن) بالتبشير الصليبي في بنغلادش.

■ قالت مجلة «الوعي الاسلامي» في عددها (٢٥١) انه لم يصدر أي تكذيب رسمي للأخبار التي تتحدث عن قرب انعقاد مؤتمر صهيوني في المغرب في شهر نوفمبر المقبل، بهدف انشاء تجمع دولي لليهود المغاربة ومن ضمنهم الاسرائيليون الذين هاجروا من المغرب الى فلسطين.

وأضافت الصحيفة تقول: «وكان مؤتمر صهيوني مماثل قد عقد في المغرب في شهر مايو من السنة الماضية،وتبعته اعتراضات وردود فعل مغربية وعربية».

■ قالت صحيفة «ليبراسيون» الصادرة في باريس في عدد لها صدر خلال شهر ذي القعدة الماضي ان الاسلام بدأ ينمو بشكل ملحوظ في الغرب.

وأضافت الصحيفة ان مليونين ونصف المليون في فرنسا يعتنقون الاسلام حالياً، وان الاسلام يعد ــ اليوم ــ المذهب الثاني هناك، حيث ان أتباعه يشكلون الأغلبية من بين أتباع المذاهب الأخرى.

وأعلنت الصحيفة نفسها انه تم منذ عام ١٩٧٧ والى اليوم صرف ما يقرب من (٦) ملايين فرانك فرنسي لبناء المساجد في هذه البلاد.

الارادة الاسلامية أسقطت «التفوق العسكري» الصهيوني

■ في مقال لها نشر في العدد (٥٣)، تحدثت مجلة «سروش» عن الارادة الصلبة للمقاومة الاسلامية اللبنانية في مواجهتها للكيان الصهيوني في وقت عجزت فيه الأنظمة الرجعية عن القيام بأي عمل من شأنه تعريض (اسرائيل) الى الخطر. وفيما يلي جوانب من هذا المقال:

• «كان الصهاينة يدركون بأن دولتهم القائمة في وسط محيط بشري اسلامي، وفي وسط حزام من الدول والجيوش العربية النظامية تحتاج الى قدرة عسكرية متوازنة مع كل القوات العربية من حيث العدة القتالية والماكنة العسكرية.

وفعلاً بدأ جنرالات الكيان الصهيوني الأوائل يترجمون ستراتيجية التفوق العسكري عبر التحالفات مع الدول الكبرى... ورغم كل هذه التحالفات والأموال الانشائية التي تخصص سنوياً لميزانية الدفاع الصهيونية، الا ان الوصول الى حالة التوازن العسكري مع كل الدول العربية كان أمراً مشكوكاً فيه من قبل الأوساط الصحفية.. وأما عملية التهويل والمبالغة الصهيونية من خلال الصحافة التي كانت تصور الكيان الصهيوني بأنه في حالة تكافؤ في الأداة القتالية مع العرب، فقد كانت في الواقع تمارس لعبة ردعية مع الحكومات العربية ولا تعكس واقعاً لسياسة التسلح الصهيونية...

الكيان الصهيوني نجح الى درجة ما وفي مسلسل الصراع مع الحكومات العربية في أن يشعر هذه الحكومات بعجزها عن التصدي لقدرة الصهاينة العسكرية، إلا انه فشل تماماً في إشعار المقاومة الاسلامية في لبنان بالعجز عن امكانية مواجهة الآلة العسكرية الفتاكة للصهاينة.

فهذه الآلة التي أخافت العديد من الدول العربية ودفعت بها الى اللهاث وراء التفاوض الذليل، عجزت لحد الآن وبعد أكثر من ستين من حرب الاستنزاف في لبنان، عن توفير الحماية الكافية للقوات الصهيونية من هجمات الاسلاميين البطولية.

ولقد أثبت هذا التصدي الاسلامي الجريء بأن الحرب لم تكن تكافؤاً عسكرياً وتكنولوجياً بقدر ما هي تكافؤ ارادة. فالارادة الاسلامية أسقطت قيمة الآلة العسكرية الصهيونية التي بقي الكيان الصهيوني يراهن عليها لفترة طويلة من الزمن...

إن خيوط الستراتيجية الصهيونية العامة تتعرض اليوم الى اهتزاز كبير في ظل حالة الصراع الخاصة التي رسمتها المقاومة الاسلامية لنفسها، مستفيدة من كل التجارب السلبية والايجابية في عملية الصراع العربي ــ الصهيوني، ومتحررة في اتخاذ القرار السليم في طريق المجابهة، هذه المجابهة التي أسقطت العديد من المبادئ والرهانات الصهيونية والتي كان آخرها مبدأ التفوق العسكري على كل أطراف الخصم».

اعتقال (٤٠) مسلماً في تركيا

■ ذكرت صحيفة «كازت» التركية في أحد
أعدادها ان السلطات التركية اعتقلت مؤخراً (٤٠)
شخصاً مسلماً في مدينة «ايهكول» التابعة لاقليم
«بورسا» بسبب قراءتهم القرآن الكريم واداء بعض
الشعائر الدينية!

وأضافت الصحيفة المذكورة ان هؤلاء
الأشخاص قدموا فور اعتقالهم الى إحدى المحاكم،
غير انها لم تذكر الاتهامات التي ستنسب إليهم.

الأمريكيون يجهلون الاسلام

■ قالت مجلة «الأمة» في عددها (٥٩) ان
«هيرمان ايلتس» السفير الامريكي السابق لدى
مصر، أبلغ لجنة فرعية تابعة لمجلس النواب
الأمريكي ان الجهل بالاسلام بين كبار المسؤولين
الأمريكيين أمر خطير، وقال: «لم أجد حتى الآن
رئيساً أمريكياً أو وزير خارجية أو مستشاراً للأمن
القومي لديه أية دراية واضحة بالاسلام أو مايعنيه».
وأضاف قائلاً: «من الصعب للغاية حمل
الشخصيات على المستويات العالمية في الحكومة
على التركيز على الاسلام كقوة دينية واجتماعية
وسياسية».

أيها الحجاج انتبهوا!

■ تحت هذا العنوان دعت مجلة «اليمامة» في
افتتاحيتها للعدد (٨٦٤) حجاج بيت الله الحرام الى عدم
المشاركة في التظاهرات والمسيرات التي تقام في موسم
الحج في مكة المكرمة والمدينة المنورة!

ووصفت المجلة الدعوات الى اقامة التظاهرات ضد
أميركا والصهاينة وجميع أعداء الاسلام في موسم الحج
بأنها دعوات (مضلة)! حيث كتبت تقول: (**فالدعوات
التي نسمعها هنا وهناك والتي تنادي بتحويل الركن
الخامس للاسلام الى «بازار سياسي» وموسم لتأجيج
الصراعات والخلافات بين فئات المسلمين على مختلف
مذاهبهم وطوائفهم، هي دعوات مضلة تهدف الى نقل
الفوضى التي نشهدها في عالمنا المعاصر الى العبادة نفسها**).

ترى هل ان الدعوة لاقامة التظاهرات ضد الحاقدين
على الاسلام هي من الدعوات (المضلة)؟

وماذا تسمي مجلة اليمامة الدعوة الى اختيار السكوت
على ما يجري في العالم الاسلامي على أيدي الامريكيين
والصهاينة و بقية الأعداء؟

ثم تضيف المجلة قائلة: «... **تجاهلوا كل الأصوات
التي جاءت تسنعي عرض الدنيا في موسم الحج والاتجاه الى
الله، وستجدون في الأجهزة المكلفة بحمايتكم ومساعدتكم
كل العون حتى يحقق الحج غايته**».

المجلة تريد بهذا الكلام ان تحذر الحجاج من انهم اذا
ارادوا المشاركة في التظاهرات والمسيرات فان هراوات
الشرطة ورجال الأمن ستكون بانتظارهم! والا من
يعتدي على الحجاج؟ وهل أجبر ولو حاج واحد خلال

الأعوام السابقة على المشاركة في التظاهرات؟

اذن؛ ماذا تقول مجلة اليمامة؟!

حول المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية في مصر

■ تحت هذا العنوان نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها (٢٤٢٥) مقالاً للدكتور عبدالقادر محمد العماري القاضي بالمحكمة الشرعية الأولى بدولة قطر.

المقال يتقدم بجملة من (النصائح) الى المسلمين في مصر الذين يطالبون بنظام اسلامي في بلادهم، تجمع كلها على ضرورة المساومة مع السلطة واقناعها (عن طريق الحوار طبعاً) على تطبيق الشريعة الاسلامية.

يقول الدكتور العماري في نصيحته الثالثة: «انّ المصادمات مع السلطات الحكومية من شأنها أن تعقد الأمور وتؤدي الى معاناة الحركة الاسلامية وزج شبابها ورجالها في السجون والمعتقلات والحيلولة بينهم وبين نشر دعوتهم وتوعية الناس بالاسلام... ولذلك يجب عدم استفزاز الحكومة والصدام معها، لأن هذا ليس في صالح الاسلام».

ترى هل ان المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية في مصر، واحتجاج الجماهير المسلمة على سياسات مبارك — على الصعيدين الداخلي والخارجي — والمطالبة بانهاء الوجود الصهيوني على أرض مصر، ليست في صالح الاسلام؟!

ان العمل الاسلامي في بلدان لا تؤمن الأنظمة القائمة فيها الا بالحديد والنار يحتاج الى تضحيات، والا فان السكوت وتحمل الجور لن ينفعا مطلقاً، وانما يزيد من اصرار مثل تلك الأنظمة على مواصلة معاداتها للاسلا

كيف يسكت الشعب المصري وهو ي الصهاينة — أعداء الله والاسلام — ينتشرون في كل ب من بلاده؟ وأية نتيجة أعطتها كل تلك النصائح ا تقدم بها الشعب المصري الى السادات ومبارك ؟

إذن؛ فطالما يصر مبارك وأمثاله على معادا للاسلام، فان الحل الوحيد يتمثل في اسقاطهم، كما الشعب الايراني مع الشاه المقبور.

ان السجون والمعتقلات لن تزيد المسلمين إلا واصراراً، وهذا ما أثبته التاريخ الاسلامي منذ الاسلام والى يومنا هذا.

في عددها (٢٣) كتبت صحيفة «ال الديمقراطي» على صفحتها الأولى تقول:

● «وزع سفير صدام حسين في واشنطن ادعى انه عثر عليها لدى أحد الأسرى الايرانيين ية الثورة الاسلامية في ايران على تحرير القدس.

وقال السفير وهو يحذر اسرائيل من نوايا ايرا مطامع ايران الارهابية ضد شعوب المنطقة.

وقد نشرت الواشنطن بوست الخارطة وتعليق قائلة: لقد آن الأوان لاعتبار العراق حليفة لاسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية».

شؤون اسلامية

محاربة الحجاب في أندونيسيا

أعلن في جاكارتا مؤخراً بعد محاكمة عدد من علماء الدين المسلمين الاندونيسيين ان حكومة أندونيسيا بدأت باتخاذ بعض الاجراءات لمنع الحجاب الاسلامي في المدارس الحكومية.

وكانت مجلة «تمبو» الصادرة في جاكارتا قد أعلنت ان بعض الفتيات المسلمات قد طردن من مدرستهن في جاكارتا لاصرارهن على الالتزام بالحجاب الاسلامي.

اشتباكات بين المسلمين والهندوس في العاصمة الهندية

أسفرت الاشتباكات التي وقعت في نهاية شهر القعدة الماضي في العاصمة الهندية «نيودلهي» المسلمين والهندوس عن اصابة (١٢) شخصاً من الطرفين بجروح.

و يذكر ان الاشتباكات بين الطرفين وقعت اثر محاولة بعض الهندوس منع المسلمين من دخول مسجد يقع بالقرب من معبد هؤلاء.

هذا واعتقلت الشرطة الهندية خلال تلك الاشتباكات نحو (٢٠٠) شخص من الطرفين.

فشل آخر...

وسط موجة من الاستياءات والاحتجاجات، عقد في النصف الثاني من شهر ذي القعدة الماضي مؤتمر القمة العربية الطارئ في المغرب لدعم الاتفاق الذي تم بين الملك حسين و عرفات فيما يخص الصلح مع الكيان الصهيوني.

ونتيجة للمعارضة الشديدة التي أبدتها بعض الحكومات العربية والجمهورية الاسلامية في ايران والقوى الاسلامية لهذا المؤتمر، لم يبد المؤتمرون موافقتهم الرسمية على اتفاق حسين ـ عرفات واكتفوا بالاعراب عن تقديرهم لما بذلاه من جهود للتنسيق في قضية الصلح مع الكيان الصهيوني.

كما لم يناقش المؤتمرون مسألة إعادة مصر الى جامعة الدول العربية رغم رغبتهم الشديدة في ذلك، مما أثار استياء حسني مبارك.

وبهذا المؤتمر أضاف الأنظمة الرجعية الحاكمة في العالم الاسلامي فشلاً آخر الى ملفاتها السوداء المليئة بأنواع الفشل.

إنشاء جامعة الرسول الأكرم(ص) في مدينة دامغان

على أرض مساحتها ٣٠٠ هكتار، و بكلفة مئة مليار ريال، سيتم تأسيس جامعة الرسول الأكرم(ص) في مدينة دامغان بالجمهورية الاسلامية في ايران حتى نهاية عام ١٣٦٧ هـ.ش (١٩٨٨م).

وأعلن مكتب التعاون الشعبي لجامعة الرسول الأكرم(ص) في دامغان في بيان له حول هذا الموضوع قائلاً: ان هذه الجامعة سوف تشتمل في بداية تأسيسها على كليتين هما: كلية «الاعمار والزراعة» وكلية «العلوم التطبيقية». وسيتم خلال سبع سنوات، إنشاء كلية «العلوم الأساسية» و«الطب» و«طب الاسنان» و«الالهيات والمعارف الاسلامية» بسعة ٢٢٠٠ طالب.

كما ستضم هذه الجامعة عدة مؤسسات تعليمية ومستشفى ومختبراً.

المجاهدون الأفغان يواصلون ضربهم لأعداء الاسلام

تشهد المراكز الحساسة والحكومية والادارات الحزبية في القسم الجديد من مدينة كابول الأفغانية هجمات متعددة بين فترة وأخرى يقوم بها المجاهدون الأفغان.

هذا و يواصل المجاهدون الأفغان تحريرهم للقرى التي ما زالت تخضع لسيطرة قوات بابرك كارمل في عدد من مدن أفغانستان.

وقد شهدت معظم مناطق أفغانستان خلال الشهرين الماضيين اشتباكات عنيفة بين الثوار المسلمين من جهة، والقوات الحكومية والروسية من جهة أخرى، تمكن خلالها المجاهدون من قتل وجرح وأسر الكثير من أفراد تلك القوات، وتدمير كميات كبيرة من معداتها، واسقاط مجموعة من طائراتها.

وتشير التقارير الى أن القوات الحكومية والقوات الروسية تكبدت خلال تلك الفترة خسائر جسيمة و الأرواح بلغت ما يقارب (٩٥٠) شخصاً.

و بذريعة ضرب مواقع الثوار والتصدي لهم وملاحقتهم، تواصل الطائرات الروسية قصفها للقرى بمختلف أنواع القنابل،فيذهب ضحيته في كل مرة العديد من المزارعين المحرومين.

الشعب المصري وموجة الرفض الأخيرة

واجه النظام المصري خلال الفترة الأخ معارضة كبيرة من قبل أبناء الشعب المصري المسل مما أثارت مخاوفه ودعته الى اتهام بعض الدول بإثا المشاكل في مصر، وذلك سعياً منه للتعتيم ع التحركات الأخيرة للشعب المصري المسلم وال جاءت تعبيراً عن تمسكه بالاسلام وعدائه للصها الذين باتوا يشاهدون في كل نقطة من مصر.

وكانت التقارير الصحفية التي وردت م العاصمة المصرية قد أفادت ان النظام المصري ق خلال التظاهرات التي نظمت في القاهرة وا طالب فيها المتظاهرون باطلاق سراح زع الحركات الاسلامية في مصر والبالغ عددهم(٦ شخصاً، قام باعتقال عشرات الأشخاص.

وقد أعلن المتظاهرون معارضتهم واستنكار لنظام مبارك ، وطالبوا بإقامة نظام اسلامي بلادهم.

وفي العشرين من شهر ذي القعدة الماضي خرج (٢٠) ألف شخص من أبناء مدينة «بور سعيد» في تظاهرات أمام مبنى محافظة هذه المدينة احتجاجاً على السياسات الاقتصادية لنظام مبارك .

واثر هذه التظاهرات تعطلت المؤسسات والدوائر والشركات، وأغلقت المحال التجارية، وتوترت الأوضاع في مختلف أنحاء المدينة.

وتؤكد جميع الشواهد ان الشارع المصري سيشهد مستقبلاً المزيد من التظاهرات ضد النظام المصري، وان العاصفة في مصر لايمكن ان تهدأ بهذه السهولة كما يتصور نظام مبارك .

إنتصارات جديدة تحققها القوات الاسلامية

وجهت القوات الاسلامية خلال الشهرين الماضيين ضربات عنيفة الى القوات الصدامية المأجورة في جبهات القتال، حيث تمكّنت من قتل وجرح وأسر المئات من أفرادها، وتدمير كميات كبيرة من أسلحتها.

وفي نفس الفترة شنّ الثوار المسلمون العراقيون في شمال العراق عدة هجمات على القوات الصدامية، فقتلوا وجرحوا وأسروا الكثير من أفرادها .

ونتيجة لتلك العمليات البطولية، قصف النظام العراقي القرى الآهلة بالسكان في شمال العراق، فكبد الناس الأبرياء خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات.

من ناحية أخرى نفذ المجاهدون العراقيون بالتعاون مع قواتنا الاسلامية عملية بطولية في منطقة «أم النعاج» في الأراضي العراقية، فحرروا منطقة واسعة بمساحة (١٥٠) كيلومتراً مربعاً، وكبدوا العدو خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات، كما استطاعوا أن يأسروا العديد من أفراده.

هذا وتواصل القوات الصدامية قصفها للمدن الحدودية في الجمهورية الاسلامية في ايران بالمدافع البعيدة المدى، تصوراً منها انها بهذه الممارسات ستتمكن من عرقلة الزحف المقدس للقوات الاسلامية، وإضعاف عزائمها.

وتفيد التقارير الواردة من جبهات الحرب، ان التذمر بين أفراد الجيش العراقي بلغ حداً يخشى معه النظام العراقي في كل لحظة من حصول تمرد، أو عدم إبداء هؤلاء أي ردود فعل تجاه الهجمات التي تشنها القوات الاسلامية.

وكانت بعض الأنباء الموثوق بها قد أكدت ان النظام العراقي أعدم مؤخراً الكثير من أفراد الجيش العراقي بين ضابط وجندي لهروبهم من جبهات القتال.

وتحقيقاً للنصر النهائي تواصل قواتنا الاسلامية المظفرة عملياتها البطولية. وقد حررت خلال الشهرين الماضيين مساحات واسعة من هور العظيم في الأراضي العراقية من دنس المرتزقة البعثيين.

اجراء انتخابات الدورة الرابعة لرئاسة الجمهورية

في السادس عشر من شهر آب الماضي جرت

انتخابات الدورة الرابعة لرئاسة الجمهورية، حيث جرى تنافس شريف بين ثلاثة من المرشحين وهم: حجة الاسلام والمسلمين السيد علي الخامنئي والسيد حبيب الله عسكرأولادي والدكتور محمود الكاشاني نجل المرحوم آية الله السيد أبوالقاسم الكاشاني الذي كان رئيساً لمجلس النواب في عهد حكومة مصدق.

وقد فاز السيد علي الخامنئي بأغلبية الأصوات، و بذلك أنتخب مجدداً رئيساً للجمهورية.

هذا وقد جرت الانتخابات في معظم أنحاء البلاد في جومن الهدوء، وقد تدفقت الجموع المليونية على صناديق الاقتراع منذ الصباح الباكر، ملبية بذلك دعوة قائد الثورة الاسلامية الإمام الخميني ـ مدظله ـ للمشاركة في الانتخابات كواجب شرعي.

وكانت الفئات المعادية للثورة الاسلامية قد هددت بافتعال الاضطرابات لعرقلة سيرالانتخابات، إلا أنها لم تتمكن من القيام بأي شيء، و بذلك سجّلت هزيمة أخرى لنفسها، وتأ... لها مجدداً ان الشعب المسلم يقف بأكمله مع قيا... الاسلامية الحكيمة.

وكعادتها حاولت أجهزة الدعاية الاستكبا... التقليل من أهمية هذه الانتخابات، فكانت تص... مرة بـ (الانتخابات الصورية)! ومرة أخرى تد... ان الذين شاركوا في الانتخابات لم يكن عدد... يتجاوز أصابع اليد!!

وقد أجمعت التقارير التي وردت من أنحاء ال... ان الايرانيين المقيمين في خارج البلاد توجهوا... ممثليات الجمهورية الاسلامية للادلاء بأصواتهم... رغم ما بذلته بعض العناصر الكافرة من محاولا... لمنعهم من المشاركة في الانتخابات ـ مؤكدين ... ان قلوبهم مع الثورة الاسلامية أينما كانوا، كما شا... جميع الحجاج الايرانيين في تلك الانتخابات.

(١٥٠) ألف ايراني يؤدون فريضة الحج

توجه هذا العام (١٥٠) ألف ايراني الى بيت الله الحرام لتأدية فريضة الحج. وقدخرجوامع اخوتهم المسلمين في تظاهرات ومسيرات رائعة، نددواخلالها بالامبريالية الأمريكية والصهاينة والقوى الاستكبارية الأخرى، وناشدوا مسلمي العالم للعمل في سبيل تحقيق الوحدة الاسلامية الشاملة وتشكيل جبهة اسلامية قوية ضد أعداء الاسلام.

صدر حديثاً



صدر حديثاً عن منظمة الاعلام الاسلامي الجزء الاول من كتاب «دروس في الاقتصاد» أعده سماحة الشيخ محمدعلي التسخيري على ضوءكتاب «أقتصادنا» للشهيد السعيد آية الله العظمى السيد محمدباقر الصدر (قدس سره).

الجزء الأول من هذا الكتاب يشتمل على (٢٥) درساً و يفند المؤلف خلال الفصول الثلاثة والعشرين الأولى منه ادعاءات المذهبين الماركسي والرأسمالي في مجال الاقتصاد، فيما يتحدث في الدرسين الرابع والعشرين والخامس والعشرين عن الاقتصاد الاسلامي والحلول التي يقدمها الاسلام للمشاكل الاقتصادية.



«الامام في مواجهة الصهيونية» كتاب قيّم جُمِعَتْ فيه مقتطفات من خطب وكلمات وتصريحات الامام الخميني القائد حول الصهيونية.

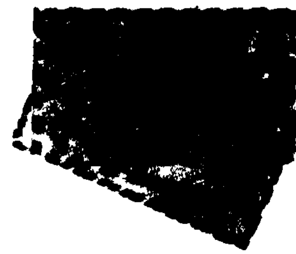
يقع الكتاب في (١٩١) صفحة، وللحصول عليه يرجى مراسلة قسم العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي.

وجدير بالذكر أن هذا الكتاب كان قد طبع بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة لانتصار الثورة الاسلامية في ايران.

للحصول على كتب منظمة الاعلام الاسلامي، يرجى المراسلة على العنوان التالي:
الجمهورية الاسلامية في ايران ــ طهران
ص.ب ١٤١٥٥/١٣١٣
روابط بين الملل

بريد التوحيد

ترحب مجلة التوحيد بأي انتقاد ورأي واقتراح من جانب القراء الأعزة وتبدي استعدادها للرد على الاسئلة المطروحة عليها.



■ من جماعة الأخوة المسلمين في المنصورة بالجزائر، وصلتنا رسالة، جاء في جانب منها:

● «... إنّ مسيرة قائد الأمة الاسلامية الامام الخميني، هي مسيرة حق، لاينوي من ورائها الاحماية المسلمين من الكافرين، ورفع كلمة الله لتكون هي العليا.

وما الحرب التي أقامها هؤلاء ضده الا دليل على ذلك، لأنهم خافوا أن تمتد ألسنة النصر والحق فتطيح بهم. وما الحملات الاعلامية التي قامت بها الأنظمة الرجعية الا دليل على كل ذلك، فهي تساند أسيادها وعلى رأسهم الامبريالية الأميركية».

المباركة وعلى الحدود الايرانية ـ العراقية.

لاشك بأنكم على يقين من أن الله سبحانه وتعالى معكم في هذه الحرب التي فرضت عليكم. فبالرغم من اتحاد كل قوى الاستكبار العالمي والاقليمي (وأعني بكلمة «إقليمي» المنافقين والكافرين الذين يحكمون المسلمين بالحديد والنار و يتلفون أموال الأمة الاسلامية هنا وهناك وفي وضح النهار) مازلتم صامدين وأقوياء والحمد لله. وسيبقى الله الى جانب المجاهدين المخلصين منكم الى أن يعود الحق الى نصابه «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين»، «أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم الغالبون»، «وان جندنا لهم الغالبون».

نحن لن نسمح لأي عدو مهما كانت هويته أن يتحدث عن الاسلام حسب ما يحلو له، وليعرف أعداء الله ان اسلامنا، اسلام واحد، وهو الاسلام الذي انفجر فوق أرض ايران في هذا العصر الحديث بفضل من الله تبارك وتعالى، والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته».

النظام العراقي لحقوق الانسان. وفي جوانب من الرسالة:

● «... إسمحوا لي بأن أحركم ما يحدث في سجون العراق لم يحدث التاريخ من قبل... إن إهانة أي فرد أ أو شعب بغض النظر عن الجنسية م الواقع إهانة لكرامة الأمم المتحدة...

إنّ كرامة الفرد العراقي مهدر العراق، وليست هناك إنسانية لدى ال الزمرة العفلقية الكافرة. وان السجـ العراق يستصرخونكم، ليس جزء التعذيب، بل جزعاً من الاهانة...

إنّ الله حين خلق الانسان، كرّ حيث يقول جلّ شأنه: «ولقد كرمنا آدم». فلماذا تسلب هذه الكرامة الانسان؟...».

■ و وصلتنا رسالة ودية أحرز نيجيريا، من الأخ عمر محمد، جاء

● يسعدني و يشرفني أن أنا الفرصة لأكتب لكم معرباً عن وتقديري الشديدين لما تبذلونه كبيرة في سبيل إعادة المجد والدفاع عن عقيدة التوحيد روح الحماسة في الأمة الا وتوعيتها، وتأصيل الفكر الاسا وفضح جرائم العملاء وا والصهاينة. وغير ذلك مما نا حدث حبة...

■ والأخ «أبو الفراتين» من انجلترا، بعث لنا رسالة مرفقة معها قطعة شعرية، ورسالة معنونة الى هيئة الأمم المتحدة، أشار فيها الى الجرائم الوحشية التي يرتكبها النظام العراقي بحق أبناء الشعب العراقي المسلم ومعاملته اللاإنسانية للسجناء السياسيين. وقد طالب في رسالته هذه الهيئة [illegible]

■ ومن المغرب، بعث لنا السيد صادق مهدي رسالة معنونة الى الامام الخميني قائد الثورة الاسلامية والى الشعب الايراني المسلم. قال فيها بعد أن نمن الصحة والعافية لقائد الثورة الاسلامية:

● «... طوبى لكم ولشهدائنا الأبرار الذين سقطوا بالآلاف في أرض [illegible]

لقد شاء الله أن أحصل على نسخ من مجلتنا التوحيد الغراء، فإذا هي ضالة ينشدها كل مؤمن غيور على دينه وعقيدته، بل وكل انسان يرغب في الاطلاع على حقائق الأمور لما تحويه هذه المجلة من الموضوعات المهمة في مختلف المجالات...».

■ السادة: المهندس محمد خرمشاهي من المركز الثقافي الاسلامي العراقي ويحيى بكاياكو ومحمد هاشم الهاشمي ومهدي صالحي والأخوة أعضاء الهيئة الادارية لمكتبة أمير المؤمنين العامة (الجمهورية الاسلامية في ايران)، وعبدالقادر زغبة محمد ومحمد عحال وعمالو بوزيان (الجزائر)، وبركاني عيسى (اسبانيا)، ومحمد السواح بن بدر (سوريا)، ومحمد حجازي وياسر محمد علي ووسيم جابر (لبنان)، وربد علي (أميركا)، والأخوة أنصار الثورة الاسلامية (هولندا)، والأخوة في حركة مجد الاسلام المغربية (فرع أوروبا)، وكمال بن محمد (تونس):

● وصلتنا رسائلكم الودية. نشكر مشاعركم الطيبة تجاه منظمة الاعلام الاسلامي، ونحيطكم علماً بأننا بعثنا لكم قسائم الاشتراك. فيرجى أن تبعثوا لنا ببدائل الاشتراك ليتسنى لنا ارسال المجلة اليكم.

■ السادة: عبدالرحمن موسى عبدالله البيضاوي (فرنسا) ومطيع سليمان آدم (غانا) وتوفيق عبدالغني وموسى محمد (نيجيريا) وعبدالله تروري (فولتا العليا):

● أحلنا رسائلكم الى القسم الخاص بتوزيع الكتب في المنظمة للنظر في طلباتكم. يرجى الاستمرار في الكتابة الينا.

■ السيد أبو بكر بن الحاج محمد (الهند):

● لم تكتب لنا العنوان القديم لنحذفه، كما لم تذكر لنا رقم اشتراككم. يرجى الاسراع في ذلك وشكراً.

■ السيد الياس بوبكر (نيجيريا):

● أحلنا رسالتك الى القسم الخاص بالاجابة عن الاسئلة في منظمة الاعلام الاسلامي.

■ السادة: حسين علي ياسري (الجمهورية الاسلامية في ايران)، اسماعيل حريري ومحمد عدنان الشامي (بيروت ــ لبنان):

● وصلتنا بدائل الاشتراك، ويرجى إخبارنا بوصول المجلات اليكم.

■ الأخوة في رابطة الشباب المسلم (انكلترا):

● غيّرنا العنوان حسب طلبكم، وأحلنا رسالتكم الى قسم توزيع الكتب، ويرجى المراسلة والكتابة الينا باستمرار، وتزويدنا بما يصدر عن رابطتكم من مطبوعات.

الاستكبار ... والاحتضار

[illegible]

تُعنى بالفكر الإسلامي المعمّق،

والكلمة الهادفة الصادقة،

وكل مايهمُّ الأمة من رؤىً وسلوك بنّاء.

وتفتح صدرها؛

لكل المفكرين الإسلاميين،

خدمةً لقضية التوحيد الكبرى،

وتركيزاً لخصائص الأمة الاسلامية الواحدة،

ونشراً لأضواء الثورة الاسلامية في كل أرجاء الوجود.

بعيداً عن؛

كل تعصب ذميم،

وتفريق بين المسلمين لاتحمد عقباه،

ولغوٍ من القولِ لا طائل تحته.

التوحيد

مجلـــة

اسلاميـــة ــ فكريـــة ــ جامعـــة

العدد التاسع عشر ــ السنة الرابعة ــ ربيع الأول، ربيع الثاني

١٤٠٦هـ ١٤ تشرين الثاني ١٩٨٥م ــ ١١ كانون الثاني ١٩٨٦م

الثمـــن

■ ايران ١٠٠ ريال ■ لبنان ٤٠٠ قرش ■ سوريا ٤٠٠ قرش ■ الاردن ٤٠٠ فلس ■ الكويت ٤٠٠ فلس ■ عمان ٥٠٠ فلس ■ البحرين ٥٠٠ فلس ■ الامارات ٧ دراهم ■ السعودية ريالات ■ قطر ٨ ريالات ■ مصر ٤٥٠ مليما ■ ليبيا ٥٠٠ درهم ■ السودان ٤٠٠ مليم ■ الجزائر دنانير ■ المغرب ٦ دراهم.

■ وفي باقي دول آسيا وافريقيا وفي اميركا واستراليا واوروبا ٤ دولارات أو مايعادلها.

طريقة الاشتراك

■ تسدد قيمة الاشتراك في بانك ملي شعبه خشايار على رقم الحساب التالي (٩٠٠٢٥) سازمان تبليغات اسلامي ــ مطبوعات خارجي

■ يرجى ارسال الحوالات الى ادارة المجلة.

المراسلات على العنوان التالي:

الجمهورية الاسلامية في ايران ــ طهران

ص.ب (٣١٩٥ ــ ١٥٨١٥)

التوحيد

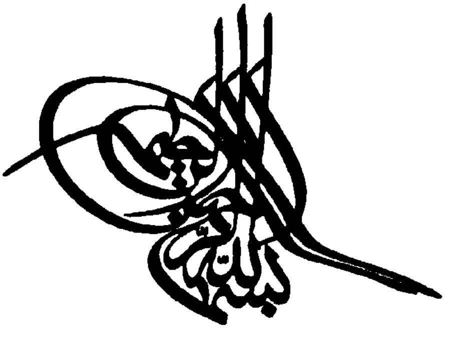
اسلامية ـ فكرية ـ جامعة

العدد التاسع عشر   السنة الر...

محتويات العدد

• تصدرها
معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة
الاعلام الاسلامي

ربيع الأول، ربيع الثاني ١٤٠٦هـ ١٤ تشرين الثاني ١٩٨٥م ـ ١١ كانون الثاني ١٩٨٦م



معالم الكفر البعثي

لايحتاج المرء ذو النظرة الموضوعية الى مزيد من البحث والتعمق لاكتشاف حقيقة الكفر البعثي المتسلط على العراق المسلم اليوم، كما اننا لانستطيع في هذا المقال استقصاء كل جوانب الانحراف البعثي الكافر، فان الحديث في هذا المجال مفصل نقتصر منه على ما يخص الاشارة فقط، وعند استعراض هذه المعالم نجدها متمثلة في موارد كثيرة نصفها في خطوط ثلاثة:

الأول: طبيعة القيادات المؤسسة لهذا الحزب وتاريخها.

الثاني: الأفكار والايديولوجية الحاكمة.

الثالث: السلوك العملي لهذا الحزب.

فلنمر سريعاً بهذه الخطوط لنكتشف بكل وضوح الخطأ البيّن لكل هؤلاء الذين يتصورون ــ عن بساطة ــ إمكان ادخال البعثيين في عداد المسلمين والمؤمنين، و بالتالي لتشملهم آيات الأخوة الاسلامية في القرآن الكريم!!

الخط الأول ــ طبيعة القيادات المؤسسة

وبشكل عام نجد ان كل هذه القيادات بدءاً بميشيل عفلق ومروراً بشبلي العيسمي وانتهاءً بصدام التكريتي ــ وإنْ كنا نربأ أن نصنف صداماً في زمرة المفكرين والمنظرين لضعف مستواه ولأنه مجرد ببغاء تردد مايقال لها لاغير ــ نجدها جميعاً قيادات لا تؤمن بالاسلام أصلاً: إمّا لانتمائها الديني على الظاهر (كميشيل عفلق وهو الارثوذكسي السوري المعادي للاسلام، وشبلي شميل العيسمي النصراني الصليبي المتعصب، وطارق ميخائيل يوحنا عزيز والياس فرح) وإمّا لطبيعة بعدها السلوكي الواضح عن الاسلام كما في شخصية صدام التكريتي (وان كان ينتمي للمسلمين ظاهراً وبالجنسية).

كما ان لمثل هذه القيادات سوابق ارتباط سواء كان ذلك متجلياً بمواصلة الكنيسة أو الولاء الغربي أم في الانتماء للاتجاهات الشيوعية (كما في مثال عفلق نفسه الذي كان في طليعة المبشرين بالماركسية أول أمره ثم هيأه الاستعمار لأدوار جديدة).

ويمكننا أن نكتشف هذه النقاط في شخصية كل منهم وسلوكه وأفكاره، فلا داعي لاطالة الحديث في أمر واضح.

واننا لنتحدى أي صاحب قلم مسؤول أن يظهر لنا شخصية قيادية بعثية واحدة من الانحراف.

الخط الثاني ــ الايديولوجية الحاكمة على التنظيم البعثي.

وقد تجلت هذه الايديولوجية في مظاهر عديدة، نذكر منها النقاط التالية:

١ ــ التشكيك في النسب السماوي للاسلام.

ولعل هذه النقطة تمثل أهم الامور التي استهدفتها العقلية البعثية، وقد استفاضت النصوص في هذا الأمر:

* فهذا عفلق يقول: **لقد أنجز الرسول بعقيدته الفذة قفزة نوعية في التصور الالهي، وقد أعطى مفهوما شموليا للخالق،**

وهكذا تكون العقيدة الاسلامية حصيلة انجاز للرسول، وسعة أفق له بحيث يعطي للخالق مفهوماً شمولياً!!

و يقول أيضاً: **إن حركة الاسلام صورة صادقة لطبيعة النفس العربية**. فالاسلام إذن: حصيلة الطبيعة العربية وليس وحياً إلهياً أوحاه الله لكل البشرية، بعيداً عن التأثر بخصوصية هذا الشعب أو ذاك.

و يقول في موضع آخر:

الاسلام يعبّر عن حركة واعية عند العرب... ولقد أصبح الفرد العربي محمداً آخر...

فالاسلام أيضاً حصيلة تحرك عربي.

• و ينتقد عفلق — في موضع آخر من أفكاره — أوروبا لأنها تقبلت ديناً جاءها من خارج ذاتها وتراثها ولذا لم يلب احتياجاتها، و يطلب منها أن تعود لذاتها وتنسى الدين الغريب الذي لم ينبع من ذاتها.

وهكذا فالدين الصحيح هو الذي يشكل حصيلة روحية الشعب. و يؤكد البعثيون في شتى أدبياتهم على العبارة التالية:

[محمد رسول العرب، والاسلام تراث ثقافي للعرب. وهي تؤدي نفس المضمون].

و يقول صدام التكريتي: «**ان نظرتنا في الحياة والعمل تنهل من روح الاسلام، ونستمد من رسالته المعبرة عن الروح العربية**».

«**فالرسالة الاسلامية كذلك تعبير عن الروح العربية لاغير**».

و يؤكد البعثيون على ان الاسلام يشكل مجرد تراث حضاري للأمة العربية أو شيء يضاف الى جنب التراث.

يقول صدام فيما أملى عليه في محاضرة (نظرة في الدين «التراث»): «**وان من الأمور المركزية في مجتمعنا والمؤثرة في خلقنا وتراثنا وتقاليدنا هو الماضي بكل مايحمل من عوامل الحياة وتقاليدها وقوانينها، وكذلك الدين**».

و يضيف: «**عندما وجدت عقيدتنا جرت صياغتها بالشكل الذي تكون مترشحة فيه عن واقع أمتنا ومتقدمة عليه في نفس الوقت**».

وهكذا يقف الدين مجرد جزء من شخصية الأمة العربية... يضاف الى جوانب التراث الأخرى، الا انه عندما يصل الى العقيدة البعثية فانه يؤدي خدمة لها، ولكنها متقدمة عليه وعلى كل أجزاء واقع الأمة.

و يقول صدام في حديثه لمراسل مجلة «المستقبل» ١٩٧٩/١٠/١٣: «**انا لانكتمك بأنه ليس**

بذهننا أن يجري تصويب السياسات التي تستلهم روح الاسلام من خارج العرب».

إنها اذن نضج عربي وتجلٍ خالص للروح العربية لاغير.

و يزداد الصلف البعثي حينما يقول صدام في كراس: (بالفكر والممارسة والنموذج الحي يتحقق الايمان): «منذ ذلك التاريخ ظهر الاسلام كرسالة سماوية حملها العرب الى الانسانية جمعاء، وكان القرآن المنزل من الله سبحانه وتعالى يحوي عقيدتهم».

ونحن لاندري كيف نحل هذا التناقض؟

فالقرآن من جهة منزل من الله سبحانه وتعالى وهو لايحوي الاّ عقيدة العرب ومحصولهم الذهني اللهم الا أن تكون الذهنية العربية هي الإله لاغير.

٢ ـ التلاعب بالنصوص القرآنية

وتلك سنة المنحرفين المنافقين، فهم يحوطون القرآن بالرعاية ما أستطاعوا أن يبرروا به موقفهم المسبق، فإذا ما تعارضت آية معهم أعلنوا أنها مما لايقبل التطبيق وهو بالضبط معنى جر الحق الى الرأي بدلاً من عطف الرأي على الحق.

يقول صدام في كتاب «الدين والتراث» ص ٤١: «عندما نعود الى تاريخنا العربي الاسلامي العريق والمشرق نجد شواهد وأمثلة على عدم الأخذ بنصوص في القرآن في ظروف معينة وحالات بعينها على عهد الخلفاء الراشدين. أليس هذا دليلاً يرشدنا الى أن الغوص في جوهر القضية الانسانية وجوهر القضية كموقف عادل وصحيح هو المسألة الأساسية بما في ذلك تطبيقات شريعة السماء».

و هذه النقطة هي السر في تأكيد البعثيين في مايكتبون وما ينظرون على النظر الى جوهر الاسلام وعدم الاهتمام بظواهره ذلك ان هذه العبارة إما تتبع ما يجتهد به المجتهدون من فهم الجوهر ـ وهو أمر بعيد المنال في كثير من الأحيان اذ كيف ندرك المناط والمحور الرئيس الجامع في كلام الله تعالى وهو يأخذ بعين الاعتبار مئات الاعتبارات بل آلافها وهو اللطيف الخبير ـ أو أنها تبرر مخالفة الظواهر القرآنية والحكيمة بحجة ان المهم هو الجوهر وهذا الأمر يفتح الباب لإدخال الأفكار الانسانية الضيقة الأفق في الاسلام حتى يمكن أن يخلق الانسجام بين القرآن والكفر بشكل من التواؤم وهو مايقوم به البعثيون بل وأتباع كل المبادئ الباطلة.

وعلى أي حال؛ فترديد البعثيين لعبارة (جوهرالاسلام) هو من أخطرما جاؤوا به ولكن بهذا الاطار الخداع.

لنلاحظ ماكتبه صدام بهذا الصدد: «وحينما يغدو الانسان فيما يتعلق بتطبيق العدالة في الأرض أكثر من السابق فانه مطالب بأن يلاحظ ويحترم جوهر وروح ماتريده السماء في علاقة الانسان بالانسان ودوره في الحياة بوجه عام، وما يريده جوهر وروح أحكام السماء في هذا الموضوع هو إقامة العدالة والمساواة بين الناس ووضع الجهد الانساني في خدمة التطور المستمر للحياة، وهذا مانبادي به حرتنا ويؤمن به حرتنا ويعمل على تطبيقه في تجربته الثورية، متجنباً التورط في التعبير عن هذا الموقف من خلال نظرة سلفية الى الدين واستخدام طرقها التي لابد أن تقود الى التعددية في المواقف والآراء...».

هكذا اذن تؤخذ الروح حسب اجتهاد البعثيين، وتطبق وفق تجربتهم الثورية، ولاداعي للأساليب الفقهية في فهم القرآن وظواهره، ولا داعي للالتزام بأحكام الاسلام وتشريعاته التي امرها الله، رغم انه تعالى قال: «ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون».

ومن هنا بالضبط حاول البعثيون التوفيق بين أفكار البعث الماركسية والصليبية والقومية والوضعية وأفكار الاسلام الحنيف، باعتبار انهما يلتقيان في الجوهر وإنْ اختلفا في المظاهر.

يقول أحد كتابهم (جريدة الجمهورية ٦ شباط ١٩٨٠): «فان نقاط الالتقاء بين البعث كرسالة عربية انسانية وبين الاسلام عديدة: الاسلام ثورة على الظلم والبعث ثورة على الظلم، والاسلام بدأ دينياً للعرب والبعث حزب قومي عربي، وهكذا...».

و يقول صدام: «العقيدة البعثية ليست سحة ولاسحاً دينياً، إنها عقيدة العرب تحمل روح العرب في الاسلام». وقد ردَّد هذا القول اكثر من مرة.

هذا في نفس الوقت الذي يقول فيه بتاريخ ٧٧/٨/١١: «ان عقيدتنا البعثية لا تطابق أي تفكر أو تحليل ديني».

وفجأة نجد التطابق الكامل بين الاسلام والبعث. فيقول صدام في كراس (بالفكر والممارسة والنموذج الحي يتحقق الايمان): «المطلوب أن نجعل كل المجتمع مسلماً عاماً أي بعثياً عاماً، وأن نحافظ على تنظيم قيادي خاص هو تنظيم حزب البعث العربي الاشتراكي».

ومعنى هذا بالضبط هو حذف الظواهر والخصوصيات والتفصيلات الاسلامية والتأكيد كما يعبرون على الجوهر فقط.

ومن هنا فان عقيدة البعث الاشتراكي هي التعبير المطلوب عن الاسلام.

يقول صدام في خطابه في النجف الأشرف: «يقع على عاتق أبناء الأمة العربية مرة أخرى إحياء قيم السماء والتعبير عنها بالعدالة المطلوبة في الأرض عن طريق مبادئ حزب البعث العربي الاشتراكي».

و يتطور الموقف حتى يصل الى مستوى كون العقيدة البعثية حالة متطورة من الرسالات السابقة فيقول عفلق: «فلابد أن تكون الرسالة الحالية أعمق وأعقد وأكبر من جميع الرسالات السابقة». ولا نفهم من هذا الا الكفر بالله وانكار النسب السماوي للاسلام أوتأليه عفلق وأفكاره السخيفة.

٣ ـ فصل الدين عن الحياة

هذه الفكرة في الاصل مسيحية غربية نقلها الاستكبار الينا ليعزل الاسلام عن توجيه الحياة العامة ويحصره في المسجد و يفقده بالتالي روحه المحركة.

ان الاسلام دين الحياة بكاملها. فأية نظرة للنظم الاسلامية والتخطيط الشامل توضح ضرورية هذه الصفة وان منكرها منكر لضرورة اسلامية واضحة فهو في أم الكفر بلاريب. أيصح أن يقال للاسلام انه دين ينفصل عن الحياة وهو يخطط لكل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والجزائية وغيرها بكل دقة؟!

وعلى أي حال؛ فلننظر كيف يعلن البعث الكافر لزوم انعزال الاسلام عن الحياة بعد جعله مجرد تراث تاريخي لا تؤخذ منه الا روحه، وتلك أيضاً طبق اجتهاد البعثيين.

بعد هذا يقول عفلق: «الاسلام عام وخالد، ولكن عموميته لا تعني أنه يتسع في وقت واحد لشتى المعاني والاتجاهات، هو نسبي لزمان ومكان معينين، مطلق المعنى والفعل في حدود هذا الزمان وهذا المكان». وهكذا يكون التناقض؛ الاسلام عام وخالد، وهو نسبي لزمان ومكان معينين.

«فنحن إذن أمة، ولكي لا تبدو هذه الأمة وكأنها خلقت بالاسلام مما يقوي منطق الرجعية الدينية المتخلفة وبما يعني اننا يجب أن نكون حزباً دينياً ونحن لسنا كذلك ولكن طريق تعبير الحياة و سائها الجديد هو طريق حزب البعث العربي الاشتراكي... وهو الصيغة الجديدة للتعبير عن روح الأمة ورسالتها الانسانية».

«واذا كانت مفاهيم و ممارسات التدين قد اعتبرت من قبل بعض الرفاق بديلاً اخلاقياً أو عقائدياً عن حزب البعث العربي الاشتراكي وسبيلاً لحل المسائل الجوهرية في الحياة فلماذا اختاروا حزب البعث العربي الاشتراكي، ولماذا بعد ان قطعوا شوطاً في الحزب يريدون فرضها عليه وإشاعتها فيه من دون أن يكون لذلك أساس في عقيدة الحزب وفي تقاليده»».

و يلخص المؤتمر التاسع لحزب البعث موقفه من المسألة الدينية بقوله: «ان المنهج الصحيح في التعامل مع المسألة الدينية ومع الظاهرة الدينية السياسية(!!) هو ذلك الذي رسم خطوطه المركزية الاساسية الرفيق صدام حسين في كراس (نظرة في الدين والتراث) فهو يقول: لندع الجميع يمارسون طقوسهم الدينية، وشرطنا

الأساس في ذلك هو أن يبتعدوا في ممارساتهم تلك عن التناقض والتصادم مع سياستنا في تعبير وبناء المجتمع وفق اختيارات حزب البعث العربي الاشتراكي، محذرين اياهم من استخدامهم الدين غطاءً للسياسة أو غطاءً للوصول الى حالة من التناقض والتصادم بين الثورة في منهجها واهدافها وبين الممارسات الدينية.

ان المطلوب منا هو أن نكون ضد تسييس الدين من قبل الدولة وفي المجتمع، وأن نعود الى أصل عقيدتنا وأن نعتز بالدين بلا سياسات دينية».

هذا هو المراد: دين لايتدخل في الحياة، يعتز به الناس دون أن يسمح له بتنظيم حياتهم.

٤ ـ الايمان بالقوانين الوضعية البشرية بكل قوة

ومن الطبيعي ان الدين عندما ينفصل عن الحياة، يفسح المجال للقوانين الوضعية البشرية وبالتالي لمحصولات الفكر الانساني في شتى الحقول ليعود الانسان مشرعاً الى جنب الله تعالى.

ومن الطبيعي بعد هذا أن يقول صدام في كتابه: (الدين والتراث، ص ٦٣) مانصه:

«ان حالة الصراع داخل الشعب حول هذه الأمور (يعني الاجتهادات الفقهية المختلفة) تضيع الاتجاه الصحيح لتطبيق العدالة والمساواة في الأرض (وهو ما أسماه المعنيون جوهر الاسلام) دون أن تقدم خدمة لقوانين السماء واحكامها... لأن الشعب مع القوانين الوضعية التي تحقق العدالة والمساواة للانسان وتستخدم طاقته في سبيل التطور».

ولكي يتمهد السبيل لهذه الفكرة يطرح صدام فكرة ان النبي(ص) نفسه كان يعطي من عنده آراء في قبال القرآن فيقول: «وليس أدل على التعقيد الذي سيظهر في الاجتهاد وبطريق ديني من معرفة أن السنة النبوية التي هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تظهر بعد ان انتهت آخر آية بالقرآن وانما وجدت مترافقة مع ظهور الآيات الاولى في القرآن. لماذا يتصرف ويوجه محمد بن عبدالله(ص) وهو قاب قوسين أو أدنى من الوحي، أليس هذا دليلاً مركزياً آخر يقول بأهمية الانسان في الأرض لضمان التطور كما يسعى مع المحافظة على جوهر الرسالات السماوية؟».

وكذلك فكرة دور (الانسان الصالح) الذي يخدم الشعب والأمة في التفسير ويرى ان هذا (الانسان الصالح) هو الذي يستجيب لمنبعين أو لإلهين إذا صح التعبير، هما:

أولاً: ما تريده قوانين السماء (طبعاً جوهرها لا تفصيلاتها).

ثانياً: ماتنادي به الدعوات والحركات التحريرية والثورية على الأرض.

ويضيف: «وبمقدار مايكون دور الانسان في الأرض محققاً السعادة للانسان فانه يستجيب لقوانين

السماء بالاضافة الى استجابته لقوانين الحياة الصحيحة ومبادئها».

و يضيف: «وذلك لأن الجوهر الأساسي لقوانين السماء إنما يرتكز على مبدأين أساسيين: التوحيد ومتطلباته في علاقة الانسان بالسماء، وإقامة العدالة على الأرض في علاقة الانسان بالانسان».

و نزيد في التوضيح أن فكرة اقامة العدالة المطروحة هنا تقف في قبال التوحيد وتستمد من الفكر الانساني.

وهناك فكرة أخرى يثيرها صدام لتأكيد الفكرة السابقة عندما يطرح تساؤلاً مهماً وهو: «قد يقول بعضهم لماذا لانأخذ القرآن الكريم والسنة النبوية ونطبق أحكامها بكل التفاصيل طالما ان اعتزازكم بهما يصل الى هذا الحد؟ والجواب واضح... في تصورنا، وهو ان هذا التصور مستنبط أيضاً من التاريخ. ان الله سبحانه وتعالى لم يأت بدين واحد وكفى...، هل الحكمة الإلهية حاشا وكلى انعدمت فى تعاقب الأديان وان المسألة مجرد حسابات دين بعد دين، ودين أفضل من دين يولد عن مجرى واحد لدين سبقه و يكون متطوراً عنه أم ان المسألة اعمق وأبعد من هذا التصور؟ لذلك فان دور الانسان مهم واجتهاده الواسع في شؤون الحياة وتطويرها لم تلغه الديانات السماوية...». وهكذا يفسح المجال لدين جديد يعلنه صدام في النص التالي:

«ولذلك فان حزب البعث العربي الاشتراكي قال: نحن نستوحي من قيم السماء دروسها المركزية وجوهرها الأساسي(!!) ونترك للشعب فيا عدا ذلك حرية ممارسة الطقوس الدينية».

نعم فيا عدا الطقوس الدينية المنظمة لعلاقات الانسان بالله وهو مايسميه التوحيد يترك الأمر لحزب البعث العربي الاشتراكي ليضع مايشاء من قوانين وضعية يرى انها تحقق العدالة والمساواة. ولكن حتى الطقوس يجب أن ترفض.

يقول صدام: «في الوقت الذي نرفض فيه الالحاد يجب ان لانتحول الى رجال دين في التعامل مع هذا الموضوع ونحول الدولة وأجهزتها باتجاه تأدية الطقوس والمهام الدينية التفصيلية» (الدين والتراث ص١٧).

و يقول في موضع آخر: «هل نبعد في استخدام المسألة الدينية كوسيلة من وسائل الرجعية والأعداء ضد حزبنا عن طريق دعوة الحزبيين الى ممارسة الطقوس الدينية وفق ماهو معروف ومتداول و بطريقة تجعلنا نستدرج الى مواقع الرجعية الدينية وتفرقها الطائفي... أم ان الاسلوب المركزي والصحيح هو إعطاء موقف واضح للمسألة الدينية في جوانبها العملية والنظرية كافة، وان نترك للشعب من حزبيين وغير حزبيين حرية ممارسة الطقوس الدينية الصحيحة وفق اختياراتهم؟».

أما لماذا لانستطيع ارجاع كل مشاكلنا الى الحلول الدينية؟ فان جواب صدام على هذا هو: «إن من غير الممكن أن نحشر معالجاتنا للشؤون الدنيوية للحياة الراهنة حشراً فقهياً دينياً لان مشاكل

المجتمع الحديث الذي نعيش فيه والمطلوب ما معالجها والتعامل معها مختلفة اختلافاً أساسياً عن المشاكل التي واجهتها العصور الاسلامية الأولى...».

و يضيف: «إننا لا نريد أن نحشر عقيدتنا وتحليلاتنا الفكرية والسياسية حشراً دينياً معتمدين على استشهادات وسياسات التحليل الديني، ولكننا أردنا الاشارة الى ذلك من أجل تأكيد أهمية مراعاة تطور الحياة وشروطها، وعلى هذا الاساس فان عقيدتنا البعثية ليست نسخة ولانسخاً لأي تحليل أو منطلق ديني. إنها عقيدة الحياة للعرب وتحمل روح دعوتهم الى الخير والعدل والعطاء والتضحية والتقدم بما في ذلك روح الدعوة الاسلامية ولكن بصيغ جديدة ومن منطلقات جديدة...».

وهكذا تتسلل كل المفاهيم التي تفسح المجال لقيام نظام وضعي كامل لايدع للدين الا مجالاً يمارس فيه من يشاء طقوسه الدينية مع إبعاد الحزبيين قدر المستطاع عنه.

٥ ـ تمجيد الجاهلية وربط الشعب بها

وللبعثيين خطتهم الجهنمية في ربط الشعب العراقي بأساطير وخرافات وانحرافات ماقبل الاسلام وذلك طبق خطة صهيونية عالمية طبقت في شتى بقاع الأرض الاسلامية لربط شعوبها بحضارات ماقبل الاسلام لتحقيق أهداف خبيثة مهمة، منها:

١ ـ تمزيق الأمة تاريخياً، لأن التاريخ الاسلامي الواحد هو من عناصر الوحدة الاسلامية.

٢ ـ إزالة الفواصل العاطفية بين الفكر الاسلامي والروح الاسلامية والأفكار الجاهلية المنحطة، وإيجاد نوع من الانسجام بين الضدين (الاسلامي والجاهلي).

٣ ـ تحويل الولاء العقائدي الى ولاءات محلية تاريخية وطفولية، وشد الأمة بأجدادها القدامى في الجاهلية المشركة وغير ذلك.

وهذا ما يفسر لنا تمجيد «الكسروية» في ايران، والفرعونية في مصر، والفينيقية في أماكن أخرى، والبابلية والآشورية في العراق، وهكذا.

وعلى أي حال فالخطة البعثية شاملة نذكر منها:

أ ـ تمجيد الجاهلية نفسها. يقول صدام: «من الخطأ ان ينظر الى تاريخنا وكأنه كان فارغاً أو مجدباً قبل الاسلام» وهو يتناسى كل الانحرافات التي يتحدث القرآن عنها في المجتمع الجاهلي، مجتمع: الوأد والشرك والتشرذم والقتل حتى انه كان على شفا حفرة من النار.

ب ـ ربط تاريخ العراق والعرب بحوادث ماقبل ألفين وخمسمائة عام وهذا على غرار ربط

الشاه تاريخ الشعب الايراني بكوروش قبل ٢٥٠٠ عام. «والعرب اليوم لايريدون أن تكون قوميتهم دينية، لأن الدين له مجال آخر وليس هو الرابط للأمة بل هو على العكس قد يفرق بين القوم الواحد وقد يورث ــ حتى ولو لم تكن هناك فروق أساسية بين الأديان ــ نظرة متعصبة وغير واقعية... فالأمة العربية اليوم وارثة لتراث حضاري غني وواسع من مصرية وآشورية وبابلية وفينيقية وغير ذلك، ولايعني مطلقاً أن تتنكر لتراث الفراعنة أو نتبرأ منه». (القومية العربية والنظرية القومية... المنهاج الثقافي المركزي، الكتاب الأول، ص:٢٢).

و يقول صدام في (التراث ص٢٨): «فنحن اذن أمة، ولكي لا تندو هذه الأمة وكأنها حلف بالاسلام مما يقوي منطق الرجعية الدينية المتخلفة وبما يعني اننا يجب أن نكون حزباً دينياً ونحن لسنا كذلك فيجب أن ندعم نظريتنا بالتاريخ القديم مؤكدين أن تاريخ الأمة العربية يمتد الى عصور سحيقة في القدم، وان كل الحضارات الأساسية التي نشأت في الوطن العربي إنما هي تعبير عن شخصية أبناء الأمة الذين سعوا من أصل المنبع الواحد».

و يقول في خطابه أمام طلبة يافعين في ٣ تموز ١٩٧٩ م: «وهكذا مرة أخرى يعود التاريخ لحاضر الأمة، ومرة أخرى تعود الروح التي شرعت أعظم القوانين الانسانية في وقتها وفق حدكم حمورابي الى العراق... تعود اليوم روح نبوخذ نصر كذلك فينا في النضال والعمل».

وحبذا لو تأمل هؤلاء الذين تجمعوا في بغداد باسم الاسلام في هذا القول لكتشفوا ايمان القائد المؤمن بالروح العربية المشرعة لأعظم القوانين الانسانية، ليعرفوا أي اجرام أجرموه بحق الأمة الاسلامية، وليدركوا حقيقة ماقلناه من قبل من ان الذي يجري في العراق هو الفتنة بعينها، وهو محاولة إبعاد الشعب المسلم عن التصور الاسلامي الصحيح.

و يعمل البعثيون على ارجاع الصراع الى التضاد بين الشعبين الايراني والعراقي بما يرجع الى عصر السومريين. فيقول هاني وهيب في كتابه (قادسية صدام وروح النصر):

«فان الصراع العربي الفارسي صراع قديم قدم التاريخ، فاننا نستطيع أن نحدد نقطة نبدأ منها للاطلاع على هذا التاريخ، والتي تبدأ منذ عصر السومريين في العراق، وحاولوا النيل منها والتصدي للدولة العراقية الموحدة التي أقامها سرجون الأكدي» .

ج ــ تغيير أسماء المدن العراقية بما يتفق وهذه السياسة، وهذا مانشهده في تغيير اسم الحلة الى (بابل)، والموصل الى (نينوى) والناصرية الى (ذي قار) وأمثال ذلك....

د ــ اتباع سياسة تربوية وثقافية عامة سواء في المطبوعات العامة أو الكتب الدراسية لتركيز هذه المعاني الجاهلية. الى غير ذلك من الخطوات الأخرى كإحياء الحفلات باسم بابل وسومر.

تقول إحدى الصحف البغدادية: «ملكات آشور وبابل كُنّ على موعد لتقديم عرض الأزياء الأول لعام ١٩٨٠ في الكويت الصديق، وجاء اللقاء رائعاً في فندق الهيلتون، حيث قدمت عارضات الأزياء العراقيات على أنغام الموسيقى ثلاثة عروض انتزعت إعجاب الأشقاء الكويتيين الذين ظلوا مبهورين طويلاً بالجمال والأناقة البابلية لدرجة انهم طالبوا بتمديد العروض».

ومنها أيضاً العمل على إحياء تلك المناطق القديمة كإحياء بابل القديمة، اذ تنشر عنها جريدة الجمهورية (العراقية) خبراً تحت عنوان (حورابي يعود منتصراً في مدينة الابراج العملاقة) وغير ذلك.

٦ ــ ترويج الأفكار المعادية للاسلام

ولسنا بحاجة لتوضيح موقف النظام البعثي في العراق من هذه النقطة بعد تصريحه العلني بأنه يعتمد الأفكار الماركسية والقومية والعلمانية وغيرها. الأمر الذي يغنينا عن الشرح المفصل.

الخط الثالث ــ المواقف العملية ضد كل ماهو ديني

وهنا أيضاً يستطيع المرء أن يستعرض الخطوات الاجرامية الدقيقة التي نفذها هذا النظام لإسكات صوت الدين في العراق، وقد آل الأمر فيه الى القضاء على كل صوت وحركة دينية لا تنفذ مايريده البعث منها، وربط القلة الموجودين باسم الدين رسمياً بالنظام وتحويلهم الى آلات طيعة له الأمر الذي شوهدت نتائجه في مؤتمر العار ببغداد حيث كان التخلف عن حضور المؤتمر يعني الاعدام بلاريب، كما أدى التخلف عن سابقه الى اعدام ستة من العلماء والأساتذة من آل الحكيم أولاً، ثم اعدام عشرة منهم دون رحمة أو سفقة.

وعلى أي حال؛ فقد شملت الخطة البعثية للقضاء على المظاهر الدينية الموارد الكثيرة نذكر منها:

أ ــ القضاء على العلماء والمفكرين والمبلغين والدعاة الاسلاميين الذين يعملون على نشر الاسلام وذلك باعدامهم كما حدث للمئات من العلماء وعلى رأسهم شهيد الأمة الاسلامية ومفكرها آية الله السيد محمد باقر الصدر، أو تشريدهم كما حدث لعشرات المئات منهم حيث هربوا الى الخارج، أو اعتقالهم حيث الكثيرون منهم يئنون تحت وطأة القيود في سجونهم، أو اخراجهم من دينهم ليتركوا أي علاقة بالتربية الدينية. والحديث هنا واسع لايسعه هذا المختصر.

ب ــ تشكيل مجموعة وشبكة من الجواسيس بشكل علماء دين ليقوموا من جهة باضعاف ثقة الشعب بالاسلام وعلمائه، ومراقبة كل التحركات الدينية من جهة أخرى، وبالتالي توفير الغطاء الديني المطلوب لتحقيق التظاهر بالاسلام.

جـ ــ القضاء على الجامعات العلمية التي خَرَّجَتْ آلاف العلماء في العراق، ومنها جامعة النجف الأشرف العريقة، وجامعة كربلاء المقدسة، والجامعات الأخرى في شتى المدن.

د ــ القضاء على مظاهر التدين الشعبي الحماسية كالمواكب الكبيرة، والمجالس الواسعة، والتظاهرات الدينية التي تحفل بها المناسبات، أو افراغها من محتواها الديني الفاعل وابقاء صورها التخديرية.

هـ ــ ملء الكتب المدرسية بالأفكار الالحادية، والقومية، والعفلقية، وتربية جيل بعيد عن الارتباط بأصول الدين.

يقول صدام في كتاب (الديمقراطية مصدر قوة للفرد والمجتمع): «ولذلك ومن أجل أن لاندع **الأب والأم هما اللذان يسيطران على البيت يجب أن نجعل الصغير يشع في البيت، لأن بعض الآباء قد أفلتوا منا لاسباب وعوامل كثيرة ولكن الابن الصغير مازال بين أيدينا... عليكم بتطويق الكبار عن طريق أبنائهم بالاضافة الى الروافد والوسائل الأخرى، علموا الطالب والتلميذ أن يعترض على والديه...».**

و ــ القيام بحملة تثقيفية ملحدة عبر وسائل الاعلام كلها. ومن يطالع الصحف العراقية يدرك سعة هذه الحملة المغرضة ضد الاسلام، وكذلك فسح المجال للكتب الماركسية والقومية والعلمانية لتفتك بعقائد الناس مع خنق أي مطبوعة اسلامية تحمل الوعي.

ز ــ العمل على نشر الفاحشة والفساد الأخلاقي بشكل فظيع وواسع. وهذا الأمر يشمل الفرق الراقصة التي تشكل رسمياً ولا تقتصر على العراق وحده، والأفلام الخليعة التي تزخر بها دور السينما والوسائل السمعية والبصرية والتلفزة العراقية، والأغاني الجنسية المنحطة التي تنتشر فلا تضاهيها الا الأغاني التي تنشر عبادة الشخصية الصدامية بين أفراد الشعب.

كما يشمل برامج نشر السفور بين أبناء الشعب ومحاربة الحجاب بشتى الوسائل والسبل.

يقول صدام في كراس (الديمقراطية) ص ٢٢: «**فأول امرأة عراقية رفضت الحجاب كانت أول ضحية من أجل النساء**».

ويمعن البعثيون في اعتدائهم على المقاييس الأخلاقية بطرح فكرة «النسبية في الأخلاق» وعدم وجود قيم مطلقة لها. وهذه الفكرة في الحقيقة تعني القضاء المبرم على كل ماهو خلقي، وفسح المجال لأي مجرم كي يبرر جريمته.

يقول صدام في كتاب (التراث...): «**إذن؛ فان مقاييس الشرف والشهامة وعموم التقاليد والقيم الاجتماعية الأخرى هي مقاييس موضوعية متطورة، وهي عندما تبدو مطلقة ضمن صيغ التطور في كل مرحلة من**

المراحل المتعاقبة فانها نسبية في حسابات النظرة الشمولية للحياة في حركتنا العامة المجردة».

ط ـــ هذا وان نفس الهجوم الغادر على أراضي الجمهورية الاسلامية والتخطيط لوأد الثورة المباركة في مهدها يشكل دليلاً عملياً على كفر الطغمة البعثية وعمالتها للاستكبار العالمي.

والحقيقة ان الخطط البعثية في هذا المجال كثيرة لاتحصر بهذا المختصر وكلها أدلة دامغة على خروج البعثيين من جو الآيات القرآنية الشريفة الداعية الى الاصلاح بين المؤمنين خروجاً قطعياً كان الأحرى بكل من له ذرة من علم أو أثارة من دين أن لايقع في الخلط فيتصور شمول الآية لهذا المورد.

ولاننسى الفتاوى التي أصدرها العلماء في كفر صدام ومنهم المرحوم العلامة الشهيد عبدالعزيز البدري ـــ إمام أهل السنة ببغداد ـــ والمرحوم الامام الحكيم والمرحوم الشهيد الامام الصدر، وأخيراً فتوى امام الأمة الخميني الكبير في كفر صدام فانها دليل قاطع على ذلك بلاريب.

وأخيراً نود أن يعيد المنصفون من جديد قراءة النص التالي المستل من التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع (حزيران ١٩٨٢) لحزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، ليكتشفوا بالدقة أية مسؤولية عليهم أمام دينهم ورسالتهم، وأي وجه بشع يخفيه البعثيون خلف وجههم العلني. لنقرأ معاً هذا النص بامعان:

«ان بعض الحزبيين صاروا يمارسون الطقوس الدينية بصورة مظهرية، وشيئاً فشيئاً صارت المفاهيم الدينية تغلب على المفاهيم الحزبية عند معالجتهم للقضايا الأساسية في الفكر والتطبيق في شتى النواحي التي يواجهها الحزب في عملية التغيير الثوري الشاملة.

وصارت ظاهرة التدين، تنتشر شيئاً فشيئاً وبصورة مفتعلة في ممارساتها وفي صيرورتها في بعض الاوساط الحزبية بدافع تقليد الحزبيين الأعلى في المرتبة الحزبية. والظن بأن هذا الاتجاه مطلوب من القيادة وانسياقاً، أيضاً، مع الظواهر التي كانت تظهر في بعض الأوساط بنسبة معينة.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل صار بعض الرفاق يضعون مسألة ممارسة الطقوس الدينية كمعايير للتقييم الحزبي.

ان هذا السلوك قد خلق حالات ضارة انعكست بصورة غير مباشرة على الظاهرة الدينية ـــ السياسية في القطر.

ان انتشار هذه الممارسات بنسبة معينة خلق حالة من البلبلة في صفوف الحزب، ونشأ جدل بين الحزبيين حولها، وصار بعضهم في حالة من الحيرة ازاء هذه المسألة. هل على الحزبي لكي يكون بعثياً جيداً أن يمارس الطقوس الدينية بصورة مفتعلة؟ أم أن ذلك ليس من شروط التكوين الجيد للحزبي؟ وغير ذلك من الأسئلة، كما أوجدت

هذه الممارسات الدينية ارضاءً لمسؤوليهم الذين يقومون بها و يطلبوها من رفاقهم، ومن أجل الصعود في الحزب والدولة.

ان هذه الحالة قد جعلت الحزب في وضع لايتنبه فيه بالدقة المطلوبة لنمو الظاهرة الدينية ــ السياسية، ولتأشير مسافة العداء بينها و بينه.

فعندما يكون الحزبيون في حالة من البلبلة الفكرية والسلوكية ازاء المسألة الدينية، وازاء الممارسات الدينية فان يقظتهم ازاء محاولات استغلال الممارسات الدينية سواء كانت عادية أو منحرفة باتجاه سياسي معاد للحزب والثورة تكون ضعيفة، مما افسح المجال لنمو الظاهرة الدينية ــ السياسية بدون يقظة كافية من قبل الحزب.

كما ان شيوع الممارسات الدينية المفتعلة لدى بعض الحزبيين، ونزول هذه الظاهرة الى مستوى الأنصار والمؤيدين، قد خلقا حالة من التداخل النسبي بين قاعدة الحزب و بين قاعدة الاحزاب الدينية ــ السياسية، فهذا الفرد وذاك يمارسان الممارسات الدينية في وقت واحد، وأحياناً في أمكنة واحدة، فتتقارب مفاهيمها ازاء بعض المسائل والقضايا الفكرية والاجتماعية والنفسية، وقد أسهمت هذه الحالة في إضعاف يقظة الحزب ازاء نمو الظاهرة الدينية ــ السياسية والمعادية في البلاد، لأن قاعدة الحزب تشكل عيناً أساسية له في رصد التحركات المعادية للثورة.

ان الممارسات الدينية لابد وأن تأخذ شكلاً مذهبياً معيناً من خلال أساليب الممارسات المختلفة من مذهب الى آخر والتردد على المراكز الدينية لهذه الطائفة أو تلك، ولابد أن تأخذ طابعاً طائفياً عندما تكون مفتعلة ولا تكون كحالة اعتيادية في صلة الانسان بربه.

ان هذا السلوك يؤدي شيئاً فشيئاً الى التمايز بين الحزبيين على أساس طائفي في الوقت الذي شكل الحزب وعاء موحداً لكل المنتسبين له بصرف النظر عن منشئهم الدينية والمذهبية، وهذه ظاهرة خطيرة جداً تمس جوهر العلاقة الحزبية وتؤدي الى زرع الانقسامات اللاموضوعية في الحزب.

كما أن مراقبة الجماهير لتصرفات الحزبيين بهذا الاتجاه تؤدي هي الاخرى الى اذكاء المشاعر والانتماءات والانقسامات المذهبية التي يحاول الحزب والثورة احتواءها في الاطار الوطني والقومي الموحد للشعب.

قبل قيام الثورة في ايران، وقبل بروز الظاهرة الدينية ــ السياسية كخطر سياسي ذي شأن بعدة سنوات، نبه الرفيق صدام حسين الى الأخطاء التي يرتكبها الحزبيون ازاء المسألة الدينية والظاهرة الدينية ــ السياسية والتي سبقت الاشارة اليها. كما حذر من ان استمرار ممارسة هذه الأخطاء سيغذي هذه الظاهرة، و يشجع الانقسامات المذهبية في صفوف الشعب و يضعف الحزب والثورة.

وقد تكررت تحذيرات الرفيق صدام حسين في مناسبات عديدة. وقالها في القيادة، وفي اجتماعات الكادر،

كما نشر له حديث مركز خاص بهذه المسألة بعنوان «نظرة في الدين والتراث» ومن الضروري هنا تسجيل أسف القيادة لأن هذه التحذيرات لم تؤخذ بالجدية المطلوبة من قبل الرفاق الذين كانوا يمارسون هذه الأخطاء واستمروا في ممارساتهم تلك بعدها لفترة طويلة حتى وقت متأخر عندما شددت القيادة على مواجهة هذه الممارسات الخاطئة فقلّ نسبياً.

إننا في هذا المؤتمر مطالبون باتخاذ موقف مبدئي متكامل ونهائي من هذه المسألة لكي يخرج الحزب بموقف موحد في النظرة وفي السلوك.

وقبل ذلك علينا أن نتساءل: اذا كانت مفاهيم وممارسات التدين قد اعتبرت من قبل بعض الرفاق بديلاً أخلاقياً أو عقائدياً عن حزب البعث العربي الاشتراكي وسبيلاً لحل المسائل الجوهرية في الحياة، فلماذا اختاروا حزب البعث العربي الاشتراكي؟!

ان الاتجاهات الدينية، والاتجاهات الدينية ـ السياسية كانت موجودة منذ زمن طويل، وهي ليست اكتشافاً حديثاً، فلماذا لم يختر أولئك الرفاق تلك الاتجاهات كطريق لهم في تعبير الحياة وبناء مثلها ورسم أهدافها؟!

ولماذا، بعد أن قطعوا شوطاً طويلاً في الحزب، يريدون فرضها عليه أو اشاعتها فيه من دون أن يكون لذلك أساس في عقيدة الحزب، وفي تقاليده، ومن دون أن تقر هذه المفاهيم والممارسات من قيادة حزبية مسؤولة، أو من مؤتمر حزبي مسؤول؟!

وليس فيما يتعلق بهذه الظاهرة فقط، وانما يجب أن نضع نصب أعيننا مسألة جوهرية بالنسبة للحزب لا يجوز التسامح فيها في المستقبل على الاطلاق. تلك هي انه ليس من حق أي عضو في القيادة أو في أي مرتبة من مراتب الحزب، كما ليس من حق أي مجموعة في الحزب أن تنشر في صفوف الحزب أو تفرض على اعضائه مفاهيم أو مقاييس أو معايير جديدة للتقييم ليست مقرة من مؤتمرات الحزب ومن قياداته العليا ولم يجر التوصل اليها من خلال المناقشة الديمقراطية.

ان المنهج الصحيح في التعامل مع المسألة الدينية، ومع الظاهرة الدينية ـ السياسية هو ذلك الذي رسم خطوطه المركزية الاساسية الرفيق صدام حسين في كراس (نظرة في الدين والتراث).

فهو يقول: ـ «عندما نتحدث عن الدين والتراث باعتزاز يجب أن نفهم ان فلسفتنا ليست التراث ولا الدين بحد ذاتيهما ان فلسفتنا، ما تعبر عنها منطلقاتنا الفكرية وسياستنا المتصلة بها، وان من الامور المركزية في مجتمعنا والمؤثرة في حلقتنا وتراثنا وتقاليدنا هو الماضي بكل ما يحمل من عوامل الحياة وتقاليدها، وقوانينها، وكذلك الدين، ولكن عقيدتنا ليست حصيلة كل ما يحمله الماضي والدين، وانما هي نظرة شمولية متطورة للحياة، وحل شمولي لاختناقاتها وعقدها لدفعها الى امام على طريق التطور الثوري» ●



١٩

إحساساً بضرورة وجود تفسير للقرآن الكريم، يحمل عناصر الايجاز والعمق والوضوح، بالاضافة الى طرح البعد الاجتماعي للمفاهيم القرآنية، فقد قام كل من الشيخ محمدعلي التسخيري والشيخ محمد سعيد النعماني بهذه المهمة التي نسأل الله تعالى التوفيق لاكمالها.

وينبغي للقراء الأعزة ان يلاحظوا انه روعيت في هذا التفسير العناصر التالية:

١ ـ الايجاز الى الحد الممكن مما يجعل كل صفحة من القرآن الكريم تقابلها صفحتان من التفسير تقريباً.

٢ ـ طرح الأبعاد المختلفة للمدلول القرآني ومنها البعد الاجتماعي الاصيل.

٣ ـ طرح التفسير وفق مختلف الآراء مهما امكن مع التركيز على المروي عن اهل البيت(ع).

ـالقسم التاسع عشرـ

من الآية (١٧١) من سورة النساء
الى الآية (١٧) من سورة المائدة

صورة العقائدية الأصيلة للتوحيد، يتجه القرآن هنا الى النصارى، مصححاً ما تسرب الى عقائدهم من انحرافات وثنية، جعلوا عيسى ابناً لله ـــ سبحانه ـــ وما ذلك إلا غلو وتجاوز لحدود المنطق الصحيح والتدين الفطري الأصيل، وتقول على الله جل وعلا، وربما تترك هذا المفهوم أثره على المسلمين انفسهم بأن يقعوا في ماوقع فيه من قبلهم من الغلو في الدين.

إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ....: المسيح هوالمبارك الذي أنعم الله عليه، وهو كأي انسان آخر ولدته أمه وهي مريم ـــ التي ذكر اسمها لرفع أية شبهة ـــ كما انه رسول الله، مثله كمثل باقي الرسل الذين أنعم الله عليهم بالرسالة التي تعبد الناس جميعاً لله. وقد خصّه الله بأن جعله كلمة تكوينية من (كن) ألقيت الى مريم الطاهرة وهذه الكلمة التكوينية كانت امراً إلهياً وروحاً منه «قل الروح من أمر ربي» وقد تمثلت في هذا الانسان الرسول.

فَـآمِنُوا........: فيجب الايمان الحقيقي بالله تعالى الذي ليس كمثله شيء ورسله جميعاً والانتهاء من عقيدة (التثليث) وهي مما ادخلته الوثنية في النصرانية فاعتقدوا بالأقانيم الثلاثة (الأب،الإبن، روح القدس) وهي عقيدة تتنافى مع التصور الفطري السليم الأمر الذي اضطر النصارى لتوجيهها بتوجيهات واهية

ٱنتَهُوا........: ان من الخير للانسان أن يرجع الى مقتضيات الفطرة والعقل السليم فيبني على أساسها تصوراته عن الكون و يستمد من عقيدة التوحيد سلوكه الحياتي.

إِنَّمَا ٱللَّهُ........: فالفطرة الانسانية لن تستريح الا الى الوجود الحق المطلق ـــ وهو الواحد الذي لاشريك له ـــ، والكون الواحد المنظم الدقيق، والرسل جميعاً يشهدون بوحدانية الله تعالى.

سُبْحَانَهُ........: والله تعالى منزّه عن أن يكون له ولد، إذ الولد على أي حال يشابه الوالد في ذاته، في حين ان كل ما في السماوات والأرض مملوك ومحتاج في ذاته لله تعالى، بل ان الفهم الانساني السليم يؤكد احتياج كل ماسوى الله له تعالى وقيامه به وكفى بالله وكيلاً وقيماً على الكون كله، ومع هذا فما أسخف ادعاء الولدية لله مهما كان توجيهه وتصويره.

لَن يَسْتَنكِفَ........: ان المسيح ، الذي ادعت بنوته النصارى، والملائكة الذين ادعى المشركون لهم نظير ذلك ، موجودات مقربة مباركة تعبد الله تعالى ولا تأنف ولا تتكبر في ذلك، فطريق العبودية لله هي طريق التكامل والتقرب من الحقيقة الكونية الكبرى. وسيحشر الله تعالى العباد جميعاً اليه فيحاسبهم على مواقفهم، فأما المؤمنون العاملون للصالحات فيوفيهم فلهم العذاب الأليم ولن ينصرهم من دون الله ولي أو نصير.

يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ........: إنه القرآن العظيم، كتاب البرهان المنطقي الفطري المتين والعلامة الساطعة من رب الخلق، والنور المبين الهادي الى الحق يهدي المؤمنين المعتصمين به الى الرحمة والرضوان الإلهيين، وهو الصراط المستقيم الى السعادة الحقيقية للانسان، بعيداً عن أضاليل أهل الكتاب والمشركين.

يَسْتَفْتُونَكَ........: الكلالة هي القرابة، والمراد بها هنا ـــ كما تفسره الروايات ـــ الاخوة من الأبوين (الأشقاء) أو من الأب (وإذا وجد الأشقاء لم يرث الاخوة من الأب و يقومون مقامهم إذا عدموا) فاذا توفي شخص ولم يكن له ولد أو والد (أي لم يكن هناك فرد من الطبقة الأولى) وكانت له اخت فلها نصف ما ترك أخوها، و يعود الباقي اليها بالرد ـــ عند الإمامية، والى العصبة عند أهل السنة.

ولو انعكس الأمر فكان الميت أنثى لا ولد لها ولا والد فيرثها أخوها كاملاً بالفرض، فلو كان الوارث أختين فلهما الثلثان فرضاً والباقي يعود اليهما بالرد، أما لو كان الورثة أخوة ـــ رجالاً ونساء ـــ فيقسم الارث بينهم على القاعدة: للذكر مثل حظ الانثيين.

يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟
عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ
ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ
وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَّن يَسْتَنكِفَ
ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ
وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ
إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤)
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ
فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا (١٧٥)

وهناك فروع وتفصيلات أخرى تفهم من الآية أو يستدل عليها من السنة. وتختتم الآية ببيان الحقيقة العامة وهي ان الشريعة وأحكامها جاءت لهداية البشرية الى النظام الأصلح، إذ تقوم على أساس علم إلهي واسع بكل حاجات الانسان وأساليب اشباعها إشباعاً عادلاً حكيماً.

يا أيها آلذِينَ آمَنُوا......: نقل اتفاق الرواة على أن سورة المائدة كانت آخر سورة مفصلة نزلت على رسول الله (ص) في أواخر حياته، فهي ناسخة غير منسوخة، والملاحظ انها ـ عموماً ـ تدعو المسلمين جميعاً لحفظ المواثيق والوفاء بالعهد كصفة انسانية خلقية يقوم على أساسها النظام الصحيح، ويمتد العهد والميثاق من المواثيق الفطرية الى المواثيق الاعتبارية ليشكل الوفاء به صفة من صفات هذه الأمة المسلمة. والعقد هو شد أحد الشيئين بالآخر شداً يصعب انفصاله، وقد أطلق على المقاولات الاعتبارية تشبيهاً لها بالأمور التكوينية.

فاذا استجمع العقد شروطه، ولم يخالف أي تحديد شرعي وجب الوفاء به حتى ولو كان بالتالي يخالف مصلحة أحد الطرفين، وفي هذا المعنى تتجلى أخلاقية الاسلام في عهوده ودمه خصوصاً بعد أن نقارنها بمتدعيات أهل الكتاب ومانراه من دول الاستكبار القائمة اليوم من تحايل ومخاتلة ونقض للعهود والمواثيق الانسانية.

أحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ......: والأحكام الالهية عقود التزم بها المؤمنون لربهم، وعليهم الوفاء بها بتطبيقها على كل شؤون الحياة. ومن هنا يأتي هذا البيان لبعض الأحكام.

فبهيمة الأنعام حلال أكلها للمسلمين وهي الأزواج الثمانية من (الإبل والبقر والضأن والماعز) مع وجود استثناءات ستأتي فيما يأتي اليها أشار القرآن بقوله «إلاّ مايتلى عليكم». ومن الاستثناءات حرمة هذه المحللات إذا تمّ اصطياد الوحشي منها في حال الاحرام، والله تعالى يحكم ما يريد هداية للانسانية الى السبيل الصحيح.

يا أيُّها آلّذينَ آمنُوا لا تُحِلُّوا.....: شعائر الله هي علاماته الواضحة التي تتميز بها الشريعة الالهية عن غيرها فيجب احترامها، **والشهر الحرام** هو ماحرّمه الله من شهور السنة القمرية وهي (المحرم ورجب وذوالقعدة وذوالحجة). و**(الهدي)** هو مايساق للحج من النعم والبقر والابل. و**(القلائد)** جمع قلادة وهي مايقلد به الهدي في عنقه من علامات تشعر بأنه هدي. والمقصود من **«آمين البيت الحرام»** أولئك القاصدون له الذين يبتغون الفضل من ربهم حجاً أو تجارة.

فيجب اذن تعظيم شعائر الله وعدم القتال في الأشهر الحرم، وعدم التعرض للهدي وإنما يترك لينحر يوم النحر، وتأمين القاصدين لبيت الله الحرام. وهكذا يوفّر الاسلام للأمة المسلمة أجواء من الشريعة الواضحة المعالم والزمان والمكان الآمن لتسترجع فيها ذاتها وتدرس مشاكلها وتسير نحو علائها.

وَإذا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا.....: وهذا الأمر للإباحة، لأنه أتى بعد المنع فيفيد السماح بالصيد بعد الاحلال من الإحرام، وإن كانت حرمة الصيد في حدود الحرم باقية.

وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ......: صورة خلقية رائعة يقدمها الاسلام هنا، فمن الطبيعي أن يحمل المسلمون العداء (الشنآن) لأولئك الذين (صدوهم) ومنعوهم من زيارة البيت الحرام في صلح الحديبية مثلاً، إلا أن هذا الغضب يجب أن لا يحملهم (يجرمنكم) على الاعتداء عليهم والانتقام منهم عند السلطة والقدرة.

وبدلاً من ذلك يقودهم نحو التعاون على عمل الخير (البر) والتقوى والتكامل مع سد أي تعاون على الانحراف والاعتداء بأية حجة تم هذا التعاون المنحرف، تعصباً لقومية، أو قبيلة أو الى ذلك، فليس ذلك من صفة هذه الأمة القائمة على الأسس الأخلاقية النبيلة. ثم أعطي الإطار العام لكل الأوامر الاسلامية وهو التقوى لتأكيد حقيقة العمل الدقيق بتعاليم الله وهو شديد العقاب.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ
لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا
إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ
وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ
الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ
وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ
الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ.....: بيان لبعض الأمور المحرم أكلها في الاسلام والتي أشير اليها بعبارة (إلا مايتلى عليكم). والملاحظ تأكيد القرآن على ان ماحرم إنما هو لما فيه من مفسدة بقرينة قوله تعالى هنا «ذلكم فسق» أي خروج عن المسيرة الطبيعية الفطرية للانسان، وكذلك قوله تعالى في مكان آخر معللاً بأنه رجس، والرجس من عمل الشيطان. وأوضح منه قوله تعالى: «إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم». وعلى أي؛ فالمحرمات المذكورة هي: الميتة: وهي الحيوان الذي لم يمت على الطريقة الشرعية في الذبح.

والدم ولحم الخنزير، وما ذبح لغير الله، والمنخنقة (أي البهيمة التي تموت بالخنق)، والموقوذة (التي تضرب حتى تموت)، والمتردية (أي التي سقطت من مكان عال فماتت) والنطيحة (التي نطحها حيوان فماتت) وما أكل السبع (أي التي افترسها حيوان مفترس كالأسد).

واستثنت الآية ما ذُكّي منها على الطريقة الشرعية اثناء حياتها.

ومن المحرمات «ماذبح على النصب» وهي الحيوانات التي كانت تذبح للحجارة التي كان الوثنيون يقدسونها ومنها (الاستقسام) أي اقتسام لحم الحيوان أثناء المقامرة.

اَلْيَوْمَ يَئِسَ.... ديناً: هذا المقطع القرآني يشكل وحدة قرآنية كاملة ويعبّر عن حقيقة ضخمة تمت في آخر أيام النبي(ص) فكمل بها الدين ويئس لها الكفار. ولاريب أنها حادثة ضخمة لا تنسجم ومجرد اعطاء آيات التحريم أو مجرد فتح مكة أو ما الى ذلك، وإنما تنسجم تمام الانسجام مع التفسير القائل بنزولها بعد رجوع الرسول(ص) من حجة الوداع ووقوف الناس في مكان يدعى غدير خم (بين مكة والمدينة) في الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة الشريفة حين أعلن الرسول العظيم(ص) علياً ولياً للأمة فقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله». وهكذا تم اكمال الدين واتمام النعمة عبر تعيين الإمامة والقيادة بعد ختم النبوة وانقطاع الوحي، لئلا تواجه الأمة الفراغ الهائل بعد موت النبي (ص). وبذلك ضمن استمرار القيادة الدينية والتربية الالهية، فلا خوف من انقطاعها وليبأس الكافرون المتربصون بالاسلام والمنتظرون لانقطاع القيادة بموت الرسول العظيم. وعلى هذا دلت الأحاديث المروية بطرق مختلفة من السنة والشيعة وهي تنسجم مع حديث الغدير المتواتر المروي عن جم غفير من الصحابة. وقد اعترف بتواتره جمع كثير من العلماء. وبهذه الآية أعلن كمال الدين وقدرته التامة على تسيير دفة الحياة الانسانية كلها فلا حاجة للتطفل التشريعي على موائد الكفر.

فَمَنِ اضْطُرَّ.......: وانطلاقاً من سماحة يسر الاسلام للمضطر المسلم بمجاعة (مخمصة) غير مختار (متجانف) لإثم ومعارف للحرام أن يأكل من هذه المحرمات بما يرفع هذا الاضطرار.

يَسْأَلُونَكَ......: وكما أكدت الآيات السابقة على أن المحرمات إنما حرمت لأنها فسق، فإنّ هذه الآية تؤكد ان الأمور المحللة إنما كانت كذلك لكونها من الطيبات، وكأنّ الآية ترجع الانسان الى فطرته وذوقه الطبيعي لتشعره بهذا المعنى.

وماعَلَّمْتُم...: قيل ان هذه العبارة معطوفة على الطيبات، فتعني انه حلّ لكم صيد ما علمتم من الجوارح، وقيل ان (ما) شرطية، جوابها: «فكلوا مما امسكن عليه»

والجوارح جمع جارحة وهي التي تصيد من الطير والسباع والمقصود هنا الكلاب، والتكليب: تعليمها وتدريبها، فالكلاب المعلَّمة اذا اصطادت شيئاً من الوحش لصاحبها وقد تسمى عليه باسم الله فصيده فذلك له تذكية ولحمه حلال. على أن يتم ذلك في اطار من التقوى الالهية بلا اسراف أو تبذير في ثروة الحيوانية كما يشعر بذلك قوله «واتقوا الله».

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

الـيَوْمَ أُحِلَّ........: بيان للمنّ الالهية بإحلال الطيبات وكـذلك إحلال طعام أهل الكتاب، فلا مانع من أن يطعموا منهم أو يطعم أهل الكتاب من طعام المسلمين، وفسر الطعام بالبر أو غير ذلك، إلا انه لايشمل مايتطلب التذكية من طعامهم فانه محرم ــ وفق الآيات السابقة ــ لعدم استيفائه لشروط التذكية، اذ هو رجس وفسق فلايدخل في عداد الطيبات.

وَٱلْمُحْصَنَاتُ....: منة أخرى على المسلمين بالسماح لهم بالزواج من المسلمات العفيفات (المحصنات)، وكذلك العفيفات من أهل الكتاب شريطة أن يكون النكاح بالاسلوب الشرعي ومنه ايتاء المهر والاجر، متجنباً طريق السفاح والزنى المحرم، والمصادقة الحرام (المخادنة).

ومن يكفر بالايمان......: والمسلم الذي لم يعمل بمقتضيات ايمانه بالاسلام من لزوم تطبيق تعاليمه هو ــ في الواقع ــ كافر بايمانه، وخصوصاً اذا استمر على العصيان مما يؤدي به الى حبط عمله فلا يعود له أثر في حياته وهو في الآخرة من الخاسرين.

فعليه اذن العمل بالاسلام وعدم الانغماس في العصيان.

يا أيُّها ٱلَّـذِينَ آمَنُوا إذا...: هذه الآية تتضمن حكم الطهارات الثلاث (الوضوء وغسل الجنابة والتيمم). فأما الوضوء فيتم بغسل الوجه ــ أولاً ــ وقد حددته الروايات بأنه مابين قصاص الشعر من الناصية وآخر الذقن طولاً وما دارت عليه الابهام والوسطى عرضاً، ثم غسل اليدين ــ ثانياً ــ الى مرفقيها. وقد عينت الروايات عن أهل البيت(ع) اتجاه الغسل من أعلى اليد الى الأصابع، وهو الحالة الطبيعية المتعارفة في غسل اليد، وقد نقل صاحب (مجمع البيان) ان الأمة أجمعت على صحة وضوء من بدأ بالغسل بالمرافق وانتهى الى أطراف الاصابع مما يعين ما قلناه من أن المراد بقوله «الى المرافق» هو تحديد للمساحة المغسولة من اليد دون تعيين الاتجاه، أما الثالث فهو مسح بعض الرأس، وقد عينت الروايات انه يجب أن يتم في مقدمه. والجزء الرابع من الوضوء، هو المسح للأرجل لعطفها على الرؤوس وتأكيد الروايات عن أهل البيت(ع) لذلك. واختلفت روايات أهل السنة فيه.

وهذا البعض الذي يجب مسحه هو ظاهر الرجل من الأصابع الى الكعبين، وهما العظمان الناتئان في ظهر القدم.

أما الجنابة ــ وهي الحدث الأكبر الذي يحصل بالجماع أو مطلق خروج المني ــ فالتطهير منها لايتم بالوضوء وإنما هو بالغسل. هذا في الحالات العادية.

أما في حالات المرض والسفر (وهي مظنة لعدم التمكن من الماء) وكذلك في حالات العودة من الغائط (وهو تعبير كنائي عن قضاء الحاجة) أو الجماع، فان الحكم ــ عند فقدان الماء ــ التيمم بصعيد طيب أي بوجه الارض النظيف او الاصيل الذي لم يتغير بطبخ أو نضج.

و يتألف التيمم من مسحتين: إحداهما للوجه (وهو مابين الجبينين) والأخرى لليدين وهي ما دون الزند كما بينته روايات أهل البيت(ع).

ما يُرِيدُ.... مِنْ حَرَجٍ...: الحرج: هو الضيق الشديد، وقد قرر القرآن الكريم بهذه الآية الكريمة يسر الشريعة الاسلامية وسماحها، فأعلن ان الاسلام لا يدع المسلم في حرج مطلقاً وهذا يعني أن بعض الاحكام الاسلامية شرعت رأساً في حالات الحرج كالتيمم عند فقدان الماء، كما ان أي حكم اسلامي أدى الى الحرج أمكن عدم الالتزام به بالمقدار الذي يرتفع الحرج به.

ومن هنا سُمّي هذا الباب باب الأحكام الثانوية، وهو يعتبر اروع تعبير عن مرونة الاسلام المستوعبة لمختلف الحالات والآية هنا بعد أن تنفي أي حرج تعلن ان هدف الاسلام هو التطهير (الظاهري والباطني). فالوضوء تطهير ظاهري يستتبع تطهير باطني، وبذلك تتم نعمة الله على العباد باعطائهم المنهج الذي يهديهم سواء الصراط ــ لعلهم يشكرون ربهم قولاً وعملاً فيطبقونه على كل الحياة.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا
وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ
أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا
فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ
بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى
أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ.....: عهد مع المؤمنين ... عليهم الميثاق والعهد الذي أعطوه بفطرتهم وإسلامهم لله، فأعلنوا السمع والطاعة. وحيث اعتنقوا الاسلام واتخذوه ديناً لهم فما عليهم الا الاهتداء بهدي الله وتقواه واصلاح ذات الصدور أي النيات والميول الباطنية ليتحقق الأمل الانساني المنشود.

يا أيها ٱلذِينَ آمَنُوا...: هكذا يريد الاسلام للمؤمنين أن يكونوا في كل وجودهم: قوامين حقاً لله، عاملين على تحقيق الأهداف الالهية، شاهدين بالقسط والعدل، مطبقين له دون ان يحملهم (يجرمنهم) العداء (الشنآن) لأحد على عدم إقامة العدالة الشهادة لله وللحقيقة، فان إقامة العدل تحقق مجتمع المتقين.

وَعَدَ ٱللَّهُ...: وعد إلهي للمؤمنين العاملين بالغفران والأجر الكريم، ووعد الله لا يتخلف، فليعمل له العاملون الملتزمون بالخط الاسلامي الأصيل.

وَٱلَّذِينَ...: أما عاقبة الكافرين المكذبين بالآيات فليست إلا الهلاك والدمار والعذاب الالهي الخالد في الجحيم.

يا أيها ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا...: تذكير الهي من جديد بالنعم على المسلمين بعد أن أنجاهم الله من تآمر الكافرين الذين حاولوا بسط أيديهم والاعتداء على الوجود الاسلامي، فكان التأييد الالهي بمنع أيديهم من الوصول بأذى للمسلمين، وهذه النعمة تتطلب أن يتجه المسلمون نحو حياة الشكر والتقوى والتوكل والاعتماد على الله العظيم.

وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ...: اعتباراً بقصص الأمم الماضية يحدث القرآن عن بني اسرائيل الذين اعطوا الله تعالى ميثاقاً وعهداً بحمل رسالته فبعث لهم منهم اثني عشر نقيباً ووليا عليهم ووعدهم بالتأييد المستمر بقوله «إني معكم» وتكفير السيئات ومحوها وادخالهم جنات تجري من تحتها الانهار شريطة إقامة الصلاة كأقوى رابطة بين العبد وربه وايتاء الزكاة لسد الفجوات الاقتصادية في المجتمع، والايمان بالرسل، وتبعيتهم ونصرتهم، والتبرع لصالح المجتمع باعتباره اقراضاً حسناً لله، فاذا تم كل ذلك فالتزام جاء الوعد الالهي بالعاقبة الحسنة، أما الكفر فلا يؤدي إلى الضلال.

فبما نقضهم.... إلا أن بني اسرائيل نكثوا ونقضوا ميثاقهم ولم يلتزموا بمقتضيات عهدهم لله فابتلوا بالعذاب الأليم الذي لا يصل اليه عذاب، وحلوا صفات الانحطاط الحضاري المقيت. والقرآن يلخصها بالأمور التالية:

أ ــ اللعنة الالهية: أي الابتعاد عن رحمة الله، وما أشد هذا العذاب لأنه يعني الابتعاد عن خط الحقيقة والانسانية الأصيلة.

ب ــ القلوب القاسية: موت العواطف والحرارة الثورية والايمانية التي تمتعوا بها من قبل محملوا رسالة الله، وهي من أشد الامور التي قد تصيب المعنيين اذا لم يلتزموا برسالتهم التغييرية الثورية. وهو ما أشارت اليه الآية القرآنية الأخرى «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون».

ومن عواقب هذه القسوة: الاستهانة بالنصوص الالهية، وعدم الارتباط الايماني العاطفي بها، وبالتالي تحريفها لفظاً ومعنى لتحقيق مصالحهم الضيقة.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ
إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ
وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ
ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا
نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً
يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا
ذُكِّرُوا بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

مادتهم، وهو بالتالي يؤدي الى اتصافهم بالخيانة للمبدأ شريعة وعلى امتداد تاريخهم الطويل باستثناء القليل ممن وفوا عاية الحق منهم. وبهذا يحذر الأمة الاسلامية الثائرة على إغيب النفس والمجتمع من أن تبتلى بهذه الأمراض الحضارية ما تنقض عهدها الذي أعطته لربها كأمة وسط شاهدة قائدة.

فَاعْفُ عَنْهُمْ...: وفي قبال جحاد أهل الكتاب يبدو سماح الاسلامي عبر طلب القرآن العفو والصفح عنهم حسان اليهم عسى أن يتوبوا الى رشدهم و يسيروا في الخط ستقيم.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا...: و يتوجه القرآن هنا الى النصارى د أن ذكّر اليهود بنقضهم للميثاق فيعلن انهم أيضاً نقضوا اثيق التي اعطوها بايمانهم بالنصرانية من العمل على نشر السلام لاتجاه الى الآخرة والإعراض عن الملاذ وما الى ذلك من تعاليم دين الذي جاء به المسيح(ع)، إلا انهم ايضاً ابتلوا بداء النسيان نصاري لبعض تلك التعاليم فابتلاهم الله بالعداوة وألصقها غراها) بمسيرتهم الى الأبد. وآية ذلك هو هذا النزاع الدائم بينهم فكرياً وعملياً ــ حتى شهدنا بينهم الحروب المدمرة على امتداد يخهم.

يا أَهْلَ الْكِتَابِ...: بعد أن انتقد القرآن أهل الكتاب من ود والنصارى وذكّرهم بنقضهم الميثاق، أعلن ان الرسول كرم محمداً(ص) جاءهم بالرسالة الاسلامية الحقة التي أظهرت كثير مما كان يخفيه علماؤهم من الحق (وهو برهان جلي على حة الرسالة خصوصاً بعد الالتفات الى أمية الرسول)، كما أنها كت الكثير من الاضافات والبدع التي أحدثوها في دينهم.

قَدْ جَاءَكُمْ...: إن الاسلام جاء نوراً في ظلمات الجاهلية فرضيات أهل الكتاب وأوهامهم، فأعطى الحقائق والأحكام نسجمة مع الفطرة.

يَهْدِي بِهِ اللهُ...: من الطبيعي أن الهداية لا تؤثر إلا في ضيتها المناسبة. والأرضية التي تذكرها الآية تتلخص في العزم لى اتباع رضوان الله كمقياس عام في الحياة، فان ذلك سيؤدي

ى سبيله ... التي يتبعون فيها رضا الله، وسبل السلام هي طريق السلامة من كل شقاء وانحراف وظلمات وكلها تتأطر بإطار الصراط المستقيم، صراط الاسلام.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ...: و يبدو ان القرآن يشير الى فرقة نصرانية مفرطة في الغلو بادعاء الاتحاد بين الله والمسيح بلا جعله ثالث ثلاثة.

إلا ان الرد على هذا الاعتقاد السخيف سهل، فهؤلاء يعتقدون انه إله بشر (ولذلك عبّروا عنه بأنه ابن مريم) فهو الانسان المحتاج الى أمه، وهو وأمه وجميع الكون محكومون للقدرة الالهية إنْ شاءت أهلكته هو وأمه ومن في الأرض جميعاً، ولا يمنعها ذلك مانع، فجميع ما في السماوات والأرض وما بينهما من المكنات وهي مملوكة محكومة له تعالى يخلق ما يشاء منها وهو على كل شيء قدير، فالواقع هو انهم لم يعرفوا الله حق معرفته الا المسيح أيضاً ان الله هو الكامل المطلق الغني عن المكان والزمان وكل شيء غيره، وهو القادر المطلق، فهل القول بوحدته مع عبد ممكن ضعيف محتاج إلا ضرب من السخف والضلال؟!

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ
فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ
وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ
قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا
كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن
كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ
مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ
سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى
ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
١٦ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ
ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ
أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧

الاربعون حديثاً

بقلم : مرجع الأمة الاسلامية الامام الخميني

بحث كتبه الإمام الخميني القائد ــ دام ظله ــ قبل نصف قرن، آثرنا ترجمته لما يحويه من معان عرفانية وأخلاقية سامية.

ــ القسم الثالث ــ

* **الموازنة** *

ومن الأمور التي تعين الانسان في هذا السلوك ، والتي يجب عليه الانتباه لها، هي «الموازنة». فالموازنة هي أن يقارن الانسان العاقل بين منافع ومضار كلّ واحدة من الأخلاق الفاسدة والملكات الرذيلة التي تنشأ عن الشهوة والغضب والواهمة ــ عندما تكون حرة وتحت تصرف الشيطان ــ و بين منافع ومضار كل واحدة من الأخلاق الحسنة والفضائل النفسية، والملكات الفاضلة والتي هي وليدة ــ تلك القوى الثلاث ــ عندما تكون تحت تصرف العقل والشرع، ليرى على أي واحدة منها يصح الاقدام ويحسن العمل؟!

فمثلاً، ان النفس ذات الشهوة المطلقة العنان التي ترسخت فيها ــ أي في النفس ــ وأصبحت ملكة ثابتة، وتولدت منها ملكات كثيرة في أزمنة متطاولة، هذه النفس لا تتورع عن أي فجور تصل يدها اليه، ولا تعرض عن

أي مال يأتيها، ومن أي طريق كان، وترتكب كلّ مايوافق رغبتها وهواها ــ مهما كان ــ ولو استلزم ذلك أي أمر فاسد.

ومنافع الغضب الذي أصبح ملكة للنفس، وتولدت منه ملكات ورذائل أخرى، منافعه هي أنه يظلم بالقهر والغلبة كلّ من تصل اليه يده، ويفعل مايقدر عليه ضد كل شخص يبدي أدنى مقاومة، و يثير الحرب بأقل معارضة له، و يبعد المضرات وما لايلائمه، بأية وسيلة مهما كانت، ولو أدى ذلك الى وقوع الفساد في العالم، وعلى هذا النحو تكون منافع النفس لصاحب الواهمة الشيطانية الذي ترسخت فيه هذه الملكة، فهو ينفذ عمل الغضب والشهوة بأية شيطنة وخدعة كانت، و يسيطر على عباد الله بأية خطة باطلة كانت، سواء بتحطيم عائلة ما، أو بإبادة مدينة أو بلاد ما.

هذه هي منافع تلك القوى عندما تكون تحت تصرف الشيطان، ولكن عندما تفكرون بصورة صحيحة، وتلاحظون أحوال هؤلاء الأشخاص، تجدون أن أيّ شخص ــ ومهما كان قوياً، ومهما حقق من آماله وأمانيه ــ فانه ــ رغم ذلك ــ لا يحصل حتى على واحد من الألف من آماله، بل أن تحقق الآمال ووصول أي شخص الى أمانيه، أمر مستحيل في هذا العالم، كأن هذا العالم هو «دار التزاحم» وكأن مواده تتمرد على الارادة. كما أن ميولنا وأمنياتنا أيضاً لايحدها حد، فمثلاً أن القوة الشهوية في الانسان، هي بالصورة التي لو كانت بيده نساء مدينة كاملة ــ بفرض المحال ــ لتوجه الى نساء مدينة أخرى أيضاً، واذا أصبحت بلاد بأكملها من نصيبه لتوجه الى بلاد أخرى، وعلى الدوام يطلب مالايملك، رغم أن ماقيل هو فرض محال وخيالي بسيط، ومع هذا يبقى مرجل الشهوة مشتعلاً، والانسان لم يصل الى أمنيته بعد.

وبنفس هذا النحو فان القوة الغضبية قد خلقت في الانسان بالصورة التي لو أنه يصبح مالك الرقاب المطلقة في مملكة ما، لذهب الى مملكة أخرى لم يسيطر عليها بعد، بل ان كلّ مايحصل عليه يزيد من هذه القوة فيه. وعلى كل منكر ــ لهذه الحقيقة ــ أن يراجع حاله وحال أهل هذا العالم، كالسلاطين، والمتمولين، وأصحاب القوة والجاه، وحينذاك سيصدق كلامنا هذا.

إذن؛ فالانسان هو ــ على الدوام ــ عاشق لما لايملك وما ليس في يده، وهذه فطرة أثبت بها المشايخ العظام وحكماء الاسلام الكبار خصوصاً الأستاذ الشيخ في المعارف الالهية سماحة العارف الكامل «ميرزا محمد علي شاه آبادي» روحي له الفداء، أثبتوا بها الكثير من المعارف الالهية وهي لا ترتبط بموضوعنا.

وعلى أي حال؛ فلو وصل الانسان الى أهدافه، فكم يدوم تمتعه وأستفادته منها؟ والى متى تبقى قوى شبابه؟

عندما ينقضي ربيع العمر، ويحل خريفه، وتذهب القوة من الأعضاء، وتتعطل الذائقة، وتتعطل العين والأذن وحاسة اللمس وباقي الحواس، وتصبح اللذات ــ عموماً ــ ناقصة أو تفنى أصلاً، وتهجم الأمراض المختلفة،

تستطيع أجهزة الهضم والجذب والدفع تنفس أن تؤدي عملها بشكل صحيح. بقى للانسان، شيء سوى الـ «آه» الباردة، لب المملوء بالألم والحسرة والندم.

إذن؛ فمدة استفادة الانسان من تلك القوى سمانية لا تتجاوز الثلاثين أو الأربعين عاماً نسبة لأقوياء البنية والأصحاء السالمين، وهي فترة مابعد فهم الانسان وتمييزه الحسن القبيح الى زمن تعطيل القوى أو ساها ـ، وهذا يصح اذالم يصطدم بالأمراض شاكل الأخرى التي نراها يومياً ونحن لون.

وأفرض لكم بصورة عاجلة، فرضاً خيالياً هذا أيضاً ليس له واقع) أفرض لكم عمراً هو ئة وخمسون عاماً، مع توفر جميع أسباب الشهوة غضب والشيطنة، وأفرض أن لايعترضكم أي يء غير مرغوب به، ولايحدث أي شيء الف هدفكم، ـ ومع هذا الفرض، ماذا تكون عاقبتكم بعد انقضاء هذه المدة القصيرة والتي تمر مثل الريح؟! فماذا ادخرتم من تلك دات لأجل حياتكم الدائمية؟! لأجل يوم حركم ويوم فقركم ووحدتكم؟! لأجل رحكم وقيامتكم، لأجل لقاءكم بملائكة الله لياء الله وأنبياءه؟!، ـ هل أدخرتم سوى عمال القبيحة المنكرة، والتي ستعطون صورها البرزخ والقيامة، وهي الصورة التي لايعلمها الله تبارك وتعالى؟

ان جميع نيران جهنم، وعذاب القبر والقيامة يرها مما سمعت هي جهنم أعمالك التي تراها هناك كما يقول تعالى: «...ووجدوا ما عملوا حاضراً...».

لقد أكلت مال اليتيم وتلذذت بذلك ولكن الله وحده يعلم ما هي صورة هذا العمل في ذلك العالم والتي ستراها في جهنم، وما هي اللذة التي ستكون نصيبك هناك، الله يعلم أي عذاب ينتظرك بسبب تعاملك السيء مع الناس وظلمك لهم. في ذلك العالم ستفهم أي عذاب قد أعددت لنفسك بنفسك، عندما اغتبت وان الصورة الملكوتية لهذا العمل قد أعدت لك وسترد عليك وتحشر معها، وستذوق عذابها، وهذه هي جهنم الأعمال وهي يسيرة وسهلة وباردة وملائمة للعاصين، وأما الذين أوجدوا في أنفسهم الملكة الفاسدة والرذيلة الباطلة، كالطمع والحرص والجدال والشرة وحب المال والجاه والدنيا وباقي الملكات، فلهم عالم جهنمي لايمكن تصوره، لأن صوره لايمكن ان تخطر على قلبي وقلبك، بل تظهر من باطن النفس ذاتها، وأهل جهنم أنفسهم يفرون مرعوبين من عذاب أولئك. وفي بعض الروايات الموثقة أن هناك في جهنم واد للمتكبرين يقال له «سقر»، وقد شكى الى الله تعالى من شدة الحرارة وطلب منه أن يأذن له بالتنفس، وبعد أن أذن له تنفس، فأحرق جهنم.

وأحياناً تصبح هذه الملكات سبباً في أن يخلد الانسان في جهنم لأنها تسلبه الايمان، كالحسد الذي ورد في رواياتنا الصحيحة أنه يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب، وكحب الدنيا والجاه والمال الذي ورد في الروايات

الصحيحة أنها أكثر اهلاكاً لدين المؤمن من ذئبين أطلقا على قطيع بلاراع، فوقف أحدهما في أول القطيع والثاني في آخره.

نسأل الله أن لا تؤول عاقبة المعاصي الى الملكات والأخلاق الظلمانية القبيحة، وتؤول هذه الى فقدان الايمان وموت الانسان كافراً، لأن جهنم الكافر وجهنم العقائد الباطلة أشد بدرجات وأكثر احراقا وظلمة من ذينك الجهنمين اللذين مرّ ذكرهما (جهنم الأعمال، وجهنم الملكات الفاسدة).

أيها العزيز... لقد ثبت في العلوم العالية ان درجات الشدة غير محدودة، فمهما تتصور ومهما تتصور جميع العقول شدة العذاب، فوجود عذاب أشد أمر ممكن أيضاً، واذا لم تر برهان الحكماء، ولا تصدق كشف أهل الرياضيات، فأنت بحمد الله مؤمن تصدق الأنبياء صلوات الله عليهم، وتقر بصحة الأخبار الواردة في الكتب المعتبرة التي يقبلها جميع علماء الامامية، وتقر بصحة الأدعية والمناجاة الواردة عن الأئمة المعصومين سلام الله عليهم. أنت الذي رأيت مناجاة مولى المتقين أميرالمؤمنين سلام الله عليه، ورأيت مناجاة سيد الساجدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي... فتأمل قليلاً في مضمونها، وفكر قليلا في فقراتها، فليس ضرورياً أن تقرأ دعاء طويلاً دفعة واحدة وبسرعة فلا تتفكر في معانيه، أنا وأنت ليس لدينا حال سيد الساجدين عليه السلام كي تقرأ تلك الأدعية المفصلة بشوق وإقبال، إقرأ في الليلة ربع ذلك أو ثلثه وفكر في فقراته، لعلك تصبح صاحب شوق واقبال وتوجه، وفوق ذلك كله فكّر قليلاً في القرآن، وانظر أي عذاب أوعد به بحيث أن أهل جهنم يطلبون من (الملك الموكل بجهنم) أن ينتزع منهم أرواحهم، ولكن هيهات فلا محل للموت هنا.... انظر الى قوله تعالى «...ياحسرتا على مافرطت في جنب الله، وان كنت لمن الساخرين» (الزمر: ٥٦).

فأية حسرة هذه التي يذكرها الله تعالى بتلك العظمة وبهذا التعبير. تدبر في هذه الآية القرآنية الشريفة ولا تمر عليها دون تأمل، وتدبر ايضاً آية «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» (الحج: ٢)

حقا فكّر ياعزيزي!، القرآن ــ والعياذ بالله ــ ليس كتاب قصة، ولايمازحك، انظر مايقول... أي عذاب هذا الذي يصفه الله تبارك وتعالى وهو العظيم الذي لاحد ولاحصر لعظمته ولا انتهاء لعزته وسلطانه، يصفه بأنه شديد وعظيم... فماذا وكيف سيكون؟! الله يعلم، لأن عقلي وعقلك وعقول جميع البشر عاجزة عن تصوره. ولو راجعت أخبار وآثار أهل بيت العصمة والطهارة وتأملت فيها، لفهمت أن قضية عذاب ذلك العالم هي غير أنواع العذاب التي فكرت بها، وقياس عذاب ذلك العالم بعذاب هذا العالم قياس باطل وخاطئ.

حديث عن الشيخ الصدوق

وهنا أنقل لك حديثاً شريفاً عن الشيخ

ل صدوق الطائفة، لكي تعرف ماهية الأمر
ـة المصيبة (مع ان هذا الحديث يتعلق بجهنم
ـال وهي أبرد من جميع النيران)، وعليك
ـلم أولاً أن الشيخ الصدوق الذي ينقل عنه
ـديث، هو الشخص الذي يتصاغر أمامه جميع
ـلماء الاعلام، إذ يعرفونه بجلالة القدر، وهذا
ـليم هو المولود بدعاء إمام العصر عليه السلام،
والذي حظي بألطاف الإمام المهدي عليه
ـلام وعجل الله تعالى فرجه الشريف، وإني
ي الحديث بطرق متعددة عن كبار علماء
ـامية ــ رضوان الله عليهم ــ بأسناد متصلة
ـشيخ الصدوق، والمشايخ مابيننا وبين
ـدوق (ره)، جميعهم من كبار وثقات
صحاب، إذن فعليك الاهتمام بهذا الحديث
كنت من أهل الايمان.

روى الصدوق، باسناده عن مولانا الصادق
ـيه السلام، قال: **(بينا رسول الله (ص) ذات**
م قاعداً، إذ أتاه جبرئيل، وهو كئيب حزين،
ـغير اللون، فقال رسول الله: ياجبرئيل مالي أراك
ئيباً حزيناً؟ فقال: يا محمد، فكيف لاأكون
لذلك وإنما وضعت منافيخ جهنم اليوم؟ فقال
ـول الله: وما منافيخ جهنم يا جبرئيل؟ فقال: إنّ
الى أمر بالنار فأوقد عليها ألف عام، حتى آحمرت،
أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى آبيضت، ثم أمر
فاوقد عليها ألف عام حتى آسودت، وهي سوداء
ظلمة، فلو أن حلقة من السلسة التي طولها سبعون
راعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها،
ـو أن قطرة من الزقوم والضريع قطرت في شراب
ـل الدنيا لماتوا من نتنها، قال فبكى رسول
الله (ص) وبكى جبرئيل فبعث الله اليهما ملكاً،
فقال: إنّ ربكما يقرأكما السلام، ويقول إني قد
أمنتكما من ان تذنبا ذنبا اعذبكما عليه).

أيها العزيز.. ان أمثال هذا الحديث الشريف كثيرة، ووجود جهنم والعذاب الأليم من ضروريات جميع الأديان ومن واضحات البرهان، وقد رأى نماذج لها في هذا العالم أصحاب المكاشفة وأرباب القلوب. ففكّر وتدبر بدقة في مضمون هذا الحديث القاصم للظهر، فإذا أحتملت صحته، ألاينبغي لك أن تهيم في الصحارى، كمن أصابه المس؟!. ماذا حدث لنا لكي نبقى الى هذا الحد في نومة الغفلة والجهالة؟! أنزلت علينا ــ كرسول الله (ص) وجبرئيل ــ ملائكة وأعطتنا الأمان من عذاب الله؟! في حين أن رسول الله (ص) وأولياء الله لم يقر لهم قرار الى آخر أعمارهم من خوف الله، وما كان لهم نوم ولاطعام.

علي بن الحسين وهو إمام معصوم، يقطع القلوب بنحيبه وتضرعه ومناجاته وعجزه وبكاءه، فماذا دهانا وصرنا لانستحي أبداً، فهتك في محضر الربوبية كلّ هذه الحرمات والنواميس الالهية؟ فويل لنا على غفلتنا، وويل لنا من شدة سكرات الموت، وويل لحالنا في البرزخ وشدائده، وفي القيامة وظلماتها، فياويل لحالنا في جهنم وعذابها وعقابها.

في معالجة المفاسد الأخلاقية

أيها العزيز: إنهض من نومتك، وتنبه من

غفلتك ، وأشدد حزام الهمة، وأغتنم الفرصة مادام هناك مجال، ومادام العمر باقياً، ومادامت قواك تحت تصرفك، وشبابك موجوداً، ولم تتغلب عليك ــ بعد ــ الأخلاق الفاسدة، ولم تتأصل فيك الملكات الرذيلة، فابحث عن العلاج، وأعثر على الدواء لإزالة تلك الأخلاق الفاسدة والقبيحة، وتلمس سبيلاً لإطفاء نائرة الشهوة والغضب...

وأفضل علاج لدفع هذه المفاسد الأخلاقية، هو ما ذكره علماء الأخلاق وأهل السلوك ، وهو أن تأخذ كلّ واحدة من الملكات القبيحة التي تراها في نفسك، وتنهض بعزم الى أمد، وأعمل عكس ماترجوه وتتطلبه تلك الملكة الرذيلة.

وعلى أي حال، اطلب التوفيق من الله تعالى ليعينك في هذا الجهاد، ولاشك بأن هذا الخلق القبيح سيرتفع بعد فترة وجيزة، ويفر الشيطان وجنوده من هذا الخندق، وتحل محلهم الجنود الرحمانية.

فمثلاً من الأخلاق الذميمة التي تسبب هلاك الانسان، وتوجب ضغطة القبر وتعذب الانسان في كلا الدارين، سوء الخلق مع أهل الدار والجيران أو الزملاء في العمل أو أهل السوق والمحلة، وهو وليد الغضب والشهوة. فاذا كان الانسان المجاهد يفكر في السمو والترفع، عليه ــ عندما يعترضه أمر غير مرغوب فيه حيث تتوهج فيه نار الغضب لتحرق الباطن، وتدعوه الى الفحش والسيء من القول ــ عليه أن يعمل بخلاف النفس، وأن يتذكر سوء عاقبة هذا الخلق ونتيجته القبيحة، و بالمقابل أن يبدي مرونة و يلعن الشيطان في الباطن و يستعيذ بالله منه.

اني أتعهد لك أن لو قمت بذلك السلوك وكررته عدة مرات فأن الخلق السيء سيتغ كلياً، وسيحل الخلق الحسن في عالمك الباطن. ولكن اذا عملت وفق هوى النفس، فمن الممكن أن يبيدك في نفس هذا العالم، وأعوذ بالله تعالى من الغضب الذي يهلك الانسان في آن واحد في كلا الدارين فقد يؤدي ذلك الغضب ــ لاسمح الله ــ الى قتل النفس. ومن الممكن أن يتحر الانسان في حالة الغضب على النواميس الالهية كما رأينا الناس قد أرتدوا في حالة الغضب وأصبحوا مرتدين. وقد قال الحكماء «ان السفينة التي تتعرض لامواج البحر العاتية وهي بدو قبطان، لهي أقرب الى النجاة من الانسان وهو في حالة الغضب».

أو إذا كنت ــ لاسمح الله ــ من أهل الجدل والمراء في المناقشات العلمية كبعضنا نحن الطلبة، المبتلين بهذه السريرة القبيحة، فاعمل فترة بخلاف النفس، فإذا دخلت في نقاش مع أحد الأشخاص في مجلس ما، ورأيت انه يملك الحق فاعترف بخطأك وصدق قول المقابل والمأمول أن تزول هذه الرذيلة في زمن قصير.

ولاسمح الله أن يكون صحيحاً قول بعض أهل العلم ومدعي المكاشفة، حيث يقول: «لقد كشف لي خلال إحدى المكاشفات أن تخاصم أهل النار الذي يخبر عنه الله تعالى، هو الجدل بين أهل العلم والحديث».

والانسان اذا احتمل صحة هذا الأمر فعليه أن يسعى كثيراً من أجل إزالة هذه الخصلة.

روي عن عدة من الأصحاب انهم قالوا: **خرج علينا رسول الله (ص) يوماً ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين فغضب غضباً لم نشاهد مثله الى ذلك اليوم، وقال: لقد هلك الذين من قبلكم لأنهم لم يتركوا المراء، ان المؤمن لايماري ولايجادل، فان المماري قد تمت خسارته. ذروا المراء فان المماري لاأشفع له يوم القيامة، ذروا المراء فاني زعيم بثلث أبيات في الجنة ورياضها وأوسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق، ذروا المراء فان أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء.**

وعنه ايضاً: **لايستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وإنْ كان محقاً.**

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، فما أقبح أن يحرم الانسان شفاعة الرسول الأكرم (ص) بواسطة مغالبة جزئية ليس فيها أي ثمر ولاأثر، وما أقبح أن تتحول مذاكرة العلم ــ وهي أفضل العبادات والطاعات اذا كانت بنية صحيحة ــ الى أعظم المعاصي (بواسطة المراء) وتكون تالية لعبادة الأوثان.

وعلى أي حال؛ ينبغي للانسان أن يأخذ بنظر الاعتبار الأخلاق القبيحة الفاسدة واحدة واحدة، ويخرجها من مملكة روحه بمخالفة النفس. وعندما يخرج الغاصب، يأتي صاحب الدار بنفسه، فلا يحتاج ــ حينذاك ــ الى مشقة أخرى أوالى وعود.

وعندما يكمل جهاد النفس في هذا المقام، و يتوفق الانسان الى إخراج جنود إبليس من هذه المملكة، وتصبح مملكته مسكن ملائكة الله ومعبد عباد الله الصالحين، فحينذاك يصبح السلوك الى الله يسيراً، ويتضح طريق الانسانية المستقيم، وتفتح أمام الانسان أبواب البركات والجنات، وتغلق أمامه أبواب جهنم والدركات، و ينظر اليه الله تبارك وتعالى بعين اللطف والرحمة، و ينخرط في سلك اهل الايمان، و يصبح من أهل السعادة وأصحاب اليمين، و ينفتح له طريقاً الى باب المعارف الالهية ــ وهي غاية خلق الجن والانس ــ و يأخذ الله تعالى بيده في هذا الطريق المحفوف بالمخاطر.

وقد كنا نريد أن نشير الى المقام الثالث للنفس وكيفية المجاهدة فيه وتذكُّر أيضاً بمكائد الشيطان في هذا المقام، ولكننا لم نر المقام مناسباً لذلك، فصرفنا النظر، وأسأل الله تعالى التوفيق والتأييد لكتابة رسالة خاصة في هذا الباب....

للبحث صلة.

أهم الاتجاهات الفكرية السائدة في العالم الاسلامي المعاصر

العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين / لبنان

إنَّ قضية «الغزو الثقافي»، هي من أكثر وأكبر القضايا أهمية بالنسبة الى وضعية الانسان المسلم والأمة الاسلامية في العالم الحديث، والدور الذي ينتظرها لتقوم به في تصحيح مسار الحضارة الانسانية، لأن مسألة الثقافة ترتبط ارتباطاً عضوياً بمسألة الحضارة، ومن ثم بمسألة الكينونة الوجودية والدور السياسي في المحيط الإقليمي في العالم.

— ١ —

لا بُدَّ — أولاً — من تحديد مفهوم الثقافة، لنرى كيف يتعارض — أو يتوافق — النمط الاسلامي من الثقافة مع الأنماط السائدة الأخرى.

وهذا المفهوم متنوع الجوانب الى درجة قد يمكن القول معها أن ثمة مفاهيم متعددة للثقافة، منها:

١ — الثقافة النظرية المحضة التي ليس لها أثر مباشر في المجتمع أو صلة قريبة بقضاياه ومشاكله. وقد يقتصر أثرها على صقل الذوق الفني وتنمية الحس الجمالي.

٢ — الثقافة بمعنى الأعراف والعادات

والتقاليد التي تنعكس في أنماط الحياة اليومية على مستوى الزي والمسكن، وعلاقات الجنس، والعلاقات الانسانية في المجتمع، وقضايا الأسرة والعمل، وما الى ذلك .

٣ ـ الثقافة بمعنى يتجاوز هذا وذاك . المعرفة، والمقولات الفكرية التي تتكون منها وعلى أساسها الرؤية السياسية والموقف السياسي من قضايا الوطن والأمة، والتكتلات الدولية، وهي ثقافة ترتكز على رؤية معينة لتنظيم المجتمع، ووضعية الانسان في المجتمع والعالم.

علينا أن نلاحظ هنا أنه في قضايا من هذا القبيل لا توجد حدود صارمة وحاسمة بين مفهوم ومفهوم آخر، لأن الأنماط أو الأنواع الثقافية تتداخل وتتفاعل داخل كيان الانسان، وتتصل بها حركية الحياة وصيرورتها المستمرة المتنامية الى صيغ توفيقية قد تكون ناجحة أو فاشلة.

وفقاً للمفهوم الأول نجد ـ بالتأكيد ـ رجالاً ونساءً من أنماط حياتية مختلفة (البدوي والقروي والحضري، الصانع والتاجر، العالم و الشاعر..) ومن أطر عقائدية مختلفة، يتمتعون بنفس الذوق الفني والحس الجمالي. يحبون كتباً واحدة، وتستهويهم أشعار واحدة، وتأخذ بألبابهم روعة مشاهد واحدة. وهذا النمط من الثقافة، ساحة يمكن أن تكون مشتركة، يلتقي عليها البشر وتتوحد فيها التنوعات.

ووفقاً للمفهوم الثاني يختلف الأمر قليلاً أو كثيراً، فكل ما يتصل بالكينونة العامة للانسان من مفردات هذا المفهوم يمكن أن يكون موضع تلاق بين أنماط اجتماعية وعقائدية وسياسية مختلفة، لأن ما يتصل بالكينونة العامة للانسان ليس عوامل التمايز، وإنما عوامل التوحيد.

ان المواد الفكرية والعلمية التي تؤدي الى تحسين مهارات الانسان في عمله وفكره العملي، ونشاطه المهني، وكل المواد الثقافية التي تتعلق بنمط ممارسة الحياة اليومية، ولها صفة محايدة بالنسبة الى المعتقد الديني والسياسي، والمسلمات الأخلاقية... كل ذلك يمكن أن يكون موضع تلاق لأصناف متنوعة من الناس من مجتمعات مختلفة، و أطر سياسية وعقائدية مختلفة.

أما المفردات التي تتصل بالكينونة الخاصة للانسان، ولنضرب لذلك مثلاً علاقات الجنسين، وما يمكن أن يتصل بها من قضايا الزي مثلاً فهي تمثل حقل تمايز بين البشر، لأنها محكومة بنمط السلوك الذي يحدده الايمان الديني والنهج التشريعي للانسان والمجتمع في كل عالم ديني ـ ثقافي وحضاري.

ووفقاً للمفهوم الثالث يختلف الأمر تماماً، مهما يكون التمايز الحاد بين المجتمعات الانسانية. إنَّ «مركباً» ثقافياً من المفهومين الثاني والثالث لمجتمع من المجتمعات يكوّن ثقافة خاصة، ومناخاً حضارياً خاصاً لذلك المجتمع، يميزه عن مجتمعات أخرى، تحيا وتنمو في إطار «مركب» ثقافي من نوع آخر.

إنَّ الثقافة، هذا «المركب» هنا، هي ما يكوّن العمل الباطن للانسان، إضافة الى فكره الواعي، وخلفياته الذهنية.

وهـذا هـو مـا يصـوغ رؤ يتـه لـلأشـيـاء، ٔحداث، ومـواقـف الآخـرين، وهو ما يدفعه اتخاذ هذا الموقف أو ذاك حيالها، وهو ما ىله على الجمود أو يدفعه الى ردّ الفعل السلبي لايجابي عليها. ان الثقافة بهذا المعنى هي التي د السلوك العام للانسان والمجتمع.

وبمقدار ما تكون عناصر الثقافة متكاملة وافقة، نابعة من معين واحد، فانها تدفع لانسـان والمجتمع الى التكامل، وتكون مصدر ة و مناعة للمجتمع في وجه التحديات. أما ن تكون هذه العناصر متنافرة، وملفقة من اخات حضارية مختلفة، وعوالم ثقافية متنوعة، ن أن تلحظ فيها خصوصية التوافق والتكامل، نها تكون سبباً لتمزق شخصية الفرد، وتشتت دة المجتمع، وهدر الطاقات، وضياع الجهود ن انتاج ما يوازيها من انتصارات وانجازات لية.

إنَّ السلوك الاجتماعي هو انعكاس لرؤ ية ياسية، كما أن الممارسة السياسية هي تعبير ، رؤ ية اجتماعية «كما تكونون يولى عليكم» كلاهما ينموان و يتفاعلان في إطار مناخ ضاري واحد، نابع من مسلمات وركائز كرية تلخص النظرة العامة والأساس للكون لحياة والانسان.

— ٢ —

بالنسبة الى المسلمين، فان الاسلام هو اطار العام والأرضية الأساس لوجود الأمة اسلامية ونموها. ان الاسلام هو محتوى المسلم ثقافي، وهو عالمه الثقافي والحضاري، وهو مجاله الرؤ ية.

وهذا ما يحتم القول بأن الثقافة الاسلامية تنمو و تتفاعل في داخل المسلم من خلال مناخ حضاري اسلامي، وهذا المناخ مختلف عن الرؤ ية الحضارية لدى العالم اليوناني ـ الروماني، أو العالم المسيحي أو البوذي.

— ٣ —

وإذا أردنا أن نستقرئ أهم الاتجاهات الفكرية السائدة في العالم المعاصر فسنواجه مهمة سهلة من جهة وصعبة معقدة من جهة أخرى.

هي صعبة معقدة إذا أردنا أن نستقرئ التسميات المتنوعة للمدارس الفكرية المختلفة، لأننا سنقع في متاهة من التسميات والتفاصيل لا طائل تحتها، وهي سهلة إذا أردنا أن نباشر الأصول ونتعامل معها دون أن نلقي بالاً الى التفاصيل والتنوعات الثانوية داخل كل أصل.

لقد شاع تقسيم الاتجاهات الفكرية أو الثقافية الى ما ينتمي الى مقولات الفكر الرأسمالي و ما ينتمي الى الفكر المقابل له الذي يتراوح بين مقولات الاشتراكية المعتدلة ومقولات الماركسية. وفي داخل كل قسم توجد مدارس وأنماط في الفهم والمعالجة.

كما شاع تقسيمها الى ثقافة تنطلق من النظرة الى الفرد الانساني والاهتمام به، و أخرى تنطلق من الجماعة والاهتمام بها. وهو تقسيم مماثل لسابقه، الا أنه بلحاظ الأساس المذهبي، بينما يرتكز التقسيم الأول الى لحاظ التسمية المذهبية.

أعتقد أن التقسيم المناسب لمهمتنا هو تقسيم الثقافة الى ثقافة تنطلق من الايمان بالله كأساس

لها، وترتكز على هذا الايمان، و تعالج شأن الانسان فرداً وجماعةً ومجتمعاً من خلاله. وأخرى تستبعد هذا المبدأ الأساس في التكوين البشري. لا فرق بين أن تعاديه أو لا تعاديه، المهم أنها لا تحفل به، فهي لا تجعله أساساً لها لأنها لا تعتبره أساساً في تكوين الانسان والمجتمع، ومن ثم فهي لا تنطلق منه في بناء مقولاتها ومفاهيمها وأحكامها في شؤون الانسان والمجتمع، ولا ترتكز عليه في شيء من ذلك.

وهنا علينا أن نفرق بشكل حاسم بين العلم الموضوعي و بين الثقافة.

في قضية العلم ــ وهو يتعامل مع المادة في الطبيعة ــ لا شأن للدين بصورة أساسية. ان الدين يتدخل في طريقة الاستعمال فقط، إنه يحدد الوظيفة والمآل. أما الثقافة فهي التي تصوغ موقف الانسان من الاحداث و من الطبيعة ومن الناس و من المجتمعات، ومن ثم فهي التي تنقسم حسب موقفها من الايمان بالله.

إنَّ الثقافة لا تهندس شبكة العلاقات البشرية الانسانية في المجتمع والعالم فقط، وإنما تعطيها نكهتها ومعناها أيضاً. أما العلم فانه لا يتدخل في أي شيء من علاقات البشر. إنه يؤثر على هذه العلاقات بمقدار ما تمكنه الثقافة، و بالصورة التي تحددها.

إنَّ كل ثقافة تنبع من فهم معين للحياة والانسان، ومن ثم فهي تخدم ذلك الفهم تعميقاً و توسيعاً، و تحميه من التحريف، و يستحيل أن توجد ثقافة ــ بما لهذه الكلمة من معنى ــ بلا ارتكاز الى فهم أساس في كيان معتنقيها.

— ٤ —

ومن هذا المنطلق فان الثقافة الاسلامية تقف في مواجهة الثقافة المعاصرة السائدة، سواء في مظهرها الرأسمالي ــ في ما يسمى العالم الحر ــ أو في مظهرها الاشتراكي ــ الماركسي.

إنَّ هذه الثقافة السائدة في العالم الغربي والشرقي ثقافة منقطعة الصلة بالله، ومن ثم فهي لا تقيم وزناً للايمان الديني في وضعية الانسان في العالم، وفي السياسات الداخلية لكل دولة، وفي العلاقات الدولية، وفي التعامل مع معطيات العلم، وفي التعامل مع الطبيعة. بينما نجد أن الثقافة الاسلامية تعتبر أن الايمان بالله (ومقتضيات هذا الايمان) هو حجر الاساس في كل وضعية انسانية.

ان ثقافة الغرب (ونستعمل هذا المصطلح بمعنى حضاري) السائدة الآن تسعى ، مسلحة بقوى هائلة، لفرض نفسها على العالم كله، ولذا فهي تسعى الى تدمير ومسخ ثقافة كل الأمم خارج إطار مراكز هذه الثقافة في العالم الغربي، بهدف الاستحواذ الكامل على الجنس البشري، لمصلحتها و لمصلحة القوى السياسية والأنظمة التي أنتجتها.

ومن هنا التصادم الذي حدث بين هذه الثقافة و بين الثقافة الاسلامية على ساحة العالم الاسلامي كله، ومن هنا الحرب المعلنة والخفية التي تقودها قوى الثقافة الحديثة ضد الثقافة الاسلامية، هذه الحرب التي بدأت منذ أول صدام بين العالم العربي الاستعماري و بين العالم الاسلامي، ولم يخب أوارها حتى الآن.

فـاذا أردنـا أن نـسـتـقرئ نـقـاط الـتـبـاين لواجهة بين الثقافتين فسنجدها كثيرة لا مجال ستقـصـائـهـا في هـذه الـحـالـة، ولذا فاننا كتفي ببعض الأمثلة البارزة:

أ ــ إنَّ الـسـمـة العامة في الثقافة الاسلامية ـا ذات طـابـع أخـلاقي، ومـن ثم فان مقولاتها ؤسساتها تعطي الأولو ية للقيم وللانسان. أما سمـة العامة في الثقافة الحديثة فهي أنها ذات ابع نـفـعـي، ومـن ثم فان مقولاتها ومؤسساتها طي الأولو ية للربح والاستحواذ.

ب ــ الـثـقافة الاسلامية، لأنها ذات طابع ـلاقي، فهي انـسـانية. ومن هنا فانها لم تحمل سلمين كـأمة، ولم تحمل أي شعب اسلامي ل معاداة شعب لشعب لمجرد الاختلاف العرقي حتى لمجرد الاختلاف في المصالح، وانما تعادي فـكـرة (الكفر، الفسق، الطاغوت.. وما الى لك).

أما الـثـقـافـة الحديثة فانها ــ بسبب كونها ات طابع نفعي ــ عرقية عنصرية، تحمل كل ـعب يـعـتـنـقـها على معاداة الشعوب الأخرى الـتـر بـص بـهـا، ولا يـرده عنها الا الخوف منها. هي تـحـمـل كل شعب يعتنقها يعترف بكل ــ ل و يساعد كل ــ ظلم وعدوان وطغيان مادام نصر النفع أو عنصر الخوف موجوداً.

ومـن مـظـاهـر هـذا التمايز بين الثقافتين أن ثـقـافـة الاسلامية لم تنتج « مقولة الاستعمار» ، أوج ازدهـارهـا وقـوتهـا أوفي أسـوأ حـالات نحطاطهـا سـواء على أسـاس قـومي ــ لأنها لم رف القومية ــ أو على أي أساس آخر.

وحـين كـانـت تحـصـل انحرافات من هذا الحـاكـم أو ذاك كانت هذه الثقافة نفسها تنتج أدوات وصـيغاً سياسية تصحح الانحراف، وتعود بـالحـكـم الى الاسـتـقـامـة التي يـفرضها الطابع الأخـلاقي الانـسـاني للـثـقافة الاسلامية، واذا لم تـفـلـح في الـتـصـحيح فانها ــ على الأقل ــ تلغي صـفـة الـشرعية عن الانحراف، وتعطي الشرعية لأي عملية تصحيح مستقبلية.

نستطيع أن نجد شواهد تطبيقية على هذا من جميع مـراحـل الـتـاريـخ الاسـلامـي مـنذ عهد الـرسـول (ص) والخـلـفـاء الـراشـدين، وعبر جميع الـعـهود الى العصر الحديث، حيث نجد أن العالم الاسـلامـي يـعـمـل بجد من أجل صيـغـة في الـعـلاقـات الـدولـيـة والنظام العالمي خالية من «مـقـولـة الاسـتـعمار والاستغلال». ونذكر هنا مـسـاهمـة الـعـالم الاسلامي البارزة في فكرة عدم الانحياز منذ تجسيدها في مؤتمر «باندونج» وحتى الآن.

بـينما نجـد في المـقـابـل أن مـقـولة الاستعمار واسـتـغـلال الشعوب هي من الخصائص الثابتة في الحـضـارة الحديثة. لقد اشتملت هذه الحضارة في أحـشـائها ــ منذ بدأت تكتمل خصائصها ــ على هـذه المـقـولـة، وغـذّتها، وتـغـذت منها، وأنـتـجـت لها فلسفة تبريرية تجعل منها قدراً ثابتاً لـكـل ما هو غير أوروبي ــ أمريكي. وحين غدا الاسـتـعـمـار مكلفاً بصيغته القديمة، طوَّرت هذه الـثـقافة مقولته فيما بعد الحرب العالمية الثانية الى صـيـغـتـه الجديـدة: الامـبـريـالية ــ الاستعمار الجديد.

وحتى المؤسسات الدولية التي أنشئت على
اس فكرة انسانية نبيلة بسبب ضغط الشعوب
غلوبة على أمرها والمستضعفة من قبل القوى
عظمى... حتى هذه المؤسسات التي أنشئت
خدم فكرة الحرية والكرامة البشرية والمساواة
ن الشعوب، فإنَّ السم الذي تحمله هذه الثقافة
تكوينها قد تسرّب منها الى هذه المؤسسات،
فسدها وحوّلها عن هدفها، وجعل منها أداةً
دمة مقولة الاستعمار أو التستّر عليها، ولشلّ
وى والحركات المناهضة له. ومثال عصبة
أمم التي أنشئت بعد الحرب العالمية الأولى
يئة الأمم المتحدة التي أنشئت بعد الحرب
المية الثانية خير شاهد على ذلك.

ح ــ في حقل العلم، تجد الثقافة
سلامية، لأنها أخلاقية وانسانية تطور العلم
صلحة الجنس البشري، فتزدهر من خلال هذه
ثقافة العلوم في نطاق تحريم ما يؤدي الى ضرر
سر والى تدمير وتلويث البيئة الطبيعية، بينما
د أن العلم في الثقافة الحديثة يزدهر في نطاق
أساليب والمواد المتعلقة بالحرب في البحار وعلى
أرض وأخيراً في الفضاء الكوني. وتنشأ بسبب
ذا التوجه الشرير للعلم مشكلة على صعيد
جنس البشرى كله تحمل تهديداً دائماً بالدمار
ري والنيوتروني والأسلحة الكيماوية. وتهدد
دمير وتلويث البيئة الطبيعية، لا على الأرض
ط، وانما في البحار والمحيطات وفي الفضاء
خارجي أيضاً.

وأغلب ما حدث من تقدم في حقول العلوم
ت الصلة برفاه ورخاء وسلامة الانسان
كالطب والهندسة والكيمياء وما اليها فانما حصل
على هامش الأبحاث والانجازات المتعلقة بشؤون
الحرب. والعالم يرى ما تحدثه تجارب الأسلحة
الذرية والأسلحة الكيماوية، وما يحدثه تلويث
البيئة الطبيعية وتدميرها.

ــ ٥ ــ

ان هذا التفاعل بين الثقافتين لا يعني
القطيعة من وجهة النظر الاسلامية، بل يمكن أن
تقوم بينهما علاقة حوار وتفاعل، وحينئذ يكون
التلقي قائماً على أساس انتقائي.

إنَّ مبدأ أصالة الخيرية في البشر هو من
المبادئ الراسخة في الثقافة الاسلامية. ان
البشر، بحسب ما تقضي به مقولات هذه الثقافة
«مفطور على الخير» وانما تعرض لهم الانحرافات
والضلال بسبب جهلهم وبسبب الظروف
المحيطة بهم، وهم يتمتعون بحرية الاختيار
و يتحملون مسؤولية اختيارهم، ومن ثم فإمكانية
الحوار والتفاعل قائمة دائماً.

ان الاعتراف باختلاف العوالم الثقافية،
ومن ثم اختلاف الحضارات، لا يعني ــ
بالضرورة ــ موقفاً معادياً من الحضارة أو
الحضارات الأخرى لأن اختلاف الحضارات لا
يعني بالضرورة تنافرها وتعاديها، انه اعتراف
بواقع التنوع لدى البشر، وأنه ــ في الواقع ــ لا
توجد صيغة حضارية واحدة للبشرية، وانما
توجد ــ في الواقع المعاش ــ صيغ متعددة، يمكن
أن تتنافر وتتناحر، ولكن يمكن أيضاً أن
تتحاور.

وقد ورد في القرآن الكريم تقرير لهذه

الحقيقة الموضوعية في آيات كثيرة منها قوله تعالى في الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات (المدنية)، وهي: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنَّ الله عليم خبير».

ونلاحظ أن الآية الكريمة مدنية، نزلت بعد تحول الجماعة الاسلامية الى مجتمع سياسي، وبعد تكامل المقولات الأساسية في الثقافة الاسلامية.

• • •

ان العلاقة بين الثقافة الاسلامية والثقافة الحديثة لم تقم على هذا النحو ـ أعني الحوار والتفاعل ـ حين حدثت عملية التواصل بين الثقافتين.

لقد حدث خلل خطير في عملية التواصل الثقافي بين الغرب (ونكرر اننا نستخدم هذا المصطلح هنا بما هو مصطلح حضاري) وبين العالم الاسلامي.

لقد حدث التواصل في حالة انكفاء سياسية وعلمية في العالم الاسلامي الى جانب حالة ركود ثقافي. وفي المقابل كان الغرب في حالة حيوية سياسية ونهضة علمية وثقافية. وهذا ما جعل عملية التواصل تتم من جانب واحد، فالغرب هو الذي يعطي والعالم الاسلامي هو الذي يأخذ، ولم تحدث عملية «تفاعل» بين الثقافتين. ولأن العالم الاسلامي كان في حالة انحطاط علمي وركود ثقافي وضعف سياسي فلم يكن قادراً على ممارسة «الانتقاء» ومن هنا فقد كانت عملية التواصل عملية «انفصال»،

ولأن الغرب كان يوظف ثقافته في خدمة طموحه السياسي في العالم الاسلامي، فقد هدف من وراء تصدير الثقافة ونمط الحياة الغربيين الى مهمة مزدوجة:

أولاً: محاربة الثقافة الاسلامية، وسد الآفاق أمام نموها وازدهارها، ومحاولة حصرها في دائرة ضيقة خاصة في الحياة (هذا اذا سمح لها بأن تتنفس)، وتفريغ معولاتها من أي مضمون بنّاء وفعّال يمكن أن يشكل خطراً في المستقبل.

ثانياً: إيجاد حالة ثقافية (ويمكن أن نقول: حالة لا ثقافية ـ أعني حالة ضياع ثقافي) وتسويق نمط معيشي وحياتي يخدمان الطموح السياسي الاستعماري للغرب في العالم الاسلامي.

لقد نتج من ذلك في شخصية المسلم تلفيق ثقافي فيه من كل العوالم الثقافية، فيه من الاسلام شيء، ومن اليهودية والمسيحية شيء، ومن الروحية شيء، ومن المادية شيء، وفيه شيء من كل شيء. وقد أدى ذلك الى ضياع المسلم، وجعله يواجه تحديات العالم المعاصر من غير دليل، يوجه خطاه ويحدد خياراته، ويحدد أولويات العمل بالنسبة الى هذه الخيارات.

ما هو موقف المسلم الآن؟ وما هو موقف مؤسساته القائدة؟ إنَّ على مستوى الأمة، أو على مستوى الدول والشعوب الاسلامية؟

ان المسلم ـ فرداً أوجماعة ـ هو ـ كما قلنا آنفاً ـ ضائع بين ثقافتين:

ثقافته الاسلامية التي تتعرض لحالة حصار مستمرة وحرب دائمة بالطمس والتشويه

لتحريف، والثقافة الغازية بكل ما تملكه من
وات ووسائل.

إنّ أول خطوة يجب أن تتخذ على مستوى
مؤسسات القائدة هي التسليم بمبدأ ثابت
الانطلاق منه، و هو أن وظيفة الثقافة
الاسلامية هي بناء الشخصية الاسلامية. ان
وظيفة الثقافة تتعدى مهمة «التربية»، لأن
المهمة الأساسية للثقافة الاسلامية وكل ثقافة
أخرى ــ هي مهمة تربوية، لصياغة وتكوين
نوعية خاصة من الشخصية الانسانية في نسيجها
الانساني، ومحتواها الداخلي الروحي، ومسلكها
الأخلاقي. أما المهمة «التعليمية» التي تنبني على
عنصر «المعرفة» فتأتي بعد المهمة التربوية،
وتكون المهمة التربوية في أساسها.

والمهمة التي تواجه المؤسسات القائدة على
مستوى الأمة وعلى المستويات المحلية تتركز على
إعادة إحياء القيم والمقولات الثقافية الاسلامية،
لا باعتبارها مواد «علمية» يكتفى بمعرفتها، وانما
باعتبارها مواد تربوية تساهم في تكوين
شخصية الانسان المسلم، وتطبع سلوكه الحياتي.
في الوقت نفسه لا بد من تنقية عقل المسلم
وقلبه من المقولات الدخيلة التي لابست حياته
وطبعت بميسمها مسلكه.

ان هذه العملية التربوية ــ بوجهيها السلبي
الايجابي ــ يجب أن تترافق مع عملية انتقاء
من الثقافة الحديثة لكل ما يتوافق، أو لا يتنافى،
مع قيم ومقولات الثقافة الاسلامية.

ان عملية الاحياء هذه تبدأ في البيت، في
رحاب الأسرة، ولا تنتهي في المدرسة والجامعة،
وانما تستمر مع الحياة اليومية للمسلم، لأنها عملية
بناء للحياة. إنها تبدأ في الأسرة وتستمر في
المدرسة والكلية والجامعة والمسجد والجريدة
اليومية والإعلام الإذاعي والتلفزيوني،
والنوادي، والجمعيات الأدبية والعلمية
والرياضية والكشفية، وما الى ذلك.

ان مفكرين، وعلماء دين، وخبراء شبيبة
وتربية، ومؤرخين وعلماء نفس واجتماع يجب
أن يشرفوا على هذه العملية العظيمة و يتولوا
قيادتها.

وهذه المهمة من الضخامة والخطورة بحيث
لا تتمكن مؤسسة واحدة أو دولة واحدة من
القيام بها. لا بد لانجازها من قيام تعاون جماعي
على مستوى العالم الاسلامي كله ينبني على
تخطيط كامل للعملية على مراحل متلاحقة.

إننا نقترح في هذا السبيل إنشاء يونسكو
اسلامية (منظمة اسلامية للثقافة والحضارة
والعلوم) تتولى برمجة الأنشطة في مختلف الدول
الاسلامية، ومراكز التربية والاحياء التربوي
الاسلامية في العالم الاسلامي، والعالم،
والتنسيق بينها، وحشد الخبرات والطاقات
وتوجيهها في متابعة عملية الاحياء.

إذا اراد المسلمون ــ والعرب في صميمهم
ــ أن ينشئوا حضارة و أن يستعيدوا ثقافتهم
الاسلامية ــ ليس في الكتب والمجلات
المتخصصة باحياء التراث ــ وإنما في الحياة
العملية المعاشة من خلال الفرد المسلم، والأسرة
المسلمة، والمؤسسة المسلمة.

والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته ●

المرونة الاسلامية

في التطبيق والتبليـ

الشيخ محمدعلي التسخيـ

تحدثنا في مقال سابق في هذه المجلة[1] عن (عنصر المرونة في التشريع الاسلامي) وهانحن نحاول في هذا البحث استعراض مظاهر هذا العنصر الأصيل في كل من عمليتي التبليغ والدعوة الى الاسلام، والتطبيق الرشيد للأحكام الاسلامية.

وقبل كل شيء نود أن نشير الى حقيقتين:

الأولى: ان المرونة لا تعني التنازل المبدئي مطلقاً ولا الميوعة التنظيمية، فان كلاً منها يتنافى مع عقائدية المبدأ المرن وواقعيته العملية، ذلك ان العقائدية والواقعية ـ خصوصاً إذا تصورنا حقيقتها وانسجامها الكامل مع حركة الكون

والتاريخ والانسان بتركيبته الفطرية الأصيلة توجبان ثبات الأسس العقائدية والمفا التصورية عن الواقع من جهة، وثبات النـ والبناء العلوي الذي يقوم على أساس من ذا التصور الرصين، الأمر الذي لايدع مجالاً أسميناه بالتنازل المبدئي أو الميوعة التنظيميـ فماذا تعني المرونة إذن؟ انها تعني في الواقـ ـ أولاً ـ تكتيكاً وتدرجاً واقعياً يلحظ ضغو الواقع ولكنه يستهدف تعميق التصور الأصيـ من جهة، والوصول الى تطبيق الصورة التنظيمـ المثلى. كما تعني ثانياً قدرة النظام على استيعا

الاجـ[illegible]

اطار الا[illegible]

وما [illegible] المعنى الأول [illegible] عنه.

الثالثة: وهي منسجمة مع الحقيقة الأولى وملخصها هو أنه لايمكن تصور المرونة في العقيدة، فالمرونة تعني اتخاذ موقف موقت يتغير بتغير الحالة وذلك للمحافظة على الموقف العام. والعقيدة بما هي صفة نفسية لا تقع تحت ضغط الظروف التي تغيرها، مع علم الانسان بأن هذا الضغط ضغط منحرف. والعقيدة بما هي الأساس والخط العام لايمكن التنازل عنها بل يجب أن تبقى الروح التي تميز كل التصرفات اللهم إلاّ إذا فرضنا ان العقيدة هي بطبيعتها من النوع الذي يقبل التنازل المؤقت عنه، والاسلام ليس كذلك قطعاً. انه لاينسجم مع أي تنازل عقائدي مطلقاً اللهم إلاّ لتقية قاهرة وهذا له حسابه الخاص، وظروفه الخاصة وليس هو تنازلاً عقائدياً بل تنازل موقت عن اعلان بعض جوانب العقيدة في بعض صوره؛ ومن هنا نجد ان القرآن يعرض علينا صوراً لبعض المساومات العقائدية التي حاول فيها الطرف الكافر أن يجبر النبي (ص) على اعتناق بعض مبادئه ولو لبعض الوقت في مقابل مصلحة كبرى للدعوة الاسلامية نفسها، وفي مقابل ان يؤمن الطرف الآخر بالاسلام أيضاً لفترة أخرى. إلاّ أن الوحي يجابه أولئك بالموقف الحدّي الصارم، الذي لا تنازل عنده باعتبار ان التقية لايمكنها

[illegible] ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين». وقد وقف الاسلام من مسألة الشرك هذا الموقف على طول الخط حتى انه حرم تشريعياً صناعة الأشياء المجسمة لأن فيها ظلاً من الفكرة الصنمية.

و يوجد في هذا المجال بحث واسع مفصل عن التأصل العقائدي، ومعاني التقية باعتبارها مبدأ عقلائياً وشرعياً يُعبّر عن مرونة عملية لازمة جداً في مجال حل العقيدة، و يؤدي الى تخزين الطاقات وتجميع القوى والاحتفاظ بالقدرة المؤمنة الى حين تنفرج الظروف وتنطلق القوة الضائعة لتحقق أهدافها الكبرى.

ولكننا سوف نركز على موضوع بحثنا تاركين البحث المفصل في هذا الجانب الى محل آخر.

المرونة كما توضحها القاعدة الاولى للعمل التبليغي:

يمكننا أن نكتشف المرونة في التبليغ والدعوة إذا عرفنا ان القاعدة الأولى في العمل التبليغي تتضمن هذا العنصر بكل وضوح وتلك هي الآية الشريفة: «ادعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بالحِكمَةِ والمَوْعظَةِ الحَسنةِ...» ولايمكننا أن نفسر الحكمة إلاّ باتخاذ أصوب موقف مناسب للظرف الذي يراد التبليغ فيه بشرطين: أحدهما ضمني، والآخر مذكور في الآية الكريمة: وهما: اتّباع الطرق الشرعية وعدم الانحراف، واتقان ذلك

[illegible] عن الكثير [illegible] وهذا يمكن القول بأنه [illegible] لا يمكن أن يجهد الانسان نفسه في إطار [illegible] الآخرين في مجال العمل في سبيل الله ونشر الاسلام.

هذا ولقد حاول البعض أن يؤكد على ضرورة اتباع اسلوب الرسول (ص) في العمل وهو أمر يمكن المسالمة عليه في حد الأفضلية والاستحباب، اما في مرحلة اللزوم فلا نجد دليلاً على ذلك خصوصاً وقد أكد علم الأصول على أن فعل الرسول (ص) لايكتشف منه غير الاباحة للعمل أو الاستحباب على الأكثر مالم تقم قرينة تجعله يدل على الوجوب. إلاّ ان تلك السيرة المباركة ــ مهما كانت دلالاتها ــ تبقى هي الهدى النيّر في كل حقل ومجال، ومن هنا فسوف نركز عليها في بحثنا هذا قبل أي شيء آخر.

مظاهر التدرج والمرونة في هذا السبيل:

ويمكن أن نمين أهم هذه المظاهر في النقاط التالية:

ألف ــ التدرج في اعطاء الأحكام وتطبيقها.

ب ــ التدرج في توسيع رقعة الدعوة.

ج ــ التدرج في الموقف من أعداء الدعوة.

اما النقطة الأولى: فلخص القول فيها؛ ان الاسلام بمقتضى مرونته النابعة من واقعيته أدرك انه جاء ديناً يقلب الحياة الجاهلية رأساً على عقب، و يغير تصورات الناس وأخلاقهم و يوجه [illegible] أن [illegible] عادته السلوكية، بل [illegible] أن ضعف المعنى [illegible] عند أنه يمكن أن يؤثر بشكل قوي بالسلوك والعادات والأعراف العامة والخاصة. ومما يؤكد ذلك ان المجتمع الجاهلي استطاع التنازل عن عقيدته ولكنه لم يستطع التخلص تماماً من عاداته وسننه القبلية. ومن هنا فان من الصعب جداً أن يحاول مصلح تغيير كل ذلك بقانون واحد، كما فعلت بعض الدول اليوم حين أرادت أن تقتلع من المجتمع عادة أضرّت به، وفتكت بقواه فأصدرت قانوناً يحرم الخمر وجهزت لتنفيذ القانون جيشاً ضخماً من الوسائل الرادعة ولكنها فشلت في نهاية الأمر لعاملين:

الأول: انها لم تغير النفسية والشخصية.

الثاني: انها واجهت المجتمع المعتاد وأرادت أن تقلع عادته بلحظة.

وهكذا نجد الأمر عندما حاولت نفس تلك الدولة من قبل أن تحرر العبيد بقانون حكومي ولكنها فشلت، وكان ذلك سبباً لحرب أهلية طاحنة، كان من الممكن تفاديها لو استعمل الاسلوب الحكيم في ذلك.. نعم؛ أدرك الاسلام هذا المعنى فاتخذ الاسلوب التربوي واستعمله في مجال اعطاء الأحكام السماوية؛ فكان يبدأ أولاً بصياغة العقيدة الواضحة والشخصية المتعبدة ثم يهيء الأرضية الاجتماعية لصدور الحكم وهكذا يتدرج حتى يعطي الحكم النهائي في الموضوع.

[illegible]

المسائل [illegible]

تحريم [illegible]

معالجة [illegible]

و[illegible] التنبيه الى أمرين:

الأول: ان التدرج في القرآن لا يمكن أن يتصور قيامه إلا على هذا الأساس.

الثاني: ان القرآن المكي غالباً ما كان يقوم بعامل تهيئة المراحل الأولى لعملية التدرج، فبالاضافة الى تركيزه العقائدي وتأكيده على خلق الشخصية المتعبدة كان يشير اشارات عابرة الى الأحكام التي يراد بعد ذلك أن يلتزم المجتمع بتفاصيلها.

وهذا ما يلاحظ في مثل الآيات التالية:

«ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها».

«قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى» «يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر».

«أرأيت الذي ينهى * عبداً إذا صلى».

«أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين * فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراؤون * ويمنعون الماعون».

وانما تركز على تهيئة النفسية التي تتطلب الصلاة وتتقبل ما يفرضه الاسلام عليها من أحكام الزكاة التي تزكي النفس.. ومن ثم تأتي [illegible]

نستطيع [illegible]

[illegible]

المثال الأول ــ تحريم الربا:

ولقد ذكرت لهذا التحريم مراحل أربع نعني ــ وان لم نستطع اثبات تسلسلها الزمني حتماً ــ متسلسلة منطقياً على الأقل بما يوحي بالتسلسل الزمني.

المرحلة الأولى ــ مرحلة الوعظ الأخلاقي، وبيان ان المرابي سوف لن يحظى بمرتبة رابية عند الله.

«وما آتيتم من رباً ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون» (الروم: ٣٩).

المرحلة الثانية ــ ايجاد أرضية التحريم بالحديث عن اليهود وصفاتهم الرذيلة التي منها «وأخذهم الربا وقد نهوا عنه...» (النساء: ١٦١) وهذا يوجد حالة انتظار لعملية التحريم.

المرحلة الثالثة ــ تحريم الربا المضاعف.

«يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون». (آل عمران: ١٣٠)

المرحلة الرابعة ــ التحريم النهائي الشامل.

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون [illegible]

[illegible]

[illegible] الأنعام [illegible] سكراً ورزقاً حسناً...» (النحل: ٦٧).

المرحلة الثانية: مرحلة التحريم المطلق للاثم وهذا فيه اشارة أقرب الى الخمر باعتبار ان الخمر كانت تسمى إثماً.

«... قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم...» (الأعراف: ٣٣) وهي مكية.

المرحلة الثالثة: التركيز على الخمر كمصداق من مصاديق الاثم كما في الآية المدنية الشريفة ــ «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما...» (البقرة: ٢١٩).

وواضح انه لسانها لسان رفق ونصح.

المرحلة الرابعة: مرحلة تحريم الصلاة مع السكر. «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى...» (النساء: ٤٣)

المرحلة الخامسة: مرحلة التحريم النهائي.

«يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه...» (المائدة: ٩٠)

المثال الثالث ــ تشريع الارث ــ وقد تم الانتقال على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة ابقاء الحكم الجاهلي بالتوارث بالعقد.

[illegible] وذلك [illegible] تسود [illegible] الاقتصادية [illegible] كان المسلمون [illegible] بعد أن أخرجوا من ديارهم وأموالهم [illegible] هذا اللون من التوارث دوره المطلوب بالاضافة الى تركيزه لمعاني الأخوة العقائدية وكونه مصداقاً لها.

المرحلة الثالثة: مرحلة التفصيل في احكام الارث.

«يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين...». (النساء: ١١)

المثال الرابع ــ الموقف من قضية الرق:

فلقد كان الاستعباد سنة عالمية تعمل بها البشرية كلها وتقرها كل المبادئ والأديان السائدة بما فيها المسيحية واليهودية.

وكان العبيد يشكلون العصب الحساس للمجتمع، وطبقة لها نفوذ لا بأس به في المجالات الحيوية، وكانت الطرق التي يتكون منها أفراد هذه الطبقة كثيرة أهمها مايلي:

١ ــ استرقاق العدو المحارب ومن ثم الأولاد.

٢ ــ استرقاق الولي الظالم لمن هم تحت ولايته ومثله استرقاق كل متغلب على من هم تحت سيطرته.

٣ ــ تبعية الطفل للأم الرقيقة ولو كان الأب حراً.

٤ ــ الهروب من الجيش والامتناع عن دفع الضرائب.

٥ ــ الأشخاص الذين يحملون شخصية ويهربون الى دولة أخرى فيعتبرهم لدولهم.

٦ ــ ارتكاب جرائم القتل.

٧ ــ الغش في المعاملة.

٨ ــ الفقر الذي يدعو الانسان لبيع نفسه.

هذه بعض أسباب الرق التي مازال الغربيون يعملون ببعضها ولو تغيرت الأسماء بعض الشيء.

وجاء الإسلام ونظر الى الأمر نظرة واقعية غير متسرعة. واستهدف أن يحقق الحرية ويلغي نظام الرق ــ كما يبدو من تصرفاته ــ تبعاً مع عدم الإخلال بالنظام الاجتماعي المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعبيد أولاً، وعدم الإخلال بالقانون العسكري الذي كان يقوم على استرقاق الطرف الآخر ثانياً. وهكذا نظر الأمر نظرة واقعية.

إما الأمور التي اتبعها الاسلام لتحقيق الإصلاح الواقعي فتتناول مايلي:

ـ اعلان فكرة انفتاح طريق التكامل المعنوي للجميع على حد سواء:

وهذه فكرة اسلامية واضحة وضحتها الآية القرآنية الشريفة: «يا أيها الناسُ إنّا خلقناكُمْ من ذكرٍ وأنثى وجعلناكُمْ شُعوباً وقبائلَ لِتعارَفوا إنَّ أكرَمَكُمْ عند الله أتقاكُم...». فالتقوى هي تقدير السمو والمنزلة في الاسلام، والعمل الصالح يؤثر في رفع درجات الانسان أياً كان لونه و مقامه ونسبه «فمَن يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرّةٍ خيراً يَرَه».

وقد رأينا ان المجتمع الاسلامي قدّر أشخاصاً كانوا عبيداً أو من العبيد أكثر بالكثير من ملوكهم وحكامهم.

وبتعبير مختصر فقد ألغى الاسلام النظرة السخيفة الى العبد كمخلوق حقير وكحيوان لاأكثر بعد أن كانت شائعة بينهم. وركّز على أن: لافضلَ لأبيضِكُم على أسودِكُم، كما لافضلَ لعربيٍّ على عجمي إلاّ بالتقوى.

ب ــ الدعوة الى جعل المولى كالاخوان والمعاملة الحسنة:

فقد ورد عن النبي(ص) قوله: «اخوانكم خولكم».

وهذا تعبير جميل عن الأخوة الاسلامية واسلوب المعاملة التي يجب أن يتبعوها تجاه العبيد ولايترفعوا عليهم، وقد جاءت بعض الروايات التي تبين حسن الاستيهاب من العبد، وان المال المُعطى في قبال ذلك يجب أن يبقى في ملكه.

ففي الخبر عن الصادق(ع) ــ كما رواه الصدوق عن إسحاق بن عمار:

قلت لأبي عبدالله(ع) ماتقول في رجل يهب لعبده الف درهم أو أقل أو أكثر فيقول حللني من ضربي إياك ومن كل ماكان مني إليك.... ثم أن المولى بعد أصاب الدراهم التي أعطاه في موضع قد وضعها فيه العبد فأخذها المولى أحلال هي؟ فقال: لا. فقلت له: أليس العبد وما له لمولاه؟ فقال: ليس هذا ذاك، ثم قال(ع): قل له فليردها عليه فانه لايحل له فانه افتدى بها نفسه من العبد مخافة العقوبة والقصاص يوم القيامة.[٢]

والكتب التاريخية طافحة بما كان يعامل به

[illegible]
[illegible] (ع) [illegible]
[illegible] من [illegible]
فقال له بعض أصحابه: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة. فقال: مه، إن الرب تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال[3].

وقال نادر الخادم: كان أبو الحسن (ع) إذا أكل أحدنا لا يستخدمه حتى يفرغ من طعامه[4].

والحديث في هذا المجال واسع.

ج ـ اغلاق كل المنافذ إلا منفذ الحرب بشروط معينة:

فقد رأينا ان العبيد كانوا يكثرون من طرق عديدة، ولكن الاسلام أغلق كل الطرق إلا طريق الحرب. فالأسير في الغنيمة يقبل تطبيق أحد الأحكام التالية عليه: اما المن واما الاطلاق بفدية سواء [illegible] الاسترقاق [illegible] لاعتراض على الاسترقاق [illegible]

[illegible]

[illegible] رسالة
[illegible]

[illegible] حياة الرق وبالشكل الاسلامي [illegible] الاسلام يعتبر الانسان [illegible] من الأمل في [illegible].

اما السجن فيعني اهدار الكثير من الطاقات التي يتمتع بها الأسرى بل صرف الكثير من الأموال في سبيل الحفاظ على مثل هذه الطاقات المهدورة.

اما والمجتمع حاضر لأن يتكفل بهذه المهمة، فان الاسترقاق [illegible] هو الطريقة الانجع في علاج هؤلاء [illegible] أولاً، وللاستفادة من طاقاتهم الاجتماعية ثانياً، ولكي يختلطوا
١ بالمجتمع المسلم فيتشبعوا شيئاً فشيئاً بالتعاليم الاسلامية [illegible] طريق الهداية. وعلى أي حال، فقد كانت هناك ضرورة لهذا المنبع [illegible] من العبيد.

[illegible] والتحرير السريع لهم:
[illegible] الباب فتح الاسلام الأبواب [illegible]

[illegible]
[illegible] هذا من أعظم [illegible]
[illegible] في طريق [illegible]
[illegible] الواردة في هذا [illegible]

في [illegible] الصحيح [illegible] ورد الشيخ عن الامام الصادق (ع) انه قال في الرجل يعتق المملوك . قال: يعتق الله عزوجل بكل عضو منه عضواً من النار[٣].

وفي خبر آخر: قال رسول الله (ص): من اعتق مسلماً اعتق الله العزيز الجبار بكل عضو منه عضواً من النار[٢]. وفي خبر آخر: ولقد أعتق علي (ع) الف مملوك لوجه الله عزوجل و برت فيهم يداه. والأخبار كثيرة في شراء الأئمة للعبيد واعتاقهم. ولقد ورد ان أمير المؤمنين (ع) أعتق الف مملوك من كدّ يده. وقد جعلت بعض الروايات لتأكد استحباب العتق أوقاتاً خاصة.

في الخبر الصحيح: يستحب للرجل أن يتقرب الى الله عشية عرفة، يوم عرفة بالعتق والصدقة. كما يستحب عتق العبد ان خدم سبع سنين و يستحب اعطاؤه مايكتسب به.

لتحرير الواجب:

لم يكتف الاسلام بالدعوة الى تحرير العبيد وخصوصاً الذين اعتنقوا المبدأ الاسلامي أصبحوا من المؤمنين. فقد روي عن النبي (ص) انه قال: «من أعتق رقبة مؤمنة كانت فداءه من النار» إنما ادخل ذلك في صميم النظام كواجب يترتب على الانسان أن يقوم به في ظروف خاصة. هذه بعض المنافذ التي فتحها الاسلام للتحرير هي:

أولاً عتق الكفارات:

فقد ورد لزوم تحرير العبد في الموارد التالية:

الظهار والإيلاء، أي الحلف على [illegible] الزوجة الدائمة أبداً أو أكثر من أربعة أشهر — الإفطار — وخلف النذر والعهد واليمين — والحزن المحرم في المصاب — والقتل.

٢ — عتق المرضى: الاقعاد والعمى والجذام، وقال الصادق (ع): إذا عمي المملوك فقد أعتق.

٣ — عتق الاستيلاد: فان أم الولد تتحرر بموت المولى ولا يجوز له بيعها.

٤ — عتق السراية: فلو عتق بعضه سرى العتق الى الكل.

٥ — اسلام المملوك في دار الحرب قبل مولاه.

٦ — عتق التنكيل.

٧ — العتق لتملك الذكر أحد العمودين أو المحارم من النساء.

٨ — العتق لتملك الانثى أحد العمودين.

٩ — تبعية أشرف الأبوين.

١٠ — عتق التدبير: وهو تعليق عتق بعض عبده أو كله بوفاته.

١١ — عتق المكاتبة المشروطة والمطلقة.

١٢ — وهناك قوانين أخرى لشراء العبيد واعتاقهم، فالزكاة يشترى بها الأرقاء (وفي الرقاب) وغير ذلك .

• • •

النقطة الثانية من نقاط التدرج هي الترقيب في توسيع رقعة الدعوة:

وملخصه: ان الاسلام بلاريب كان هو

الدين الذي بعث الى العالم جميعاً وان هذا المعنى كان واضحاً لدى الرسول الأكرم (ص) تماماً. بل ان الاسلام خاتم الأديان بمقتضى عالميته واستيعابه لكل الأجيال العرضية والطولية، وقد أكدت بعض الآيات الاولى للدعوة على هذا المعنى كما في الآية الشريفة: «وإنْ يَكادُ الَّذينَ كَفَرُوا لَيُزلِقُونَكَ بِأبصارِهِمْ لَمّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وما هُوَ إلاّ ذِكْرٌ لِلعالَمينَ» (القلم: ٥١، ٥٢).

إلاّ أنه لما كانت الدعوة تحاول الانطلاق من نقطة الصفر فقد كان التوسيع في نطاق المدعوين يتم وفق طاقات الدعوة وعلى مراحل.

المرحلة الاولى ـــ مرحلة الدعوة الفردية السرية:

يقول هيكل في كتابه حياة محمد(ص): وكان المسلمون الأولون يستخفون لعلمهم بما تضمر قريش من عداوة لكل خارج على أوثانها، فكانوا إذا أرادوا الصلاة انطلقوا الى شِعاب مكة وصلّوا فيها، وظلوا على ذلك ثلاث سنوات ازداد الاسلام فيها انتشاراً بين أهل مكة، ونزل على محمد(ص) من الوحي مازاد المسلمين إيماناً وتثبيتا[8]. وقد اقتصر في هذه المرحلة على دعوة الأفراد فرداً فرداً.

المرحلة الثانية ـــ مرحلة انذار العشيرة علناً «وَأنذِرْ عَشيرَتَكَ الأقْرَبينَ».

المرحلة الثالثة ـــ مرحلة انذار مكة وماحولها.

«وهذا كِتابٌ أنزلناه مُبارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذي بينَ يَدَيهِ ولِتُنذِرَ أُمَّ القُرى ومَنْ حَولَها...» (الأنعام: ٩٢).

المرحلة الرابعة ـــ مرحلة انذار العرب.

«...وتُنذِرَ بِهِ قَوماً لُدّاً» (مريم: ٩٧). «..لِتُنذِرَ قَوماً ما أتاهُمْ من نَذيرٍ مِنْ قَبْلِكَ...». (القصص: ٤٦).

المرحلة الخامسة ـــ مرحلة انذار الناس جميعاً.

« قُلْ يا أيُّها النّاسُ إنّي رَسُولُ اللهِ إليكُمْ جَميعاً...» «وما أرْسَلْناكَ إلاّ كافَّةً لِلنّاسِ بَشيراً ونَذيراً...» «وما أرسَلناكَ إلاّ رَحْمةً لِلعالَمينَ». وهنا بعث(ص) رسائله الى الملوك .

النقطة الثالثة من نقاط التدرج، الموقف من أعداء الاسلام:

وهو مورد آخر من موارد حكمة الاسلام واسلوبه المدرك للظروف ونحن نوجز الحديث فنصور الموقف في أساليبه المختلفة التي قد تتغاير زمناً وقد يتعاصر بعضها وتختلف ظروفها.

١ ـــ اسلوب الدعوة السرية:

إذ مع قوة الطرف المقابل المعادي لا يجد الاسلام بُداً من التخفي وعدم اطلاع الآخرين على نوعية سيره.. وهكذا كان الأمر ودامت هذه المرحلة ثلاث سنوات كما مر.

٢ ـــ اسلوب المجادلة العلنية:

فبعد أن أمر النبي(ص) بأن يعلن دعوته،

كان [illegible]
الحزازات [illegible]
كثرتهم [illegible] بأن يجادلوا
بالتي هي أحسن، ويدعوا إلى سبيل ربهم
بالحكمة والموعظة الحسنة، والدفع بالتي هي
أحسن، وتحسين الخلق فجاءت الآيات التالية:

«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» (النحل: ١٢٥).

«...ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ» (فصلت: ٣٤).

«وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِيناً» (الاسراء: ٥٣).

ونجد كتطبيق لذلك، النماذج التالية:

١ ـ «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ قُلِ اللهُ، وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» (سبأ: ٢٤).

فالآية ـ أولاً ـ تحاول تحريك فطرة المخالفين وتنبيهها الى الرزاق، ثم تحاول التشكيك في موقفهم فيبدو المؤمن وهو المعتقد بأحقية ما يعتقده مردداً فيقول للمخالف: ان الأمر لا يعدو أن يكون أحد منّا على الحق اما هو أو مخالفه، وهذه الروح الموضوعية تساعد على دفع العناد.

٢ ـ قال تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلّٰهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» (سبأ: ٤٦).

وهذا الاسلوب هو أسلوب إعادة الجماهير
[illegible]
علينا بتحويلها الى [illegible]

٣ ـ «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ [illegible] بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ٦٤)

«وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِلٰهُنَا وَإِلٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (العنكبوت: ٤٦).

و يلاحظ فيها التأكيد على نقاط الإلتقاء قبل بيان مواطن الإختلاف. ويمكننا أن نجد في اسلوب دعوة الأنبياء لقومهم ومجادلتهم لهم خير مرشد للمسلمين في مجادلتهم، وهذه هي احدى فوائد قصص القرآن وما أكثر تلكم الفوائد.

فلنقرأ الآيات الشريفة:

قال تعالى: «وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَباً قَالَ: هٰذَا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ: لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ: هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ: لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ: هٰذَا رَبِّي هٰذَا أَكْبَرُ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ: يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (الأنعام: ٧٥، ٧٩).

«وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ: لَقَدْ

[illegible]

قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون. قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم. قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون. فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون. ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون. قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم. أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون». (الأنبياء: ٥١ ـ ٦٧).

«اذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى». (طه: ٤٣ ـ ٤٤)

٢ ـ أسلوب الموقف السلبي:

وهذا الموقف يقوم على اسس واقعية أصيلة، سواء كان في مجال العقيدة أو العمل أو المواقف، ويشتد هذا الموقف صرامة في حالات عناد الطرف الآخر أو عمله على مناوأة طريق المساواة أو إثارات الماكرة الروابط العاطفية إلى غير ذلك، ولهذه القاعدة أثر دوراً كبيراً في ابناء المسلمين [illegible]

[illegible]

[illegible] الإسلامية [illegible] النحلة أو عدم الركون [illegible] السلمي القتال، فالآية القرآنية الأخرى تشير إلى ذلك «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار...».

وأخيراً، فالمقاطعة العاطفية لأجل العواطف التي يحملها المسلم يجب أن تبتنى اسس عقائدية، ومن هنا جاءت الآية الكر «لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم...» وتبقى دائرة البحث تشمل والرسول والأئمة(ع) وصالح المؤمنين. استعمل الاسلام هذا الأسلوب في الج الداخل أيضاً. وأقصد به انه استعمله كعقا لاولئك المسلمين المتقاعسين عن واجب الاسلامي كما في قضية الثلاثة الذين تخلفوا الجهاد، وامر المسلمين بمقاطعتهم وكا المقاطعة شاملة حتى ضاقت عليهم الأرض رحبت ثم جاءهم الفرج الإلهي.

والمقاطعة السلبية عنصر مهم واسلوب أ في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراحل في محله.

[illegible]

[illegible] المقابلة المسلحة للعدو من

[illegible] في هذا الاسلوب انه

[illegible] على المسلمين [illegible] ذلك بعض الأمور [illegible] أشار اليها الكتاب [illegible]:

أ ـ [illegible] الدعوة الاسلامية واحتمال القضاء عليها تماماً لو تطور الأمر الى مجابهة مسلحة.

ب ـ كون تلك الفترة فترة إعداد تربوي للقادة، وهي تتطلب جواً قد لا يتوفر في حالات المجابهة بالسلاح، وعلاوة على هذا فان قريشاً وان استعملت كل وسائلها في سبيل منعه (ص) من التبليغ إلاّ أنها فشلت في ذلك، فلم يكن طريق التبليغ مسدوداً تماماً في وجه المسلمين.

جـ ـ قوة نظام الثأر العشائري والذي يؤلب على المسلمين مختلف القبائل العربية.

د ـ ان المجابهة كانت تعني حدوث المعركة الدامية في كل بيت. ومن آثار ذلك قوة الاشاعات والتقولات التي تستغل الجانب العاطفي فتزعم للناس ان النبي (ص) جاء لضرب وحدة الناس وشق عصا الجماعة الواحدة. وهذا ماشهدناه قوياً مؤثراً في بعض الساذجين. وشهدنا القرآن الكريم يعرض قصة «آل يس» هادفاً فيما يهدف السخرية من اولئك الذين يطلقون هذه الاشاعات و يعتبرون مجيء الأنبياء موجباً للتشاؤم والتطير.

فكيف يكون الحال لو أمر النبي أخاً ليقتل أخاه، وما هو تأثير ذلك في النفوس والدعوة الاسلامية [illegible]؟ ثم ان هذا الأمر سيكون [illegible] لا تتحملها إلاّ النفوس [illegible] بأفكار [illegible] والتي [illegible] عواطفها على أساسها.

هـ ـ ان المجابهة المسلحة ستحرك القبائل البعيدة ضد المسلمين، اذ ستخرج من اطار كونها دعوة محلية، وحركة داخلية فتحس بأن القبائل بالخطر الذي يتهددها في المستقبل القريب فتمد يدها لمعارضي الاسلام كي يسهل لهم القضاء على نبتته الضعيفة، وقد رأينا ان تلك القبائل قد شكلت خطراً كبيراً بعد ذلك حينما أحست بالخطر يحدق بها من قريب.

و ـ ان اتخاذ دور المظلوم المقهور المعتدى عليه من قبل زعماء قريش كان يدفع الكثيرين للدفاع عن الدعوة بدافع النخوة العربية التي تنتصر للمظلوم، فلم ننس بعد ان الكثير من هؤلاء المتحمسين لهذا الأمر كانوا قد تجمعوا في تلك الفترة تقريباً لأجل تشكيل حلف يدافع عن المظلومين «حلف الفضول» وقد اشترك فيه النبي (ص) وكان يذكره بتبجيل فيما بعد.

ز ـ هذا بالاضافة الى ان الاسلام كان ينظر نظرة بعيدة فيتوقع لهؤلاء المعارضين أن يكونوا في المستقبل في طليعة حاملي الاسلام العالمي، وكذلك بالاضافة الى طبيعة الاسلام الخيِّرة التي تتجنب ايصال الأذى مهما أمكن.

لعله لكل هذه الأسباب ولغيرها قد منعت المجابهة المسلحة في الفترة المكية قبل وفي فترة يسيرة بعد الهجرة. واذ اشتدت وطأة الكافرين امر الرسول (ص) بالهجرة.

ولكن الاسلام أمر بالقتال حين أحسَّ بضرورته من جهة و بضعف المبررات التي

[illegible]

وكان أول لواء عقده لحمزة (رض) في رمضان الشهر السابع للهجرة ثم تتابعت السرايا، وكانت سرية عبدالله بن جحش في رجب الشهر الحرام، وهنا نزلت الآية الكريمة: «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال...». ثم كانت غزوة بدر وهكذا.

شبهة السيف:

وهي شبهة انطلقت أول ما انطلقت من المستشرقين ــ فيما نقدر ــ وكان الغرض منها تشويه سمعة الاسلام و الانتقاص من قدراته الذاتية على التوسع، فادعي بأن الاسلام إنما انتشر بالسيف وقد قام كتاب اخذتهم الغيرة على الاسلام، ودافعوا عن ذلك قائلين: بأن حروب الاسلام كانت كلها حروباً دفاعية فلم يهاجم الاسلام أحداً مطلقاً، والحقيقة اننا لانستطيع المجازفة بذلك أولاً ولانجد داعياً للقول به ثانياً.

ان من ينظر الى طبيعة الاسلام العقائدية والعالمية، والى أهداف الاسلام في قيادة العالم وايصاله الى الكمال، ثم ينظر الى ضراوة الكفار وتوسلهم بكل وسيلة للقضاء عليها، يجد ان من الطبيعي أن يحمل الاسلام السيف.

فلم يكن الاسلام دين أفراد بل كان دين الانسانية. ولم يكن الاسلام مجموعة أفكار بل كان فكرة عن الكون، ونظاماً يقوم على أساس تلك الفكرة، لايقوم النظام إلاّ بتملك السيطرة على تطبيقه، والقضاء على من يقفون حجر عثرة

[illegible] على [illegible] تاريخ أي دعوة أو تاريخ [illegible] وقد بينت الآيات القرآنية مبررات القتال:

«الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين ك[...] يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطا[ن] كيد الشيطان كان ضعيفاً» «قاتلوا الذين لا يؤ[منون] بالله ولا باليوم الآخر...» «وقاتلوهم حتى لا تكون ويكون الدين لله...».

ان الهدف هو تكوين البشرية المؤمنة [...] يكون الدين كله لله، باعتبار ان الله تعالى خ[...] البشرية علم ان الاسلام هو دواؤ ها، فال[...] يقف حجر عثرة في سبيل كمال الانس[ان] ولايرضى بالتسليم على الأقل للحك[م] الاسلامية و يعمل على تقويض عملية انت[...] الاسلام مثل هذا الانسان يعتبر جرثومة سا[...] للانسانية جميعاً.

نعم؛ لايكره الاسلام على العقيدة إلا [...] حدود الايمان بالله، ولكنه لن يدخر وسع[اً في] تعميم حكومته على الأرض، وهذا هو مقتض[ى] دعوته لاصلاح الأرض فلن تصلح الأرض [...] وجود مقاييس مختلفة وأهداف متوزعة.

واذا تم هذا نقول؛ ان حمل السي[ف] ضروري في بعض الأحيان ولكنه فرق بين تحمل السيف لتحرير الانسان من العبوديات المذلة له وتجعله عبداً لله فقط، و[...] تحمله لأجل اذلاله واستغلال موارده وطاقا[ته]. على انه لايفوتنا هنا أن نشير الى ان امماً ك[...] أسلمت بواسطة التبليغ والدعوة. كما لايفوتن[ا] ننتبه الى ان المسلمين الأوائل كلهم أس[...]

بالمسلمين والحصول على الأراضي التي فتحت عنوة بقيت مسلمة حتى بعد زوال الضغط الاسلامي عنها وغير ذلك.

٥ ـ اسلوب الهجرة:

وهو ايضاً أحد الاساليب المهمة التي اتبعها المسلمون للحصول على مكاسب كبرى في تاريخهم الأول، وقد تمت الهجرة أولاً على صعيد محدود، وان كانت الى بلد بعيد وهو الحبشة ثم كانت على نطاق شامل الى يثرب، اما الهجرة الأولى الى الحبشة فقد حققت بعض الأهداف بنجاح وذلك انه:

١ ــ انقذت بعض المسلمين من العذاب المرّ الشديد الذي كان قد يودي بحياتهم.

٢ ــ أكدت مظلومية المسلمين وجبروت قريش للعرب وغيرهم مما زاد في عطف الغير عليهم.

٣ ــ أحدثت هزة كبرى في ذلك المحيط مما وجه الانظار نحو الدعوة الجديدة ومعرفة حقيقتها.

٤ ــ كان لتلك الهزة أثرها الكبير في اضعاف عزائم الأعداء أمام ذلك الاصرار الهائل.

٥ ــ يمكن أن نعتبر الهجرة دورة تدريبية على التشبع بروح العقيدة وصياغة الحياة وفق أوامرها وتركيزها في النفس.

٦ ــ نقل اشعاعات الدعوة الاسلامية الى الخارج بأسلوب بسيط.

وكانت الهجرة الثانية الى يثرب وهي الهجرة العامة والحدث التاريخي الكبير الذي أحس الكل بقيمة الهجرة فابتدأ تاريخ المسلمين من الهجرة مشعراً بعظمتها.

فان هذه الهجرة كانت تمتلك النتائج السابقة بصورة أقوى وأعمق. بالاضافة الى كون المدينة تمتلك آفاقاً أرحب يمكن للدعوة الاسلامية فيها أن تتنفس و يبدأ المجتمع الاسلامي اولى مراحله، بعد أن كادت قريش تخنقها بضغطها العنيف، و بعد أن مات نصيرا الاسلام العظيمان: أبوطالب وخديجة.

وهنا نود أن نشير الى ان البعض اعتبر الهجرة نوعاً من الموقف السلبي وهذا أمر لانقبله بل هي ــ بالنظر الى طبيعتها ونتائجها ــ عمل ايجابي فعّال.

٦ ــ اسلوب المعاهدة والصلح:

وهو اسلوب آخر من أساليب الاسلام في تحديد موقفه من غير المسلمين عامة والأعداء منهم بصورة خاصة، وقد كان لهذا دور مهم في حماية ظهر الدعوة الاسلامية وفي بسط نفوذها والتمهيد لانتصارها النهائي. ولايسعنا الحديث عن الفوائد المختصة بكل عهد.

٧ ــ الحرب الفكرية المضادة:

وهذا ما اضطلع بحمله القرآن الكريم الذي كان يضعف عزائم العدو بآياته المتدرجة ويحكي قصص الأمم التي تشابه الأمة المعارضة وكيف وصلت الى الخسران وغير ذلك.

كانت هذه هي أهم الأساليب التي اتخذها الاسلام في مجال موقفه من أعداء الدعوة.

[illegible]

[illegible]

[illegible] القرآن وحكمته

يمكننا أن نتصور لذلك فوائد كثيرة أهمها:

١ ــ تفادي الصدمة ــ وذلك لأن العقائد كانت تتمثل بالعصبية والطبقية وغير ذلك، وتسود المجتمع الزعامات القبلية، وفي مثل هذا الجو يكون التحدي على فرد واحد موجداً لروح الثأر فكيف بنسف العقائد والزعامات مرة واحدة. ان ردود الفعل ستكون قوية جداً مما يتوقع معه القضاء على الدعوة الاسلامية وهكذا الأمر بالنسبة لضرورة التدرج في اعطاء الاسلام.

٢ ــ تفهم القرآن بروحه ــ إذ أن فهم القرآن ليس أمراً يسيراً كما انه غالباً ما يرتبط فهم الآية بالموقف النفسي، فالمحارب يشعر بقيمة الآية المؤمنة له وجودها، غير ما يشعر به الجالس في بيته.

ان الفهم يحتاج الى فرصة كافية ليتعمق المسلم في معاني الآيات. وخصوصاً إذا تنبهنا الى أن العملية تبدأ من الصفر.

يروي ابن مسعود: «كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن».

ومن علل التدرج التي يذكرها جمع البيان قوله: «ويكونوا أقدر على التأمل والتفكر فيه ولذا كان من الضروري أن ينزل تدريجاً.

ان عجزهم عن الفهم ينتج شيئين:

[illegible] الأحمر [illegible] يستهدف [illegible] الذي يعز [illegible] أن يتحوا [illegible] مايريد بلا وعي.

أو التوقف والتخلص من هذه العملية بكاملها. وبتعبير آخر فان القطرة قطرة هي التي تؤثر تماماً والدفعة تغرق ــ كما يقولون ــ.

٣ ــ تركيز الشريعة في النفوس ــ فاننا لاحظنا الفروق بين المعجزة الاسلامية الخالدة «القرآن» وباقي المعاجز التي جرت على أيدي الأنبياء عرفنا أن تلك المعاجز كانت تتصف بما يلي:

أ ــ المحدودية الزمانية والمكانية.

ب ــ انها تجعل الانسان أحياناً أمام أمرين لا ثالث لهما، اما الايمان واما العذاب والضلال التام، وهذا مما قد ينتج الايمان الاجمالي.

ج ــ الانفصال بين الرسالة والمعجزة التي توفر السند لها.

د ــ ان أكثرها بل كلها ترتبط بجانب الاعجاز المادي.

هـ ــ انها تعتبر خرقاً للنواميس الطبيعية.

الى غير ذلك في حين نجد القرآن على العكس من ذلك باعتبار [illegible]

أ ــ [illegible] محدوداً بزمان ومكان [illegible] الرسالة الخالدة.

[illegible] الايمان في النفس

[illegible] التربية [illegible]

ج ــ [illegible] واحد.

د ــ [illegible]

هـ ــ [illegible] لاخرقاً لها.

وعلى أي [illegible] الصفة [illegible] الأجيال [illegible] الصفة تستطيع أن [illegible] القرآن بالتشريع ليصعد بالانسان من مرحلة الى أخرى.

يقول في [illegible] هذا التشريع بانه «ليكون [illegible]».

٤ ــ [illegible] الاتصال [illegible] المتواصل بالسماء ــ وهذا [illegible]:

أ ــ ان هذا التشريع [illegible] في [illegible] عنصر انتظار السماء [illegible] في كل حادثة مما يطبع حياتهم بطابع [illegible] أوامر الله. وهكذا تكون الآيات القرآنية أوامر سماوية يتلقاها المسلمون كما يتلقى الجنود الأوامر اليومية.

ب ــ خلق الصمود [illegible] والأمل في نفوس المسلمين باعتبار أنهم [illegible] بأن جبار السماوات [illegible] خطواتهم [illegible] كل ما يملكون في سبيله [illegible]

تارة يسلي [illegible] على ما [illegible] الرُّسُل» و [illegible]

[illegible] لأن الكافرين [illegible] عند تنزل [illegible] التي [illegible] الكافرين بآيات الله [illegible] خطواته فيقول: «[illegible]» ويخفف عنه: «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى».

وإذ يشعر المسلمون بتسديد قائدهم من قبل السماء يحسون بالمدد وتزداد عزائمهم وكذلك عندما توجه أوامر القتال أو آيات الاسناد الملائكي للمسلمين أو آيات الرضوان عنهم عندما يشعرون بذلك فلابدّ أن نتوقع منهم كل التضحيات. ومن هنا يقول في مجمع البيان:

«اذا كان يأتيه الوحي متجدداً في كل حادثة، وكل أمر، كان ذلك أقوى لقلبه وأزيد في بصيرته».

ج ــ ويمكن أن نلتفت الى جانب تأثير ذلك على المنافقين وخطط الأعداء الآخرين إذ تجعلهم جميعاً في حذر شديد من انكشاف مؤامراتهم الحاقدة مما يثبط عزائمهم بلاريب.

٥ ــ ظهور وجه الاعجاز بصورة أكبر:

وذلك لأن القرآن نزل خلال ٢٣ سنة متفرقاً هنا وهناك، وفي حالات الحرب والسلم والامن والخوف والنصر والهزيمة والموقف الجاد والمواقف العاطفية وهكذا، وتناول مختلف الشؤون الانسانية، ومع كل هذا التفرق نلحظ الوحدة فيه كاملة «...وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً» .

٦ ــ تركيز الاثنينية: بين الله تعالى موحي القرآن، وبين الموحى اليه وهو الرسول (ص) في

نفوس المسلمين. فهو غاية من العجلة بقراءة القرآن من قبل أن يقضى إليه وحيه، وأخرى يمتد ثم يفتر فتأتيه سورة «المدثر» وتأتيه سورة «اقرأ» ثم يفتر الوحي ثلاث سنوات و يأتي حديث الافك، و يضطرب الجميع و يتأخر الوحي فينتظره الجميع حتى ينزل، وهكذا يشتاق النبي(ص) الى الكعبة و يقلب وجهه أشهراً عديدة ولاينزل القرآن، ثم بعد ذلك تأتي الآية الكريمة: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وجهِكَ....» وهكذا تتابع المواقف التي يوصف فيها بالعبودية و يقفها موقف المتأدب أمام الله.

وكل هذا يركز — كما يبدو —:

أ — الاثنينية التامة بينه و بين الباري جلّ وعلا تحرزاً من دعوات الانحراف والخلط مما قد يؤدي الى انحرافات كبرى.

ب — دفع الشبهات التي قد تثار — كما أثيرت من قبل البعض، بأن الوحي كان من حالاته (ص) ومن ابداعاته والعياذ

وعلى ضوء ماسبق؛ يمكننا ان نفهم بشكل ا مغزى الآيات القرآنية الكريمة والأحا الشريفة التي تحدثت عن الموضوع.

يقول تعالى:

«وقُرآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ على النّاسِ على مُكْثٍ تَنزيلاً» (الاسراء: ١٠٦).

و يقول تعالى في سورة الفرقان الآية ٢٠

«وقَالَ الّذينَ كَفَروا لَولاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ واحِدةً كذِلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فؤادَكَ ورَتَّلناهُ تَرتيلاً».

الخلاصة:

عرفنا مما سبق؛ ان التدرج في : المواقف كان تعبيراً أصيلاً عن مرونة الا التي هي بالتالي تعبيرعن واقعية الاسلام●

الهوامش

١ — العدد الرابع السنة الاولى، رمضان شوال ١٤٠٣هـ.
٢ — الوسائل ج ١٣، ص ٣٥.
٣ — أعيان الشيعة، ق/ ١٠٦.
٤ — البحار ج ١٢، ص ٣٠.
٥ — اقتصادنا، ص ٢٧٥ — ٢٧٦.
٦ — الوسائل، ج ١٦ — ص ٢.
٧ — حياة محمد ص ٣.
٨ — حياة محمد ص ١٠٣.

مقابلة

الأستاذ فهمي هويدي للتوحيد :

- يشترط في الصحفي المسلم، ان يكون مؤمناً، ملتزماً وموهوباً في هذه المهنة .
- العلاقات بين الانظمة السياسية باتت تعكس آثارها على كافة العلاقات .

الأستاذ فهمي هويدي، كاتب وصحفي اسلامي معروف، زار الجمهورية الاسلامية في ايران أكثر من مرة، وخلال زيارته الأخيرة، التقته (التوحيد)، فتحدث اليها عن دور الفن في الصحافة والاعلام الاسلامي، والشروط التي يجب أن تتوفر في الصحفي المسلم، والمشاكل التي تواجه الاعلام الاسلامي، وما الى ذلك من أمور أخرى.

■ بنظركم ــ كصحفي مؤمن مسلم ــ ما هو دور الفن في: الصحافة، الاعلام الاسلامي وفي تبليغ الأفكار الاسلامية الحية؟

الأستاذهويدي:

في الحقيقة؛ ان الفن بالغ الأهمية بالنسبة للصحافة، وبالغ الأهمية كأداة من أدوات التوصيل والتبليغ. ولأنه يخاطب المشاعر الرقيقة في الانسان وحواسه غير المادية،و يخاطب حسه، فقديكون أقرب وأنجح الوسائل في توصيل الرسالة الى الناس.

ولو استطاع المبلغ المسلم أو الفنان المسلم أن يوظف هذه الوسيلة في خدمة الرسالة، فمن المؤكد انه سيحقق انجازاً كبيراً للغاية، ولكن المشكلة أن علاقة الاسلاميين بالفن لم تستقر بعد،

اولاً: من حيث تعريف الفن ذاته، ماهو المقصود بالفن؟

ثانياً: من حيث قبول التعاليم الاسلامية والشرع الاسلامي لمختلف أنواع الفنون.

فهناك خلافات ــ كما نعرف ــ حول الموسيقى، وحول الأغاني، وحول التماثيل، وربما أيضاً حول بعض الفنون التشكيلية الأخرى خارج هذه الدائرة.

أنا لا أدعي معرفة كافية بفقه الأخوة الشيعة في هذا المجال، لكنني أعلم أنه في الفقه السني عند ابن حزم مثلاً يبيح الموسيقى و يعتبرها ليست من المحرمات، بينما الكثير من الفقهاء يعتبرونها مشوبة بقدر من التحريم، لظنّ انها مما قد يستثير الغرائز والشهوات، ولا تكون مع سياق الذوق المسلم المطلوب تربيته.

ومع هذا؛ فأنا لا أستطيع أن أدعي معرفة جيدة، أو كفاءة في الفتوى، وإ لي رأي متواضع في هذا الصدد، خلاصته:

إنّ الكثيرمن الفنون والعلوم هي وقنوات محايدة ليست محرمة في ذاتها العبرة في توظيفها. فليس هناك من أ بذاته محرماً، فأنت تستطيع أن تستخدم تعبئة الناس وحشدهم واستثارة حماسهم وللخير وللفضيلة ولكل القيم السامية التي بها الاسلام، كما انك – في العلم –تست تستخدم التقدم العلمي –كالذرة م إنقاذ البشر، و تستطيع أن تستخدمها البشر ــ في الوقت ذاته–.

فليست العبرة في الفن ذاته،ولكن ا الكيفية التي يوضح بها الفن في المجتمع.

وهناك نقطة أخرى تتعلق بنظر الفقهاء للفن، إذ أن أكثرهم يرى في ال الصورة المبتذلة التي عرفها المسلمون في العباسي الثاني، و يظن ان كل موس مرتبطة بالقيان و بمجالس المتعة والفساد يعذرون في هذا، ولكن ينبغي أيضاً أن الظروف التي دفعتهم الى الافتاء بتحريم الفن استخدمت استخداماً سيئاً، وكان العناصر التي أدت الى تحلل المجتمع الا في الماضي.

فأعود وأكرر: ان الفن وسيلة للتبليغ، و وسيلة متقدمة لمخاطبة مشاعر

وأحاسيسهم، وإذا نجحنا في توظيفها لخدمة الرسالة بكفاءة، نكون قد حققنا بذلك انجازاً كبيراً يخدم الاسلام و المسلمين و يرضي الله ورسوله.

■ **مندوب المجلة ــ موضحاً ــ حول رأي السيعة:**

يوجد خلاف حول الدائرة المحرمة من الموسيقى، والدائرة المحرمة من الغناء، و أيضاً حول الدائرة المحرمة من التماثيل.

هناك طبعاً إجماع على تحريم التجسيم ــ التمثال المجسم ــ وهناك أيضاً اختلاف حول دائرة التصوير، و يكاد يكون هناك شبه إجماع على تحليل التصوير ــ الرسم.

إنّ الإمام الخميني له رأي جيد فيما يخص الموسيقى، إذ يقول سماحته: الموسيقى تلحظ من حيث أدائها الى الطرب والمتعة التي ترافق مجالس المجون واللهو، فإنْ كانت نوعاً ــ لا لدى شخص معين ــ قد تكون دقات الساعة لدى شخص باعثة على الرقص ــ هذا انسان خارج عن المعتاد. أما المعتاد، فالموسيقى التي هي بنوعها ــ بطبيعة الحال ــ تثير الطرب والذهول عن النفس هي موسيقى محرمة.

أما الموسيقى التي لا تثير الطرب ــ لنفرض أنها الموسيقى الايقاعية، أو الموسيقى المذكرة بالطبيعة، أو الموسيقى الحماسية في الحرب وأمثال ذلك، أو موسيقى هذه الأناشيد التي نسمعها ــ فهي موسيقى محللة. و بين الاثنين هناك شيء ثالث، هناك موسيقى نشك في أنها مطربة أو غير مطربة. هذه الموسيقى المشكوكة محللة أيضاً، يعني انه ليس هناك قانون عام لتحريم الموسيقى بكاملها، حتى إذا شككنا نرجع هذه الموارد المشكوكة الى القانون العام.

إذن: عندنا ثلاثة أنواع:

النوع الأول: المطرب الذي يذهل الانسان عن نفسه بشكل كامل، كما أشرتم اليه في مجالس الغيان واللهو والمجون.

النوع الثاني: غير المطرب.

النوع الثالث: المشكوك.

فالنوع المحرم الوحيد هو النوع الذي يؤدي الى الطرب والخفة والابتعاد عن التوازن الانساني المطلوب.

إن علاقة الاسلاميين بالفن لم تستقر بعد...

■ **ما هي العقبات والصعوبات التي يتوقع المسلم أن يواجهها في عالمنا ــ اليوم ــ في خضم ما نعيش من أحداث؟**

الاستاذ هويدي:

دعنا نعرف ــ أولاً ــ من هو الصحي

الأصلي؟

في حدود تجربتي المتواضعة أقول: يشترط في الصحفي المسلم أن يكون: مؤمناً ملتزماً وموهوباً في هذه المهنة، وأن لايكتفي بموهبته هذه، و إنما يصقلها بالمعارف والتحصيل والدراسة. و أنا أعتقد اننا نواجه مشكلة كبيرة في تعريف الصحفي المسلم. لأننا نتصور أن الصحفي المسلم هو فقط من يقدم موعظة ويحفظ الآيات والأحاديث، و يقرأ و يناقش المؤلفات والكتابات الاسلامية و يعرضها.

هذا فهم مختصر للاسلام، لأننا إذا زعمنا ان الاسلام دين تتناول تعاليمه حركة الانسان كلها في عبادته و معاملاته وعقيدته وفي كل مجالات حركته، لابد أيضاً أن نصنف الصحفي المسلم باعتباره ليس ذلك الذي يجيد الكتابة فقط في المسائل العادية للاسلام بل أظن أن غيره قد يجيد الكتابة في هذه الموضوعات وأفضل منه، فالدعاة والمبلغون أفضل من أي صحفي في تقديم هذا الشئ من التفكير المسلم.

أما الصحفي الاسلامي فيمكنني أن أقول: هو كل رجل التزم بدينه و مارس الكتابة في كل مجالات المهنة وميادينها، فنستطيع أن نجد أو ينبغي أن يكون بينا المحرر الرياضي المسلم، والمحرر الفني المسلم، والمحرر العلمي المسلم، والمحرر الطبي المسلم، والمحرر السياسي المسلم. هذا هو الذي نريده.

وأحسب أننا فقراء في هذا الميدان بهذا التعريف، فقلما تجد صحفياً مسلماً يهتم بالعلوم أو بالرياضة أوبالنقد الأدبي أو بالتحليل السياسي.

فالمشكلة الأولى تكمن في فهمنا الصحفي المسلم.

والمشكلة الثانية في توفير النماذج ا التي تتعاطى الاسلام بهذا المفهوم، و تتع المهنة بالتزام عريض بتعاليم الاسلام، فقط بكتابات أشبه الى المفهوم التقليدي

الحمدلله الدعاة كثيرون، والمـ كثيرون، لكننا بحاجة الى التخصـ التالية: الصحفي، الناقد، المحرر الـ الناقد الرياضي، الناقد الفني، الناق و... الخ.

أنا أتصور اننا نواجه نقصاً كبير الميدان، ناشئاً عن عدم نضج رؤية الصحافة الاسلامية والصحفي المسلم.

■على فرض وجود الاعلام الاسلامي، العقبات التي يواجهها بالشكل الـ

الاستاذهويدي:

أعتقد ان العقبات التي تواجه بالدرجة الأولى في المنابر التي تحتمله أ التزامه، بمعنى ان صحفياً بهذا المطو التكوين الذي ندعو اليه مالم يعمل اسلامي يستوعب هذا الفهم ويحتمله له أن يستمر في أداء رسالته في منبر آخر.

مثلاً: إذا دعونا الى صحفي ـ اسلامي، هذا الناقد الفني سيفرض علي الاسلامي أن يتخذ مواقف من الممارسات الفنية أو التي ترتدي اسـ وتنتمي اليه، في حين انها قد تشكل

مواد رائحة أو شديدة الرواج بين الناس و شديدة المول عند ناشري الصحف.

وأنا أعتقد ان أهم مشكلة هي توفير المنابر التي تستطيع أن تحتمل و تستوعب هذه الرؤية الاسلامية، واعتقد ان مثل هذه المنابر قليلة ونادرة في عالمنا الاسلامي.

من هنا؛ إذا حللنا مشكلة الصحفي المسلم، فإننا سنواجه بمشكلة المنبر الاعلامي المسلم، وهذا أيضاً له خطورته الشديدة.

ولذلك تضيق دائرة الممارسات الاعلامية، حيث تنتهي الى تلك الحدود أو تصب في تلك الحدود التي تتمددها، فيصبح الصحفي المسلم هو الذي يستعرض صوراً من تاريخ الاسلام و مناسباتنا الأخرى، في رمضان يتحدث عن الصوم، يسأل الناس عن المفطرات وآداب الصوم، أو الى آخره، وفي موسم الحج يكتب مقالاً عن آداب الحج أو...

لكن الصحفي ـــ بهذا المفهوم الواسع الذي ندعو اليه ـــ مشكلته في ندرة المنابر الاعلامية الاسلامية، و بالتالي هذا قد يعطل رسالته.

■هل تعتقدون ان من مشاكله انه يلجأ الى الارتباط بقوة (محكومة أو مجموعة ممولة) حتى يستطيع أن يوفر له منبراً اسلامياً يقول فيه ما يريد. هذه التبعية و هذا الارتباط يفرض عليه تحديد الرؤية...

الاستاذهويدي:

هذا صحيح، فندرة المنابر الاسلامية تشكل حسناً، و نشكل عنصراً يقلص من مجال حال الصحفي الاسلامي، وقد تقلل من حركته واستقلاله. هذا صحيح.

إننا أصبحنا في ظروف تعيسة للغاية، بحيث ان العلاقات بين الأنظمة السياسية باتت تعكس آثارها على كافة العلاقات، ايجاباً وسلباً.

■ ملاحظة ان رادة الأدب وقادته في مصر كان أكثرهم من المطلعين أو ربما من المثقفين بالثقافة العربية والدارسين للثقافات. ولا ريب ان دراساتهم في الغرب قد تركت بعض مساقطها على نتاجاتهم.

أولاً ـــ ما هو تأثير الثقافات العربية على آداب هؤلاء الرواد أمثال: أحمد أمين، توفيق الحكيم وطه حسين؟

ثم كم ترون أنتم من ضرورة الانفتاح الثقافي بالنسبة للأديب المسلم؟

الاستاذهويدي:

ان الشق الأول من السؤال يعكس ـــ في الحقيقة ـــ أزمة ليست مصرية فقط ولكنها ـــ فيما أظن ـــ أزمة عانى منها وعاشها العالم الاسلامي كله.

فالعالم الاسلامي ــ منذ بداية القرن الثامن عشر تقريباً ــ تفتحت عيونه على شعور بالهزيمة وشعور مقابل بالتفوق الغربي، وكانت الهزيمة لها أسبابها المتعددة. وعلى الأقل في العالم العربي، الدولة العثمانية كانت في عصورها، وفي مراحل تحللها الأخير وبالتالي: هزائمها المتكررة في الداخل والخارج خلقت بين أجيالها المثقفة والسلطة الحاكمة شعوراً بأن الالتحاق بالغرب هو سبيل الانقاذ وسبيل الخروج من محنة التخلف. فكانت النتيجة أن حدث توجه عام في العالم الاسلامي نحو الغرب ليس فقط لاكتساب ثقافاته وإنما قد أقول ان اكتساب الثقافات جاء لاحقاً، لأن الطريق الذي دخل فيه الغرب، وقلب عمل أمتنا كان من باب التقنية، أو العلوم الفنية والخبرة الفنية. فالشعور بالهزيمة النفسية في العالم الاسلامي دفع السلطات الحاكمة والشرائح المثقفة الى البحث عن سبيل للنهضة والتقدم عبر الغرب فلجأوا لاستقدام الخبرة الفنية:

أولاً: من دول العالم الغربي، فكانت البعثات العسكرية الغربية هي طلائع الزحف الغربي على بلداننا في العالم الاسلامي، وواكب هذا ــ قطعاً ــ ان هؤلاء لم ينقلوا خبرات فقط ولكن نقلوا ثقافات أيضاً.

ومن هنا؛ نستطيع ــ وباطمئنان ــ القول أن الشرائح الأولى من المثقفين حتى النصف الأول من هذا القرن كانت ذات تأثر شديد بالثقافة الغربية، خصوصاً وان محاولات الالتحاق بالغرب كانت مصحوبة بتضييق

النطاق حول الثقافة الاسلامية. وأنا أذ
هذا ان والي مصر محمد علي باشا ــ ا
استقدمه وولاه العلماء ــ بني هؤلاء ال
وانقلب عليهم، وكان هو في طليعة دعاة ال
بالثقافة الغربية، وسلم التعليم في مص
خبراء غربيين. وفي المغرب وفي الجزائر أ
واحسب انه حدث أيضاً هنا في ايران باس
واحد وهو: ان المؤسسة الثقافية الاسلامية ه
أو اذا قلنا الحوزة العلمية في ايران ــ كان
مقومات للحصانة والاستقلال، بحيث لم تـ
السلطة من أن تعصف بها بالقدر الذي غـ
بالجامع الأزهر وجامعة الزيتونة.

فالقول بأن طلائع المثقفين الذين أ
اليهم بأنهم تأثروا بالثقافة العربية قول صـ
ولكني أضيف عليه انه لاينطبق فقط على
المثقفين المصريين، بل كان سمة عامة ـ
العالم الاسلامي كله، وهذا ما ينبغي ان نـ
به ونعترف أيضاً انه كان نابعاً من
بالانهزام أمام الغرب، تسرّب الى أعماق
المثقفين مقولة زائفة خلاصتها (أن مـ
النهضة والتقدم هي كلها في الغرب، ومـ
يريد أن يمسك بهذه المفاتيح أن يلتحق بـ
وان ينهل منه).

أما الشق الثاني من السؤال وهو
أظن ــ ضرورة الثقافة الغربية بالنسبة للا
أو الفنان، أقول: إن الحكمة ــ من وجهة
الاسلامية ــ ضالّة المؤمن، أنى وجدها فهـ
الناس بها، وهذا حديث شريف جـ
منذ نزول *الوحي* ونزول *القرآن* على أن ...

ي الأرض و يسعوا فيها، و ينظروا في السماوات والأرض و يسلكوا كل أبواب المعرفة، في الغرب أو ي الشرق أو في أي مكان آخر.

نحن مأمورون، هناك توجيه اسلامي لنا بأن نسعى الى الحكمة، شريطة أن تكون حكمة حقيقية وليست حكمة زائفة.

ومن هنا؛ فأنا أقول: نحن مطالبون ـــ وفق تكليف نبوي ـــ أن نسعى الى كل أبواب الحكمة والمعرفة، سواء كانت في الغرب أو في الشرق، ونمسك بها، ونستوعبها، ونوظفها من أجل عمارة الأرض، وإقامة الخير والعدل في ديار الاسلام.

■ **هل يمكن إذن ـــ وفقاً لهذا المعنى ـــ أن ننقل التكنيك الغربي الفني والتقنية الفنية، لا التقنية الميكانيكية، ان ننقل التقنية الفنية ونستفيد منها ونوظفها في سبيل أهدافنا دون أن نتلى عما يرافق تلك التقنية من مضمون منحط.**

الأستاذ هويدي:

هذا سؤال مهم، وأحسب ان هذا الذي تطرحه هو الموضوع الذي نتبناه نحن، بمعنى اننا نريد ونتمنى أن نحصل من الغرب على خبرته وتقنيته، وأن نتجنب اقتباس قيمه وآدابه وكل ما يتناقض مع تعاليم الاسلام. وهذا طرح سهل من الناحية النظرية، لكنه صعب من الناحية العملية، لأنه لايمكن ـــ عملياً ـــ حجب الآلة أو الخبرة عن القيم المحملة بها، الا اذا تحقق شرط واحد، الشرط هذا يتمثل في حصانة الجسم الاسلامي ذاته، بمعنى اننا اذا لم نتعامل مع هذه الخبرات والتقنيات لثقة في أنفسنا و بايمان بأننا نملك الكثير، وانا لسنا بالعجز والوهن والافلاس الذي يصورونه لنا، اذا تعاملنا مع هذا بهذا القدر من الثقة، فاننا نستطيع حينذاك أن نفصل بين الخبرة والتقنية وبين القيمة العربية.

في التاريخ الاسلامي، حدث احتكاك بالثقافة الاجنبية في مراحل عديدة، وبتحديد أكثر أو بشكل أدق، حدث احتكاك وحدث نقل وحدث تفاعل، ولكن لم يحدث الانسحاق في الجانب الاسلامي، لأن الجسم الاسلامي كان على حصانته ومناعته واحساسه بالقوة.

الشعور بالهزيمة النفسية في العالم الاسلامي دفع السلطات الحاكمة والشرائح المثقفة الى البحث عن سبيل للنهضة والتقدم عبر الغرب....

أما اذا تعاملنا مع الحضارة والتقنيات الغربية ـــ وأجسامنا بلا حصانة، ونفوسنا في حالة الضعف والوهن ـــ فلن نستطيع أن نتجنب هذا المصير الذي تدعو اليه.

هناك مقولة لابن خلدون يقول فيها ـــ وهي ذائعة ـــ «ان المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب». هذا صحيح، ولكنها صحة ليست

مطلقة، بمعنى ليست العبرة في أن تكون غالباً أو مغلوباً، ولكن العبرة: هل أنت في مركز قوة أو في مركز ضعف؟

التتار أو المغول هاجوا العالم الاسلامي، ولكن الذي حدث ان التتار أو المغول هم الذين ذابوا في البحر الاسلامي، لماذا؟ لأنه لم تكن لديهم حصانة تحول دون الذوبان في الفكر الاسلامي.

فالفكرة الأساسية، اننا نتمنى أن نصل الى هذه المعادلة، أن نحصل من الغرب على تقنيته وخبرته، ونتجنب آدابه وقيمه وما يتناقض مع تعاليم ديننا. ولكن هذا لا يتحقق الا اذا وفرنا لأنفسنا قدراً من الحصانة والثقة تمنع من أن نلتمط هذه الجراثيم، وتحصننا من الذوبان في التقاليد والقيم الغربية.

■ أستطيع ان الخص ما تقولون: إننا يجب أن نتعامل مع كل فكر غريب بروح تعامل المسلمين الأول مع الفكر الغريب عنهم، لا بروح تعامل هؤلاء الذين اتجهوا الى الغرب بعد انهيار الدولة العثمانية. الذين اتجهوا لم يكونوا ــ كما قلتم ــ محصنين، وانما اتجهوا مبهورين. تعامل الند للند شيء، وتعامل الانبهار شيء آخر.

لا أدري هل توافقون على هذا؟ أم لا توافقون؟

الأستاذ هويدي:

صحيح، هذا صحيح.

■ هل يمكننا أن نوجد قنوات اتصال مع الأدباء والفنانين المصريين، اتصالاً ثقافياً فنياً؟

واذا كان ممكناً، فما هي السبل التي تقيم الأواصر؟

الأستاذ هويدي:

أنا ــ في الحقيقة ــ لست بموقف يسم بأن أحدد على وجه الدقة هل هذا ممك غير ممكن، ولكني فقط قد أستطيع أن أقول أصبحنا في ظروف تعيسة للغاية، بحيـ العلاقات بين الأنظمة السياسية باتت تـ آثارها على كافة العلاقات، ايجاباً وسلباً تحسنت العلاقات بين الحكومات فتحـ أبواب التعاون، واذا ساءت هذه العلا قطعت كل جسور التعاون.

هذه في الحقيقة صورة تعيسة، و ــ للأسف الشديد ــ صورة الواقع.

نحن نتمنى أن تتعامل الأنظمة مع بـ ايجاباً وسلباً كما ترى، وتترك قنوات الـ بين الشعوب ــ وخصوصاً الشعوب المسل مفتوحة ، بحيث لا تنقطع أواصر العلاقة و والفهم والمحبة بين الشعوب، علماً بأن الـ زائلة والشعوب هي الباقية. وهـ الذي نتمناه، أن تمضي العلاقات السياسـ جانب وتستمر العلاقات الثقافية والاقتـ وو.... الخ في جانب آخر. وهذا ما تفعله الغرب الآن.

ونحن ــ باعتبار انتمائنا للاسلام ــ أواصر وجسور أوثق بكثير وأكثر إلـ وأفضل بكثير من أي جسور تقام بين شـ ودول أخرى. ولكن ــ للأسف الشديد

سوء العلاقات السياسية بين الحكومات يحدث آثاراً سلبية ـ بشكل عام ـ على كافة أواصر التعاون الأخرى. فأنا لا أعرف ـ في الحقيقة ـ هل هذا ممكن أم لا؟ وإنْ كنت أتمنى أن يكون ممكناً، وأحسب ان هذه مسألة ينبغي أن يلح عليها كل من جانبه، حتى اذا تعذر أن نقوم العلاقات مع مستوى تنظيمي، بمعنى نقابة تخاطب نقابة أو مؤسسة تخاطب مؤسسة، فلتكن ذلك الخيط الواهي الذي يتحكم في علاقات الأفراد. وأحسب أنني أحد الذين يحاولون أن يمدوا جسراً أو سبيلاً الى تعميق هذا الفهم مع الثورة الاسلامية في ايران ـ بغض النظر عن أي اعتبار آخر له علاقة بمواقف الحكومات ـ.

لكن هل نستطيع أن نوسع من هذه الدائرة، أن نفصل أنفسنا عن الموقف السياسي وننصرف لرسالاتنا كمثقفين وكمسلمين مطالبين باقامة أواصر المودة والأخوة؟ أم لا؟

لا أعرف اذا كان هذا بمقدورنا أم لا، ولكن سجّلوا: ان هذه الظاهرة السلبية ـ للأسف الشديد ـ التي هي نتيجة للظروف السياسية ايجاباً وسلباً تحول دون اقامة هذه العلاقات التي أتمنى أن ننجح في اقامتها مستقبلاً.

■ نظراً لعمق التاريخ الاسلامي في ايران، وان الاسلام استطاع أن يصوغ ايران من جديد، ماهو مدى اطلاعكم على الآداب الفارسية؟ ومدى تقييمكم للمسيرة الأدبية بعد الثورة الاسلامية؟

الأستاذ هويدي:

في الحقيقة، انكم تعرفون أكثر مني ان النظام السابق والأنظمة السابقة في ايران حجبت وجه هذا البلد الاسلامي، وأظن ان هذا الحجاب هو ما سعت الثورة الاسلامية الى كسره لتسفر ايران عن وجهها الحقيقي كبلد له انتماؤه الاسلامي أولاً، وانتماؤه الاسلامي أخيراً.

فاذا كنا لم نر الوجه الحقيقي لايران الاسلامية، فأظن اننا قد نعذر في هذا، وأنا أعترف انني أحد الذين لم يكونوا على معرفة تامة بايران الاسلامية. فأين ايران الشاهنشاهية وايران الفارسية وايران كذا وكذا. لكن ايران الاسلامية لم نر وجهها الحقيقي الا بعد الثورة الاسلامية، وهذا ما ينبغي أن نسجله ونعترف به.

ومن هنا؛ فان شهادة ميلاد هذه الرؤية مرتبطة بشهادة ميلاد الثورة الاسلامية في ايران، فلا تحاسبونا على أكثر من خمس أو ست سنوات. هذا أمر.

والأمر الثاني، رغم ان ايران أسفرت عن وجهها الاسلامي، وأحسب انه من الظلم أن نطالب ايران الثورة في ظل كل ماتواجهه من تحديات ومصاعب في الداخل وفي الخارج ـ وخصوصاً تلك التحديات الخارجية ـ بأن تحقق ما نتمناه من ابداع وخلق في كافة المجالات، فهذه رحلة طويلة تستغرق عشرات السنين، وقد تستغرق قروناً حتى تثمر الشكل المرجو الذي نتمناه لها.

لكنني ـ فقط ـ أقول: إنه يكفي ايران انها وقفت على الطريق الصحيح الذي نتمنى أن

يقودنا و يقودها ــ هي ــ الى تلاحم فكري يسمح لنا بأن تعود تلك المجاري التي نتمناها بين الشعب المسلم، في خارج ايران وفي داخلها.

■ أي الفناين العرب أقرب الى الانسانية، أوالى الاصالة من غيرهم؟ وحبذا لو أسميتهم.

الأستاذهو يدي:

في الحقيقة أحسب أننا في السباق الذي نتحدث عنه لتطل رؤيتنا الاسلامية هي الحاكمة. وبهذا المعيار أرجو أن أكون مخطئاً اذا قلت انني لا أرى ــ بمعاييرنا كمسلمين ــ فنانين يمكن أن نعتبرهم طلائع نهضة ثقافية اسلامية.

ولاأريد أن أظلم غير الفنانين، ولكن هناك موضوع معقد ــ ربما أشرنا اليه في البداية ــ وهو أن علاقة الاسلاميين بموضوع الفن لم تتبلور ولم تستقر بشكل يفتح أبواباً للفنانين المسلمين لكي يبدعوا في مجالاتهم دون أن يستشعروا انهم في محظور أو في سمة تحريم قديسي ءالى علاقتهم أو ــ على الأقل ــ يبعث في نفوسهم عدم الاطمئنان الى سلامة ما يؤدونه.

فلابد أن نعترف ــ أنا أتحدث عن الدائرة التي أعرفها ــ بأنّ علاقة الاسلاميين بالفن لم تستقر بعد، و بالتالي فان دور الفن في حياة المسلم المعاصر لايزال دوراً محدوداً، إذا استثنينا ــ طبعاً ــ فنون الخط والقصص الأدبية (القصص القصيرة أو الطويلة) أو التمثيليات، لكن الفنون التشكيلية بالذات ــ لكثرة الأقاويل حولها ــ لم تفتح الباب بشكل أمام إبداع الفنان المسلم، أو استقراره الد و بالتالي تعقيد هذه المشكلة قد ضيق الابداع الفني الذي نستطيع أن نحس الاسلام.

■ سمعنا انكم تؤلفون كتاباً عن الاسلامية في ايران، هل لكم أن تعطونا صو هذا الكتاب ــ على الأقل ــ ولو كانت ال التي في ذهنكم، وعن مؤلفاتكم؟

الأستاذهو يدي:

في الحقيقة أنا شعرت بحكم وجود انكلترا ومتابعتي المتواضعة لما يكتب في العربي عن الثورة الاسلامية في ايران أنها حقها الواجب من معالجة الباحثين الم سواء لأسباب تتعلق بهم أو بالظروف الـ التي يمرون بها، واستشعرت ان هناك شيئاً يجري هنا يجب يجب الاقتراب منه وتفهمه شيء مهم، لا أستطيع أن أقول انه بالضرورة انه كله صحيح أو كله خطأ، ا هذه القضية، لكن بالنسبة للباحث المسلم يجري هنا تجربة جديدة على الواقع الاسـ ومن الضروري أن نتعاون جميعاً في وانجاحها، لأن أمل كل مسلم هو أن تقوم المجتمع الاسلامي الذي يحمل رسالة وتعاليمه.

ومن هنا؛تعددت زياراتي لايران ا بهدف استكشاف المتغيرات التي حد

الواقع الايراني رغم محدودية الوقت الذي مرّ من عمر الثورة ورغم صعوبة الظروف التي أحاطت بها الى الآن، لكنه من المؤكد ان هناك تحولات مهمة ينبغي أن تدرس، ولا أزعم ان ما أقدمه سيكون أوفى دراسة حول الموضوع، ولكن على الأقل قد يكون خطوة على طريق الفهم والاقتراب المنصف الذي ينطلق من شعوري وحرصي على هذه الثورة، والحرص على أن تقوم دولة الاسلام في هذه البقاع من العالم الاسلامي. هذا بالنسبة الى الكتاب.

أما بالنسبة للكتابات السابقة، فأحسبها في سياق قريب من الثورة الاسلامية، لأنها ـ بشكل أساسي ـ تدور حول واقع المسلمين وهمومهم، فأول كتاب أصدرته عن أفغانستان، كان محاولة للتعرف على شعب أفغانستان المسلم، وثاني كتاب كان عن الاسلام في الصين، وهو أيضاً محاولة متواضعة على أثر زيارة أو جولة واسعة قمت بها في المناطق الاسلامية في الصين، وأيضاً لمحاولة الاقتراب من مسلمي هذه البلاد وكتاب ثالث حول بعض القضايا الاسلامية المعاصرة التي تشغل العقل المسلم وعنوانه «القرآن والسلطان». وهناك كتاب رابع صدر مؤخراً حول غير المسلمين في العالم الاسلامي، استشعرت انه موضوع يستحق ما قدراً من العناية، لأننا لا نعيش وحدنا في هذا العالم، ومن حق الاسلام علينا أن نوضح لأنفسنا وللآخرين ما هو موقف الاسلام منهم.

طبعاً هي اجتهادات متواضعة ولكنها على الأقل أحاديث، أسعى في سياقها لتفهيم أو فهم موقف الاسلام من مختلف القضايا.

وهناك أيضاً كتاب آخر تحت الطبع عن الاسلام في غرب أفريقيا. وهو أيضاً حصيلة زياراتي المتعددة التي قمت بها الى المناطق الاسلامية هناك بهدف الاقتراب من الواقع الاسلامي والتعريف بهم، وهو ما بذل فيه الجغرافيون أو الرحالة المسلمون الأوائل جهداً كبيراً لم يتح لنا أن نتابعه.

وما بين يدي الآن هو هذا الكتاب عن الثورة الاسلامية الذي أرجو أن يكتمل أو يصدر قبل نهاية هذا العام.

■ **نود أن نشكركم على ما تفضلتم به، وحبذا لو كان لديكم رأي أو كلمة أخيرة.**

الأستاذ هويدي:

في الحقيقة، الشكر واجب عليّ، لأني هنا استشعر حيثما ذهبت أني في بلدي وبين اخوتي. وأحمد الله أن توفرت لي في هذه المدرسة أسرة بديلة، ربما كانت أفضل من حيث الخير والبركة، فليس لي الكثير مما يمكن أن أضيفه على ما قلت وأشكركم على كل المشاعر الطيبة والحميمة التي استقبلت بها هنا من جانب كل الأخوة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ●

شاعر الاسا

جئتُ أشكو إليكَ فاسمعْ شكاتي — يا نجيي إذا غمزتُ قناة

وسميري في هدأةِ الليلِ ربي — وإذا ما كررتُ في الهجة

رحتُ في نشوةِ اللقاءِ مشوقاً — وأنا شائقٌ لذكرِ الـ

ودعوتُ أن تستجيبَ دعائي — وتفكُّ القيودَ عن أسر

وتمنيتُ أن أفيضَ بعطفٍ — حينَ فاضَ الحنينُ من

وزجوتُ النفسَ بأبهجِ هوى النفسِ وأن أهوى

كي يكون

ظاهرة القومية

من منظور ...

السيد حسن الموسوي / ...

«إنَّ هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربُّكم اعبدون».

«كان النّاس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين...».

«يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عندالله أتقاكم...».

يرى بعض المفكرين والمفسرين ان المجتمع البشري مرَّ بمرحلتين أساسيتين في تاريخه هما:

الأولى: ما قبل الأنبياء. وهي مرحلة ... الكاملة والانسجام التام النابع من أصل ... التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق ...

... كد أصحاب هذه النظرية ان الناس ... تفقون و يعملون بعفوية و بساطة، و يتحركون على أساس من الاحداء التكويني الفطري الذي لم يتلوث بعد بمعايب صرعات والمادة، ولم تشهد هده المرحلة المثالية في حياة الانسان أي نوع من أنواع التنازع والتحاسد، وانما هي حياة توحيدية رائعة يسودها الوئام والمحبة وتعيش بالسلام والمودة.

وعلى هذا الأساس فان هده المرحلة تمسك بقدرة ذاتية على الالتزام والاستقامة من وحي الفطرة والطبيعة السليمة، ولا تحتاج الى أية قوة خارجية تنظم شؤونها وتقيم الحق والعدل في حياتها.

الثانية: ما بعد الانبياء. وتبدأ هده المرحلة بعد الاختلاف والتنازع الذي نشأ من تلوث الفطرة وانحراف الطبيعة البشرية عن خط الالتزام والاستقامة بسبب تصادم المصالح

وظهور التناقضات المتزايدة بين حقوق الفرد والجماعة، فأصبحت الحاجة ملحة الى وجود قوة من خارج نطاق الطبيعة لإرجاع الانسانية الى فطرتها السليمة، فكانت بعثة الأنبياء والمرسلين تعبيراً طبيعياً لهداية البشرية والأخذ بيدها في طريق التوحيد الذي هو التجسيد الواقعي لفطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم.

وهكذا يبدأ دور الأنبياء في توجيه المجتمع وتهذيبه من الشوائب والأدران التي علقت بطبيعته، فأفسدت فيه الفكر، وشوّهت منه الروح، وكان عملاً شاقاً وجهاداً مضنياً عانى فيه الأنبياء الكثير في محاربة الطاغوت والأصنام البشرية التي تريد أن تفسد الفطرة وتعيث في الأرض الفساد بإشاعة الأفكار والمفاهيم الضالّة وتحكيم المقاييس الجاهلية في حياة الانسان.

و يستمد هؤلاء المفكرون الاسلاميون نظريتهم هذه في تقسيم المجتمع البشري الى المرحلتين الأساسيتين من قوله تعالى **«كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين»**.

فبعث الأنبياء كان نتيجة حاجة إنسانية وحياتية تهدف الى بناء الانسان داخل الذات وإبعاده عن الانحراف والرذيلة وإيجاد المجتمع الصالح الذي يعبد الله حق عبادته و يسعى الى تحقيق العدل والحق والسلام في أرجاء المعمورة التي شهدت الظلم والكفر والانحراف.

وهكذا كانت رعاية السماء للانسان في مختلف مراحل حياته وتقلبات ظروفه لا تنفك تبعث بالرسل والهداة من أجل بوجه الانحراف والكفر الذي يهدد بالشقاء والدمار. فكان آدم ونوح وموسى و عيسى(ع) ومحمد(ص) وَ من أنبياء الله وأحبائه الذين حملوا النور الهداية والاصلاح في دنيا الانسان والمع

ونحن لا نريد أن نستعرض صور الصراع الطويل بين الكفر والايما والضلال، وكيف تخبّطت الانسانية الظلام عندما أعرضت عن منهج الله خطه وهداه بمقدار ما نريد أن نعرف الحقيقية التي تقف وراء مظاهر والفساد، وما هي العوامل التي تعَ المظاهر وحالات الابتعاد عن الهدى الا

و بعد ذلك نستطيع أن نعرف و بو الأعراض الناتجة عن تلك الأسباب، و الأمراض الفكرية والاجتماعية والسي واكبت الانسانية عبر مسيرتها التاريخية تفسيراً موضوعياً وتقيمها تقييماً دقيقاً القومية ظاهرة مرضية خطيرة ونزع تاريخ الانسان، لانستطيع أن نعالج صحيحة إلّا ضمن منهج متكامل نك خلاله انها تضيق نظرة الانسان وعقا مواهبه وتطلعاته، وتسد عليه مناف والانفتاح على الآخرين.

وعلى أساس هذا التصور الشـ معالجة القرآن الكريم لكل المشاكل

والأمراض الاجتماعية ومنها ظاهرة القومية، حكيمة دقيقة تقوم على أساس نظرة عامة وفلسفة ثابتة نحو حركة الحياة والكون والانسان، باعتباره كتاب هداية وتغيير وبناء للانسان ـ الفرد والجماعة ـ لا يتأثر بالمؤثرات الخارجية ولا يخضع للظروف المتغيرة في الزمان والمكان وإنما يتعامل مع الانسان باعتباره كائناً مسؤولاً ذا إرادة وعمل واختيار.

والآن نصل الى العوامل الثلاثة التي يحددها القرآن الكريم لانحراف الانسانية وسفاهتها:

الأول: اتباع الهوى

وهو العامل الذاتي الذي يصد عن الحق ويحول دون معرفة الصراط السوي والنهج القويم لما ينطوي عليه من حب للدنيا وتزيين للشهوات وانغماس في الرذيلة. فان الانسان ـ منذ خلق ـ مزود بعاملين هما: الخير والشر، والهدى والضلال من الناحية التكوينية، أي انه قابل للاثنين معاً، ومالم يزك الانسان نفسه ويخالف هواه، و يتزود بالتقوى والورع عن محارم الله، و يستضيء بنور الحكمة والعقل، لا يستطيع أن يكبح جماح الهوى الذي يؤدي الى الهلكة والسقوط **«ونفس وما سوّاها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكّاها * وقد خاب من دسّاها»**.

إنَّ مخالفة الهوى تعني السلوك الانساني المرتكز على أسس عقلية تهديه سواء السبيل، وان النفس لأمارة بالسوء إلّا ما رحم ربي.

و إذ يحدد القرآن الكريم هذا العامل من عوامل الإنحطاط والإنحراف ـ وهو اتباع الهوى ـ بأسلوب موضوعي، فانما يعرضه للعلاج والوقاية بدعوة الانسان الى اتباع العقل، والتفكير العميق في ميدانه ودوره ومصيره في هذا العالم، ومحاسبة نفسه باستمرار، واستماع القول واتباع أحسنه، لأن الهوى طريق الى الظلم، ومجافاة للعدل في الحكم والتقييم «... **فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى...**».

و هو كذلك عنصر من عناصر الفساد في الأرض لأنه يطمس معالم الحق و يضيع موازين العدالة **«ولو اتبع الحقُّ أهواءهم لفسدت السماوات والأرض...»**.

وقد يغرق الانسان في هواه وذلك عندما يعبد شهواته وهو منتهى الانحطاط والسقوط **«أرأيتَ من اتخذ إلهه هواه أفأنتَ تكون عليه وكيلاً»**. حيث يتيه في ظلمات الجهل بعيداً عن النور والهدى **«أفرأيتَ من اتخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم...»**.

و يؤكد القرآن على حقيقة أخرى وهي ان الذين يصمون أسماعهم عن نداء الله ورسوله، ولم يستجيبوا لدعوة الحق إنما كبلتهم الأهواء وسقطوا ضحايا الشهوات **«فإنْ لم يستجيبوا لك فاعلم أنّما يتّبعون أهواءهم...»**.

ومن هنا؛ تعتبر المعركة في داخل الذات والنفس جهاداً أكبر في التصور الاسلامي لأنها الميدان الأول الذي يتصارع فيه الانسان العقل مع الانسان الهوى والشهوات، و يقول الامام علي

أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : «**ميدانكم الأول أنفسكم، فإنْ قدرتم عليها فأنتم على غيرها أقدر**».

وعلى ضوء هذه الحقائق فقد ركّز الأنبياء وأولياء الله تعالى ـ على امتداد خط صراعهم مع الانحراف والباطل ـ على أن يطهروا الانسان من داخله ويحرروه من أهوائه بتعميق العبودية الخالصة لله تعالى في نفسه من أجل أن ينطلق حراً قوياً في مواجهة الواقع الفاسد برؤية واضحة ووعي كامل وحركة دائبة نحو ربه وخالقه المطلق «**يا أيُّها الإنسان إنّكَ كادحٌ إلى ربّكَ كدحاً فملاقيه**» حتى يبقى سوياً مستقيماً في سلوكه وفكره وأخلاقه وحياته.

والإستقامة، كلمة سهلة على اللسان، ولكن ما أبعد المسافة بين الخطوة الأولى وبين أن يبقى الانسان ثابتاً على الطريق،مستقيماً حتى نهايته. وليس كل من مشى على الدرب وصل الهدف وبلغ الغاية، فما أكثر المتساقطين على قارعة الطريق وفي منتصف المسافة، ولا عجب من قول رسول الله(ص) كلمته الشهيرة «**سيبتني هود**» وعندما قيل له: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال(ص) ان فيها: «**فاَستقم كما أُمرت ومن تاب معك...**». وفي سورة الشورى: «**...واَستقم كما أُمرت ولا تتبع أهواءهم...**».

ان الاسلام يحارب الهوى ويدعو للتوازن والاستقامة في طريق الهدى ولا يلقاها الا الذين صبروا ولا يلقاها الا ذو حظ عظيم.

العامل الثاني: الجهل وعدم وضوح الرؤية والأشياء.

وهو العامل الآخر من عوامل ال **والإنحراف والإنحطاط في حياة البشري** **كافحه الاسلام أيما كفاح من أجل بسط** ونور المعرفة في حياة الناس، فقد - الحديث: «**الله ولي من عرفه وعدو من ت**» وكذلك: «**أول الدين معرفته، وكمال توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له**».

ولا عجب من أن أول آية نزلت في الله كانت قوله تعالى: «**اقرأ باسم ربّكَ خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ الأكرم * آلذي علّم بالقلم * علّم آلإنسا يعلم**». وهذه الآية تُجسّد لنا ان الاسلام بالعلم ويهدف الى ايجاد الحياة القائمة على أ المعرفة.

فالاسلام دين علم ومعرفة وعمل. د تسود الأمم وتتقدم الحضارات، و ـ تتخلف وتموت. ومن هنا جاء في الحدي «**يقبل الله عملاً بلا معرفة ولا معرفة إلّا بعمل عرف دلته المعرفة على العمل، ومن لم يعم معرفة له، إلّا ان الايمان بعضه من بعض**».

أجل ان العلم يهتف بالعمل، فإنْ ارتحل، كما عن الإمام الصادق(ع).

ولقد كرّم الله العلماء، وحثّ على العلم وتحصيل المعرفة، وحصر عبادته، خشيته الحقة. يقول تعالى «... إنما يخشى عباده آلعلماء...».

وهكذا يطالعنا الاسلام ـ الحسمة لأديان السماء ...

ونهتدي بهدى المعرفة، ونبتعد عن الجهل لأنه ظلام دامس يطمس الحقيقة و يضيع معالم الحق و يتيه بالانسانية في ظلمات بعضها فوق بعض.

و إذا تصفحنا التاريخ لرأينا ان الجاهلية القديمة والحديثة لم تظهرا بشكليها الواسعين إلا في أحضان الجهل والتخلف العلمي والحضاري.

وان الأفكار الضالة والمبادئ الهدّامة والفلسفات الجاهلية لم تنتشر الا في الفترات المظلمة من تاريخ البشرية عندما كانت الأمة تعيش سبات الوعي والمعرفة، ولم يستطع العدو الكافر أن ينفذ الى جسم الأمة ويفرق شملها أيادي سبأ تحت أسماء ومسميات كثيرة كالوطنية والقومية والتحرر والاستقلال إلا بعدما فقدت العلم الذي ينير لها الطريق والمعرفة التي تميز بها الحق من الباطل والوعي الذي يحدد لها المسار القويم والمنهج الأقوم. واتبعت السراب في صحراء الوعود والأحلام، فاختلطت عليها الأوراق حتى عميت على أنغام الجراح التي ما فتئت تنزف دماً عبيطاً من كثرة الحزن والتمزق، ولا يمكنها أن تعود الى الوحدة والتوحيد الا باتباع العلم والتسلح بالمعرفة الالهية الحقة التي تجمع الأمة على هدى الله ومنهج توحيده السليم.

الثالث: العامل السياسي

ونعني به الإضطهاد الذي مارسه الحكام والمستكبرون في السيطرة على مقدرات الناس وسلب حقوقهم، والامعان في الظلم والجريمة لتحطيم إرادة الانسان وإماتة الشعور بالكرامة والثقة عنده. ولقد رزحت الانسانية ــ عبر تاريخها الطويل ــ وهي تئن تحت وطأة أولئك الفراعنة والمتجبرين وسيطرتهم بالحديد والنار، ولا يسعنا أن نعرض في هذه العجالة الصور المأساوية والمشاهد المؤلمة لحالة الشعوب والجماعات التي حكمها ويحكمها اليوم هؤلاء الطغاة والمجرمون.

«إنَّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شِيَعاً يستضعف طائفةً منهم يذبّح أبناءهم و يستحي نساءهم إنّه كان من المفسدين».

ان فرقة الأمة وتمزيق شملها وتصفيتها جسدياً بالذبح والقتل والسجون والتشريد، كلها نتائج طبيعية لحالة العلو والاستكبار للفراعنة والمتسلطين.

ان الاضطهاد المستمر يسلب الأمة في كثير من الأحيان قدرتها على الحركة والتغيير، ويميت فيها قوة الارادة على تبديل الواقع الفاسد حتى تعيش عقدة الضعف والنقص والشعور بالهزيمة النفسية أمام قوى الطاغوت وقدرته المادية الرهيبة.

وهكذا يمكننا أن نعتبر العامل السياسي والاضطهاد والظلم عنصراً من عناصر تخلف الانسانية وإشاعة الفساد في الأرض وتحطيم مواهب الانسان وملكاته في الإبداع والإنطلاق.

وأما التحرر والويلات التي جرتها على بني الانسان أولئك الجبابرة من أتباع فرعون وهولاكو

وستالين وهتلر وصدام فلا يمكن أن يحصيها كتاب أو يضمها تاريخ لأنها أهلكت الحرث والنسل.

وما الحرب العدوانية التي يشنها صدام التكريتي ـ اليوم ـ ضد الاسلام والمسلمين الا حلقة من حلقات مسلسل الاجرام الاستكباري بحق الانسانية التي بدأت تتململ بالصحوة الاسلامية العالمية، فيقف سداً أمام حركة المستضعفين الذين يريدون العبور الى الضفة الأخرى وهم يحملون مشاعل الهداية والخلاص.

هذه العوامل الأساسية في نظر القرآن التي تسبب التخلف والتمزق وتؤدي الى الفساد والضياع والانحراف عن الصراط السوي والمنهج القويم الذي اختاره الله طريقاً لعباده أجمعين في مسيرة توحيدية مباركة ينسجم فيها التكوين مع التشريع. فقد قال تعالى: «**إنَّ هذه أمتكم أمةً** واحدةً وأنا ربُّكم فاعبدونِ» وفي الحديث الشريف: «أيها الناس؛ كلكم لآدم، وآدم من تراب».

فالإنسانية من منظور إلهي تبدأ من عنصر واحد وتنتهي الى مصير واحد، وهي بين المبدأ والمصير تعبد رباً واحداً لا شريك له. وهكذا يستطيع الاسلام بمفاهيمه ومرتكزاته الفكرية والتشريعية أن يصنع الأمة الواحدة ذات الشعور الواحد والفكر الواحد، وترتبط بوشائج الاخاء والايمان «**إنما المؤمنون إخوةٌ**».

والآن ـ وعلى ضوء هذه النظرة القرآنية والتصورات والمفاهيم الربانية للإنسان والمجتمع والتاريخ ـ نريد أن نقف مع القومية كظاهرة عرفتها المجتمعات البشرية وانسجمت معها لأنها تدغدغ عواطفها وتثير فيها نزعات الشعور بالولاء والحب للبيت والعشيرة أو للغة والتاريخ والتراب والفن، حتى تطور الحال وتصاعد الأمر الى أن أصبحت نظرية فلسفية وأطروحة اجتماعية وسياسية تريد أن تسيِّر المجتمع على أسس خاصة، وتنظم شؤون الحياة بدوافع قومية محضة تقيِّم الانسان من الزاوية القومية التي ترى أن الانسانية دماء متعددة وأجناس متباينة ولا يمكنها أن تنصهر في بوتقة واحدة ولا أن تنسجم مع عقيدة توحيدية ثابتة.

وقبل الدخول في تفاصيل القضية وتحليل أبعادها وجذورها التاريخية وتفسير واقعها في وجدان البشرية وضميرها من منظور القرآن ومفاهيمه عن الحياة والانسان، يجب أن نحدد منذ البدء ما هو المقصود بالقومية؟ حيث ان هناك تفسيرين للقومية:

الأول: ان القومية تعني وحدة الأصل والمنشأ، وان الناس ينحدرون من أصل واحد. و يزعم أصحاب هذا التفسير ان جميع أفراد الأمة الواحدة يكونون بمثابة الأشياء الذين ينحدرون من صلب أب واحد.

غير أن هذا التفسير لايستند الى أساس صحيح، لأن جميع الأبحاث العلمية ـ المستمدة من حقائق التاريخ ومن مكتشفات علم الانسان ـ لا تترك مجالاً للشك في أنه لا توجد على وجه البسيطة أمة تنحدر من أصل واحد

حقيقة.

ونستطيع أن نقول بكل جزم وتأكيد إنّ وحدة الأصل والدم في أية أمة من الأمم إنما هي من الأوهام التي استولت على العقول والأذهان، من غير أن تستند الى برهان، ولكننا نلاحظ أن بعض الأوهام تعمل عملاً مهماً في النفوس ولو كان مخالفاً للحقيقة والواقع، وان الشعور بالقرابة يؤثر تأثيراً شديداً في النفوس والحياة وإنْ كانت هذه القرابة لصوقاً من نسج الخيال.

وأما نظرة القرآن الكريم لهذا التفسير فهي واضحة جليّة، لا لبس فيها ولا غموض «**هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وجعل منها زوجها ليسكن إليها...**» (الاعراف: ١٨٩). فكل الأمم والشعوب على اختلاف حضاراتها وامتداداتها التاريخية ترجع —من وجهة نظر القرآن— الى تركيب تكويني واحد هو قبضة من طين الأرض ونفحة من روح السماء، ولا قيمة لاختلاف الدم واللون واللغة والتاريخ والتراث والحضارة، وإنما القيمة للتقوى والعمل الصالح «**إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم**».

وضرب رسول الله(ص) أروع الأمثلة والدروس عندما صرح أمام قريش —التي تتعصب لعروبتها ولغتها لغة الضاد— قائلاً: «**لا تقولوا سلمان الفارسي، بل قولوا سلمان المحمدي، سلمان منّا أهل البيت**».

فنظرية وحدة الأصل والمنشأ والدم لا تقف على قدمين أمام تصور القرآن للانسان وحركته التاريخية على سطح هذا الكوكب الأرض حيث جعله الله خليفة له في أرضه وكرّمه وفضله «**ولقد كرّمنا بني آدم**».

الثاني: ان القومية تقوم على أساس عاملين هما **اللغة ووحدة التاريخ**. وان اللغة هي أهم الروابط المعنوية التي تربط الفرد البشري بغيره من الناس لأنها أولاً واسطة التفاهم وتبادل الرؤى والأفكار والعواطف بين الناس، وثانياً هي مرآة تعكس الشعور وطريقة التفكير عند الفرد، وثالثاً هي واسطة نقل الأفكار والمكتسبات والتجارب والعلوم من الآباء الى الأبناء ومن الأسلاف الى الأخلاف.

وهذا يعني أن وحدة اللغة توجد نوعاً من الوحدة في الشعور والتفكير والعاطفة. وبما أن اللغات تختلف من قوم الى قوم، فمن الطبيعي أن مجموع الأفراد الذين يشتركون في اللغة يتقاربون ويتماثلون و يتعاطفون أكثر من غيرهم، فيؤلفون أمة واحدة متميزة عن الأخرى.

ولا نبعد إذا قلنا ان اللغة هي روح الأمة وحياتها، وانها بمثابة محور القومية وعمودها الفقري، وهي أهم مقوماتها وركائزها الأساسية.

وأما التاريخ فهو بمثابة شعور الأمة وذاكرتها، وان كل أمة من الأمم إنما تشعر بذاتها وتتعرف الى شخصيتها بواسطة تاريخها الخاص، لأن الذكريات التاريخية تقرّب النفوس، وتوجد بينها نوعاً من القرابة المعنوية. والأمة المحكومة التي تنسى تاريخها الخاص تكون قد فقدت شعورها ووعيها، وهذا الشعور وهذا الوعي لا

يعودان اليها الا عندما تتذكر ذلك التاريخ وتعود اليه. ولهذا السبب نجد ان الأمم المستولية والحاكمة تعمد قبل كل شيء الى مكافحة تاريخ الأمة المحكومة، وتبذل ما أستطاعت من الجهود لاقصاء ذلك التاريخ من الأذهان.

تبيَّن من كل ما تقدم ان اللغة والتاريخ — في ضوء التفسير الثاني للقومية — هما المقومان الأصليان[1] في تكوين القوميات.

واذا قيَّمنا هذا التفسير من منظور قرآني نرى انه لا يختلف عن نظرة القرآن وتصوراته عن حياة الشعوب وطبيعة اختلافها في التاريخ واللغات والتراث والفن والأدب وغيرها من خصائص ومميزات تأتي نتيجة لتنوع ظروفها ومواقعها الجغرافية ومدى تطورها وتقدمها والعوامل والأسباب التي تتحكم في واقعها.

فالقرآن الكريم يعتبر اختلاف الألسن واللغة آية من آيات الله تعالى، وهو أمر واقع في حياة الانسانية. وكل أمة تعيش ظروفاً خاصة ولغة مشتركة، لابد أن يكون لها تاريخ خاص أيضاً، وهو عبارة عن سجل حياتها الحافل بعوامل التقدم أو التأخر.

وهكذا نعرف ان القرآن الكريم لايرفض تعدد اللغات ولا تميز التواريخ والابداعات الفنية والعمرانية والتراث الشعبي الذي يتميز به كل شعب عن غيره من الشعوب، وإنما يرى ذلك واقعاً طبيعياً وأمراً حتمياً لاختلاف الظروف والأحوال التي تكتنف حياتها، وان عملية الرفض والتنكر أو الصهر في لغة واحدة أو استنساخ التواريخ في سجل واحد إنما هي عملية مسخ لهوية الانسان الثقافية وتحطيم ... الخاصة وسحق لوجوده التاريخي و... الوحدانية.

ولو لم تكن القصة أمراً طبيعياً ... المستوى من الواقعية، لما بعث الله الرسل ... أقوامهم و بألسنتهم زيادة في التأثير ومحاكاة ... الناس وعواطفهم ومشاعرهم الخاصة من ... والتاريخ.

وتعدد اللغات وتنوع التواريخ في حد ذاته ... والشعوب يزيد في عملية التعارف والايجابية على مستوى الفكر والعمل، و يقضي على حالة التحجر والجمود في الحركة التاريخية والانسانية «وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لِتعارفوا».

وأخيراً؛ ننتهي الى القول بأن القومية ... كانت تعني الاعتراف بلغة الغير وتاريخه، واحترام تراثه وإبداعاته القومية والتعبية فهي حقيقة واقعة وسنة الهية ثابتة «ولن تجد لِسُنَّةِ الله تبديلاً».

أما اذا كانت تعني حركة سياسية وعقيدة خاصة في تفسير الحياة والمجتمع وفلسفة ذات أبعاد وتصورات، تصنف الشعوب الى كتل ومجاميع بشرية على أسس قومية ومادية، فإنها حركة عاجزة عن مواكبة التقدم الفكري والحضاري للمسيرة الانسانية وتطلعها الى العمل الموحد ضمن المواسم المشتركة والأسس العامة التي تربط الشعوب بروابط العقيدة الالهية الحقة وتدفعها الى الشعور المشترك بوشائج الاخاء والاخوة وحمل الهموم الكبرى التي يعاني منها

ـسان على سطح هذا الكوكب الأرضي وهو ـ الخطى و يغذُّ السير نحو ربه و بارئه «**يا أيها ـسان إنك كادحٌ إلى ربك كدحاً فملاقيه**».

إضافة الى ان القومية ـ كلغة وتاريخ ـ أعجز أن تمتلك فلسفة عامة للحياة الاجتماعية ـسياسية والانسانية ومنهاجاً اجتماعياً إنسانية، لأن اللغة والتاريخ حياديان يطبعهما ـ الفلسفات والمناهج الاجتماعية والسياسية، ـالتالي فلا تميز ولا خصوصية لقوم يتكلمون ـغة معينة على قوم آخرين في تحديد فلسفة ـصة أو نظام اجتماعي معين.

وأما ما نلاحظه في تاريخنا المعاصر من كثرة ـركات القومية والدعوات الانفصالية التي ـرتها العصر الحديث بعد سقوط الدولة ـعثمانية، فإنما ذلك يرجع الى أسباب عالمية ـلية خاصة تلتقي كلها في إطار اللعبة الدولية ـ ساهمت في تسقيط الخلافة العثمانية ـمزيق الأمة وفرض السيطرة عليها ونهب ـيراتها بعد أن ضعفت عن الصمود والمقاومة ـجه الانهيار الداخلي والغزو الخارجي حتى ـسقطت صريعة بأيدي المستكبرين من الشرق ـغرب، و بدأت مرحلة التبعية والتقليد للغزاة الثقافة والسياسة والاقتصاد والتربية والتعليم ـي في الحياة العامة.

وكان للمستكبرين الدور الأكبر في تعميق ـالة التبعية، وتكريس الشعور بالنقص والهزيمة ـام قوة الاستكبار وقدراته المادية الهائلة ـساليبه الفنية الجديدة. وهكذا غطت الأمة في سبات عميق، فقدت فيه وعيها وشعورها بقوتها الذاتية وأصالتها ودورها الرائد في الحياة، وبتاريخها المشرق بالعلم والنور والمفعم بالجهاد والتضحية.

وقد استخدم المستكبرون أساليب متعددة من أجل إحكام السيطرة وضمان الاستيلاء والهيمنة على الثروات الطبيعية التي يختزنها العالم الاسلامي. وكان من هذه الأساليب إشاعة الروح القومية ودعم الحركات الانفصالية بالمال والسلاح لإضعاف الدولة أكثر وتسهيل عملية السيطرة على الشعوب الاسلامية المتذمرة من أوضاعها القاسية. وكان لابد من أطر فلسفية ونظريات علمية، تؤطر هذه الحركات القومية، وتمنحها أبعاداً فكرية وسياسية واجتماعية، كما هو الحال في تاريخ أوروبا إبان صراعاتها الدينية والسياسية وحروبها المستمرة التي أسفرت عن ظهور الكيانات المتعددة والشعوب والدويلات الكثيرة. فإنّ الدولة العثمانية التي ضعفت حتى الكساح وأصابها الوهن وفقدت السيطرة على أجزائها وامتداداتها المترامية الأطراف، شهدت هي الأخرى هذه الانقسامات والتجزئة.

ولو عرضنا مفردة واحدة من هذه المصاديق، لرأينا هذه الحقيقة واضحة جلية، وهي ما يسمى «بالحركة القومية العربية» التي ظهرت على الساحة السياسية في مطلع هذا القرن، حيث ساعد على بروزها عاملان أساسيان هما:

الأول: في الداخل، وهو ضعف الدولة

العثمانية وتمزقها بسبب الفساد الاداري وكثرة الظلم والاضطهاد للموميات غير التركية وقهر الشعوب والأقليات الأخرى بمحاولات التتريك وسحق اللغات غير التركية، مما أثار الروح القومية والتعصب وعدم الخضوع لهذه الاجراءات التعسفية التي منيت بها الأمة الاسلامية إبان الحكم العثماني لاسيا في عصره الأخير.

فليس من الغريب مثلاً أن نعرف أن اللغة الرسمية في دوائر الدولة والمحاكم هي اللغة التركية، ولكن الغريب هو أن لغة التعليم في جميع المدارس الرسمية أيضاً كان يجري باللغة نفسها في البلاد العربية. والأغرب من هذا كله أن يجعل التعليم باللغة العربية من خصائص المدارس المسيحية وحدها، كما انها كانت تجعل المدارس الأجنبية أكثر اهتماما باللغة العربية من المدارس الرسمية بوجه عام.

وبديهي ان هذه السياسة كانت تسبب مضايقات ومتاعب كثيرة للناس[٢] وللدولة، مما كان يدفع الى حالة التأزم وعدم الانسجام ولو نسبياً بين الدولة ورعاياها، إضافة الى البطش والقتل وعدم العدل في القضاء والاهتمام بالخراج والضرائب، أكثر من الإهتمام بالأرض وأستصلاح خصبها ونمائها.

هذا هو مجمل العامل الداخلي في نتوء القومية العربية في جسم الأمة الاسلامية، وله أبعاد أخرى تمتد بامتداد مجالاته الخاصة والعامة.

الثاني: في الخارج. وهو التدخل الأجنبي من قبل الدول الاستكبارية وتوجهاتها الصليبية والصهيونية الحاقدة على الاسلام والتي ما فتئت تحوك المؤامرات وترسم الخطط للإطاحة بدولته المريضة والسيطرة على مقدرات الأمة الاسلامية وإضعاف وجودها الواسع وأستغلال موقعها الاستراتيجي في الإقتصاد والسياسة. وكانت النغمة الشائعة — يوم ذاك — هي التحرر باسم القومية والتحرك بدوافع الروح القومية والعنصرية، فضربت على وترها الحساس، ونشرت الفكر القومي، وبثت في أذهان الكثيرين روح التمرد والخلاص من القيود العثمانية والهيمنة الظالمة.

فانطلق رواد العروبة يدفعون الناس تحت هذه الأنماط من الشعارات بطريقة غوغائية تؤجج الشعور بروابط اللغة والتاريخ والدم التي هي منطلقات القومية ودوافعها.

كل هذا من أجل تمزيق الأمة الاسلامية الواحدة التي تجتمع على التوحيد باختلاف ألوانها ولغاتها وتلتقي على روابط الاخاء والايمان والعدل والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذا هو الدور الخطير الذي لعبه المستكبرون في التغلغل الى قلب الدولة العثمانية. ونرى ذلك واضحاً، لاسيا من قبل الأقليات اليهودية والنصرانية التي كانت تعرف جيداً مواقع الضعف والقوة في هذه الدولة التي كانت تعيش المخاض العسير في تلك المرحلة الصعبة من

رعها.

وكذلك من قبل الجواسيس الغربيين الذين بذلوا جهوداً جبارة لخدمة مصالحهم ومصالح دولهم الاستكبارية، والنفوذ الى داخل الدولة لهكة، وقيادة وتوجيه التمردات السياسية لقومية التي انفصلت عن الدولة الأم و بدأت ملء الحرب والعصيان عليها أمثال الجاسوس لبريطاني «لورنس» الذي كتب في مذكراته أنه استطاع أن يدفع بالثورة الى الأمام ضد لعثمانيين باسم القومية العربية، ودعم لشريف حسين في الحجاز بالمال والسلاح تقوية مركزه وزعامته العربية، حيث عاش لورنس أربع سنوات في الصحراء مع أهل لبادية يقود الثورة و يشرف على الحملات لعسكرية وحرب العصابات ضد الجيش لعثماني. وهناك اكتشف الملك فيصل بأنه يستحق أن يكون زعيماً للأمة العربية بعد أبيه، أخيراً رشح ملكاً على العراق بعد الحرب العالمية لأولى وثورة العشرين التي قادها علماء الاسلام ضد جيوش الانكليز المحتلة.

إنَّ ظاهرة «لورنس» لتعطينا درساً واضحاً بأن كثيراً من الحركات السياسية المادية الإتجاهات العلمانية والقومية تعد إعداداً خاصاً من قبل الغرب ودوائر الاستكبار، ولكنها تخرج على الساحة العامة بأسماء تحررية براقة، تستهوي الجماهير وتضلل الرأي العام بشعاراتها المزيفة.

وهكذا نعرف أن ظاهرة الحركة القومية هي غريبة عن أصالة الأمة ورسالتها، وهي حالة شاذة في تأريخها، أوجدتها ظروف استثنائية معقدة في الداخل والخارج.

وخلاصة القول: إن القومية العربية أو غيرها ـ من منظور قرآني ـ يمكن أن تكون عامل دفع و بناء في حياة الانسان ـ الفرد والمجتمع ـ فيما إذا كانت تعني الاهتمام باللغة والتاريخ والفن والتراث والأدب، لأن هذه المعاني والمفردات وسائل لتنمية الشعور المبدع والحس المرهف والوجدان اليقظ في الحياة الانسانية. وأما إذا كانت تعني التغني بالأمجاد الغابرة وفهم الحياة والانسان والتاريخ على أساس قومي وعنصري ـ يرتبط بنظرة محدودة ومنغلقة مادية تبعد الانسان عن شعوره بحياة الروح ونظام التوحيد وتمنعه من الانفتاح على الآخرين والتحرك معهم على أساس من العقيدة الواحدة والايمان الذي هو أعمق وشائج البناء و [illegible] فكر هي منحرف، لايرتضيه الاسلام منهجاً للحياة الانسانية، لأنه رسالة الله ومنهجه القويم الذي ارتضاه للبشرية ديناً قيّماً لاعوج فيه الى يوم القيامة ●

الهوامش

ـ «محاضرات في نشوء القومية» ساطع الحصري، ص٢٦

ـ «محاضرات في نشوء القومية» ص١١٩.

الشيوعيون بين الافلاس الجماهيري والتحجر الفكري

الدكتور محمد شريف الأسدى / حزب

إنَّ ألاعيب الاستكبار العالمي لاحتواء الثورة الاسلامية المتصاعدة في العراق، والمؤامرات التي تحاك ضد شعبنا العراقي المستضعف، تتم بوسائل وطرق عديدة، سواء بصورة مباشرة؛ وذلك عن طريق المساعدات العلنية وغير العلنية لنظام الدكتاتور صدام التكريتي، أو بصورة غير مباشرة؛ عن طريق أذناب الاستعمار الغربي والشرقي، ممن امتهنوا حرفة الوصاية على الشعب العراقي المسلم عن التضليل والتهريج واطلاق شعارات [النضالية والتقدمية] تارة و[الديمقراطية والسلام] تارة أخرى.

وقد اطلعت في الآونة الأخيرة على التصريحات التي أطلقها عزيز محمد سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، والتي ما فتئ يطلق هذه التصريحات بين فترة وأخرى. والتصريحات المذكورة نشرتها مجلة الهدف الفلسطينية[1] ذات الاتجاه اليساري والتي لاتخرج عن الخط المرسوم لهذه الفئات!

وفي مقال للأستاذ الدكتور محمد الصادق تحت عنوان (الشيوعيون في دور جديد) نشرته مجلة التوحيد في عددها الخامس والصادر في ذي القعدة / ذي الحجة ١٤٠٣، ألقى فيه بعض الأضواء على ادعاءاتهم الباطلة، كما وضح في تحليله عن السبب الذي من أجله طرح مشروع الحزب الشيوعي في مؤتمر الذكرى المئوية لوفاة كارل ماركس والمنعقد في برلين، متجاهلا المشروع ـ كالعادة ـ الأسباب الأساسية

ـوم الديكتاتور صدام التكريتي ـ بالوكالة الامبريالية العالمية ـ على الجمهورية ـلامية في ايران.

يردد السكرتير الأول للجنة المركزية ـرب في أكثر من مجال عن ضرورة وقف ـرب وإنهاء النزاع على أساس ديمقراطي. ويص ـ كالعادة ـ مبدأ ضم أراضي أي من ـلدين الى البلد الآخر، واحترام الحدود ـولية للبلدين، واحترام السيادة الوطنية. ـأما الحرب القائمة والتي أزهقت أرواح ـرات الآلاف من الضحايا، ودمرت اقتصاد ـلدين هي حرب حدود ليس الا.

ولعل من المفيد أن نسمع أو نقرأ في ـيتنات الأدبية للحرب في الآونة الأخيرة ـلمة الديكتاتورية والفاشية، حسب ما ورد في ـريح السكرتير وهو تعبير ملفت للأنظار ـقلة نوعية حسنة بالنسبة لهم، فديكتاتورية ـدام التكريتي هذه حقيقة واضحة ومعروفة. ـض الحرب عنها الطرف منذ أن امتدت أيدي ـدته لتصافح أيدي المجرمين (بكر ـ صدام) ـقامة الجبهة (التقدمية والقومية الوطنية)..

وهنا وارضاءً للتاريخ، علينا أن نسلط ـضواء على بعض الحقائق (التي عجزت ـسواء الحرب عن اكتشافها) في ذلك الوقت.. ـم يذكر شيئاً عنها الاعلام الشيوعي والذي ـسحب لديه من الممارسة والخبرة الطويلة في ـالتفاف حول أي حدث والتعامل معه سلباً ـجاباً (بالمناورات السياسية المعروفة ـبالمبادئ الميكافيلية في الغاية تبرر الوسيلة) ـمراعين في ذلك التكامل التصويري بصبها ـبقوالب المقولات الماركسية ضمن تعبية هذه المقولات..

> ان الصراع بين الإسلام والاستكبار عالمي ... حتماً

إنّ الاعتقالات التي حدثت بوقت السكرتير الأول والذين كانوا معترضين على جبهة العار ـلذين كانوا يعلمون و يعرفون حقيقة هذه الجبهة والأسس الهشة التي تبنى عليها، ـ فضلاً عن حقيقة البعثيين الدموية وتاريخ مجازر ١٩٦٣م ـ معروفة لدى الداني والقاصي، والمصير قبلاً على الساحة السياسية كاغتيال محمد طه أحمد وجماعته. وبعدها تم إعدام على حروف وجماعتهم (و ...) ولا ندري من ذلك يفعل السكرتير المذكور ـ لاضطرارية التي حتمت عليه قبول الجبهة، خوفاً على أرواحهم من المصير الذي لاقاه محمد طه وجماعته، وذلك في محافل خاصة يسمح بها الاعتراف بحقيقة الأمور.

ولو افترضنا ان ذلك التعليل لا أساس له من الصحة أو انه ضمن اشاعات العناصر

المناوئة للحزب ـــ مع يقيني بها ـــ فالحقائق تشير الى الترجيح في ترديد مثل تلك الأقوال، وذلك لخوف القيادات المعروفة من هذا النظام الدموي والذي لايختلف إثنان في دموية وعمالة من جاءوا بالثورة البيضاء (المشؤومة) عام ١٩٦٨م، وابتكار الأساليب والحيل بالتخطيط المسبق لها، إضافة الى وجود عامل آخر خفي وهو محاولة إنقاذ الحزب من الافلاس التام الذي اعتراه واستعادة بعض أنفاسه التي خنقها النظام، ولذلك تمت الصفقة، حسب اعتقادي.

أما إذا كان تقييم النظام وبالتحديد تقييم الديكتاتور صدام التكريتي على انه يمثل الجناح الثوري اليساري في الحزب ويسهل استمالته (كان هذا التقييم سليماً في ذلك الوقت، وهذا ما تؤكده المنشورات الحزبية لعدم توجيه أي انتقاد له) فيجب والحالة هذه إعادة النظر في الأسس التي يبني عليها الحزب تقييماته ... ومن الطريف ان عزيز محمد يكرر وبدون تحفظ أقواله حول توقعات الحزب الصائبة، وما توقعه من ابداء مخاوفه عندما بدأ الديكتاتور صدام حربه ضد الجمهورية الاسلامية الفتية وما تنطوي عليه من خطورة الموقف في الشرق الأوسط، وما الى ذلك... علماً بأن كل متتبع لمجرى التغيير الذي سارت به أحداث الثورة الاسلامية وتأثيرها في الساحة يستطيع أن يتوقع ـــ بدون اي جهد فكري ـــ ان الصراع بين الاسلام والاستكبار العالمي سيكون عنيفاً.

وهنا يبرز السؤال التالي:أين كانت توقعات الحزب عندما أبرمت الجبهة المشؤومة التي كانت السبب المباشر في تثبيت النظام الديكتاتوري وركائز أركانه؟ وأين كانوا عندما أبرم صدام اتفاقية الجزائر مع الشاه المقبور عام ١٩٧٥؟ وقد التزموا الصمت ازاءها بعد أن اعتبرها البعث انتصاراً يضاف الى سلسلة انتصاراته؟

وقد يظن البعض وخصوصاً من المتعاطفين والمندفعين بدوافع حسن النوايا .. اننا نتشبث بأخطاء الخصم .. وما هو الا خطأ في التقدير من ضمن الأخطاء التي ارتكبتها الأحزاب والتجمعات السياسية على الساحة العراقية واني أبتعد كثيراً عن هذا المنحى، ولا أظنه خطأ في الاجتهاد يخضع للاحتماليات المعروفة ..وإنما ـــ بتصفح التاريخ السياسي للحزب المذكور، ومنذ خمس عاماً ـــ نجد أن الحزب يقع في نفس الأخطاء وبصورة لايتسرب اليها الشك بأن هناك قوى أخرى تجعل مسار الحزب بعيداً عن طموح القاعدة وإرادتها.. وظني بأن الحزب ماوجد إلا لامتصاص النقمة والهيجان الجماهيري الشعبي تحت شعارات براقة من الاشتراكية والعدالة الاجتماعية، لتكون ضحيتها ـــ دائماً ـــ الطبقة المخلصة التي تربو الى تغيير الواقع الفاسد.. ناهيك عن سعي هذا الحزب ـــ ومن خلال ايديولوجيته المعروفة ـــ لمسخ الشخصية الاسلامية للشعب العراقي المسلم وإبعادها عن القيم السماوية. والشعارات المطروحة خلال فترة (١٩٥٨ ـــ ١٩٦١) خير دليل على ذلك.

ولعلمي الكامل بأنّ طرح مثل هذا الموضوع

لايخدم قضيتنا الراهنة في القضاء على النظام الديكتاتوري، ولكن من المنظور الأكثر عمقاً، فإنّ تلك القوى اذا ما فسح لها المجال ـ ونتيجة لتمرسها بالمناورات وكما ذكرت ـ ستعمل الساحة فيما بعد بصراعات جانبية كثيرة تبعدنا عن أهدافنا الحقيقية، تماما كما عملت القوى التي ساندت رئيس الجمهورية الاسلامية الأسبق (بني صدر) حيث عملت على خلق

ان المسرح وانتظار النتائج على ... ترصدهما لا المستكين ... الكرامه...

صراعات جانبية أرادت منها تأخير المسيرة الثورية تحت شعارات كثيرة .. وهذا ما يخشى على الجماهير بالانخداع والوقوع تحت شراك تلك الفئة الباغية .. خصوصاً شعبنا العراقي المسلوب الارادة والتي عملت قوى الشر على إنهاء مقوماته وافراغه من كل محتوى ثوري اصيل.

ورداً على سؤال المجلة حول العوامل الداخلية والخارجية التي ساعدت وتساعد النظام الديكتاتوري على البقاء والاستمرار، عزا السكرتير الأول العوامل الداخلية الى استمرار الحرب. فقال «فالشبية العمالية والفلاحية، وسائر فئات الشغيلة، التي تتعارض مصالحها الجذرية مع استمرار النظام و عاقها بعداً عن ساحة النضال الأساسية...». وقد تكون هذه هي جزءاً من الحقيقة وليست كلها .. فإن تدهور الأوضاع الاجتماعية حقيقة لا يختلف فيها إثنان، فقد عملت وسائل الاستكبار العالمي المساندة للنظام على انسلاخ الأمة من مقوماتها الاساسية، ونجحت بعض الشيء.. معتمدة على عدة أساليب، منها:أسلوب الترغيب والترهيب وغيرهما من خلق الفساد والأنانية والابتعاد عن القيم وعدم الشعور بالمسؤولية الوطنية تسود كل جوانب الحياة، مما أنهك كيان الأمة، وجعلت منها أمة لا تنظر إلا الى مصالحها الذاتية. وكان هذا المنحى مباركاً ومؤيداً من قبل النظام الديكتاتوري وموجهاً من قبل وسائل الاعلام الامبريالية بإضفاء الشرعية على الأعمال الاجرامية التي يقوم بها النظام، بحيث ضاعت الحقيقة في خضم ذلك التوجه، وأصبح المواطن العادي يشكو من عمى الألوان لدرجة انه بات يعتقد بأنّ بلاده تسير نحو الازدهار الاقتصادي الفعلي، الأمر الذي أصبح من الصعوبة توضيح الموقف لهذا المواطن، وإظهار الاسباب الحقيقية وراء ذلك التطور، أو ما يسمى بالازدهار الطارئ الذي يصحبه عادة إقتصاد متورم.

إنّ الساحة شهدت في بداية ١٩٧٨ ازدهاراً صورياً للاقتصاد وتطوراً لايتناسب أبداً مع ارتفاع أسعار البترول المفاجئ .. مما جعل

مستوى الدخل المتوسط الفردي لسائر فئات الشغيلة يرتفع الى عدة أضعاف عما كانت عليه سابقاً، الأمر الذي أدى الى شحة في الأيدي العاملة، وارتفاع في أجور العمل ضمن اطار بقاء ذوي الدخل المحدود على ما هم عليه أو زيادة طفيفة لاتتناسب والتضخم الذي رافق تلك الفترة. وبمعنى آخر ان شريحة موظفي الدوائر الحكومية بكل مؤسساتها هي التي أصبحت تتحمل الأعباء الثقيلة للتضخم وتعيش دون عيشة الكفاف وهي شريحة صغيرة لو قورنت بمجموع الشعب. وان معظم الشغيلة «بصرف النظر عن الشريحة السابقة الذكر» تعيش في بحبوحة من العيش، وهذا لايعني ازدهاراً اقتصادياً فيما لو أُخذ بنظر الاعتبار ارتفاع أسعار النفط الى أكثر من ٣٠ ضعفاً .. ولهذا فالسؤال الذي يطرح نفسه هو: أين كانت الشغيلة عن ساحة النضال الأساسية التي يذكرها الأخ السكرتير قبل الحرب؟!

نعود الى تدهور الأوضاع، الاجتماعية في العراق، فسواء ترجم هذا الانحطاط والتدهور بالمفهوم الماركسي وانعكاس الناحية الاقتصادية على الحالة الاجتماعية (الأمر الذي يجعلني أرى العكس لعدم وجود تناقض طبقي حاد مع نمو البرجوازية الطفيلية وتطورها) أو لم يترجم بالمفهوم المذكور، ولست بصدد هذا أو ذاك ، حيث أترك للمقولات قولتها .. ولكني أركز من خلال العمل الذي يبدو واضحاً من ملامح البرمجة في التغيير وعملية غسل الدماغ التي يتعرض لها المواطن المسلم في وطننا الحبيب من قبل النظام الديكتاتوري (والذي كان م[illegible] و بصورة مطلقة من قبل الحزب الشيوعي [illegible] حسب ما جاء على صفحات وسائل اعلام[illegible] فإنّ الحقيقة التي يجنح اليها كل متطلع للأو[illegible] في عراقنا الجريح من خلال العشرين سنة[illegible] الماضية، والتي لا تعرب عن فكره، هو ان[illegible] تورط الديكتاتور صدام التكريتي بالحر[illegible] الجمهورية الاسلامية الايرانية لاسعد[illegible] يتثبت أركان حكمه أكثر و يتحكم بمقد[illegible] الشعب بصورة أكثر فاعلية. وتخوفه المس[illegible] حول نظامه لما يوجد من تناقض ايديو[illegible] واضح مع الفكر الاسلامي، جعله يس[illegible] بالحرب وخصوصاً والعوامل الموضوعية [illegible] لصالحه آنذاك .

والمواطن العادي يستدرج هذه الحقيق[illegible] خلال تثبت النظام بأية وسيلة تؤدي[illegible] ايقاف الحرب وإنقاذ نفسه، الأمر الذي ب[illegible] الديكتاتور صدام التكريتي، وهو ان اس[illegible] هذه الحرب معناه التعجيل في نهايته بلا[illegible] وهذا ما تصر عليه الجمهورية الاسلا[illegible] ـــ إنطلاقاً من معاقبة المعتدي ـــ مما أصبح سقوط الديكتاتورية يقترب، و يداعب كل من ليس في قلبه مرض.

وهناك سبب آخر لاستمرار الديكتاتور صدام التكريتي في الحكم لا[illegible] فقط بالنواحي الاقتصادية أو الاجتماعية، بخيبة أمل و يأس المواطن العراقي المسل[illegible] الصغير .. فمن الواضح انه نتيجة لحاجة ا[illegible] المتزايد لسوق المزيد من الناس الى

(قادسية صدام) وتشديد القمع والارهاب بذريعة الدفاع عن الوطن، والتضليل الاعلامي الذي يرافق تلك السياسة، تركت حالات خنوع ويأس من المستقبل المظلم الذي ينتظر المواطنين تحت ظل هذا الارهاب الوحشي، مما اصبحوا ينقادون الى الجبهة بدون ارادتهم كانقياد القطيع الى المسالخ وهم عارفين مصيرهم مسبقاً. وهذا ما يؤكده الاعلام الاسلامي من خلال تصريحات الأسرى الضيوف، وهو جانب مهم جداً بالنسبة للمواطن العادي. ويعني آخر ان غياب القيادة المؤهلة لانقاذ الشعب ـ حسب الابعاد البسيطة التي يتطلع اليها المواطن ـ هي التي أوصلت الفرد العراقي الى هذه الحالة من اليأس والقنوط.. ان خيبة الامل من التجمعات السياسية التي كانت تعمل ولا تزال منذ عدة عقود من الزمن والتي انتهت بالفشل في تلاحم الجماهير وفاعليتها ضمن الأطر المعروفة، هي العامل الأكثر فاعلية في تثبيت النظام من بقية العوامل التي ادرجها السكرتير الاول، ويعني آخر انعدام المعارضة الحقيقية.

أما بالنسبة للعوامل الخارجية، فالسكرتير المذكور يعزوها الى المساعدة والدعم المادي والمعنوي للنظام الديكتاتوري من قبل الانظمة الرجعية العربية، والمعونات والقروض من الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا والمملكة المتحدة والمانيا الاتحادية. وهذا صحيح، فلا يقال ان الشيطان الأكبر (أمريكا) لم يمد يد العون بشتى الوسائل سواء مباشرة أو غير مباشرة، وهو المسبب الأول للحرب، وكذلك المساعدة والدعم من بقية الدول الرجعية والسائرة في الفلك الامريكي. ولكن من المؤسف حقاً أن يذكر هذه الدول التي تساعد الديكتاتور صدام التكريتي والتي ليس لها في الترسانة الحربية العراقية اسلحة تزيد عن ٢٥٪ إن لم يكن أقل، بينما يتناسى المساعدات والدعم السوفياتي للنظام والذي يملك حوالي ٧٥٪ من ترسانته، ناهيك عن الأسلحة المتطورة الدفاعية والهجومية التي لا تمتلكها أي جيش عربي آخر في الشرق

> لا أظن ان ملحمة حلبجة ستبتعد عن اذهان النخبة الطيبة من هذه الأمة.

الأوسط.. مثل طائرات الميج ٢٧. ناهيك عن المعاهدة الاقتصادية التي أبرمت بين نظام الديكتاتور صدام التكريتي والاتحاد السوفياتي لدعم وإسناد اقتصاد النظام المنهار خلال فترة الحرب. وما تهديد الديكتاتور بنسف جزيرة خرج الايرانية الا إعلان للعالم بأنه يملك الصواريخ المتوسطة المدى السوفيتية الصنع.

أما عن بقاء المعارضة الوطنية متفككة وغير موحدة، وهذا ما يشكو منه السكرتير الأول ولا

يدرج الاسباب الحقيقية لذلك التفكك، وهو ما يؤسف له حقاً، ولكن يجب أن تكون معرفة أو ادراك الحقيقة الجوهرية التي تقف وراء هذا التفكك، ألا وهو ضعف تلك التنظيمات وابتعادها عن الواقعية إضافة الى اشارات الاتهام التي تصلها من كون أن بعضها أو معظمها ساعدها أياد أجنبية أرادت منها استقطاب وامتصاص الغضب الجماهيري وإبعاده عن الوضع السليم الذي يتناسب وخطورة المرحلة الحرجة التي تمر بها الأمة الاسلامية عامة والعراق خاصة. لذلك أشار الديكتاتور صدام التكريتي أكثر من مرة الى انه لا يعبأ بتحركات المعارضة العراقية[٢] لمعرفته المسبقة ومعرفة أسياده بكوامن ودوافع هذه المعارضة والقيادات التي كانت تتحكم باتخاذ القرارات الحاسمة. وخير دليل على ذلك هو تفكك القاعدة الجماهيرية وانصرافها من حول القيادات المعروفة نتيجة لكشف تلك القيادات عندما وضعت على المحك لمواجهة العدو الشرس.

إنَّ التجمعات والحركات المعارضة الوطنية وتشعبها في الآونة الأخيرة ظاهرة تكشف عن مدى تخبط المواطن العراقي وعدم استقراره لا فكرياً ولا نفسياً لاستيعاب أبعاد المؤامرة التي حيكت ضده.. وهذه ظاهرة غير صحيحة لا تكون محمودة النتائج...

والواقع الذي لا يخفى على أحد، ان معظم عناصر المعارضة – دون القيادات – تحلم في أن تسود العدالة الاجتماعية، وترنو الى ضرورة القضاء على الديكتاتورية الفاشية في وطنها، وهذا شعور ذاتي يحمل في طياته الأمل في إعاد عراق الغد الزاهر، منتظرين ارهاصات الولادة المباركة له.

وطبيعي فان القوى الوطنية المخلصة تحتـ الى أي دعم مهما كان صغيراً وأي جهود و توحيد صفوف المقاومة اعتماداً على التعبير الكـ الذي حدث في استراتيجية النضال الوطني علـ ضوء المتغيرات الثورية التي حملت شعلتها الثو الاسلامية في ايران للتخلص من التخاذ والتأخر الذي خيم على أمتنا منذ زمن طويـ ولا اظن أن القوى الوطنية المخلصة على استعد لأن تعمل أي تحالف (جهوي) يؤدي الى بعثـ جهودها وضياع الوقت في التنظير.. فالز ليس في صالحنا، واذا لم نستغله في العمل المنـ والجهود المتكاتفة لمواجهة الاستكبار العالمـ بشتى ألاعيبه وطرقه الملتوية لم نستطع أن نعـ لأمتنا ما كانت تحلم به من مجد وعزة وكرا ضمن الايديولوجية الاسلامية الطموحة. و أظن ان ملحمة جنوب لبنان بعيدة عن أذهـ النخبة الطيبة من هذه الأمة.

وختاماً، ونحن نخوض معركة المصـ – فكرياً ومادياً – ضد قوى الظلام – بكل تملك تلك القوى مجتمعة من ضراوة وشراسـ وهمجية – فأنا أدعو كل صاحب قلم نظيـ ونفس شجاعة لا تخاف بقولة الحق لومة لائـ تعمل وتتكلم فان الصمت أصبح الآن د وان التفرج وانتظار النتائج على السـ لا يرضاهما الا المستكين والمنزوع الكرامة، و يرى ساحات الأفكار الهوجاء تتلاطم في حـ

ه الأحداث وتلك المتغيرات التي ما لبثت أن
ظهر معالمها وتتبين مقاصدها. فالاستعمار
سكري قد غزا معاقلنا وكاد أن يقضي
سيا، لولا مشيئة الرحمن ولفتته السماوية التي

أعادت نصاب الحق الى أهله، وتعري القوى المنحرفة في سيرها العمياء على الفكر الاسلامي وافتضاح أمرهم الأمر الذي نرى بزوغ فجر الحضارة الاسلامية العصرية ليس ببعيد ●

الهوامش

١ ــ مجلة «الهدف» العدد ٧٦٣ والصادر في
٢/٣/١٩٨٥.
٢ ــ ان المعارضة التي كان النظام الديكتاتوري يحسب
ا ألف حساب هي المعارضة الاسلامية والتي حاول ان
ضربها بيد من حديد، هادفاً الى إخمادها .. ويكفي أن
سجل التاريخ الانساني لأول مرة اصدار قرار من ما يسمى
مجلس قيادة الثورة بالاعدام الميداني لكل من ينتمي أو يشتبه
تعاونه مع أفراد حزب الدعوة الاسلامية وهذا ان يترجم
شيء فلا يترجم الا حقيقة ما يكابده الاستكبار من الخوف
والهلع من الفكر الاسلامي وكابوس الثورة الاسلامية

الانسجام بين ولاية الفقيه واحترام آراء الشعب

السيد ناصر مكارم الشيرازي

إنَّ الحديث ليكثر هذه الأيام عن ولاية الفقـ[illegible] إلا أن البعض ربما لم يصلوا ــ بعد ــ الى عمقها [illegible] ان الأعداء ربما طرحوا تفسيرات مغلوطة عنه [illegible] الذي لاينسجم مع الواقع.

ولكي نصل الى أهمية هذه المسألة [illegible] التعرف جيداً على الدور البنّاء الذي تقوم به و[illegible] الفقيه في الحكومة الاسلامية والمفهوم [illegible] والفقهي لها، ومن ثم التعرف على المنبع الرئيس[illegible] وهي الولاية الالهية العامة وبعدها ولاية [illegible] وأوصيائه المعصومين.

وعن تلك بشكل عام أربعة أنماط من حكومـ[illegible]

١ ــ الحكومة الفردية القائمة على [illegible]

مثل حكومة [illegible] [illegible]

[illegible]

ن متسلطون يعمون على رأس القبائل رغم
ـلاكهم لأية أهلية أو معرفة عن الداخل أو
ـيُسَخِّرونَ لسيطرتهم منطقة واسعة أو
، وعندما تضمحل قدرتهم وشوكتهم يصل
ـ رغم قبيلة أخرى أو أحد الأمراء المحليين
ملـ عليهم، وليشكل سلسلة أخرى، وهكذا
لسلاسل الملكية، واحدة بعد الأخرى، حيث
، دون ان تكون أي منها قد حلت مشكلة
ـل هي في الواقع تضيف مشاكل ومصاعب
لى مصاعب الناس، ونحن نجد في عالمنا اليوم
ـيرة لمثل هذا النمط الحكومي.
ل نستطيع اعتبار هذه الانقلابات العسكرية
ب في الأقطار المختلفة حيث تقوم مجموعة من
ط الأقوياء ــ وغالباً مايتم ذلك بمعونة دولة
و يفرضون حكمهم بقوة المدافع والدبابات ثم
م الاعتراف الرسمي من قبل الحكومات
ـ ــ هل نستطيع اعتبار هذا النمط من
ل الى الحكم سوى حكومة القوة والاعتراف
، بها.
انسا نجد ــ كما في أفغانستان مثلاً ــ مجموعة
سكريين يفرضون سيطرتهم على الشعب بمعونة
وغير مادية من دولة أجنبية، ولكي يُحكموا
ـتهم ويحتفظوا بوجودهم أمام زئير الجماهير
ـة فانهم يلجأون علناً الى قدرة وسيطرة أكبر،
هذه القوى الكبرى تحت ستار الإستجابة
ـ من حكومة قانونية باحتلال تلك الأرض
لاً عسكرياً، وتصب حمم القنابل والمدافع على
، الشعب المحروم ــ ليلاً ونهاراً ــ وتحصدهم
ـاً، في حين يقف العالم ساكتاً تجاه ذلك واذا
ـلك اكتفى بالإدانة اللفظية . وهل يعني هذا
ـم العنف والقوة.
هذا تعبير عن ملامح متنوعة لحكم القوة
اتورية الفردية التي اعترف بها رسمياً في
الماضي والحاضر، ونحن نعلم ان الكثير من الحكومات الممثلة في هيئة الأمم المتحدة هي من هذا القبيل وهي تحتل في ذلك المركز القانوني ــ كما يصطلح عليه ــ ويستمع الآخرون اليها بشكل طبيعي.

٢ ــ حكومة الفرد الصالح:

أي الحكومة التي تدار بواسطة فرد واحد، ويرضى الشعب كله أو أكثريته أن يسلموا أمورهم بيده، فهذا الحكم فردي لكنه ليس حكم القوة والعنف، وكنموذج لذلك حكومة أنبياء الله خلال التاريخ، فصحيح أنهم كانوا يستشيرون الناس في إدارة أمورهم الا أن الرأي القاطع كان لهم لاغير.

ولما كان الفرد العادي ــ مهما كان صالحاً ــ مُعرَّضاً للخطأ، فاننا نرى ان هذا النوع من الحكم ينحصر بحكومة الأنبياء والأئمة المعصومين.

٣ ــ حكم الشعب للشعب مع توفر الحرية الشكلية:

ونعني به نفس النمط المتداول ــ اليوم ــ في بعض الأقطار، إذ تشكل حكومات منشؤها ــ في الظاهر ــ هو آراء الشعب، إلا ان ذلك يتم دون قيد أو شرط، فمن اختاره الشعب ومن أراده كان، سواء كان ذلك فيلسوفاً عظيماً ينتخب لرئاسة الجمهورية ــ يوماً ــ أو مُمثلاً سينمائياً وربما كان مُهرِّجاً أحياناً، فلا يختلف الأمر من هذه الزاوية، وانما المعيار: ماذا يريد الناس؟ ومن يريدون؟ أكان فيلسوفاً أو عالماً، أو فناناً، صغيراً أو كبيراً، موحداً أو مادياً ان الحال سواء مادام المُنتَخِب هو آراء الناس.

ومن الطبيعي ان انتخابه يتم ــ كما نعلم ــ على أساس النصف زائداً واحد، وهذا الأساس أيضاً يشكل قاعدة للقوانين المشرعة في مثل هذه النظم، فما ارتآه الشعب فهو الحق، بمعنى ان المناط هو آراء الممثلين المنتخبين على هذا الأساس، وحتى لو انهم

اتجهوا للموافقة على انحراف جنسي فان ذلك يعد قانوناً يجب احترامه من قبل الجميع (وهذا ما قام به الممثلون في مجلس العموم البريطاني) وهذه هي الديمقراطية بشكلها الغربي.

* * *

٤ ـ الحكومات الديمقراطية المذهبية:

ان آراء الناس، تشكل أساس هذه الحكومات، ولكن لابشكلٍ مطلق ودون قيد أو شرط وانما يتم ذلك في إطار مذهب معين.

فللناس حق إبداء آرائهم، ويمكنهم أن يرشحوا أنفسهم أو ينتخبوا غيرهم ولكن كل ذلك مع لحاظ قواعد المذهب الخاص.

ومن الطبيعي انه لايمكن انتخاب أي كان، في هذا النوع من الديمقراطية، وتسليمه أزمة الحكم، ولايمكن لأي قانون أن يقع موقع الموافقة من قبل المجلس البرلماني وإنما الحرية هنا لها إطار وحدود يرسمها المذهب الأساس.

* * *

حكومتنا الاسلامية من النمط الرابع:

يدعي الشيوعيون أيضاً انهم يطبقون الديمقراطية المذهبية (الديمقراطية في إطار الماركسية)، ومع غض النظر عن الاشكالات والانتقادات الأساسية التي توجه الى أصل مذهبهم، فان حكوماتهم ـ مع ملاحظة ما طبقوه عملياً ـ ترجع عند التحليل النهائي الى النمط الأول أي حكومة القوة والعنف، لا الحكومة الديمقراطية، وإن كان ذلك يتم في اطار مذهبهم.

وعلى أي حال؛ فان المدار في الجمهورية الاسلامية هو آراء الشعب، سواء في التشريع أو في التنفيذ، الا أن ذلك ليس مطلقاً وانما هو في إطار ما حدده الاسلام لأي من السلطات الثلاث: (التشريعية، والتنفيذية، والقضائية) لاغير.

واذا كان الأ [illegible]

(ولاية الفقيه) نكون قد قضينا على الديمقراطية صادقون، ولكن أية ديمقراطية هذه التي [illegible] عليها؟ إنها الديمقراطية من النوع الغربي الذي لا [illegible] ولاشرط له.

نعم؛ ان هذا النوع لاينسجم مع ولاية الفقيه الا اننا لم نقل ان حكومتنا هي من نمط (الديمقراطية الغربية) بل اننا أيدنا من اليوم الأول حكو[مة] (الديمقراطية المذهبية) و (الجمهورية الاسلامية).

وعبر ملاحظة هذه المقدمة، نعود الى [illegible] الحديث لنعرف ما هي أركان هذه الحكومة.

اثر ولاية الفقيه في الأبعاد الثلاثة للحكومة:

لكل حكومة ـ بشكل أصولي ـ ثلاثة أبعاد هي:

١ ـ البعد التشريعي

٢ ـ البعد التنفيذي.

٣ ـ البعد القضائي.

وتوجد هذه السلطات الثلاث في أية حكو[مة] ديمقراطية، مع فرق هو ان الديمقراطية أو الجمهو[رية] اذا كانت من النمط الغربي لم يكن هناك أي [illegible] للجانب التشريعي ولا لانتخاب العنصر [illegible] أو القضائي.

الا أنه وفي حكومة مذهبية، نجد المذهب المسيطر على عنصر التشريع، فلايخرج عن حدود[ه] وعلى نوعية الموظفين والحكام والقضاة فلايمكن [أن] يكونوا أناساً لا تتوفر فيهم الصفات التي يطرحها المذهب.

وكمثل على ذلك نجد انه لايحق لممثلي ال[illegible] أبداً أن يحلوا الربا أو يمرروا مشروعية [illegible] الربوية، كما لايمكن للحكام والقضاة ان يكونوا غير الملتزمين بالاسلام وخطه العملي.

وعلى هذا الأساس نلاحظ وجود جمهورية [illegible]

[illegible]

التلاث.

يقف الى جانب السلطة التشريعية من ممثلي الشعب المنتخبين، جهاز يُدعى: صيانة الدستور)، واجبه الوقوف بوجه والانحرافات المحتملة للنواب عن القوانين ومواد الدستور، رافضاً أن تتم الموافقة على ف الاسلام.

كان النواب أو اكثريتهم من الاخصائيين ل الاسلامية، لم تكن هناك حاجة الى صيانة الدستور، الا ان هذا قد لايجد تطبيقه مما يجعل وجود الجهاز آنف الذكر ضرورياً على القوانين الاسلامية.

جانب انتخابات رئيس الجمهورية ـ على آراء الشعب ـ تأتي مسألة إقرار الولي الفقيه يتم تسليم أزمة الأمور الى فرد منتخب ولكنه الضوابط الدينية المطلوبة.

لذلك الأمر حين نركّز على الجهاز القضائي فانه وان كانت عناصره تنتخب من قبل شعب (كما في انتخاب وزير العدل) أو من قضاة (كما في انتخاب مجموعة من أعضاء القضاء الأعلى) الا ان هذه الآراء ليست ة وتبقى لمراقبة الولي الفقيه واقراره دورهما الشروط الشرعية.

لخص القول: ان السلطات الثلاث في ة الديمقراطية المذهبية ترتكز بشكل مباشر أو اشر على آراء الشعب في نفس الوقت الذي فيه تحت اشراف المذهب بشكل مباشر أو عبر

نستنتج من هذا ان هناك عنصرين يقودان الى نقصها في الحكومة الديمقراطية المذهبية، هما: آراء الشعب وعنصر التخصص المذهبي، وهذا لق عليه إسم (ولاية الفقيه).

* * *

ـور.

قد يقال: فلماذا إذن لم تكن حكومة الأنبياء والأئمة بهذا النحو؟ فقد كان الرسول الأكرم(ص) والإمام علي (ع) ينتخبان الحكام والمندوبين بنفسيهما، وكانت السلطات الثلاث مجتمعة في شخصيهما، ولم يكن هناك أي صندوق انتخابي في البين.

وعند الجواب نقول: مع ملاحظة مقام العصمة الذي يتمتع به النبي والإمام، فان الأمر معه يختلف عنه مع غيره. فالمعصوم له حسابه والمجتهد الجامع للشرائط له حسابه الآخر، وإن كان المعصوم أيضاً يشاور الآخرين في اختيار الأفراد وتطبيق التشاريع رغم كون القرار النهائي بيده علاوة على أن الظروف آنذاك تختلف اختلافاً كبيراً عن الوضع الحالي، ولانعني بحديثنا ان القوانين تتبدل وانما نؤكد على ان اسلوب تطبيقها متبدل بلاريب (يرجى التركيز على هذا الأمر).

تساؤل آخر:

قد يقال: اذا لاحظنا الموازين الفقهية، فلا مانع من أن يجمع الفقيه المستكمل للشرائط في عصرنا عناصر كل القوى ويمسك بأزمتها ويتشكل في الواقع النوع الثاني من الحكومة وهو حكومة الفرد الصالح؟

ونقول في الجواب: ان الفقيه الجامع للشرائط مكلف أن يختار في كل عصر وزمان الاسلوب الأمثل لتطبيق المذهب، أو كما يعبر الفقهاء ـ عليه ان يرعى «غبطة المسلمين» أي يختار الأصلح للمسلمين.

وحينئذ فاذا تخطى الفقيه الجامع للشرائط هذين العنصرين الأفضلين، متجهاً نحو اسلوب آخر، فقد ارتكب خلافاً يفقد معه مقام الولاية.

وبملاحظة هذا المبدأ الأساسي، فهل من الأصلح أن يقف الفقيه الجامع للشرائط في القمة،

ـدر بنفسه حكم رئاسة الجمهورية لشخص دون أن يكون هناك أي استطلاع للرأي العام ـخاب من قبله أم أن الافضل اشتراك الناس في عملية الانتخاب هذه واذا رأى بدوره ان ـخب واجد للشروط المطلوبة أقر عملية ـاب المذكورة؟ وأي هذين السبيلين أبعد عن ؟ وأيهما أقرب الى الواقع؟ أليس عليه أن يتبع ـ فالأقرب، والأصلح فالأصلح؟

بعد التجاوز عن هذا، نقول: إن الناس ـلون القوة الأصلية والعمود الفقري للنظام ي، ومع هذا فع أي اسلوب ينسجمون بشكل يتعاونون بنمط أشد؟

، من المسلم به ان الفقيه الجامع للشرائط على آراء الناس وراح هو يراقب و يهيء لكي لاختيار على الفرد الصالح، فان هذا سوف أقرب الى الواقع وأصلح كما سيكون الناس ولاً بلاريب.

قلناه آنفاً يتوضح الى أي مدى تنسجم مسألة آراء الناس مع ولاية الفقيه. إنها مسألة مهمة ـن انسجام ولاية الفقيه مع حرية الانتخابات ـم الشعب دون أن ينجر الأمر الى الاستبداد ـاتورية.

ـنا نتصور انه مع ما قدمناه من توضيحات لم ي مجال لتصور التضاد الآنف، ونعتقد ان الذين يتصورون التنافي بين (الجمهورية) و ـلامية) أو يتصورون ان مسألة (ولاية الفقيه) الاستبداد، هؤلاء يخلطون ـ في الواقع ـ بين ـراطية المذهبية والديمقراطية بشكلها الغربي، مراجعة للبحوث التي مرت توضح هذه الحقيقة .

ربما كان الخطأ ناشئاً من تصورهم ان الفقيه ـع للشرائط يستطيع أن يفعل ما يشاء في

أن تدخله في كل المجالات له ضوابطه الشرعية ومقرراته القانونية الاسلامية، و يتم على أساس من مصالح الأمة الاسلامية (يرجى التركيز).

لقد بعث الله تعالى رسول الاسلام (ص) وأمره بتشكيل الدولة، وكان أول عمل له (ص) بعد هجرته الى المدينة وتوفر الأرضية المناسبة هو تشكيل الحكومة والجيش و بيت المال والمحكمة وأمثال ذلك

والقرآن الكريم يقول في هذا المجال «فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليماً». (النساء: ٦٥)

ومن الطبيعي انه حتى الرسول (ص) لو كان قد شكّل مثل هذه الحكومة دون إذن الهي، ودعا الناس الى ولايته، لم يكن ذلك جائزاً، وحينئذ فان من الأولى أن الحكومات المشكلة في هذه الأرض إن لم تنتمِ الى حكومة (الله) كانت حكومات غاصبة وظالمة.

و بعده (ص) انتقل هذا الحق الى أوصيائه، ووفقاً لما يعتقده الشيعة فان زمام خلافة الرسول (ص) اليوم قد انتهى الى الإمام المهدي (عليه السلام) وان الحكومة الالهية حق له، وانه وحده المجاز بتشكيل مثل هذه الحكومة.

ومن جهة اخرى فان من المسلم به انه مع غيبة المهدي (ع) لم تترك الأمة الاسلامية دون راع ودون أن تعرف مصيرها ولايمكننا أن نتصور ان الله تعالى قد ترك الامة الاسلامية بملايينها لسنين طويلة دون أن يعيّن لها مصيرها وأسلوب إدارتها.

ترى هل يستطيع أي شعب أن يبقى دون حكومة؟ وهل هناك قانون أو مذهب يدعي لنفسه الكمال دون أن يعين مصير ومسير الحكام، في حين ان هذا يعد من أوضح الضرورات الاجتماعية؟

ترى هل يجيز للمسلمين أن ينضووا تحت لواء الأجانب وحكوماتهم؟ وهل ان علينا ـ وقد قلنا ... حكومة ـ الديمقراطية

ازها الى الله جل وعلا؟

الجواب على كل هذه التساؤلات سلبي

.

الحكومة الاسلامية انما تتخلص من صفة ة اليوم اذا كانت مأذوناً بها من قبل المهدي لسلام). ولحسن الحظ فقد صدر هذا الاذن في ص و بشكل صريح عبرالاخبار الاسلامية.

ندما سأل اسحاق بن يعقوب الإمام (ع) عن المرجع الذي يرجع اليه في عصر ، أجاب «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رينا فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله». (وسائل ج١٨ ص١٠١).

، موضع آخر يقول الإمام الصادق (ع) حول :

نظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في ا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فاني قد

وعلى هذا فان الولي الفقيه يستطيع أن يشكل الحكومة باذن الإمام، و يعود حاكماً على الأمة، وحكماً فيما شجر بينها.

وهناك أدلة عديدة أخرى في هذا المجال وهي وان كان بعضها ينظر الى مجال القضاء أو مجال الفتوى ومرجعية التقليد الا أنه يمكن أن نستفيد منها.

ان حل كل المشكلات يجب أن يتم في نهاية الأمر على يد المتخصصين بالأمور الاسلامية والفقهاء.

واذا تجاوزنا عن ما مضى، فان كون الاسلام كاملاً وخالداً من جهة، وكون مسألة الحكومة باعتبارها أهم المسائل الاجتماعية مسألة ضرورية وواضحة من جهة أخرى، يقتضي أن يعين مرجع لهذا الأمر. والقدر المتيقن في مثل هذا المرجع أن يكون فقيهاً بصيراً مطلعاً مديراً ومدبراً بلا ريب●

أدب

عند سيد قطب

الدكتور أحمد محمد البدوي / بيج

كانت أولى التفاتات سيد قطب الى الافادة من التراث الاسلامي في الأعمال الأدبية، تنحصر في حاق طرائق التعبير مثل الجمال الفني في القرآن الكريم، فكان أن دعا الى... «تملّي القرآن في التصوير والتظليل، فهي أعلى طريقة فنية للأداء، وإنّ نقلها الى عالم الأدب، خليق بأن يرفع هذا الأدب الى آفاق رفيعة، لم نصل اليها حتى الآن، فهلموا الى النبع الأصيل نبع القرآن»[1] ليحتذي الأدب الجانب الفني من القرآن، و يستقي من ذلك الينبوع، مفيداً من طريقة القرآن في التعبير أو ما يسميه «التصوير الفني» الذي سبق أن درسه في كتابه عنه، وبيّن خصائصه و مزاياه، ثم لم يكتف بجلاء عناصر التصوير الفني من الناحية النظرية بل دعا الى تطبيقها، والاهتداء بسمتها وروحها،

وما لبث أن ربط هذا الجانب الفني الشك بمحتوى فكري، لأنّ أي كاتب من الكتا يصدر عن موقف فكري شامل «ينبع عن ته معين للحياة، ولعلاقة الانسان بالكون، وبأ الانسان، ومن العبث تجريد الأدب عن قيمه، لاتبقى بعد التجريد إلا عبارات خاوية، أوخه صياء،... فهنا التصور موجود دائم الوجود وإنْ لم يشعر به الفنان»[2].

وهنا يدخل الجانب الأخلاقي في تكو اتجاهه النقدي، على أنه معيار ثابت ا جوهري، ينضاف الى الأس الفني، «الش و يقترنه به، ومادام الأدب دالاً على فكري، في كل حال من الأحوال، فلا يكون للاسلام —وهو الموقف الفكري التزمه ناقدنا— أدبه الذي يحمل سمات

[illegible]

يحوي هذه [illegible] التصور الاسلامي [illegible] يستحق أدباً [illegible] وإطع [illegible]».

وقد كان هؤلاء الأدباء يمثلون أعلى مستوى الفن الشعري في رأيه، إذ يشكلون نموذجاً مثالياً لما يسميه الأدب العالمي الذي يشكل تفوقاً مطلقاً على الشعور العربي، وما نحن أولاء نراه يختلف مع مضمون أشعارهم، والقيم الفكرية الكامنة فيها، لأنه لم يعد يكتفي بالجانب الشكلي من العمل الفني، بل انتقل الى مرحلة جديدة يهتم فيها بمحتوى الأدب، ويحاكم مضمونه الى التصور الاسلامي، في حين كان يعد من قبل أن الموضوع غير ذي قيمة، ومن ثمة تظهر نقلة أساسية في نتائج هؤلاء الأدباء العالميين انهم مبدعون في الجانب الفني الشكلي، لكنهم لاينسجمون مع التصور الاسلامي الوحيد في كل حال، وهذا التصور قادر على أن يكون مصدراً لأدب متميز هو أفضل من الآداب الأخرى قاطبة، و يدخل في ذلك نتاج هؤلاء العالميين. والتصور الاسلامي يستمد من الأصول الأساسية للاسلام، ولا يدخل فيه كل التراث الفكري الذي عرفته الحضارة الاسلامية، إذ يكتب ناقدنا رسالة الى «[illegible] الحكيم» يرفض فيها إطلاق عبارة «فلاسفة الاسلام» على ابن رشد وابن سينا والفارابي «إن فلسفة هؤلاء انعكاسات للفلسفة [illegible] في ظل إسلامي، ولا تمثل الفلسفة [illegible] للاسلام عن الكون والحياة والانسان [illegible]

[illegible]

[illegible] في ما يخص الروح والوجدان [illegible] الى ذروته الهائلة»[14].

ولم يبات تلك الدراسة ألاعشي ثم حالت أن اعتقل، وربما أحدث شيئاً مثله واستطاع اكمال تفسيره للقرآن في ظلال القرآن وهو في السجن، ووالى اخراجه جزءاً جزءاً، جرى فيه تيار المناخ الاسلامي، في الدعوة والتغيير، وانا لنجد في ثناياه فقرات متناثرة تدل على اتجاهه النقدي في هذه المرحلة «الأدب الاسلامي».

من ذلك تناوله الشعر الجاهلي، اذ يسوق نماذج منه للدلالة على أخلاق العرب في العصر الجاهلي: «كان الثأر في الجاهلية هو الفرض الأكبر من الحياة ونشر أذى قيم حظ النفس وذلك طبيعي في بيئة لا ترتبط بالله ولا تستقي تقاليدها من منهج الله ... وهو المبدأ الذي يعبر عنه الشاعر الجاهلي ... فيقول:

وهل أنا الا من غزية إن غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد

وعمرو بن قميئة وامرؤ القيس وطرفة والأعشى»[15]. لينتهي من كل النماذج التي ساقها الى نتيجة فصلها في قوله «فالاسلام نقل الجاهليين من سفح الخمر والقمار والعلاقات الجنسية الفوضوية والتبرج والاختلاط ومهانة المرأة ومهاناتها»[16].

وللناقد أن يعتبر الشعر الجاهلي [illegible]

... عن الاتجاهات الأخلاقية للمجتمع الجاهلي، وتبيان طرائقه في السلوك ، ولكن مطالعتنا بتجرّد الجاهليين من كل فضيلة «ندر أن قام مخلف للحق»، ومع شيوع الانحراف عن الجادة في العبادة بين الجاهليين، لكن من الصعب ادعاء خلو ذلك المجتمع من القيم الفاضلة «مكارم الأخلاق» ولو جاز الاستشهاد بالشعر الجاهلي لوجدنا فيه أمثلة كثيرة للانحراف، ولكننا نجد فيه أيضاً أمثلة كثيرة للخير مثل الكرم ونجدة الضعيف، وحماية المستجير والبر بالجار، كما يمدنا الشعر الجاهلي بملامح مهمة عن النفس الانسانية في أحوال مختلفة، وقد أقر الاسلام بعض أخلاق الجاهليين علاوة على أن الشعر الجاهلي عمل فني، فأين حظ هذا الشعر من النقد الفني، من تذوقه وتحليله، إنه لايعدو أن يكون وثيقة اجتماعية، يطبق عليها ناقدنا مقاييسه الأخلاقية، متغافلاً عن المثل العليا التي عبّر عنها، مما يتجانس مع روح الاسلام. كذلك يقدم على نقد ألوان من الشعر في ضوء التصور الاسلامي مثل قول الخيام:

لبست ثوب العمر لم أستشر
وحرت فيه بين شتى الفكر
وسوف أنضو الثوب عني ولم
أدر لماذا جئت؟ أين المقر

ليقول: «المؤمن من يعرف بقلب مطمئن... انه يلبس ثوب العمر بقدر الله، وان اليد التي ألبسته اياه أحكم منه وأرحم، فلا ضرورة لاستشارته، لأنه لم يكن ليشير كما يشير صاحب هذه اليد الحانية ... لا يعلم ماذا جاءه كما يعلم أين المقر ولا يعاني من حيرة الفكر بل يقطع الرحلة ... في طمأنينة ... وقد يتوق في المعرفة الايمانية فيقطع الرحلة في فرح شاعراً بجمال الهبة ... هبة العمر أو الثوب الممنوح له من يد الكريم المنان الجميل اللطيف»[17].

يختفي الاعجاب بفن الخيام، ومنحاه في التعبير وصوره وظلاله، وجمال عالمه، ليحل محل كل أولئك أمر جديد، هو نقد المعنى المفهوم من شعره، فإذا هو مناقض للتصور الاسلامي، عندما حوكم الى مقوماته، و يتقصى الجوانب التي يختلف فيها هذان البيتان مع التصور الاسلامي فيجدها كثيرة، وكأنه يقدم لنا بديلاً لكيفية التعبير عن مثل هذه الأمور في شعر متساوق مع التصور الاسلامي.

وهكذا نشهد تطوراً في فكره النقدي، من الجانب الفني الى الجانب الأخلاقي، ونرى ناقدنا يحاكم شعره هو الى التصور الاسلامي، فيقول: «إن الاعتداد بذلك التصور يؤدي الى اختفاء شعور كالشعور الذي عشته في فترة من فترات الضياع والقلق قبل أن أحيا في ظلال القرآن، قبل أن يأخذ الله بيدي الى ظله الكريم، ذلك الشعور الذي خلعته روحي المتعبة، فعبرت عنه أقول:

وقف الكون حائراً أين يمضي
ولماذا وكيف لو شاء يمضي
عبث ضائع وجهد غبين
ومصير مقنع ليس يرضي

فأنا أعرف اليوم ـ ولله المنة والحمد ـ ان

ليس هنالك جهد غبين فكل جهد مجزيء، وليس هناك تعب ضائع فكل تعب مثمر، وأن المصير مرض، وأنه بين يدي عادل رحيم، وأنا أشعر اليوم ــ ولله المنة والحمد ــ أن الكون لايقف تلك الوقفة البائسة أبداً، فروح الكون تؤمن بربها وتتجه اليه، وتسبح بحمده، والكون كله وفق ناموسه الذي اختاره الله له، في طاعة، وفي رضى، وفي تسليم، هذا كسب ضخم في عالم الشعور وعالم التفكير» [١٨].

فاذا سيد قطب الذي يبلغ اعجابه بشعره حد تقديسه، فيزكيه و يستشهد بنماذج منه في كتابه «مهمة الشاعر في الحياة» ١٩٣٣م، و يورد أمثلة منه في ثنايا مقالاته وكتبه في مرحلته الثانية دلالة على ازدياد شعره بكل العناصر الفنية الممتازة التي تجعل من ذلك الشعر شعراً رفيع القدر، فإذا هو نفسه الذي يتولى نقد شعره الخاص في ضوء التصور الاسلامي، لتبيين انحراف نماذج من شعره عن القيم الاسلامية، ومناقشته لها مناقشة يفيض في توضيح تفاصيلها ويحكم على البيتين بأنها نتاج ضياع وقلق، فلا غرو أن حلا معالم دالّة على الضياع والقلق، وذلك قبل أن يحيا في «ظلال القرآن»، فكأنّ تلك المرحلة مرحلة موت، أو تيه في هجير الضياع، لأن الحياة في ظلال القرآن نعمة من عند الله، تستوجب الحمد والشكر، وكل ذلك في معرض تفسيره لسورة الحجرات عند الآية (١٧) التي قال فيها تعالى: **«يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا، قُل لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمانِ، إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ»**.

ومن هنا نراه يكرر عبارة «ولله الحمد والمنة» مرتين، وهو يوضح اهتداءه الى موقف الاسلام من تلك القضايا الواردة في البيتين، لأنه ما كان ليهتدي الى سواء السبيل هذا لولا فضل الله ورحمته.

وهكذا نشهد نقلة هائلة في تفكيره النقدي، ونلمس موقفاً جديداً من الاسلام في مضمار الأدب، ذلك أن ناقدنا في مرحلته الأولى «في ظلال العقاد» كان يقول في مجادلته للرافعيين عام ١٩٣٨م: **«إنَّ الدين مهمته في اصلاح نفس الفرد والمجتمع، وفي تهيئة هذا المجتمع لحياة الفرد، بالنصح والتخويف والتشريع وبكل الوسائل ... وليس من الحكمة وضع الدين مقابلاً للفنون، لأنها تترجم عن النفس الانسانية، وليس هذا من اتجاهات الدين إلا في الدائرة التي تهمه في إصلاح نفس الفرد للمجتمع، والمجتمع للفرد على طريقته الخاصة. ومن الناس من يستعز بالخوالج والآمال التي تجلوها الفنون، لأنها تلمس كل عنصر حي فيه، وليس من الحكمة أن نسوم هذا الفريق الاختيار بين طريقة الفن وطريقة الدين، في حين لايعني الدين ذلك»** [١٩] وانه ليعني بالدين في هذا المقام الاسلام، فيجعل الفنون ومن بينها الأدب بلا شك، مستقلة عن الدين، وأنه من الأحسن أن تبقى خارج دائرته، وان لا تقحم الاسلام في شؤونها، حتى لاتجبر الأديب على الاختيار بين أمرين: الانتصار لأدبه، أو الانحياز للدين والتضحية بالأدب.

وهذا الموقف من الدين واضح في جداله مع

الشعر حتى أن (محمود شاكر)، كان يعتبر موقف (قطب) ضد الرافعي، موقفاً ينطوي على مناقضة صريحة للاسلام وخروج على أسسه.

ولما جاءت المرحلة الثانية، من مراحل ناقدنا، حيث جنح الى الوجدان، بدا منتصراً لأساليب الأدب في الاداء، من الايقاع وتركيب الألفاظ والصور والظلال، ولايتخذ المضمون مقياساً للحكم على قيمة الأدب، وتحديد مكانته، بعيداً عن تلك الأساليب. وبعد أن كان من براهينه على تفوق العقاد الأديب، ما يتجلى في أعماله الأدبية، ولا سيا الشعر، من عمق التفكير، وسعة في الأفق، عاد فرفض العقلانية ومظاهرها في الشعر، وصار أفضل الشعر في تقديره هو المستمد من وراء الوعي، المتحرر من أثر العقل المنطقي، حتى لايكاد يبدو له أثر، أو ينعدم البتة.

بل انه حين كتب «التصوير الفني» لم يعن بمضمون القرآن واتجاهه الفكري، بل قصد الى دراسة الكتاب دراسة فنية، بوصفه وثيقة أدبية، وصرف النظر عن قيمته الدينية، وما يؤديه من دلالات ومعان، ولا نكاد نستثني من هذا غير نقده للأغاني المصرية، حيث شن هجوماً عنيفاً على موضوعاتها وطابعها الشهواني المريض.

فلما جاءت المرحلة الثالثة، «مرحلة الأدب الاسلامي»، طرح جانباً فكرته السابقة عن فصل الأدب عن الدين، ولم يدع الى معالجة الموضوعات الأدبية بروح اسلامية فحسب، بل دعا الى استقاء هذه الموضوعات من الينابيع الاسلامية[٢]. وبهذا لا تقتصر الدعوة الاسلامية على الجانب السياسي، وتغيير المجتمع أو اصلاحه بل تشمل النشاط الأدبي. وبينما كان صاحبنا يستصغر شأن الشعر الجاهلي من الناحية الفنية، في مرحلته الأولى، نجده هنا ينظر الى دلالة ذلك الشعر على أخلاق أهل الجاهلية، ومباينتها للقيم الاسلامية التي جاءت لتحل محلها.

ويظهر أن المرحلة الاسلامية متداخلة مع المرحلة السابقة لها، وقد حاول ناقدنا أن يجمع فيها الموقف الأخلاقي «التصور الاسلامي» والأصول الفنية التي انتهى اليها في المرحلة الثانية معاً، كما أن اختلافه مع العقاد، لا يعني تخليه عن كل القيم والأفكار التي استقاها منه أو ما يمكن أن يجمعه بالعقاد على نحو ما ●

الهوامش

١ ــ سيد قطب: «كتب وشخصيات» طبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٤٦م ص٤٢، وانظر كذلك مجلة «الرسالة» القاهرية عدد رقم ٦٢٥ في ٢٥/٦/٤٥

٢ ـ سيد قطب: «في التاريخ فكرة ومنهاج»، الدار السعودية للنشر، جدة، ١٩٦٧م، ص١١–١٢.

٣ ـ نفس المصدر السابق (ص١٢).

٤ ـ نفس المصدر السابق (ص ٢٧ – ٢٩).

٥ ـ سيد قطب، «النقد الأدبي»، ط. دارالكتب المصرية، ؟، ؟، هامش ص٣٥.

٦ ـ مجلة «الرسالة» عدد ٨٣٨ في ١٩٦٤/٥/١٦ ص٨٥٥.

٧ ـ «كتب وشخصيات» ص١٦٩، و«النقد الأدبي» ص٨٢.

٨ ـ «الاخوان المسلمون» في ١٩٥٤/٦/١٧، ص١٤، وكذلك عدد ١٩٥٤/٥/٢٠، ص١٤.

٩ ـ «الاخوان المسلمون» في ١٩٥٤/٥/٢٠، ص١٤.

١٠ ـ نفس المصدر السابق في ١٩٥٤/٧/١، ص١٤.

١١ ـ نفس المصدر السابق في ١٩٥٤/٦/١٠، ص١٤.

١٢ ـ نفس المصدر السابق في ١٩٥٤/٦/٢٤، ص١٤.

١٣ ـ نفس المصدر السابق في ١٩٥٤/٥/٢٠، ص١٤.

١٤ ـ أبو الحسن الندوي، «مذكرات سائح في الشرق العربي»، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٥م، ص١٥٢.

١٥ ـ سيد قطب، في «ظلال القرآن» ج٢، ط دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٦، ص٨٣٩ وج٥، ص٦٦٤، والبيت من شعر دريد بن الصمة، وقد ورد برواية «وما أنا» انظر الأصمعيات، تحقيق. أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ؟، ص١١٢.

١٦ ـ «في ظلال القرآن» ج٦، ص٨٥٤.

١٧ ـ نفس المصدر السابق، ج٢٦، ص٣٢٣٥، والبيتان من رباعيات الخيام التي نظمها أحمد رامي شعراً، انظر: «رباعيات الخيام»، ترجمة أحمد رامي، طبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٠، ص٤٣

١٨ ـ «في ظلال القرآن»، ج٢٦، ص٣٢٥٢.

١٩ ـ مجلة «الرسالة» عدد ٢٣٦ في ١٩٣٨/٧/١٨، ص١١٨٠.

٢٠ ـ د. مهدي فضل الله، «مع سيد قطب في فكره السياسي والديني»، دار الرسالة، بيروت، ١٩٧٨، ص٥١.

• المقال جزء من أطروحة دكتوراه، عنوانها «سيد قطب الناقد الأدبي»، قسم العربية، جامعة الخرطوم، السودان، ١٩٨١م.

ـ تصحيح واعتذار ـ

نعتذر عن الخطأ الذي وقع سهواً في العدد الثامن عشر الخاص بشهري محرم وصفر، حيث كان من المفروض أن يرد على غلاف المجلة تاريخ السنة الهجرية الجديدة وهو (١٤٠٦ هـ) بدلاً من (١٤٠٥ هـ). كما نتقدم بالشكر الى جميع الأخوة الذين نوّهوا الى هذا الخطأ.

رؤوس مزيفة

أبو ماجد

تلك الرؤوس التي تعلو بأمتنا   لو يكشف السر يوماً، جلهم ذنبُ
صهيون تزحف بالنيران حاشدة   على الحمىٰ، وتحدت زحفها الخطب
و يشعلون فتيل الحرب، محرقة   مع العدو، ولكن وحدنا الحطب
يستأسدون على أحرار أمتهم   فإنْ تصدَّت لهم نار العدىٰ هربوا
الشاربون دماءَ الشعب طاهرة   في حين أعداؤهم من نفطهم شربوا
تبجحوا بانقلاباتٍ مزيفةٍ   وليس للشعب إلا القمع والسغب
لايغضبون اذا ديست شعوبهم   لكن اذا أنَّ فرد منهم غضبوا
و يصدقون على تهديدِ أمتهم   لكن اذا هددوا مستعمراً كذبوا
وربما انتسبوا زوراً وتعمية   الى مبادئ للشيطان تنتسب
وربما لعقت بالدين ألسنة   في حين معبودها الدولار والرتب
صدام يضرب دين الله منتشياً   ان سوف تشمخ من أمجاده العرب
ومثلت كفرهم جند وأسلحة   لدعمه وصدى الأبواق والذهب

• • •

تسلقوا فوق أكتاف الشعوب الى   عروشهم، ثم داسوا كل من ركبوا
تمشي الحضارات في درب العلى صعداً   أما حضارتهم فاللهو والطرب
ولايحبون إلا ذاتهم نحرت   على هواها حقوق الشعب والارب
عاشوا النفاق بدنيا ملؤها دنس   فلا نصدق ما قالوا وما كتبوا
ترعرعوا في بيوتٍ لايمر على   تلك المراسل الا العهر والكذب
أين الفتوح التي شادت مفاخرنا   بالأمس. أين التراث الثر، والكتب
تقيأوا كتباً جوفاء ليس بها   الا سموم هذا الجيل تنسكب
وتشهد البؤر السوداء كم صنعوا   فيها ملاحم باللذات تصطخب
وسوف تبقى لهم ذكرى مدنسة   في الدهر تلعنها الأجيال والحقب

* * *

لايملكون طموحات ومكرمة   إلا هوىً لمهاوي الغي يلتهب
لايبلغ المجد من خارت عزيمته   بالغي، فهو طموح ملؤه التعب
ومن تعالى عن الأوحال، ملتزماً   بالدين، فهو الى أفق العلى يثب
كم أمة ضيعت في بغيها شرفاً   قد شيدته لها آباؤها النجب
وكم وضيع تعالى نجمه، بخطىً   وثابة، لسماء دونها الشهب
آباؤنا بالهدى والعزم قد رفعوا   مجداً لنا، فهدمنا ما بناه أب
فضاعت القدس منا بعد اندلس   وغربة الجيل عن اسلامه السبب

* * *

لابد أن يستحيل الوعي عاصفة   من الجماهير، يوري زندها الغضب
(للمتقين من الدنيا عواقبها)   تمحى الطغاة، ولايبقى لهم عقب

* * *

الجهاد العلمي للإمام الصادق عليه السلام



جعفر البياتي / العراق

ضرورات الحصانة الرسالية:

تتعرض الرسالة عادة ـ بعد رحيل الرسول ـ الى تيارات عديدة، منها خارجية كحملات التشكيك والتشويه والطعن، ومنها داخلية كمنزلقات التأويل والرأي واختلاط الأحاديث الصحيحة بالدخيلة .. وبالتالي تظهر الدعوات الضالة وفرق الردة والانحراف.

فما هو صمّام الأمان للرسالة من أن تشوّه معالمها وتحرّف مبادئها وأصولها؟

إنّ الله سبحانه وتعالى جعل الرسالة الاسلامية خاتمة الرسالات، وتعهد حفظها، فقال عزّ من قائل في محكم كتابه المجيد: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»[1].

وكان من لطفه سبحانه وتعالى أن بعث الأنبياء والرسل هداة للبشرية ـ حسب قاعدة اللطف الالهي ـ وهيّأ من بعد الأنبياء والرسل ـ حسب القاعدة ذاتها ـ أولياء صالحين يتولون مسؤولية تحصين الرسالة من التحريف والحفاظ على قواعدها ومضامينها من الاندراس وحمل [illegible] في الأجيال المتعاقبة أداء دورهم الطبيعي الفاعل.

ومن كُلّف بتمثيل هذه المسؤوليات الحساسة الخطيرة لابُدّ أن يكون حجة على العباد معصوماً من الزلل والاشتباه والخطأ والنسيان في أمور دينه، محاطاً بتأييد الله من الوقوع في الشك والخطأ، ملماً بالأصول والفروع. إذ لو كان يطرأ عليه ما يطرأ على الناس من ...

والنسيان واللبس، لما أهّل للنهوض بمسؤولية صيانة الدين، لأنه حينئذ لا يكون قوله من قبيل الظن لا العلم القطعي اليقيني.

وتستدعي وظيفة هؤلاء الأولياء الأوصياء أن يتحلوا بصفات سامية ومواهب إلهية عالية، لأنهم يقومون بمقام الخلافة للرسول ويحملون عبء رسالته بعد مضيه، ومن هذه الصفات والمواهب أن أودع فيهم الله جلّ وعلا قابلية الإحاطة على نحو العلم اللدني، فكان علمهم إما موروثاً من علوم النبي (ص) بالتواتر عن صاحب الرسالة مباشرة أو عن طريق أهل البيت (ع). وإما علماً حضورياً موهوباً من العلاّم عزّ اسمه، ومستفاداً من عنده سبحانه جلّ وعلا[2].

ومن مصاديق ذلك ما جاء في سيرة الأئمة الأطهار (ع) بدءاً من الإمام علي (ع) وحتى الإمام المهدي (ع). فأجوبتهم ومناظراتهم وحكمهم، كلها كانت تدل على أن علومهم كانت خارقة لعلوم الناس، متسامية عليها، حتى يندهش المرء حين يقرأ أو يسمع ما رواه أهل المذاهب عن محادثات الإمام الجواد (ع) (وهو ابن سبع سنين) مع المأمون العباسي وقاضي قضاته (يحيى بن أكثم)، وعن محادثات الإمام العسكري (ع) مع معاصريه، وغيرها مما يطول الحديث عنه ويحتاج إلى كتب لجمعها وإحصائها.

ونود هنا أن نذكر شيئاً فيما يتصل بحياة الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه أفضل الصلاة والسلام).

المقام العلمي للإمام الصادق (ع):

احتل الإمام الصادق (ع) مركزاً علمياً مرموقاً يشهد له القاصي والداني، ومارس من خلاله دوره الرسالي ومسؤولياته الشرعية الكبيرة، دون أن تؤثر عليه مجريات الحكم آنذاك.

ويكفي أن نذكر بعض ما قيل في الإمام (ع) حول مكانته العلمية المرموقة، مصداقاً على ذلك:

ـ قال أبو حنيفة: «**جعفر بن محمد أفقه من رأيت**»[3] وقال: «**ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد**»[4]. وقال أيضاً: «**لولا السنتان لهلك النعمان**» (يشير إلى السنتين اللتين صحب الإمام الصادق (ع) لأخذ العلم)[5].

ـ وقال مالك بن أنس ـ إمام المذهب ـ: «**ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً**»[6].

ـ وقال المنصور العباسي فيه: «**سيد أهل البيت وعالمهم، وبقية الأخيار منهم**»[7]. وقال أيضاً: «**هذا الشجا المعترض في حلقي من أعلم الناس في زمانه**»[8].

ـ وقال الشيخ المفيد ـ رحمه الله ـ: «**كان الصادق جعفر بن محمد (ع) من بين إخوته خليفة أبيه ووصيه القائم، وبرز على جماعتهم بالفضل، وكان أنبههم ذكراً، وأعظمهم قدراً، وأجلهم في العامة**

والخاصة، ونقل عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من اهل بيته العلماء ما نقل عنه»[9].

ووصفه المؤرخ المشهور اليعقوبي، فقال: «وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله، وكان أهل العلم الذين سمعوا منه إذا رووا عنه قالوا: (أخبرنا العالم)»[10].

وقد تصدى ثلة من علماء الغرب لبعض مآثر الإمام الصادق (ع) العلمية ودورها في بعث ... العلمية من تاريخ الاسلام ضمن دراسة معمقة مفصلة تربو على ٤٧٠ صفحة. نشرها ... الدراسات الاسلامية في ستراسبورك، واشترك في إعدادها ثلاثة وعشرون عالما من ... أمريكا وفرنسا وايطاليا وانكلترا والمانيا وسويسرا وبلجيكا وبلدان غربية أخرى.

وللإمام الصادق (ع) ـ فضلاً عن علوم الشريعة ـ إلمامات كثيرة بالعلوم الدنيوية. فله ... حول الأرض، ونظرات في الفلسفة والأدب، ونظريات فريدة عن: حركة الأشياء والنور و ... والمكان والعناصر الأربعة، وإحاطات واسعة في الكيمياء والطب والفلك والتاريخ[11].

ـ وجاء في رسائل الجاحظ للسندوبي (ص١٠٦): قال الجاحظ في الإمام الصادق (ع): «فجر الامام الصادق (ع) ينابيع العلم والحكمة في الأرض، وفتح أبواباً من العلوم لم يعهدوها من قبل. وقد ملأ الدنيا بعلمه».

الظروف العلمية في زمن الإمام الصادق (ع):

امتازت المرحلة التي عاشها الامام الصادق بأنها عصر نمو العلوم وتزاحم الثقافات وذلك لانفتاح العالم الاسلامي على الأمم الأخرى، ونمو الترجمة التي كانت تمد جسوراً من المعارف الفكرية والعقائدية بين الشعوب، فنقلت كثير من المعارف والفلسفات الى العرب الذين تفاعلوا معها تنقيحاً وإضافة وتوسعاً وتعميقاً. وقد ظهرت حركة فكرية علمية نتيجة التفاعل الحضاري والغزو الفكري، ولكنها حملت معها عادات سيئة حيث نشأت على أثرها تيارات الالحاد والفرق الكلامية والآراء الهجينة والعقائد الضالة والأفكار المنحرفة.

وقد تطلبت تلك الظروف أن ينهض رجل عالم شجاع يرد عادية الضلال عن الرسالة الاسلامية. فكان الإمام الصادق (ع) رجل النهضة العلمية الكبرى والمجاهد العالم الذي أنقذ الدين الحنيف من عاديات الالحاد والسقوط

المدرسة العلمية للإمام الصادق (ع):

كانت حياة الإمام الصادق (ع) ... العلماء والعلوم المتعددة من الحديث و ...

وسائر أبواب الشريعة فملأ أمساً وامداداً بروح من معارف [illegible] حتى [illegible] عقول وكاشف الحقائق.

وقد أصبح (ع) مرجع الأمة وإمامها الذي تعتمد على يديه [illegible] الإعلام [illegible] وقد بلغ مجموع تلامذته أربعة آلاف رجل، فتح منهم [illegible] تخصص علمي في [illegible] وعلم الكلام والرياضيات والكيمياء، إضافة الى أبواب الشريعة الاسلامية. [illegible] والفقه ليربّي في تلامذته ملكة الاجتهاد والاستنباط، [illegible] لاستخراج [illegible] والضمان، والتحيير، وغيرها.

وبما أن الغزو الفكري الغريب الطارئ قد [illegible] في [illegible] لآراء [illegible] في تفكير المسلمين، لذا جنّد الإمام الصادق (ع) [illegible] علمية [illegible] لمواجهة الانحراف بمواقف علمية عقائدية، إستطاع بعد طول صراع أن يوقف زحف الغزو الضلالي ويكشف زيفه وهراءه.

وفي خضم هذه الأجواء وتزايد السلطات [illegible]، كان على الإمام الصادق (ع) أن [illegible] أدواره ومهماته ومسؤولياته التربوية والرسالية، فماذا عمل؟

مساهمات مباركة:

ساهم الإمام الصادق (ع) مع أبيه الباقر (سلام الله عليه) في تأسيس جامعة أهل البيت في المدينة المنورة، وجعل من الجامع النبوي مكاناً [illegible] محاضراته، وأصبح معهداً من أكبر المعاهد الاسلامية في عصره، وقد أشار كثير من العلماء والمؤرخين والفضلاء الى مقام الإمام الصادق (ع) وفضله في رفد الحركة الاسلامية العلمية وحتى [illegible] أصول العقيدة وقواعدها المتينة المحكمة لمواجهة الضلال والتشويه.

قال عبدالله بن أسعد اليافعي (في مرآة الجنان ج ١، ص ٣٠٤) في الإمام الصادق: «له كلام نفيس في علم التوحيد وغيره، وقد ألّف تلميذه «جابر بن حيان» كتاباً يشتمل على ألف ورقة يتضمن رسائله وهي خمسمائة رسالة».

وقد ربّى الإمام الصادق (ع) جيلاً علمياً [illegible] في [illegible] البلاد الاسلامية، [illegible] حقائق الدين ومعالمه، قال الاستاذ عبدالعزيز سيد الأهل: «أرسلت الكوفة والبصرة وواسط والحجاز الى جعفر بن محمد أفلاذ أكبادها، ومن كل قبيلة، ورحل اليه جمهور الأحرار وأبناء الموالي من أعيان هذه الأمة من العرب وفارس» [12].

ونقل في (مناقب آل أبي طالب): أن الصادق (ع) حدث عنه من الأئمة والأعلام: مالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، و[illegible] عمرو آخرون. قال: وأخرج عنه مسلم في صحيحه محتجاً بحديثه، وقال غيره: روى عنه مالك والشافعي والسجستاني وأحمد بن حنبل).

وقال الاستاذ (محمود أبو زهرة) شيخ الأزهر في كتابه (الإمام الصادق): «أما بعد؛ فإنا قد اعتزمنا بعون الله وتوفيقه أن نكتب عن الإمام الصادق، وقد كتبنا عن سبعة من الأئمة الكرام، ثم ولم نؤخر الكتابة عن الإمام الصادق لأن غيره أفضل منه، فله على الأكابر فضل خاص، فقد كان أبو حنيفة يروي عنه ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء إحاطة، وكان الامام مالك يختلف اليه دارساً راوياً، وكان له فضل الاستاذية على أبي حنيفة ومالك، فحسبه بذلك فضلاً، ولا يمكن أن يؤخر عن نقص، ولا يقدم غيره عليه عن فضل».

وقال الحسن بن علي الوشا: «أدركت في مسجد الكوفة تسعمئة شيخ، كل يقول: حدثني جعفر بن محمد»[١٣].

لقد روى عنه (ع) علماء المسلمين وكبارهم ومؤسسو المذاهب كأبي حنيفة ومالك وابن حنبل وابان بن تغلب وابن عُيينة. وقد جمع الحافظ ابن الزيدي في كتاب رجاله أربعة آلاف رجل من الثقات الذين رووا عن جعفر بن محمد، فضلاً عن غيرهم.

وقد نهض الإمام الصادق (ع) بمسؤولية الحفاظ على الاسلام، رسالةً وشريعةً وأفكاراً، ومسؤولية تثبيته وتوسيع آفاق انتشاره في العالم. كما نهض (ع) بمسؤولية تفنيد آراء الغلاة والزنادقة والوضاعين وأهل الرأي والمتصوفة والمدارس الشاذة والعقائد المنحرفة كالمردكية والمانوية والخرّمية.

فكانت جهوده (سلام الله عليه) جهاداً علمياً كبيراً، أرسى ـ من خلاله ـ قواعد الدين، وثبّت أصوله وعقائده. ومنذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا لا تزال العلوم الاسلامية من فقه وأخلاق وحديث وتفسير وفلسفة وطب وكيمياء وغيرها، عيالاً على مدرسة الإمام الصادق (ع)، تستمد من آراء مؤسسها الحكم والتوجيهات العظيمة.

المرحلة السياسية ومتطلباتها:

الإمام الصادق (ع) سليل النبوة وعميد أهل البيت (ع) ورمز المعارضة للظلم والطغيان الأموي والعباسي، ومفروض ولاؤه على كل مسلم مؤمن، ـ هذا في نظر عامة الناس ـ، أما أهل العلم والصلاح فقد كانوا ـ إضافة الى ذلك ـ يرون فيه إماماً وعالماً وأستاذاً فذاً، وكذلك رجال الحكم والسياسة وقادة الجمهور كانوا يرونه شخصية اجتماعية مرموقة، وقدرة سياسية فعالة، وقطباً قيادياً لا تمكن التغافل عنه.

والأمة ـ يومذاك ـ تخوض التخبط والفساد والبعد عن الاسلام نتيجة محاولات الحكام تمييع المسلمين، وتزوير صورة الفقه وتدليس من طريق الوضع في الحديث والقياس بالرأي، وتسويته الشريعة بإدخال عناصر غريبة في مصادرها كالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة، وغيرها مما يفقدها خصائصها وأصالتها. إضافة الى ذلك؛ حاول الحكام تشجيع الغلاة والمتصوفة لنشر الفكر والتحلل الخلقي، فظهرت الأفكار الفاسدة والفرق الضالة المضلة.

هذا في وقت عجّت فيه الأمة بالصراعات السياسية والمذهبية العنيفة، وساد الظلم والإرهاب في كل مكان. وقد عاش الصادق (ع) رقابة شديدة طوقته، وحملات عنف ومطاردة اضطهادية موجهة ضده وضد أصحابه والمنتمين الى حركته الرائدة.

ولما كانت مرحلته (ع) هي مرحلة إعداد الكتلة المؤمنة بخط أهل البيت (ع)، وحمايتها من التحريف والتزوير، لذا اتخذ الصراع بالخطوط والمواجهة المستمرة الأساليب التالية:

١ ــ إنه (ع) كان محافظاً على رفقاء الصحبة والعمل الخصوصيين لدى حصول عنف حركته واتصالاته.

٢ ــ تخلف الناس عن الاسلوب الذي يدعمه لأنه في وقته لم يكن لديهم، فكان هناك وضوح في المفهوم، وغياب في التحرك من ناحية الوعي لدى أهل البيت وجمهورهم، مما جعل الإمام الصادق (ع) ينصرف عن أسلوب الجهاد المسلح الى الجهاد العلمي الذي اتخذ صورتين رئيسيتين هما:

أولاً ــ بناء المقاومة بناءً علمياً وحركياً وسياسياً وتربوياً:

وقد اتخذ هذا العمل أساليب متعددة، نذكر منها على سبيل المثال:

أ ــ التثقيف الرسالي العقائدي: فقد شهد مجلس درس الإمام الصادق (ع) على حضور الآلاف من جماهير الأمة وصفوتها وطلبتها. وكان (ع) ــ من خلال محاضراته ومناظراته وحواره على المسائل ورده على الشبهات ــ يزرع العقيدة في العقول والنفوس والضمائر، ويصحح المفاهيم والأحاديث المكذوبة، ويضع القواعد لسائر الأصول، ويفتح باب التخصص العلمي، ويقوي النشاط الذهني للناس، ويسدد معلوماتهم لكي يصمدوا أمام تيارات التضليل أولاً، ويقوموا بمهمة الدعوة الى الاسلام الحقيقي ثانياً.

ب ــ إيجاد المواقف: فضلاً عن بث الوعي العقائدي، كان الإمام الصادق (ع) يحاول تصحيح الانحرافات التي أفرزها الواقع السياسي، ورفع علماء وجماهير الأمة عن متابعة الحكام الظلمة، وعلى مقاومتهم ــ عن طريق نشر الوعي السياسي وبثه في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتثبيت بعض المفاهيم والأسس الشرعية ــ كلا يقع عوام الناس تحت تأثير السلطة العباسية الجائرة من خلال أساليبها الملتوية الماكرة والإرهابية المتعسفة.

فكان (عليه السلام) يقول:

ــ «من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة، جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه (آيس من رحمة الله)».

ــ «من عذر ظالماً بظلمه، سلّط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له، ولم يأجره على ظلامته».

ــ «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم».

وكان (ع) يأمر أتباعه بعدم اللجوء الى حكام الجور في الخصومات، فيقول لهم:

ــ «اياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً الى أهل الجور».

وقد أمر(ع) أتباعه بمقاطعة الحكومة العباسية الجائرة، قائلا:

ــ «لا تعنهم على بناء مسجد».

وكان يحدد معالم الإمامة والحكومة، فيقول:

ــ «اتقوا الحكومة، فإنّ الحكومة للإمام العالم بالقضاء، العادل بالمسلمين، كنبي أو وصيّ نبي».

ــ «ثلاثة لاينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم: من ادّعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أنّ له في الاسلام نصيباً».

وأكثر من هذا فان الإمام الصادق(ع) قد أشرف على تنصيب قضاة للناس، أمرهم بالرجوع اليهم، وتقبل ما يأمرون به وما يقضون، فقال(ع):

ــ «أنظروا الى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا، فاجعلوه بينكم قاضياً، فإني قد جعلته قاضياً، فتحاكموا اليه».

ج ــ التوجيه التربوي: إنّ مواجهة السلطة في زمن الصادق(ع) بالسيف قد لايحقق نصراً، وإذا تحقق نصر معين فانه لايحمل معه أسباب البقاء والرسوخ والاستمرار، وذلك لعدم توفر الكادر المطلوب والطبقة الواعية المؤهلة لإقامة حكم الاسلام. فمجرد الثورة وسفك الدماء ــ بدون الحصول على ثمرة تعود بالخير على الدين أو تضيف شيئاً الى المسلمين ــ مغامرة آثمة، كما أن المسألة في ذلك الظرف ليست مسألة حملة عسكرية، وإنما هي مهمة إعداد الجيش العقائدي الذي يمضي الى غايته العظمى وفق بصيرة وهدى من أمره.

ومثل هذه المهمة تحتاج الى جهود تربوية مقترنة بالجهود الفكرية والسياسية. هذا كان الامام(ع) أعماله في إطار تحديد معالم الأخلاق الاسلامية وتوجيه عواطف الناس حول [illegible] الحقيقيين وهم أهل البيت(ع). وتصعيد الحب الروحي عند أبناء الأمة [illegible] [illegible]

وقد أشرف الامام الصادق(ع) على [illegible] [illegible]

المذاهب [illegible]

ومن [illegible] (ع) الى [illegible] المواعظ والحكم و [illegible]

[illegible] (ع):

ــ «أنظر الى من هو دونك في المقدرة ولا تنظر الى من هو فوقك، فإن ذلك أقنع لك بما قسم الله لك، وأحرى أن تستوجب الزيادة منه عزّوجلّ. واعلم ان العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من

العمل الكثير على غير يقين، واعلم انه لا ورع أنفع من تجنب محارم الله، والكف عن أذى المؤمنين واغتيابهم، ولا عيش أهنأ من حسن الخلق، ولا مال أنفع من القناعة باليسير المجزي، ولا جهل أضر من العجب».

ـ وقال (ع) للمفضل بن عمر: «أوصيك بست خصال تبلغهن شيعتي: أداء الأمانة الى من ائتمنك، وأن ترضى لأخيك ما ترضاه لنفسك، واعلم أنّ للأمور أواخر فاحذر العواقب، وأن للأمور بغتات فكن على حذر، وإياك ومرتقى جبل سهل إذا كان المنحدر وعراً، ولا تعدنّ أخاك وعداً ليس في يدك وفاؤه».

ـ ومن وصية له (ع) الى أبي أسامة: «عليك بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق وحسن الجوار، وكونوا دعاة الى أنفسكم بغير ألسنتكم، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً. وعليكم بطول الركوع والسجود».

ـ «من صدق لسانه زكا عمله».

ـ «ثلاثة من تمسك بهنّ نال من الدنيا والآخرة بغيته: من اعتصم بحبل الله، ورضي بقضاء الله، وأحسن الظنّ بالله».

ـ «من أوثق عرى الايمان، أن تحب في الله وتبغض في الله، وتعطي في الله وتمنع في الله».

ـ «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء».

ـ «من أبغض فتنة، فهو آكلها».

وقد عدد الكثير وقصيه في كتب ... حتى خرج عمرو بن عبيد ... من عنده وهو يقول «هلك من سلبكم تراثكم، ونازعكم في الفضل والعلم»[1].

الى غير ذلك من عشرات الوصايا والحكم ... في ... كتب الحديث

وقد ... كلمات الامام الصادق (ع) ... مهمة في تربية الأجيال وتوجيههم ... الرسالة الحقة.

د: التربية الحركية:

وذلك بعد ... جعلوه ... كتب ... سلطة ... وقد ... (ع) ... في حركة ... بأسلوب ... محكم ... وهو ما سمي فقهياً ـ (التقية) كطريقة ... من ... الخطر ... التقية ...

والتربية الحركية للإمام الصادق (ع) ... مع ... صورة ... من الكتمان، فكان (ع) يوصي ... «كونوا لنا دعاة صامتين. اكتم أمرنا ولا تذعه[2]. إنّ المذيع ليس كقاتلنا بسيفه، بل هو أعظم وزراً، بل هو أعظم وزراً، بل هو أعظم وزراً»[3].

كما ... تربيته ... لحركة ... ثورية ... فعندما ثار زيد بن علي (رض) عام (١٢١ هـ) وقتل، حزن عليه، ودعا له وقال: «رحم الله عمي زيداً، انه دعا الى الرضا من آل محمد.

ولو ظفر لوفى لله في ذلك...»[17].

وفي رواية؛ انه ذكر بين يدي الصادق (ع) مَنْ خرج من آل محمد؟ فقال: «لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج من آل محمد، ولوددت أن الخارج من آل محمد خرج وعليّ نفقة عياله»[18].

كما تمثلت التربية الحركيّة أيضاً في الاشراف على القواعد الشعبية الى حد تنظيم أساليب حل الخلافات الشخصية بين أفرادها، ورصد الأموال لها كما يحدث بذلك المعلى بن خنيس. وقد كان الامام (ع) يقيم أحكام الله تعالى بينهم، و يتسلم الضرائب المالية من مواليه و يوزعها على شؤون عمله بشكل سري.

ومن كياسة الإمام الصادق (ع) وسرية عمله انه رفض العروض العسكرية والدعوات الفارغة والمساومات التافهة ومحاولة احتواء المقاومة العلوية. وقد كتب أبو مسلم الخراساني الى الصادق (ع) جاء فيه: «إني أظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني أمية الى موالاة أهل البيت. فإنْ رغبت فلا مزيد عليك..» فأجابه الإمام (ع): «ما أنت من رجالي، ولا الزمان زماني» — عن كتاب الملل والنحل للشهرستاني ج ١، ص ٢٤١ —.

وجاءت مساومات العباسيين بالفشل، فلما بعث أبو سلمة الخلال — وهو أحد نقباء الدولة العباسية — رسولاً يحمل معه كتاباً يذكر فيه للإمام (ع) استعداده للدعوة وتخليه عن بني العباس، فكان جواب الامام (ع): «ما أنا وأبو سلمة، وأبو سلمة شيعة لغيري». قال رسول أبي سلمة: «إني رسول فتقرأ كتابه وتجيبه». فدعا الإمام بسراج، ثم أخذ كتاب أبي سلمة، فوضعه على السراج حتى احترق، وقال للرسول: «عرِّف صاحبك بما رأيت».

— مروج الذهب للمسعودي ج ٣، ص ٢٥٤ —

وهكذا ظلت الأمة في صحوة اسلامية بفضل ما بثَّ فيها الإمام الصادق (ع) من العلم والوعي والسرية الروحية والسياسية، وظلت يقظة بعقلها وضميرها بركة مسعى إمامنا الصادق والأئمة الهداة (ع) حتى تحققت أهدافهم على يد قائد الأمة — اليوم — الإمام الخميني (أعزه الله) فبزغ نور الاسلام من جديد على ربوع ايران، وانقشعت سحب الزيف والظلم والضلال، وأُعد الجيش العقائدي المليوني لمجابهة قوى الاستكبار والردة والاستعباد.

وهذه بعض ثمار الجهود الكريمة التي بذلها أئمتنا الأطهار فصلّى الله عليهم أجمعين.

ثانياً — أما الصورة الثانية في الجهاد العلمي للامام الصادق (ع)، فقد كانت في مواجهة النظام العباسي المنحرف ورأس النظام الجائر (أبي جعفر المنصور). والمواجهة كانت في أساليب متعددة، منها:

أ — تقديم النصائح والوصايا لالقاء الحجة كاملة:

فما جاء أن المنصور قال له: «حدثني عن نفسك بحديث أتعظ به و يكون لي زاجر صدق عن

الموبقات». فقال الصادق (ع): «عليك بالحلم فإنه ركن العلم، واملك نفسك عند أسباب القدرة، فإنك إن تفعل ما تقدر عليه كنت كمن شفى غيظاً، أو تداوى حقداً، أو يحب أن يذكر بالصولة. واعلم بأنك إنْ عاقبت مستحقاً لم تكن ما توصف به إلاّ العدل. والحال التي توجب الشكر أفضل من الحال التي توجب الشكر». فقال المنصور: «وعظت فأحسنت، وقلت فأوجزت»[19].

ب ـ التأنيب:

قال أحمد بن عمرو بن المقدام الرازي: «وقع الذباب على المنصور فذبّه حتى أضجره، فدخل عليه جعفر بن محمد (الصادق) فقال له المنصور: يا أبا عبدالله، لِمَ خلق الله تعالى الذباب؟ فقال (ع): ليذلّ به الجبابرة»[20].

وقال ابن حمدون في (التذكرة): كتب المنصور إلى جعفر بن محمد (الصادق): لِمَ لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه (ع): «ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنّئك، ولا نراك في نقمة فنعزّيك بها، فما نصنع عندك؟ فكتب إليه: تصحبنا لتنصحنا. فأجابه (ع): من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك. فقال المنصور: والله لقد ميّز عندي منازل الناس: من يريد الدنيا، ممن يريد الآخرة»[21].

ح ـ التهديد:

قال (ع) يوماً للمنصور: «إنه لم ينل أحد منا أهل البيت دماً إلا سلبه الله ملكه» وقال له على لسان رسول ـ: «فإنْ كففت وإلاّ أجريت اسمك على الله في كل يوم خمس مرات»[22]

هذا بالرغم من أنّ حكم المنصور كان من أشدّ الأدوار التي مرت على الإمام الصادق (ع)، حيث حبس بعض أصحابه وقتل آخرين منهم، وفتك بالطالبيين وأشخصهم إلى الربذة والعراق عدة مرات، وقد قصده بالقتل مراراً ولكن الله صرفه عنه. وقال المفضل بن عمر: «إنّ المنصور قد كان همّ بقتل أبي عبدالله الصادق (ع) غير مرة، فكان إذا بعث إليه ودعاه ليقتله، فإذا نظر إليه هابه ولم يقتله»[23].

وسبب قسوة المنصور هو حسده للإمام الصادق (ع) لما كان يسمعه من علمه وفضله وأحقيته بالخلافة، وانصرافه إلى نشر العلم، دون أن ينسى واجبه في فضح المنصور وفضائحه أمام الملأ المسلم سياسياً، ومجابهته بالتوبيخ ليعلّم الأمة كيف تجابه الظالمين والمنحرفين. وقد سئل (ع): أي الجهاد أفضل؟ فقال: «كلمة حق عند إمام ظالم»[24].

وكان المنصور يزداد غيظاً على الإمام، و يزداد خشية من موقعه المتألق بين الناس، إلى درجة أصبح حائراً عاجزاً عن تحديد موقفه منه حتى قال فيه:

«هذا الشجن المعترض في حلوق الخلفاء، الذي لا يجوز نفيه، ولا يحل قتله، ولولا ما تجمعني وإياه من شجرة طاب أصلها، وبسق فرعها، وعذب ثمرها، وبوركت في الذرية، وقدّست في الزبر، لكان مني ما لا يحمد في العواقب، لما يبلغني من شدة عيبه لنا، وسوء القول فينا».

وبقي الإمام الصادق(ع) يحطم بعلومه وفتاواه وبنازلاته السياسية صرح الحكم العباسي وأطروحته الجاهلية، حتى أصبح هاجساً مخيفاً للمنصور، حتى دس اليه السم، فقتله في الخامس والعشرين من شوال سنة (١٤٨) من الهجرة النبوية المباركة.

ولكن أنوار العلم للإمام الصادق(ع) ما زالت تتفتق على الأمة جيلاً بعد جيل عطاء زاخراً وبحاراً من الحكمة والمثل العليا والمكارم الفاضلة.

فسلام على إمامنا في العالمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ●

الهوامش

١ ــ سورة الحجر، الآية: ٩.

٢ ــ كتاب (علم الإمام) لسماحة المغفور له الشيخ محمد حسن المظفر

٣ ــ جامع مسانيد أبي حنيفة (ج ١، ص ٢٢٢).

٤ ــ النجوم الزاهرة (ج ٢، ص ٩)

٥ ــ مختصر التحفة الاثني عشرية (ص ٨).

٦ ــ المناقب (ج ٤، ص ٩).

٧ ــ أشعة من حياة الصادق (ج ٣، ص ٥٠).

٨ ــ كشف الغمة (ص ٢٣٦).

٩ ــ الإرشاد (ص ٣٧٠).

١٠ ــ تاريخ اليعقوبي (ج ٣، ص ١١٩، ط ١٩٦٤م).

١١ ــ حبذا لو يراجع القارئ الفاضل الملف الخاص بالإمام الصادق(ع) في مجلة النور العدد الأول

١٢ ــ (جعفر بن محمد) ص ٥٩   ١٣ ــ (الرجال) للنجاشي (ص ٣١).

١٤ ــ المناقب (ج ٢، ص ٣٢٦).   ١٥ ــ وسائل الشيعة (ج ١١، ص ٤٤٥)

١٦ ــ تحف العقول (ص ٢٢١)   ١٧ ــ أعيان الشيعة (ج ٣٣، ص ١٣).

١٨ ــ نقلاً عن [illegible]   ١٩ ــ أمالي الشيخ الصدوق (ص ٤٩١).

٢٠ ــ [illegible] (ج ٢، ص ١٥١) و [illegible] (ص ١١٢)

٢١ ــ كشف الغمة (ص ٢٤٠)، أعيان الشيعة (ج ٤، ق ٢، ص ١٥٩)

٢٢ ــ (أمالي الصدوق) [illegible] (ج ١، ص ١٢٣، وص ١٣٠).

٢٣ ــ [illegible]

مفاهيم

الوعي الإسلامي:

سبيل التوحيد والوحدة الشاملة

الدكتور الحسني

«إنّ هذهِ أُمّتُكُمْ أُمّةً واحِدةً وأنا ربُّكُمْ فاعْبُدونِ»[1]

في هذه المقالة المتواضعة (معلومات) ومفاهيم، نحصرها في بعض مفردات ومصطلحات [illegible] بأسلوب علمي [illegible] من حيث [illegible] الفكرة والإلمام بأطراف الموضوع وهدف [illegible] للوهلة الأولى [illegible] وهو [illegible] (المفردات) [illegible] في الواقع أقرب في روح [illegible] وهو ما نقصده (بالوعي الإسلامي) [illegible] المعونة على (الحفظ) [illegible] واستيعابه [illegible] الخصوص [illegible] من ناحية أخرى، وهو [illegible] (الأذن الواعية)[2] و (أن هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها)[3].

واعون)[4] [illegible] يبصرون في [illegible].

ومن [illegible] الآية الكريمة [illegible] موضوعنا، في مفرداتها معان صريحة [illegible] (أمة واحدة) و [illegible] (واحد) [illegible] من حيث (الأمر): «وأنا ربكم فاعبدون»[5] «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» [illegible] يعرفون [illegible] وهي [illegible] التوحيد والوحدة [illegible]

[illegible] التوحيد [illegible] الصحيح [illegible] الوحدة، [illegible] «[illegible] صفة [illegible] لك في [illegible] في خلق»[6] [illegible] جميع [illegible] و [illegible] الاصطلاح [illegible] جميع ([illegible]) [illegible] جميعها (الوجود) و [illegible] وهو «الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم. له ما في السماوات وما في

ولكي تكتمل أبعاد البحث لابد من معالجة المفردات الأربع الآتية ودراستها، وهي (التوحيد، الله، الوحدة، الأمة). والتوحيد وموضوع البحث فيه كلمة (الله)، والوحدة وموضوع البحث فيها كلمة (الأمة).

وقد تقدمت في الآية الكريمة كلمة (أمة واحدة)ــ المعلول وتأخرت كلمة (أنا ربكم)ــ العلة ــ لفظاً لا رتبة. إذ العلة تسبق المعلول، وعبادة الله وتوحيده بوعي كامل سبب أساسي في تحقيق الأمة الواحدة.

وان كلمة (أمة) ذات دلالة طريفة تحكي اشتقاقها وعلاقتها بكلمة (أم) وهي في اللغة تعني (الأصل في كل شيء) ومنها أصل النسل الواحد.

وعند الرجوع الى كلمة (أم) في المعجمات وكتب اللغة، نجد ما خلاصته: (أمُّ الشيء أصله، ومكة أم القرى، والأم الوالدة، والجمع أمات، وأصل الأم أمهة، وكذلك تجمع على أمهات، وقيل الأمهات للناس، والأمات للبهائم، ورئيس القوم أمهم، وأم النجوم المجرة، وأم الطريق معظمه، وأم الدماغ الجلدة التي تجمع الدماغ، ويقال أيضاً: أم الرأس. وقوله تعالى: «هُنَّ أُمُّ الكتاب»[11]. ولم يقل أمهات: لأنه على الحكاية، كما يقول الرجل: ليس لي معين، فتقول: أنا معينك فتحكيه، وكذا قوله تعالى: «كنتم خير أمةٍ»[12] قال الأخفش «يريد أهل أمّة أي كنتم خير أهل دين»[13]).

وقد تفردت الأمة البشرية بحمل ثقل (الإمامة) و (الأمانة) بمعناهما الأشمل، من بين سائر الأمم والمخلوقات: «إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان، انه كان ظلوماً جهولاً»[14]. فقد كان الانسان ظلوماً جهولاً بها وكان أمة واحدة هادية مهدية، [illegible] كذلك: «وما كان الناس إلاّ أمةً واحدةً، فاختلفوا [illegible] كلمةٌ سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون»[illegible] فسبب الاختلاف هو الابتعاد عن سبل [illegible] وطريق (الرسالات) وجادة (الدين)، [illegible] (التوحيد) صحّت (الوحدة) و ذهب [illegible] ولذلك بعث الله النبيين مبشرين و[illegible] ليوحدوهم من بعد الفرقة والاختلاف: «كان [illegible] أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين...»[illegible] (فاختلفوا) فبعث الله النبيين، ليدعوهم [illegible] الله تعالى وحده، و يرفعوا شعار: «لا إله إلاّ الله» [illegible] معنى كلمة «الله»؟

إنَّ كلمة «الله» من مادة «الإله» عند [illegible] اللغوي، وان مادة «الاله» من أصل ([illegible] ــ بالكسر ــ (أو أله يأله) ــ بالفتح ــ وكل [illegible] خاص:

الأول: يدل على معنى (التحير) مطلقا [illegible] (أله، أي تحيّر، و بابه طرب، وأصله: وله [illegible] وهاً)[17] ومنه الواله والوله.

والثاني: يدل على معنى (العبادة) والحب، [illegible] الله (وأصله ألاه) على فعال بمعنى مفعول، لأنه [illegible] أي معبود، كقولنا (إمام) بمعنى مؤتم به [illegible] أُدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة [illegible] لكثرته في الكلام، ولو كانتا عوضاً منها لما [illegible] مع المعوض في قولهم «الإله» وقطعت الهمزة [illegible] النداء للزومها تفخيماً لهذا الاسم[18].

فيكون الله و الإله بمعنى المعبود المحبوب، [illegible] التحيّر وما اليه، فالله موضوع حيرة العقول وأبدها [illegible]

وبك يا أعجوبة الكون غدا الفكر كليلا
أنت (حيّرت) ذوي اللب وبلبلت العقولا
كلما قدّم فكري فيك شبراً فرّ ميلا
ناكصاً يخبط في عشواء لا يهدي سبيلا[18]

ولا يستطيع أحد أن يفكر في ذات (الله تعالى)، وهيهات أن يدرك العقل شيئاً من كنهه، وأنى للمخلوق أن يحيط بالخالق وللمحدود أن يحيط بمحيط[19] وذلك نهيا عن التفكر في ذات الله تعالى، بل يجب التفكر في مخلوقاته. أم كيف للفكر المحدود أن يغوص في عالم الوجود المطلق، أم كيف يعقل للعقل أن يستوعب (العقل الأول).

وقد أشار إلى هذا المعنى أمير المؤمنين علي عليه السلام في أول خطبة من خطب نهج البلاغة بقوله:
«الحمدلله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادّون، ولا يؤدّي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن»[20] فإنّ بعد الهمم لا يدركه وغوص الفطن لا يناله وهيهات، إذ تبقى الهمم العالية والفطن العميقة حيرى أمام عظمته وجبروته، قدرته وجلاله.

وأما دلالة العبادة والحب، فإنّ كلمة (إله) كما تقدم تعني مألوه وهي فعال المصدر تعني المفعول[21] أي معبود ومحبوب، إذ العبادة لا تكون إلاّ له، والحب الحقيقي لا يكون إلاّ فيه وله ومنه وإليه،
«... والذين آمنوا أشدّ حباً لله...»[22].
«... إنّ الله يحب المقسطين»[23].
«... وأنا ربكم فاعبدون»[24].
وإذا عبد الناس الله بشكل صحيح وكما هو أهله وحدوا فيه واتحدوا، وإذا عبدوا سواه من أهواء أو وإذ وحدوه [illegible] حصل بينهم الوحدة [illegible] مخلوق وموجود أيضاً، إذ هو موجدهم [illegible] وكما يقول الفلاسفة والمتكلمون هو (علة محدثة) و(علة مبقية) أيضاً، وليس كما [illegible] وبعض الفلاسفة الغربيين أن [illegible] تم [illegible] وتعالى [illegible] «... ويمسك السماء أن تقع على الأرض...»[illegible] «ويسبح الرعد بحمده...»

وكما قال الشاعر العارف:

فواعجباً كيف يعصى الإله
أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد[26]

وذا تعني التوحيد التشريعي لدى الأفراد والأمم وتفاعله مع التوحيد التكويني، تتم الوحدة بين جميع الموحدين، وكانوا (أمة واحدة) يعبدون الله تعالى ولا يشركون بعبادة ربهم أحداً، وكما ذكرنا سابقاً «كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلاّ الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[28] أي بعد أن اختلفوا، بعث الله النبيين

قوم فهدوا، و بغت طائفة فضلّوا.

وكان شعار نبي الاسلام محمد(ص) في أول دعوته: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا». وقولة: «لا إله إلاّ الله»: أي الاعتقاد الخالص بأن الله تعالى واحد أحد، ولا يوجد رب سواه. والالوهية منحصرة به، وهي طريق السعادة والصراط المستقيم: «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين»[٢٩]. وليس القول هنا مطلق القول، بل مثل أن نقول: فلان يقول كذا ــ أي يعتقد جازماً بكذا و يؤمن به و يدين له، وليس مجرد لقلقة في اللسان، بل الالتزام القطعي بهذه العقيدة، والالتزام بشروطها ولوازمها، وكما يقال في المنطق: «الالتزام بالشيء، التزام بلوازمه»، وهذا هو مدلول حديث (السلسلة الذهبية) المروي عن الإمام الرضا عليه السلام: «قولة لا إله إلاّ الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي» ثم أردف عليه السلام قائلاً: «بشرطها وشروطها»[٣٠] وهكذا تصح بالتوحيد سائر أصول الدين و فروعه، وسائر المبادئ والغايات.

إذن: فلنوحد الله تعالى ــ أيها المسلمون ــ بالشكل الصحيح و:

«يا أيّها الذين آمنوا آمِنوا...»[٣١] كما أراد الله أن نؤمن به ونوحده ونصفه، وكما وصف هو نفسه لنا في كتابه المجيد (القرآن الكريم) وكما جاء على لسان نبيّه الكريم محمد(ص) والأئمة الهداة المهديين(ع) فهم الادلاء على الله وهم حجج الله على خلقه، والله تعالى عرّف لنا نفسه في القرآن الكريم بطرق كثيرة، وفي سور متعددة، وآيات بينات: «في الآفاق والأنفس» و براهين واضحات بالفطرة والمنطق: غير أنّ سورة واحدة في القرآن الكريم تخصصت (بالتوحيد) وتمحضت (بالإخلاص) له، وعرفت بسورة التوحيد وسورة الاخلاص. إذ يقول فيها تبارك وتعالى: «قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد»[٣٢].

وقد تحدث العلماء والمفسرون ورواة الأخبار والمحدثون عن سبب نزولها ومتى وأين؟ و باختصار قيل: إنها مكية، كما قيل إنها مدنية، والأشهر مكيتها. وروي ان السبب في نزولها هو إلحاح المشركين. وقيل بعض اليهود طالب بتعريف الله و بيان نسبه!! فجاء الجواب: «قل هو الله أحد».

ان براعة هذه السورة التي تعدل (ثلث القرآن) ليعجز عن وصفها القلم واللسان، ويخرس عن اعجازها النطق والبيان، غير ان الاشارة الى بعض نكاتها ضرورية، ومنها: ان أدق تعريف لله تعالى وأكمله هو كلمة (هو)، إذ فيها دلالة على (بساطة الوجود المطلق) و (عدم تركيبها)، لأن الله سبحانه وتعالى (واجب الوجود) وليس (ممكناً) حتى يكون مركباً وتكون له «ماهية» ويحده (جنس وفصل) كتعريف جميع الممكنات بالاسلوب (الجامع المانع) الذي يبيّن (ماهية الشيء) بجمع (الأفراد) وطرد (الأغيار)، كما هو معروف في الحدود والتعاريف المنطقية.

إذن؛ فتعبير (هو) من أروع التعابير، بل أروعها إطلاقاً، ومن أكمل الأوصاف، بل أكملها عموماً كما يدل على (عظم الشأن على رأي من قال: انه ضمير الشأن في تفسيره)، وان كلمة (الله) هي المبتدأ وكلمة (أحد) خبرها. وعلى أية حال اذا كانت كلمة (الله) هي المبتدأ، فالله تعالى نفسه هو المبتدأ وهو المنتهى وهو المبدأ وهو المعاد و هو الأول و الآخر، وهو الباطن و هو الظاهر ومنه يبتدأ الخلق

يعودون:

«... إنّا لله وإنّا إليه راجعون» [٣٣].

وإن كلمة (الله) — كما تقدم — هي من مادة ه) على أشهر التفاسير، وقد حذفت همزتها، ف اليها الالف واللام، ثم أدغم اللامان، وقيل غير مشتق[٣٤]، وانه اسم للرب المعبود، الجامع ع الصفات الربانية، أو صفة مستجمعة لجميع اء الالهية، وله (الأسماء الحسنى) والأمثال ا، والمشهور انه علم للرب، ولا يمكن أن نسمي يره، وهو من الأسماء أو الصفات المختصة به ، مثل كلمة (الرحمن) التي هي غير (الرحيم) ة المشتركة، وإنْ كانتا من مصدر واحد، وهو ة) كما هو مبيَّن في كتب اللغة والتفاسير.

قيل اسم (الله) هو الاسم الاعظم والمستفاد كونه جامعاً لجميع الأسماء الحسنى والأمثال ا. وقد وردت في القرآن الكريم «ألفين وسبعمائة » [٣٥] من المرات. وهي في مبتدأ كل سورة: الله الرحمن الرحيم» إلاّ في ابتداء سورة (براءة)، ض عنها بآية:

إنه من سليمان وإنّه: بسم الله الرحمن الرحيم» [٣٦].

ن أول صفات الله تعالى وأكملها في هذه هي كلمة (أحد) وهي صفة (التوحيد)، وإنْ ، صفاته تعالى جميعاً (عين ذاته)، وعين الكمال لمة، والكبرياء والآلاء، كما ورد في دعاء) الشهير: «اللهم إني أسألك من أسمائك بأكبرها مائك كبيرة، اللهم إني أسألك بأسمائك كلها» [٣٧].

ما تجدر الاشارة الى أن (أحداً) غير (الواحد) ان كلاهما من مادة (الوحدة)[٣٨]، فكلمة) خارجة عن العدد بعكس الواحد: وهو أول [٣٩]، وله إثنان وثلاثة... الخ. (و يقال وحده وأحده بتشديد الحاء)[٤٠]، ومصدره (التوحيد) وهي نسبة الوحدانية الى الله تعالى، وهذه من دلالات صيغة (التفعيل) كما يقال «كفّرته تكفيراً»: أي نسبته الى الكفر، أو نسبت الكفر اليه.

ومن جهة أخرى: «الله الصمد» تعريف آخر، أو هو نفس التعريف السابق ببيان (الصمدية) التي هي من صفات الأفعال[٤١]: أي اليه يقصد العباد، وهي (فعل) بمعنى (مفعول) أي (مقصود)، وهو تعالى مقصود جميع الكائنات، وصفة الفعل هذه ليست زائدة على صفة الذات، ولا زائدة على الذات نفسها، وهذا هو معنى توحيد الذات وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، وهنا (الصمدية) تجلية لجانب من جوانب صفات الأفعال وهي (المقصودية) و (المصمودية).

وبدلالة أخرى إن (الصمدية) بمعنى (الملء) ضد الفراغ الذي هو عين الفقر والحاجة، إذ كل شيء في الوجود ما سوى الله تعالى أجوف ويحتويه الفراغ، أو يتخلله، من أكبر المجرات الى أصغر الذرات، فهي عوالم يتخللها الفراغ، ويحكمها الاحتياج والفقر، وهي موجودات محتاجة وفقيرة، بل الاحتياج والفقر عين وجودها بعكس الله تعالى:

«لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد» [٤٢].

وهذه الأوصاف تفسير لكلمة (الصمد)[٤٣]، وكذلك لكلمة (أحد)[٤٤]: إذ من يلد فهو قابل للتجزئة وفيه الفراغ، ومن يولد يحتاج الى من يولده و يوجده، وهذه صفات جميع المخلوقات و (الممكنات) على عكس صفات (واجب الوجود) المولى جلّ وعلا، فلا نظير له ولا مثيل، ولا ضد ولا ند، و باختصار: «ليس كمثله شيءٌ» [٤٥].

وإنّ كمال توحيده تعالى يتركز على فهم هذه

ـسورة المباركة بشكل صحيح وعرفاني، وان كمال لاخلاص في هذا التوحيد يشير اليه الإمام علي عليه لسلام في الخطبة المذكورة سابقاً، وذلك ينفي لصفات عنه، إذ يقول: «الذي ليس لصفته حدٌّ محدودٌ، لا نعتٌ موجود، ولا وقتٌ معدودٌ، ولا أجلٌ ممدودٌ، فطر لخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتّد بالصخور ميدان رضه» ثم يوضح ذلك قائلاً:

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، كمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كلّ صفة نها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن صف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه قد جزّأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله أشار إليه، ومن شار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال «فيم» قد ضمّنه، ومن قال «عَلامَ؟» فقد أخلى منه، كائنٌ لا عن حدث، موجودٌ لا عن عدم. مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة، فاعلٌ لا بمعنى الحركات والآلة، بصيرٌ ذ لا منظور إليه من خلقه، متوحدٌ إذْ لا سكن يستأنس به، لا يستوحش لفقده»[46].

والسؤال هنا: كيف نفي الصفات عنه تعالى نحن نتحدث هنا عن صفاته العليا وأسمائه لحسنى؟

الجواب: إنّ هذه الصفات التي نذكرها، أو لأسماء التي ذكرها سبحانه وتعالى أولاً (توقيفية) ثانياً انها تحكي (عن الذات) المقدسة، وهذا التكثر ي الصفات والأسماء المذكورة في القرآن الكريم و لأدعية المروية عن النبي محمد (ص) وآله الأئمة لطاهرين (ع)، لايقتضي التكثر في الذات وليس هي ائدة عليها ــ كما مرّ ــ واذا عرفنا ذلك فسيكون ثالها كمثال (الأشعة) أو (الأقطار) المرسومة من مركز الدائرة، وان تلك النقطة التي تمر بها جميع الأشعة والأقطار تلتقي واحدة، وهذا مثال تقريبي.

اذن؛ كل صفة من صفات الله تعالى توضح جانباً من جوانب عظمته، وكل اسم يحكي لنا جهة من جهات رحمته، وان الأسماء الحسنى والكلمات جميعاً (تجليات للذات) وإشارات اليها ودلالات عليها، وهي (كلمات الله التامات) المدونة في كتابي (التكوين والتشريع) ورحمته وسعت كل شيء، وقد بين ذلك نفسه تعالى حيث قال في حديث قدسي «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»[47].

والمعرفة هي الهدف، والعلم هو الغاية، وهو نوعان: حصولي، وحضوري.

والعلم الحصولي يأتي بعد الاكتساب والتعب، والاجتهاد والنصب في تحصيل تلك الصور المنعكسة في الذهن عن تلكم الاشياء التي هي موضوع البحث والتجربة، وأما العلم الحضوري فهو علم الشهود، وعلم التزكية والتصفية، وعلم التقوى، والتحلية «... واتقوا الله ويعلّمكم الله والله بكلّ شيءٍ عليم»[48].

وان علم الأنبياء، والأئمة، ومن سار على نهجهم ونهج على منوالهم «علم لدني» وعلم (حضوري) يشاهد حقائق الأشياء ويلتقي (وقائع الأمور) وهو على مراتب ودرجات، ومن فاز (بعلم النفس) فقد فاز بخير كثير، ومن بلغ (عين اليقين) فقد شاهد الحق والحقيقة، ومثال هذه الدرجات كمثال من (يعلم) بالنار، ومن هو (مشاهدها) ومن هو (محترق فيها).

وان التزكية والتصفية توصل الى التخلية، والتحلية، والتجلية كما يقول العارفون، وان من بلغ مرحلة (التجلية) لايحتاج بعد ذلك الى برهان

كة، و برهان الحدوث، و برهان العلة و المعلول، يها من أقوال الفلاسفة والمتكلمين.

هذه البراهين يفاد منها في مقام الحوار والجدل، مام الاثبات والتدليل. وأما مع (الصديقين) الحين والانبياء والمرسلين، والأئمة والمتقين، رهان لديهم هو (الشهود والعيان) و (الوعي ور) وهو المعروف (برهان الصدّيقين). ين الى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، واذا كان ن الكريم قد ركّز على (برهان الفطرة) فذلك في لدعوة والتبليغ وهو أقرب الى فهم العامة [٤٩].

برهان الصدّيقين هذا يكون سيره (من الخالق خلق)، وليس (من الخلق الى الخالق) الذي ل به الأعرابي على بساطته: «البعرة تدل على ، وأثر الأقدام يدل على المسير، أفسماوات ذات أبراج، ذات فجاج، لايدلان على اللطيف الخبير!» [٥٠]

أن برهان الصديقين يتجلى في الأدعية المأثورة لنبي (ص) وآله الطيبين الطاهرين (ع)، وهي صد وتتساند بلحن واحد، وبنغم موحد، ودلالة : «بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني اليك ولولا أدرِ ما أنت» [٥١] في الدعاء المروي عن أبي حمزة عن الإمام زين العابدين (ع). وفي دعاء (ع) يوم عرفة:

إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار، فاجمعني عليك ة توصلني اليك، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده ليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون ظهر لك، متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك، بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك، عميت تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من نصيباً» [٥٢] هي عين البصيرة — التي تراه — لا وان عميت: «... فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» [٥٣] فالمدار إذن؛ في الانسان على بصيرته، لا بصره [٥٤]، وعلى وعيه لا سمعه.

وإنّ هذه الأدعية — في الواقع — حضور وشهود، وعلم يقيني ولدني، وعيان لا يحتاج الى برهان، إذ (حقيقة الدعاء) هي الوعي الكامل والصحوة العارفة، وتقتضي وجود (داعٍ ومدعو) و (دعاء) يربط بينهما، ومعنى دعائك الله سبحانه و تعالى انك تؤمن أولاً بوجوده وقدرته، وأنه: واحد أحد، فرد صمد، حي قيوم، سميع بصير... الخ. تدعوه فيجيبك — كما ورد —: «والحمد لله الذي أدعوه فيجيبني، وإن كنت بطيئاً حين يدعوني. والحمدلله الذي أسأله فيعطيني، وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني، والحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي وأخلو به حيث شئت لسري بغير شفيع فيقضي لي حاجتي» [٥٥].

وإن هذا الحضور وهذا الوعي وهذا الدعاء وهذه المحبة هي اقرار بالتوحيد، وأن جميع المخلوقات توحد الله تعالى وتسبحه، كل بلسان الاستعداد و بنطقه الخاص: «... وإنْ من شيءٍ إلاّ يُسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم...» [٥٦] غير ان الانسان يستطيع — وحده — أن يجمع الى توحيده التكويني توحيده التشريعي وهو: الارادي، والسلوكي والعرفاني.

وخلاصة القول: ان التوحيد الصحيح هذا يدعو الى الوحدة الصحيحة الشاملة، وان الانسان الموحد يجد نفسه واعياً ومنسجماً مع نفسه و متوحداً بتوحيده الله تعالى مع غيره بنفس المبدأ، فلا ضير بعد ذلك اذا اختلفت الأسماء والألقاب، وتنوعت الأجناس والألوان، وتعددت الألسنة والعادات، وتباينت الثقافات والحضارات الهادفة الهادية، فهو متوحد

معها بتوحيده الله تعالى، إذ هي في الأصل كلها من الله ومن إبداعه وخلقه، وليس الأنسان وسائر المخلوقات إلا وسيلة للاكتشاف والاختراع، بل هو يرى نفسه في نظرة شمولية واسعة متوحداً مع الكون كله ومنسجماً مع الوجود جميعه في حركة جوهرية (دائبة دائمة)[57] ـ كما يرى ذلك صدر المتألهين وعمدة الفلاسفة المسلمين المتأخرين (الملا صدرا الشيرازي)ـ يسير الانسان سيراً حثيثاً نحو الكمال المطلق، وتسير معه جميع المخلوقات والموجودات، وبتعبير آخر (جميع الممكنات) تسير معه في حركة جوهرية تكاملية نحو (واجب الوجود) من عالم التغير والتحول الى عالم القرار والثبات، ومن دار الفناء الى دار البقاء.

وليس الموت ـ وأرق أنواعه الشهادة ـ الا مرحلة كمال جديد، وتكامل عتيد، إذ يقول أبو العلاء المعري:

خلق الناس للبقاء فضلت
أمة يحسبونها للنفاد
إنما ينقلون من دار أعمال
الى دار شقوة أو رشاد[58]

وانَّ حركة (عالم الإمكان) تشكل وحدة متكاملة و حركة حضورية حضارية، في اتجاه امتدادي، وليس عرضياً متعارضاً، إذ لا تعارض (حركة ذات ممكنة) مع (حركة ذات ممكنة) ولا تضاد ولا تناقض، كما تتوهمه ا الديالكتيكية، ولا وجود مادة محضة مفاعلة تقول به بعض الفلسفات الغربية، فالكل (حركة جوهرية) نحو: الكمال المطلق، والمعاد، ونحو دار القرار، و محل الأخيار، في لحن منسجم، وموج رباني منغم، حتى تعود النغمات جميعاً الى (الناي الأزلي) و (ا الأبدي) في وعي حضاري دائم، وصحوة حـ خالدة. وان اتصال الممكنات بالمبدأ كالقطر البحر لو تركت وحدها في صحراء العمر لتبخرت وفنيت، ولو اتصلت بالبحر لا وخلدت. أو بتعبير أدق كالموج المتصل بالبـ قدرة بعد ذلك تكون لغير الله أم أية جهة تستط تهدد كيان الفرد المسلم الواعي، والأمة ا الواعية، وهي تتأمل عظمة الله وقدرته، وارتبا وصلته، وهي تردد بخشوع و تسبيح: «عظم ا أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم»[59] «ولله العزَّة وللمؤمنين...»[60] و «إنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدةً وأ فَاعْبُدُونِ»[61] ●

الهوامش

١ ـ سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

٢ ـ الرازي، «مختار الصحاح»، ص ٧٢٩ (ط. دار العلم ـ بيروت).

٣ ـ في الحديث المروي عن الإمام علي عليه السلام.

٤ ـ الرازي، المصدر السابق، نفس الصفحة.

٥ ـ المصدر السابق، نفس الصفحة.

٦ ـ سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

٧ ـ سورة الذاريات، الآية ٥٦.

٨ ـ أنظر: «آمالي الهادي»، ص ١٠ (ط. بيروت ـ ٥

٩ ــ في الحديث المروي عن الإمام علي (ع).
١٠ ــ سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
١١ ــ سورة آل عمران، الآية: ٧.
١٢ ــ سورة آل عمران، الآية ١١٠.
١٣ ــ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٥ ــ ٢٦ (ط. دار العلم ــ بيروت).
١٤ ــ سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.
١٥ ــ سورة يونس، الآية: ١٩.
١٦ ــ سورة البقرة، الآية: ٢١٣.
١٧ ــ الرازي، «مختار الصحاح»، ص ٢٢ (ط. دار العلم ــ بيروت)
١٨ ــ المصدر السابق، نفس الصفحة.
١٩ ــ أبيات عرفانية أرويها عن والدي، وكلمة (لايهدى)، فهو وايدى بالمعلوم والمجهول وكذلك بدل ماشيا (هو ربنا)
٢٠ ــ «نهج البلاغة»، ج ١، ص ١٣ (ط. فيض الاسلام ــ طهران)
٢١ ــ القرشي، «قاموس القرآن»، ص ٩٦ (ط. طهران) ــ اللغة الفارسية ــ.
٢٢ ــ سورة البقرة، الآية: ١٦٥.
٢٣ ــ سورة الممتحنة، الآية: ٨.
٢٤ ــ سورة الأنبياء، الآية. ٩٢.
٢٥ ــ سورة الحج، الآية: ٦٥.
٢٦ ــ سورة الرعد، الآية: ١٣.
٢٧ ــ من الأبيات العرفانية المشهورة
٢٨ ــ سورة البقرة، الآية: ٢١٣.
٢٩ ــ سورة الفاتحة: الآيات: ٥، ٧.
٣٠ ــ هذا الحديث قصة شهيرة واردة في أكثر المصادر والمظان هية في تاريخ أهل البيت (ع).
٣١ ــ سورة النساء، الآية: ١٣٦.
٣٢ ــ سورة الاخلاص، الآيات: ١ ــ ٤.
٣٣ ــ سورة البقرة، الآية: ١٥٦.
٣٤ ــ القرشي، «قاموس القرآن»، ج ١، ص ٩٧ (ط. طهران باللغة الفارسية).
٣٥ ــ القرشي، «قاموس القرآن»، ج ١، ص ٩٧.
٣٦ ــ سورة النحل، الآية: ٣٠.
٣٧ ــ القمي، «مفاتيح الجنان»، دعاء البهاء (ط. طهران).
٣٨ ــ «تفسير الميزان»، العلامة الطباطبائي ج ٣، ص ٤٤٦ (الترجمة الفارسية)
٣٩ ــ الرازي، «مختار الصحاح»، ص ١١٢ (ط. دار العلم ــ بيروت)
٤٠ ــ المصدر السابق، نفس الصفحة
٤١ ــ «تفسير الميزان»، العلامة الطباطبائي، ص ٤٤٨ (الترجمة الفارسية)
٤٢ ــ سورة الاخلاص، الآيات ٣، ٤
٤٣ ــ «تفسير الميزان»، العلامة الطباطبائي، ج ٢، ص ٤٤٩. (الترجمة الفارسية)
٤٤ ــ المصدر السابق، نفس الصفحة
٤٥ ــ سورة الشورى، الآية ١١
٤٦ ــ «نهج البلاغة»، الخطبة الأولى، ص ١٣ ــ ١٥ (ط. فيض الاسلام ــ طهران)
٤٧ ــ «الأمالي الهدى»، ص ١٠، (ط. بيروت ــ ١٩٧٥)
٤٨ ــ سورة البقرة، الآية ٢٨٢
٤٩ ــ انظر القرشي، «قاموس القرآن»، ص ١٠٣ (اللغة الفارسية) ــ ط. طهران ــ
٥٠ ــ من الاستدلالات الشهيرة في كتب الدين والأدب
٥١ ــ القمي، «مفاتيح الجنان»، ص ٣٣٤ (دعاء أبي حمزة الثمالي) (ط. طهران ١٣٨٣هـ)
٥٢ ــ المصدر السابق، ص ٢٨٢، (دعاء عرفة) (ط. طهران ــ ظاهر خوشنويس)
٥٣ ــ سورة الحج، الآية ٤٦
٥٤ ــ انظر «أماني الهدى»، ص ١١ (ط. بيروت ــ ١٩٧٥م)
٥٥ ــ القمي، «مفاتيح الجنان»، ص ٣٣٤ ــ ٣٣٥ (دعاء أبي حمزة الثمالي)، (ط. طهران ــ ١٣٨٣هـ)
٥٦ ــ سورة الاسراء، الآية ٤٤
٥٧ ــ انظر مقالة الآملي، «برهان الحركة» ص ٦٩ في مجلة (نور علم) العدد الرابع ــ ١٤٠٤هـ. (باللغة الفارسية)
٥٨ ــ انظر «أماني الهدى» ص ١٢ (ط. بيروت ١٩٧٥م).
٥٩ ــ من وصف المتقين، في نهج البلاغة، ج ١ ــ ٣، ص ٦٠٢ (ط. فيض الاسلام ــ طهران).
٦٠ ــ سورة المؤمنون، الآية ٨
٦١ ــ سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

الغزو الفكري المعادي للاسلام ووسائل مقاومته

السيخ عبدالعريرسى الاس / اـ‍ـسه

ان النظريات الوافدة التي تغرو المجتمع الاسلامي عن طريق الاستعمار التماق والاكراه الفكري، تمثل الخطر الأكبر للعالم الاسلامي، باعتبارها مصدر الجراثيم لمختلف الحالات المرضية المكرية والخلقية التي نعاني منها اليوم. فاذا كان الاستعمار السياسي والاقتصادي يسلب الانسان بلاده وأملاكه، فان الاستعمار المكري الثقافي يسلبه كرامته وافكاره وقيمه ومموماته. ومن هنا كان أعظم التحديات التي يواجهها العالم الاسلامي المعاصر، هوالمحافظة على أصالة هذه الأمة

وشحصيتها ورسالتها ازاء الأمم ي مواجهة ا الفكري الذي يستهدف إذابة هده الا وصهرها ى بوتمة العرب، والمضاء على طا الربـاني، طبعاً للتصوير الفرآني في قوله تع «ولايرالون يقاتلوبكم حق يردوكم عن دينك استطاعوا».

وتتمتل عاية الاستعمار ى غرو المجتمع إزالة الحواجز الروحية والاحتماعية التي تعار مصالحه الاقتصادية في ديار المسلمين، وقد ـ الاستعمار الى تخريب المجتمع الاسلامي سبيل وتغلغل في كل الميادين، واستعاں

بالمؤتمرات وبرامج الدراسة والتربية الاساسية.
كما استخدم في غزو الاسلام كل وسائل الاعلام بمختلف أنواعها التي تخلق الرأي العام، وتمثل التأثير الفعال في المجال الفكري والاجتماعي. واستخدم فيه الصحافة التي تحترق ميدان الحدث والتشويه، من أخطر الأدوات وأقواها نفوذاً في العالم باعتبارها أداة توجيه لا يستغنى

لابدَّ من الأخذ بكل الوسائل العلمية اللازمة للنهوض بالهيئات الاعلامية الاسلامية.

عنها مجتمع لنموها في التأثير وفي التوجيه الاعلامي العالمي، ويستخدم فيه الاذاعات التي تصحب المستمعين، تبث برامجها أربعاً وعشرين ساعة في اليوم والليلة، ولكن أخطر وسيلة في الغزو الفكري الثقافي هو ذلك الجهاز الذي يدخل كل بيت ويجمع أفراد الأسرة حولها، وهو الاذاعات المرئية التي تقرن الصوت بالصورة فتحدث القلوب والأبصار والأسماع، وتستحوذ على الاهتمام أكثر من الوسائل الأخرى التي تتسرب الأفكار الهدامة من خلالها بين أوساط المسلمين.

وجدير بالذكر ان الاعلام الغربي المعادي للاسلام لا يقل خطورة على الانسان المسلم عن أي سلاح آخر، لأنه يهدف الى الاحتلال الروحي، ويحارب الكيان الإسلامي بمحاولة سلخ الأمة المسلمة عن عقائدها وتقاليدها و حضارتها بغية إدخالها في تقاليد الغرب وثقافته وحضارته، ويعدو القضاء على شخصية الانسان المسلم عن طريق نشر النظريات المناهضة لتصور الاسلام إزاء الكون والانسان والحياة.

ومن أبرز مظاهر التحدي الذي يعاني منه الفكر الاسلامي الأصيل من التصور المستورد الدخيل هو إفساح المجال للنظريات المستوردة على حساب التصور الاسلامي في أسواق: الصحافة والاعلام، والنشر والاعلان، والترجمة والتأليف، ومن أساليب الغزو الاعلامي المعادي للاسلام ما نشهده كثيراً في بعض الدول التي يفرض فيها على الجماهير المذاهب الوضعية والنظريات المستوردة عن طريق الاعلام ووسائله المختلفة من اذاعة مسموعة و مرئية وصحافة ومجلات، باعتبار أنها تؤيد الحكام وتبرر سياساتهم وتخدم مصالحهم، وهذا بعكس النظرة الاسلامية التي تعرضهم أو تناوئ فكرهم، فيوضع عليها الستار، ويحرمونها عن الصدور ولعل نتيجة هذا التغريب أو الغزو الثقافي الذي شنه الغرب على ديار الاسلام أعظم النجاح، وحلّت حضارة الالحاد محل حضارة الايمان، وسادت نظريات مادية الحادية تكفر بالقيم والمثل العليا، وسادت نظم حضارية وأنماط فكرية غريبة عن الاسلام ومخالفة

لاصوله. وكان لهذا الغزو المخطط آثاره البعدة، ونتائجه الخطيرة في شتى مجالات الحياة، وخاصة في حياة أولئك الذين تتلمذوا على أيدي الاستعمار والذين صنعهم الغرب بيده، ورباهم في أحضانه، و غذاهم بثقافته وأفكاره، وغرس فيهم الخضوع لنظمه وتقاليده، فآمنوا بفلسفته ومناهجه، فكان من أسوأ النتائج للاستعمار الثقافي والغزو الفكري أن يسيطر هذا الصنف الذي صنعه الغرب وكونه لقيادة الشعوب الاسلامية فأخذوا يعملون على إحلال حضارة الالحاد محل حضارة الاسلام، وكان هذا الانقسام الايديولوجي الذي نشاهده اليوم في صورة المعركة الفكرية على أشدها في العالم الاسلامي بين المحافظين أنصار الأصالة و بين المجددين الداعين الى التحديث والاقتباس من الحضارة الغربية، وعملوا على محو الثقافة الاسلامية في اطار التبعية الفكرية والعبودية الذليلة للحياة الغربية في جميع مجالاتها، مما أدى الى ان يفقد الاسلام مكانه وسلطانه ونفوذه كقوة مهيمنة على الحياة الاجتماعية للمسلمين، فتحولت الأمة الاسلامية عن الأصالة والسيادة الى الانصهار والتبعية لغيرها من الأمم، وفقد مركزها ومكانتها كأمة وسطى بحكم أفضليتها على سائر الأمم، وفقد وظيفتها في قيادة الأمم وارشاد المجتمعات الى أمنها وسعادتها، بقوله تعالى:

«وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس» و بقوله سبحانه: **«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»**.

فالمجتمع الاسلامي بحكم أصالته و مركزه العالمي ومسؤولياته تجاه الجنس البشري بأكمله، يلزم أن يحتفظ بمقوماته، و يصوغ نظمه وفق غايته و رسالته، ويجاهد في مقاومة الغزو الفكري ومطاردة الاستعمار الثقافي. لأن أمة الاسلام اذا قلدت غيرها وخضعت لغزو التغريب، فانها تفقد أصالتها وشخصيتها، فتصبح تابعة ومقودة ومحكومة، والمفروض أن تكون متبوعة وقائدة وحاكمة على البشرية كلها فاذا كان العصر الراهن يتسم باعتزاز الشعوب والأمم بقومياتها وأصالتها، فان أمة الاسلام أولى بالتحرر الكامل من جميع أنواع التبعية باعتبار مكانتها بين الأمم و وظيفتها في توجيه الجنس البشري وقيادة الحياة، بحكم الخيرية التي أثبتها لهم القرآن الكريم بوصف الايمان والعمل الصالح، وبحكم الخيرية التي أضفاها عليهم القرآن الحكيم بأداء وظيفة الأمر بالمعروف بقوله تعالى: **«ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية»**، و بقوله تعالى: **«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»**.

وخضوع المجتمع الإسلامي للاستعمار الثقافي يفضي به الى مغالطة واضحة ويوقعه في تناقض ظاهر، لأن المسلمين في كل وقت يسألون الله الهداية و يطلبون منه النجاة من طريق اليهود والنصارى الضالين المغضوب عليهم، فمن التناقض بمكان أن يستعيذوا من شرهم ثم يستسلموا اليهم في نفس الوقت

و يحدوهم أساتذة وأولياء وقادة في الحياة، فقد حرص الاسلام على تمييز المسلمين من سائر الأمم بوصفهم أمة ذات كيان مستقل، فحرم الله تعالى على المسلمين أن يكونوا على صورة غيرهم، يتبعون سنتهم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوا فيه، فمخالفة المسلمين لغير المسلمين أمر مقصود لذاته، صوناً للشخصية الاسلامية وتمييزاً لها عن غيرها، ومن أجل ذلك كان المسلمون منهيين عن تقليد غير المسلمين في زيهم وعاداتهم، وشدد الاسلام النهي والتحذير من محاكاة الأغيار في خصائصهم ومميزاتهم وتقاليدهم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم»، رواه أبو داود. وقال عليه الصلاة والسلام: «ليس منا من تشبه بغيرنا» رواه الترمذي، ونهى القرآن عن اتخاذ الأولياء والأصدقاء من أعداء المسلمين الذين أخرجوهم من ديارهم: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة»، فيتلخص من هذا أن أزمة المسلمين كما يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا سبيل لعلاجها الا بالعودة الى الأصالة الفطرية التي يدعو اليها القرآن الكريم و الحديث الشريف لضمان سعادة الانسان بقوله تعالى: «فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى»، و بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها».

ومما لاشك فيه أن الخطوة الأولى في احياء أصالة الأمة الاسلامية تتمثل في تجديد كيانها الروحي بتحكيم كتاب ربها وتطبيق شريعتها، وترميم بناء حياتها على عقيدة التوحيد بكل مقتضياتها، بحكم أنها تمثل المعيار الأول لأصالة أمة الاسلام وتمثل سر قوتها وسعادتها، كما أنها هي الوسيلة الوحيدة لتكوين الانسان الكامل وبناء المجتمع الفاضل.

ان الخطوة الأولى في احياء أصالة الأمة الاسلامية تتمثل في تجديد كيانها الروحي بتحكيم كتاب ربها وتطبيق شريعتها...

ومسؤولية رجال الاعلام الاسلامي في كل المجتمعات الاسلامية أن يجعلوا عقيدة التوحيد ومبادئ الاسلام المحور الرئيسي لهيئات الاعلام في بلادهم، وأن يحافظوا على القيم الروحية الأخلاقية والدينية الاسلامية في نفوس الأجيال الصاعدة وأن يربطوهم بتراثهم وثقافتهم وأصالتهم وتاريخهم و ماضيهم وما كان له من أثر في تغيير مجريات التاريخ، وأن يعملوا على تحرير الشعوب الاسلامية من عبودية الفكر و من تبعية الغير فيكون فيهم الشعار العام: «آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين».

وإذا كان الغرب يستخدم كل الوسائل

الاعلامية والأساليب العلمية في غزو الاسلام، فانه يجب مقاومة الفكرة ■ يلزم العمل على إصلاح ما يفسده الاعلام العلماني ومواجهة تحدياته عن طريق رد المنطق السلبي بالمنطق الايجابي، وهذا مع الأخذ بعين الاعتبار ان وجود اعلام اسلامي قوي وفعال هو وحده القادر على مجابهة الموقف، ومواجهة الوضع.

وفي الرد الفعال لتحديات الاعلام الغربي المعادي، يجب على العالم الاسلامي أن يضاعف جهده في رفع مستواه الاعلامي بأهميته القصوى في معركته مع الاعلام الغربي وفي خدمة دعوة الاسلام، لأننا في الظروف الراهنة التي تجتازها الشعوب الاسلامية، نجد ان الهيئات الاعلامية في المجتمع الاسلامي متخلفة عن المستوى المطلوب، و ان الأوضاع ــ الاسلامية الحالية غير مهيّأة للدخول في منافسة إعلامية على أرفع المستويات مع الدول المعادية للاسلام، وبالمقارنة بين الاعلام الغربي والاعلام الاسلامي يظهر بجلاء ووضوح انه لا توجد في الساحة الفكرية في المجتمع الاسلامي وسائل اعلامية متكافئة مع الركب الاعلامي العلماني، فيتطلب الوضع الراهن في العالم الاسلامي وسائل إعلامية فعالة تكون على المستوى المطلوب للاضطلاع بمسؤولية المواجهة الصارمة مع تيارات الغزو الفكري.

وحتى يتحقق وجود الاعلام الاسلامي الفعال الذي يستطيع أن يحقق الأمل المرتجى لا بد من الأخذ بكل الوسائل العلمية اللازمة للنهوض بالهيئات الاعلامية الاسلامية، من تطوير الاداء على أحدث الوسائل العلمية والأساليب العلمية، ليواكب الاعلام الاسلامي مستوى الاعلام العالمي، وهذا الى جانب إنشاء وكالة أنباء اسلامية عالمية يوجه ما تحتوي عليه من أجهزة الاعلام الى الاتجاه الاسلامي. و يجب في وسائل الاعلام على مستوى العالم الاسلامي أن يكون التنسيق الكامل في المناهج والأعمال والبرامج والوسائل، وأن تسير كلها وفقاً لمفاهيم الاسلام، وأن تعمل كل أجهزة التوجيه والاعلام على بناء القيم الروحية والخلقية، وصيانة الشعوب الاسلامية من كل أنواع الزيغ والانحراف عن هدى ربها وسنة نبيها، ولكن هذا الأمل الكبير لا يتصور ان يتحقق الا في ظل التطبيق الكامل لشريعة الاسلام، لأن النشاطات والأعمال التي تزاول في كل بيئة وفي كل بلد تتخذ لون النظم التي تسود فيها، وعلى هذا ترتهن حالة هيئات الاعلام الاسلامي في كل بلد من العالم الاسلامي بطبيعة نظامه السياسي الاسلامي طرداً وعكساً، فكلما طبقت شريعة الاسلام وبعالمه في مجتمع كانت وسائل الاعلام فيه قوية وفعالة، و بقدر ما يهمل في تطبيق الاسلام، يضعف فيه الاعلام الاسلامي و ينعدم مفعوله، و يقل أثره.

و يتلخص من هذا ان ازدهار الهيئات الاعلامية الاسلامية، ونشاطها في أي مجتمع في العالم الاسلامي، إنما يرتهن بمدى التزام هذا المجتمع برسالة الاسلام ●

السيخ محمد بن رهر

لعسم الاول

تطيعوا أمر المسرفين* الذين يفسدون في الأرض ولا
حون».

(شعراء. ١٥١ ـــ ١٥٢)

إنَّ نسر الـفـســاد والـفحشاء، وزرع بذور
كرات، يعتبران عاملين مهمين في مسس تآمر
ستكبار العالمي على الجمهورية الاسلامية في
ان، الرامي الى استئصال جذور الثورة الاسلامية
سة، وبالتالي الحد من اتساع مساحة أمواج هذا
حول العظيم.

وهذه المسألة غير غريبة علينا، كما أنها ليست
. وآخر تحرك من قبل العدو اللدود لجبهة الحق،
ك انه لايمكن ـــ على الاصول ـــ فصل تاريخ
سالة والايمان عن مثل هذه المؤامرات.

وبتعبير آخر؛ ان المسألة ليست حديثة العهد،
وان الثورة الاسلامية في ايران، ليست الثورة
حيدة التي تواجه مثل هذه التحديات.

فتزامناً مع سرعة تحرك الثورة الاسلامية في
يران التي دهمت الشياطين الكبار والصغار ـــ من
سرقيين وغربيين وأذنابهم وأسلافهم ـــ وأدخلت
الرعب في نفوسهم. فإنَّ ردود الفعل المحمومة هؤلاء
الشياطين ضد الثورة الاسلامية قد تجلَّت بوضوح
في الابعاد السياسية والعسكرية والاعلامية
والاقتصادية. غير ان الفشل كان نصيب هذه
المؤامرات في كل مرة. وبالمقابل بدأت شجرة الثورة
الاسلامية تزيد من غضب الأعداء وغيظهم، وعلى
حد قول القرآن الكريم «يعجب الزراع ليغيظ بهم
الكفار». والذين زرعوا الثورة قد أعجبتهم ثارها، بل
وشاهدوا ثارها بوضوح أكبر مما كانوا يتوقعون، هذا
في وقت بدأ الغيظ يأخذ بالعدو المتحدث الى
الاحتضار والموت!

ومع ذلك فان العدو غير مستعد للتخلي عن
خبثه ودسائسه، إذ انه ـــ وفي كل يوم ـــ يفتح جبهة
جديدة.

أولم يقسم ابليس، هذا العدو اللدود، بأن لا

يتخلى عن مؤامراته و دسائسه طالما يكون هناك بشر على وجه الأرض؟

«قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين».

(الأعراف: ١٦ ــ ١٧)

«... فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلّا عبادك منهم المخلصين».

(ص: ٨٢ ــ ٨٣)

هذا هو قسم ابليس وأمثاله من الذين يحملون صفات إبليسية والذين يهاجمون من أربع جهات ليضلوا البشر. وهذه القصة ستكون قائمة الى يوم القيامة.

ولكن يجب ألا نغفل عن حقيقة ما، وهي ان المخلصين من عباد الله، مصونون من مؤامرات ابليس وجنوده «الا عبادك منهم المخلصين». فالشيطان كان يعي جيداً ويعترف بأن سلاحه لا يؤثر في العباد المخلصين.

نعم؛ هذه هي الحقيقة. فعباد الله المخلصين لن يرضخوا لسلطة الشيطان، ولن يقعوا في حبائله «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان».

مجالات الفساد:

اذن، يجب في الوهلة الأولى، العودة الى الانسان نفسه، لنرى أي المجالات تؤدي بالانسان الى الوقوع في براثن الشياطين والمفسدين؟ وأي العوامل تساعد على توسيع مجالات الفساد؟

ان مجال الفساد، ينشأ ــ في الواقع ــ من البعد المادي والحيواني للانسان، وتتسع رقعته في الظروف والأجواء الملائمة.

لقد كشف الملائكة ــ بوضوح ــ قبل خلق الانسان، عن مثل هذه الخصال «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء».

ومما لاشك فيه ان الله سبحانه تعالى كان يعلم بهذا الأمر، بل و بأمور أخرى كان يجهلها الملائكة، والتي هي عبارة عن البعد الالهي والمعنوي والخصال الملكوتية التي كانت تشكل الوجه الحقيقي للانسان الذي هو خليفة الله في الأرض.

ان الحديث ــ هنا ــ يدور عن الفساد وعوامله وطرق مكافحته. وفي هذا الخصوص يصف التنزيل الكريم النفس الانسانية بـ «الامارة بالسوء» «رأس كل المساوئ» وهو تعبير شامل. وفي الوقت نفسه يؤكد القرآن على ان عامل مكافحة الفساد يكمن في الانسان نفسه. «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى».

(والنتيجة الضمنية التي يراد الوصول اليها من هذه المقدمة، هي ان مكافحة الفساد تستلزم قبل كل شيء بناء الانسان، وعلينا في هذا المجال ان نستعين بالايمان والعقيدة والفكر الصحيح، باعتبار ان هذه الأمور تشكل الأسس الأولية لإقامة مثل هذا البناء).

بتعبير آخر؛ ان هناك نوعين من العوامل يؤديان الى تكوين الفساد في نسل البشر، وهذه العوامل الداخلية، والعوامل الخارجية. فيما يخص مكافحة العوامل الداخلية، يجب الاستعانة بالسلاح المحكم الذي أشرنا اليه والمتمثل بالايمان والوعي.

أما مسألة مكافحة العوامل الخارجية، فان لها مكاناً خاصاً في النظام التربوي والتشريعي والاجتماعي للاسلام، وقد شرعت له ضوابط وأحكام في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وباب الجهاد. وهذا البحث محور حديثنا في الوقت الحاضر.

وما يهمنا هنا هو التعرف على أهم هذه العوامل في مكافحتها.

عامل الفساد:

ان القرآن الكريم — وفي آيات عديدة — يصف طلاب الاستكبار بـ «المفسدين في الأرض». على سبيل المثال:

«... ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها...».

(النمل ٣٤)

ورغم ان هذه الآية تروي قصة «بلقيس» ملكة سبأ، لكن يجب الأخذ بنظر الاعتبار الملاحظة التالية وهي ان القرآن الكريم عندما يورد أقوالاً عن الآخرين ولا يرفضها، فهذا يعني انه يؤيد تلك الأقوال. وكأنّ القرآن قد قبل بهذا الأصل الكلي وهو ان الملوك، أو بالأحرى مظاهر السلطة والقدرة، تعد عوامل للفساد. فهؤلاء يخربون المدن، ويجرون أبناءها الى مستنقع الفساد. وبتعبير آخر ان هؤلاء هم «فاسدون ومفسدون».

وهذا الأمر لا يقتصر على هؤلاء فحسب، بل يشمل حتى عناصرهم وحاشيتهم (عدا في بعض الموارد الاستثنائية، كالسلطات التي تنشأ من الدين، وتتصدى — عبر الايمان والاعتقاد — للطغيان والتمرد، وبهذا الخصوص يذكر القرآن الكريم أسماء، مثل سليمان، ذي القرنين ويوسف).

ان تاريخ الملوك والسلاطين والحكام في أرجاء المعمورة، يبين بوضوح ان السلطة والقدرة وقصور السلاطين والمستكبرين، كانت — على الدوام — بمثابة مستنقع يوجد ميكروب الفساد وينميه، ومن ثم ينشره في الأجواء الاجتماعية.

ففي ايران مثلاً، تعتبر العائلة البهلوية ونعمة حية، شاهدها أبناء أمتنا الاسلامية، ولم ينسوها بعد، إذ ان: الفحشاء والمنكرات والفساد والابتذال وما الى ذلك من أمور أخرى، نشأت كلها على يد هذه العائلة الخبيثة.

فمسألة كشف الحجاب وما تفرع عنه من آثار سلبية، والاختلاطات غير المشروعة، وتوزيع المخدرات، تعد جانباً صغيراً من تلك الممارسات التي ما زالت آثارها النفسية والأخلاقية مشهودة هنا وهناك. وفي وجوه العناصر التي تدعو الى إعادة السلطة الملكية الى ايران وعملائها وأمثالها في المنظمات الأخرى المعادية للثورة الاسلامية، والمدعومة جميعاً من القوى التي كانت تقف وراء العائلة البهلوية.

كما يتحدث القرآن الكريم عن بعض مفسدي التاريخ على النحو التالي: «... ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض....» (الكهف ٩٤)

ثم يتحدث عن بعض آخر، هكذا:

«ألم تر كيف فعل ربك بعاد* إرم ذات العماد* التي لم يخلق مثلها في البلاد* وثمود الذين جابوا الصخر بالواد* وفرعون ذي الأوتاد* الذين طغوا في البلاد* فأكثروا فيها الفساد* فصب عليهم ربك سوط عذاب».

(الفجر ٦ — ١٣)

هكذا يتحدث القرآن الكريم عن عاد وثمود، الذين أفسدوا في الأرض، وأقاموا قصور جبروتهم على ديار هدمت نتيجة الفساد والظلم، وأسروا الناس، وبعدها يذكر القرآن المصير السيئ الذي انتهى اليه هؤلاء اثر صب السياط عليهم.

وهكذا نرى ان الذين سمنوا من زبدة الظلم والفساد، بان بان الظلم سينتهي، وان المفسدين غير باقين. وانهم سيذوقون طعم الانتقام والعذاب الأليم، كما ذاقوا وسمعوا على مر التاريخ.

وفي حقيقة الأمر ان المفسدين — في أي منصب

ومنزلة كانوا ــ يحفرون قبورهم بأيديهم، و يطعنون أنفسهم بالحراب التي يحملونها، ذلك ان الفساد يعفّن السلطة و يقضي عليها. وهذه بشرى للمؤمنين الصالحين وتهديد للمفسدين.

ويقول القرآن في موضع آخر حول فرعون وصفاته الاستكبارية: **«إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً، يستضعف طائفة منهم، يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين»** (القصص: ٤).

هذه الآية تعدد آثار حاكمية فرعون، المتمثلة بـ: الطغيان، التفرقة، الاستضعاف، قتل الأولاد، أسر النساء والافساد في الأرض، بما فيه الفساد الخلقي.

ان جملة «يستحيي نساءهم» تتحدث عن مسألة الإبقاء على النساء، بعد قتل الرجال. وماذا يعني هذا؟ هل ان الابقاء على النساء كان من باب العطف عليهن؟!

كلا، بالطبع، لأن المستكبرين لا يعرفون للرحم والعطف معنىً، وهم ــ في الحقيقة ــ غرباء عن السجايا الانسانية الحميدة.

ومن خلال الدقة والتأمل، نصل الى النتيجة التالية وهي ان الابقاء على النساء، لا يعني في قاموس المستكبرين الذين يقتلون الأولاد الذكور الا الاستغلال والخبث والرذيلة.

والنساء المستضعفات في مثل هذه الأنظمة والأجهزة الحاكمة، [illegible]

[illegible]

تقع مثل تلك النساء فريسة بأيدي الانتهازيين [illegible] الى الفساد، أو يستخدمن ــ وفق الاسلوب الاستغلالي الأخير في ما يسمى بالعالم المتحضر [illegible] كأدوات انتاجية في المعامل، ووسائل للحصول [illegible] أسواق تجارية للسلع التصديرية، وأيضاً [illegible] في الدعايات التجارية.

و يستفاد من جمالهن واغرائهن [illegible] للحصول على المال، مثل إناطة أدوار [illegible] في الافلام السينمائية والتلفزيونية.

ولقد عانت فئة من نسائنا في عهد [illegible] من هذه الأوضاع المأساوية، بحيث ان [illegible] الموحشة لتلك الأوضاع، تدخل ــ اليوم ــ الرعب [illegible] قلوب جميع الأحرار.

وواضح ان الفساد الناشئ عن أسلوب [illegible] المستكبرين المستبدين، لا يقتصر على ما أشرنا [illegible] (أي البعد الأخلاقي)، بل يتعداه الى الأبعاد الثقافية، الفكرية، العقائدية، الاقتصادية، السياسية، العائلية والاجتماعية.

وخلاصة القول: إن المفسدين في الأرض يشكّلون عاملاً لإفناء وجود الانسان وإحراق الحرث والنسل، وكما نلاحظ، فان جملة «المفسدين في الأرض» ــ مع ما تتميز به من شمولية ــ قد استخدمها القرآن الكريم حول مثل هذه العناصر.

التأثير المتقابل لفساد العقيدة وفساد الأخلاق:

[illegible]

[illegible]ه ونفاقه. وإذا ما أراد العدو ان يهاجم المبادئ
الدينية [illegible] ما مباشرة، فقد لا يحصل على أية
نتيجة، بل وقد يؤدي عمله ذلك الى نتائج عكسية.
لذلك فالأعداء لايعملون على دمج العقائد، بل
يعملون —على الظاهر— أن يعلنوا تأييدهم للمواكب
الدينية والشعارات الفارغة كأمور دينية!!

على سبيل المثال ان الشاه المقبور كان يطبع
القرآن الكريم، و يزور العتبات المقدسة، و يعمّر
المراكز الدينية، إلا انه في نفس الوقت كان يسعى
عبر سياسة ثقافية وأخلاقية دقيقة — الى إزالة آثار
الدين والمعتقدات والآداب.

كما أن السياسيين المحترفين كانوا و ما يزالون
يلجأون الى سلاحهم القديم المتمثل بالاستفادة من
الدين لتحقيق أغراضهم الدنيئة. ولهذا فان المجتمع
يجب أن يكون واعياً و يقظاً كي يميز بين الصالح
والمفسد و بين الصالح والمنافق، وإلا فان هؤلاء
المفسدين والمنافقين سيعممون بشكل خبيث [illegible]
[illegible] أنفسهم بأنفسهم ويحفرون قبورهم بأيديهم.

يقول القرآن الكريم بشأن هؤلاء الانتهازيين
المغرضين: «وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما
نحن مصلحون» (البقرة: ١١).

إنّ (ثورة الشاه والشعب) و (الاصلاحات [illegible]
الأرضية) والحديث عن إشراك العمال في أرباح
المعامل، وكشف الحجاب و (منح الحرية للنساء)
وأمور أخرى من هذا القبيل، يمكن اعتبارها نماذج
لهذا النوع من (الاصلاح) والذي لا يخفى [illegible]
محاولة لمسخ شخصية المرأة والرجل وربط الاقتصاد
والصناعة والزراعة بالدول الأخرى.

و [illegible] هناك أشخاص [illegible] يفهمون [illegible]
اليوم— أو لم يريدوا أن يفهموا بأن حفظ النظام
لكي [illegible] إنما كانت كارثة أنزلوها على الاسلام
والشعب والبلاد.

ترى لو لم تقم ثورة ضد ذلك النظام، فأية
جنايات وجرائم جديدة كانت تحصل. وماذا كان
ذلك النظام يبقي للأجيال القادمة؟

والذي يدعو للعجب أيضاً هو ان بعضاً ممن
يظهرون حرصهم على الدين، يتساءلون —عن جهل
أو لغرض ما في أنفسهم— ومن دون أن يقاربوا بين
الأمور [illegible] و يقيموا منجزات الجمهورية
الاسلامية — [illegible] قائلين: ماذا فعلت
هذه الثورة [illegible]؟! [illegible] من هذا [illegible]
[illegible] جهل هؤلاء وعدم صدقهم.

ومما يؤسف له ان هؤلاء يقفون —عملياً— الى
جانب العناصر التي تسعى —[illegible] من شياطين
الغرب و الشرق— الى عرقلة مسيرة الثورة والتصدي
لها [illegible] هنا و هناك، أو تسعى
—عبر [illegible] المقدسات الدينية والشعائر الاسلامية
والمظاهر [illegible] والسفور— الى حفظ الآثار السلبية
والمخربة لذلك النظام!

[illegible] هؤلاء لن يجدي
[illegible]
[illegible]

إنّ المفسدين —كما أشرت [illegible]— عندما
يعجزون عن شن هجوم مباشر على عقائد شعب ما
ومبادئه وثقافته، يلجأون الى أسلوب آخر، وهو إفساد
[illegible] والأسس التوحيدية والالهية، وجر
[illegible] و[illegible]، و[illegible] إفساد
[illegible]

[illegible] «ثم كان عاقبة
الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها
يستهزئون» (الروم: ١٠)

[illegible]، تتحقق عبر

اسلوبين: أولهما قطع الجذور. فإذا لم يكن هذا الأمر ميسوراً أو مفيداً، فإنَّ قطع السيقان ــ مرة واحدة أو بالتدريج ــ يستطيع بمرور الزمن أن يميت الجذور، أو ــ على الأقل ــ يجعلها عديمة الفائدة.

فأعداء الاسلام ــ عبر دراسة أساليب التصدي لاستقلال المسلمين وعظمتهم ومعنوياتهم وأخلاقهم وعقائدهم، وما يملكون من تجارب ــ توصلوا الى النتيجة التالية وهي انه لايمكن ببساطة التصدي لعقائد الناس وثقافاتهم. ولقد تأكد لهم بوضوح انهم حتى لو أرادوا في الدول الشيوعية أن يتصدوا لعقائد المسلمين وثقافاتهم والتي تشكل خطراً على الأنظمة المادية اليسارية الحاكمة، فانهم سيواجهون مشاكل لم تكن بالحسبان. وكذلك فقد سلكوا طريقاً آخر، وهو تجريد الناس من عقائدهم عبر افساد اخلاقهم، وجرهم الى اللامبالاة ونشر الفساد والفحشاء بينهم واثارة الشهوات لديهم، وشراء الشباب بالمشروبات الروحية والمخدرات والاغراءات الجنسية، وغيرها من الأمور.

ولتحقيق هذا الغرض المشؤوم، فقد لجأوا الى وسائل متعددة، ولم يتركوا أية فرصة، وانطلقوا من روضات الأطفال والمدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعات والصفوف المختلطة والدوائر والمتنزهات والحفلات ودور السينما والمسابح والبحر والصحراء ومن الصحف والمجلات والاذاعة والتلفزيون والقصص والروايات والكتب، ومئات أخرى من الأساليب.

وان أفضل نموذج لذلك هو ما حدث في العهد الملكي البائد، الذي لم يمر على سقوطه وقت طويل، حيث جروا جيل الشباب الى الانحطاط، والنساء الى الرذيلة، وقضوا على القيم والكرامة الانسانية، وسلّطوا الأجانب على شعبنا، ومسخوا البلاد بسلطتهم وثقافتهم وتصوراتهم. لكن ونتيجة ا الاسلامية المباركة ومساعي قيادتها الحكيمة ا الشعب من سباته، وعادت القيم الى مجار إحياء الكرامة الانسانية. كما استعادت ال والعقائد مفاهيمها الأصيلة، وتحررت الأ الاعلامية من سيطرة المغرضين. واليوم بـ هذه المتعددة لحاكمية الرسالة والتربية الاسـ وخاصة في جيل الشباب والفتيات الأصـ المجتمع. وهذه هي من معجزات الاسلام و الاسلامية، بحيث تتحدث عن تلك الأجواء ا غابة مليئة بالورود، تدخل عطورها السرور و في نفوس الناظرين اليها.

وفي نفس الوقت هناك أشخاص من حنـ النظام الملكي البائد، يصرون على جهلهم وضلا مما يتطلب الأمر توضيح وظيفة الناس تجاه هؤلا

تكرار تجربة تاريخية مرة:

لما كان حديثنا يدور عن المؤامرات الاستكـ ضد الدين الاسلامي والقيم الانسانية ــ ء الفساد ــ فمن المناسب هنا أن نعيد الى الا احدى التجارب والدروس المرة في تاريخ الاسـ

ان الآثار السلبية لهذه الكارثة، مشهودة في تاريخ الاسلام، حيث ان مؤامرات الاسلام لمهاجمة البلاد الاسلامية، كالا (اسبانيا) مثلاً، ونشر الفساد فيها، وخاصة في الشباب، عبر الشهوة والمشروبات الروحية الثقافة الاستعمارية، والتي تزامنت مع ا الصليبية التي كانت ترمي الى أسر الأمة الا من جديد، تعتبر أحد الأحداث المؤلمة في الاسلام خلال القرون الوسطى.

وخلاصة تلك القصة، هي: ان المسلمين

وا اسبانيا، أقاموا على أنقاض النصرانية الرجعية تلك الأيام، حضارة إسلامية رائعة، وخلال فترة قصيرة، بدأت آثار الثقافة الاسلامية تغطي أرجاء البلاد، بل ولتتعداها الى أوروبا كلها.

مرت ثمانون عاماً، والحضارة الاسلامية كانت سائدة في اسبانيا، فالمساجد، والجامعات، والآثار العلمية والفنية والصناعية والمدنية في هذه البقعة من العالم قد نشأت في ظل ــ شعاع التحضر الاسلامي ــ ودعت العالم الى نفسها.

إن المؤرخين الشرقيين والغربيين، الاسلاميين وغير الاسلاميين، والمستشرقين، الذين كتبوا عن حضارة الاسلام أمثال «ويل دورانت» و«الدكتور غوستاف لوبون» و«جرجي زيدان» وغيرهم كتبوا الكثير عن حضارة الاسلام في الأندلس وآثارها الداعية الى الاعجاب، وعلى حد قول «غوستاف لوبون»: [ان الأندلس في تلك الأيام كانت مصدراً لحضارة العالم].

وخلال حكم الاسلام في اسبانيا، لم يهدأ أعداء الاسلام بال، إذ كانوا يسعون ــ على الدوام ــ الى ضرب المسلمين وسحقهم. فحصلوا بالمرة ما، لا يجدون وقتاً معيناً لتحقيق أغراضهم الدنيئة، ومتى ما شعروا باليأس من أحد أساليبهم يستبدلوه بأسلوب آخر. إنهم يواصلون أحقادهم ومؤامراتهم ودسائسهم الى أن يتمكنوا في النهاية من تحقيق أغراضهم. وبالتالي توجيه الضربة النهائية.

ولهذا فان جبهة الحق يجب أن تتربص للأعداء بوعي واستعداد كاملين ــ وتسلحهم القدرة في أي تحرك، لأن أي تغافل وتقاعس، يتيح للأعداء الفرصة الكافية ليبدأوا هجومهم وينتزعوا السلاح من جبهة الحق (وفي هذا المجال، نوصي بالتأمل في آيات الجهاد وخاصة آيات سورة التوبة، لكي نعي كيف انه يجب التصدي للكفار والمشركين بحزم بعيداً عن أية سذاجة).

نعم: ان أعداء الاسلام في اسبانيا وضعوا الخطط ودبروا المؤامرات، وكان من أنجحها مؤامرة نشر الفساد بين المسلمين. إذ انهم وبهذه الوسيلة استطاعوا أن يضعفوا عزائم المسلمين ويقيدوا الشباب بقيود الشهوة، ويشجعوا الفتيات على التحلي عن الحجاب، وما الى ذلك من أمور أخرى. ورويداً رويداً كبر حجم هذه الغدة السرطانية، فتمكن الأعداء في النهاية من توجيه ضرباتهم القاصمة. وقد وصلت الحالة بالمسلمين في اسبانيا الى درجة بحيث معها أعداء الاسلام يرتكبون المجازر ضد المسلمين ويريقون دماءهم في الأزقة والطرقات، وبذلك قضوا على حضارة الاسلام هناك والتي دامت عدة قرون.

ان تاريخ هذه الحادثة المؤسفة، هو بشكل بحيث ان المؤرخين الاسلاميين بل وحتى الأجانب قد تحدثوا عنها بأسف بالغ، واعتبروا سقوط الحضارة الاسلامية في الأندلس أكبر كارثة للعالم، بالضبط كما لم يتمكنوا من إخفاء الجرائم الوحشية التي ارتكبها الصليبيون نحو المسلمين. (وللمزيد من الاطلاع على هذه القصة والقضايا الأخرى يرجى مراجعة كتب تاريخ التحضر مثل كتاب «حضارة العرب والاسلام» تأليف الدكتور غوستاف لوبون الفرنسي).

لقد جاءت إشارتنا الى قصة المسلمين في اسبانيا، بهدف التعرف على: أحقاد أعداء الاسلام ومؤامراتهم ودسائسهم، وخاصة الصليبيين والصهاينة الذين يهاجمون الاسلام منذ قرون، والدور الذي يقوم به الفساد في تحقيق المؤامرات والجرائم، وأيضاً لكي لا نتصور بأن العدو اذا فشل في جبهة ما،

وانه سيتراجع الى الأبد، و يتخلى عن مؤامراته. وهذا بالضبط ما يحصل اليوم.

فجميع مؤامرات القوى الاستكبارية (الشرقية والغربية) وخاصة أميركا و (اسرائيل) قد واجهت الفشل في جميع الميادين، وان عناصرها التي تغلغلت في المناصب الحساسة قد انكشفت جميعها، وطردت الواحدة بعد الأخرى. كما ان الهجوم العسكري الأمريكي في صحراء طبس والمؤامرات التي دبرت للاطاحة بنظام الجمهورية الاسلامية، قد أحبطت هي الأخرى، وايضاً وان الحرب التي فرضت على الجمهورية الاسلامية قد واجهت فشلاً بعد آخر، وبالمقابل فان القوات الاسلامية ـ وعبر السيطرة على الموقف في ساحات القتال ـ قد أدخلت اليأس في نفوس الأعداء وزادت من رعب و مخاوف الاستكبار وعملائه.

وان مؤامرات أجهزة الدعاية الاستكبارية على المستوى الدولي قد واجهت بدورها فشلاً كبيراً رغم ما بذلته من محاولات.

واليوم؛ فان العالم يدرك جيداً عظمة الثورة الاسلامية وقيادتها الحكيمة ووعي الشعب المسلم في ايران وتضحياته وايثاره، وان الأعداء هم ـ اليوم ـ في موقع دفاع، الى درجة انهم لا يستطيعون أن يخفوا رعبهم من نمو الثورة والخطر الذي يحدق بمصالح الاستكبار العالمي.

وخلاصة القول: ان الثورة الاسلامية ـ عبر اصالتها وحزمها وعدم مساومتها ـ قد أحرقت بنارها جميع المؤامرات، وأزالت من طريقها جميع الموانع، وأدخلت ومازالت تدخل اليأس والرعب في نفوس أعدائها.

ومع ذلك، فمن السذاجة أن نتصور بأن العدو قد تخلى عن مؤامراته، حيث ان تهريب المخدرات وادخالها الى البلاد، وتشكيل عصابات مهر[illegible] واستمرار نشاطات الأشخاص الذين [illegible] الهيروئين والترياق في جميع أنحاء البلاد، و الأشخاص الذين أعدموا بتهمة المشاركة في المؤامرة، كل هذه المسائل ليست عفوية [illegible] تتصور ـ، كما أن تصرفات بعض النساء [illegible] على يد النظام السابق لا تنشأ ـ بشكل عام ـ من عدم ايمان تلك النساء وفسادهن الخلقي [illegible] بل [illegible] ـ اضافة الى هذه الموارد ـ من [illegible] عوامل سياسية تعمل في الخفاء ويدار من [illegible] الأعداء في الخارج والداخل وأيضاً عن [illegible] توصيات الاذاعات الأجنبية والمجلات [illegible] والأفلام المبتذلة.

وليس من باب الصدفة أن نشاهد من [illegible] لآخر أشخاصاً مسلوبي الارادة، يقومون ـ حسب [illegible] عليهم أسيادهم ـ بتحركات منافية للأ[illegible] ومعادية للثورة، و يظهرون في الشوارع و [illegible] والمنتزهات والمطاعم بألبسة مخجلة، دون أن [illegible] بتوصيات المسلمين أو يراعوا مشاعر الناس.

إنهم ألاعيب وأدوات يحركها الأجـ[illegible] والصليبيون والماديون لتتآمر هكذا على الـ[illegible] والمسلمين.

وهذه حقيقة غير خافية على شعبنا و[illegible] ولطالما أُشير اليها.

ومما لاشك فيه ان شعبنا الواعي والـ[illegible] سيحبط هذه المؤامرة الجديدة، كما أحبط من جميع المؤامرات، وسيجازي مدبريها، شريـ[illegible] تطبيق أصول الأمر بالمعروف والنهي عن [illegible] ومكافحة الفساد بصورة جدية وواسعة بالتنـ[illegible] بين فئات الشعب والأجهزة الثورية، ليتم في الأمر القضاء على الشياطين. .... للبحث

«إنّا أعطيناك الكوثر...»

ابراهيم رفاعة

(١)

ما أحبَّ رسولُ الله (ص) امرأةً كما أحبَّ ابنته الزهراءَ البتول.

وكان الحبُّ فوق ما تعرفه طاقةُ البشر من أنماط الحب: فيه التوحُّد، والتمدُّد، والتجدُّد.

فهذا الحبُّ العُلْويّ العجيب يتوحَّد فيه الإثنان، حتى لا ترى إلاّ واحداً!

وهذا الحبُّ يتَّسع ويمتدُّ، حتى لا تحدّه أقطار الأرض ولا آفاق السماء. إنّه حبٌّ أبديٌّ، لأنّه من الأبديّة يتحدَّر.

وهذا الحبُّ يتجدَّد أبداً، نابض أبداً، متلوّن بتلاوين لا تتناهى، لأنّه تجلٍّ لجمالِ

وجلالٍ أبديّ لايتناهى.

(٢)

كان ذلك حبُّ فاطمةَ لمحمد(ص)، وحبُّ محمدٍ لفاطمة(ع): يندمج الحب و الحنان، و يندغم الحنان في الحب.. فإذا هي(ع) لرسول الله فيض لا يتوقف من الشعور الأبوي نحو البنت، وفيض من الشعور البنوي نحو الأم!

إنَّ تياراً واحداً من النور الأعلى هو الذي يوحّد بين النبي وفاطمة، فإذا هي «ست أبيها»، وإذا هي «أمُّ أبيها» ــ كما باح النُطْقُ النبوي الشريف.

لم تكن فاطمة(ع) بنتاً كسائر البنات: كانت هبةً إلهيّةً مذخورةً من الأزل، يومَ خلقَ اللّهُ نورَ محمد(ص)، وكانت هنالك عملية الاشتقاق العجيب.

إنَّ فاطمة لأبيها هي الكوثر الإلهي الموعود: «إنّا اعطيناكَ الكوثر».

(٣)

وما كان يصلح للاقتران بهذا الكوثر إلاّ رجلٌ هو للنبي كالظلّ، أو ألصق به من الظلّ.

و كان اقترانُ علي بفاطمة (عليهما السلام) متوافقاً مع هذا النور المتوحّد المتحدّد. ما كان لهذا الكوثر غير هذه الكأس الشفيفة المغسولة بالعطر الإلهي، المجبولة من نور الخلود.

وهكذا أراد الله سبحانه لهذا الكوثر أن يمتدّ، وأنْ يتوالد، و يتناسل.. مجتازاً تاريخ الانسان، كخطٍّ متوقّدٍ بالجلال والجمال.

(٤)

وكان الحسنُ بن علي (عليهما السلام) أوّل دفقةٍ من هذا الكوثر الفاطمي.

وهكذا كانت الزهراء البتول تجد نفسها في وليدها البِكر.

وكان علي(ع) يجد فيه كذلك مسافةَ الامتداد.

وكان النبي(ص) يحتضنه و يَشَمُّه و يُناغيه، كأعذب ما تكون المناغاة.

ومرة أخرى يجد الرسول في وليد الزهراء أن نفسه الشريفة تُولَد من جديد، و يرى أنّ الحسنَ ثمَّ أخاه الحسين.. يرى أنَّ فيهما قلبه والروح، فإذا هو هما، وإذا هما هو: «هذان ولداي.. ريحانتاي».

وهوذا علي(ع) يسمع الصوت النبوي الكريم يتحدّر رقْراقاً حانياً:

ـ «يا علي! لقد أذهلني هذان الغلامان أن أحبّ بعدهما أحداً! إنّ ربي أمرني بهما».

(٥)

وإذْ يتوحّد فيهم الحب، يتوحّد الموقف. وإذا حبّهما حبٌّ للنبي، وإذا بُغضهما بُغض له كذلك.. أليسا هُمادفقات قدسية من ذلك الكوثر الفاطمي الخصب؟!

هو ذا سرٌّ من أسرار الزهراء البتول (ع).. فهي وعلي (ع) الامتداد في القلوب المؤمنة. وهذان هما آبناهما امتداد كذلك في قلوب المؤمنين.

وحتى اللحظة الأخيرة من لحظات رسول الله (ص) على هذه الأرض.. كان الحضور الحسني والحسيني يملأ منه حنايا القلب، وإذا هو (ص) يدعوهما ـ ساعة الاحتضار ـ و يقرّبهما و يَشمُّهما، ويجعلُ يَرْشِفهما ـ وعيناه تَهملان!

(٦)

مباركة هي في الساعات، ساعةُ مولدك يا أبا محمد الحسن بن علي، يا ابن رسول الله ـ يا ابن الكوثر الفاطمي الكريم.

لقد شاء الله تعالى أن يجعل مولدك قلبَ شهرِه الشريف، فإذا الخامس عشر من شهر رمضان وعاءٌ من الزمان لتشريفك الأرض، وإذا بيت علي وفاطمة وعاء من المكان لوفادتك الى دنيا الناس، و افداً من أكرم الوافدين.

مباركة هي ولادتك .. يا أول الذرية الطاهرة.

و يا أوّل دفقةٍ من دفقات كوثر الله في الأرض.

و بورك لأهل الأرض مَقْدَمُكَ الذي يفيض على الناس خِصْباً وعذوبةً ورواءً ـ لو كانوا يفقهون!

(٧)

كانت الساعاتُ على هذه الأرض مُثْقَلَة، والأيامُ حُبْلى، والحوادثُ لا تتراخى!

وهذه التي كانت تُقْبِل كقِطَعِ الليل المظلم.. كانت فِتَناً حالكة! ولكنْ: لماذا كل هذا الليل على الأرض، يا نورَ الكوثر و يا كوثر النور؟!

هم أولاء أهلُ الأرض.. الذين ألِفوا كثافات المادة، واستراحوا الى أثقال التراب، وتعايشوا مع خُلَّبِ السّراب..

أولاءِ هم.. أهل الأرض: لايُطيقون رؤ يةَ كأسٍ شفيفة مندغمة بالنور، تمدُّها إليهم كفٌّ كريمة رحيمة:

فكانت بعد الجدّ العظيم حوادثُ وأنباء.. ماكان شاهِدَها.

وتُسرع البتول لِلَّحاق بأبيها الرسول: حزينةً مكسورة القلب، تَشِفُّ آلاماً وأحزاناً ومعاناةً.

ويخوض الوصي (ع) معاركَ جديدة، بعد معارك الاسلام الأولى، فيقاتلهم على «التأويل» كما قاتلهم من قبل على «التنزيل».

ثم يرحل أخو رسول الله عن هذه الأرض شهيداً، بعدما ضمَّخوه بدم رأسه الشريف، وهو ساجد يصلي في المحراب، في شهر الصيام.

و يتلقّى الرايةَ، الكوثرُ الحسني النبيل. إنَّ هيبةَ جدّه المركوزة فيه هي التي كانت تحمل رايةَ التوحيد بعد الوصي الشهيد.

(٨)

ولكنَّ أهلَ الأرض ما يزالون يَصُدّون عن شعاع النور، ولا يتذوقون الارتشاف من كوثر الله الذي هو هذا الذي يضطهدونه في الكوفة بعد أبيه، و يَغْدرون به، و يَطْعُنونه طعنة غَدْرٍ في الخاصرة.

بيدَ أنَّ الحسنَ (ع) يَشُدُّ جراحَ الخاصرة، كما شدَّ من قَبْلها جراحَ القلب. ثمَّ يطوي الضمير على أشواك أهل الأرض. فليس في الكوفة غير قساوة العاقول، يريدون لِيُطَوِّقوا به القلبَ الذي يَقْطرُ كوثراً، ويَرْشَحُ نوراً. إنَّه الذكرى الباقية لهم من نبيِّهم الراحل الذي أودع أهلَ الأرض أعزَّ الأمانات.

و يعود الحسن (ع) الى مدينة جدِّه الفقيد. يعود الى «طَيْبة» بعد تجارب قاسية، كان لابُدَّ من خوضها، فيحتضنه أخوه الحسين (ع)، و يُنَشِّفُ له الجِراح.

(٩)

كان الكوثر يجري في الناس: يَروي، و يُطهِّر، و يُعَطِّر. إنه نهرٌ أبديٌّ لايتوقف، لأنه نَبْعٌ من الجمال الأبدي الذي لا يتوقف.

الكوثر يَسقي حتى أولئك الذين يَسْتَلُّون خناجرهم، و يَطْعَنون الخاصرةَ والقلب.

هو يريد لِيُعَطِّرَ قلوبَ حتى أولئك الذين ما عَرفوا في قلوبهم غير دَماملِ البَغْضاء، وغير

عوبة الحقدِ الموروث.

هـذا الـكوثر يريد لِيُطهّرَ كلَّ الشرايين التي جرى فيها الدمُ الفاسد الذي أنتجته عروق الجاهلية السوداء.

(١٠)

وكـانـت للناس مواقفُ إزاء الكوثر الفاطمي الحسني، عبّر عنها أبناء فاطمة المعصومون (عليهم السلام) حين كانوا يقولون: — ليس منّا إلا مسمومٌ، أو مقتولٌ!

وهـا هـو ذا الـكـوثـرُ الحسني مَزَجَهُ الناسُ بالسّمِّ الغادر، الذي مزّق منه الكبد.. حتى ألقاه في الطّشت!

وهـو ذا الـكـوثـر الحـسـيني.. مزّقوه بسيوف الخساسة. وأسعوا في هدم حوضه سيول الأحقاد القديمة.

.. وهكذا لايني أهلُ الأرض يُريقون — على أرض الكفران — كوثرَ فاطمة والرسول. ويهدرون أنفسَ تحفةٍ يقدّمها الله لأهل الأرض.

(١١)

إنَّ الـدّفـقـةَ الأخـيـرة مـن كـوثـر الزهراء البتول.. ما تزال! وتلك هي الدفقة العامرة المدخورة في غيوب الله، يُظهرها ساعةَ يشاء. وما يُدريك.. فلعلَّ الساعة قريب!

إنَّ هذا الكوثر الإلهي المذخور سيعوّض الأرضَ عن كلّ ذلك الكوثر المهدور.

وسوف يجري على الأرض: سحاً موّاراً، يحيى به المؤمنون، ويَغصّ به المعتدون.

سيكون سيفاً له بريقٌ وضيء،

كما سيكون نصلةً حادة لا تقاومها الرقاب.

إنَّ يـوم الـكـوثـر الأخير هو يوم الفصل. وهو يوم الحساب الذي يلخص كلَّ الحسابات القديمة، ويثأر فيه لله العزيز.

(١٢)

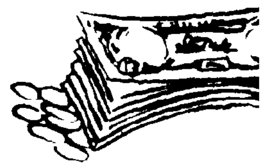
إنَّ الأفـق مُـتـلـبِّـد، وإنَّ الساعات تُخْلي. ولكنها هذه المرّة حُبلى بخطوطِ فجرٍ مغموس بطُهر الكوثر.

هو آت.. ذلك الكوثرُ المذخور!

ليطهرَ الأرض، بعدما كفرت بالكوثر المهدور●

ـسعار النفط :

ـبل وبعد الأوبيك



الأستاذ زهير سليمان

ـكن النـفـط معـروفـاً الى ما قبل عام م حينما أكتشف في مدينة «بلويستي» في ـيا. وقد اسـتـخـدم منذ ذلك التاريخ في شوارع العاصمة الرومانية «بوخارست»، م يكن على نطاق تجاري.

، عام ١٨٥٩م أكـتـشـف النفط في ولاية لفانيا» بالولايات المتحدة الأمريكية عن الصدفة حينما كان يُبْحَثُ عن الملح، وقد ـتاجه منذ ذلك التاريخ و بيعَ بسعر (٢٠) للبرميل الواحد[1]. لكن و بعد أزدياد النـفـطية وكثرة المستثمرين للنفط، أخذ ـخفض لقلة استعماله كوقود، اذ انه كان ل ـ حينذاك ـ أكثر من ١٪ ـ ٢٪ من ـعمال بالنسبة لمصادر الطاقة،حتى بلغ دولاراً للبرميل الواحد عام ١٨٦٠م.

و بعد اكتشاف النفط في بلدان أخرى مثل روسيا و كندا، وظهوره بشكل أكبر، وزيادة العرض على الطلب، إنخفض سعره بشكل كبير خاصة بعد أن ظهرت شركة «ستاندارد أو يل أوف نيوجرسي» Standard oiL co. newgersy [2] التي أثرت في أسعار النفط، حيث ان الأسعار كانت تتراوح بين (٩/٥٩ ـ ١/٢٩) دولاراً للبرميل الواحد، و تصل في بعض الأحيان الى (٠/٤٩) دولاراً. كما وصل سعره عام ١٨٦١م الى (٠/٨٦) دولاراً، وهذه الأسعار كانت خاصة بالنفط الأمريكي، لأن النفط لم يكن مشهوراً في المناطق الأخرى. وقد بدأ سعر البرميل من النفط الأمريكي بالإنخفاض حتى بلغ (٠/٦١) دولاراً للبرميل الواحد عام ١٩٠٠م، الا أن

ـعار ارتفعت مرة ثانية، فبلغ سعر البرميل
حد (٠/٩٥) دولاراً خلال عام ١٩٠٣، ثم
ل الى (١/٥٩) دولاراً في عام ١٩١٧.

وبعد انتشار النفط وظهوره في كثير من
ناطق بصورة تجارية كما في أندونيسيا التي
ت النفط عام ١٨٩٥م و ايران عام ١٩١٥م
رويلا عام ١٩٢١م والمكسيك عام ١٩٠٥م
يرها من البلدان الأخرى، فقد أحدث أسعار
مط تتذبذب وفقاً لمقتضيات تلك الدول سيّما
د الحرب العالمية الأولى التي أثرت على أسعار
نفط بشكل ملحوظ. وبعد تزايد الطلب
النفط ودخوله عالم الصناعة، بلغ سعر
رميل الواحد (١/٩٨) دولاراً خلال عام
١٩ ثم (٣/٠٧) دولار في عام ١٩٢٠م.

والغريب أن معاهدة «سايكس بيكو»
Sykes-picot agreeme عام ١٩١٦م ــ
ب تمت باتفاق الدول الاستكبارية على تقسيم
ناطق التي احتلتها في الشرق الأوسط ــ
ـرت الى وجود النفط في هذه المناطق. وعلى
وء ذلك جرى التقسيم، ووزعت حصص
شركات الانكليزية والفرنسية من الامتيازات
نفطية في هذه المناطق، كما حصلت الشركات
مريكية ــ بدورها ــ على نفس الامتيازات.

وجدير بالذكر أن أسعار النفط الخام ــ
ـل أن تبدأ دول منظمة الأوبيك بتسعير
وطها عام ١٩٧٣ ــ كانت تعتمد على أسس
ضع الى نفس الدول المنتجة، وقد برزت خمسة
ع من الأسعار وهي:

١ ــ الأسعار المعلنة
(The posted prices) حيث تقوم الشركات
نفسها باعلان الأسعار التي تراها، كما في
الشركات الأمريكية.

٢ ــ الأسعار المتحققة (The realized prices) وهي تمثل الأسعار الفعلية (Actual prices) التي تتحقق بعد إعطاء بعض الحسم على الأسعار المعلنة، و يراد من ذلك المنافسة.

٣ ــ أسعار الاشارة The reference prices وهو اصطلاح أطلق على سعر النفط الذي يقع بين السعرين السابقين.

٤ ــ أسعار الكلفة الضريبية (The tax-paid cost prices) وهي الأسعار التي تضمن الكلفة المحققة، مضافاً إليها عائد الذي تتسلمه الدولة من الشركات المنتجة، زائد الضريبة المتحققة التي تدفعها الشركات الى الدولة.

٥ ــ الأسعار الآنية (the spot prices)
وهي نوع من الأسعار الجديدة نسبياً، حيث ظهرت عام ١٩٧٨م بعض الدول التي تحتاج الى النفط بسبب حاجتها الفورية أو انتهاء عقودها مع الدول المصدرة لها، فتعمد الى شراء النفط من السوق مباشرة و بالسعر الآني الذي يُتفق عليه مع الشركات العارضة لنفطها، أو من بعض الدول الأخرى.

و رغم أنّ سعر النفط يجب أن يحدد وفق مصالح الدول المنتجة نفسها، وهي التي يجب أن تتصرف بوضع أسعارها بما يتفق ومشاريع

وفي ٢٦ آذار ١٩٧٩م عقدت منظمة الأوبيك مؤتمراً لها لتخرج بقرار تصحيح الأسعار بنسبة ٨/٧٪ وذلك لجعل سعر البرميل القياس (١٤/٥٤٦) دولاراً بحيث يحق لكل قطر إضافة ما يريد حسب ما يراه مناسباً كعلاوة لسعر السوق... إلاّ ان سعر النفط في السوق الفورية ارتفع وبشكل كبير ليتراوح بين (٣٠ ــ ٣٥) دولاراً. وقد وصل سعر البرميل للنفط الخفيف أحياناً الى (٤٠) دولاراً مما دفع المنظمة الى عقد اجتماع في ٢٦ حزيران ١٩٧٩م للنظر في التطورات الجارية. وخلال هذا الاجتماع انقسم الأعضاء الى قسمين:

القسم الأول كان يرتأي زيادة متوسطة بحيث لا يتعدى السعر (١٨) دولاراً للبرميل الواحد من النفط الخام. أما القسم الثاني فكان يقول بضرورة زيادة السعر الى (٢٠ ــ ٢١) دولاراً وفشل المؤتمر في إيجاد صيغة متفق عليها، الاّ انه أصدر قراراً يقضي بالسماح للدول الأعضاء أن تضيف دولارين على سعر البرميل الذي جُعِلَ سعره الأساس (١٨) دولاراً على أن لا يتجاوز السعر العام عن (٢٣/٥٠) دولاراً حتى بالنسبة للنفط الخام الخفيف والجيد النوعية... غير أن بعض الدول الأعضاء بدأت برفع أسعار نفطها بصورة فردية بحيث وصل السعر الى (٢٤ ــ ٣٠) دولاراً، مما دعا المنظمة الى الاجتماع في نهاية عام ١٩٧٩م. ومع ذلك بقي نفس الإنقسام بالمنظمة مما دعا المؤتمرين الى اتخاذ قرار للإجتماع ثانية في آذار ١٩٨٠م.

وخلال هذه الفترة ظهر كثير من السلبيات والتطورات في السياسة الدولية وبالأخص فيما يتعلق بسوق النفط، حيث تدهور وضع الدولار، وازداد التضخم في العالم، واتبعت سياسة جديدة في التخزين النفطي، ولجأت الشركات الكبرى الى بيع النفط في السوق الفورية، فارتفع بذلك سعر النفط ثانية ليبلغ (٣٤/٧٢) دولاراً للبرميل الواحد كما فعلت ليبيا خلال عام ١٩٨٠م مع بقاء الحد الأدنى للسعر وهو (٢٤) دولاراً.

والذي يلاحظ الاجتماعات الدورية والاستثنائية للدول المصدرة للنفط يرى أنها لا تخرج عن مناقشة السعر الأساس لقيمة البرميل والوصول الى حالة من الاستقرار في مجال الانتاج النفطي بتوزيع حصص للمنتجين، وكذلك الاستقرار في مجال السعر الثابت للنفط.

وخلال الأعوام الأربعة (١٩٨١م - ١٩٨٤م) لم تكن هناك صيغة ثابتة للوصول الى هذا الاستقرار وذلك بسبب العوامل الخارجية التي كانت تتلاعب بالمنظمة والتأثيرات التي كان يخضع لها الأعضاء، وبالتالي فان تعمد بعض الأعضاء لانتاج النفط بصورة أكثر من الحد اللازم وبدون أي ضوابط ومقاييس جعل السوق العالمية تتخم بالفائض بالرغم من انخفاض صادرات العراق النفطية مثلاً الى أقل من ٢٧٪ عما كانت عليه خلال عام ١٩٨٠ وكذلك بالنسبة للجمهورية الاسلامية التي اخذت تنتج النفط بعد الثورة الاسلامية بموجب حاجتها وبما يتفق والمصلحة الاسلامية والاقتصادية المطلوبة.

وفي اجتماع الأوبيك في ٢١ كانون الأول عام ١٩٨٤م كانت المنظمة في وضع احرج معه على اتخاذ بعض القرارات. وأخيراً توصل المؤتمرون الى اتفاق يقضي بتثبيت الأسعار بمستوى (٢٩) دولاراً للبرميل مع الحفاظ على سقف الانتاج النفطي الى (١٦) مليون برميل يومياً. ولكن كيف يمكن لهذا السعر أن يتناسب مع نسب التضخم العالمي الحالي اذا أخذنا بنظر الأعتبار المستهلك الأول للنفط وهو الدول الصناعية؟

لقد تطرق وزير النفط في الجمهورية الاسلامية في ايران خلال ذلك الاجتماع الى ضرورة التزام دول المنظمة [illegible] وعدم خرقها [illegible]، وعدم التخفيض الكيفي من قبل الأعضاء، مؤكداً على ان عدم التزام الدول الأعضاء بالسقف المتفق عليه للنفط سيؤدي الى زيادة العرض وبالتالي الى انخفاض السعر المتفق عليه وهو (٢٩) دولاراً.

[illegible] (٦) [illegible] على [illegible] في [illegible] الأوبك. [illegible] من [illegible].

واليوم تعيش المنظمة أحلك الظروف وأشد الأزمات [illegible] لا تستطيع مؤتمراتها التي تعقدها بين فترة وأخرى أن تخرج من أزمتها الحالية [illegible] على [illegible] المحافظة على السعر [illegible]...

وجدير بالذكر ان وزير النفط الايراني [illegible] الأوبك في [illegible] الجمهورية الاسلامية في ايران لا تقبل بأي زيادة في انتاج النفط [illegible] في الأسعار ●

الهوامش

١ ــ «الأزمة العالمية في البترول» ــ «تأليف [illegible]»، ترجمة «[illegible]»

٢ ــ تعرف هذه الشركة [illegible] «[illegible]» Esso . Exxon

٣ ــ وهذه الشركات هي.

شركة «ستاندارد أو يل نيوجرسي».	Exxon
شركة «ستاندارد أو يل كاليفورنيا».	Socal
شركة «تكساكو».	Texaco
شركة «موبيل أو يل» Mobil أو سوكوني	Socony
شركة «نفط الخليج»	Gulf oil
شركة «[illegible]»	British petroleum
شركة رو يال دتش وشل»	Roual Dutch and Shell

٤ ــ وزير النفط في الجمهورية الاسلامية في ايران [illegible]

أدب الدعاء والعرفان

الدكتور النحو

المقدمة:

لكل شيء في الاسلام أدب خاص به، فهناك أدب للسلام وأدب للكلام، وأدب للصلاة وأدب للصيام، وأدب للطعام وأدب للمنام، وما الى ذلك من آداب وأحكام. ولايكاد يمرّ على الانسان المسلم موقف من المواقف أو مشهد من المشاهد في الأربع والعشرين ساعة من برنامجه اليومي إلاّ وهناك أدب يقتضيه مراعاته وسلوك يلزمه اتّباعه. فهو باختصار أدب الدنيا والدين، وأدب الحياة جميعها، حضراً وسفراً، ليلاً ونهاراً، فرداً وجماعةً، سلماً وحرباً، روحاً وجسداً، علماً وعملاً، دنياً وأخرىً.

ومن أروع ما يمتاز به الإسلام ا
الأدب الجمّ، والسلوك الرفيع، والخلُق
والسير البديع. فلقد ورد عن نبي ا
محمد (ص) قوله: «**أدّبني ربّي فأحسنَ**
وفي صفة القرآن: «**إنَّ هذا القُرآنَ مأدُبة ا**
ولقد كان رسول الله (ص) مضرب
الأخلاق الفاضلة والآداب العالية، وكَ
أسوة حسنة لجميع المسلمين، أمروا باتّبا
الحميدة، وسنته الرشيدة التي تعـ
وتدعو الى الحياة: «**يا أيُّها الّذينَ آمنوا آسْ
وللرّسولِ إذا دَعاكُمْ لِمَا يُحْييكُمْ...**»[٣]، و
آتاكُمُ الرّسولُ فَخُذوهُ ومانَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهو
ولكونه أنموذجاً أعلى للانسان الكامل

العظيم، فقد أثنى عليه القرآن الكريم: **«وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيم»**[5]، وجعله أسوة حسنة في العالمين: **«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...»**[6].

ومن أجمل ما ورد عن النبي (ص) وأهل بيته الكرام (ع) هو أدب الدعاء والمناجاة، وأدب التضرع والتوسل الى الله تعالى، إضافةً الى العبادات الواجبة والفرائض الواردة. وقد خلّفوا تراثاً زاخراً وأثراً رائعاً في هذا المضمار، وفتحوا أبواباً للدعاء والعرفان يفتح منها ألف باب، وهكذا من كلّ باب ألف باب، وهلمّ جرّاً، تربية للسالكين والعارفين، ورفداً للواردين والوافدين.

ونحن هنا نعرض لأدب الدُّعاء من وجهة نظر عرفانية، أو قُلْ نعرض للعرفان من وجهة أدب الدُّعاء؛ لأنّ أبواب العرفان لا تُحصى وطرق المعرفة لا تُعدّ، غير أنّ تلكم الأدعية والمناجاة، والأذكار والتسبيحات، قد جمعت في كتب خاصة عرفت بكتب «الدعاء» إضافة الى ورودها متفرقة في كتب الحديث والسير، والتاريخ والعبر، والحِكم والأمثال، والفلسفة والكلام، واللغة والأدب، كشواهد وشوارد.

وإنّ أغلب العارفين والمعنيين لايكادون يتوجهون الى دراسة هذه الأدعية والنصوص العرفانية من وجهة نظر أدبية فلسفية بل ولا حتى من وجهة نظر معرفية عامة إلاّ القليل منهم، أمثال «الملاّ صدرا الشيرازي المعروف بصدر المتألّهين» في شرحه لكتاب «الكافي» للكليني، وهو الذي بلور نظرية الحركة الجوهرية، واعتبر جميع المخلوقات تسير سيراً تكاملياً نحو الكمال المطلق تكوينياً. والدعاء حركة فطرية نحو المد
بالنسبة للانسان سلوك خاص به ذاته المخلو
التوحيد الذي أعطي الخيار والاختيار في الطا
والعبادة. وقد انتهى الأعم الأغلب من الدُّعاء
ـ مع الأسف ـ الجانب العبادي من الأدعية
وقراءتها في أوقاتها المخصصة نيلاً للثواب،
خوفاً من العقاب. وتناسوا أنّ لله عبادة التجـ
و ـــــــــ كما ورد عن الإمام علي (ع)
لا عبادة الأحرار **«بل وجدتك أهلاً للعبا**
فعبدتك»[7]. وفي هذا الصدد يقول العلا
الطباطبائي موضحاً معنى العارف والعرفا
«والعارف هو الذي يعبد الله سبحانه عن حُ
وإخلاص، لا عن أمل وثواب، ولا عن خوف وعذا
ومن هنا يتضح أنّ العرفان ليس مذهباً في ق
المذاهب الأخرى، بل العرفان طريق من طرق العبا
(عبادة للحبّ والإخلاص، لا الخوف والرّجاء)[8].

وفي هذه الدراسة المتواضعة نهدف الى لـ
الأنظار الى لون جديد من الأدب الإلهي
«الأدبيات» نطلق عليه اسم «أدب الدعـ
والعرفان» لعلّ الدارسين قليلاً أن يتوجهوا ا
دراسته بعمق وتركيز وتحليل وتمحيص
لاستكناه أبعاده المعنوية وأساليبه التعبير
حين التعرض الى أنواع الأدب وأقسامـ
ولا يكتفوا بدراسة الشعر وأنواعه، ودراسة ا
وأقسامه، دون أن يمرّوا على هذا اللون مـ
الأدب الرفيع: «أدب الدعاء والعرفان»
الأدب الخصب في ألفاظه ومعانيه، والأد
النثر في أسجاعه ومبانيه، والأدب المعجز
مراميه ومعانيه، وليتذوقوا حلاوة «التجار

الدعائية» و«النفحات المعرفية» و يسبحوا في فضائها الرحب، و ينهلوا من أسلوبها العذب.

وإنَّ هذا اللون من الأدب البكر، من خير ما يميز الآداب الاسلامية، ومن أحسن أدبيات الاسلام، وقد وردت شذرات منه في القرآن الكريم ونهج البلاغة، كما وردت قطعات منه في الأديان السماوية الأخرى على لسان الأنبياء والمرسلين التي عرفت بأسمائهم والنسبة اليهم، كما أنَّ هذا الأدب يمثل الذروة العالية والقمة الصاعدة من التجارب الروحانية والسبحات الإلهية التي سنحت للإمام زين العابدين (ع) في الصحيفة الكاملة المعروفة بالصحيفة السجادية ــ زبور آل محمد ــ ومناجاته الخمس عشرة[9]، ودعاء أبي حمزة الثمالي، وكذلك عند جده الإمام علي (ع) في مثل دعاء «كميل» ودعاء «الصباح» وأمثالها، وعند أبيه الحسين (ع) في مثل دعاء «عرفة» والى أمثال تلكم الأدعية الغنية التي تزخر بها مدرسة أهل البيت (ع). وقد أشار الى خطورة هذا اللون من الأدب في توجيه الأمة وعلاج مشكلاتها النفسية والخارجية، الشهيد الصدر ــ قدس سره ــ في مقدمة الصحيفة، قائلاً: **«وقد أحسَّ الإمام علي بن الحسين بهذا الخطر وبدأ بعلاجه، واتخذ من الدعاء أساساً لهذا العلاج. وكانت الصحيفة السجادية التي بين يديك من نتائج ذلك. فقد استطاع هذا الإمام العظيم بما أوتي من بلاغة فريدة، وقدرة فائقة على أساليب التعبير العربي، وذهنية ربانية تتفتق عن أروع المعاني وأدقها في تصوير صلة الانسان بربه ووجده بخالقه، وتعلقه بمبدئه ومعاده، وتجسيد مايعبّر عنه ذلك من قيم خُلقية وحقوق وواجبات. أقول قد استطاع الإمام علي بن الحسين ع بما أوتي من هذه المواهب أن ينشر من خلال الدعاء جو روحياً في المجتمع الاسلامي، يساهم في تثبيت الانسان المسلم عندما تعصف به المغريات، وشده الى ربه حين تجره الأرض إليها وتأكيد مانشأ عليه من قيم روحية لكي يظل أميناً عليها في عصر الغنى والثروة كما كان أميناً عليها وهو يشد حجر المجاعة على بطنه.**

وقد جاء في سيرة الإمام أنه كان يخطب الناس و كل جمعة و يعظهم و يزهدهم في الدنيا، و يرغّبهم و أعمال الآخرة، و يقرع اسماعهم بتلك «القطع العبـ من ألوان الدعاء والحمد والثناء التي تمثل «العبود المخلصة لله» سبحانه وحده لاشريك له»[10].

وخلاصة القول في «أدب الدعـ والعرفان» ــ كما مرَّ ــ هو أدب الدنيا والدين.

• • •

وقبل العرض الى نماذج مختارة من هـ الأدب، وتسجيل فقرات مباركة منه، لابدَّ م تحليل هذا المصطلح الذي هو متكون من ثلا كلمات: «أدب ودعاء وعرفان» ومن مجموع تتكون الدلالة العامة. فما معنى كلّ منها إذن؟

١ ــ كلمة «أدب»

إنَّ كلمة «أدب» في اللغة بمعنى الدعوة ا الطعام، وقد وردت في ذلك شواهد كثيرة كتب اللغة والأدب، ولسنا نرى الحاجة تكرارها هنا[11]. و بالدرجة الأولى تنصرف دلالتها اللغوية الى الغذاء المادي والدعوة اليه ومنه «مأدبة الطعام» ــ بفتح الدال وضمها. غير أنها كأغلب المفردات في العربية انتقلـ

مجازاً من الدلالة المادية الى المعنوية، ومن الدعوة الى الغذاء الجسدي الى الغذاء الروحي، والتأدب بالأدب الفكري والشعوري، و يقسم هذا الأخير «الأدب الاصطلاحي» أساساً الى «أدب النفس» و «أدب الدرس»[12]. وقد اجتمعا في عطاء القرآن الكريم والحديث الشريف، والمأثور من الخطب والأدعية الواردة عن أهل البيت(ع)، لأن فيها كل أنواع الغذاء الروحي والمعرفي، وفيها ما يغني أدب الدرس وأدب النفس، وفيها إثراء للعقل والقلب، والحسّ والشعور، وكل ما ينفع الانسان ديناً ودنياً، وكما وردت في القرآن الكريم آيات بينات تنحو منحى الدعاء على لسان الأنبياء والمرسلين والمؤمنين من عباد الله الصالحين. وقد أمر الله سبحانه وتعالى العباد بالدعاء بقوله: «ادْعُوني أسْتجِبْ لَكُمْ»[13]. فما معنى الدعاء؟

٢ ــ كلمة «دعاء»:

إنّ كلمة «دُعاء» تعني لغةً «النداء» ومنه قولهم: «دعوتُ فُلاناً: ناديتُهُ وهو داعٍ»[14]. وقد تطورت الى المعنى الاصطلاحي الذي هو «دُعاء الربّ» خاصةً ومناجاته، والكلام معه بأسلوب مأثور، أو مايشبهه ويحاكيه من كلام المرء نفسه مع ربه، والتوسل والتضرع إليه، لقضاء الحوائج وكشف الهموم، وجلب النفع ودفع الضرر، ومنه قولهم: «دعوتُ الله له وعليه أدعوه دُعاءً»[15]، وقد ورد في القرآن الكريم: «وَإذا سألَكَ عِبادي عَنّي فإنّي قَريبٌ أُجيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إذا دَعانِ فَلْيَسْتَجيبوا لي وَلْيُؤْمِنُوا بي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدونَ»[16].

والهدف الأسمى في الدعاء كما تشير اليه الآية الكريمة هو الرشاد والهدى، والرشد والعلم والدعاء منطقياً يقتضي ثلاثة أطراف «داعياً» و«مدعوّاً» و«كلاماً» يربط بينهما وقد ورد عن الإمام علي(ع) ما مضمونه: إذا أردت أن أتكلم مع الله دعوتُ وصلّيتُ، وإذا أردت ربّي أن يتكلم معي: قرأتُ القرآنَ[17].

ولا توجد مدرسة في الدعاء كمدرسة أهل البيت(ع) غنىً وثراءاً، لا من حيث الكيف فحسب، بل كمّاً وكيفاً، و يكفي الرجوع الى ما ذكرت سابقاً من دعاء كميل والصباح، وأبي حمزة الثمالي، والصحيفة الكاملة ومناجاة العارفين، والذاكرين، والمحبين، وما اليها من الأدعية والمناجاة ليتبيّن صحة ما نذهب إليه، ففيها من الأدب والعرفان ما لا تقوى على الاشارة الى مضامينها العالية ــ دعك دراستها ــ مثل هذه العجالة، فلكل مقام مقال، ولكل طريق رجال، ولكل سلوك سالكون، ولكل عرفان عارفون، جعلنا الله ممن يعي مضامين تلك الأدعية والمناجاة، والشّحات والتوسلات «وإنَّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوْعاها»[18] وآنسها العارفون. فما هو؟

٣ ــ كلمة «عرفان»:

إنّ هذه الكلمة مصدر «لعَرَفَ» ومثلها المعرفة، و«التعريف والعارف بمعنى كالعليم والعالم»[19] ويأتي التعريف بمعاني أربعة الإعلام، وإنشاد الضالة، والتطييب من العَرْف ــ ومنه قوله تعالى: «... عَرَّفَها لَهُمْ»

أي طيبها ــ والوقوف بمعرفات[٢١]. وفي المعنى الاصطلاحي: علم من العلوم الإلهية وموضوعه معرفة الحق وأسمائه وصفاته[٢٢]. وقد شرحه العلامة الطباطبائي بقوله: طريق معرفة النفس التي أرشد اليه الكتاب والسنة، وهو «الطريق الذي لابدّ لسالكه أن ينسى كل شيء سوى الله تعالى... الطريق الرئيس الذي ينتهي به الى الهداية الواقعية والكاملة»[٢٣]. وقال عن جاذبية العرفان أيضاً هي «التي تسلك بالمؤمن الى العالم العلوي وتقرّ في قلبه عظمة الله وجلاله... وفي الحقيقة أن هذه الجاذبية الباطنية هي التي قد أوجدت في عالم الانسان سبيل عبادة الله تعالى»[٢٤].

وهنالك سبل الى العرفان والمعرفة كثيرة، والطرق الى الخالق ــ كما قيل ــ بعدد أنفاس الخلائق، ومن أهمها وأقربها معرفة النفس، إذ ورد عن النبي الكريم (ص): «من عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ ربَّهُ»[٢٥] و «أعْرَفُكُمْ بِنَفْسِهِ أعْرَفُكُمْ بِرَبِّهِ»[٢٦]، وهنا تلتقي الفلسفة والدين، و يلتقي الفلاسفة والعرفاء، حيث كتب على مدخل أكاديمية افلاطون: «إعْرِفْ نَفْسَكَ».

ونخلص من كل ذلك الى أنَّ موضوع الدعاء هو موضوع العرفان بأدب مأثور، وطرقه هي «مسارب النور» التي تعود الى: «...نُورُ السَّماواتِ وَالأرضِ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فيها مِصْباحٌ، المِصْباحُ في زُجاجَةٍ، الزُّجاجَةُ كأنَّها كَوْكَبٌ دُرّيٌّ، يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتونَةٍ، لاشَرْقِيَّةٍ ولاغَرْبِيَّةٍ، يَكادُ زَيْتُها يُضيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ على نُورٍ يَهْدي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ...»[٢٧]. وهذه الهداية منبعها الدعاء وفيضها الكمال وغايتها الوصال، والموضوع كما ذكرنا ــ يقتضي «داعياً» و «مدعـ[...]» «دُعاءاً» يجب توفر الشروط وتوافرها في الـ[...] حتى يستجاب[٢٨]. فما هي صفة الداعي و[...] المدعو، وصفة الدعاء؟

١ ــ صفة الداعي:

إنَّ الداعي هو العبد الذي يؤمن في [...] نفسه بأنَّ له ربّاً يسمع و يرى وهو قادر على [...] شيء، وهو مصدر للفيض والكمال، و[...] المربوب بفطرته وجوهره حركة دائبة تدعوه [...] ربه وقربه والسير نحوه بكل الطرق والسـ[...] ومن أحبها سبيل الدعاء، إذْ ورد في الحد[يث] الشريف: «أفضلُ العبادةِ الدُّعاء»[٢٩] و «أ[...] الأعمالِ الى الله في الأرض الدُّعاء»[٣٠]، و «الد[عاء] سلاحُ المؤمنِ، وعمودُ الدينِ، ونورُ السما[وات] والأرض»[٣١].

فحين يقول العبد «ياربِّ» و يكرر[...] ــ كما ورد ــ وهو يعني مايقول فيأتي الجوا[ب] «لبَّيكَ»[٣٢]. ولانَّه مس الاستجابة، لأن بقو[له] «ياربِّ» فقد نادى ودعا ربّاً يسمع و ير[ى] وفيها اعتراف ضمني بأنه «مربوب». و الرب هو الذي «يَرُبُّهُ» و «يُرَبّيهِ»، وهو «[رب] العالمين» وقيُّوم السماوات والأرضين، و [كل] شيء قائم به ومحتاج إليه، بل عين الاحتيا[ج] صفته، وعين الفاقة والفقر لا صفتها، والله الغني والحمد: «يا أيُّها النّاسُ أنتُمُ الفُقَراءُ إ[لى الله] واللهُ هو الغَنيُّ الحَميدُ»[٣٣]. ولايعجزه شيء [...] وليس بخيلاً حتى يبخل على عبده، بل هو [كما] ذكرنا مصدر الفيض والكمال، وكل المخلو[قات]

والممكنات سائرة سيراً جوهرياً نحوه، ومن أشرفها الانسان ــ على قاعدة الأشرف والأحسن ــ وهو يتقرب الى الله بالدعاء والنوافل اختياراً وحباً، ورغبةً وطاعةً، إضافةً الى سيره التكويني نحو الكمال. وقد ورد ما مضمونه: ومازال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أكون لسانه الذي ينطق به وعينه التي يُبصر بها وأذنه التي يسمع بها و يده التي يبطش بها. وكذلك الحديث القدسي: عبدي أطعني تكنْ مثْلي ــ أو مَثلي ــ تقولُ للشيء كُنْ فيكون. كل ذلك بواسطة وعيه العرفاني وعبادته المعرفية التي هي سر الخلق من قبل الحق: «**وما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إلاّ لِيَعْبُدون**»[٣٦] ــ أي ليعرفون[٣٧]. وكم سمعنا ورأينا آثاراً للدعاء عجيبة، وكم حصلت بواسطته المعجزات، وانتصر الاسلام والمسلمون. ولكن بشرطه وشروطه، ومن أهمها خلوص نية الداعي ودرجة عرفانه.

صفة المدعو:

المدعو الحقيقي في كل دعاء هو «الله» تعالى وهو حاضر على كل شيء وفي كل شيء ومع كل شيء «**... ونَحْنُ أقْرَبُ إليهِ مِنْ حَبْلِ الوَريدِ**»[٣٨] وهو فعال لما يريد، وهو العلي الحميد والعلي القدير، والحي القيوم، وكما نعت نفسه في القرآن الكريم بصفاته العُليا وأسمائه الحسنى التي جاءت غالباً بعد كلمة «الله» التي وردت أكثر من ألفين وسبعمائة مرة في القرآن الكريم، وقد ذكرت هذه الصفات والأسماء إضافةً للقرآن الكريم في كتب الحديث والدعاء، وقد ورد بأنها «توقيفية»[٣٦] وجاء في بعض الروايات عددها تسعة وتسعون اسماً. وكلمة «الله» اسم جامع ومستجمع لجميع صفات الذات المقدسة[٣٧] وقد عرّف نفسه سبحانه وتعالى ووصفها بأحسن وصف وأتمه في سورة الإخلاص ــ التوحيد ــ: «بسم الله الرحمن الرحيم، **قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ • اللهُ الصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحَدٌ**»[٣٩]، وباختصار: «**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**»[٤٠]. لأن وجود ما سواه ممكن ومحتاج إليه، وهو «واجب الوجود» بمعنى كل معنى الكلمة، وحسبه أن يأمر عبده بالسؤال ويمنع العطية، ويمنن ذلك من فضله. وقد يؤخر الاستجابة لمصلحة وحكمة قد غابت عن أذهان الداعين، أو لنقص في الداعي أو الدعاء. وكما ورد: «**ولعلّ الذي أبطأ عني هو خيرٌ لي لعلمك بعاقبة الأمور**»[٤١] وهو الحكيم الخبير.

٣ ــ صفة الدعاء، ومختارات منه:

بعد أن تعرفت باختصار على صفة «الداعي» وصفة «المدعو» أصبح الأمر واضحاً بالنسبة لصفة «الدعاء»، فلابُدّ أن تكون صفته «الخلوص» وفلسفته «عبادية» ووظيفته «صلاة وصلات» بين الرب والمربوب وبين الحبيب والمحبوب، ولابُدّ أن يكون الدعاء لائقاً بصفة «المدعو» وهو الله تبارك وتعالى ــ تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه ــ ولابُدّ للعبد أن يحسن مخاطبة معبوده ومعشوقه أن يعرف مراد معشوقه، وأن يُفني ذاته في ذاته، ورضاه في مرضاته. وكلما كان العبد على درجة رفيعة من الكمال كلما كان دعاؤه

خالصاً ومخلصاً. وإنّ أرق أنواع الدعاء ماجاء على لسان الأنبياء والأولياء في القرآن الكريم، من مثل: «وأيُّوبَ إذْ نادى رَبَّهُ: أَنّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأنتَ أرْحَمُ الرّاحِمينَ * فاستجبنا لَهُ فَكَشَفنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ وآتَيْناهُ أهْلَهُ ومِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَذِكرى لِلْعابِدينَ» [٢٢] و «وَذَا النُّونِ إذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ، فنادى في الظُّلُماتِ أنْ لا إله إلاّ أنتَ سُبْحانَكَ إنّي كُنتُ مِنَ الظّالِمينَ * فاسْتَجَبْنا لَهُ ونَجّيناهُ مِنَ الغَمِّ وَكذلِكَ نُنجي المُؤمِنينَ» [٢٣] و «وَزَكرِيّا إذْ نادى رَبَّهُ: رَبِّ لا تَذَرْني فَرْداً وأنتَ خَيْرُ الوارِثينَ * فاستَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنا لَهُ يَحيى وأصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ إنَّهُمْ كانُوا يُسارِعونَ في الخَيْراتِ ويَدْعونَنا رَغَباً وَرَهَباً وكانُوا لَنا خاشِعينَ» [٢٤].

في هذه الآيات الثلاث اعتراف بالفقر والحاجة من قبل عباد الله الصالحين الذين اصطفاهم أنبياء ورسلاً لسائر عباده ليعلّموهم تكاليفهم وواجباتهم تجاه ربّ العالمين، وكيفية العبادة والدعاء وآدابها فأيوب قال: «أنّي مسّني الضرّ» وذو النون قال: «إنّي كنتُ من الظالمين» وزكريا قال: «ربِّ لا تذرني فرداً». وبعد هذا الاعتراف «بالضر» و«الظلم» و «الفردية» نجد الاستجابة قد تحققت من «كاشف الضر» و من «رافع الظُلم» و من «مؤنس الفرد» إذ قال تعالى بعد سماعه الدعاء ـ وهو السميع العليم ـ: «فاستجبنا له فكشفنا مابه» و «فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ» و «فاستجبنا له ووهبنا له يحيى». وهكذا بلغ كل من الأنبياء الثلاثة المذكورين مراده، حين أخلص في الدعاء، واستشعر الفقر والاحتياج الى الغني الحميد.

وإنّ دعاء النبي محمد (ص) وأهل بـ
الطاهرين (ع) تَبَعٌ للقرآن الكريم وصدى لـ
المدرسة الربانية والنفحات الرحمانية، ولـ
ضيق المقام لأطلنا في وصف أدعيتهم و
قطعاً مختارة منها بأسلوب يكشف عن سر
وغزارة آدابها، غير أننا نكتفي بالاشارة الى بعـ
نصوصها ونترك للقارىء الكريم التأمل
والسبح في أجوائها، فدونك هذه القط
الاستهلالية من دعاء أبي حمزة الثمالي الشهير:

«إلهي لا تُؤدِّبني بعقوبتِكَ، ولا تَمكُرْ بي في حيلتـ
مِنْ أينَ لي الخيرُ ولا يُوجَدُ إلاّ من عندِكَ، ومن أين
النجاةُ ولا تُستطاع إلاّ بكَ، ياربِّ ياربِّ ياربِّ:
عرفتُكَ، وأنت دللتني عليك، ودعوتني إليك، و
أنتَ لم أدرِ ما أنت...» [٢٥].

وبعد هذه القطعة العرفانية الرائعة التي
يعرف عطاءها إلاّ من عاش في أكنافها وتد
أجواءها وتحسس نفحاتها، ولاسيما وأن و
«السحر» من شهر رمضان المبارك
العبادة والدعاء، نعبر الى قطعة أخرى من
الليل والنهار، وهي قطعة الصباح المشرق بعد
الرب الجليل، والتي جاءت على لسان أمير المؤ
ـ عليه السلام: ـ «اللهمَّ يا من دلعَ لسانَ الصـ
بنطقِ تبلّجِه، وسرّحَ قطعَ الليلِ المظلم بغيا
تلجلجِه، وأتقنَ صنعَ الفلكِ الدوّارِ في مقاديرِ تبرّ
وشعشعَ ضياءَ الشمسِ بنورِ تأجّجِه، يامن دلَّ على
بذاتِه، وتنزّهَ عن مجانسةِ مخلوقاتِه، وجلَّ عن
كيفيّاتِه يامن قرُبَ من خطراتِ الظنونِ، وبَعُدَ
لحظاتِ العيونِ، وعلِمَ بما كان قبل أن يكون،
أرقدني في مهادِ أمنِه وأمانِه، وأيقظني إلى ما منحـ

من منّه واحسانه، وكفّ اكفّ السوء بيده وسلطانه...»[42].

وهي قطعة فلسفية عرفانية يتجلى فيها التوحيد العَلَويّ العالي، والحكمة المتعالية العالية.

وإذا ما جئنا الى دعاء «كُمَيْل» المعروف بدعاء الخِضْر، والمروي عن الإمام علي (ع) على لسان «كميل أسراره» وصاحب أنواره، فحدث ولاحرج من حيث العطاء والثناء، إذْ أضحى ظاهرة عرفانية وتظاهرة جماهيرية في ايران الاسلام، يقرأ بشكل جمعي وبلحن شجيّ جميل، لايعرف معناه ومبناه إلاّ من عاش هذه التجربة «الدُّعائية» وهذه قطعة منه استهلالية أيضاً: «اللهمّ إنّي أسألكَ برحمتك التي وسعت كلّ شيء، وبقوتكَ التي قهرتَ بها كلّ شيء، وخضع لها كلُّ شيء، وذلّ لها كلُّ شيء، وبجبروتك التي غلبتَ بها كلَّ شيء، وبعزتكَ التي لايقومُ لها شيء، وبعظمتك التي ملأتْ كلَّ شيء، وبسلطانكَ الذي علا كلَّ شيء، وبوجهكَ الباقي بعد فناءِ كلِّ شيء، وبأسمائكَ التي ملأتْ أركانَ كلِّ شيء، وبعلمكَ الذي أحاط بكلِّ شيء، وبنور وجهكَ الذي أضاءَ له كلُّ شيء، يانور ياقدّوس، يا أوّل الأولين، و ياآخرالآخرين. اللهمّ اغفرلي الذنوبَ التي تهتك العِصم، اللهمّ اغفرلي الذنوب التي تنزل النقم، اللهم اغفرلي الذنوب التي تغيّر النِعَم. اللهمّ اغفرلي الذنوبَ التي تحبس «الدعاء»، اللهمّ اغفرلي الذنوب التي تُنزل البلاء...» . و يُقرأ ليلة الجمعة وبالنصف من شهر شعبان المعظم، ومن المناجاة الشعبانية الواردة عنه ـ عليه السلام ـ أيضاً، وفيها تتجلى أسرار العرفان وروعة البيان: «اللهمّ صلّ على محمدٍ وآل محمد، واسمع دُعائي إذا دعوتُك، واسمع ندائي إذا ناديتُك، وأقبلْ عليَّ إذا ناجيتُك، فقد هربتُ إليك، ووقفتُ بين يديكَ مستكيناً لك، متضرّعاً إليكَ... إلهي هب لي كمالَ الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصار القلوب حُجُبَ النُّور، فتصل الى معدن العظمة، وتصير أرواحُنا معلّقةً بعزّ قدسك...»[48]

وأخيراً الى قطعة من مناجاة «العارفين» المروية عن الإمام زين العابدين (ع) وتكون خاتمة مسك الختام. هذا الأدب المعجز في الكلام: «إلهي قَصُرَتْ الألسُنُ عن بُلوغ ثنائكَ كما يليقُ بجلالك، وعجزتْ العقول عن إدراك كُنهِ جمالكَ، وانحسرت الأبصارُ دونَ النظر الى سُبُحاتِ وجهكَ، ولم تجعلْ للخلق طريقاً الى معرفتكَ إلاّ بالعَجْز عن معرفتكَ، إلهي فاجعلنا من الذينَ ترسّخت أشجارُ الشوقِ إليكَ في حدائق صُدورهم، وأخذتْ لوعةُ محبتكَ بمجامع قلوبهم، فهُمْ الى أوكار الأفكار يأوون، وفي رياض القُرب والمكاشفةِ يرتعون، ومن حياض المحبّةِ بكأس الملاطفة يكرعون، وشرايع المُصافاة يَرِدون...»[49].

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ●

الهوامش:

١ ـ حديث مشهور تذكره كتب السير والأدب.

٢ ـ عن ابن مسعود [illegible]، «[illegible]» كلمة «[illegible]».

٣ ـ سورة [illegible]، الآية ٢٤

٤ ـ سورة [illegible]، الآية ٧

٥ ـ سورة [illegible]، الآية ٤

٦ ــ سورة الأعراف، الآية: ٢١.

٧ ــ حديث مشهور متواتر.

٨ ــ العلامة الطباطبائي، «الشيعة في الاسلام»، ص ٩٣ (ترجمة الاستاذ جعفر بهاء الدين) ط. طهران (مؤسسة البعثة).

٩ ــ روى هذه المناجاة صاحب البحار ونقلها عنه صاحب «مفاتيح الجنان» ص ٢١٧ ــ ٢٣٧ (ط. طهران ــ ١٣٨٣ هـ ــ افست علمي بخط مصباح زاده ــ كما نقل أغلب الأدعية المشار اليها وغيرها من المظان.

١٠ ــ من مقدمته ــ قدس سرّه ــ للصحيفة السجادية، ط. طهران ــ مؤسسة البعثة.

١١ ــ فصلنا الحديث عنها بشكل مقارن في الموضوع المسلسل: «دراسة مقارنة في المصطلحات الاسلامية»، كلمة «أدب».

١٢ ــ ينظر «فرهنك علوم عقلي»، ص ٣٩، لمؤلفه دكتر سجادي (ط. طهران ــ ١٣٦١).

١٣ ــ سورة المؤمن، الآية: ٦٠.

١٤ ــ المطرّزي «المعرّب في ترتيب المعرّب» ص ١٦٤ (ط. دار الكتاب العربي ــ بيروت).

١٥ ــ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٠٦ (ط. دار القلم ــ بيروت).

١٦ ــ سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

١٧ ــ تنظر مقالتنا في مجلة Echo of Islam كلمة التحرير، العدد (١) السنة ١٩٨٣ م.

١٨ ــ تنظر مقالتنا: الوعي الاسلامي سبيل التوحيد والوحدة الشاملة، ص (نشر الملتقى) ١٨.

١٩ ــ الرازي، مختار الصحاح، ص ٤٢٦ ــ ٤٢٧ (ط. دار القلم ــ بيروت).

٢٠ ــ سورة محمد، الآية. ٦.

٢١ ــ انظر المصدر السابق، نفس الصفحات.

٢٢ ــ ينظر فرهنك علوم عقلي (معجم العلوم العقلية) ــ بالفارسية ــ ص ٣٥٦ (ط. طهران ــ ١٣٦١).

٢٣ ــ العلامة الطباطبائي، الشيعة في الاسلام، ص ٩٦ ــ ٩٧ (ط. طهران ــ مؤسسة البعثة).

٢٤ ــ نفس المصدر السابق.

٢٥ ــ نفس المصدر السابق.

٢٦ ــ نفس المصدر السابق.

٢٧ ــ سورة النور، الآية: ٣٥.

٢٨ ــ ينظر الكافي للكليني، كتاب الدعاء، ... الاستجابة.

٢٩ ــ منشورات دار التوحيد ــ الدعاء ... ص ٢١ ــ (ط. طهران ــ ١٤٠٠ هـ).

٣٠ ــ المصدر السابق ــ نفس الصفحة.

٣١ ــ المصدر السابق، ص ٢٠.

٣٢ ــ ينظر الكافي للكليني، كتاب الدعاء، ...

٣٣ ــ سورة فاطر، الآية. ١٥.

٣٤ ــ سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

٣٥ ــ أمالي الهادي، ص ١٠، (ط ... ١٩٧٥).

٣٦ ــ سورة ق، الآية ١٦.

٣٧ ــ الكافي للكليني، كتاب التوحيد، ص ... (ط. طهران ــ المؤسسة العالمية للخدمات الاسلامية)

٣٨ ــ تنظر مقالتنا «الوعي الاسلامي سبيل ... والوحدة الشاملة»

٣٩ ــ سورة التوحيد، الآيات ١ ــ ٤.

٤٠ ــ سورة الشورى، الآية: ١١

٤١ ــ من دعاء «الافتتاح» الشهير المروي عن الحجة ــ عليه السلام ــ وقد ورد ضمن مجموعة «مفاتيح الجنان» القيّمة، للقمي.

٤٢ ــ سورة الأنبياء، الآية: ٨٣ ــ ٨٤.

٤٣ ــ سورة الأنبياء، الآية: ٨٧ ــ ٨٨.

٤٤ ــ سورة الأنبياء، الآية: ٨٩ ــ ٩٠.

٤٥ ــ ينظر بشكل كامل في كتاب مفاتيح الجنان، ص ٣٣٤ (ط. طهران، افست ١٣٨٣ هـ).

٤٦ ــ من مقدمة دعاء الصباح المنقول في مفاتيح الجنان، ص ١٠٧ ــ ١٠٨، الطبعة السابقة.

٤٧ ــ من مجموعة مفاتيح الجنان للقمي، ص ١١٢ ــ ١١٣، الطبعة المشار إليها.

٤٨ ــ نفس المصدر السابق، ص ٢٨٣ ــ ٢٨٧.

٤٩ ــ نفس المصدر السابق، ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣.

حول مفهوم العمل

أحمد البحراني / أحمد

القسم الأول

العمل: حاجة أساسية وماسة، تتصل بطبيعة الحياة والانسان. فلولم يكن العمل والعامل لما قامت الحياة، ولما وجدت هذه الحضارات، وكلما اتسعت رقعة العمل في الحياة كلما ازداد النشاط وقوي العمل.

وبما ان الانسان جزء مكمّل لهذه الحياة، وطاقة فعالة بامكانها أن تسيّر دفة مدركات الحياة بما فيها من أصناف، فقد قام بواجبه باتخاذ العمل أفضل وسيلة لعيشه واعمار حياته.

وما أكثر أولئك الذين اتهموا الاسلام وألصقوا به من التهم والافتراءات ما لا يحصى ولا يعد، الى أن قال بعضهم وتساءل الآخرون... هل يوجد نظام اداري في الاسلام؟ وهل هناك قوانين وبرامج منظمة تحدد للعامل هدفه ومساره وتعمل مسيرته؟ وما الى ذلك، ظناً منهم ان كل هذه الأمور ليس لها واقع في الدين الاسلامي!

وما أكثر أولئك الذين تاجروا باسم العمل والعامل، وحملوا الشعارات البراقة دفاعاً عن العامل والعمال، الى أن قال بعضهم (العمل ملك العامل) و(الأرض ملك الفلاح) و(البحر ملك للسمّاك) وللعامل ما يشاء من الحقوق، وما الى ذلك. فضاع العامل، وضاع العمل في وسط هذه الدعايات، ومضى ذلك العامل ووقع فريسة وضحية للأنظمة المذكورة.

ونحن إذ نقدم لقارئنا العزيز هذه الدراسة الموضوعة عن العمل والعامل في حقلها الاداري وكل ما يتعلق بها من موضوعات أدرجناها على شكل هذا البحث بعرض موجز يقتضيه الاسلوب ومدى اعتمادنا فيه على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وروايات أهل البيت عليهم السلام ومدى من خلاله أردنا أن نعرف رأي

لاسلام فيه، علما نوفق... فهي محاولة متواضعة، نرسم من خلالها هذه النقاط عسى أن تتجلى لنا معالم التشريع الاسلامي في هذا الصدد.

كما نرجو من الأخوة الباحثين أن يكملوا المسار، ويحققوا الأهداف، و يبرزوا ما خفي وما يراد تكملته، خاصة ونحن في عصر يحتم علينا ذلك.

(ماهية العمل)

١ ــ معنى العمل..

أ ــ العمل في اللغة:

ان العمل ــ في اللغة ــ هو الصنعة والمهنة والحرفة والفعل، والفاعل (عامل) ويجمع على عمال وعاملون، والمعاملة في كلام أهل العراق هي المساقاة في لغة أهل الحجازيين.

والعملة حركة العاملون بأيديهم، والتعميل هو التأجير، وعملت على الصدقة سعيت في جمعها.

والعمالة أجرة العامل، والعمالة رتبة العامل ومهنته، والمعاملات. الأحكام الشرعية المتعلقة بأمر الدنيا، والمعمل موضع العمل[1].

ب ــ العمل في القرآن:

ورد لفظ العمل في ٣٦٠ آية، ولفظ الفعل في ١٠٩ آيات من آيات القرآن الكريم. ورد في بعضها مطلقاً عاماً كقوله تعالى: «ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً...»[2]

والمعنى هو: «فاذا تم الاسلام لله والعمل الصالح للانسان ثم دعا الى الله كان قوله أحسن القول لأن أحسن القول أحقه».[3]

وقد ذكر الشيخ الجليل الطبرسي (رض) في مجمع البيان بقوله في التفسير..

(صورته صورة الاستفهام، والمراد به النفي تقديره، وليس أحد أحسن قولاً ممن دعا الى طاعة الله وأضاف الى ذلك ان يعمل الأعمال الصالحة «وقال انني من المسلمين».[4])

وما أفهمه من المعنى ــ والله أعلم ــ ان العمل مقصود في عموميته ــ بوجه الاطلاق ــ العمل الديني والعمل المادي على حدٍّ سواء. ومن خلال آراء وشرح المفسرين، يتضح مقصوده ومعناه بالنسبة للأعمال الصالحة التي تخدم الناس، وتصلح أمورهم في دينهم ودنياهم.

وقد ورد في سورة يس ــ الآية ٣٥ ــ قوله تعالى...

«ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون».

يقول الفيلسوف المرحوم السيد الطباطبائي (ميزانه) في تفسير هذه الآية الكريمة: (وما عملته أيديهم): (العمل هو الفعل والفرق بينهما ــ على ما ذكره الراغب ــ ان أكثر ما يستعمل العمل في الفعل المقارن للقصد والإرادة، ولذلك يشذ استعماله في الحيوان والجماد ولذلك أيضاً يتصف العمل بالصلاح وخلافه، فيقال عمل صالح وعمل طالح ولا يتصف بها مطلق الفعل).[5]

فلنقرأ هذه الآيات الكريمة التي تبيّن عظمة العمل الصالح ودرجته عند الله تعالى وعند من يطبق أوامره.

قال تعالى: «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ».[6]

وقال: «... ومن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب».[7]

وقال: «... فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً».[8]

كما دعا القرآن الكريم الى ضرورة العمل وحث على الكسب الحلال وأيقظ وبثه وجدان الـ... في قوله تعالى:

صل الله، وآذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون».[9]

أي اذا فرغتم من الصلاة فتفرقوا «وابتغوا من فضل الله» أي أطلبوا الرزق واكتسبوا الحلال بالعمل المشروع الذي أقره الله تبارك وتعالى. وقيل هو طلب العلم أو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله، ونحو ذلك.

وقد جاء في آيات كريمة أخرى قوله تعالى:

«وآبتغ فيما آتاك الله آلدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا....».[10]

وقوله: «... فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور».[11]

وقوله: «وآية لهم الأرض الميتة أحييناها، وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون* وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون* ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون».[12]

(فالعمل إذن: أساس تملك العامل في نظر الاسلام، وعلى هذا الأساس فهو أداة رئيسية في جهاز التوزيع الاسلامي، لأن كل عامل يحظى بالثروات الطبيعية التي يحصل عليها بالعمل ويملكها وفقاً لقاعدة: ان العمل سبب الملكية).[13]

لا كما قاله الشيوعيون: (ان العمل سبب تملك المجتمع لا الفرد).

أو الاشتراكيون: (ان العمل سبب لقيمة المادة، وبالتالي سبب تملك العامل لها).

فالقاعدة الاسلامية، تقول: (ان العمل سبب تملك العامل للمادة، وليس سبباً لقيمتها). وقد ضرب السيد الشهيد الصدر (رض) مثالاً على ذلك بقوله: (فالعامل حين يستخرج اللؤلؤ لايمنحه بعمله هذا قيمة، وإنما يملكه بهذا العمل).[14]

لقد ورد في كتب الحديث الكثير من الدعوات والحث على العمل، ونهي عن تعطيله. منها:

عن أبي حمزة، قال: سمعت أبا عبدالله (ع) يقول:

«اني لأعمل في بعض ضياعي حتى أعرق، وان لي من يكفيني ليعلم الله عزوجل اني أطلب الرزق الحلال».[15]

عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله (ع)، قال:

«كان أمير المؤمنين(ع) يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة(ع) تطحن وتعجن وتخبز».[16]

قال أمير المؤمنين الامام علي(ع):

«أوحى الله الى داود (ع) انك نعم العبد لولا انك تأكل من بيت المال، ولا تعمل بيدك شيئاً.

قال: فبكى داود عليه السلام أربعين صباحاً.

فأوحى الله الى الحديد: أن لِنْ لعبدي داود، فألان الله عزوجل له الحديد، فكان يعمل في كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم، فعمل ثلاثمئة وستين درعاً فباعها بثلاثمئة وستين ألفاً، واستغنى عن بيت المال».[17]

إذن: فالعمل في الاسلام عبادة وشرف وجهاد لأنه يدعو الى الحركة والجد والنشاط والانطلاق في ميادين الحياة من أجل حياة كريمة شريفة نزيهة مستغنية بعيدة عن الاتكالية الخبيثة.

د ـ العمل في القانون:

(قانون العمل هو مجموعة القواعد التي تنظم العلاقات التي تنشأ بين العمال وأصحاب الاعمال.

وقانون العمل حديث النشأة، أدى الى وجود تقدم الصناعة وانتشارها، مما استدعى تنظيم العلاقات بين العمال وأصحاب الاعمال، بصورة تتفق مع حماية العمال باعتبارهم الجانب الضعيف في تلك العلاقات ازاء الجانب القوي وهم أصحاب رؤوس الأموال).[18]

(أما العمل بالمعنى الفلسفي، فهو نشاط الانسان الإداري المقترن بالجهد لغرض نافع منفعة بشرية غير اللهو والتسلية.

أما بالمعنى الاقتصادي، فهو كل جهد عقلي أو بدني يبذل في مجال النشاط الاقتصادي لغرض الكسب و ينطبق ذلك على التاجر والمنتج والوسيط والعامل وصاحب العمل).[١٩]

٢ ــ أنواع العمل:

هناك أنواع كثيرة، بعضها مستحبة، و بعضها مستحبة مؤكدة في نفسها ولغيرها وواجبة إذا توقفت عليها حركة الحياة، وحاجة الناس اليها أو كانت مقدمة لواجب أو مستحبة.

ومن ضمن الأعمال: التجارة والصناعة والزراعة والصيد (بشتى أنواعه) وغيرها. وهناك أعمال محرّمة، ذكرها الفقهاء في رسائلهم.

أما بشأن الروايات التي وردت، فهي كثيرة نوجز منها مايلي..

بشأن التجارة: قال الإمام الصادق(ع): «من طلب التجارة استغنى عن الناس».[٢٠]

بشأن الصناعة: قال الإمام الصادق(ع): «كلما يتعلم العباد أو يعلمونه غيرهم من أصناف الصناعات مثل الكتابة والحساب والتجارة والصياغة والسراجة والبناء والحياكة والقصارة والخياطة وصنعة صنوف التصاوير، ما لم يكن مثل الروحاني وأنواع صنوف الآلات التي يحتاج اليها العباد منها منافعهم وفيها بلغة حوائجهم، فحلال فعله وتعليمه والعمل به وفيه لنفسه ولغيره».[٢١]

بشأن الزراعة: قال الإمام الصادق (ع): «ازرعوا واغرسوا، فلا والله ما عمل الناس عملاً أحل ولا أطيب منه، والله ليزرعن الزرع وليغرسن الغرس بعد خروج الرجال».

وقال(ع) أيضاً: «ان الله اختار لأنبيائه الحرث والغرس لئلا يكرهوا شيئاً من قطر السماء».[٢٢]

طبعاً المراد بالعمل الحسن الذي يبحث من خلاله الخير والسعادة لبني البشر مصداقاً لقوله:

«إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لانضيع أجر من أحسن عملاً».[٢٣]

وقوله: «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، وهو العزيز الغفور».

قال الإمام الصادق(ع) في تفسيره لهذه الآية الكريمة.. في قوله عزوجل: «ليبلوكم أيكم أحسن عملاً» قال: ليس يعني أكثركم عملاً.... ولكن أصوبكم عملاً، وإنما الاصابة خشية الله، والنية الصادقة. الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل الخالص، الذي لا تريد ان يحمدك عليه أحد إلا الله عزّوجلّ، والنية أفضل من العمل، ألا وان النية هو العمل، ثم تلا قوله عزوجل:

«كل يعمل على شاكلته». يعني على نيته.[٢٤]

٣ ــ أهمية العمل:

ان للعمل أهمية قصوى لتحريك عجلة الحياة ودوام استمراريتها وتقدمها، خاصة عند حاجة الناس الى: المرافق العامة والضمان الاجتماعي، وتتجه اليوم جميع الدول الى الاهتمام بإنشاء مشاريع: تجارية وصناعية وزراعية، وزيادة الانتاج والتجارة بصورة واسعة، وتهيئة موارد جديدة لتغطية نفقاتها المالية.

لقد نظر الاسلام الى العمل على انه عنصر مهم وفعال في طلب الرزق، وحث عليه في مصالح الدنيا والآخرة، حتى انه رتب عليه خير الدنيا والآخرة، بقوله تعالى:

أنْ ليس للإنسان إلّا ما سعى * وأنَّ سعيه سوف ... يُجزاه الجزاء الأوفى»[25].

وقال تعالى: «...فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ... النشور»[26].

وقال الرسول الأعظم (ص): «العمل كنز ... مدن»[27].

وقال (ص) أيضاً: «من بات كالاً من طلب الحلال ... مغفوراً له»[28].

وقال الإمام علي (ع): «إن الله يحب المحترف ...»[29].

وقال الإمام الباقر (ع): «إني ولابساً لا يدرك الا ...»[30].

ومن هنا تبرز أهمية العمل لدى الاسلام بأخذه ... مداسة والتي تنشأ من خلالها علاقة قوية بين ... بالعمل.

يوجد الكثير من الناس الذين يحاولون أو ... عن ممارسة بعض المهن ولا يعتبرونها شرفاً ... هؤلاء — في الواقع — ممن أملى عليهم ... رغباته، فأبعدهم عن طريق الحق والخير ... العمل، وأدى ذلك الى تخلفهم الحضاري ... لامهم لزخرف الفراغ والكسل، بينما يعلمنا ... بأن العمل شرف، وأن نعمل بشرف وأمانة واخلاص، ولو كان فيه مشقة وإكراه لقول الإمام علي (ع):

«أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه»[31].

وقال الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر — ... الله عليه — في بعض بحوثه:

«الاسلام يهتم بدوافع العمل لا بمنافعه، ويرى انه قيمته من الدوافع لا من المنافع، فلا عمل إلا بنية، ومن غير النية الصالحة لا يكون العمل صالحاً مهما كانت المنافع التي تنشأ عنه، لأن الاسلام لا ينظر الى المظهر الخارجي للعلاقات الاجتماعية فحسب»[32].

نفهم من ذلك: أن الاسلام ينظر الى العمل نظرة احترام وتقدير وإجلال لأنه يبعد الناس عن الكسل والخمود والتحجر، ولكي لا تشل حركة الحياة الاقتصادية وتجمد الطاقات، وبالتالي يفسد المجتمع، ويسعى العدو أن يسيطر ويستعمر وينهب الثروات. لأن الشرق والغرب — على السواء — ينظران الى بلاد المسلمين نظرة طمع وحقد وحسد لما حباهم الله من نعم وخيرات وثروات طبيعية هائلة. هذه الثروات هي الإغراء الذي سال من أجله لعاب الاستعمار في هذه الحقبة من الزمن، وبسبب تلك الثروات أصبحت ضحية الاطماع والأهواء والصراعات.

كما أن للعمل أهمية في توفير العمل للعامل وإتاحة الفرصة لتحقيق وتأكيد ذاته (والمقصود بالعمل هنا: صاحب العمل سواء كان حكومة أو شركة أو معملاً أو مؤسسة على صعيد الأفراد والجماعات) خاصة إذا كان هذا العمل يتفق مع قدراته وإمكانياته وطموحه، كما يساهم في تحقيق خير المجتمع. فهو يشعر العامل بأهميته وبأهمية العمل الذي يجد فيه ذاته من خلال إشباع حاجاته كحصوله على الغذاء والكساء والمسكن والوقود وغيرها من السلع والخدمات الضرورية لإدامة حياته.

وهذا ما يلمسه العامل من خلال انتمائه للعمل، وترسيخ أهميته لديه باعتباره كذلك المصدر الأساس لإشباع الحاجة، خاصة في عملية تكوين الأسرة ورفع مستوى الحياة، ودعم أسس الحكومة الالهية مصداقاً لقوله تعالى:

«وإلى مَدْيَنَ أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان إنّي أراكم

نحيرٍ وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط * ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين».[33]

فأهمية العمل كبيرة في حياة الإنسان باعتباره يحدد المجال الاجتماعي الذي تتم فيه معظم العلاقات، كما يحدد نوع الناس الذين سيختلط بهم والمستوى الاقتصادي والاجتماعي للفرد.

إذن؛ فالعمل هو العنصر الفعال في طرق الكسب التي أباحها الاسلام العظيم، وهو الدعامة الأساسية للانتاج. وعلى قدر عمل المسلم واتساع دائرته يكون نفعه وجزاؤه مصداقاً لقوله تعالى:

«من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنحيينه حياةً طيبةً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون»[34].

وقوله تعالى: «ومن يعمل من الصالحات من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً».[35]

وقوله تعالى: «ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمنٌ فلا يخاف ظُلماً ولا هضماً»[36].

يستفاد من هذه الآيات الكريمة أهمية العمل الخالص من الرياء، إذ لا قيمة للعمل اذا كان جوهره بعيداً عن التقوى ولو كثر، والعبرة في الكيف وليس في الكم مصداقاً لقول الإمام علي(ع):

«قد يسمي القليل فيكثر، ويضمحل الكثير فيذهب»[37].

وقال(ع): «شتان ما بين عملين: عملٍ تذهب لذته وتبقى تبعته، وعملٍ تذهب مؤونته ويبقى أجره»[38].

وقال الإمام الصادق(ع): «يا حمران.. واعلم ان العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله عزّوجلّ من العمل الكثير على غير يقين»[39].

وبهذا نرى ان الأنبياء ــ عليهم السلام ــ كلهم قد ضربوا لنا أروع المثل في عملية الاقتداء بهذه المهنة التي شرفها الله تبارك وتعالى، فلولا نداء الله تعالى، ومارسوا هذا العمل الشريف في حين هم حين تشرف بهم.

وهذه صورة من الصور التي يسمها الاسلام ويحث عليها لما لها من قدسية. والتاريخ ينقل لنا بان آدم(ع) احترف عمل الزراعة، ونوح(ع) الصناعة، إذ أوصى اليه بصنع السفينة، وداود(ع) الحدادة، إذ قال تعالى: «ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنّا له الحديد * أن اعمل سابغاتٍ وقدّر في السرد...»[40].

ويوسف(ع) الذي عمل في الادارة وتسيير الأمور الاقتصادية. عندما اشار على فرعون مصر في عهده بأن يزرع سبع سنين دأباً ويخزن الناتج وعليه استعداداً لسنوات الأزمة المقبلة، وعند استفتوه عن الرؤيا قال لهم...

قال تعالى: «قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلّا قليلاً مما تأكلون * ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شدادٌ يأكلن ما قدمتم لهنّ إلّا قليلاً مما تحصنون * ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يغاث الناس وفيه يعصرون»[41].

وعندما استخلصه فرعون لنفسه بعد تأويل الرؤيا، طلب يوسف ان يوليه منصباً في الدولة ليقوم بشؤون الناس، وتدبير أمورهم مصداقاً لقوله تعالى:

«قال اجعلني على خزائن الأرض، إني حفيظٌ عليم»[42].

وادريس(ع) احترف الحياكة، أو الخياطة.. فقد ورد عن يزيد بن هارون بواسطة قال: سألت جعفر بن محمد(ع) عن الزراعة فقال: «هم الزارعون كنوز الله في أرضه وما في الأعمال شيء أحب الى الله من الزراعة، وما بعث الله نبياً إلا ادريس(ع) فانه كان خياطاً».

وسليمان(ع) عمل الغوص والاشراف الاداري [illegible] الجن والإنس.

قال تعالى: «ولسليمان آلريح غدوُّها شهرٌ ورواحها [illegible] وأسلنا له عين آلقطر، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن [illegible]، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير [illegible] يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب [illegible] وقدور راسيات، آعملوا آل داود شُكراً، وقليلٌ من عبادي [illegible] الشكور»[14].

واحترف زكريا(ع) النجارة، وابراهيم(ع) [illegible] البناء حيث رفع القواعد من البيت الحرام بمكة مع [illegible] اسماعيل(ع)، وموسى(ع) بعمل السقي ورعي [illegible] الأغنام لقوة بدنه وأمانته لأنه كان قوياً ومتصدياً [illegible] عمل قوي يستطيع انجازه، فهو لم يرفض [illegible] شؤون عمله عندما استؤجر من قبل نبي الله [illegible] شعيب(ع). وعيسى(ع) اشتغل بالصباغة، ونبينا محمد [illegible] صلى الله عليه وآله بالتجارة والأمانة في أموال [illegible]. فقد ورد عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن [illegible]، قال: «رأيت الحسن(ع) يعمل في أرض قد استنقعت [illegible] قدماه في العرق، فقلت: جعلت فداك أين الرجال؟

فقال: يا علي قد عمل من هو خير مني ومن أبي في أرضه.

فقلت: ومن هو؟ فقال رسول الله(ص) وأمير المؤمنين(ع) [illegible] في كلهم، كانوا قد عملوا بأيديهم وهو من عمل النبيين [illegible] المرسلين والأوصياء والصالحين»[15].

هذه الصورة تعتبر كرإدانة لأي فكر [illegible] [illegible] أو يتهم الاسلام بما ليس فيه من دعوى [illegible] الاسلام يعتبر عرق العامل وجهده و[illegible] [illegible] المغفرة.

العمل كي يستعمروا الأرض، ويحركوا عجلة الحياة، [illegible] أحد أقسام برامج الاسلام الذي أعطاه وأعدفه من [illegible] على المسلمين، وفرض هذا [illegible] كي [illegible] المسلمون دور الإعداد والتكوين [illegible] مجتمعهم. وهذا لا يتم إلا عندما يتفاعل المبدأ [illegible] الأمة [illegible] كي [illegible] طائعاً يسعى [illegible] وترقى، كي [illegible] لوجوب هذا [illegible] ذلك عن طريق [illegible] العمل وإحداث الرغبة [illegible] نفوس المسلمين.

[illegible] الاسلامي الكبير [illegible] [illegible] صحيحة، [illegible] والآخر [illegible] الأرض [illegible] من التقدم والطفرة [illegible]

[illegible] الاسلام [illegible]

ولكن مع الأسف الشديد [illegible] عكس [illegible] [illegible] [illegible] وبعض [illegible] سيولة [illegible] من [illegible]. وكثير من [illegible] بأيدي [illegible] ضد الاسلام والإرادة [illegible]

[illegible]

وجوب العمل:

[illegible]

إسلامنا أمرنا بإعمار الأرض، و إصلاح وطننا الاسلامي، وأوجب العمل وقال (اعملوا) أمر لسعي والعمل والسير في أرجاء المعمورة لاستخراج لكنوز والحصول على الرزق مصداقاً لقوله تعالى:

«... وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله...»[46].

وقال الرسول الأكرم(ص): «ملعون من ألقى كَلَّه على الناس»[47].

و قال(ص): «لا خير في من لا يحب جمع المال من حلال يكف به وجهه، و يقضي به دينه، و يصل به رحمه»[48].

و قال الإمام علي(ع) في دعائه: «اللهم صُن وجهي باليسار، ولا تبذل جاهي بالإقتار»[49].

إنها موعظة وتنبيه لوجدان العبد في أهمية وجوب العمل باعتباره سمة قدسية يصفها الرب العظيم على عبده الذليل الحقير المسكين المستكين كي يجعله مسؤولاً عن الاحتفاظ بكرامته وشرفه حتى ينسجم مع طبيعة واقعه بأن يكون عنصراً عاملاً نشيطاً في المجتمع ليستفيد، و يفيد مصداقاً لقوله تعالى:

«هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور»[50]

إنها دعوة صريحة لوجوب العمل، واستخراج كنوز الأرض وما تحويه من نعم.

قال الثمالي: مررت مع أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق(ع) في سوق النحاس، فقلت: جعلت فداك هذا النحاس أي شيء أصله؟

فقال (ع): «فضة إلا أن الأرض أفسدتها، فمن قدر على أن يخرج الفساد منها، انتفع بها»[51].

دعوة و ترغيب الناس الى التعرف على تلك المعادن المخزونة في باطن الأرض، وكيفية تحصيلها، وتحفيز وجوب على الاصطناع والاحتراف الخاص بها.

ووجوب العمل من أهم جوانب هذا المنهج الرباني. والقرآن الكريم ذكر وجوبه معروناً بالايمان لأنه اشترط ترجمة الايمان بالعمل الصالح. فهنا نرى انه كلما ذكر القرآن الكريم الايمان، ذكر معه العمل الصالح ووجوبه. فلا يكون عمل المؤمن صالحاً الا اذا ابتغى به رضى الله تبارك وتعالى، ولن يبلغ حد رضاه سبحانه الا اذا التزم بهدايته، وهداه على لسان رسوله الى البشر.

قال تعالى: «والعصر * إنَّ الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات»[52]

و قال: «إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية»[53]

وقال: «و يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات و يزيدهم من فضله...»[54]

وقال الرسول الأعظم(ص): «... والمعاد مضمار العمل»[55].

و قال الإمام علي(ع): «لأنسبنَّ الاسلام نسبة لم ينسبها أحدٌ قبلي. الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار الأداء، والأداء هو العمل الصالح»[56].

ترى كم من مضيق يجب على الانسان العامل اجتيازه الى أن يصل الى العمل؟

يريد الامام علي(ع) أن يدب فينا روح الحركة من خلال مبدأ الالتزام بهذا الاسلام العظيم الذي العمل كله، النقي الصافي من كل الشوائب.

يقول الإمام الصادق(ع): «الايمان عمل كله»[57].

وقال(ع): «الايمان لا يكون الا بالعمل، والعمل منه ولا يثبت الايمان الا بالعمل»[58].

يقول الشيخ باقر شريف القرشي في كتـ

العمل وحقوق العامل في الاسلام»:

«إن الدولة الاسلامية ملزمة بتوفير العمل للمواطنين بتلك بتهيئة جميع الوسائل المؤدية له من المعامل والمصانع والمشاريع العامة التي تنعش بها الحياة الاجتماعية والفردية».

ويشير الى ذلك ما أعلنه الإمام أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ في بعض خطبه بقوله:

«يا أيها الناس: ان لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق فأما حقكم علي فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم».

والفيء الذي يوفره الإمام علي(ع) لرعيته هو الخراج، وما يحويه بيت المال. ومن الظاهر ان توفير ذلك إنما يكون بتهيئة جميع وسائل العمل، وميادين الانتاج. وقد أعلن الامام(ع) ذلك بوضوح في دستوره الخالد الذي بعثه لمالك الأشتر لتسير على ضوئه الدولة الاسلامية بجميع اقاليمها.

٥ ــ واجبات العمل:

إن من أهم واجبات العمل تجاه الدولة الاسلامية القيام باصلاح المجتمع وتعويضه باستغلال كافة الموارد الطبيعية والثروات وغيرها مما سخره الله سبحانه لعباده.

ويتم ذلك بتشغيل اليد العاملة والقضاء على البطالة، ومعالجتها بدراسة أسباب تعطيل العاملين عن العمل ومعالجة الأسباب وايجاد الحلول لها، وإعانة المتعطلين الى أن تفتح أمامهم أبواب العمل.

ومن واجبات العمل كذلك محاربة الفقر وتحقيق الرفاه للمجتمع وتوفير أسباب القوة والمنعة به، وجعل بعض موارد بيت المال حظاً للفقراء والمساكين.

وأوجب العمل أن يقوم بسداد حاجاتهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وتسهيل أسباب الحياة الطبيعية للعاملين، حتى عمل على تزويج العاملين الذين لا يملكون مؤونة الزواج ويسكنهم في مساكن تليق بهم اذا لم يكن لهم مسكن. وقد ورد في الحديث..

«من ولي لنا عملاً، وليس له منزل، فليتخذ منزلاً، أو ليست له امرأة فليتزوج، أو ليست له دابة فليتخذ دابة».

كل ذلك يصرف من بيت مال المسلمين، وفي معنى هذا نرى ان مسؤولية العمل حتمت عليه منع الأعمال المحرمة طبقاً للشريعة، كتعاطي الخمور، ومحاربة الربا والاحتكار، وغير ذلك. وأوجبت المراقبة المستمرة لجميع الأعمال ودرجها في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أوجبت للعامل الأعمال الصالحة والسليمة.

ان واجبات العمل في الاسلام تعني توفير العمل المناسب للعاملين، وتدريبهم لاكتساب الخبرة، والصفات المطلوبة فيهم مصداقاً للحديث...

«من استعمل رجلاً على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين».

يقول الامام علي(ع):

«وأعظم ما افترض ــ سبحانه ــ من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكلّ على كلّ».

فجعلها نظاماً لألفتهم، وعزاً لدينهم، فليست تصلح الرعية إلّا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلّا باستقامة الرعية.

فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها عزّ الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء.

وإذا غلبت الرعية واليها، أو أجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدين، وتركت محاجّ السنن، فعمل بالهوى، وعطلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حقّ

عقل، ولا لعظيم باطل فعل! فهنالك تذل الأبرار، وتعز الأشرار، وتعظم تبعات الله عند العباد. فعليكم بالتناصح في ذلك، وحسن التعاون عليه»[59].

وقال (ع) أيضاً في وصيته لواليه على مصر ــ مالك الأشتر(رض):

«وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يدرك إلّا بالعمارة؛ ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلّا قليلاً.. الى أن قال: وإنما يؤتى خراب الأرض من إعوار أهلها. وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر»[60].

وقال الإمام الصادق(ع) في حـ
الجعفي:

«ألا ترى أن الملك لو أراد عمارة بلد م
السبل في ذلك أن يعطي أهله ما يدرونه
يقوتهم الى إدراك زرعهم»[61].

نفهم من ذلك ان لولي الأمر أو ال
طريق العدل ومنع الظلم الذي تتعرض
بسبب ضعف موقعها، ولإقامة ا
الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

الهوامش

مصادر البحث:

١ ــ «القاموس المحيط»، «المصباح المنير»
٢ ــ فصلت/٣٣.
٣ ــ «الميزان» ج ٢٤/٣٣
٤ ــ «الميزان» ج ٢٤/فصلت/٣٣
٥ ــ «الميزان» ج ٢٤/يس/٣٥.
٦ ــ المائدة: ٩.
٧ ــ غافر. ٤٠.
٨ ــ الكهف: ١١٠
٩ ــ الجمعة: ١٠
١٠ ــ القصص. ٧٧.
١١ ــ الملك. ١٥.
١٢ ــ يس: ٣٣ــ٣٥.
١٣ ــ «اقتصادنا» ص ٣٥٢.
١٤ ــ نفس المصدر
١٥ ــ «الوسائل» ج ٦/ص ٢٣.
١٦ ــ «الوسائل» ج ٦/ص ٢٤.
١٧ ــ «الوسائل» ج ٦/ص ٢٢
١٨ ــ «المدخل للعلوم القانونية»/ ص ١٣
١٩ ــ «العلاقات العمالية الدولية» /ص
٢٠ ــ «الفصول المهمة»/ص ٢٢٢.
٢١ ــ نفس المصدر.
٢٢ ــ نفس المصدر.
٢٣ ــ نفس المصدر
٢٤ ــ «الوافي» ج ١/ص ٧٢.
٢٥ ــ النجم: ٣٩ــ٤١.
٢٦ ــ الملك: ١٥.
٢٧ ــ «البحار» ج ٧٧/ص ١٨٢
٢٨ ــ «الوسائل» ج ٦/ص ١٢.
٢٩ ــ «الوسائل» ج ٦ (كتاب التجارة)
٣٠ ــ «البحار» ج ٧٧/ص ١٨٨.

٣١ ـ «نهج البلاغة»/ ٢٤٩.
٣٢ ـ مجموعة بحوث للشهيد الصدر/ ص ٤١.
٣٣ ـ هود: ٨٤ ـ ٨٥.
٣٤ ـ النحل: ٩٧.
٣٥ ـ النساء: ١٢٤.
٣٦ ـ طه: ١١٢.
٣٧ ـ «البحار» ج ٨٧/ ص ١٢.
٣٨ ـ «نهج البلاغة» ج ٢/ ١٢١.
٣٩ ـ «الاختصاص»/ ص ٢٢٢.
٤٠ ـ سبأ: ١٠ ـ ١١
٤١ ـ يوسف: ٤٧ ـ ٤٩.
٤٢ ـ يوسف: ٥٥
٤٣ ـ «الوسائل» ج ٦/ ص ٢٥
٤٤ ـ سبأ: ١٣٩.
٤٥ ـ «الوسائل» ج ٦/ ص ٢٣
٤٦ ـ المزمل: ٢٠.
٤٧ ـ «الكافي» باب الاستعانة.
٤٨ ـ «الكافي» باب الاستعانة.
٤٩ ـ «نهج البلاغة» ٢٢٥.
٥٠ ـ سبأ ١٥
٥١ ـ «عيون أخبار الرضا» ص ٢٣٥.
٥٢ ـ العصر ١ ـ ٣
٥٣ ـ سبأ ١
٥٤ ـ الشورى ٢٦
٥٥ ـ «البحار» ج ١٦ ص ١١٣.
٥٦ ـ «نهج البلاغة» ج ٤، ص ٢٩.
٥٧ ـ «الكافي» ج ٢ ص ٣٤.
٥٨ ـ «الوسائل» ج ٦ ص ١٢١.
٥٩ ـ «نهج البلاغة» خطبة ٢١٦.
٦٠ ـ «نهج البلاغة» ١٠١٤
٦١ ـ «البحار» ج ٣، ص ١٣٠

—●●—

جولة في الصحافة الايرانية

التغيير الذي حصل في الصحف والمجلات بعد انتصار الثورة الاسلامية المباركة في ايران، جدير بالتقدير. فبعد أن كانت في ظل النظام البهلوي المقبور محدودة وفي خدمة ذلك النظام، وتعمل أكثرها لإشاعة الفساد ونشر الأفكار الضالة في مجتمعنا الاسلامي، بدأت بعد الثورة الاسلامية تزداد على مرّ الأيام من حيث العدد، وتتناول قضايا حساسة ومهمة، الهدف منها بناء المجتمع وتعميق الثقافة الاسلامية فيه. ومن هنا ارتأت هيئة تحرير (التوحيد) الاشارة في كل عدد الى المقالات التي تنشرها الصحف والمجلات التي تصدر باللغة الفارسية، عسى أن تجسّد للقارئ العزيز مدى التزامها بالاسلام وسعيها لنشر الفكر الاسلامي بين صفوف أبناء الشعب الايراني المسلم.

المصدر: مجلة «نور علم» (نور العلم) العدد (١١).

العنوان: الأبعاد السياسية والاجتماعية للحج.

الخلاصة: يتناول المقال فلسفة الحج من وجهة نظر القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأكرم(والأئمة المعصومين(ع)، وأقوال العلماء والمفكرين المعاصرين.

المصدر: نفسه. العدد نفسه.

العنوان: الضرائب وأحكامها.

الخلاصة: يتحدث المقال عن جباية الضرائب في الحكومة الاسلامية.

المصدر: نفسه، العدد نفسه.

العنوان: العلاقات الدولية والسياسة الخارجية للحكومة الاسلامية

الخلاصة: يتطرق المقال الى الرسالة العالمية للنبي الاكرم (ص) و دعوته الى الاسلام و مكافحة الظلم والاستكبار.

المصدر: نفسه، العدد نفسه.

العنوان: ولاية الفقيه.

الخلاصة: يبحث المقال في مسألة ولاية الفقيه.

المصدر: نفسه، العدد نفسه.

العنوان: حول المشيئة الالهية.

الخلاصة:

المصدر: نفسه، العدد نفسه.

العنوان: غزوة بني قريظة.

الخلاصة: دراسة موجزة عن غزوة بني قريظة وقضية اعدام عدد من يهود بني قريظة ومعركة الأحزاب (الخندق).

المصدر: مجلة «سروش» (النداء) ــ العدد (٣٠٤) ــ تاريخ ٢٣ــ٦ــ١٣٦٤ هـ.ش

العنوان: البناء الداخلي.

الخلاصة: يتحدث المقال عن ضرورة حسن التعريف، والتوبة عن الحرص على الأكل والشرب والنوم والنكاح.

المصدر: نفسه ــ العدد (٣٠١) ــ التاريخ ٢ــ٦ــ١٣٦٤ هـ.ش

العنوان: البناء الداخلي (القسم ٢٥).

الخلاصة: حديث حول المحبة.

المصدر: نفسه ــ العدد (٣٠٢) ــ التاريخ ٩ــ٦ــ١٣٦٤ هـ.ش

العنوان: عيد الغدير.

الخلاصة: تقرير تأريخي عن عيدالغدير.

المصدر: نفسه ــ العدد نفسه.

العنوان: البناء الذاتي (القسم ٢٦).

الخلاصة: يتحدث المقال عن درجات الصدق والالتزام بالحق.

المصدر: مجلة «اطلاعات هفتگی» (الأخبار الاسبوعية) ــ العدد (٢٢٥٣) ــ التاريخ ذوالحجة ١٤٠٥ هـ.ق.

العنوان: الامام محمد الباقر(ع).

الخلاصة: قبسات من حياة الامام محمد الباقر(ع).

المصدر: نفسه ــ العدد (٢٢٥٥) ــ التاريخ ذوالحجة ١٤٠٥هـ.ق.

العنوان: عيدالغدير، ربيع الولاية والإمامة.

الخلاصة: حديث عن عظمة عيد الغدير وضرورة الولاية والإمامة.

المصدر: نشرة «پيك ارشاد» (سفير الارشاد) ــ العدد (٤) ــ ذوالقعدة ١٤٠٥ هـ.ق.

العنوان: علي بن موسى الرضا(ع).

الخلاصة: شرح لحياة ثامن الأئمة الإمام علي بن موسى الرضا(ع).

المصدر: نفسه. العدد نفسه.

العنوان: حقيقة الحج.

الخلاصة: أجوبة الإمام زين العابدين(ع) على أسئلة «الشبلي» عند عودته(ع) من الحج.

المصدر: نفسه. العدد نفسه.

العنوان: الزهد، أكثر عمل مزاحة و[illegible] (القسم [illegible])

الخلاصة: [illegible]

المصدر: [illegible]

العنوان: الولاية، روح حياة الاسلام.

الخلاصة: نظرة الى خطبة الغدير للرسول الأكرم (ص).

المصدر: نفسه. العدد نفسه.

العنوان: آثار الحج وفوائده (القسم الرابع).

الخلاصة: رسالة الحجاج ووظائفهم.

المصدر: نفسه. العدد نفسه.

العنوان: زيارة كربلاء (القسم ٢٣).

الخلاصة: أهمية زيارة كربلاء، استناداً الى الأحاديث والروايات

المصدر: نفسه. العدد نفسه.

العنوان: زيارة كربلاء (القسم ٢٤).

الخلاصة: ضرورة إعطاء أهمية كبيرة لزيارة مرقد الإمام الحسين (ع).

المصدر: مجلة «صف» (الصف) ــ العدد (٦٩) ــ تاريخ ذو حجة ١٤٠٥ هـ.ق.

العنوان: التأمل في كلام المعصومين.

الخلاصة: يشير المقال الى كلمات الرسول الأكرم (ص) بخصوص منزلة أمير المؤمنين علي (ع).

المصدر: نفسه. العدد نفسه.

العنوان: الحج، مؤتمر عظيم.

الخلاصة: حديث عن الفلسفة العبادية والسياسية للحج

المصدر: مجلة «الجنود» (الأسرة) ــ العدد (٥١) ــ ذو القعدة ١٤٠٥ هـ.ق.

العنوان: الأخلاق الإسلامية (القسم الأول)

الخلاصة: فلسفة الأخلاق في الإسلام والمصادر العقائدية للأديان والأخلاق.

المصدر: نفسه ــ العدد (٥٢) ذو الحجة ١٤٠٥ هـ.ق.

العنوان: الأخلاق الإسلامية (القسم ...)

الخلاصة: الأخلاق من وجهة نظر الدين الاسلامي.

المصدر: نفسه ــ العدد نفسه.
العنوان: الحياة الخالدة.
الخلاصة: تأثير الاعتقاد بالمعاد والحياة الخالدة في الانسان.

المصدر: مجلة «مرزداران» (حرس الحدود) ــ العدد (٣٦) ــ التاريخ ٢٦ــ٦ــ١٣٦٤ هـ.ش.
العنوان: الحج.
الخلاصة: دراسة عن البعدين العبادي والسياسي للحج.

المصدر: نفسه ــ العدد نفسه.
العنوان: الحياة في ظل الأخلاق (القسم الأول).
الخلاصة: المقال يتحدث عن الظلم والجور.

المصدر: مجلة «مكتب اسلام» (المبدأ الاسلامي) ــ العدد (٦) ــ ذو الحجة ١٤٠٥ هـ.ق.
العنوان: تفسير القرآن الكريم.
الخلاصة: القرآن وعصمة يوسف (ع).

المصدر: نفسه ــ العدد نفسه.
العنوان: معركة صفين (القسم السادس).
الخلاصة: الإستمداد من سوح القتال والزهاد السذج في معركة صفين.

المصدر: نفسه ــ العدد نفسه.
العنوان: المفاهيم الفقهية وأحكامها.
الخلاصة: دراسة لمصطلحات: البغي، البغاء والباغي.

المصدر: نفسه ــ العدد نفسه.
العنوان: الحج.
الخلاصة: دراسة عن الفلسفة العبادية والسياسة للحج.

المصدر: نفسه ــ العدد نفسه.

العنوان: حياة الأئمة (القسم الثالث).

الخلاصة: حديث عن قصية ولاية عهد الثامن للأئمة الإمام علي بن موسى الرضا (ع).

المصدر: مجلة «اميد انقلاب» (أمل الثورة) ــ العدد (١١٢) ــ التاريخ ١٦ــ٦ــ١٣٦٤ هـ.ش.

العنوان: الجبهة والجهاد الأكبر (القسم التاسع)

الخلاصة: المقال يتناول شروط الجهاد في سبيل الله.

المصدر: نفسه ــ العدد نفسه.

العنوان: التعرف على الأنبياء (ع) (القسم الثاني)

الخلاصة: يتحدث المقال عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام

المصدر: نفسه ــ العدد (١١١) ــ التاريخ ٢ــ٦ــ١٣٦٤ هـ.ش.

العنوان: عيد الأضحى المبارك.

الخلاصة: حديث عن فلسفة تقديم القرابين والتجربة التي خاضها ابراهيم (ع).

المصدر: نفسه ــ العدد نفسه.

العنوان: الجبهة والجهاد الأكبر.

الخلاصة: حديث عن الخلوص في الجهاد والجبهة

الشهيد

في قلوب الامة المؤمنة

صياء العدادي

في مدينة مشهد، خصصت أيام الخميس لتشييع الشهداء، إنْ كان هناك شهيد أو شهداء. فمنزلة الشهيد في ايران الاسلام قديمة منذ وجود الطاغوت وقبل أن تعصف الثورة الاسلامية به، حيث كان الشهيد يشيع رغم أنف السلطة، كما كان تشييعه و دفنه مظاهرة إسلامية صاخبة، وكثيراً ما كان يصطدم المشيعون مع شرطة النظام الطاغوتي البائد.

و يومه الثالث بعد الدفن مظاهرة إسلامية، و يوم الأربعين أيضاً، كل ذلك كان يشكل هزات قوية تخيف النظام وتنشر الوعي والكفاح والثورة.

وجاءت الثورة الاسلامية بقيادة زعيمها الإمام الخميني وهي بركان انفجر ولايزال يستعر، وسوف يبقى يلتهب في هذه البقعة الاسلامية، و يبقى قبلة الثوار والمجاهدين في بقاع العالم وخاصة في العالم الاسلامي.

جاءت الثورة المباركة لتضع الموازين وفق

معايير السماء، ولتطبق شريعة الاسلام العظيم، ولتدخل السرور على رسول الانسانية ومقتدها محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخلفائه المجاهدين الكرام سلام الله عليهم أجمعين.

وكان الشهيد من الحملة.. حيث عرفت قيمة الشهادة ومعنى الشهيد أكثر فأكثر وبرز بشكل واضح المنزلة الرفيعة للمجاهد الشهيد الذي يسقط من أجل الذود عن حياض الاسلام وثغوره ورسالته.. فترى لكل مدينة في ايران مظاهر رائعة تحيي الشهيد، وتفهم المشاهد أن الشهيد لم يمت بل هو حي حقيقة يعيش معهم.. إنهم يجسدون الآية المباركة «وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ».

والحقيقة تقال ان كل انسان ليتمنى أن يكون هو الشهيد الذي ترفعه الأكف عالياً فوق الرؤوس في ذلك الموكب العظيم ذي الجلال والوقار والهيبة.

لندخل أحد المواكب، ونعيش لحظات مع موكب النور.. موكب الوفاء.. موكب الفجر..

وأنت تقف على حافة الشارع العريض منفرجاً بعينيك ومشاركاً بنفسك، يحركك شهد للمشاركة مع الجماهير الصاخبة.

ينطلق الموكب الرائع من مكان التجمع عند الصباح... الأسواق معطلة احتراماً ساعة التشييع، والناس كلهم رجالاً ونساءً وأطفالاً ينطلقون باتجاه مركز التجمع. إنه يوم جديد، يهز العواطف، ويشحذ الهمم، ويشحن الصدور والقلوب بالقوة.. يوم جديد للتزود بالايمان والاندفاع نحو الجهاد بمرعيه ونحو تذكر أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأيام الاسلام وهو يقارع الكفرة والفجرة.

واليوم وقد بدأ الاسلام يعود للحياة، فكانت الحرب الامريكية ـ الاستكبارية ضد الاسلام، حيث أشعل فتيلها صدام حسين وأعوانه من ذيول الاستكبار العالمي ليصدوا لهيب التحرك الهادر «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».

«... وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ».

نعم: هذا يوم يشيع فيه شهيد جديد، سقط في ساحة الوغى، في ساحة الحرب (المعنية ـ الاسلامية). تبدأ ساعة الانطلاق، ويسير الموكب المهيب.. حيث تتقدم الموكب المبارك صورة كبيرة لشهيد الشهداء ورمز القضية الإمام الخميني القائد. يحملها شخصان يتوسط الشارع الذي ينقطع المرور فيه طيلة فترة التشييع التي تستمر أكثر من ساعتين ويخلو من السيارات تماماً. وبعد الصورة بعدّة أمتار لافتة كبيرة، تمثل الراية الاسلامية، مكتوب عليها الآية الكريمة «فإنّ حزب الله هم الغالبون» بخط كبير وعبارة «الله أكبر خميني رهبر» أي «الله أكبر والخميني قائد» بخط صغير. وعلى الجهة اليمنى من اللافتة، شعار الشهيد، فيما تحتل الجهة اليسرى صورة لفقيه المجاهد آية الله العظمى المنتظري. ثم تأتي لافتة كبيرة، تحمل الآية المباركة «وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» بخط أحمر كبير.

بعدها تأتي لافتة أخرى عليها أحد أدعية الامام القائد آية الله العظمى الامام الخميني..

ثم لافتة كتب عليها شعار و دعاء وتبريك وتعزية للإمام المهدي المنتظر عليه السلام و نائبه الإمام الخميني بمناسبة شهادة الشهيد المشيع... ثم بعدها صورة كبيرة للشهيد، ثم صور أصغر كذلك للشهيد أو للشهداء حين يكون هناك أكثر من شهيد يشيع... بعد ذلك نرى فرقة موسيقى الجيش، تعزف ألحاناً حزينة و أخرى حماسية لأناشيد إسلامية رائعة، و بكل احلال واكبار يخالها الناظر وهي تودع اسماً لها وأخاً معها وشريكاً عاش في حليتها... و بعد فرقة موسيقى الجيش، تأتي قطعات عسكرية على شكل أرتال، و بشكل منسق و منظم يكللها الاجلال والوقار والقوة والصلابة. ثم نشاهد لافتات تحمل شعارات إسلامية من قبيل: (شهداء دخائر عالم نقائيد) وتعني (أيها الشهداء؛ أنتم ذخائر عالم الخلود).

بعدها رتل من وحدة عسكرية أخرى بدون سلاح، ثم لافتة أخرى تحمل شعاراً عسكرياً، كذلك مجموعة عسكرية تمثل القوة الجوية وهي تسير على شكل خطين متوازيين تسير بمشية عسكرية منتظمة، تعقبها مجموعة عسكرية أخرى وهي تمثل صنفاً عسكرياً آخر. إنه تنظيم رائع، يمشي بوقار.

انهم يعزون القائد الكبير بسقوط أحد الأبطال الغيارى، كما يقدمون التبريكات بهذا الحدث العظيم «التوفيق للشهادة»...

بعدها يكون فاصل لبضعة أمتار فتطالعك صورة كبيرة للإمام القائد، يحملها عسكريان، أحدهما من حرس الثوره والثاني من اللجان الثورية، وهما يمشيان بها مشية خاصة، وخلفهما مباشرة يحمل شعاران: الأول على اليمين وهو شعار الحرس الثوري الاسلامي والثاني على اليسار وهو شعار اللجان الثورية الاسلامية التي تسمى «الكوميتا». كل شعار يحمله إثنان، فشعار الحرس يحمله اثنان من أفراد الحرس الثوري، وشعار اللجان يحمله اثنان من أفراد اللجان الثورية. أما موكبهم فهو مختلط يسير على خطين، خلف كل واحد من أفراد الحرس واحد من أفراد اللجان الثورية، وهم يرددون شعارات وهتافات حماسية و بألحان شجية مؤثرة في النفوس، تشيد بمنزلة الشهيد والشهادة في الاسلام.. و بينما أنت منشغل بهذا وذاك، ينهمر عليك ماء الورد الذي يرشه الناس على الجماهير بواسطة مضخات يدوية تلطف الأجواء والنفوس.. الناس ترش الورد وماء الورد حباً وإخلاصاً.. الموكب متصل حيث تفترب منك سيارة « راجروفر» تحمل شعار «السپاه» أي «الحرس الثوري» عالياً وتحيطها أكاليل الورد الرائعة الجميلة والتي نظمت بشكل هندسي رائع و صورة صغيرة للإمام الخميني القائد. وتعلو السيارة من أربعة أركانها أربع مكبرات صوت و كذلك أكاليل من الورد تلف نهايات السيارة، وكذلك تلف السيارة من الوسط لافتات تحمل عبارات اسلامية قيّمة. و في السيارة أحد الناس يخطب و يتكلم بمختلف الكلام، ليسرد الى الناس معاني البطولة في الاسلام، وكيف ان الانسان المسلم يقاتل من أجل العقيدة.. وان الحرب المفروضة من قبل النظام الكافر في العراق الذي

دنس الحرمات وانتهكها وصب حقد الصهيونية والصليبية على الشعب المكبل في العراق، يفرق بين الزوج وزوجه والطفل وأمه. فأكثرهم القتل والسجن والتعذيب والتشريد، وسمر المساد والالحاد، ومنع الصلاة والاذان والشعائر الاسلامية، وأصبحت اداعته لا تبث الا المجون والفساد، ومدارسه لا تقدم الا أفكارعفلق والصهيونية والقومية البغيضة الخالية من المحتوى وهي تحارب الاسلام وتصمه بالتراث الذي جاء به «محمد» (ص)!

المسلم في ايران مسؤول أمام الله عن أخيه المسلم في الشرق و الغرب، يرفع من مستواه المادي والثقافي، و يفك عنه القيود، و يساعده في براجه.

وخلف السيارة مباشرة، يسير موكب كبير يجمع مختلف الناس، يتقدمهم علماء الدين ورجالات الدولة، وهم يرددون شعارات هادئة تحمل التبريك للإمام القائد والدعاء للمجاهدين وجند الاسلام. إنه موكب مهيب وطويل جداً..

و خلف هذا الجمع الغفير تأتي لافتة كبيرة تبارك إمام العصر ونائبه الإمام الخميني القائد بشهادة جند الله، كما تعزيهما في ذلك .

وخلف اللافتة يسير موكب النعش الكبير حيث يرفع النعش على أطراف الأصابع، وهو ملفوف بعلم الجمهورية الاسلامية وعلم أبيض كبير يرفرف عالياً، كتبت عليه الآية الكريمة **«كل نفس ذائقة الموت»**.

شعارات موكب النعش كثيرة ومتعددة، منها: «جهادنا حسيني.. قائدنا خميني» كما يذكرون الشهداء الآخرين كالشهيد آية الله الدكتور بهشتي والشهيدين رجائي وباهنر كذلك شهداء الاسلام السابقين كسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وغيره.

على جوانب النعش عدة صور للشهيد إحداها بصدر واجهة النعش. وخلف الموكب موكب شهيد آخر.

وإن كان عدد الشهداء أكثر، فإنهم يحملون ضمن هذه المواكب حيث ينفصل موكب عن موكب بمسافة قدام. ولمس شرف ملامسة نعش الشهيد، وتتسابق الأيدي لرفعه.. إنه موكب يثير الحزن ويؤثر في النفس..

بعدها تطل اليك لافتة كبيرة جداً، حمراء اللون، طولها حوالي ۱۰ أمتار، كتب عليها بالخط الأبيض «السلام عليكم يا أنصار دين الله» وحملها آلاف الجماهير، وهي تهتف بتحرير القدس من الصهيونية وكربلاء من الصهيونية العفلقية التي دعت الى حدود آمنة لـ (اسرائيل) اللقيطة...

الجماهير تدعو للصلاة في قبة الصخرة في القدس الشريف، وهي تردد **«لن نعبأ كل قوى وأسلحة أعداء الاسلام. ونحن سائرون نحو القدس»**.. «حرباً حرباً حتى النصر». شعارات كثيرة منها: «اما النصر أو الشهادة».. وشعار آخر.. **«هيهات منا الذلة»**.. وهو شعار أطلقه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء حينما تارصد الدولة الأموية بزعامة يزيد بن معاوية، حيث قال عليه السلام: **«يزيد رجل فاسق، فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، ومثلي لايبايع مثله»**. ورغم

قلة أنصاره فانه خاض معركته التي لم تكن متكافئة أبداً، حيث كان أنصاره لايتجاوزون الـ (٧٢) شخصاً مقابل جيوش جرارة قدرت بـ(٤٠) ألف مقاتل.

شعار.. «نداء هل من ناصر حسيني» وجواب له «لبيك يا خميني».

لافتة ملفتة للنظر، كتب عليها «قاتلوهم حتى لا تكون فتنة».

لقد أثرت بي لافتة كتب عليها «دربهار آزادى جاى شهدا خالى است» أي «في ربيع الحرية، مكان الشهداء خالٍ».

جموع غفيرة... وشعارات متعددة.

إنها روعة في التنظيم.. والتنظيم شعار الاسلام، حيث يقول الإمام علي (ع): «أوصيكم بتقوى الله ونظم أمركم».

بعد هذا الموكب المهيب، تطالعك سيارة، تحمل صورة للإمام القائد، تعلوها (٤) مكبرات صوت من أربعة أركان السيارة، تنطلق منها شعارات اسلامية ثورية، يقوم أحد المؤمنين بالقائها على الجماهير وتعقب السيارة لافتة كبيرة كتب عليها «الموت لأمريكا ولروسيا» وخلف اللافتة آلاف النساء، وهن بحجابهن الاسلامي المبهر، منتظمات بشكل مرتب، و يرددن شعارات اسلامية وثورية وسياسية.. كذلك لافتات صغيرة أخرى منها لافتة كتب عليها «الموت لأمريكا عدوة شعوب المعمورة»..

وهذا الموكب الكبير يستمر حتى مكان نقل الجثث الطاهرة الى مقبرة الشهداء.

وفي مدينة مشهد الصامدة يتجه الموكب الى مرقد الإمام الشهيد علي بن موسى الرضا عليه السلام، حيث يصلى على جنازة الشهيد أو الشهداء هناك، لتنقل الجنازة بعد ذلك بالسيارات مع الجماهير المشيعة الراغبة الى مقبرة الشهداء رضوان الله عليهم.

ان الجميل الذي يهز العواطف و يوتّر بالمشاعر و يعتمل في القلوب و يلهب الصدور و يدمع العيون ذلك حينما يقبل الموكب الثوري و يستقبله مكبرون أحد المؤمنين بحنجرته الشجية الحزينة الهادئة وهو يحيي الشهداء و يسلم عليهم حيث يقول:

السلام عليكم يا أولياء الله وأحباءه
السلام عليكم يا أصفياء الله وأوداءه
السلام عليكم يا أنصار دين الله
السلام عليكم يا أنصار رسول الله
السلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين
السلام عليكم يا أنصار فاطمة الزهراء
السلام عليكم يا أنصار أبي محمد الحسن المجتبى
السلام عليكم يا أنصار أبي عبدالله الحسين

بأبي أنتم وأمي... طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم، وفزتم والله فوزاً عظيماً.. فياليتني كنت معكم فأفوز معكم...

والى هنا تنتهي جولتنا هذه التي ارتسمت على صفحة التأريخ وانطبعت في أذهاننا صوراً حية متحركة نابضة بالايمان والثورة ●

حول المسلمين في فرنسا

المقدمة:

في فرنسا — اليوم — عدد هائل من المسلمين، معظمهم من المهاجرين الذين قدموا الى هذه البلاد من: الجزائر، تونس، المغرب ودول إسلامية أخرى.

و يواجه هؤلاء المسلمون مشاكل عديدة، منها ما يصدر عن شعورهم بعدم الانتماء الى المجتمع الذي يعيش كثير منهم فيه منذ زمن طويل، وعدم وجود جهود كافية لتثبيت ارتباطهم بأوطانهم الأم لأسباب معينة.

ومن هذه المشاكل، ما يجده أبناء المسلمين من صعوبات كبيرة في الحصول على مستوى كاف من التعلم الإسلامي، في الوقت الذي يعيشون فيه ظروفاً اجتماعية قاهرة.

ونحن سنحاول بهذه الدراسة الموجزة أن نوضح بعض الأمور عن المسلمين هناك، آملين — كما وعدنا القارئ العزيز من قبل — أن نوفق في المستقبل — إن شاء الله — لإجراء دراسات مماثلة حول بقية المسلمين في أنحاء العالم.

النفوس:

يعتبر الاسلام — من حيث عدد أتباعه — في فرنسا، ثاني دين بعد المسيحية، إذ يزيد عدد المسلمين هناك على مليوني شخص.

[illegible] ألف [illegible]
[illegible]
[illegible]
والملفت للنظر أن الاسلام أخذ ينتشر في السنوات الأخيرة بين الأوساط الفرنسية بشكل ملحوظ، حتى أن عدد الذين اعتنقوا الاسلام يزيد على (٥٠) ألف فرنسي من

إن اقامة المساجد ليست من السهولة في بلد أوروبي، كفرنسا، تتصارع فيها العقائد والديانات...

جميع الأوساط الاجتماعية. وهناك معلومات تقول إن عددهم أكثر من ضعف ذلك.

والكنيسة الكاثوليكية لا تبدي قلقها من هذا الرقم المتزايد يومياً بقدر قلقها من عمق ايمان هؤلاء وصدقهم، والأسباب المقنعة التي دفعت بهم الى ترك الكاثوليكية والاتجاه الى الاسلام، هذا النهر الذي يمتد دون توقف، ينهمر النفوس الظمأى برواء الحقيقة وينابيع المعرفة من معاناة العجز [illegible]

[illegible] في المجتمع الفرنسي.
هؤلاء الأشخاص لاعتناقهم الاسلام [illegible] بالقناعة والضلالة والحيرة، و[illegible] التوجه الى الحق سبحانه وتعالى دون وسيط.

ويذكر أحد هؤلاء المسلمين «انه كان يريد أن يصبح راهباً، لكنه وجد طريقه الروحي الى الاسلام بعد تجربة فاشلة في دير كاثوليكي».

وبخصوص هؤلاء الفرنسيين المنتمين للاسلام، كتبت مجلة «الاكتواليتيه روليجيوز» الكاثوليكية في أحد أعدادها تقول: (إن هؤلاء المنتمين الجدد الى الاسلام يختلفون تماماً عن المسيحيين الذين كانوا يتحولون الى الاسلام قبل ذلك، وان هذه «الهجرة» الى الاسلام كانت في السابق تقتصر على العسكريين الذين عاشوا الاسلام خلال حقبة كاملة من الوجود الفرنسي في شمال افريقيا، أما هذه الظاهرة فجديدة تماماً على المجتمع الفرنسي...).

ومضت الصحيفة الى القول: (إنّ الأشخاص الذين يعتنقون الاسلام في هذه الأيام، ينتمون الى الحركة الأكثر انتشاراً والمعروفة باسم (العودة الى الروحانيات)... والاشباع [illegible] الروحي، وان هؤلاء الأشخاص يبحثون في آن واحد عن الحقيقة والصرامة و[illegible]، بعيداً عن الكنيسة [illegible]، وقد خاب أملهم نتيجة التقلبات التي عاشتها الكنيسة الكاثوليكية منذ العقد [illegible]



صورة ــ معلم في إحدى حلقات تدريس القرآن الكريم

[illegible]

[illegible] مسائل [illegible] كما أن هذا [illegible] من الشيخ الأزهر [illegible] أصبح [illegible] الإسلام [illegible] التي كانت [illegible] في الكاثوليكية، وأضاف بأنه ليس هناك من أركان العقيدة ما تم مراجعته وتعديله. فلو عاد مسلم مائة سنة [illegible] لوجد نفس الإسلام في عصرنا.

المساجد:

إن الحركة الإسلامية في فرنسا آخذة في التوسع والانتشار ويدل على ذلك الإحصائيات التي تشير إلى أن عدد المساجد في فرنسا يبلغ نحو أربعة وعشرة مساجد، ثلاثون منها في «باريس»، ومائة وعشرون في المناطق الفرنسية منها، وستة عشرة في «ليون»، وستة وثمانون في «مارسيليا»، إلى جانب العديد من المساجد الصغيرة وقاعات الصلاة التي تنتشر في الأحياء الفرنسية ومناطق المهاجرين.

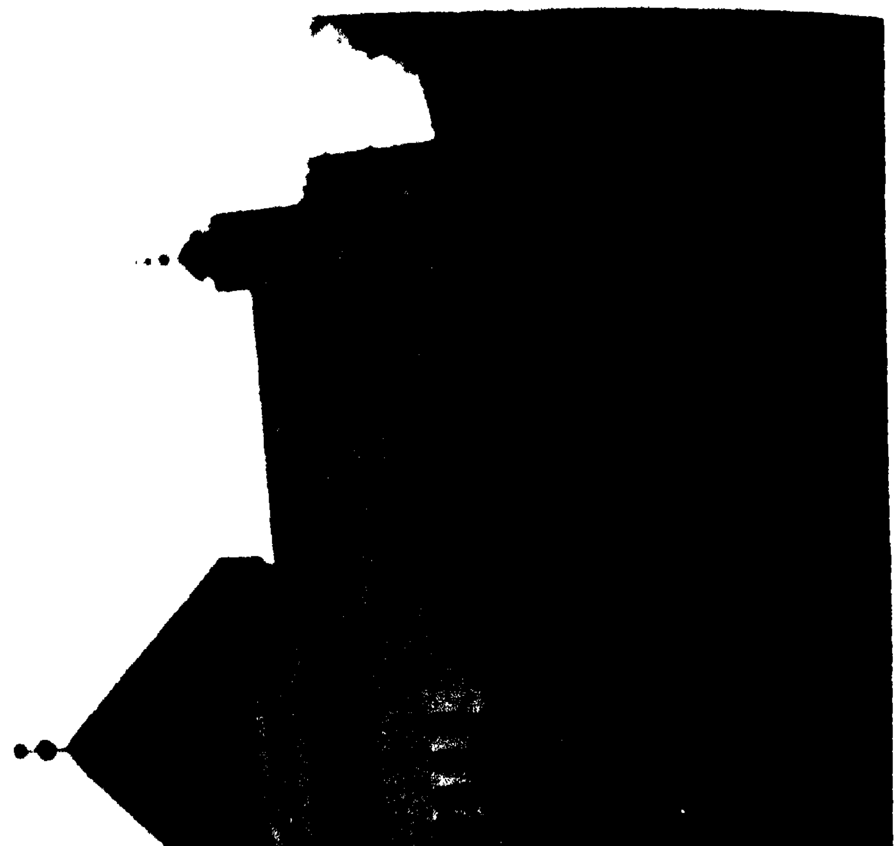
وفي قلب باريس العاصمة وفي الحي اللاتيني يقع مسجد باريس العريق الذي

[illegible] في الدول [illegible] ١٩[illegible]م وافتتح [illegible] الآن [illegible]

ويتم [illegible] الحالي [illegible] الصلوات، ويشمل [illegible] الدروس [illegible] القرآن الكريم.

> لما كان المسلمون في فرنسا يحتلون المرتبة الثانية بعد المسيحيين من حيث الوزن الاجتماعي، لذلك فهم يؤلفون ثقلاً كبيراً، ويؤثرون في المجتمع الفرنسي تأثيراً مباشراً....

وجدير بالذكر أن إقامة المساجد ليست من السهولة في بلد أوروبي كفرنسا تتصارع فيه العقائد والديانات وتتضح فيه مظاهر الحضارة الآلية. هذا المجتمع يرى في إقامة المساجد وتجمع المسلمين بأعداد هائلة لأداء الشعائر الدينية، نوعاً من الإزعاج العام وإقلاق الراحة... في عهد «جيسكار ديستان» تقدم المسلمون بطلب لإقامة مسجد بالقرب من بعض المساكن الشعبية، فوافقت



[illegible]

[illegible] في كتاب الرؤساء [illegible]!!

[illegible] كثيراً ما لدى التكبر [illegible] الكرب الذي يسبق [illegible] بعض الفرنسيين المتعصبين للدفع [illegible] أبعرّتهم المسرعة مقابل ذلك على [illegible] التكبير الذي عزّ لديهم الثقافة ومشاعرهم القاتلة التي لا تستجيب للنامي [illegible].

هموم المسلمين في فرنسا:

الحديث عن المسلمين في فرنسا، حيث [illegible] واحتراز في نفس الوقت، فالمعاناة هناك صعبة بقدر ما هي طبيعة الحياة المعيشية فيها، إلا أن الجهود الكبيرة والأعمال الطيبة التي يقوم بها المسلمون تغطي على الجانب الأول. فالجميع هناك يعمل من أجل الإسلام والمسلمين والنشاطات القائمة في هذا البلد تنقل الصورة الحقيقية الناطقة لأعمال هؤلاء وجهود تلك الفئة المؤمنة.

ولما كان المسلمون في فرنسا يحتلون المرتبة الثانية بعد المسيحيين من حيث [illegible] الاجتماعي، لذلك فهم يشكلون [illegible] ويتحركون في المجتمع الفرنسي [illegible]

[illegible] المتعصبين [illegible] مواقف [illegible] يرفضون [illegible] «الأجانب» [illegible] غيرهم. [illegible] في بعض [illegible].

ولقد ظهرت [illegible] إرهابية [illegible] على المسلمين في عدد من المناطق الفرنسية، وقد نفذت [illegible] عمليات إرهابية راح ضحيتها عشرات المسلمين، ومع ذلك لم تفعل السلطات الفرنسية [illegible] المحاولة دون [illegible] هذه الأحداث. كما أن الدول الإسلامية [illegible] تلك التي [illegible] وهي كانت تصدر على أرض فرنسا [illegible] تجاه تلك الممارسات الإرهابية، وهذا ما شجّع الإرهابيين في كل مكان للاعتداء على المسلمين.

وقبل [illegible] ظهرت في فرنسا جبهة إرهابية أطلقت على نفسها اسم «[illegible]» [illegible] المسلمين [illegible] الفرنسية، والتي [illegible] هؤلاء [illegible] شعاراً في حربه [illegible] الإسلام والمسلمين [illegible] فرنسا.

والسبب في [illegible] الحالي بهذا الشكل [illegible] يعود أولاً الى انتشار الاسلام في فرنسا بسرعة مذهلة، وتغلغله في سائر انحائها.. بلا قتال ولا حروب، وإنما بشكل مطلق من الايمان والدعوة لم



يجد الحاقدون تجاهه سوى هذه الأساليب الحاقدة.

* في كل انحاء فرنسا وفي كل مدينة، وفي عدد [illegible] متزايدة من القرى والمصانع والمآذن [illegible] اسم الله [illegible] برتفع عدة مرات في اليوم، يدعو المسلمين الى الصلاة.

على ان الجالية الاسلامية عادت تواجه في الآونة الأخيرة تصعيداً خطيراً لحملة إرهابية ضدها ليست جديدة، فالمسجد العمالي الصغير في مصنع «تالبو» في «بواسي» الذي تعرض لعملية حريق اجرامية، لم يكن المسجد الأول الذي يتعرض.

[illegible]

صومهم [illegible]

في شهر رمضان المبارك، تتحول الأحياء الخاصة بالمسلمين بشكل إسلامي بحت... فتغلق المطاعم والمقاهي، وتفتح محلات صغيرة لبيع «الرمضانيات» وهي عبارة عن مأكولات ومشروبات للافطار.

وتتزامن الاجازات السنوية لأغلبية المسلمين مع شهر رمضان، لأن معظم أصحاب المصانع والشركات يمنعون الصيام في أثناء ساعات العمل، و يعتقدون ان ذلك يضر بمعدلات الانتاج، متجاهلين ان كل العالم الاسلامي يصوم شهر رمضان المبارك، دون أن يؤثر ذلك في مستوى الانتاج، بل قد يرتفع لعدم توقف العمل بسبب تناول الوجبات الغذائية.

وحينما تحين ساعة الافطار يتجمع [illegible] في حلقات، ويحتفلون [illegible] حلقات الذكر وتلاوة القرآن الكريم وصلاة التراويح.

كلمة أخيرة:

على ضوء هذه الحقائق، ولأسباب أخرى عديدة، لابد من إدراك أهمية تقوية ودع الوجود الاسلامي في فرنسا من أدناها إ أقصاها، وتقديم المساعدة للمسلمين هناك ف النواحي المادية والمعنوية على حد سواء، لأ التحدي الذي يواجهه الاسلام والمسلم يتطلب و يستوجب وقفة جديدة علم للمحافظة على المسلمين وأخلاقهم ودينه وعلى ذاتيتهم وهويتهم، خاصة الجيل الص الذي ولد وعاش وترعرع في أجواء غر مختلفة اختلافاً كلياً عن الأجواء الاسلامي فهناك التفسخ والانحلال والتهور، وا الموفق ●

جولة في الصحافة

النفط في خدمة الاستعمار

■ تحت هذا العنوان كتبت صحيفة كيهان «العالمية» في عددها الاسبوعي رقم (٦٠٨) تقول:

● «يدور الحديث في أوساط الاوبيك عن تعويم سقف الانتاج. وليس سراً ان المشروع مطروح لتبرير قيام النظام العراقي على زيادة حصة انتاجه من النفط، وهو الأمر الذي يتعارض — جملة وتفصيلا — مع قرارات الاوبيك القاضية بتوزيع حصص ثابتة ومعينة على الدول الاعضاء على أن الشيء المؤكد ان زيادة انتاج النفط سوف يؤدي الى انخفاض الاسعار وهذا يعني توجيه ضربة قاصمة الى اقتصاد البلدان المصدرة، فيما يعطي قوة الى اقتصاد الدول الصناعية، ولذلك يحق لنا أن نتساءل عن سبب هذه السياسة النفطية التي تصطدم بمصالح شعوبنا وبلداننا؟

من البديهي ان الاسباب التي دفعت نظام بغداد لاتخاذ هذه الخطوة هي محاولة للحصول على العملة الصعبة، فهو بحاجة الى المزيد من السلاح المتطور، خاصة بعد أن دخل مرحلة حرجة على صعيد العطاء البشري للحرب. ولكن ليعلم النظام العراقي ومن هم وراءه اننا قادرون على زيادة انتاجنا، وبذلك نسد الطريق على نظام بغداد في سياسته النفطية الرجعية هذه.

وعلى أي حال، اننا ضد فكرة تعويم سقف الانتاج، ونطالب بالابقاء على مستواه المتفق عليه والمحدد بـ(١٦/٠٠٠/٠٠٠) برميل، كما اننا نؤكد على ضرورة تحديد الأسعار بما يتناسب ومصالحنا كشعوب نتطلع الى المزيد من التقدم والرفاه».

هذه التحركات المشبوهة

■ حول الجولة الأخيرة التي قام بها بابا الفاتيكان في عدد من الدول الأفريقية، وقضية التنصير في أفريقيا، كتبت مجلة «المنار الاسلامي» في عددها الاول للسنة الحادية عشرة تقول:

● «لفتت أنظار المراقبين الجولات الخارجية العديدة التي يقوم بها بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني من حين لآخر والتي وصلت الى سبع وعشرين جولة منذ توليه عرش البابوية وتعتبر جولته الاخيرة التي استغرقت اثني عشر يوماً — زار فيها سبع دول أفريقية أغلبيتها ذات ثقافة اسلامية — هي الثالثة التي يقوم بها خلال السنوات الخمس الماضية.

وتأتي زيارات البابا المتكررة هذه رغبة من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في زيادة انتشارها في القارة

الافريقية والتي يعتبرها الفاتيكان إحدى أهم مناطق نجاحاته خلال القرن العشرين.

وقد تحدثت وكالات الأنباء عن ان بدء «التنصير الثاني لأفريقيا» الذي أعلنه البابا في جولته الأخيرة هو شعار الكنيسة في خطة عملها خلال السنوات القادمة داخل أفريقيا التي تعتبرها مصادر الكنيسة الى جانب أمريكا اللاتينية إحدى «احتياطيات العالم الكاثوليكي للمستقبل».

وتأتي هذه الحملة الجديدة لتنصير أفريقيا بالرغم من استمرار ارتفاع معدل اعتناق النصرانية التي تتسلل الى عقول المواطنين الأفارقة مستغلة حاجتهم الماسة الى الطعام والدواء والكساء.

وقد حث البابا اثناء زيارته الأخيرة لجمهورية توغو الأساقفة والكهنة على الانتقال الى الشمال (وهي مناطق المسلمين) للتبشير بالنصرانية.

الملفت للنظر ان جولة البابا هذه المرة لم تشمل مناطق كوارث ومجاعة بل شملت دولاً ذات استقرار سياسي واقتصادي نسبيين، الأمر الذي يؤكد ماذهبنا اليه سابقاً.

والمثير في قضية التنصير في أفريقيا وفي بلاد المسلمين عموماً ان ذلك يتم تحت سمع و بصر حكومات العالم الاسلامي والتي قد يصل بها الأمر أحياناً الى منح التسهيلات القانونية بل وتقديم المساعدات المادية والعينية كما حدث بالنسبة لبعض الدول الخليجية والتي قدمت تبرعات مالية لضحايا المجاعة في حفل غنائي كبير أقيم في لندن مؤخراً، وقد جمعت في النهاية كل تلك التبرعات لتقدم لبؤساء أفريقيا باسم «يسوع المسيح»...

ان التحركات المعادية التي يقوم بها غير المسلمين بين شعوبنا تحتاج منا الى وقفة حادة أمام هذ[...] التي تستهدف سلخ المسلمين من عقيدتهم الا[...]

هذه الوقفة الجادة التي نطالب بها تت[...] التخطيط لتثبيت الاسلام في نفوس أ[...] اصلاح أوضاع المسلمين على كافة المستو[...]

ثانياً: الانطلاق الى تلك الجموع البشر[...] تبحث عن نور الاسلام وسط دياجير الـ[...] والخادعة.

ثالثاً: الوقوف بحزم مع تلك المنظمات الاسلامية العاملة في مجال الدعوة الاسلا[...] بكل الوسائل الممكنة وليس كما يحصل [...] المؤامرات لاجهاضها في مهدها ووضع [...] التي توقف نشاطها الخير.

إنها كلمة حق نوجهها الى أبناء هذا الا[...] الذي يتعرض للضربات المتتالية في كل م[...] من مجيب.....؟».

هدية (اميرالمؤمنين) لريغن

تحت هذا العنوان وفي عددها ٦٩، كتب[...] الوحدة الاسلامية تقول:

• «بمناسبة ذكرى استقلال أمريكا، [...] من رؤساء وقادة البلدان في العالم هدايـ[...] الأمريكي رونالد ريغان. حيث كانت [...] السيريلانكي فيلاً، بينما بعث الرئيس الـ[...] ثمينة جداً، و بعثت ملكة انكلترا بعلبة سجـ[...] فيما ارسل وزير خارجية روسيا كتاباً قديماً و[...] آخرون قطعاً من المسكوكات القديـ[...]

برها.

لكن الملفت في قائمة مرسلي الهدايا هو اسم أحد قادة البلدان الاسلامية وهو الشاه حسن الثاني ملك المغرب، الذي بعث ست قناني من الشراب المعتق والغالي الثمن، في وقت يدعي انه «أمير المؤمنين» و يتصدر رئاسة لجنة المؤتمر الاسلامي..».

ورقة فاشلة لمواجهة المد الاسلامي في الفلبين

● تحت هذا العنوان، تحدثت مجلة سروش «باللغة العربية» عن تصاعد نشاطات المسلمين الفلبينيين ضد نظام ماركوس، مشيرة الى أن وحدات من الجيش الأمريكي قد تمركزت في قاعدتين لها في الاراضي الفلبينية، وذلك للدفاع عن النظام المذكور في الحالات الطارئة. وفيما يلي نقدم جوانب من المقال:

● «يزداد الاهتمام في الآونة الأخيرة بتصاعد حركة المسلمة ضد نظام «فرديناند ماركوس» في الفلبين. وقد استقطبت الأنظار بشكل خاص جبهة تحرير مورو الاسلامية التي يزداد نشاطها في الجزر الجنوبية من الفلبين حيث تقطن الغالبية المسلمة التي تمارس سلطات ماركوس الفلبينية مختلف الضغوط وأساليب الاضطهاد لتجريدها عن هويتها الاسلامية.

والمعروف عن جبهة تحرير مورو الاسلامية التي تأسست عام ١٩٧٢ انها ترفع شعار إقامة حكومة اسلامية مستقلة في جنوب الفلبين... وأمام تصاعد مظاهر العجز في حكومة ماركوس تجاه المعارضة الداخلية الواسعة، تحدثت التقارير الصحفية الواردة من الفلبين عن وصول وحدات من قوات الكوماندوز الامريكية الى الاراضي الفلبينية واستقرارها في قاعدتين عسكريتين وذلك استعدادا للتدخل السريع في حالة حدوث أية طوارئ يمكن أن تهدد حكم الرئيس ماركوس....

ولابد من الاشارة - ضمن هذا السياق - الى ان الولايات المتحدة الامريكية تحتفظ بخمس قواعد عسكرية في الفلبين منذ أكثر من عشرين عاماً، وقد كان لبعض تلك القواعد مساهمة فعالة إبان الحرب الفيتنامية....».

من يسعى للفلسطينيين؟

● تحت هذا العنوان، كتبت صحيفة كيهان «باللغة الفارسية» في افتتاحيتها للعدد (١٢٥٦٤) مقالاً حول الاعتداء الصهيوني على عدد من مقرات الفلسطينيين في تونس، جاء في جوانب منه:

● «ان الاعتداء الصهيوني على مقرات الفلسطينيين في تونس، كان له ردود فعل واسعة في العالم. وواشنطن اعتبرت ذلك الاعتداء مشروعاً ومنطقياً، فيما أعلن المسؤولون سيلاحقون الفلسطينيين أينما كانوا. كما أن الأنظمة العربية المؤيدة لمشروع السلام مع الكيان الصهيوني اعتبرت العملية الارهابية التي نفذها الصهاينة خطوة في طريق هدم أسس السلام في منطقة الشرق الاوسط....

والسؤال المطروح هو: من يستطيع ومن يجب أن ينتقم لدماء الفلسطينيين التي أريقت اثر الاعتداء الصهيوني على مقرات الفلسطينيين في تونس؟ الملك حسين أم الملك الحسن الثاني؟ حسني مبارك أم صدام؟ في الحقيقة ان هؤلاء الحكام وأمثالهم - و بدلاً من

لانتقام من الصهاينة ــ سينتقمون ــ بلاشك ــ من لفلسطينيين الذين لجأوا الى دولة عربية باسم «تونس» مهّدوا بلحوتهم الاحواء لاعتداء الصهاينة على هذه لبلاد. سينتقمون من الفلسطينيين الذين تجاهلوا وصيات السادات ولم يركبوا معه الطائرة التي أقلته الى «تل أبيب» في عام ١٩٧٧م.

وان هؤلاء الحكام سيقترحون على الفلسطينيين لتوجه الى الاردن بدلاً من تونس أو الدول العربية لاخرى، لكي يحميهم الملك حسين و يتمكن من الدواع بن حقوقهم المشروعة! وهذا يعني ان على لفلسطينيين ــ خلال انعقاد الدورة السابعة عشرة لمجلس الوطني الفلسطيني في عمان ــ اختيار أحد لطريقين التاليين: إما الاشتراك مع الاردن في مشروع (السلام) مع الكيان الصهيوني و إما مواجهة السحق. و يبدو ان الملك حسين قد هيّأ نفسه للحل التالي.

وهنا يجب القول: ان الكيان الصهيوني ــ وعبر عملياته الارهابية في تونس ــ قد ساعد على ولادة جيل فلسطيني جديد، جيل لايثق مطلقاً بالقوى العالمية المعادية لحقوق الانسان، جيل سيحمل البندقية بدلاً من غصن الزيتون، جيل سيد حل فلسطين السليبة بعد أن يمضي على الانظمة العربية المساومة...).

ماذا نريد من بريطانيا

■ تحت هذا العنوان نشرت جريدة «اللواء» الاردنية في عددها (٦٥) مقالاً، قالت في مطلعه:

«تأتي زيارة السيدة مارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا الى منطقة الشرق الأوسط في وقت تزداد فيه مخاطر تجدد الصراع في المنطقة...».

الجريدة ترى ان الدخول في الصراع مع الكيان الصهيوني يتسبب في بعض الأخطار. طمعاً أو... على الأنظمة الرجعية، لأنّ الشعوب المسلمة مستعدة لتحمل أنواع الصعاب والمشقات من أجل تحرير الأرض السليبة، ولكن ماذا تفعل وهي... وتعاني من نير أنظمتها الدكتاتورية و... والعميلة؟

و رغم اعتراف الجريدة بأن بريطانيا... السبب وراء تشريد الشعب الفلسطيني وزرع الكيان الصهيوني في قلب العالم الاسلامي، الا أنها... بإعادة النظر في موقفها من القضية الفلسطينية والتخلي عن دعم الكيان الصهيوني! حيث... تقول:

«إننا نطالب بريطانيا أن تنتهج سياسة عاقلة و... ونريدها أن تقف مع الحق والعدالة وضد العدوان و... واحتلال الأراضي بالقوة».

وهنا نسأل «اللواء» وأمثالها من الصحف والمجلات الأخرى التي هي ــ في الواقع ــ ... الأنظمة العميلة، نسألها: ترى ماذا نتج... الدعوات السابقة التي وجهت الى الاستكبار العالمي بخصوص القضية الفلسطينية؟

ان تلك الدعوات لم ترد الاستكبار الا... وعنجهية، بل وشجعته على توسيع نطاق عدائه للمسلمين وقضاياهم وخاصة القضية الفلسطينية.

ان الحق المسلوب بالقوة يجب أن يسترد بالقوة وإلا فان تقديم النصائح لأعداء شرسين لايفهمون الا منطق القوة لن يقدم أو يؤخّر شيئاً. فمتى يرعوي هؤلاء؟!

شؤون اسلامية

عقوبة بسبب دراسة الفكر الاسلامي

حكمت محكمة «سوباريا» في اندونيسيا مؤخراً شاب مسلم بالسجن لمدة (١٢) سنة بتهمة تخريب وإثارة القلاقل بهدف الاطاحة بالحكومة الاندونيسية.

وأضافت وكالة الأنباء الاندونيسية التي ذكرت الخبر أن هذا الشخص البالغ من العمر (٣٠) عاماً، أدين بتهمة تشكيل مجموعة للدراسات الاسلامية، تهدف الاستيلاء على السلطة وتحريض الناس ضد نظام الحكم.

مستوطنات صهيونية جديدة في الأراضي المحتلة

أقامت سلطات العدو الصهيوني خلال الأشهر السبعة الماضية (٣) مستوطنات جديدة، كما صادرت نحو (٣٠) ألف دونم في مناطق مختلفة من الضفة الغربية المحتلة.

وقد أقام الصهاينة المستوطنة الأولى على أراضي بيت لحم بينما أقامت المستوطنة الثالثة على أراضي قرية «سعد» بقضاء الخليل.

أما الأراضي المصادرة فهي تابعة لقرية «بيت فجار» في قضاء بيت لحم وقرية «نموح» في قضاء الخليل وقرى أخرى تابعة لقضاء نابلس ورام الله.

وجدير بالذكر ان عشرين ألف دونم من هذه الأراضي هي أراض زراعية تقع في منطقة «السمرة» التابعة لقرية «بني نعيم» بالخليل.

محام بلجيكي يعلن اسلامه

تشرف «فرنسيس دتريث» محامي البارز والمشهور في بروكسل عاصمة بلجيكا وعمره (٥٠) عاماً بالدين الاسلامي.

وقالت صحيفة الاهرام القاهرية ان الدكتور فرانسيس دتريث الذي أعلن اسلامه قد بعث رسالة الى رئيس الأوقاف في مصر يطلب منه الحصول على منحة دراسية في جامعة الازهر لكي يدرس العلوم الاسلامية واللغة العربية، وقد تمت الموافقة على طلبه.

حملة على الدعاة الاسلاميين في الاتحاد السوفيتي

في جمهورية «اوزبكستان» السوفيتية تعرض مؤخراً رجل دين لعقوبة سجن لمدة سنتين في أحد معسكرات العمل.

ولقد حدث أن تحدثت في الماضي أوساط المنشقين السوفييت عن عمليات اعتقال لوعاظ

نه هي المرة الأولى التي يتم الاعلان فيها في ستان» عن حكم علني على داعية اسلامي كبردي اشكولوف»...

في حيثيات الحكم ان «أكبردي» منافق سعى وراء الربح المادي، وقدسبق له أن لدة ست سنوات في أحد معسكرات إعادة إلا انه تلقى في هذه الفترة مبادئ ومعلومات لام استخدمها بعد خروجه من المعسكر. عد «أكبردي» بقنوات التدريج الديني ة (الرسمية) راح يتصرف كداعية في

قع ان عدة الوف من الدعاة الاسلاميين ، سراً في الاتحاد السوفياتي، لأن عدد الدعاة ين لايكفي لحاجات ملايين المسلمين. ومن ٢) الف مسجد كانت موجودة في الاتحاد ي قبل الثورة، لايستعمل المسلمون سوى سجداً، والباقي مقفل أمام الجمهور المسلم ده (٥٠) مليون نسمة.

افتتاح مجمع العلوم الدينية في قم

سور آية الله مشكيني رئيس مجلس الخبراء ، أساتذة وفضلاء الحوزة العلمية في مدينة قم وخمسمائة طالب جامعي، افتتح مؤخراً مجمع الدينية للأخوات (جامعة الزهراء) في هذه قدسة.

مستهل افتتاح جامعة الزهراء تليت آيات ن القرآن الكريم، ثم تحدث آية الله جنتي فهاء مجلس أمناء الدستور ومن مؤسسي هذه ة تحدث باسهاب عن أهمية العلم والايمان على الالتزام بالتقوى في كل مناحي الحياة وبذل السعي لتحصيل الفقه والاصول على أفضل وجه. وقال انه فضلاً عن ذلك فعلى الطالب الجامعي أو طلبة العلوم أن يتعرفوا اليوم على الشؤون السياسة والسياسات الاسلامية ذلك ان السياسة لايمكن فصلها عن الحكومة الاسلامية، وعلى كل مسلم مخلص أن يكون ملماً بقضايا البلاد الراهنة وعلى اطلاع تام ودائم بها.

وأكد سماحته انه يجب ولاسيا في هذه الظروف التي تكالب فيها أعداء الاسلام صدنا ان نؤدي الواجب الخطير الذي يقع على عاتقنا أمام الاسلام العزيز بأفضل صورة.

مقاومة العنصرية في جنوب أفريقيا

شارك عدد كبير من المسلمين في جنوب أفريقيا ــ قبل فترة ــ في جميع المظاهرات الاحتجاجية ضد الممارسات العنصرية هناك. وكانوا ينضمون جنباً الى جنب مع اخوانهم السود والملونين الآخرين في محاولات رفع الظلم وتغيير النظام العنصري والتضحية من أجل هذا الهدف النبيل.

وقد استشهد أحد المسلمين في تلك المظاهرات، فشيع من قبل عشرة آلاف شخص. وجدير بالذكر ان مراسم التشييع قد تبدلت الى مظاهرات، اشتبك خلالها المتظاهرون مع رجال البوليس، مما أسفر الاشتباك عن مقتل أحد رجال بوليس النظام العنصري القائم في جنوب أفريقيا.

تقال عدد من المواطنين المسلمين في مصر

ـت قوات الأمن المصرية ــ قبل شهرين ــ على أحد عشر مواطناً مصرياً في صعيد مصر.

انهم هؤلاء بتوزيع منشورات معادية للنظام، اسقاطه وإقامة حكومة اسلامية في مصر.

جدير بالذكر ان شوارع القاهرة شهدت في نفسها مظاهرات معادية للنظام المصري، وقد تلك المظاهرات احتجاجاً على العدوان ني على مقرات الفلسطينيين في تونس، طالب المتظاهرون بقطع العلاقات مع الكيان ي وطرد جميع الصهاينة من مصر.

تداء الصهيوني وسكوت الأنظمة الرجعية

. العدوان الصهيوني على مقرات الفلسطينيين ، طالبت الجماهير المسلمة في أنحاء العالم ــ هراتها ومسيراتها ــ بالرد على الصهاينة، فيما ـت الانظمة العميلة ــ كعادتها ــ بشجب

ـم ان العدو الصهيوني أثبت بعدوانه الجديد ــ كان ومايزال ــ لايحترم أي قانون دولي م الا منطق القوة والارهاب، إلا ان الحكام ء أمثال الملك حسين وحسني مبارك مازالوا الحديث عن السلام مع الكيان الصهيوني ون على الفلسطينيين للمشاركة في محادثاتهم مع الصهاينة.

وات الاسلامية تواصل عملياتها ضد العدو الصدامي

ـسل القوات الاسلامية دكها لمواقع القوات الشهرين الماضيين من قتل وجرح وأسر العديد من أفراد تلك القوات. فيما غنمت كميات كبيرة من معداتهم وأسلحتهم.

وقد باءت جميع الهجمات التي شنتها القوات الصدامية المأجورة لاستعادة جزيرة مجنون بالفشل، وتكبدت في كل عملية خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات.

من جهة أخرى شنّ المجاهدون المسلمون العراقيون في شمال العراق ــ خلال نفس الفترة ــ عدة هجمات على مواقع قوات النظام الحاكم في العراق ودورياته، وقتلوا العديد من أفراده. كما أضرموا النار في عدد من مقرات حزب البعث.

هذا ويواصل أبناء شعبنا من شباب وشيوخ تدفقهم على جبهات الحرب، لانزال الضربة النهائية بصدام العراق الكافر. ففي كل يوم يتوجه الى الجبهات عشرات الأشخاص من مختلف أنحاء الجمهورية الاسلامية وهم يهتفون «حرب حرب حتى النصر».

وفد صهيوني يجري محادثات في الأردن

قام وفد صهيوني خلال شهر محرم الماضي بزيارة للأردن، تباحث خلالها مع كبار المسؤولين في النظام الأردني.

وكانت التقارير التي وردت بهذا الخصوص قد ذكرت ان المسؤولين الأردنيين أبلغوا الوفد الصهيوني بأن الملك حسين يأمل في أن يبدي شمعون بيريز رئيس وزراء الكيان الصهيوني مرونة إزاء المساعي التي تبذلها الأردن للتصالح مع اسرائيل.

واضافت نفس التقارير ان المسؤولين الاردنيين مرضوا على الوفد الصهيوني الوسائل الكفيلة بالحيلولة دون القيام بأي نشاط من شأنه أن يعرض الكيان الصهيوني الى الخطر في الضفة الغربية لنهر الأردن في حالة انسحاب القوات الصهيونية منها.

القوات الأفغانية تواصل ضربها للمعتدين

وجهت المقاومة الاسلامية في أفغانستان خلال الشهرين الماضيين ضربات عنيفة الى قوات ببرك كارمل العميلة والقوات الروسية الغازية، وكبدتها خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات.

كما استطاعت في نفس الفترة أن تتصدى لجميع هجمات العدو، هذا في وقت حرر فيه المجاهدون المسلمون مناطق أخرى من بلادهم من دنس القوات السوفيتية وعملائها.

وتشير التقارير الى أن المجاهدين المسلمين تمكنوا في تلك العمليات من قتل ما يقرب من (٨٠٠) شخص وجرح أكثر من (١٠٠٠) شخص آخر وأسر العديد من أفراد القوات الحكومية والروسية، وتدمير كميات كبيرة من أسلحة العدو ومعداته.

هذا وتواصل القوات السوفيتية قصفها العشوائي لمناطق مختلفة من أفغانستان، مكبدة الأهالي العزل ـ في كل مرة ـ خسائر في الأرواح والممتلكات.

وجدير بالذكر ان عدداً من أفراد الجيش الأفغاني التحقوا خلال شهر محرم الماضي بصفوف المجاهدين المسلمين. وقد كشفوا النقاب عن جانب من الجرائم الوحشية التي ترتكبها قوات ببرك كارمل والقوات الروسية بحق أبناء الشعب الأفغاني المستضعف، مؤكدين أن عشرات الآلاف من المواطنين الأفغانيين يتعرضون في سجون النظام الماركسي لأبشع أنواع التعذيب.

بيان حول

المؤتمر الرابع للفكر الاسلامي

نعلن لأبناء الأمة الاسلامية وخصوصاً العلماء والمفكرين والمحققين في سائر أرجاء العالم انه سينعقد أثناء احتفالات الذكرى السنوية السابعة لانتصار الثورة الاسلامية في ايران بقيادة امام الأمة آية الله العظمى الامام الخميني دامت بركاته، المؤتمر الرابع للفكر الاسلامي في الفترة ١٨ ــ ٢٠ جمادي الاول ١٤٠٦/٢٩ ــ ٣١ ك الثاني ١٩٨٦ حيث سيدرس موضوع (الحكومة الاسلامية).

ومن هنا فان اللجنة الفكرية المشرفة تطلب من كل الأخوة المفكرين أن يوافوها باقتراحاتهم وآرائهم على العنوان التالي:

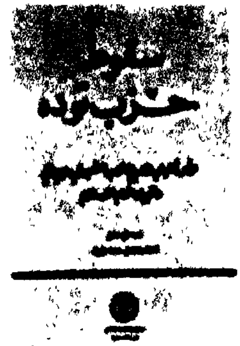
منظمة الاعلام الاسلامي ــ معاونية العلاقات الدولية

ميدان فلسطين ــ طهران ــ ص ب ١٤١٥٥/١٣١٣

تلفن: ٦٤٤٨٥٦ تلكس ٢١٣٩٨٠ IPO

اللجنة الفكرية

«سقوط حزب توده»، كتاب يستعرض تاريخ الحزب الشيوعي الايراني المنحل (توده) المليء بالخيانات والتجسس والعمالة للقوى الاستكبارية. ويتضمن الى جانب ذلك اعترافات قادة هذا الحزب والتي كشفوا فيها عن نشاطات



رهم لصالح الاتحاد السوفياتي منذ اليوم الأول أسيسه، والطريق المسدود الذي وصلوا اليه بعد ار الثورة الاسلامية في ايران.

يقع الكتاب في ١٦٣ صفحة، وهو من تأليف د محمد علي حسيني، استاذ مساعد في جامعة ن، وقد قامت منظمة الاعلام الاسلامي

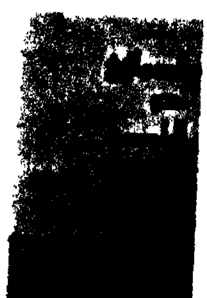


«رأي الاسلام في السلام المفروض»، كراس من تأليف سماحة الشيخ محمد علي التسخيري،

يقع الكراس في ٤٥ صفحة، و يتحدث فيه المؤلف عن المؤامرات التي دبرها الاستكبار العالمي ضد الثورة الاسلامية في ايران منذ لحظة انتصارها، والتي كانت من حصيلتها الحرب الظالمة التي شنها النظام الحاكم في العراق ضد ايران الاسلام.

كما يبين مفهوم آية الاصلاح بين المؤمنين، والتي تتشبث بها الأنظمة الرجعية ومن يدور في فلكها لاتهام الجمهورية الاسلامية . (نفي)، وبعد ذلك يوضح معالم الكفر البعثي.

وفي الختام يحدد الادلة التي على ضوئها ترفض الجمهورية الاسلامية وقف اطلاق النار.



«الدوافع نحو المادية»، صدرت مؤخراً الطبعة الثالثة ... كتاب «الدوافع نحو المادية» بقلم الشهيد آية الله ...ضى المطهري.

يقع الكتاب في ١٢٩ صفحة، ويقول الشهيد المطهري في مقدمته. «... موضوع بحث يمثل درساً من تاريخ العقائد والأفكار البشرية. ومن المعلوم ان تحليل الوقائع التاريخية صعب الى حدٍّ ما، لأنها ترتبط بعوامل معقدة وخصوصاً اذا كان البحث يرتبط بالتصورات العقائدية».

والشهيد آية الله المطهري، علم من أعلام الفكر الاسلامي الاسلامي الرائد، وقمة من القمم الهادية الى علاء الأمم وخلاصها من نير الظلم والكفر والاستعمار.

لقد بذل كل جهده وقدم للشعب المسلم عصارة روحه وذهنه، فأنتج جيلاً ثورياً واعياً استطاع تحت لواء القائد العام أن يحطم امبراطورية الشاه المقبور

بريد التوحيد

ترحب مجلة التوحيد بأي انتقاد ورأي و
من جانب القراء الأعزة وتبدي است
للرّد على الاسئلة المطروحة عليها.



▪ من المغرب، بعث لنا السيد الكريمي سعيد رسالة أعرب فيها عن تقديره للثورة الاسلامية في ايران، وأشار بعد ذلك الى تصاعد نشاطات الحركة الاسلامية في بلاده، حيث كتب يقول:

• «... إنَّ المسلمين في مختلف بلدان العالم يواجهون ــ اليوم ــ تحديات وهجمات شرسة من قبل القوى الطاغية التي تعمل على خدمة المخططات الاستعمارية. في العالم الاسلامي تعمل الأنظمة الاستبدادية الدموية على قمع الجماهير المسلمة التي عاهدت ربها على مقاومة الظلم وتغيير الواقع المرير وذلك لوضع الأسس لحكم عادل يستمد مفاهيمه وقوانينه من الشريعة الاسلامية «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً».

والشعب الايراني استطاع عبر ثورته الشعبية المظفرة بقيادة القائد البطل الإمام الخميني ــ حفظه الله ــ أن يدمر نظام الشاه الدموي البائد. وقد واجه تحديات همجية عدوانية من قبل الامبريالية العالمية وأحد رموزها الرجعيين المتخاذلين، نظام صدام المجرم، عميل الصهيونية والاستعمار. لكن رغم جميع الممارسات الارهابية من قبل الاستعمار، فان الشعب الايراني استطاع أن يصمد في وجه الطغيان والعدوان، و يبرهن على قوة إرادته في مواجهة ممارسات صدام المجرم، و يعمل في نفس الوقت على تحقيق إنجازات حضارية تعبّر عن عظمة الاسلام.

وفي المغرب يتعرض شعبنا المسلم ــ اليوم ــ الى أبشع أنواع الاستغلال والقمع والاضطهاد من قبل النظام الملكي. فالملك الحسن الثاني السفاح يتستر وراء الاسلام من أجل تمرير سياسته الرجعية المجحفة المعادية لآمال جماهيرنا المسلمة وطموحاتها... كما أنه يساند الصهيونية والاستعمار في مواجهة الاسلام. فقد سمح للمؤتمر اليهودي العالمي بأن يعقد في المغرب، وساهم بجهوده في زيارة الخزي والعار التي قام بها السادات المقبور الى الأراضي الاسلامية المحتلة (فلسطين)... ورغم بشاعة السياسة الدموية التي يمارسها نظام الحسن المجرم ضد جماهيرنا، فان الحركات الاسلامية المغربية تتحرك بفعالية من أجل إسقاط نظام الرجس والتدجيل وتأسيس جمهورية إسلامية في المغرب ــ إن شاء الله ــ.

اخوتي الأعزاء؛ ان عمق الهجمة العدوانية الشرسة على الفئات الاسلامية في مختلف بلدان العالم تستوجب المزيد من التعاون والتلاحم بين المسلمين من أجل اثبات كيانهم وردع الممارسات العدوانية الارهابية، وان قيادتكم الر...
الامام الخميني تشكل دعامة أ...
والحركات الاسلامية في العا...
عليكم».

▪ ومن السويد كتب ا...
الثقافي لتجمع الوحدة الاسلا...

• «أدام الله ظلكم في أر...
للاسلام وأهله، وجعلكم...
لرسالته، وثبّت أقدامكم لما ...
والآخرة.

يشرفنا أن نعلمكم بتـ...
الوحدة الاسلامية في الـ...
ستوكهولم). إننا وإياكم ...
على هدى ربنا ومنهجه، لا...
لإعلاء كلمة «لا اله الا الله»
وندعو الله سبحانه وتعالى أن ...
لما فيه خير الدين وصلاح أمر ...
هدى كتابه الكريم وسنة ر...
الأمين. ونود أن نبيّن لكم ...
الطريق و بحاجة الى دعمكم ...
وان مكتبتنا حاوية من مطبو...
نأمل في استلام مطبوعاتكم ...
شأنه أن يرفع المستوى الـ...
المسلمين...».

▪ والسيد اسحاق محمد ...
الاسلامي في «مانجونوجـ...
أفريقيا، بعث لنا رسالة، جا...
منها:

• «لقد وصلتنا مجلتـ...
وتصفحناها بكل روية. ...

... بعث برسالة ...

... الله.

... محمد عبدالرحمن ...

... بعث رسالة قال فيها:

«... لا نشك ولا يشك أي مسلم ... في ان الثورة الاسلامية في ... للمسلمين أبواب الحقائق ... مغلقة طوال عدة قرون.

... بيقين بأن كل تحرك ... انطلق من المساجد التي أذن ... و يذكر فيها اسمه، فان المسلمين ... ن، فيا ستكون الهزيمة من ... هم...».

... لنا السيد التيجاني أحمد ... من مدغشقر رسالة جاء في ...

... لكم من جزيرة مدغشقر ... المسلمون أقلية فيها. نحن بحاجة ... الاسلامية، وخاصة تلك التي ... معاصرة، لذا التمس منكم أن

... [illegible] ... والسلام عليكم...».

■ السادة: عبدالقيوم عبدالحليم الحسن رئيس قسم المكتبة والوثائق في المركز الاسلامي بالخرطوم (السودان)، الشيخ علي خليل الحداد (أمريكا)، قاسم الأنصاري (الجمهورية الاسلامية في ايران)، محمدحسين عيسى ونعمة زين الدين (لبنان)، محمد الداود (أمريكا)، الشيخ العيسري (الجمهورية الاسلامية في ايران):

● وصلتنا رسائلكم الكريمة مع طلب الاشتراك. نشكر اهتمامكم بالمجلة، و يرجى مواصلة الكتابة الينا.

■ السادة: الحاج موسى وعبدالرحمن موسى عبدالله ومحمد عبد أحمد (غانا)، أحمد زلزي (لبنان)، رجب مالمالا (تنزانيا)، عبدالرزاق زكريا (نيجيريا)،

... [illegible] ...

● أعلمنا ... الكتب في ... الكتب اليكم وشكراً.

■ السادة: محمد صالح عبد ... رئيس قسم الدوريات في جامعة أم درمان الاسلامية (السودان)، حاجي الصمعي (تونس)، محمود عبدول (ماليزيا)، باكا ابراهيم (تنزانيا)، ... عبدالعزيز (بلجيكا)، عبدالفتاح (نيجيريا)، أحمد كشميري (الجمهورية الاسلامية في ايران):

● نشكر مشاعركم الودية تجاه المجلة والعاملين فيها. بعثنا لكم قسائم الاشتراك.

■ ووصلتنا رسائل كثيرة من القراء الأعزة نذكر أسماء بعض أصحابها:

● الدكتور عبدالحليم الندوي عميد كلية اللغات الأجنبية في جامعة حيدرآباد ومحمد عارف عثمان رئيس مكتبة منظمة الطلبة المسلمين (الهند)، علي آدم رئيس اتحاد الطلبة الماليزيين (باكستان)، عثمان عمر (غانا)، سليمان محمد جمة (نيجيريا).

توحيد

اسلامية ـ فكرية ـ جامعة

تصدر كل شهرين مرة

العنوان

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران

ص.ب

(١٥٨١٥ـ٣١٩٥).

الأخيرة

المهم هو الجوهر...

التلاعب بالألفاظ، وإطلاق الشعارات الفارغة هي حرفة السياسيين (بالمعنى المنحرف للسيا
سة)، فهم يلوكون المفاهيم التي تهز العاطفة، والأحاسيس الانسانية مادرَّت معايشهم بها، و يعزفون على الأنغا
م تأنس اليها الفطرة والطبيعة البشرية.. وذلك بهدف تحقيق مكسب سياسي رخيص سرعان ما يطفو على
سطحه، و ينكشف على واقعه، محيياً للآمال، و باعثاً على اليأس... إلا ان ابن آدم ينسى سريعاً، وكأنه اشتق
من النسيان! وقد أدرك السياسيون المحترفون ذلك، فراحوا يعيدون الكرة تلو الكرة مستفيدين من هذه الظاهرة...

وقد يكون التكرار والتلاعب واضحاً ومكشوفاً الى حد لا تنفع معه كل أساليب الزخرفة، والدعاية،
والتلوين الصارخ... مما يدعو الى السخرية في نهاية المطاف...

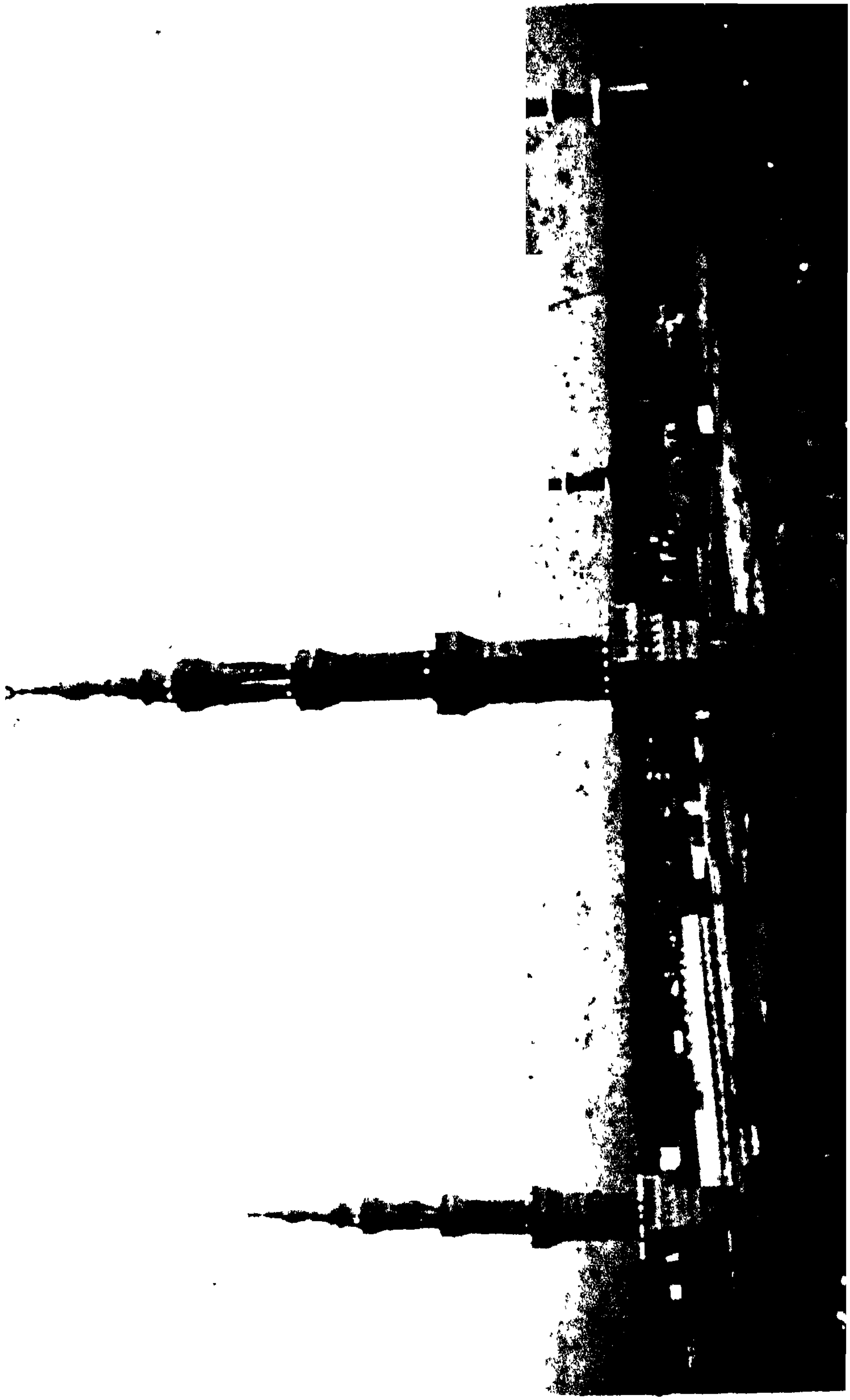
وهذا هو ما نشهده مثلاً في مورد يكرره الفيلسوف والمتفكر الخاوي: صدام ونظامه العفلقي، فهو ــ بدلاً
من الانصياع للإسلام بكل ما فيه من تصورات وأحكام تبتنى عليها ــ يلجأ دائماً للتأكيد على (جوهر الاسلام)
لأن المهم هو الجوهر أما التفصيلات والأحكام فما هي إلا لباب أو قشور لا داعي للتقيد بها.. نعم المهم هو
الجوهر وما هو هذا الجوهر انه (العدالة والمساواة) وحينئذ فأي عمل يحققها هو عمل اسلامي، ولما كان حزبه
العفلقي أفضل صيغة لتحقيقها فهو الوريث الطبيعي للإسلام نفسه!! وبهذا يبرر صدام وقوفه ضد الأحكام
الاسلامية، وضد التصورات الاسلامية في مختلف المجالات وقبوله حتى بالماركسية مثلاً.

وعندما اعتُرض على حضور طارق ميخائيل يوحنا عزيز وزير الخارجية العراقي في المؤتمر الاسلامي
لوزراء الخارجية في صنعاء ــ وهو مسيحي صليبي ــ أجاب المندوب العراقي بأنّ المهم هو (التخلق بالخلق
الاسلامي) ولما كان العراقيون جميعاً يتحلون بهذا الخلق فهم جميعاً مسلمون!!

و بالتالي عندما وجد صدام جيشه يجر أذيال الخيبة ويخسر عشرات الألوف من القتلى والأسرى في كل
معركة ضد الجيش الاسلامي ــ الأمر الذي يضطره للفرار علناً بحجة الانسحاب التكتيكي ــ فان الفكرة التي
تجلى حينئذ في الاعلام العراقي هي فكرة ان المهم هو (روح النصر) وليس النصر نفسه.

مرة واحدة صدق هذا النظام مع نفسه وذلك حينما تناسى كل تصريحاته البهلوانية ضد (كامب ديفيد)
وراح وزير الخارجية العراقي يركع على أعتاب مبارك، طالباً منه العون، معلناً تأييده الكامل لمصر رغم العلاقات
الدبلوماسية المقطوعة(!!)... نعم صدق في قوله حينما صرّح بأن المهم هو جوهر العلاقات لا شكلها الظاهري...
وكان هذا هو الواقع، ألم يصدقه النظام المصري باسناده العسكري الهائل، والبشري الشامل؟ ثم ألم يؤيده النظام
العراقي بالامتناع عن تأييد المشروع الاسلامي الايراني المقدم الى الأمم المتحدة بطرد (اسرائيل) منها على اعتبارها
صراحة انه يقبل بوجود (اسرائيل) حرة في المنطقة.

إذن، لا تظلموا النظام العراقي فليس كل ما يقوله هو الكذب والتضليل، وإنما قد يصدق بعض
الأحيان ولكن على حساب الشرف والايمان ●



ان قضية الحكومة الصحيحة للمجتمع البشري، وضعت على رأس البرامج في الدين الاسلامي، كما أن جميع الأنبياء كان من أعمالهم؛ التصدي لطواغيت زمانهم ومكافحتهم من أجل احقاق الحق.

وهذه الحقيقة وردت في القرآن الكريم وفي روايات كثيرة و بتعبيرات مختلفة. لذلك فن المؤسف ان نشاهد ـ بالرغم من هذه الثقافة التي جاء بها الاسلام ـ ان المسلمين لم يلتفتوا إلى هذه الحقيقة ولم يعملوا بها، حتى وصل الأمر بهم الى حد أن معظم حكام الدول الاسلامية و بدلاً من أن يتوجهوا الى الاسلام وأن يقتدوا برسول الله (ص) والأولياء وأن يتوجهوا الى ايجاد المودة والاخاء بين الشعوب الاسلامية، اتخذوا الشرق والغرب قبلة لهم، وأصبحوا عملاء لأمثال ريغان، ووضعوا جميع ثروات بلدانهم ومصالحها تحت تصرف أميركا وأعداء الاسلام، كما استخدمت هذه الثروات أيضاً للإبقاء على الطاغية

معاونية الرئاسة للعلاقات ال

في منظمة الاعلام الاسلام